



الجامعة العربية السعودية
وزادة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

فلسفة الطاقة الكونية

وموقف الإسلام منها - دراسة عقيدة نقدية

رسالة علمية مقدمة إلى قسم العقيدة للحصول على درجة الماجستير في تخصص العقيدة الإسلامية

إعداد الطالب

حسين سيد محمد إحسان سيد

الرقم الجامعي

٤٣٣٨٠٣٠٢

إشراف

فضيلة الشيخ الدكتور

أبو زيد بن محمد مكي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

العام الدراسي

١٤٤٠هـ - ١٤٤١هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



ملخص الرسالة



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد. فهذه رسالة علمية مقدمة إلى قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، والرسالة هذه أعدت لاستكمال المتطلبات اللازمة لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة، بعنوان: "فلسفة الطاقة الكونية، وموقف الإسلام منها - دراسة عقدية نقدية"، من إعداد الطالب: حسين سيد محمد إحسان سيد، وإشراف فضيلة الشيخ الدكتور أبو زيد بن محمد مكي.

وتهدف هذه الرسالة إلى معرفة المفهوم الفلسفي للطاقة الكونية، وبيان حقيقتها ومفاهيمها، وجذورها الفكرية، واتجاهاتها المختلفة، وتطبيقاتها المتنوعة، وبيان الموقف الشرعي من القضايا الناتجة عن الإيمان بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.

وقد احتوت الدراسة على مقدمة وأربعة فصول بمباحثها ومطالبها على النحو التالي: المقدمة، وتضمنت خطبة الرسالة، وأهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وحدوده، وأهدافه، والدارسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه، وطريقة البحث.

الفصل الأول: وتضمن التعريف بالطاقة الكونية، وخصائصها، والتفسير الفلسفي لتلك الخصائص، كما تضمن الحديث عن المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.

الفصل الثاني: وتضمن الحديث عن الصلة بين الإنسان وبين الطاقة الكونية، وارتباطه به.

الفصل الثالث: وتضمن الحديث عن الاتجاهات والمدارس التي تبنت فلسفة الطاقة الكونية.

الفصل الرابع: وتضمن بيان موقف الإسلام من القضايا الناتجة عن الإيمان بفلسفة الطاقة الكونية.

وقد تضمن البحث مجموعة من النتائج؛ من أبرزها: أن الطاقة الكونية عندهم هي قوة غيبية مبثوثة في كل ذرات الكون، ويُنظر إليها على أنها قوة غيبية، تتصف بخصائص إلهية تجعلها معبودة ليس لها واقع إلا في الخيال الذهني، ثم إن التأثير الحاصل من تلك الطاقة هو في حقيقته تأثير القوى الغيبية غير المنظورة من الأرواح والجن والشياطين على الإنسان، ويُنظر إلى هذه القوى الغيبية على أنها كائنات إلهية، ترسم صورها على الذهن، وتتجلى في الواقع بالحدس والتأمل الباطني، فهذا هو جوهر فلسفة الطاقة الكونية، وفي مضامين هذه الفلسفة دعوة إلى التنمية البشرية وتطوير الذات، والوصول إلى مرتبة الإنسان الكوني حين يتعاطى التجربة مع تلك القوى، وفي أعماقها تنمية للملكات الميتافيزيقية، عبر تسخير القوى الغيبية من أجل خدمة البشرية، وارتباط الإنسان بتلك الطاقة هو ارتباط ديني شعائري قائم على الاعتقاد بتأثير القوة الغيبية على النفس، وسواء كانت تلك القوة خيرية أو شرانية؛ فإن الصراع الكوني بينهما هو ما يفسر حقيقة الكون ووجوده.

كما تضمنت هذه الرسالة جملة من التوصيات، منها: ضرورة توحيد الجهود المبذولة من أجل التصدي للفكر الباطني الحديث، وضرورة تمكين طلبة العلم والمتخصصين في العقيدة الإسلامية من إجراء المزيد من البحوث لفضح المشروع الباطني الحديث، وخاصة أن موضوع الطاقة الكونية موضوع متشعب، ولكي نصل للصورة المتكاملة عن الموضوع من كل جوانبه؛ لا بد من دراسة الأصول الباطنية الحديثة، ومعرفة نقاط الالتقاء مع التصوف الفلسفي، والتنمية البشرية، ودراسة التصورات الفلسفية للفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، وأثرهم على الفكر الباطني الحديث، كما أنه من الضروري جداً إنشاء مركز بحثي متخصص يشرف عليه المسؤولون في قسم العقيدة، وظيفته المساعدة في تقديم الأجوبة والاستفسارات والاستشارات حول المشروع الباطني الحديث، وسبل التصدي له ومحاربه.

Abstract

Praise be to God alone, and peace and blessings be upon those who do not have a prophet after him, after.

This thesis is presented to the Department of Creed at the Faculty of Da'wa and Fundamentals of Religion at Umm Al-Qura University in Makkah. Hossain Syed Mohamed Ihsan Syed, under the supervision of Sheikh Dr. Abu Zaid bin Mohammed Makki.

The aim of this thesis is to know the philosophical concept of cosmic energy, to clarify its truth and concepts, its intellectual roots, its intellectual trends, its various applications, and to clarify the legitimate position on issues resulting from the belief in philosophical concepts about cosmic energy.

The study contains an introduction and four chapters as follows:

The introduction, which includes the sermon of the thesis, the importance of the subject, the problem of research, limits, objectives, previous studies, research plan, methodology and method of research.

Chapter I: It includes the definition of cosmic energy, its characteristics, and philosophical interpretation of it, as well as talk about philosophical concepts about cosmic energy.

Chapter II: It includes talk about the link between man and cosmic energy, and its connection to it.

Chapter III: Includes talk about trends and schools that adopted the philosophy of cosmic energy.

Chapter IV: The statement of the position of Islam on issues resulting from faith in the philosophy of cosmic energy.

The research included a set of results; most notably: that cosmic energy is seen in many cultures as the idol, and is intended to influence the invisible metaphysical forces on man, In essence, images depicting in the mind the power of imagination, and manifested in reality intuition and internal reflection, and in the contents of his knowledge a call for human development and self-development and access to the status of the universal human. It is no secret to the sensible human being that it could be dangerous to embrace such ideas, because the effects of infringement on the axioms of the universe, and freedom from religion, The universal man who is the real manifestation of the cosmic energy is a person free of religious and psychological restrictions, and is in fact a prisoner of the powers of the metaphysical.

This letter also included a number of recommendations, including: the need to unify efforts to address modern esoteric thought, the need to enable students of science and specialists in Islamic faith to conduct further research to expose the modern esoteric project, and the need to establish a specialized research center supervised by officials in the Department of faith His job is to assist in providing answers, inquiries and consultations about the modern internal project, and ways to address it and fight it.

المقدمة

وتشتمل على العناصر التالية:

- * خطبة الرسالة.
- * أهمية الموضوع، وسبب اختياره.
- * مشكلة البحث.
- * حدود البحث.
- * أهداف البحث.
- * الدراسات السابقة.
- * خطة البحث.
- * منهج البحث.
- * طريقة البحث.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

فإن الله -عزَّ وجلَّ- حين خلق الإنسان واستخلفه على هذه البسيطة؛ فإنه لم يخلقه عبثاً، ولم يستخلفه هدرًا، وإنما خلقه لهدف عظيم، والبحث عن حقيقة هذا الهدف هو السؤال الأهم في تاريخ التفكير البشري حين يخاطب ضميره ووجدانه، "لماذا خلقت؟"، و "ما الهدف من الحياة؟".

وإن المتأمل في تاريخ البشرية منذ فجر وجودها ليجد أن أمماً وجدت وتوالدت، وشعوباً غادرت هذه الحياة، في عملية منتظمة متناسقة، يعجز الفكر البشري عن إدراك أسرارها، بيد أن القضية الأهم في تلك العملية وحجر الزاوية فيها هو موقف الإنسان من معبوده، وهو الموقف الذي يضع الإنسان نفسه أمام الأجوبة المصيرية للسؤال الأهم في تاريخ التفكير البشري ورحلة البحث عن الهدف من خلق الإنسان، وعن سر وجوده في هذه الحياة.

وإن أعظم نعمة إمتنَّ بها إنسان على هذه البسيطة هي توحيد الله -عزَّ وجلَّ-، ومعرفته، وهذه المعرفة لا تتحقق إلا من خلال التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، والنفس الإنسانية حين تدرك هذه الإجابة، وتعي بضميرها ووجدانها أنها هي المخاطبة بهذه الإجابة حينها يحصل لها الطمأنينة وراحة البال، وحين تدرك تلك النفس معنى اليقين بالله -عزَّ وجلَّ- تجد أن أفعالها تسبق أقوالها، وأنها وإن انقطعت بها الحيل، وانتهت بها الأسباب، فإنها لا تملك في تلك اللحظات الرهيبة إلا أن تتفوه بمضامين تبرز أهمية العبودية لله -عزَّ وجلَّ-، وحسن الظن به، والتوكل عليه، ومن هنا جاءت الكلمة التي سجلها التاريخ حين قالت هاجر -عليها السلام-: "إذاً لن يضيعنا الله"^(٢) لتكون نواة خير، ومعلماً أبدياً من معالم التوحيد، انعكست لاحقاً على المجتمع الناشئ، ولتحقق في نهاية الأمر سعادة البشرية كلها، وتحقيق الهدف من وجودها واستخلافها على هذه البسيطة.

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم "٣١٨٤" من أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- بلفظ "لا يضيعنا الله". كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: "واتخذ الله إبراهيم خليلاً"، انظر: (٣م/ص ١٢٢٧)، قال ابن حجر -رضي الله عنه- في فتح الباري: في رواية عطاء بن السائب قالت: "لن يضيعنا الله"، وفي رواية ابن جريج قالت: "حسي"، وفي رواية إبراهيم بن نافع قالت: "رضيت بالله"، انظر: (٦م/ص ٤٠١).

إنه الإيمان بالله - عَلَى - المتضمن توحيدِهِ، والعمل بمقتضى ذلك الإيمان، قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ (١)، وأعظم الخسارة؛ خسارة الإيمان بالله - عَلَى - ومعرفة، وهي خسارة لا يمكن تصورها، ويتضمن الشقاء في الدنيا والآخرة، ولهذا أقسم الله - عَلَى - بحال الإنسان، وأكد أنه في خسران ونقصان في كل أحواله، ثم إن الخسران محيط به من كل جانب، واستثنى من ذلك الخسران من اتصف بأربع صفات، وهي: الصفة الأولى: الذين ءامنوا، ءامنوا بماذا؟، ءامنوا بالأصول الستة التي ذكرها الرسول - عَلَى - في حديث جبريل - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حين سأله عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (٢)، وهو الإيمان الذي لا يخالجه شك، ولا تردد.

الصفة الثانية: عملوا الصالحات، فهم بجانب كونهم ءامنوا بالله، أيضاً التزموا بالعمل الصالح الناتج عن ذلك الإيمان، فإيمانهم قول وعمل، وليس قول فقط، فهم لم يقتصروا على مجرد ما في القلب، بل عملوا وأنتجوا، وأعمالهم اشتملت على أمرين مهمين، وهما الإخلاص لله - عَلَى -، والمتابعة للرسول - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

الصفة الثالثة: تواصلوا بالحق، وهو الشرع، فهم لم يقتصروا نفع أنفسهم فقط، بل نفعوا غيرهم أيضاً. الصفة الرابعة: تواصلوا بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

وكفى بهذه السورة موعظة، والإنسان العاقل إذا عرف أنه في خُسْرٍ، وأنه لا سبيل له إلى الربح العظيم إلا إذا اتصف بهذه الصفات الأربع، فإنه سوف يحاول بقدر ما يستطيع أن يتصف بها، وإلى تخليص نفسه من الخسران (٣).

وبهذا ندرك أن طريق التوحيد هو الطريق الذي يحقق للبشرية سعادتها، ويكفل لها هدايتها وأمنها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَنَهُمْ بِظُلْمٍ ءَأُولَئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٤)، فالأمن والهداية حق لعباد الله الموحدين الذين لم يخالطوا إيمانهم بظلم، وأعظم الظلم هو الشرك بالله؛ إذ أن الشرك جمع بين

(١) سورة العصر.

(٢) الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٥٠)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل، انظر:

(م/١ص/٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه برقم (٨)، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام، انظر: (م/١ص/٣٦).

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم - جزء عم -: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع،

الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣ = ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص (٣١١-٣١٧).

(٤) سورة الأنعام: الآية: (٨٢).

الاعتراف لله بالألوهية والاعتراف لغيره بالربوبية، ولما كان الاعتراف لغيره ظلماً كان إيمانهم بالله مخلوطاً بظلم وهو إيمانهم بغيره، فاستحقوا أن يكون حظهم الضلال والشقاء، وليس الهداية والأمان^(١).
فالآية فاصلة بين فريقين، فريق المؤمنين الذين حصل لهم الهداية التامة والأمن التام، وفريق المشركين التائهيين في غياهب الظلمات، والحائرين بين لجج الشبهات وعبودية الأهواء والشهوات.
وحين خلق الله آدم عليه السلام وأهبته إلى الأرض من أجل عمارتها واستخلاف البشرية عليها حتى يرث الله الأرض ومن عليها، منذ تلك اللحظة ابتدأ تاريخ البشرية على هذه البسيطة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فالنص القرآني يوضح ملامح هذا التاريخ الذي كان في سابق عهده حافلاً بسفك الدماء وخراب الأرض، وحين شاءت إرادة الله -عز وجل- في أن تكون هذه الأرض مأوى الجنس البشرى بشتى أشكالهم وأجناسهم ومختلف لغاتهم، غرز فيهم الفطرة السليمة التي لا يمكن لأي نفس أن ترتضي سواها، وهي الفطرة التي هدى الله البشرية إليها، وكملها لها غاية الكمال، وفطر الخلق على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره، ولن تستقيم حياة الناس على هذه البسيطة إن هم غيروا وبدلوا هذه الفطرة، وفي الحديث: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"^(٣).

حدث ذلك بعد عشرة قرون حافلة بالعبودية لله وتحقيق الهدف من عمارة الأرض، حين دب الشرك في المجتمعات، وفشا الجهل، وابتعد الناس عن نور العلم، وزين الشيطان لفئام من الناس الشرك، وقربها لهم عن طريق الغلو في الصالحين، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾^(٤)، "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن

معلا اللويحي، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٤=١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٢٦٣، وانظر: التحرير والتنوير:

الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط "بدون" = ١٩٨٤م، ص (٣٣٢/٧).

(٢) سورة البقرة: الآية: (٣٠).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار الجاشعي -رضي الله عنه- برقم: (٢٨٥٦)، كتاب الجنة وصفة نعيمها

وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، انظر: (م/٤ص/٢١٩٧).

(٤) سورة نوح: الآية (٢٠).

هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت^(١).

والنفس الإنسانية حين تصبح في منأى عن نور الوحي الإلهي يفسد حالها، وتضيع بين مناهج الفلسفة، وتجارب حكماء الطريقة، وأساليب كهنة المعبد الذين عقدوا العزم على تحقيق أمنية إبليس في إغواء بني آدم، وتتجلى هذه الغواية حين يقدم الإنسان على الشرك بالله، منسلخاً عن فطرته التي تدعوه إلى التوحيد، واقعاً في شرك الرق والعبودية، الأمر الذي أدى إلى ظهور مشكلة عقائدية اجتماعية تتمحور في ابتعاد الناس عن نور الوحي الإلهي، والفكر البشري حين يضل عن ذلك النور لن يجد الطريق الصحيح المؤدي إلى سلامة الفكر، وسلامة المنهج، وتظهر المشاكل الاجتماعية حين تسلم الجموع الغفيرة من الناس عقولها لمن تظن أنها قادة الفكر وأرباب الآلهة.

ومن هنا ظهرت فكرة أن التوحيد خاص لمن يسمون أنفسهم برجال الدين وكهنة المعبد، فهم ومن خلالهم يتحقق التوحيد، وطريقه خاص بهم، وأما تلك الجموع الغفيرة التي وقعت في شرك الشرك وانسأقت نحو أساليب الغواية فلا حظ لهم من ذلك التوحيد؛ اللهم إلا محاولات يائسة للهروب من دوامة التناسخ، وحين تنعتق النفس من تلك الدوامة، وعبر المجاهدات النفسية وممارسة الرياضات الروحية، حينها تتجلى أعظم صور التوحيد عند أرباب الطريق الفلسفي!، وتكمن تلك الصورة من خلال الاتحاد بالكائنات الإلهية، والتنعم بمخاطبتها!.

هذه الحقائق التاريخية تقود المعرفة الإنسانية إلى الاعتراف بأصالة التوحيد، وأن الشرك والوثنية إنما طرأتا لاحقاً على بني آدم، وفي هذا رد على الاتجاه الذي يتبنى نظرية الارتقاء والتطور الداروينية، معترفاً بأصالة الشرك وثانوية التوحيد، وهو الاتجاه الذي تزعمه العالم اليهودي "إميل دور كايم"^(٢) في

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه: حديث رقم: (٤٦٣٦)، كتاب التفسير، باب "ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق"، انظر: (٤م/ص ١٨٧٣).

(٢) إميل دور كايم: ولد سنة (١٨٥٨م)، فيلسوف فرنسي، وهو واضع علم الاجتماع المعاصر، ومن مؤلفاته: تقسيم العمل الاجتماعي وقواعد النهج الاجتماعي، وتوفي سنة (١٩١٧م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم (ص: ٤٧٥).

فلسفته الاجتماعية عن "العقل الجمعي" وغيره^(١)، مستفيدين من نظرية التطور، وأن الدين إنما ظهر في صورة الخرافة والوثنية، وأن الإنسان أخذ يترقى في دينه حتى وصل إلى التوحيد^(٢).

ولما كان التوحيد قضية أصالة، فإن المعرفة الإنسانية جنت على تلك الأصالة حين تعدت حدودها، فأنكرت الوحي كأهم مصدر من مصادر المعرفة، واتهمت الأنبياء والرسول بشتى أنواع التهم، وشككت في مصداقيتهم، بينما هي في الجانب الآخر تستقي معرفتها من رجال الكهنة والمؤمنين على أسرار المعبد!، فتثقف في قدراتهم العقلية القاصرة، وتعتقد أن العقل البشري حين يكون مجرداً عن الدين، وبعيداً عن الولوج في مسائل التدين فإنه يمثل أرفع درجات التحرر العقلي، وبالتالي فإن عقل الفيلسوف يعد مصدراً معرفياً مهماً للفكر البشري!.

ظاهرة تقديس العقل البشري لم يكن كافياً للجناية على التوحيد وعلى أصالته؛ فقد تعدت المعرفة الإنسانية على العقل البشري وأصابته في مقتل، وظهر نوع آخر من المعرفة، تلك المعرفة التي تؤدي إلى إهمال العقل بالكلية، والاهتمام البالغ بالجانب الروحي والنفسي، يظهر ذلك جلياً حين سلمت الجموع الغفيرة من الناس عقولها إلى سلطة كهنوتية مارست عليها أقسى درجات الطغيان الروحي، فظهر الحكماء الروحانيين الذين دلسوا على الناس قدراتهم الخارقة، وأنهم يملكون القدرة على التخاطب مع الكائنات العلوية، والوصول إلى المعرفة الإلهية أو ما يسمى بالعلم اللدني، مستندين في ذلك على المصادر الغامضة وأسرارها الخفية، حتى أصبح النتاج الروحي من الطلاسم السحرية والرموز الخفية تراثاً روحياً ومصدراً معرفياً مهماً لحل القضايا الغيبية التي عجز العقل البشري عن إدراك كنهها وحقيقتها.

ومن هنا ظهرت خطورة الجناية على التوحيد، وإشكالية تراث المنهج العقلي الذي لا يؤمن بوحي، أو يكاد يهمله حين يقدم العقل على الوحي ويلوي نصوصها، وجناية الإنسان على نفسه حين يتعاطى التعامل مع القوة الغيبية الخفية، وهي في أجل صورها عندما يكون الإنسان أسيراً لتلك القوى، فتلمي عليه ما يظنه معرفة!، وهي في حقيقتها رجمٌ بالغيب وتخريصٌ بالظن.

(١) من فلاسفة الغرب وعلماء التاريخ الإنساني "الانثروبولوجيا" أمثال: "سبنسر"، و"تيلور"، و"فريزر" الذين رأوا أن الدين صناعة بشرية، ولا علاقة ولا وجود للوحي الإلهي في نشأة البعث الديني، فذهبوا إلى التنقيب عن أديان الأمم القديمة، أو أديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة، واستخدموا المنهج القياسي في استنتاج أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني، واعتباره صورة مطابقة لما كان عليه الإنسان الأول!. انظر: *المنهجية في دراسة الأديان*: أ.د. عبد الله بن علي سمك، الناشر: دار طبية الخضراء، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م. ص (٤٢-٤٣).

(٢) انظر: *المنهجية في دراسة الأديان الوضعية*: أ.د. عبد الله سمك، ص ٤٣.

إن المعرفة الإنسانية حين استندت على الفكر البشري مصدراً مستقلاً، وعلى الوعي الروحي منبعاً للمعرفة الإلهية، ولم تتنور بنور الوحي الإلهي فإنها ظلت فكراً بدائياً، ولا تزال على هذا الفكر البدائي، وإن كانت في أعلى درجات التقدم الحضاري والارتقاء العلمي ما لم يكن مصدر المعرفة لديها مستنداً على الإيمان بالله -عز وجل-، والإيمان برسله، وبما جاءوا به من الوحي المنزل عليهم، فالمعرفة التي جاء بها الأنبياء والرسول -عليهم السلام- لا يمكن أن تتعارض مع العقل الصريح.

وبالتالي فإن المتأمل في الموروث العقائدي في الفكر الشرقي القديم يدرك بدهشة ذلك الفكر حين انطلق من الأصول الفاسدة، فاستند في إثبات صحة المعرفة لديه على السحر والتنجيم والكهانة، وعلى الأساطير والخرافات، وعلى الأسرار والقوة الخفية، وعلى سلطة الكهنة ورجال الدين فيها، واستدلالاتهم القاصرة في إثبات عقائدهم، معتمدين على المصادر الغامضة، ومهتمين بالجانب الروحي والخلقي والسلوكي، مع إهمالهم للجانب العقلي، فلا يوجد لديهم رؤية واضحة عن قضية المعبود، وأصبح التعدد والوثنية دين الجماعة، بينما اختصت السلطة الدينية بعقيدة التوحيد الذي يشوبه الغموض وصعوبة المسلك في إثبات ذلك التوحيد، وأصبح الفرد في البيئة الهندوسية تائها بين التوحيد والتعدد والتثليث، حائراً بين من يعبد، فكل شيءٍ عظيمٌ مقدسٌ هو إله عنده يُعبد، قانون الجزاء تلاحقه أينما حل، وتناسخ الأرواح ترافقه كيفما ارتحل، هدفه الوحيد في هذه الحياة هو خلاص النفس واتحادها مع الروح، لتنتقل وتحل في موجدتها وخالقها!، وهذا لن يكون إلا من خلال ممارسة الرياضات الروحية القاسية، التي تؤدي إلى إماتة الشهوات، وحرمان النفس من الملذات.

ولم يختلف الحال كثيراً مع محاولات إصلاح المعتقد، وأصبحت الثورات الإصلاحية التي قادها مفكرو الهندوسية أمثال "البوذا سيدهاراتا غوتاما - Buddha Siddhartha Gautama^(١)" وغيره ضد الطبقة الهندوسية الغاشمة منهجاً أخلاقياً فحسب، فالمحاولات الإصلاحية التي جاءت بها البوذية جعلت الأخلاق والفضيلة من أجل اهتماماتها، وهدفها السامي وغايتها النبيلة هي وصول الإنسان إلى أعلى مراتب الزهد والتقشف، من خلال القضاء على الرغبات، وإخماد الشهوات، عن

(١) بوذا: سيدهارتا غوتاما، ولد في سفح الهمالايا بشمال الهند، كان ينتمي للأسرة التي كانت تحكم المنطقة، عاش تقريبا نحو (٥٠٠ أو ٤٨٠ ق.م)، وقد تركت حياته وشخصيته انطباعاً ذا تأثير على الفكر الفلسفي الشرقي؛ إذ يعد واحداً من كبار مجدددين للفكر، من مبادئه: تحقيق النيرفانا بواسطة التأمل والانتباه، بعكس الطريقة التي كانت متبعة وهي تعذيب الجسد ونكران الذات، كما أن مبادئه أدت إلى محاربة الطبقة. انظر: معجم الفلاسفة: طرابيشي (ص: ٢٧٧)، وفلاسفة الشرق: توملين، ص (٢١١).

طريق التأمل والانتباه الصامت، والوعي الكوني، لتصل في نهاية المطاف إلى مرحلة الفناء في الطهر، والتي تعرف بالـ"نيرفانا"، بينما لم تعالج البوذية في ثورتها الإصلاحية قضية المعبود كأهم إشكالية يواجهها الفكر البدائي القديم، ولم تلتفت إليه، فقد أهملت البوذية الجانب الإلهي وأعدته تماماً، فلا تعترف البوذية بإله، سوى فئامٌ منهم اتخذوا من "بوذا" بعد موته إلهاً، واندجمت تلك الثورة الدينية لاحقاً في البيئة الهندوسية، وأصبح الفرد بوذياً في الجانب الروحي والسلوكي، هندوسياً في الجانب الشعائري والتعبدي.

ولا يختلف الحال كذلك مع أصحاب المذاهب الفلسفية الوثنية، من الكونفوشيوسية والطاوية والشنتوية، المتأثرين بالعقائد الإلحادية الشرقية، من الصينيين القدامى الذين آمنوا بالحياة الروحية، واعتقدوا بفاعلية القوى الطبيعية، وتأثيرها على الحياة البشرية، ففسرت التنظيم الكوني للحياة تفسيراً فلسفياً قائم على مبدئين؛ الـ"ين" (☯) يانغ^(١) اللذان يوجدان في كل أشكال الحياة ومظاهر الكون، ومن التعاقب بينهما تنتج الحركة الأبدية للكون، مبدأ الـ"ين" الذي يرمز إلى الأنوثة والسلبية والبرودة والظلمة، ومبدأ الـ"يانغ" الذي يرمز إلى الذكورية والإيجابية والحرارة والنور، ومن هذا المنطلق استطاعت أن توجه الطاقات البشرية بعد ربطها بالكون، وجعلها في نسق رمزية، ورياضات روحية، وطقوس دينية، فطبقتها في مجالات شتى من طب وفنون عمارة ومهارات قتالية، وتشعبت فيها كثيراً فاهتمت بدراسة العواطف والمشاعر، وفسرت مصدر الأمراض، وإعداد الأدوية، وأسست علوماً مثل الوخز بالإبر التي تعتمد على معرفة خطوط القوة الحيوية، واهتمت بعلوم العرافة والتنجيم.

كل هذا كان نتيجة إهمالها لمقام الألوهية، أوصلها إلى تصور سقيم للإله مفاده؛ أن الإله والإنسان انبثقا من شيء واحد، وأن كل منهما مكمل لدور الآخر في دفع مسيرة تكامل الحياة، فالإنسان هو حلقة الوصل بين السماء والأرض، وأن السماء تؤثر في حياة الإنسان، كذلك هو يؤثر بأعماله على الأرض، فالأعمال الشريرة تؤدي إلى اختلال مسار الكون فيؤدي إلى حصول الكوارث، كما أن السماء هي مستقر الأرواح الطاهرة والخيرة، وتتحول هذه الأرواح إلى آلهة، بينما الأرواح الشريرة تبقى

(١) ين يانغ: مصطلح صيني يعبر عن قوتين ساريتين في كل مظاهر الوجود، يمثلان قطبين أحدهما سالب، والآخر موجب، واستمرار تلك القوتين هو استمرار للحياة والكون والوجود، وهي لا تحمل معنى الصراع بحيث يطمع كل واحد منهما على إلغاء الآخر والسيادة عليه، بل إنها تنشأ معاً، ويتخذ كل ضد معناه من ضده، حيث لا نور بلا ظلام، ولا خير بلا شر، ولا حياة بلا موت، والوجود كله في حالة تناوب تلقائي بين تلك القوتين. انظر: التاو تي تشينغ، ترجمة: فراس السواح ص(٩-١٠).

في الدرك الأسفل المظلم، ومن هذا المنطلق ظهرت عقيدة تقديس الأسلاف وعبادتهم، وحرص الآباء على ضمان ولاء أبنائهم لهم في حياتهم من خلال التقديس والاحترام، وبعد مماتهم من خلال تقديم القرابين لهم والصلاة من أجلهم.

إن العقائد الوثنية والأفكار الشرقية وما تحتويه من مصادر غامضة، وما أنتجت من ممارسات رياضية روحية، وتوجيه الإنسان نحو التقشف والرهبانية، وتعذيب الذات من أجل الوصول إلى المعرفة الباطنية، واستمداد الطاقة الكونية، كل تلك الأمور لعبت دورا هاما في بلورة ثقافة الإنسان الشرقي وسلوكه، ولا سيما أن كل تلك السلوكيات كانت تمارس ضمن إطار ديني شعائري، وهذه الثقافة الشرقية حين امتزجت بالثقافة الإسلامية في بعض البيئات والمجتمعات نتيجة الفتح الإسلامي؛ كان أثرها واضح على تلك الانحرافات العقدية التي وجدت عند فئام من المسلمين، وقديما استطاعت هذه الثقافة أن تصبغ الفكر الصوفي وتصوغه صياغة فلسفية بحتة، فتحول التصوف الإسلامي الذي كان في بداية أمره يدعو إلى الزهد والتقشف وعدم الركون إلى الدنيا والتعلق بها، إلى تصوف فلسفي يدعو إلى الكفر الصريح، وتتجلى معالمه في مقالات فلاسفة التصوف الإسلامي وتصوراتهم نحو الذات الإلهية، وظهرت عقائد أديان الشرق في مظهر جديد، ولكن في جوهره لا يختلف عن ما هو موجود لديه من عقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وهذا كله ليس من الإسلام في شيء.

كما كانت لهذه الثقافة أثرا واضحا في صياغة أفكار المتفلسفين الإسلاميين كالفارابي^(١) وابن سينا^(٢) وابن رشد^(٣) ومن وافقهم، نتيجة الانفتاح الفكري الهائل على الثقافات الوافدة، وما أفرزته حركة الترجمة في العصر العباسي، فعادوا بتلك الثقافة يقررون قدم العالم وأن الله -عز وجل- لا يعلم

(١) الفارابي: محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، ويعرف بالمعلم الثاني، أكبر فلاسفة المسلمين، ولد سنة (٢٦٠هـ)، ومن مؤلفاته: إحصاء العلوم والتعريف بأغراضها، وآراء أهل المدينة الفاضلة، وتوفي سنة (٣٣٩هـ). انظر: إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص: ٢١٠)، وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٠).

(٢) ابن سينا: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، ولد سنة (٣٧٠هـ)، وكان فيلسوفا، ومن مؤلفاته: القانون، والشفاء، والسياسة، وتوفي سنة (٤٢٨هـ). انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧)، الوافي بالوفيات (١٢/ ٢٤٢)، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١).

(٣) ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أبي القاسم حمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي، كان من أئمة المالكية، ومن المشتغلين بالفلسفة وعلم الكلام، ومن تصانيفه: بداية المجتهد، وتوفي سنة (٥٢٠هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٠٧)، تاريخ الإسلام (١١/ ٣٢١)، الوافي بالوفيات (٢/ ٨١).

الجزئيات وقالوا بالبعث الجسماني وتكلموا في الملائكة والنبوة والوحي فأنكروا أموراً معلومة من الدين بالضرورة.

كما كانت لهذه الثقافة حضوراً لافتاً في بلورة عقائد من ينتسبون إلى الإسلام، من أصحاب الحركات الباطنية، كالقرامطة^(١) والإسماعيليين^(٢)، وما كتبه إخوان الصفا^(٣) في رسائلهم، الذين عادوا بتلك الثقافة يفسرون الإسلام تفسيرا باطنياً فكانوا معاول هدم للإسلام وأصوله.

حينها تفتن علماء الأمة ومفكروها وكتابها لتلك الأفكار العقدية الوافدة لديهم، فقاموا يجاهدون بأقلامهم وأفكارهم، وأخذوا يحذرون الناس من تلك الأفكار الخطيرة، وتفتن العالم الإسلامي إلى خطورة هذه المعتقدات وآثارها السلبية على المسلمين والله الحمد.

وأما حديثاً فقد أدرك الإنسان الشرقي أن ثقافته لم تجد لها قبولاً أو رواجاً بين أوساط المسلمين، فأخذ يصدر ثقافته للغرب المتعطر لمثل هذه الثقافة، والتي أنهكت الحياة المادية وترفها، وضلال المذاهب الإلحادية وسفهاها، فامتزجت الوثنية الشرقية بالمادية الإلحادية الغربية، وبدأت تزين الباطل وتلمعه، وتلبسه بما اكتشفته من العلوم وتُحسِّنه، فطبقت على شتى مجالات الحياة، ونشأت الحركات الباطنية الروحية الحديثة^(٤)، فتبنت نشر هذه العلوم وتصديرها إلى البلاد الإسلامية، عبر ندوات

(١) القرامطة: حركة باطنية هدّامة تنتسب إلى حمدان بن الأشعث "قرمط"، وهي حركة ذات تنظيم سري عسكري، تهدف إلى القضاء على الدولة الإسلامية، وتنتظر بالتحشيع وحب آل البيت، ولكن في حقيقتها تؤمن بالإلحاد، وتتناسخ الأرواح، وينكرون البعث، والحياة الآخرة، ويهدفون إلى هدم الأخلاق من خلال نشر الإباحية، وشرب الخمر، وإشاعة الفاحشة والمنكرات. انظر: الموسوعة الميسرة، ص (٣٧٨)، ومعجم البدع، ص (٤٧٠).

(٢) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام الصحيحة، وقد مالت إلى الغلو الشديد لدرجة أن الشيعة الاثني عشرية يكفرون أعضائها، وهم فرق شتى؛ منهم الإسماعيلية البهرة، ومنهم الفاطميون، ومنهم الحشاشيون، ومنهم الشاميون، ومنهم الآغاخانية، ومنهم الإسماعيلية الواقفة، ومن أبرز عقائدهم، إنكار صفات الله، والتقية، والقول بالتناسخ، والإباحية المطلقة، واستباحة المحظورات. انظر: الموسوعة الميسرة: ص (٣٨٣).

(٣) إخوان الصفا: مذهب باطني شمولي، يسعى للوصول إلى المعرفة من غير قيود، لا يعرف لها مؤسس حقيقي بقدر ما يعرف عن رسائلهم التي كانوا ينشرونها في الخفاء، وأثرت تلك الرسائل بشكل كبير على الناحية الدينية والسياسية والثقافية والتاريخية، وبالتالي فإنه يظهر أنها جمعية سرية كانت تضم العديد من الأشخاص من شتى الطبقات ومختلف الفئات، انظر: رسائل إخوان الصفا: جيوم ديفو، ص (٥)، وإخوان الصفا؛ فلسفتهم وغايتهم، د. فؤاد معصوم، ص (٤٥).

(٤) الباطنية الروحية الحديثة: مذهب معاصر، يضم لفيماً من أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة، يجتمعون على الاعتقاد بوجود الروح، وخلودها، وإمكان تحضيرها، ومناجاتها، ويتباينون فيما عدا ذلك من الآراء والعقائد التي وفدت بها الأرواح كل حسب

ودورات، وبرامج وحوارات، وكتب ومحاضرات، تستهدف كافة شرائح المجتمع، مستغلين الانفتاح الفكري الهائل التي تمارسه شتى وسائل الإعلام الحديثة، ووسائل الاتصال الجديدة، وشبكات التواصل الاجتماعية، حتى غدت هذه المواقع تغص بمثل هذه الأفكار، وبمسميات مختلفة، تارة باسم العلاج بتطبيقات الطاقة الكونية، وأخرى باسم التأمل الكوني وتحقيق الحرية النفسية، وثالثة بنشر مفهوم الوعي الكوني عبر التنمية الذاتية، ورابعة تحت ستار تنمية الملكات الميتافيزيقية والوصول إلى الحاسة السادسة وتحقيق نظرية الإنسان الخارق من خلال علم الباراسيكولوجي، وغيرها من المسميات، وصار من السهل الوصول إليها، وقد تلقفها ثلَّةٌ ممن يدَّعون أنهم من مثقفي الأمة ومفكريها، وابتاتوا يطبقونها على حياتهم ونمط معيشتهم، فتأثروا بها؛ ذلك لأنهم لم يبحثوا عن حقائقها الكامنة، وأغرقتهم مسمياتها التسويقية، وسحرتهم العبارات الرثانة التي يرددوها رواد التنمية الذاتية، فأنخدعوا بها، وانساقوا إليها، وفريق منهم صار يضفي عليها لباس الشرعية، محاولاً أسلمة تلك المفاهيم الفلسفية، فقلَّد سلفه السابقين من أهل الكلام والمتفلسفين المنتسبين إلى الإسلام الذين اتخذوا منهجاً خاصاً بهم يخالف منهج أهل السنة والجماعة، حين عمدوا إلى تنزيل النصوص الشرعية على المفاهيم الفلسفية، فلووا أعناق النصوص، وأخرجوها عن مرادها، غير آبهين بمقاصد الشريعة؛ كونها تتعارض مع القواطع العقلية التي قرروها من تلك المفاهيم الفلسفية، فعجَّوا المجتمع الإسلامي بالكثير من التطبيقات الفلسفية، وتقعيد القواعد لممارستها، والتنظير لها، واجتاحت أمنا الإسلامية بمثل تلك التطبيقات، والممارسات العملية لها، وبات خطراً يهدد المعتقد، ويقضي على الثوابت والقيم، وأضحى واجبا على العلماء والمفكرين والمختصين التصدي لظاهرة تلك التطبيقات، ومن أهمها تطبيقات الطاقة الكونية بمفاهيمها الفلسفية، وبيان أصولها العقدية، وجذورها الفلسفية الوثنية، ومصادرها الغامضة، وخطورتها على العقيدة الإسلامية، ونتائجها السلبية، وآثارها على سلوك الفرد والمجتمع.

وإنني من هذا المنطلق وبعد أن استخرت الله -عز وجل-، واستشرت والداي الكريمين ومشايخي الفضلاء، ومن أثق برأيهم من الذين خاضوا غمار هذا الميدان، فإنه ليشرفني ويطيب لي أن أقدم بهذه الأطروحة لنيل درجة الماجستير في تخصص العقيدة الإسلامية والتي هي بعنوان:

(فلسفة الطاقة الكونية وموقف الإسلام منها - دراسة عقدية نقدية)

قياماً بالواجب المنوط بنا من حماية جناب التوحيد، وسداً لكل طريق يوصل إلى النيل منها، وعملاً بالنصيحة للأمة الإسلامية، ومساهمةً في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة الواضحة، ولا

انتمائه الديني، وتهدف إلى خدمة الإنسانية ظاهرياً، وإلى هدم الأديان السماوية باطنياً، تارة باسم الدين، وتارة باسم العلم، ولهم طرقهم وأساليبهم المتنوعة. انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة: د. علي العبيدي، ص(١٧).

سيما وقد عرض علي هذا الموضوع برمته، وناقش خطته، وتفضل بالإشراف عليه، من أتشرف بالنهل من معين علمه، والتزود برأيه ومصاحبته، شيخخي الفاضل الشيخ الدكتور أبو زيد بن محمد مكي -حفظه الله-، الذي بذل جهده ووقته، وأولاني عناية علمية بتوجيهاته السديدة، وإليه يعود كل ما يُحمد في البحث، فلفظيلته أسمى آيات الشكر والتقدير والعرفان، وإلى نفسي الضعيفة وحدها يعود كل ما قد يشوب البحث من أوجه القصور والنقص، وعزائي أنه عمل وجهد بشري قاصر، والله من وراء القصد، والله أسأل أن يبارك في الجهود، وأن يرفع منزلة علمائنا ومشايخنا في الدارين، وأن يسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، اللهم آمين.

وسأذكر في ثنايا هذه المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، والمنهج المتبع فيه، وخطة البحث، والإشكالات الواردة فيه.

سائلا الله العلي القدير أن يوفقني لما فيه الخير والصلاح، وأن يرزقني الإخلاص والفلاح، وأن يبارك لي في عملي هذا ويكتب له النجاح، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وحجة لي إلى يوم الدين، إنه رجائي وحسي، وعليه اعتمادي وتوكلي، وبه ثقتي، والحمد لله أولاً وآخراً.

أهمية الموضوع وسبب اختياره:

○ حب التطلع البحثي والمعرفي في قضية شغلت بالي، وأخذت حيزاً من تفكيري لدراسة فلسفة الطاقة الكونية وأثرها على العقيدة الإسلامية.

○ تكمن أهمية الموضوع في أن فلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها لها علاقة بالجانب الروحي، وهي في أصلها طقوس وشعائر تعبدية يمارسها أتباع الديانات الشرقية، وقد تسربت إلى العالم الإسلامي عبر التصوف قديماً، وعبر تطوير الذات والتنمية البشرية حديثاً، فأثرت على المعتقد، وظهرت أصوات نشاز تحت غطاء الباطنية الحديثة، دعت إلى تبني تطبيق هذه الطقوس الروحية، واستطاعت من خلالها أن تتخذ منها ستاراً لأجل تمرير مخططاتها وعدوانها على المجتمعات المسلمة والأمنة.

○ من خلال هذه الدراسة نستطيع أن نصل إلى الجذور الفلسفية لتطبيقات الطاقة الكونية ونبين أصولها الوثنية واعتمادها على المصادر الغامضة.

○ نستطيع من خلال دراسة هذه الفلسفة وتطبيقاتها توضيح حقيقة المعرفة الباطنية، وكيف حاول فلاسفة الغرب تفسير الدين، وإخراجه من دائرة الطقوس والشعائر المرتبطة بمصادر

المعرفة لديها إلى تقديم مفهوم جديد للدين، ترتبط طقوسه وشعائره بالمعرفة الباطنية، وإحلال الدين الجديد محل الأديان السماوية.

○ من خلال الدراسة نوضح خطورة الانفتاح الفكري غير المنضبط على جميع الثقافات عموماً والثقافة الشرقية خصوصاً، وكيف لعبت الترجمة دوراً هاماً في جلب المعتقدات الفاسدة إلى بلاد الإسلام وما أخفته هذه المعتقدات الوافدة من أفكار فلسفية خطيرة استطاعت أن تؤثر على سلوك الفرد والمجتمع، وتساعد في هدم الأصول والمعتقد.

○ نوضح من خلال الدراسة ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة وفهمها وفق فهم سلف الأمة، مع الأخذ بالاعتبار بضرورة توضيح خطر تقديم العقل أو الهوى أو الحظوظ النفسية على نصوص الشرع.

○ نستطيع من خلال هذه الدراسة إشعار المسلم في زمن التحديات وإثارة الفتن والشبهات بالاعتزاز بدينه وإسلامه، والافتخار بسلفه، وأنه على الحق وعلى الجادة والطريق المستقيم، ولا يضره من خالفه وخذله.

مشكلة البحث:

- هل هناك طاقة كونية؟
- ما هذه الطاقة؟ وما علاقتها بالروح، وما هي تأثيراتها؟
- من أين أتت الفكرة وما هي أصولها وجذورها؟
- ما هي أبرز المدارس التي تبنت فلسفة الطاقة؟
- ما هي التطبيقات والممارسات الفعلية لهذه الفلسفة؟.
- ما أثر هذه الطاقة على سلوك الإنسان؟ وما الموقف الشرعي منها؟.

لعلي من خلال هذا البحث أجد إجابات مقنعة لحل هذا الإشكاليات.

حدود البحث:

هذا البحث يتناول التعريف بفلسفة الطاقة الكونية وحقيقتها وبمسمياتها المختلفة، كما يتناول البحث تاريخ نشأة هذا العلم ومتى ظهر والبيئة التي ظهرت فيها، ومن أين استمدت مبادئها وأصولها، كما سنخرج على مصادر الطاقة لدى الإنسان، ومن أين يستمد المرء طاقته،

وهل هناك طاقات مكتسبة؟، ونتحدث أيضا من خلال هذا البحث عن أنواع الطاقة، وعن مدارسها واتجاهاتها الفلسفية المتمثلة في الاتجاه الإلهادي الروحي، ومدرسة التأمل الكوني، والمدرسة الإنسانية الكونية، والاتجاه الاستشفائي العلاجي، والوعي الكوني. نبين حقيقة هذه المدارس واتجاهاتها الفلسفية وأصولها الدينية، وموقفها من بعض القضايا العقدية، وكيف تأثرت الباطنية الحديثة بها.

كما أننا سنخرج على دراسة بعض التطبيقات المرتبطة بتلك الاتجاهات، كما نحاول أن نبين الطرق والأساليب المتبعة في نشر هذه التطبيقات، ونختتم ببيان موقف الإسلام من فلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها، والعقائد المنبثقة منها، وآثارها المترتبة على الفرد والمجتمع.

أهداف البحث:

- بيان حقيقة الطاقة الكونية، ونظرة الفكر الشرقي القديم نحو الكون، ومعرفة الجذور الفكرية التي قامت عليها المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.
- التعرف على المدارس والاتجاهات الفكرية المختلفة التي تتخذ من الوصول إلى المعرفة الباطنية سبيلاً لتكريس المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وترجمتها على الواقع العملي.
- معرفة حقائق تطبيقات الطاقة الكونية، والتعرف عليها وعلى آثارها على الفرد والمجتمع.
- الرد على من يحاول إلباس الخرافة والوهم ثوب العلم، ومن ثم الترويج لها على أنها حقائق علمية.
- التحذير من الحركات الباطنية الجديدة وأساليبها الدعائية، والتي تعمل على هدم الإسلام وأصوله.
- بيان الموقف الشرعي من قضايا الاعتقاد الناتجة عن الإيمان بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وبيان الموقف الشرعي من دعوى التأثير والتأثر بالطاقة الكونية، وبيان الموقف الشرعي من قضية الوعي الكوني.

الدراسات السابقة:

موضوع فلسفة الطاقة الكونية موضوع قديم قدم التاريخ الإنساني، وقد انتشر مؤخراً ولا سيما في العالم العربي، وقد تأثر بها كثير من الناس ولا سيما المهتمين بتطوير الذات والتنمية البشرية، ولذا يتم الترويج لها ضمن العديد من الدورات التدريبية باهظة الثمن، وتبنتها مراكز بحثية تدعي أنها قائمة على منهج البحث العلمي، وأولع الناس بتلك التدريبات التي هي في حقيقتها بيع للوهم. وتبنت تلك المراكز إعداد بحوث^(١)! دلّست على الناس بأنها علمية، وأنها قائمة على منهج!، وهي في حقيقتها إحياء للفلسفة الشرقية القديمة، من البدائية الروحية، والموروثات الشعبية القديمة، والقائمة على نسج الخيال والأسطورة، والمكتبات ودور النشر الحديثة^(٢) تعج بتلك المؤلفات.

هذا الأمر ساهم كثيراً في نشر فلسفة الطاقة الكونية، الأمر الذي دفع المتخصصين إلى التحذير من هذه الفلسفة ومن تطبيقاتها، وأعدت بعض الدراسات العلمية في الجامعات السعودية المرموقة، داعية إلى التحذير من هذه التطبيقات، إلا أن موضوع فلسفة الطاقة الكونية لم يكن سوى مبحثاً من مضامين تلك الدراسات التي ساهمت وبقوة في كشف الحقائق العلمية عن خرافة تلك التطبيقات، مدعمة بالحجج العقلية والبراهين العلمية.

والقارئ حين يعرّج على تلك الدراسات تنتابه بعض الأسئلة عن حقيقة هذه التطبيقات وعن أصولها الفلسفية وعن مصادرها، وعن اتجاهاتها ولا سيما وأن تلك التطبيقات اشتملت على فلسفة

(١) على سبيل المثال لا الحصر؛ مركز الراشد المتخصص في التنمية البشرية، والذي صمم العديد من البرامج والأنشطة التدريبية الحصرية على مستوى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مجالات التنمية الذاتية المختلفة، لتقدمها بنظام المناهج التدريبية، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

وكذلك الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية - iAPD، ويهدف إلى إيجاد ملتقى علمي وعملي متطور يؤمن بأهمية التغيير من الداخل، ويؤمن بالتأثير السلمي، والممارسة لعيش اللحظة، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

وكذلك أكاديمية ريكي زن لعلوم الطاقة الحيوية والطب التكميلي، وتسعى إلى صياغة مفاهيم سليمة للعلاج بطاقة الريكي وطاقة الحياة الكونية بتقنيات فاعلة، استناداً إلى معطيات مدرسة المعلم ميكاو أوسوي اليابانية، وغيرها من المدارس، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح عن هذا المركز من خلال سياقات البحث.

(٢) ظهر في العالم العربي دور نشر متخصصة في نشر الكتب المترجمة من لغات أجنبية، مثل دار الخيال التي دأبت على نشر كتب "أوشو" و"تشواكوك سوي" وغيرهما، ولا ننسى أيضاً كتب "ديباك تشوبرا"، و"إكهارت تول"، و"دافيدجي"، وغيرهم الكثير.

شاملة لكل مناح الحياة، وأصبحت دراسة هذه الفلسفة أمراً مهماً لربط حلقات تلك الحقائق، في سلسلة توضح لطالبي المعرفة خطورة هذه الفلسفة على صحة المعتقد وسلامة المنهج.

ومن تصدى لدراسة هذه التطبيقات وأعد دراسة علمية لها:

١- **الدكتورة فوز بنت عبد اللطيف كردي** في بحثها "الإيمان بالغيب وآثاره"، وهذا البحث وإن لم يكن قد تضمن في خطته الحديث عن فلسفة الطاقة الكونية إلا أن الباحثة استطاعت أن تضع اللبنات الأولى لمشروع دراسة الفلسفة الباطنية الحديثة، وقد أصلت للموضوع تأصيلاً علمياً بينت فيه مصادر استمداد المعرفة الباطنية والتي هي جزء من فلسفة الطاقة الكونية، كما أن الباحثة لديها العديد من الأبحاث والمقالات المنشورة حول موضوع الفكر الباطني الحديث، وقد تبنت مشروع التصدي للأفكار العقديّة الوافدة من خارج البيئة الإسلامية.

٢- **الدكتورة هيفاء بنت ناصر الرشيد** في بحثها "التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وهو بحث تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الماجستير من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد تناول البحث التعريف بفلسفة الاستشفاء الشرقية وأصولها وأبرز عقائدها، كما تناول دراسة التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، وحين تطرقت الباحثة للعقائد التي بنيت عليها الفلسفة الاستشفائية تطرقت للحديث عن فلسفة الطاقة الكونية وآثارها.

كما أن للدكتورة هيفاء الرشيد بحث آخر وهو "حركة العصر الجديد - مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها"، وضحت فيه الباحثة عن علاقة حركة العصر الجديد بفلسفة الطاقة الكونية، وأنها من الأهمية بمكان في الفكر الباطني الحديث، وكيف استطاعت تلك الحركة في توظيف فلسفة الطاقة الكونية في شفاء الأمراض.

وهذه الدراسات العلمية استفدت منها كثيراً، وكما أسلفت فإن فلسفة الطاقة الكونية كما يظهر للقارئ الكريم لم يكن إلا ثمة مبحث من مباحث تلك الدراسات، ولذلك فقد خصصت

هذه الدراسة في النظر بشكل أعمق حول فلسفة الطاقة الكونية وبيان حقيقتها وأصولها الفلسفية وجذورها الفكرية، ومصادرها الغامضة واتجاهاتها الفكرية، وكيف تأثرت الباطنية الحديثة بها، وساهمت في نشر رؤيتها العالمية حول مشروع وحدة الأديان تحت شعار الإنسانية أو الهيومانية.

إن الدراسات العلمية السابقة تمثل لكل من أراد دراسة الباطنية الحديثة وأصولها اللبنة الأولى والأساس العلمي المؤصل للانطلاق نحو دراسة المزيد من الاتجاهات الفكرية للباطنية الحديثة بفلسفاتها المستمدة من الوثنية القديمة، وهذه الدراسة وهي وإن كانت امتداد لسلسلة الدراسات العلمية السابقة ومساهمة في فضح المخطط الباطني الحديث لإحياء الروحية البدائية والوثنية القديمة إلا أنها تميزت عن سابقتها في أمور منها:

✓ هذه الدراسة تعمقت بشكل أكبر حول الأصول الدينية والمرجعية الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية لتشمل بشكل عام الفكر الشرقي القديم وإشكالياته نحو مقام المعبود وموقفه من الكون.

✓ ناقشت هذه الدراسة المصادر التي استمدت منها فلسفة الطاقة الكونية واستندت عليها في شرعيتها، وهي مصادر في مجملها من نتاج الفكر البشري القاصر.

✓ كشفت هذه الدراسة حقيقة الربط الجائر بين العلم والوهم، وكيف استطاعت الباطنية الحديثة في استغلال الحجج اليقينية والنظريات العلمية والمكتشفات الحديثة وتوظيفها في نشر الوهم والخرافة.

✓ توسعت هذه الدراسة في الاتجاهات الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية، وتجاوزت من كونها اتجاه باطني يهدف إلى استهداف معالجة المرضى لتشمل كل مجالات الحياة، وصولاً إلى استطراق باب النبوة ومحاولة استنساخ فكر الوحي والنبوة، وانتهاءً بعبودية الإنسان، وإحلاله محل الخالق رب الأرباب - ﷻ -!

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

خطة البحث:

- المقدمة: وتضمنت أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.
- الفصل الأول: المدخل لدراسة فلسفة الطاقة الكونية وفيه ثلاثة مباحث:
 - ❖ المبحث الأول: المراد بالطاقة الكونية.
 - ❖ المبحث الثاني: الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان.
 - ❖ المبحث الثالث: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية.
- الفصل الثاني: مدارس فلسفة الطاقة الكونية، وفيه ثلاثة مباحث:
 - ❖ المبحث الأول: مدرسة الوجود الكوني.
 - ❖ المبحث الثاني: مدرسة الإنسان الكوني.
 - ❖ المبحث الثالث: مدرسة الوعي الكوني.
- الفصل الثالث: تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية. وفيه خمسة مباحث:
 - ❖ المبحث الأول: تطبيقات التأمل الكوني.
 - ❖ المبحث الثاني: تطبيقات التواصل مع الأرواح والعوالم الغيبية.
 - ❖ المبحث الثالث: تطبيقات تطوير الذات.
 - ❖ المبحث الرابع: تطبيقات الاستشفاء والعلاج.
 - ❖ المبحث الخامس: تطبيقات الوعي الكوني.
- الفصل الرابع: موقف الإسلام من فلسفة الطاقة الكونية، وفيه ثلاثة مباحث:
 - ❖ المبحث الأول: موقف الإسلام من القضايا الاعتقادية الناتجة عن فلسفة الطاقة الكونية.
 - ❖ المبحث الثاني: موقف الإسلام من قضايا التأثير.
 - ❖ المبحث الثالث: موقف الإسلام من قضية الوعي الفلسفي.
- الخاتمة: وفيها:
 - ❖ النتائج والتوصيات.
 - ❖ الفهارس.

منهج البحث:

بعد توفيق الله -عز وجل- فقد كتبت هذه الرسالة مستنداً على منهج البحث العلمي للوصول إلى معرفة الحقائق عن فلسفة الطاقة الكونية، وقد سلكت فيه المنهج الوصفي أولاً، ثم عمدت إلى استخدام المنهج التاريخي، وثالثتها بالمنهج الاستقرائي الاستنباطي، وسوف أوضح طريقة تعاملي مع المناهج المذكورة.

١- المنهج الوصفي التاريخي: سلكت هذا المنهج لبيان حقيقة الطاقة الكونية؛ إذ بينت المراد منه وصفاً كما ذكره أهل الاختصاص، ولما كانت فلسفة الطاقة الكونية متعلقة بدراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية كونها أحد أهم أنماط التدين في مجتمع الفكر الشرقي القديم كان لزاماً استخدام هذا المنهج لتحديد المشكلة، ومن ثم ربطها بالواقع العملي، لتتوصل في الأخير على المعطيات المهمة والأدلة النظرية العقلية التي تقودنا إلى معرفة تلك الحقائق، وأبرز مشاكله.

٢- اتبعت المنهج الاستقرائي الاستنباطي لصياغة الأدلة على نقض النظريات التي يستند عليها فلاسفة الطاقة الكونية، وقد اجتهدت قدر الإمكان في البحث عن الجذور الفكرية في الثقافات القديمة، معتمداً على التحليل وفهم المشكلة، ونقدها على ضوء العقيدة الإسلامية.

وقد تمثلت طريقة البحث في النقاط التالية:

أولاً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع النصوص الشرعية.

- قمت بوضع الآيات القرآنية بين معقوفتين مزخرفتين بالزخرفة الإسلامية ﴿﴾، وقد ضمننتها الآيات القرآنية، وسقتها بالرسم العثماني، وأما ما يتعلق بطريقة العزو؛ فقد أشير في الهامش على اسم السورة، ورقم الآية.
- ذكرت أحاديث الرسول -ﷺ-، وعزوتها إلى مصادرها الأصلية، وأما ما يتعلق بطريقة العزو؛ فقد جاءت وفق البيان التالي:

○ إذا كان الحديث متفق عليه؛ أخرج من الصحيحين، مقدماً صحيح

الإمام البخاري على صحيح الإمام مسلم، ذاكراً رقم الحديث أولاً بين

قوسين ()، ثم اذكر اسم الكتاب الذي ورد فيه الحديث وبابه حسب ما

أورده المصنف، ثم أضمنه بذكر رقم المجلد ورقم الصفحة مختصراً، (م ١/ص ١)، هكذا فقط؛ دون الحكم على الحديث، كونه وارداً في الصحيحين، ولتلقني الأمة لهما بالقبول، والحمد لله.

○ ما كان في غير الصحيحين، فأكتفي بعزوه إلى كتب السنن، مع ذكر حكم الحديث عند أهله بحسب المتيسر، وغالباً أنقل حكم الأئمة الأعلام من أهل الحديث، أمثال الإمام الترمذي والإمام الألباني، وأما طريقة العزوة، فهي لا تختلف عن الطريقة السابقة: رقم الحديث أولاً بين معقوفتين ()، ثم ذكر اسم الكتاب وبابه، ثم رقم المجلد، ورقم الصفحة: (م ١/ص ١).

ثانياً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع مصادر البحث:

- حاولت قدر الإمكان الرجوع إلى مصادر البحث الأصلية، والبحوث العلمية المنشورة في الجامعات السعودية وغيرها من جامعات الدول العربية.
- اعتمدت على المؤلفات التي كتبها أهل التخصص من علماء الشرق أو الغرب، وكل تلك الكتب مطبوعة ومنشورة بالترجمة العربية. الأمر الذي سهل جزءاً من عملية البحث.
- رجعت إلى بعض المواقع العلمية المعتمدة والمهتمة بدراسة المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.
- طريقة تعاملي مع النصوص، فأذكرها حسب السياق، سواء كانت فكرة أو اقتباساً، وأشير إليه في الهامش. وأما حين أنقل نصاً أصلياً فأضمنه بين معقوفتين هكذا " "، وبالطبع أشير إليه في الهامش، وقد اتبعت في ذلك طريقة العلماء في البحث العلمي، مراعيّاً في ذلك الأمانة العلمية في النقل والتوثيق والتعليق والاقتباس، وبذلت في ذلك كل ما بوسعي، وأن أخطأت في شيء من ذلك فهو من باب الخطأ والنسيان، وأستغفر الله على ذلك.
- طريقة توثيق المعلومات في الهامش، فقد عمدت إلى ذكر اسم الكتاب أولاً، مستخدماً نمط التعبير، ثم أذكر اسم المؤلف، واسم المترجم أو المحقق، ثم أذكر بيانات النشر، ثم أذكر رقم الصفحة محبّرةً، هكذا: وإن كانت الصفحات أكثر من صفحة

ذكرتها بين معقوفتين هكذا ص (١-٤)، ومعلومات التوثيق آفة الذكر لا استخدمها إلا في الموضع الأول، وفي حال تكرار عملية التوثيق من نفس المرجع؛ فأكتفي بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ثم رقم الصفحة.

ثالثاً: ما يتعلق بطريقة التعامل مع المصطلحات والأعلام.

- ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في البحث عند أول موضع، ولم أترجم للأعلام المعروفين كالأنبياء والرسل، والأعلام المعاصرين.
- تجاهلت التعريف ببعض المصطلحات المعروفة عند أهل التخصص خشية الإطالة، ولم أشرح إلا المصطلحات الفلسفية الغامضة الذي يقتضي سياق البحث في توضيح المراد منه.

وأخيراً:

- ختمت الرسالة بذكر أهم النتائج والتوصيات، وعملت الفهارس اللازمة للبحث للرجوع إليها والانتفاع بها.

وقد أحاط بالبحث صعوبة بالغة، فقد استغرقت في بناء معالمها، وتبييض فصولها، وربط مباحثها أكثر من خمس سنين، عكفت خلالها على قراءة الكثير من المصادر والمراجع المتخصصة في عرض الموضوع نظرياً وفلسفياً، والحقيقة أن التعرض للمصطلحات الفلسفية أمر يبعث على النفس الكتابة والملل نتيجة التعرض للمصطلحات الفلسفية الغامضة، وطرق الفلاسفة الشائكة في إثبات المعارف، والنفس لا تطمنن ولا ترتاح إلا بذكر الله، ولكن هذا الأمر ليس عائقاً في سبيل الوصول إلى الحقائق، ونقض الخرافة والوهم.

وإني أحمد الله -عز وجل- على أن وفقني لكتابة هذه الرسالة، وتجاوز عقباتها، وتذليل صعابها، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في صياغتها وترتيبها، وإخراجها على الصورة اللائقة بها، وفي الأخير يظل هذا العمل جهداً بشرياً من أبرز خصائصه النقص، فالحمد لله على التمام والكمال، والحمد لله على تمام المنة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل، والثناء العاطر، والتقدير القيم، إلى كل من بذل لي نصيحة أو جهداً أو مشورة في سبيل إتمام هذه الرسالة، وفي مقدمتهم والداي

الكريمين، وأهل بيتي وعائلي الكرام، الذين جادو علي بصبرهم وتحملهم بعدي عنهم بسبب انشغالي بالرسالة.

وأثني بالشكر لمن أولاني الرعاية العلمية، فضيلة الشيخ الدكتور أبو زيد بن محمد مكي -حفظه الله ورعاه- الذي بذل جهده ووقته وعلمه في سبيل إخراج هذه الرسالة العلمية على الصورة اللائقة بها، فله مني كل الشكر والتقدير والعرفان.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العاطر والتقدير القيم إلى المشايخ الأجلاء فضيلة أ.د. البهنسي رزق البهنسي أبو النجاء، وفضيلة د. عبد العزيز بن أحمد محسن الحميدي اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحملاً عناء قراءتها وتقويمها وإبداء الملاحظات عليها مع كثرة مشاغلها وضيق وقتها، فجزاهما الله عني خير الجزاء، والله أسأل أن يبارك في الجهود، وأن يرفع منزلة علمائنا ومشايخنا في الدارين، وأن يسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، اللهم آمين.

والشكر موصول إلى كلية الدعوة وأصول الدين، إحدى منارات العلم الرائدة في جامعة أم القرى منارة المعرفة الإسلامية في موطن العلم ومهوى الأفتدة، وأخص بالشكر كل الأعضاء العاملين في الكلية بدءاً من فضيلة عميد الكلية، ووكلائه وفريق العمل من الإداريين والموظفين، وأثني بالمشايخ الأجلاء، أعضاء هيئة التدريس عموماً، وأخص بالشكر والتقدير والعرفان فضيلة رئيس قسم العقيدة، وكافة أعضاء هيئة التدريس الذين لا يألون جهداً، ولا يقصرون إرشاداً ونصحاً، في سبيل خدمة العلم وأهله، فاللهم بارك في عمرهم وعلمهم وعملهم، وأجزل لهم المثوبة والأجر، وأسبغ عليهم من واسع فضلك.

وفي الختام؛ أسأل الله العلي الأعلى، الواهب المعطي، رب العزة والجلال، ورحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أن يغفر ذنبي، ويستر خطأي، ويتقبلني من عباده الصالحين، رب إن تعلمني أعلم عبادك، وإن تكلني إلى نفسي أكن من الخاسرين، ولا حول ولا قوة لي إلا بك، رب لا تجعل حظنا من هذه الرسالة التعب والنصب، واجعل حظنا منها القبول والشرف، لك الحمد على ما هديت ووفقت، ولك الشكر على ما منحت وأعطيت، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد، أجزل لنا المثوبة والأجر، ووفقنا لما تحب وترضى.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

المدخل لدراسة فلسفة الطاقة الكونية



وفيه ثلاثة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: المراد بفلسفة الطاقة الكونية.
- ❖ المبحث الثاني: الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان.
- ❖ المبحث الثالث: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية.

المبحث الأول

المراد بالطاقة الكونية

وفيه ثلاثة مطالب:

- * المطلب الأول: التعريف بالطاقة الكونية.
- * المطلب الثاني: خصائص الطاقة الكونية، والتفسير الفلسفي لها.
- * المطلب الثالث: مفاهيم فلسفية حول للطاقة الكونية.



المبحث الأول

المراة بالطاقة الكونية



وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحريف بالطاقة الكونية:

الطاقة الكونية هي فكرة فلسفية نابعة من تصور الفكر الشرقي القديم للكون، وموقفه منه، فهو يرى أن الكون عبارة عن قوتين متقابلتين انبثقتا من الكل الواحد، وهاتين القوتين في صراع مستمر بينهما، تتجلى معالمه إما على صورة قطبية، أو صورة ثنوية، والنتيجة واحدة؛ وهي أن بقاء الصراع بين القوتين هو بقاء لديمومة الكون، وتغلب أحدهما على الآخر هو انهيار للنظام الكوني^(١)، وبالتالي جاءت هذه الفلسفة لتبحث عن حقيقة القوة السارية في الكون، وهي قوة ينظر إليها على أنها قوة إلهية مقدسة، ومن خلال المقدمات المنطقية التي وضعها فلاسفة الطاقة الكونية نستطيع أن ندرك حقيقة هذه القوة. وهذه المقدمة تقول: أن المادة هي أساس كل شيء في الحياة.

والمقدمة الثانية: الأثير هو أصل المادة.

النتيجة: مادة الكون يتخللها الأثير، ومادة الإنسان يتخللها الأثير، والأثير هي القوة المحركة للمادة التي من صورها الطاقة الحيوية.

فالكون مادة فيزيقية، وأثير هو العقل الكلي، والمادة الفيزيقية محكومة بالعقل الكلي، وهما اللتين تكونان الكون، وهما في حالة مستمرة بين التلازم والتباين^(٢)، والعقل الكلي الذي هو ميزان القوة الكونية هو الذي يمكن أن يؤثر في المادة، فهو القوة والحركة الموجبة، ولكل فرد نصيب من العقل الكوني الذي يتسم بكونه قادرًا على صياغة نفسه ويحكمه قانون "على حسب ما نفكر سنكون"^(٣).

(١) للمزيد عن فكرة التصور الفلسفي للكون، راجع المبحث الثالث من هذا الفصل: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية، ص ٩٧.

(٢) حالة التلازم والتباين عبرت عنه الحضارة الصينية القديمة باسم "ين يانغ"، وسيأتي مزيد من التوضيح عن هذه الحالة من خلال مطالب هذا المبحث.

(٣) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: م. كريم أمير أحمد، الناشر: دار أهل الحكمة، القاهرة، مصر، ط "بدون" ٢٠١٢م، ص (٩ - ١٢).

وعطفاً على هذا القانون فإن حالة القوة التي يسيطر عليها الإنسان ويتحكم فيها من خلال العقل، تلك الحالة التي أوصلته إلى درجة أن ما يفكر به سيكون هي نفس تلك الحالة التي تفسر علاقة الإنسان في حالة التأمل الكوني مع الطبيعة والكون على الصورة الموجودة في الفلسفة الشرقية.

تعريف المختصين للطاقة الكونية:

- (١) هي الطاقة الكامنة المحركة لقوى الطبيعة، والتي تسير في كل أنماط وصور الحياة، ووازن هذه القوى يساعد على البقاء، وانشطارها يدمر ما حوله، واختلالها يؤثر سلباً على الحياة بصورة عامة^(١).
- (٢) هي تلك القوة الخفية التي تحرك كل شيء في الكون، وهي قوى الحياة التي لا نستطيع أن نراها أو نلمسها أو نتذوقها، ولكننا نعلمها من تأثيرها^(٢).
- (٣) هي طاقة الحياة التي يمكننا من خلالها تفسير الظواهر الحياتية وغيرها، خاصة الظواهر التي كانت عصبية عن التفسير من قبل كالألحاح والاتصال عن بعد والسيطرة الإيجابية والتنويم المغناطيسي^(٣) وغيرها من الأحلام والمشاعر. والحياة بكل معناها هي القدرة على توليد الطاقة واستغلالها، وتوقف هذه الطاقة معناها التوقف عن الحياة^(٤).
- (٤) هي تلك القوة المحركة والفاعلة والمؤثرة في المادة^(٥).
- (٥) هي مصدر الحياة، وهي المسؤولة عن بقاء جسم الإنسان حياً، وإذا توقفت هذه الطاقة توقف الإنسان عن الحياة^(٦)، فالطاقة الكونية هي قوة الحياة في هذا العالم.

(١) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: د. لبنى شاكرا، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط ١=٢٠١٥، ص (٩-١٠).

(٢) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: د. لبنى شاكرا: ص(٩-١٠).

(٣) التنويم المغناطيسي: حالة من الاتصال بين العقول، وتكون بين اثنين، أحدهما منوم، والآخر المنوم أو الوسيط، ويتم خلالها السيطرة على النائم لإقناعه بفكرة معينة، أو توجيه قواه الروحية إلى جهة معينة لكشف معلومات مهمة، وقد يكون النائم هو وسيط دائم يعمل المنوم على تكليفه بتلك المهام، وتتدخل رغبة الشخص في النوم الإيماني من عدمه في إتمام العملية، ولمعرفة المزيد عن التنويم المغناطيسي والتطبيق العملي يمكن مراجعة الفصل الثالث من هذه الرسالة: "التطبيقات"، راجع ص (٣٦٢).

(٤) انظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص(٧).

(٥) انظر: علم الطاقة الروحية: هند رشدي، الناشر: دار مشارق للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط ١=٢٠١٠م، ص ٣.

(٦) انظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، ص ٩.

٦) هي "سائل لطيف غير مرئي، نافذ عبر الكون، تتفاعل بواسطته الأجسام الأرضية السماوية، وأنه يمكن توجيهه والتأثير عليه بطرق خاصة، وأن تدفق هذه الطاقة في الجسم يولد الصحة والحيوية، بينما يؤدي تعثر انسيابها إلى المرض والحمول"^(١).

٧) تطلق ويراد بها **الطاقة الروحية**، والقوة المغذية لروح الإنسان وجسمه (الأثيري)؛، والتي تدفعه لأن يكون إنساناً ذا قوة بدنية هائلة، وهذه القوة منتشرة في الكون، وهي مخصصة ومكرسة لتغذية الإنسان والطبيعة والعالم بخصائص الوجود والاستمرارية وقوة البقاء^(٢).

ومن خلال التعريفات السابقة نلاحظ بأن كل تلك التعريفات تدور حول محور واحد وهو وجود قوة خفية كامنة مؤثرة، هذه القوة تسيطر على الكون وعلى كل شيء داخل الكون، فهي قوة إلهية مقدسة، وعلى الإنسان الذي هو جزء من هذا الكون أن يوازن بين هذه القوة لأنها هي ضمان البقاء.

إذاً نعرف **الطاقة الكونية** فنقول هي: فلسفة تفسر حالة الإنسان مع الطبيعة والكون؛ ويُنظر إلى هذه الحالة على أنها قوة يطلبها الفرد بواسطة العقل من خلال التوجه إلى الطبيعة، فتولد لديه القدرة التي من خلالها يستطيع تنمية الملكات العقلية والقدرات الجسدية والقوة النفسية، ويمكن الحصول على هذه القوة من خلال ممارسة الرياضات التأملية والتقنيات التنفسية التي تحدث تناغماً كونياً وحالة فردية تبعث بالنشوة الداخلية داخل النفس فيحصل لها الإشراق والتنوير والمعرفة الباطنية، ويُنظر إلى هذا التناغم على أنها حالة من حالات الاتحاد بالجواهر الكلي المطلق الذي هو مبعوث داخل الكون ويسري فيه.

وبهذا يتضح لنا أن الطاقة تطلق ويراد منها الوصول إلى مفهوم فلسفي يتجاوز كل المعاني اللغوية والشرعية والاصطلاحية، ولا بأس أن نشير لتلك المعاني بشكل مختصر.

(١) تعريف الطبيب الألماني النمساوي "فرانز أنتون مزمور - Franz Anton Mesmer" الذي اشتهر بعلاجه الروحاني القائم على الاعتقاد بوجود طاقة غير مرئية، انظر:

The Implications of New Age Thought for the Quest for Truth: A Historical Perspective, Horn, p.35.

نقلاً عن: حركة العصر الجديد: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٨ = ذو الحجة ١٤٣٠هـ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ص ٦١.

(٢) انظر: علم الطاقة الروحية: هند رشدي، الناشر: دار مشارق للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط ١ = ٢٠١٠م، ص ١٥.

فالطاقة في اللغة تطلق ويراد بها:

- ١- القوة أو القدرة على الشيء: ومنه قولهم: ليس لي بهذا الأمر طاقة، أي ليس لي به قوة^(١).
 - ٢- الإحاطة بالشيء والاستدارة عليه كدوران الشيء على الشيء، وكل ما استدار بشيء فهو طوق، وسمي البناء طاقا لاستدارته إذا عقد، والطيلسان طاق؛ لأنه يدور على لابس^(٢).
 - ٣- بذل شغل وأقصى ما يمكن أن يفعله الإنسان بمشقة منه، بمعنى آخر: نشاط أو قدرة على أحداث فعل جسمي أو ذهني^(٣).
- كما أن لفظ "الطاقة" وردت في الشرع، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^(٤)، أي: لا قوة لنا به، والمعنى: ربنا لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطبق القيام به لثقل حمله علينا^(٥)، وفي قصة طالوت وجنوده من بني إسرائيل عند مقابلتهم لعدوهم جالوت وجنوده قالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(٦)، أي: لا قوة لنا^(٧)، ولا قدرة لنا على مواجهة جيش جالوت، وهذا تعريف دقيق لكلمة الطاقة.

-
- (١) انظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٣م/ص ٤٣٣).
 - (٢) انظر: معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (٣م/ص ٤٣٣).
 - (٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ١= ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، (٢م/ص ١٤٢٤).
 - (٤) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).
 - (٥) انظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط ١= ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، (٦م/ص ١٤٠)، وتفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، ط ٢= ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، (١م/ص ٧٣٨).
 - (٦) سورة البقرة: الآية (٢٤٩).
 - (٧) انظر: تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجمال الدين السيوطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط ١= ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص (٥٥).

وفي حديث النهي عن وصال الصيام قوله ﷺ: "فاكفوا من الأعمال ما تطيقون"^(١)، أي: خذوا من الأعمال ما تتحملون^(٢)، واشتغلوا من الأعمال بما تستطيعون المداومة عليه فمنطوقه يقتضي الأمر بالاعتصار على ما يطاق من العبادة ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق"^(٣).

وأما لفظ الطاقة في اصطلاح العلوم الطبيعية: فإنها تطلق ويراد بها تلك الطاقة التي لها صلة مباشرة بالطبيعة، وكل الظواهر الكونية التي تحصل كالريح والمطر والبرق والأعاصير والمد والجزر وغيرها، تحصل نتيجة الطاقة التي تسري في الكون، ولذلك اهتم علماء الطبيعة بدراسة هذه الظواهر، وتوصلوا إلى أن هذه الطاقة تأخذ أشكالاً متنوعة منها: الطاقة الحرارية والكهربائية والإشعاعية وغيرها، منها ما هو متعلق بالفيزياء، ومنه ما هو مختص بالكيمياء، ومنه ما هو مرتبط بالفلك.

☞ **فالطاقة عند علماء الفيزياء:** يراد بها العلم الذي يُعالج مختلف مظاهر الطاقة في الوجود، والناجئة من حركة الأجسام من مكان إلى آخر، بحيث أنها قادرة نتيجة لهذه الحركة على بذل شغل، فهو علم يبحث في الطاقة وتحولاتها، وعلى هذا فالفيزيائيين قسموا الطاقة إلى قسمين^(٤):

● **طاقة حركية:** وهي أن الجسم المادي الساكن عندما يتحرك يحدث شغلاً معيناً، فتحول الجسم المادي من حالة السكون إلى حالة الحركة تسمى (طاقة حركية)، والمثال على ذلك إنتاج الطاقة الكهربائية من السدود المائية، فالماء تمتلك طاقة ساكنة، وعندما تتحرك تحدث طاقةً كهربائية، فالطاقة الكهربائية طاقة حركية.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بسنده من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- برقم (١١٠٣)، كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال، انظر: (م/٢ص/٧٧٤).

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٣٩٢هـ، (م/٧ص/٢١٣).

(٣) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ، (م/١ص/١٠٢). وفي تفسير (الطاقة) بالقوة لفتة يجب ألا نحملها وهي: أن المتأمل لنصوص الكتاب والسنة يجد أن لفظة (طاقة) لم ترد في الكتاب أو السنة إلا في معرض العجز والضعف، وهذا من أبلغ الدلائل على سعة رحمة الله لخلقه، وعظيم فضله لعباده، وأن الإنسان مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة، مفتقر دائماً لربه وخالقه.

(٤) انظر: القرآن والكون: أسامة علي خضر، الناشر: المكتبة العصرية، ط ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ٢٠١.

● طاقة كامنة: هي الطاقة التي يمتلكها الجسم بسبب قوى الجذب والتنافر التي يمارسها الجسم مع أجسام أخرى، فإذا لم توجد قوة جذب أو تنافر فإن الجسم لا يملك طاقة كامنة، والمثال على ذلك: ظاهرة تحول الماء إلى ثلج، وتتم هذه الظاهرة عندما تلتقي تيارات هوائية رطبة ودافئة مع تيارات باردة في درجة حرارية معينة، ويفقد الماء خاصية الانصهار الكامنة فيه والمختصة بالتجمد فيتحول الماء إلى ثلج^(١).

☞ والطاقة عند علماء الكيمياء: يراد بها الطاقة الحرارية الناتجة عن التفاعلات الكيميائية والمؤدية إلى الاحتراق، والمثال على ذلك: أننا نتحصل على الحرارة والنار نتيجة التفاعل الكيميائي الحاصل بين المادة -خشب مثلاً- وبين الأكسجين، ومن خلال اتحادهما وتفاعلهما نتحصل على النار^(٢).

☞ والطاقة عند علماء الفلك: يراد بها الطاقة الشمسية: بمعنى: الطاقة التي تُشعّ من الشمس^(٣).

المفهوم الفلسفي للطاقة الكونية:

إن مفهوم الطاقة في دراستنا مفهوم فلسفي يتجاوز كل المعاني اللغوية والشرعية والاصطلاحية كما أسلفنا؛ فهي تطلق في سياق فلسفي ويراد بها "بحث الإنسان عن قوة الإله"، فهي قوة يعتقد حسب الديانات الوضعية الشرقية والتصورات الفلسفية القديمة على أنها سارية في الكون ومبثوثة في الكائنات بما فيها الكائن البشري، وكل الكائنات ما هي إلا تجليات للإله، ومنه تستمد وجودها وقوتها وروحانيتها، ويعبر عن هذا الانبثاق بالإشراق أو الفيض أو التجلي أو الانقسام^(٤)، وعليه فإن الطاقة تطلق في السياق الفلسفي ولا يراد بها سوى التصور الذهني عن فكرة الإله، وأنه لا حقيقة له سوى الخيال الذهني، ويمكن التعبير عن هذه الفكرة ضمن إطار عقيدة وحدة الوجود^(٥).

(١) انظر: نفس المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (م/١ص/٤٨٠).

(٣) نفس المصدر السابق: (م/٢ص/١٤٢٤).

(٤) انظر: أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة: د. فوز بنت عبد الطيف كامل كردي، الناشر، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٣٦هـ-٢٠١٥م. ص ٢٢.

(٥) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، (بدون بيانات نشر)، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص ٢٢٢.

الطاقة الكونية في مختلف الحضارات:

✽ طاقة (تشي) أو (كي):

هذه هي التسمية المتداولة لدى الصينيين، وتستخدم لوصف الطبيعة للكون، (التشي) أو (الكي) هي بمثابة نَفَس الحياة، هي التي تحرك الكائنات الحية، هذه الطاقة مع أنها تسمى طبيعية، فهي روحانية أو خارقة للطبيعة، تتغلغل في كل الأشياء بما فيها الجسد الآدمي، (التشي) أو (الكي) تمتاز في الرؤية الصينية بأنها تدور وتعمل وفقاً لإيقاع ثنائي اصطلاح عليه الصينيون القدماء وأطلقوا عليه "ين ☯ يانغ"، وهذا الإيقاع الثنائي انبثق من الـ"تاو" (١).

✽ طاقة (ري-كي):

طاقة (ريكي) هي التسمية اليابانية لعلم الطاقة الكونية، هذه التسمية انتقلت إلى العالم العربي وأصبح (الريكي) هو الاسم الأكثر شيوعاً لدى مروجي علم الطاقة، الـ(ريكي) في اللغة اليابانية مشتقة من كلمتين: الأولى (ري) وتعني: طاقة كونية روحانية، والثانية (كي) وتعني: الطاقة والنبض والذبذبات في كل ما هو حي (٢).

✽ طاقة (برانا) أو (براناياما):

مصطلح (برانا) مصطلح هندي يرادف مصطلح (الطاقة الكونية)، والـ(برانا) هو المصطلح السائد في العالم العربي، والهنود يطلقون عليها (براناياما) ومعناها الروح أو النَفَس، ويعرفها تشوا كوك

(١) انظر: تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة: د. محمد حمود، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٢م، ص(٣٠٣-٣٠٣)، وانظر أيضاً: كتاب الناو: لـاو - تسو، صياغة عربية للنص: فراس السواح، الناشر: دار علماء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ط ١ = ١٩٩٨م، ص(٩)، وانظر أيضاً: التخاطر، خوارق الأفعال والعيادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، الناشر: دار عالم الثقافة، ط(بدون) = ١١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م، ص(١١ - ١٥)، وانظر أيضاً: الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، ط ١ = ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص(١٣)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، ط ١ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. (م/٤ص ٢٧).

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاة السيد - م. جمان السيد، الناشر: دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ط ٢ = ٢٠٠٧م. ص (١٣)، وانظر: الريكي للمبتدئين: ديفيد إف فينلس: الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ٢ = ٢٠٠٧م. ص(١٩).

سوي^(١) بأنها طاقة الحياة التي تجعل الجسم مستمراً بالحياة والصحة، ولكي تستمر الحياة فإن على الجسم أن يمتلك (البرانا) أو (التشي) أو طاقة الحياة التي هي الروح^(٢).

(البرانا) هي القوة الحياتية المحركة ووظيفتها الخاصة هي الحركة، هي موجودة في كل شيء وليست أي شيء، هي ليست خلية ولا مجموعة خلايا ولا فيتامين ولا يمكن الحصول عليها إلا من خلال مادة ما من غذاء وشراب وغيرهما^(٣).

طاقة (البرانا) تعتمد على أن يستجلب المعالج الطاقة من البيئة المحيطة (الهواء و من الأرض) وتوجيهها للمريض من أجل علاجه دون أن يستخدم المعالج طاقته الداخلية الخاصة به هو^(٤)، وهي تعمل وفق إيقاع ثنائي أطلق عليه الهندوس اسم (بنغالا) و(إدّا)^(٥)، ومن خلال هذين القطبين يتنفس الإنسان البرانا الموجبة من المنخر الأيمن، ويتنفس البرانا السالبة من المنخر الأيسر^(٦).

✽ طاقة (الكاه):

هي مبدأ القوة الفعالة للناس والآلهة، فالشعيرة التي تجمع المومياء إلى (الكاه)، تحول الجسد إلى شيء لا يفنى، ويتيح للمتوفي أن يظهر على شكل روح (الباه)، وإما على شكل عقل (آخ)، ويظل العقل سماوياً، أما الروح فتعود وتبعث الحياة في التماثيل والمومياء متنقلة بين السماء والأرض^(٧).

(١) تشوا كوك سوي هو: معلم روحاني، ومؤسس تقنية العلاج بالبرانا، اشتهر بعلاجه الذي يتبنى من خلالها مخاطبة الكائنات الروحية، له العديد من المؤلفات، منها: معجزات الشفاء البراني، والمعالجة المتقدمة بطاقة الحياة، والعلاج بالكريستال، وغيرها.

(٢) انظر: معجزات الشفاء بطاقة الحياة: المعالجة بالبرانا والأرهاتيك يوغا: المعلم تشوا كوك سوي، ترجمة: تلاميذ المعلم في سوريا والإمارات العربية المتحدة، الناشر: دار الفنون للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص (٢١-٢٧).

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، الناشر: (بدون)، ط١ = ٢٠٠٢م، ص (١٩٧-٢٠١).

(٤) انظر: نفس المصدر السابق.

(٥) سيأتي الحديث عن هذين القطبين في المطلب القادم، انظر ص()

(٦) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، ص: (٢٠٠)، وانظر: طاقة الحياة: غاي براون، ت: أحمد العميري، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ = ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. ص (٢٥)، وانظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان حمرة، الناشر: دار نور المعارف، دمشق، سوريا، ط١ = ٢٠٠٥م، ص (١٥٧).

(٧) انظر: الفلسفة في الشرق: بول ماسون - أورسيل: ترجمة: محمد يوسف موسى، الناشر: دار المعارف: ص (٥٧-٥٩)، وانظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي، الناشر: دار الآفاق العربية، ط١ = ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص (١٦٩).

✽ طاقة (رُؤاه):

(رواه) هي الكلمة المرادفة لكلمة (روح)، وهي كلمة عبرية معناها القوة الخفية^(١). وعلى الرغم من أن الديانة اليهودية ديانة سماوية لا تؤمن بمثل هذه الأمور، حتى وإن طالها التحريف والتغيير إلا أنها كانت بعيدة عن الفلسفات الباطنية الشرقية، ونتيجة لتفرق اليهودي في العالم واختلاطه بكثير من الثقافات والفلسفات ظهرت حركة (الكابالا)^(٢) اليهودية الباطنية، والتي اهتمت بتفسير التوراة تفسيراً رمزياً، واعتنقت (الكابالا) اليهودية كثيراً من المعتقدات السائدة في الأديان الشرقية، كوحدة الوجود وتناسخ الأرواح، فأصبحت (الكابالا) "لا تخرج عن السلسلة الباطنية القائلين بوحدة الوجود"^(٣)، والتي من خلالها "يسعون للاتحاد بالإله المطلق من خلال التأمل الباطني وتحرير الوعي في طقوس تشبه بعض العبادات الهندوسية، والتأملات البوذية، وذلك بهدف التخلص من جولان الروح، ودوامه التناسخ"^(٤).

تسعى (الكابالا) اليهودية من خلال معتقداتها إلى الاتحاد بالإله المطلق الذي هو عندهم خالٍ من الصفات، تولد عنه عشر تجليات يعبر عنه بـ(شجرة الحياة)^(٥)، هذه الشجرة أصلها في السماء، تبدأ بالذات العليا، وفروعها في الأرض، بالعالم الدنيوي، وهي مكونة من عشر طبقات، ويرمز لها بأشكال دائرية منتظمة يعتقدون بأنها هي مصدر الوجود المحسوس، وتسافر من خلالها الروح عبر هذه الشجرة التي ما هي إلا تجسيد للإله.

(١) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشوكوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٩م، ص (٢٦).

(٢) الكابالا اليهودية: أو القبَّالاه اليهودية، وتعرف بالتراث الصوفي اليهودي، وقد مرت بمراحل عديدة، أهمها: قبالة الزوهار، وقبالة اللوربانية، وتراث القبَّالاه الصوفي تراث ضخم وضع أسس التفسيرات الصوفية التي تؤمن بالحلول في الزوهار والباهير وغيرهما من الكتب، وحل محل التوراة والتلمود، وهذا التفكير هو تفكير ناشئ ودخيل على الفكر اليهودي؛ إذ التفكير الفلسفي نادر الحدوث عندهم، ولم تظهر هذه الأفكار الفلسفية إلا بتأثير الحضارات الأخرى. والتصوف اليهودي بآمطه المختلفة يهدف إلى وضع التفسيرات الباطنية وصنع التماثل والتعاويد والبحث عن الصيغ التي يمكن من خلالها التأثير في الإرادة الإلهية. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والماسونية: د. عبد الوهاب المسيري، (م١٣ / ص ٤٢٠ وما بعدها).

(٣) انظر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ص(٧١).

(٤) انظر: حركة العصر الجديد، مفهوماً ونشأتها وتطبيقاتها: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، الناشر: مركز تأصيل للدراسات، جدة، السعودية، ط ١ = ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص (١٠٨).

(٥) نفس المصدر السابق.

✽ طاقة (مانا):

(مانا) معناها الروح في اللغة البولينية^(١)، واللغة البولينية هي لغة سكان جزر المحيط الهادي، وسكان هذه الجزر كانت حياتهم روحية بحتة، ويشير مصطلح "مانا" إلى قوة سحرية خارقة، أو طاقة روحية تتجسد أو تظهر في ظواهر طبيعية أو أماكن أو أشخاص... وإمكانية تلاعب بعض الناس بها بمنحهم سلطة ذات طابع سحري؛ فهي عند سكان مالينيزيا: قوة متميزة تماماً عن القوة المادية وتؤثر بطرق شتى، إما لجلب الخير أو جلب الشر، وهي تسهل كل شيء لمن يستطيع امتلاك زمامها ووضعها تحت سيطرته^(٢).

طاقة (مانا) الحيوية إذًا: هي السلطة الإلهية الواهبة التي تهب الخير لهم، وتزودهم بالمعلومات الغيبية، فاهتموا بالطاقة الحيوية من ثلاث جوانب:

- طاقة الجسد: أي موجات الطاقة المتجسدة، وأطلقوا عليه لفظ: مانا (Mana).
 - طاقة الفكر: أي: موجات الطاقة الفكرية وأطلقوا عليه لفظ: (مانا - مانا) (Mana-Mana).
 - طاقة الروح: أي: موجات الطاقة الروحانية، وأطلقوا عليه لفظ: (مانا - لوا) (Mana-Loa).
- و الـ"مانا - لوا" هي أرقى أنواع الطاقة و أقواها في التأثير على الأشياء, و منها تتبع كل أنواع الطاقة الأخرى^(٣).

✽ طاقة (الأوراندا) و (الهواكا):

(الأوراندا) هي قوة الروح عند الهنود الحمر الأمريكيين سكان القارتين الأمريكية الشمالية والجنوبية، و(الهواكا) هي نفس المعنى ولكن عند أهل بيرو القدماء، قالوا: "بأن العالم كان مليئاً بقوى غير

(١) بولينيزيا: هي مجموعة كبيرة لأكثر من ألف جزيرة مبعثرة في المحيط الهادي، واللغة البولينية هي لغة سكان تلك الجزر بجانب اللغة التاهيتية، وهذه الدول اجتاحتها حركة الاستعمار الفرنسي، وغيّرت من عاداتها وتقاليدها، فقل أن تجد عندهم هذه المظاهر الروحية إلا عند السكان الأصليين الأوائل، واستطاعت الحركات التبشيرية بأن تصنع لها قواعد هامة في مثل هذه البيئات المتأثرة بالمذاهب الروحية، والتي فقدت فطرتها السليمة تجاه التصور الصحيح لمقام الألوهية، فأصبحت متعطشة لديانة يصحح من سلوكها وينير دربها، فأصبح المبشرون يبشرون بالمسيحية كل حسب انتمائه لكنيسة المسيحية (كاثوليكية وبروتستانتية)، وأصبحت المسيحية هي الديانة الرسمية لتلك الدول، حتى غدا سكان هذه الجزر يكفر بعضهم بعضا بسبب الخلافات الشديدة حول الأصول الدينية بين الطوائف النصرانية، للمزيد: تصفح مشروع المعجم البوليني على الانترنت: "https://web.archive.org".

(٢) انظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: د. أحمد زكي بدوي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٩٨٢م، ص (٢٥٤). وانظر أيضاً: المانا: مقال منشور في موقع "مؤمنون بلا حدود": (<http://www.mominoun.com>).

(٣) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ص ٢٥.

منظورة"، "وهم كانوا أقرب إلى الحقيقة من الإنسان الحديث، ذلك لأن حدسهم لــــ (القوة غير المنظورة) جعلهم متفتحين لتلقي مظاهر وتجليات المعنى التي تحيط بنا"^(١).

✽ طاقة (الأورغون):

(الأورغون) هو نوع من الطاقة الحيوية التي تشتمل على مزيج من جزئيات معدنية (مبَرَد مثلاً) محمولة ضمن وسط مادة عضوية (نحاس أصفر أو فولاذ)، مع مادة غير عضوية (صمغ البولستر او صمغ الألياف الزجاجية) بنسبة (٥٠/٥٠)، ويمكن أن تثبت فوق هذا المزيج مُكثِّفٌ للطاقة بشرط أن يكون شفافاً كالكريستال، فهي قادرة على امتصاص الطاقة واختزانها وتسليطها بعد أن تترجمها بفكرك ونواياك، فتخاطبها وتقول لها : (يا أيتها الكريستالة! امتصي الطاقة وسلطها على ...). فهذه الطاقة لها معنى محدد، وغاية محددة. وكان أول من استخدم هذه التقنية هو العالم الفيزيائي (وليام رايش)، وزعم أن لها قدرات على الحياة والشفاء من الأمراض ولا سيما (الأمراض السرطانية)، كما أنَّ لها القدرة في التحكم على أفكار الناس والسيطرة عليهم، كما يزعم أن من خلال هذه الطاقة يتم تحويل الطاقة السلبية (دور- DOR) الموجهة لشخص معين (عين أو سحر) إلى طاقة إيجابية (أور- OR)^(٢).

وخلاصة القول: فإن الطاقة هي مبدأ فلسفي عقدي يقوم على أساس النظرة الواحدية للوجود^(٣)، وهي نظرة يعتقد أصحاب الديانات الشرقية أن هذه الطاقة سبب وجود كل شيء، فهي جوهر الحياة، انبثقت عن الجوهر الكلي، وانسابت في الكون بشكل حر، ويمكن للإنسان

(١) انظر: الإنسان وقواه الخفية: كولن ولسن، ترجمة: سامي خشبة، الناشر: دار الآداب، بيروت، لبنان، ط ٢=١٩٧٨م، ص(٥-٦).

(٢) انظر: وليام رايش "رايخ" حق الإنسان في المعرفة، الجزء ٢، متاح على موقع: "YouTube"، وانظر أيضاً على نفس الموقع: محاضرات البروفيسور: برند سنيف عن أفكار وليام رايش، وهي عبارة عن عشر محاضرات تحدث فيها عن اكتشاف رايش حول طاقة الأورجون، وانظر أيضاً: موقع: (www.alaalsayid.com)، وهو موقع مهتم بالطاقة الحيوية (الأورغون)، ولعلاء السيد صاحب الموقع بحث بعنوان (مولدات طاقة الأورغون).

وانظر أيضاً: العلاج البراني بالكريستال للمعلم تشوا كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، الناشر: دار الخيال، ط ١= ٢٠٠٧م، ص (١٢).

(٣) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد: ص ٢١٩.

التدرب على كيفية استمدادها والاتحاد معها، من أجل تحصيل السعادة والحكمة والصحة^(١)، ومن ثمَّ الوصول إلى الروح الكونية والتي تقود إلى معرفة يقينية ثابتة بالمطلق^(٢).



(١) انظر: دورات العلاج بالطاقة: د. فوز كردي، مقال متاح على موقع مجلة البيان: (www.albayan.co.uk).

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا، الناشر: معرض الشوف الدائم للكتاب، لبنان، ص ١٦.

المطلب الثاني: خصائص الطاقة الكونية، والتفسير الفلسفي لها.

الطاقة الكونية التي يطلبها الإنسان فتتولد عنده القوة، هذه القوة من خصائصها أنها ليست ذاتية بل خارجة عنه، خفية غير ظاهرة، تسري في الكون، وعندما يطلبها تحيط به وتحفه وتسري إلى داخله، فتتولد عنده شعور بالقوة والصحة والسعادة والعافية.

وتتصف بصفات وهي:

أولاً: أنها أزلية، وجدت قبل الوجود، فهي الجوهر العظيم، وكل موجود ليس إلا مظهراً من مظاهرها^(١).

ثانياً: أنها هي المحركة والمدبرة للكون، وكل تغيير حاصل في الكون سببه تفاعل الطاقة الكونية^(٢).

ثالثاً: أنها موجودة في كل مكان، وممتدة داخل الوجود، ومتغلغلة في كل جزء من الزمان والمكان، فهي طاقة لطيفة تمتاز بحفتها وسريانها في الكون^(٣).

رابعاً: أنها طاقة لا يمكن إدراكها ولكن يمكن الإحساس بها، وقياسها، ورؤية آثارها في بعض الأحيان^(٤)، ويكون ذلك من خلال الأشكال التي تتشكل بها، فهي عندما تكون كثيفة تصبح مادة، وتبرز الحياة، وما أن تتشتت يكون الموت، وعندما تفنى المادة تعود تلك الطاقة إلى صورتها الأصلية، أو تحل بموجود آخر^(٥).

(١) انظر: التاؤ: لاؤ- تزؤ، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، الناشر: دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٥ م. ص (١٦)، وانظر: التاؤ: لاؤ - تزؤ، صياغة عربية للنص: فراس السواح: ص (٩)، وانظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د.رفاه السيد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠٤ م، ص (١١)، وانظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نور، الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٢٦ هـ، ص (١٦)، وانظر: تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة د. محمد حمود، ص (٣٠٣-٣٠٣)، وانظر: التخاطر: يوسف الشرفاء: ص (١١)، وانظر: الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال: ص (١٣)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: وليام جيمس ديورانت، (م/٤ ص/٢٧).

(٢) انظر: طاقة الكون بين يديك: ص (١٦)، وانظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطّاس الحكيم: ص (٢٠٠).

(٣) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ص (١١).

(٤) انظر: مبادئ العلاج بالطاقة: عبد التواب عبد الله حسين، الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م، ص (٩١).

(٥) انظر: تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة: د. محمد حمود، ص (٣٠٤)، والوجوه الأربعة للطاقة: ص (١١).

خامساً: أنها حين تحل بالموجود المادي فهي لا توجد منفصلة عنه، بل تصبح الموجود ذاته^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الطاقة الكونية وما تتصف به من خصائص تجعلها هي الخالقة والمدبرة للكون، وإذا ما تأملنا أكثر حول هذه الخصائص نجد أن لها حضوراً لا فتاً في المعتقدات الباطنية القديمة، نجدها عند "لاو-تسو -Laozi"^(٢) وهو يشرح مبدأ "التاو"، وهو مبدأ غير قابل للتوضيح أو للفهم، فهي فلسفة غامضة لا يمكن الإحاطة بها أو تحديد مفهوم دقيق لها، فالـ"تاو" هو المطلق الأسمى الذي صدرت عنه الـ"ين"  "يانغ" المحركتين للكون، فهو مبدأ كل الأشياء، وهو العقل الأول، والمحرك الأول، والقوة الكامنة في الأشياء^(٣)، و"لاو-تسو" نفسه لم يخف حيرته أمام هذا المطلق فيصفه بأنه: "مظلم، محير، عسير الوصف"^(٤)، ويحاول أن يصف المبدأ الأسمى فيقع في حيرة أشد من سابقتها فيقول: "النور جاء من الظلمة، النظام من اللاصورة، التاو ينتج الطاقة، وهي التي تعطي النفس للصورة العضوية"^(٥)، فالتصور التاوي للمطلق الأسمى هو تصور مبني على أن الإله مبثوث داخل الكون، وهو الذي ينتج الطاقة فتمد الكون بالحيوية والانتظام، فهو متخلل في جميع ما نجم عنه، وكل ما في الوجود هو من طبيعة التاو وينتمي إليه^(٦).

كذلك نجدها في فكر حكماء الأوبانيشاد الهندي، ولكن بتصور أفضل من التصور التاوي؛ فهو تصور يرى بأن الإله جزء لا يتجزأ من الكون، فكل مظاهر الوجود هو انعكاس للحقيقة المطلقة، ولكن في ذات الوقت يبقى هنالك الوعي الذي يعكس في ذهن الفرد بأن المطلق أو الجوهر المتسامي ينبث داخل الكون ويبقى خارجه، لأنه في الأخير يبقى الإله هو المبدأ الذي تنبثق منه كل الأشياء، وإليه تركز، وفيه تتلاشى، وعليه فإن على الفرد أن يستجلب القوة الإلهية والطاقة المقدسة

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: ص(١١)، وانظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نور، ص(١٦).

(٢) لاو-تزو: يعرف بالمعلم العجوز، شخصية أسطورية غامضة، ظهرت في الصين، تقريبا في القرن السادس قبل الميلاد، وذكرت المصادر أنه ولد عام (٦٠٤ ق.م)، في محافظة "هونان" بالصين الوسطى، نشأ فقيراً، وارتقى حتى صار أميناً للمكتبة الملكية، وعاش حتى سن متقدمة، وذاع صيته على أنه حكيم، توفي عام (٥١٧ ق.م) من أبرز مبادئه نظرية "الطاو تي تشينغ"، والذي دونها في كتاب اعتبر فيما بعد بأنه الكتاب المقدس للتاوية، انظر: فلاسفة الشرق: توملين، ص(٢٨٢)، ومعجم الفلاسفة: طرايشي (ص: ٧٩٨).

(٣) انظر: كتاب التاو لـ (لاو تسه)، ترجمة: هادي العلوي: ص(١٥-١٦).

(٤) نفس المصدر السابق: ص(١٥-١٦).

(٥) نفس المصدر السابق: ص(١٥-١٦).

(٦) انظر: كتاب التاو إنجيل الحكمة التاوية: لاو-تسو، ترجمة: فراس السواح، ص(١٧٧).

من خلال الوعي، ويزدوب فيه حتى يتلاشى، ويتوحد مع الحقيقة النهائية، والجوهر المتسامي "برهن" (١).

وفي المعرفة الباطنية نجد أن لهذه الطاقة بخصائصها المذكورة حضوراً لافتاً في بنيتها الفكرية، نجدها في الفكر الهرمسي عندما يقرر أن مشيئة الخالق وإرادته لا تنفذ إلا من خلال وساطة القوة الكونية، وهي وساطة تتجلى في الكلمة النورانية المقدسة التي انبجست من النور، وأحاطت بالطبيعة واحتضنتها، فالكلمة النورانية هي التي خلقت العالم، وهي التي تدبر شؤونه، جاء في النص الهرمسي "أما النور فهو أنا العقل، الهك، الموجود قبل ظهور الطبيعة الرطبة خارج الظلمة، أما الكلمة النورانية الصادرة من العقل فهي ابن الاله (٢)".

وفي الفكر الإشراقي يسمي "أفلوطين" هذه الطاقة بـ "الخير المطلق"، وهو يرى أن هذا الخير هو العلة الأولى الذي تفيض عنه الأشياء ولا تنفصل عنه، ويقرب "أفلوطين" الصورة أكثر فيقرر بأن "النفس الكلية" التي فاضت عن "العقل الأول" تملأ العالم، وتبعث فيه النشاط، وتظهر في كل كائن حي (٣).

هذه الخصائص التي اتصفت بها الطاقة الكونية تجعلنا نقف أمام التصورات الفكرية التي أنتجها الفكر الشرقي القديم عن المعبود، وهي التصورات التي جعلت ذلك الفكر ينظر إلى القوة الكونية على أنها قوة إلهية مقدسة، تتصف بخصائص إلهية، وهذه القوة هي في حقيقتها تجسيد لعقيدة وحدة الوجود الذي ينظر إلى أن كل ما في الوجود ليس إلا تجل من تجليات الجوهر العظيم، وبالتالي فإن الطاقة الكونية التي تسري في الكون وهي مبثوثة داخله ليست إلا امتداد لمعتقد وحدة الوجود، وإذا أردنا أن نعرف كيف تسربت فكرة الاعتقاد بالطاقة الكونية إلى الفكر الشرقي القديم فعلياً أن نستقرأ تاريخ ذلك الفكر، حينها نجد أن مظاهر العبودية اختلفت في تلك البيئة، وتطورت الرؤى نحو قضية المعبود، وأنتجت العديد من التصورات نحو المعبود، إلا أن كل تلك التصورات لم تكن قائمة على استدلالات صحيحة، وحجج منطقية واضحة؛ ولا أدل على ذلك من غموض ذلك الفكر في قضية الخلق والوجود، وموقف

(١) انظر: الهندوسية تحضيرها لاعتناق الروح: سوامي نجيلاناندا، ترجمة: د. نبيل محسن، الناشر: ورد للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط ١=٢٠٠٠م، ص(٢٧)، وانظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ترجمة: نصير فليح، الناشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٣م، ص (٦٢).

(٢) بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط ٩=٢٠٠٩م، ص (٢٦٣-٢٦٨).

(٣) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤=١٩٨٣م، ص(١٣٤).

الإنسان من تلك القضية، الأمر الذي جعل من تلك القضية مشكلة كبرى في ذلك الفكر المتدين في أغلب أحواله، إلا أنه لم يهتد إلى الطريق الصحيح لمعالجة هذه المشكلة.

ولئن كان الفكر الشرقي القديم قد انطلق نحو التدين من موقفه من قضية الخلق والوجود، وبنى عليها دينه الجديد، وانطلق من المبادئ الذي رسمها لصالح مجتمعه من خلال معالجته لسلوك الإنساني، واهتمامه بالأخلاق والفضيلة، إلا أنه فشل في تحقيق السعادة لذلك المجتمع بسبب عجزه في الوصول نحو المعبود الحق، بناءً على الاستدلالات العقلية التي توصل إليها، مع إهماله الدليل الفطري والكوني لمعرفة المعبود.

لقد أصبح معرفة المعبود في الفكر الشرقي القديم مشكلة كبرى لديه، وفي كثير من الأحيان يكون مقام المعبود معدماً، ولا تكاد تجد إجابة واضحة حول مقام العبودية؛ بل في كثير من الأحيان يكون معرفة ذلك المقام من خلال تبني فكرة التفكر في المعبود الذي فطر الكون والذي هو مبعوث داخل الكون، وهذا الأمر يقودنا إلى القول بأن الإيمان بقوة غيبية عليا هي فكرة موجودة لدى هذا الفكر؛ وإلا لما حاول أن يتصور ذلك المعبود، ولكنه لم يفلح في فهمها واستطاع أن يقدم لنا من نتاج فكره أربع تصورات نحو هذا المعبود:

التصور الأول: التجريد^(١) والاعتقاد بأن هذا المعبود مجرد لا شبيه له ولا نظير، مباين للكائنات

ومغاير لهم في الصفات والخصائص، وهذا التصور هو ما يفسرونه بمبدأ الجوهر الكلي أو المطلق الأسمى أو اللامتناهي، وهذا المعبود هو الذي يتحكم في العالم، غير أنها حاولت أن تفكر أكثر حول ماهية هذا المعبود بناءً على تفكيرها القاصر، والعقل البشري المحدود إذا ما تدخل في إدراك ما لا يدركه عقله وفهمه فلا ريب أنه سيأتي بالعجائب!، وأمام هذا العجز الذي طرأ للفكر الشرق القديم فإنه قد خطى خطوات نحو التوجه إلى عالم الأسرار والرموز والعلم الباطني، وأضحى هذا المعتقد سرّاً من أسرار المعبود، وعقيدة خاصة لرجالها وكهنتها!.

التصور الثاني: وهو الاتجاه نحو تجسيد المعبود^(٢)، والنفس البشرية عندما تكون مفرّغة من الإيمان

بالغيب ومن آثاره وثمراته؛ فإنها بلا ريب ستتجه نحو المعبود الذي تشاهده وتلمسه وتنظر إليه، وإن الفكر الشرقي القديم كان ولا يزال يفتقد إلى هذه الخصيصة، ولذا فإنه عندما عجز عن تصور ذلك

(١) انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، الناشر: دار الفيصل الثقافية، الرياض،

المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص (٣٢).

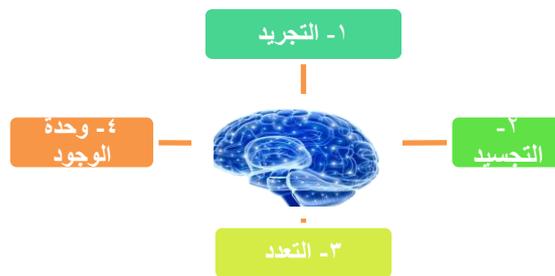
(٢) نفس المرجع السابق: ص ٤٠.

الإله المجرد، حاول أن يقدم لمعتقيه تفسيراً ظاهرياً عن هذا التصور الذي بني في أساسه على التفسير الذاتي للإنسان حول الوجود البشري، وحول الوجود الكوني، فتعددت التفاسير وتقاربت من أوجه واختلفت من أوجه أخرى، ولكن المحصلة كانت واحدة وهي التوجه نحو نزعة التجسيد، والمتمثل إما في عبادة أصليين جوهريين منبثقين من الجوهر الكلي، وإما في ثالث مقدس يمثلون ذلك الإله الأسمى.

هذا التجسيد لم يكن طارئاً على ذلك الفكر؛ بل كان من نتاج الأساطير الشعبية التي صورت في أذهان الناس أبطالاً كانوا بمثابة أبناء أو مساعدين لمعبودهم الأسمى، وهبطوا إلى الأرض لإنقاذ البشرية، واختلفت مظاهر تجسيدهم فتارة يحلون على أنماط بشرية، وتارة على هيئات حيوانية، وتارة على مظاهر كونية وظواهر طبيعية، وتارة على صفات روحية، وهم في كل الأحوال يمثلون ذلك المعبود الأعلى الذي لا يرى ولا يدرك بالأبصار، بيد أن اختلاف مظاهر التجسد كان من نتائجه أن ينساق الفكر الشرقي القديم نحو تعدد الآلهة.

التصور الثالث: تصور قائم على النزعة التعددية للآلهة^(١)؛ فإن هذه النزعة كانت مسيطرة على الفكر الشرقي القديم، بل كانت هذه النزعة هي السائدة لدى العموم بفضل اختلاف مظاهر التجسيد؛ واتخذ الناس من كل مظهرٍ من مظاهر التجسد إلهاً وأوثاناً يعبدونهم، معتقدين بأن روح الآلهة حلت فيها!.

التصور الرابع: تصور وحدة الوجود الذي يتبني فكرة أن الإله المجرد الذي لا شبيه له ولا نظير توحد مع المخلوقات، فهو تصور ذا نزعة ميتافيزيقية يحتزل الوجود في موجود واحد، هو الموجود الحقيقي الوحيد، ويصبح العالم بموجوداته مجرد مظاهر وظواهر ولحظات وملامح وانعكاسات لهذا الموجود الواحد المطلق^(٢).



تصورات الفكر الشرقي القديم نحو المعبود

(١) نفس المرجع السابق: ص ٥٢.

(٢) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة أحمد نائل الجبوري، مكتبة ابن تيمية، البحرين، ط ١=١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، ص (١٥)، وانظر أيضاً: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص (٦٨).

هذه التصورات الأربعة لمقام العبودية توضح لنا معالم العبودية في الفكر الشرقي القديم، وإن من النتائج الحتمية لأي فكر كان، وانطلق من هذه التصورات الأربعة لفهم مقام العبودية ومعرفتها؛ أن يتبنى الدعوة إلى المعتقدات التي تدعو إلى الإلحاد والوثنية والتعددية، وتتخذ من الظواهر الطبيعية ومن العالم الخفي معبودات لها، بدعوى أن ذلك الجوهر الكلي والمبدأ السامي والقوة العليا حلّت في الموجودات، وأن الطبيعة ما هي إلا تجليات وتجسيدات لذلك الجوهر الكلي، وإن من الطبيعي جداً أن تفرز مثل هذه المعتقدات فلسفة تركز على الظواهر الكونية، مدعومة بتطبيقات وممارسات رياضية روحية، تقدم لمعتنقيها نظرة شاملة لكافة جوانب الحياة، هدفها وهمها الأول هي قضية الاتحاد بالجوهر الكلي أو المبدأ السامي أو القوة العليا، وأن المظاهر الطبيعية ما هي إلا تجليات لذلك الجوهر الكلي.

وبناءً على التصورات الفكرية التي انتجها الفكر الشرقي القديم تجاه المعبود، والتسلسل الذي يقود الفرد إلى التوحد مع الجوهر الكلي أو المبدأ الأسمى، فإن التفسير الفلسفي لمقام العبودية في الفكر الشرقي القديم يقوم على فكرة فناء الفرد بذاته في الوجود الذي هو مظهر من مظاهر تجلي الجوهر الكلي، وهذا الفناء يتم من خلال التصورات التي ذكرناها سلفاً، وهي التجريد ثم التجسيد ثم الاعتقاد بقدرة الكائنات المجسدة على القيام بالوظائف الإلهية، ثم الاعتقاد بأن المبدأ الأسمى والجوهر الكلي توحد مع تلك الكائنات المجسدة.

وقد اختلفت التفسيرات الفلسفية حول حقيقة توحيد الواحد المطلق مع الوجود، إلا أن هذا الاختلاف لا يعد اختلافاً جوهرياً يؤدي إلى الاختلاف في الحكم والنتائج، والمحصلة في النهاية واحدة؛ وهي إنكار وجود إله قائم بذاته، ومستقل بصفاته، بائن من خلقه، ليس مختلطاً ولا حالاً بهم^(١).

وحين نستعرض التفسيرات الفلسفية لمقام المعبود في الفكر القديم نجد أن كل تلك التفسيرات قامت على أساس النزعة الدينية التي لا تسلم إلا بما هو إلهي وروحي، ثم عمقتها نظرات فلسفية وبحوث عقلية تحاول أن توفق بين الواحد والمتعدد، وأن تربط الالتهائي بالنهائي، والمطلق بالنسبي، فأضحت باباً من أبواب الفلسفة الإلهية، وسبيلاً لتصوير عقيدة التوحيد تصويراً عقلياً لا يسلم إلا

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص(٢٦٠).

بوجود واحد^(١)، على اختلاف ضمني في الوصول نحو الواحد، وهي في مجملها تعود إلى ستة تفسيرات تشكل النظرة الجوهرية نحو المعتقد الديني والسائد في الفلسفة الشرقية خصوصاً، والفكر القديم عموماً، وهي على النحو التالي:

التفسير الأول: الاعتقاد بأن الواحد المطلق هو العنصر الأساسي للعالم، مبثوثاً فيه، محدثاً قوة الحركة والتغيير، لكن يبقى العالم متكثراً بتعدد عناصره^(٢)، وعليه فإن هذا التفسير يرد كل الظواهر إلى مبدأ واحد؛ لأن الوجود واحد والكثرة ظاهرة، فالعالم ليس إلا مظهراً من مظاهر الواحد المطلق^(٣).

التفسير الثاني: الاعتقاد بأن العالم جزء من الإله، وهو بالرغم من حلول الإله فيه؛ إلا أنه غير منفصل عنه، والقدرة الإلهية تتصل بكليته، فالكل فيه، وهو كل المحتوى وكل القوة^(٤).

التفسير الثالث: الاعتقاد بأن الإله مطلق ومتوحد في العالم، والعالم بحكم هذه الحقيقة غير متغير، فالإله والعالم حقيقة واحدة^(٥).

التفسير الرابع: الاعتقاد بأن العالم واقع حقيقي، ومتغير في ذات الإله، إلا أن الإله مطلق ولا يتأثر بالعالم^(٦).

(١) انظر: قراءة في ثلاثية الوجود عند الشيخ ابن عربي: دراسة مختصرة مأخوذة من كتاب (ثلاثية الوجود) للمؤلف: نضال فاضل البغدادي: منشور على موقع الجامعة العربية المفتوحة لشمال أمريكا: (<http://acocollege.com>).

(٢) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص(١٧)، وانظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص(٦٨).

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون بإشراف زكي نجيب محمود، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص(٥٣٥)، وانظر: فلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص(١٧).

(٤) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص(١٧)، وانظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص(٦٨)، وانظر أيضاً: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد: ص(٢٦٠).

(٥) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص ١٧، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص ٦٨، وفلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله: ص ١٧.

(٦) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص ١٧، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص ٦٨.

التفسير الخامس: الاعتقاد بأن العالم مظهر غير حقيقي في ذاته؛ فبنية الحقيقة الكلية للعالم هي الله، وبالتالي فإن هذا التفسير يعتبر وهمية العالم وينفيها^(١).

التفسير السادس: تفسير يصف علاقة الإله الدائمة بالعالم بتعبيرات متعارضة شكلياً، ويترتب عليها كون حقيقة الإله ليست موضوعاً للوصف سواء أكان الوجود خلاءً أم كان ملاءً، حلولياً كان أم متعالياً، إذ أنه يجب اللجوء إلى الفهم الحدسي للمطلق^(٢).

وخلاصة القول: فإن الطاقة الكونية بخصائصها الفلسفية تجعلها مرتبطة بالمفهوم الإلهي، وهو المفهوم الذي يؤصل لفكرة الإيمان بإله ليس له وجود حقيقي، وتكمن حقيقته بأنه مبثوث داخل الكون، وينساب في كل ذرة من ذرات الكون، وبالتالي فإن الوسيلة الموصلة لإدراك حقيقة ذلك الإله لا تتم إلا من خلال القوة الخيالية التي يتمتع بها من يمارس التأمل الذهني، فيرى الوجود بأنه تجل من التجليات الإلهية، وسوف نتعرف على هذه التجليات من خلال المطلب الثالث.

(١) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص ١٧، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص ٦٨، وفلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله: ص ١٦، والتطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص ٢٥٧.

(٢) انظر: فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة الجبوري: ص ١٧، ومشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص ٦٨، وفلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله: ص ١٩.

المطلب الثالث: مفاهيم فلسفية حول الطاقة الكونية.

من خلال ما سبق عرفنا أن الطاقة الكونية هي فلسفة تفسر حالة الإنسان مع الطبيعة والكون؛ ويُنظر إلى هذه الحالة على أنها قوة يطلبها الفرد بواسطة العقل من خلال التوجه إلى الطبيعة، فتتولد لديه القدرة التي من خلالها يستطيع تنمية الملكات العقلية والقدرات الجسدية والقوة النفسية، ويمكن الحصول على هذه القوة من خلال ممارسة الرياضات التأملية والتقنيات التنفسية التي تحدث تناغماً كونياً وحالة فردية تبعث بالنشوة الداخلية داخل النفس، فيحصل لها الإشراق والتنوير والمعرفة الباطنية، ويُنظر إلى هذا التناغم على أنها حالة من حالات الاتحاد بالجواهر الكلي المطلق الذي هو مبعوث داخل الكون ويسري فيه، وهذا يعني وجود قوة ما وراء الطبيعة، وهي القوة الإلهية السارية في الكون، والكامنة في كل شيء.

ولقد نظر الفكر الشرقي القديم إلى الوجود فرأى ما فيه من مظاهر طبيعية، وأحداث كونية، كانت عvisية عن التفسير، وعن إدراك حقيقتها، فظن أن القوة الإلهية مبعوثة داخلها، ومن هنا أصبح يتعبد هذه الظواهر الطبيعية من أجل أن تحميه، واعتقد أنه من خلال التوجه إلى الطبيعة يكون بمقدوره الاتحاد بتلك القوة، فظهرت الشعائر التأملية، والرياضات الروحية، وكلها تهدف إلى الشعور بأن النفس قد امتلأت نشوة وسعادة جراء اتحادها بالقوة الإلهية أو الطاقة الكونية، ولقد اختلفت تصورات الفكر الشرقي القديم حول الطاقة الكونية، وهي تصورات لا تحمل معنى الاختلاف بقدر ما تحمل معنى التنوع، ولذلك نجد أن المفاهيم الفلسفية للطاقة الكونية تقرر أن تلك الطاقة مبعوثة في كل شيء، في الكون الأكبر، ومن مظاهره الشمس والسماء والهواء والأرض، وفي الكون الأصغر، ومن مظاهره العقل الباطن، والوعي، وسوف نتحدث عن هذه المفاهيم من خلال الآتي:

أولاً: مفهوم الطاقة الكونية الشمسية "Solar Prana":

يُنظر إلى الشمس بأنها أهم مصدر للقوة والطاقة الحيوية، ومن خلال التأمل والنظر في الشمس، لأن الشمس حضارياً تمثل رمز النور والإشعاع والعدل، وهي رمز "الإله" عند المصريين القدماء، فالشمس جوهر الوجود، وسر الحياة، وإله المعرفة والحقيقة، وبفضلها انتقل الكون من الفوضى إلى النظام^(١).

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: جمال المرزوقي، ص(١٧٣-١٧٤).

وفي الفلسفة الهندية، وبحسب تعاليم الـ "فيدا" تظهر أحد أهم أنواع اليوجا، وهو "هاثا يوجا"، والمقطع مؤلف من كلمتين: "ها" وتعني الشمس، و"ثا" وتعني القمر، وغالباً تترجم على أنها فرع من اليوجا التي تتحد فيها الأزواج المتناظرة، ويرمز إلى العنصر الإيجابي بالشمس، والعنصر السلبي بالقمر^(١).

ولأهمية الشمس في الفكر الهندي القديم، فإن بعض الشعائر التعبدية تؤدي من خلال التوجه نحو الشمس، ومن تلك الشعائر: شعيرة "تحية الشمس"، وهي من أهم تمارين اليوجا، وتعرف باسم "سوربانامسكار" ومعناها: الصلاة للشمس، أو السجود أمام الشمس بثمانية أعضاء، القدمين والركبتين واليدين والصدر والجبهة^(٢)، وهي حركة رمزية تعبر عن التحية للشمس، يقوم فيها الممارس بإلقاء الكف مع الكف ورفع الأصابع عالياً، والحركة تعبر عن الخشوع والصلاة والثقة في المفهوم الديني، وتدل على توافق المبدأ السلبي "الكف الأيسر" مع المبدأ الإيجابي "الكف الأيمن"، وتهدف تلك الممارسة التأملية إلى الاستفادة من أشعة الشمس وقوتها، وكفي يكون التأمل بالشمس المعنوية الأخرى، والتي تعني "الله"، أو "المبدأ"، ويظل الإنسان كائناً رمزياً؛ إذ يربط بين الحسي والمجرد، والعكس بالعكس، لأن الشمس رمز الضوء الإلهي، وعلى الإنسان أن يدنو منه؛ لأنه في الأصل منبثق عنه^(٣).

وينصح معلمو اليوجا بممارسة تأمل "تحية الشمس" تحت أشعة الشمس، ويفضّل لمن يمارس اليوجا أن يكون عاري الجسم، ولا سيما الصدر والظهر والأفخاذ، وأن يستقبل الشمس بجسمه عند شروقها، وعند غروبها، إذا أراد يوجا صحيحة ونافعة، وأن يثبت نظره ويركّز انتباهه على قرص الشمس، وعليه أن يتعلق فيه بكلّيته، وهذا يشمل جسمه وجوارحه وفكره ولبّه، أما إذا كان في العمران ولا يستطيع رؤية الشمس، فقد يُسمح له بأن يرسم قرص الشمس أمامه على الجدار^(٤).

(١) انظر: اليوجا: تساعدك على اكتشاف الطاقات الكامنة بداخلك: د. أيمن محمد عادل، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ص(١١٣)، وانظر: اليوجا فن السيطرة على النفس والجسد: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١ = ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ص(١٤).

(٢) انظر: اليوجا، تساعدك على اكتشاف الطاقات الكامنة بداخلك: د. أيمن محمد عادل، ص (١١٣)، وانظر: اليوجا في ميزان النقد العلمي: د. فارس علوان، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط١ = ١٩٨٩ م.

(٣) انظر: أعمدة اليوجا الثمانية: غطاس الحكيم: ص(١٦٥-١٦٦).

(٤) انظر: اليوجا في ميزان النقد العلمي: د. فارس علوان،

ثانياً: مفهوم الطاقة الكونية السماوية:

تتجلى الطاقة الكونية من خلال السماء!، وطريقة الوصول إليها تعتمد على رفع حساسية اليدين، وتحسس الطاقة من خلال الشعور بالحقل الأثيري أو الهالة الداخلية، لتحديد المناطق التي تعاني من نزع طاقي أو تضخم^(١)، ويستقطب المعالج من خلال حساسية اليدين الطاقة الروحية، فيتحكم فيها، ثم يوجهها إلى الشخص المريض مستخدماً الرموز السرية المستخدمة في الـ "ريكي-Reiki"، وهي صورة مرئية تعبر عن الصيغ الهندوسية المقدسة ذات القوة السحرية، والتي تستعمل في الصلوات والتعاويد، وتعرف باسم الـ "مانترا"^(٢)(٣).

ثالثاً: مفهوم الطاقة الهوائية "Air Prana":

يعتبر الهواء إحدى صور تجليات الطاقة الكونية، وهو يرمز بحسب فلسفة الـ "تاو" إلى النور الإلهي الذي يرتبط في كل شيء، فالهواء هو العنصر الروحي، ويظهر بحسب الفلسفة التاوية بجانب الماء الذي يمثل العنصر المادي، والطاقة الهوائية "الروحية" عندما ترتبط بالأشياء تؤثر بها بأشكال مختلفة، فإذا جاءت من جهة الشمال يكون تأثيرها بالأشياء مختلفاً عما إذا جاءت من الجنوب؛ فالطاقة الروحية القادمة من الشمال عبر الرياح تتصف بكونها باردة وساكنة، عكس القادمة من الجنوب والتي تتصف بكونها حارة ومتحركة. كما أنها تؤثر في المادة والألوان والأشكال، فهي صاعدة في الخشب، ومتجمعة في التراب، وفي الألوان فالأحمر مهيج، والأزرق ساكن، ومن هنا ظهرت خرافة الاعتقاد بأن الخرزة الزرقاء لديها القدرة في صد الطاقات السلبية كالعين والحسد، وفي الأشكال يكون المربع متزن، والدائرة سريعة، وفي المثلث متهيجة^(٤).

(١) انظر: العلاج البراني بالكريستال: المعلم تشوا كوك سوي، ص(١٣١).

(٢) المانترا: صيغ هندوسية مقدسة، تتميز بكونها شخصية وسرية، فلكل شخص المانترا الخاصة به، والمعلم الروحي "الكاهن" هو من يؤلفها، بحيث تبقى ذات تأثير للشخص المعني، وهذا التأثير لا ينتقل إلى شخص آخر إذا استعملها، وبهذه المانترا يتم الاتصال والتواصل بين الشخص والآلهة. انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، جفري بارندر، ص (١٣٥)، وألف باء التنوير: أوشو، ص (١٤٣).

(٣) انظر: ألف باء التنوير، القاموس الروحي لكل الأزمان: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠٩م، ص(١٤٣).

(٤) انظر: درجات الطاقة في معرفة الذات: جمان السيد وآخرون: ص(٥٩-٦٠).

وفي فلسفة حكماء الهند تظهر الطاقة الروحية عبر الهواء، ومن خلال التنفس المنتظم والفكر المنضبط يمكن للشخص امتصاص كمية كبيرة من الـ "برانا - Pran"، مع لفت الانتباه إلى ضرورة مراقبة النفس، والغاية هو إطلاق الحجاب الحاجز^(١)، ومن خلال الموازنة في عملية التنفس من المنخرين يحدث الهدوء الداخلي للإنسان؛ فيتحرك الحجاب الحاجز، ويحفز العقل، ويستقطب طاقة الـ "برانا ياما" الكونية^(٢).

كما يمكن التحكم في تلك الطاقة من خلال تمرير تلك الطاقة إلى جسد شخص آخر، محفزاً الأجزاء الداخلية والأعضاء الضعيفة، فينقل الصحة، ويخرج المرض^(٣)، وعند القيام بالتنفس البراني يصبح المعالج أكثر قوة، ويصبح جسمه الأثيري^(٤) أكثر إشراقاً وكثافة^(٥).

وعند المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية من المسلمين تظهر لنا طرقاً مختلفة من التسبيح منها التسبيح الإنساني، والملائكي، والمحمدي، والإلهي، وهو تسبيح قائم على تقنية التنفس!، وهي طريقة تتألف من سبع عشرة تنفساً، في كل عملية تنفس يردد المتأمل ذكراً من الأذكار، حتى يصل إلى التسبيح الإلهي فيردد "هو"، الستة الأولى لتنظيف الحركة الكهربائية في الجسم، والسبعة التي تتلوها لتفعيل الطاقة الكونية؛ فتصل بين المسارات الشاكرية السبعة، وأما التنفس الرابع عشر فيوازن الطاقة في الجسم، والتنفس الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر لإبداع الكرة النجمية، التي تدور حول محور، وبجهتين متعاكستين، وبسرعة معينة، ويظهر أن هذه الكرة وهيمة يتخيلها الشخص

(١) الحجاب الحاجز: يقصد بها إمكانية رؤية كل ما هو وراء نطاق البصر، ومنها رؤية الشخص الذي يملك الحاسة السادسة للأشخاص غير المنظورين من الأحياء والأموات، ومنها رؤية الأشخاص البعيدين، انظر: دراسات في عالم الأرواح، ص (٢٢١)، وتحضير الأرواح: حسن الشيخ، ص (٤٨)، ولمعرفة المزيد راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة: التطبيقات، المبحث الثاني: تطبيق الرؤية عن بعد، ص (٣٨٣).

(٢) انظر: اليوغا فن السيطرة على النفس والجسد: د. أحمد توفيق حجازي، ص ٢٣، وانظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، ص (١٩٨-٢١٦).

(٣) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشوا كوك سوي، ص (١٦١)، نقلاً عن المعلم اليوغي راماشاركا.

(٤) الجسم الأثيري: نظرية فلسفية تدعي أن هنالك جسم لطيف يقابل الجسم المادي الكثيف، ليس هو الروح، بل الحامل للروح والعقل والنفس، وله أهمية حيوية؛ وذلك لاتصاله وتأثيره على الجسم المادي الكثيف، ويطلق عليها أحياناً بـ "الهالة". انظر: موسوعة الطب البديل: د. أحمد توفيق حجازي، ص (١٢٤).

(٥) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشوا كوك سوي، ص (١٦١).

الممارس للتأمل، فيتصور وهو واقف أو جالس وسط الغرفة كرة من نور على مقربة من قدميه تحت الأرض^(١).

مربعاً: مفهوم الطاقة الأرضية "Ground Prana":

بحسب الفلسفة الصينية فإن الأرض تبعث الطاقة المخزنة في باطنها، وتمتص هذه الطاقة من خلال باطن القدم، ويحدث هذا الامتصاص بشكل تلقائي، والمشى حافي القدمين يزيد من كمية طاقة الحياة الأرضية الممتصة إلى داخل الجسم، ولفاعليتها فإن هذه التقنية تمارس في الفن القتالي الإيزوتيركي^(٢) "الباطني" الصيني الـ"تشي كونغ"^(٣).

والـ"تشي كونغ"^(٤) فن من الفنون القتالية في الصين، يعتمد على الوقوف بشكل مستقيم، على هيئة المحارب المستعد للقتال، مع ضرورة إبقاء القدمين ثابتتين فوق الأرض، والفسحة بينهما كعرض الأكتاف... الخ^(٥)، ويقف ممارس الـ"تشي كونغ" على هذه الوضعية من أجل امتصاص الـ"برانا" أو الطاقة الأرضية عبر المسارات الشاكرية^(٦) الثانوية والمتمركزة في أخمص القدمين، والتركيز عليهما

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، ص(١٢٥-١٤٢).

(٢) الإيزوتيركي: مفهوم يقصد به الطريق إلى المعرفة الباطنية، وهو علم قائم بذاته، لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق الممارسة والتطبيق العملي، وهو مبني على منهج يتقصى الباطن الخفي في الإنسان، ويتمثل في كونه يجعل المرید والمعلم في آن واحد، ويهدف إلى تفتيح المدارك ورفع مستوى الوعي، وقد رفض المجتمع العلمي نتائج هذا الطريق، إلا المتأثرين به يؤكدون على حقيقته. انظر: حوار في الإيزوتيركي: جوزيف بهو مجدلاي، ص (١١ - ١٢).

(٣) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشواكوك سوي، ص (١٦٩).

(٤) تشي كونغ: مصطلح يتكون من كلمتين: "تشي" وتعني الطاقة، و"كونغ" وتعني العمل والجهد، والمصطلح يدل على اسم جماعي يُطلق على طرق ممارسة تقليدية صينية تعتمد على "الطاقة الحيوية"، وهي ما يطلق عليها في الصينية لفظة "تشي"، وتتطبق في إطار الفنون القتالية، تساعد على التحكم في حياة الإنسان الداخلية، والتنفس والقدرة الماهرة على ضبطه، وعلى التحكم بسيلان الطاقة وتوازنها داخل الجسم، وعلى إحداث انسجام بين طاقة الإنسان والطاقة الطبيعية والكونية، انظر: الانسجام مع الطاقة الكونية: قيصر زحكا، متاح على موقع "معايير"، وجوهان فالون: موسوعة أسسها "لي هونغ جي"، ص (٢٧٠)، ولمعرفة المزيد حول التطبيق راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة: تطبيق "تشي كونغ" ص (٤١٣).

(٥) انظر: الطب الصيني الروح - العقل - الجسد: إشراف: مصطفى وهبة، ترجمة: محمد يوسف شهاب، الناشر: رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط ١=٢٠٠٥م، ص(١٣٨).

(٦) المسارات الشاكرية: مفهوم فلسفي قائم على فكرة سريان الطاقة الكونية داخل جسم الإنسان، وهي مسارات تتمركز حول العمود الفقري، تبدأ من قاعدة العمود وهو العجز والعصعص، وتنتهي إلى يافوخ الرأس، وسيأتي مزيد من التوضيح والبيان حول حقيقة هذه الشاكرات في المبحث الثاني من هذا الفصل، راجع ص (٦٩).

يساعدان القدمين في سحب برانا الأرض^(١)، فيدخل الممارس في لحظة شعورية يتخيل من خلالها الجذور وهي تخرج من باطن قدميه لتشرب من الأرض الطاقة الكامنة فيها، ويستمر حالة التخيل لتشمل جميع أجزاء البدن.

والهدف الأسمى من هذه العملية وبحسب الفلسفة التاوية فإن هذه الوضعية التي تسبق جميع الأوضاع الحركية هي تمثيل للاعتقاد التاوي بتولد الوجود من الـ "لا شيء"، والـ "وو تشي - Wu Chi" مصطلح صيني يستخدم في التعبير عن ذلك العدم^(٢).

خامساً: مفهوم طاقة الوعي:

الطاقة الكونية تتجلى أيضاً من خلال الوعي، "وقدرة المرء على الوعي فقط تجعل منه إنساناً"^(٣)، فالوعي يعد مظهراً من مظاهر تجليات الطاقة الكونية، وهو ينبع من داخل النفس، والوعي نوع من الطاقة الخارقة^(٤)، هذه الطاقة التي تمنح الإنسان قدرات الإدراك المتجاوز للحواس، فالوعي هي إدراك الأشياء والإحساس بها، دون أن يكون للحواس الخمسة أي تدخل في العملية، وهي قدرات نفسية روحية منحها الله للبعض دون غيرهم^(٥).

يعرف عالم النفس "كارل يونغ" لحالة الوعي فيصفها بالحدث التزامني؛ وهو يعني التطابق الدال لحدث مادي خارجي مع انبثاق رمز داخلي نفسي، من دون أن يكون بين هذين الحدثين أي علاقة سببية أو حتى صلة منطقية مفهومة، حيث تجري الأشياء كما لو أن الأمر يتعلق بحالة للإدراك الحسي الخارق^(٦).

(١) انظر: معجزات الشفاء البراني: ص(١٦٨).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص(٣٨٨).

(٣) مقولة منسوبة لعالم النفس "كارل يونغ"، انظر: الحاسة السادسة رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، جامعة تكساس أوستن، الناشر: كنوز المعرفة، عمان - الأردن، ط ١ = ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م. ص(٨٢).

(٤) انظر: الحاسة السادسة رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، ص(٨٢).

(٥) انظر: الحاسة السادسة قوة تأثير العقل على الأشياء المادية: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط ١ = ٢٠١٢م، ص(٧).

(٦) انظر: الحاسة السادسة رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، ص(١٣).

في البداية على الإنسان أن يعرف حقيقة هذه القوة، وأن يكون مقتنعاً بها، وبمعنى آخر؛ يكون مؤمناً بتأثير تلك القوة، ويعقبها إمداد تلك القوة والطاقة الخفية التي هي جوهر الحياة بالأفكار السامية والتوجيهات الإيجابية التي تفتح الباب لتمر من خلاله إلى العقل الباطن والنفس السامية^(١).

والإنسان في الفكر القديم آمن بوجود هذه الطاقة، ومن خلالها تمكن من تفسير الظواهر الحياتية وغيرها، وخاصة الظواهر التي كانت عصية عن التفسير من قبل كالإيحاء أو الاتصال عن بعد أو السيطرة الإيحائية وغيرها من الأحلام والمشاعر^(٢).

من خلال طاقة الوعي، وعبر التدريبات القاسية والعنيفة والمستمرة، يستطيع بعض الناس ممن يملكون القدرات التي تتجاوز الحواس الخمسة السفر بأرواحهم إلى العوالم الغيبية، فهي حالة تغادر فيها الروح والجسم الأثيري الجسم المادي، وتظل مرتبطة بالجسم المادي بالحبل الأثيري الفضي، وتقوم بجولة في عالم الروح، ثم تعود إلى الجسم المادي مرة أخرى وتخر بما شاهدته في عالم الروح، فيحصل للإنسان المعرفة، وهذا هو الوعي السامي الذي يعلل أعمال الإلهام والوساطة الراقية وإنكار الذات^(٣).

ولذلك فإن مهمة الوعي هي التدخل في اختيار الإيحاءات الذاتية والمثابرة والصبر، وهي ضرورية لتحقيق الهدف الذي يسعى الإنسان وراءه، فالوعي يشرف على تربية اللاشعور وتطويعه، وعلى هذا الأساس يجب التركيز على تربية اللاشعور وتهذيبه، وتجاهل تهذيب الإرادة النفسية؛ لأن تربية ما وراء الوعي هي تربية الوجه الحقيقي للحياة^(٤).

سادساً: مفهوم العقل الباطن الخارق:

العقل الباطن اصطلاح يراد به الاشارة إلى ما يحدث في داخل النفس من مجريات لا يشعر بها الفكر، ولا يتدخل في مجال الوعي والتأمل^(٥)، فهي منطقة في العقل تكون دون الوعي، وتختص بالإحساس وبجانب من الذكاء كالحس والإلهام والإيمان والمخيلة والذاكرة والعادة، وكثير من الملكات

(١) انظر: التخاطر خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص(٣٠).

(٢) انظر: الحاسة السادسة رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، ص(٨٣).

(٣) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١١م، ص

(٣٧-٣٨)، وانظر: الحاسة السادسة قوة تأثير العقل على الأشياء المادية، د. ماهر يسري، ص٥٠، وانظر أيضا: أسرار

الطاقة لحكم الزمان: ص(١٨١-١٨٢).

(٤) انظر: التخاطر، خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص(٤٣).

(٥) انظر: خوارق اللاشعور: د. علي الوردي، الناشر: دار الوراق للنشر، لندن، ط٢=١٩٩٦م، ص(٣٥).

التي كانت تضاف من قبل الذكاء، حيث يعزى إلى العقل الباطن القدرة على تحقيق كل ما تتضمنه التخيلات المركزة والموجهة^(١).

في القديم كان المفكرون لا يسلمون بنظرية العقل الباطن؛ فقد كانوا متأثرين بالفلسفة القديمة التي تؤمن بالعقل الظاهر، وتعتبره المسيطر الأكبر على جميع تصرفات الانسان، فلم يكن يخطر ببالهم أن هنالك في باطن النفس منطقة غير واعية تعمل وتؤثر من غير أن يشعر بها الانسان، وعلى هذا كانوا يفسرون كل حركة أو سكونة من سلوك الانسان تفسيراً منطقياً مستنداً على الوعي والتفكير. ولهذا كانوا إذا رأوا رجلاً فاضلاً عزوا فضله حالاً إلى ذكائه وسلامته تفكيره، وإن رأوا مجرماً أسرعوا في تفسير الدافع في إجرامه إلى ضعف تفكيره أو التواءه.

حتى جاء العالم النفسي "فرويد"^(٢) وقال بأن للإنسان عقليين: ظاهر وباطن، وأن أغلب أعمال الإنسان مسيرة بعوامل منبعثة من العقل الباطن الذي لا يشعر الإنسان به ولا يدري ماذا يحدث فيه^(٣). ثم إن المنشغلين ببحث القوى النفسية انقسموا إزاء نظرية "فرويد" إلى مذهبين:

المذهب اللاهوتي:

وهو المذهب الذي اعتقد بروحية تلك القوى، فمال إلى إنكار وجود العقل الباطن، واعتبر تلك القوى منبثقة من مصدر خارج النفس البشرية، أي أنها صادرة في نظرهم من روح الكون أو سرُّه الخلاق، فالمذهب اللاهوتي يتصور العقل البشري متجهاً في طبقاته الخفية إلى الأعلى، صاعداً نحو ملكوت الله أو الروح السارية في الكون.

المذهب الإنساني:

وهو المذهب الذي يؤمن بالإنسان، وأنه مشارك في تدبير الكون، وهو مذهب يؤمن بقدرات التنمية البشرية، ويعتبر قوة العقل الباطن من خصائص الشخصية البشرية، وذهب إلى إثبات وجود

(١) انظر: العقل الباطن؛ قوة خارقة في أعماق الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط ٤ = ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص (١٧-١٩).

(٢) فرويد: سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) يهودي الأصل، ولد في المجر عام (١٨٥٦م)، درس الطب في النمسا، ونشر العديد من الأبحاث حول التحليل النفسي، له العديد من الكتب منها الهوا والأنا، والطوطم والتابو، هرب إلى لندن بعد احتلال النازيين لبلاده، وتوفي بها عام (١٩٣٩م). انظر: موسوعة الفلسفة: (٢/ ١٢٢ - ١٢٥)، والطوطم والتابو: ص (٥).

(٣) انظر: حوارات اللاشعور: د. علي الوردي، ص (٣٦).

العقل الباطن، وأصر إلى أنه المنبع الذي تنبثق منه القوة الكامنة، فالمذهب الإنساني يعتقد بأن العقل البشري متجهاً نحو الأسفل، حيث تغور طبقاته الخفية في أعماق النفس^(١).

والحاصل أن الإنسان قد يملك في أعماق عقله الباطن قوى نفاذة تحقق له ما يصبوا إليه، وما العزيمة والإصرار والإرادة التي تصيب الإنسان لتحقيق شيء ما إلا من ذلك القبيل؛ ولكن كل ذلك لا يمكن أن يتحقق إذا لم يصاحبه إعانة الله - **وَعَلَىٰ** - للعبد قبل الفعل وأثناء الفعل، وهي إعانة مصاحبة لتوفيق الله، وإذا فهم هذا الجانب سهّل للإنسان إدراك حقيقة القدر؛ وأن كل ما يحدث له من خير وشر إنما هو من قدر الله له، لكن تجاوز هذا المفهوم إلى مفاهيم فلسفية باطنية يقصد منها استقاء نوع من المعرفة، ويتم تمرير تلك المعارف على أنها معارف باطنية منعكسة على النفس المجردة من المادة بفضل ممارستها للرياضات الروحية، والفناء بالروح عن الجسد، فهذا هو حجر الزاوية، وهنا تكمن الخطورة؛ إذ الولوج إلى مثل هذه الأفكار واعتناق مثل هذه المفاهيم - أعني المفهوم الفلسفي لخوارق العقل الباطن - موطن انزلاق الأقدام، ووسيلة إلى تبني المعتقدات القديمة والداعية إلى تأليه الكون بناءً على موقف الفكر الشرقي القديم منه، ومن نواتج تلك المعتقدات؛ الاعتقاد بوجود ذاكرة كونية، تعرف بحسب التصور الفلسفي الهندي بـ "سجلات أكاشا - Akashic records"، وهذه السجلات ينظر لها على أنها طاقة الحياة الأساسية التي ينبعث منها كل شيء في الوجود، وهذه الطاقة الأثيرية لها خاصية يمكنها حفظ سجلات الكون المعلوماتية، على هيئة ترددات وذبذبات، فكل فكرة لها ذبذبة خاصة بها محفوظة في تلك السجلات، منذ بداية الوجود وحتى نهايته، ولن تزول أبداً، ويمكن للأشخاص دخول المكتبة الكونية وزيارة سجلاتهم وسجلات من يشاؤون عن طريق حالة الوعي، ومن خلال الممارسة التأملية والإسقاط النجمي^{(٢) (٣)}.

(١) نفس المصدر السابق: ص(٣٦-٣٨).

(٢) **الإسقاط النجمي**: مفهوم فلسفي متعلق بنظرية الاهتزاز والذبذبة، مفاده بأنه بمقدور الإنسان مغادرة جسده مغادرة واعية، بمعنى أنه يغادر جسده بواسطة العقل، ويسافر إلى عالم الأرواح من خلال رفع الذبذبات الذاتية، وحتى تتوافق الذبذبات الكونية المنتشرة في عالم الأثير، ويقصد منها اختبار الجسد لأحاسيس ومؤثرات لا يمكن اختبارها في الحياة المادية، انظر: الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: علي محمد عبد الله، ص (٢٧).

(٣) انظر: **الوعي الكوني "أكاشا"**: إعداد: إميل سمعان، "مقال"، متاح على موقع مركز العلاج البديل: للإخصائي الماستر: إميل سمعان: (<http://www.emile4u.com>)، وانظر: **السجلات الأكاشية وكيفية الوصول إليها**: إعداد: محمد إسماعيل، "مقال"، متاح على موقع ما وراء المادة: (<http://www.metaphysicalarabia.com/>).

المبحث الثاني

الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان

وفيه ثلاثة مطالب:

- * **المطلب الأول:** ارتباط الإنسان بالطاقة الكونية.
- * **المطلب الثاني:** مراكز الطاقة الحيوية في جسم الإنسان.
- * **المطلب الثالث:** مفاهيم متعلقة بالطاقة الكونية المرتبطة بجسم الإنسان.



المبحث الثاني

الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان



وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ارتباط الإنسان بالطاقة الكونية.

بحسب المفهوم الفلسفي للطاقة الكونية فقد ارتبط الفكر الإنساني بتلك الطاقة منذ القدم؛ فالظواهر الكونية التي كانت عصية عن التفسير، كانت تفسر من خلال فلسفة الطاقة الكونية، وكانت الشعوب الوثنية ترتبط بتلك الطاقة أو القوة الغيبية، وتتخذها حصناً منيعاً للرد على الأفكار السلبية أو طاقات السحر الأسود، كما أن المعتقد السائد في الفكر الشرقي القديم بأن القوة السارية في الكون هي التي تشفي الإنسان؛ وبالتالي أصبح ذلك الإنسان محوراً هاماً في العملية الاستشفائية، فهو يستقطب الطاقة الكونية ويتحكم فيها، ويوجهها إلى الشخص المريض بغية علاجه وتصحيح الاعتلالات الطارئة في المسارات الشاكرية، كي تندفق الطاقة الكونية أو القوة الغيبية إلى داخل الجسم البشري. ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد؛ بل تجاوز الأمر إلى إرسال تلك الطاقة إلى الأشخاص الآخرين في مشارق الأرض ومغاربها، وأصبح من وجهة نظر هذه الفلسفة إمكانية التواصل والتخاطر مع الأرواح والتنبؤ بالأحداث المستقبلية، وأصبح البحث عن خصائص الإنسان الكوني^(١) هاجساً لكل من تأثر بتلك الفلسفة.

نتعرف من خلال هذا المطلب على المحور الأهم في فلسفة الطاقة الكونية، وهو محور الإنسان، نقف على حدود جسمه، وعلى طبقاته، ونتعرف على المسارات الشاكرية ووظائفها، وتأثير الطاقة الكونية على الإنسان بحسب المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.

(١) الإنسان الكوني: مفهوم فلسفي يدور حول الاعتقاد بوجود إنسان أعلى، يتمتع بمجموعة من القيم الأخلاقية، والسلوكيات المعرفية، التي لا تتقيد بحد، ولا يحددها قيد، منفتحة على الكون الذي هو عبارة عن طاقة محرّكة للكيان الإنساني المتصف بالشمولية والكمال، وهو المبدأ الفاعل في الكون عموماً، وفي الكوكب الأرضي خصوصاً، وسيأتي مزيد من البيان والتوضيح حول هذا الموضوع، راجع المبحث الثاني: المدرسة الإنسانية الكونية من الفصل الثاني من هذه الرسالة، (٢٣٨).

أولاً: الجسم من منظوم فلسفة الطاقة الكونية:

التصور الفلسفي لحقيقة الجسم الإنساني نابع من الفكر الديني القديم، ذلك الفكر الذي يصور العباد المتقين والأولياء الصالحين على أشكال مجسمة، ومن ثم يضع لها أشعة نورانية صادرة من ذلك المجسم كناية عن نورانية أولئك الأشخاص الذين يلهمون الفكر البشري وينورون لهم دروب الحياة. يظهر ذلك جلياً في المعتقدات الهندية التي ترسم الآلهة، ثم تُظهر أشعةً نورانيةً صادرة من أصابع الآلهة، ونفس الأمر يحدث في أماكن ودور العبادات عند البوذيين واليهود والمسيحيين الذي يصورون القديسين والصالحين، ثم يرسمون هالات نورانية حول رؤوسهم^(١).

تطورت الفكرة أكثر، ومع الثورة الصناعية الهائلة التي أحدثت تغييراً كبيراً في الفكر البشري، وأصبح ما هو من قبيل الغيبيات موضع شك، ولا يسلم به إلا بعد خضوعه للدراسة والفحص المختبري، وفي سبيل إثبات حقائق العالم الغيبي الذي لا يمكن للعقل البشري إدراك حقائقه ظهرت أولى الخطوات لاستكشاف ذلك العالم المجهول!، فقد وجد العالم والطبيب "التر كلينر" بأن هنالك إشعاعات غير منظورة يمكن أن تفسر بأنها هي الإحساس، واستدل على ذلك بالذبذبات التي يصدرها العقل الإنساني؛ إذ أن "مخ" الإنسان يبعث أمواجاً كهربائية بمعدل ٢٠٠٠ ذبذبة في الثانية، ولست في صدد إثبات هذه الحقيقة أو ردها، فللقضية علماءها الذين يثبتون تلك النظرية من عدمها، ولكن الأهم في القضية هو استغلال العلم لتمرير الخرافة!

بعد ذلك ظهرت تجارب العالم "بانيال" الذي ذهب إلى إمكانية رؤية الهالة أو ما يعرف بالجسم الأثيري، وذلك من خلال ارتداء نظارة خاصة وتدريب العين، لكن كانت تلك مجرد محاولة، حتى جاء من بعده العالم الكهربائي الروسي "سيمون كيرليان" وأجرى تجاربه من عام ١٩٣٦م إلى عام ١٩٣٩م، وانتهى إلى تصوير الهالة عبر جهاز اخترعه لذلك الغرض، وسمي لاحقاً بجهاز كيرليان.

وحقيقة هذا الجهاز، وعملية تصوير الأجسام ونقلها باختصار من كتاب "الهالة النورانية بين العلم والدين"؛ إذ ناقشت مؤلفة الكتاب حقائق جهاز كيرليان والادعاءات الباطلة التي استند عليها مروجو فلسفة الطاقة الكونية.

جهاز كيرليان هو آلة تصوير مركبة من عدة أجزاء على النحو التالي:

(١) انظر: الهالة النورانية بين العلم والدين: هالة فؤاد الأشرم، الناشر: بدون معلومات، ص ٢١.

○ لوحة موصلة: مصنوعة من مادة معدنية متصلة بمولد كهربائي عالي الجهد والتردد، تعلوها شريحة مصنوعة من مادة عازلة.

○ شريحة فوتوغرافية حساسة "فيلم" إلى أعلى اللوحة الموصلة؛ يتم عليها وضع الجسم المراد تصويره.

وعندما يتم توصيل التيار الكهربائي للآلة، تظهر الهالة حول الجسم المصور في الفجوة الهوائية الموجودة بين الجسم والفيلم.

التفسير العلمي لظهور الهالة الجسمية في جهاز "كيرليان"^(١):

وفق معادلة كهربائية معينة تظهر الهالة المصورة نتيجة لما يسميه العلماء "إشعاع الالكترود البارد - Cold Electron Emission"، وهو إشعاع يحدث نتيجة وجود مجال كهربائي قوي بين لوحين موصلين أحدهما سالب "كاثود - Cathode"، والآخر موجب "أنود - Anode"، وكلما زاد فرق الجهد الكهربائي؛ زادت معها شدة المجال الكهربائي.

الجسم المراد تصويره "سالب"، واللوح المعدني "موجب"، وحين يمر التيار الكهربائي عالي الجهد من المولد؛ فإن فرق الجهد العالي بين الكاثود والأنود، يجعل الكاثود "الطاقة السالبة" يقذف بالكترونات حرة تتسارع نحو الأنود "الطاقة الموجبة"، وفي هذه الأثناء يحصل تأين "تفاعل كيميائي" لذرات الهواء الموجودة بين اللوحين نتيجة تصادم الالكترونات الحرة بذرات الهواء أثناء تسارعها نحو الأنود "الطاقة الموجبة"، مما يحفز الالكترونات الموجودة في المدار الخارجي للذرة حول النواة للانتقال إلى مستويات أعلى من الطاقة، فتبقى فيها لجزء ضئيل من الثانية، قبل أن تعود مرة أخرى لحالتها الأولى مطلقة معها طاقة ضوئية أثناء عودتها لتفريغ جزء من طاقتها الزائدة المكتسبة أثناء انتقالها للمستوى الأعلى من الطاقة.

فالضوء المشع حول الجسم والتي يتم التقاطه عن طريق "جهاز كيرليان" هو عبارة عن تفريغ كهربائي يحدث نتيجة تأين ضوئي للغازات الموجودة حول الجسم المراد تصويره تحت فرق جهد عالي.

(١) ناقشت الدكتورة هالة فؤاد الأشرم هذه المسألة في كتابها "الهالة النورانية بين العلم والدين"، ونقدت القضية نقداً علمياً، وأنا أنقل تلك المناقشة نصاً من كتابها.

ويعتمد لون الضوء الظاهر على نوع الذرات الموجودة في الفجوة الهوائية، ولهذا فإن الضوء الصادر غالباً ما يحتوي على الأشعة فوق البنفسجية الغير مرئية نتيجة لتأين ذرات غاز النيتروجين الموجودة في الهواء الجوي، ومع تغير نوع الغاز يتغير لون الضوء الصادر، وهنالك سبب آخر في تغير لون الضوء وهو اعتماد اللون الصادر على تركيب الشريحة الفوتوغرافية، وعلى مدى استحثاث الأشعة فوق بنفسجية لها، فيتم إشعاع لون معين أو مجموعة من الألوان من درجات الأحمر والأخضر والأزرق.

ومن المفارقات العجيبة حول هذا الجهاز أنه حين يصور الأجسام غير الحية كالمعادن، وهي أجسام موصلة للكهرباء؛ فإنها تظهر إضاءة شديدة، وهي في الأجسام غير الموصلة للكهرباء مثل الأخشاب وغيرها فإنها لا تظهر إضاءة، مع كونها نباتية الأصل، وصادرة من كائنات حية، ولهذا لم يتمكن أحد من تصوير هذه المواد بواسطة "جهاز كيرليان" حتى الآن.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل ما تظهره آلة تصوير كيرليان من هالة ضوئية هي نفسها الـ "aura" أو الهالة النورانية المرسومة في المعابد؟.

الإجابة: بالطبع لا؛ ولا يوجد أي دليل على ذلك، وبالطبع من يدعى أن ما تصوره الآلة هي نفسها الهالة النورانية المقصودة يكون مخطئاً. وذلك لعدة أسباب:

١- الكاميرا لا تُظهر صورة الهالة لكل الأشياء؛ فهي لم تظهر صورة الهالة للمواد رديئة التوصيل للكهرباء مثل قطعة الخشب أو الفلين رغم كونها نباتية الأصل، في حين استطاعت تلك الكاميرا تصوير الهالة لبعض الجمادات مثل المفتاح والعملة المعدنية رغم كونها غير حية، أليست طاقة الحياة (كما يدعون) هي مصدر تلك الهالة؟.

٢- الآلة تحتاج لوسيط غازي لإظهار الصورة، ولهذا فهي لا تعمل في الفراغ، رغم العلم بوجود المجال الكهرومغناطيسي في الفراغ أيضاً، فإذا كانت الهالة النورانية هي محصلة المجالات الكهرومغناطيسية للأجسام العديدة المحيطة بالجسم فلم لا تظهر الآلة الصورة في الفراغ أيضاً.

٣. الصورة تتأثر بعوامل خارجية عدة تتحكم في شدتها ودرجات ألوانها.

٤. الهالة المصورة بالكاميرا لا تعكس حالة الجسم المعاني بل على العكس، فالعلم أثبت أن الجسم المريض بالسرطان يشع طاقة ضوئية أكثر.

٥- الادعاء يؤكد علاقة الهالة النورانية "Aura" بالطاقة الحيوية الكونية الآتية من العالم الأثيري، وهو عالم غيبي غير معلوم لدينا، وهذا متناقض مع ما أثبتته العلم من أن هالة كيرليان المصورة لها

أسباب فيزيائية أخرى، فهي عبارة عن تفريغ كهربائي يحدث نتيجة تأين ضوئي للغازات الموجودة حول الجسم المراد تصويره تحت فرق جهد عالي.

٦. يجب ألا نغفل الطاقة الحيوية الكونية والـ Aura المرسومة حول رؤوس الصالحين ببعض العبادات التي لها مفهوم خاص للإنسان ونظرته للإله والكون.

٧- في صورة آلة تصوير كيرليان لا تظهر طبقات الهالة كما رسمت في مراجع مروجي علوم الطاقة الكونية، ولا تظهر أماكن مراكز الشاكرات السبع الرئيسية على جسم الإنسان بألوانها المختلفة، لأن كل الصور المتعلقة بألوان الطبقات السبع للهالة وكذا أماكن الشاكرات ما هي إلا رسومات توضيحية وليست حقيقية.

٨- التأكيد على أن الطاقة الحيوية الكونية تنشط بتدريبات التأمل والتنفس التي تسمح بدخول وخروج طاقة الـ "برانا" بنوعيتها الـ "ين يانغ" مع الزفير والشهيق، وهو ما ينفى العلاقة بين ما تظهره صورة كاميرا كيرليان من تفريغ كهربائي وبين ما يقصدون^(١).

وإذا كانت فكرة الجسم الأثيري فكرة قديمة؛ فإن الفلاسفة والحكماء قديماً أيضاً كانوا يعتقدون أن رؤية تلك الأجسام وملامستها خصيصة اختصوا بها دون سواهم، فالآلهة وهبتهم تلك القدرة الخارقة، وهم بذلك قسموا الجسم الإنساني إلى قسمين:

جسم مادي مرئي ومحسوس، وهو أكثر الأجسام كثافة وثقلاً.

وجسم طاقي أثيري "بيوبلازمي"^(٢) غير مرئي، وغير مادي، أكثر خفة ولطافة.

ويعتبر هو الجسم التالي للجسم المادي، ويخترق الجسم المادي ويمتد خارجه حوالي أربعة أو خمسة بوصات (١٢,٥ - ١٥ سم)^(٣)، ويعتبر الجسم الأثيري نسخة من الجسم المادي، فما يؤثر على أحدهما يؤثر على الآخر، فهو الناقل المستخدم لتنشيط وتقوية الجسم المادي، وهو الصلة بين الروح

(١) انظر: الهالة النورانية بين العلم والدين: هالة فؤاد الأشرم، ص(٣١-٣٩).

(٢) بيوبلازما: مشتق من "بيو-Bio" التي تعني حياة، و"بلازما-Plasma" التي تعني الحالة الرابعة من حالات المادة، وهذه الحالات هي "الصلبة - السائلة - الغازية"، والرابعة هي "البلازما" تتكون من غاز متأين أو غاز فيه ذرات مشحونة إيجابياً أو سلبياً، ويعني "الجسم البيوبلازمي" الجسم المصنوع من مادة شفافة لا مرئية مصدرها الأثير. انظر: معجزات الشفاء البراني: للمعلم تشوا كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، ص(٢٩).

(٣) انظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،

ط ١ = ٤٣٢هـ - ٢٠١١م، ص(٢٢).

والجسد، ويتصل بالجسم المادي عبر حبل فضي يسمى بالحبل السُّرِّي الروحي، في مقابل الحبل السُّرِّي الذي يربط الجنين بأمه، وبانقطاع هذا الحبل تحدث الوفاة^(١).
الجسم الأثيري جسم غير مرئي ولا يمكن إدراكه، إلا أن ثمة أناسٌ ممن يملكون قدرة عالية على الرؤية من أصحاب الجلاء البصري الذين وهبهم الله كشف البصيرة ورؤية الأشياء الغير ظاهرة للعموم يمكنهم مشاهدته!^(٢)، كما أن لهذا الجسم هالةٌ تدعى بـ "الهالة الأثيرية"، وهي جزءٌ من سبع هالات تحيط بجسم الإنسان، ثلاثة منها متعلقة بالجسم المادي، ويقابلها ثلاثة أخرى متعلقة بالعالم الروحي، وواحدة وسط بينهما متعلقة بالإدراك الحسي، وهذه الهالات التي تحيط بالإنسان هي بمثابة حقول لحفظ الطاقة.

ثانياً: طبقات الجسم الأثيري من منظوم فلسفة الطاقة الكونية:

يدَّعي فلاسفة الطاقة الكونية بأن الجسم الأثيري هو أصل الأجسام^(٣)، وأن الجسم المادي المرئي يتشكَّل بعد الجسم الأثيري، وهذا الجسم يتكون من سبع طبقات، وكل طبقة لها هالة تختص بها، والجسم الأثيري بهالاتها السبعة تتشكَّل بتأثير العقل عليها، إما بصورة مقصودة أو غير مقصودة، فما نراه ونشعر به ونفكر فيه يمكن أن يؤثر على الجسم الأثيري، فالقدرات الكامنة في الإنسان العاطفية منها أو العقلية تتأثر بتأثير الجسم الأثيري إما سلباً أو إيجاباً^(٤).

(١) انظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان: ص(١٨١-١٨٢).

(٢) انظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، ص(١٦).

(٣) الرد على قضية أصل الأجسام وحديث الصادق المصدوق.

(٤) انظر: معجزات الشفاء البرآني: المعلم تشواكوك سوي، ص (٤١)، وفي سبيل إثبات هذه الحقيقة يستشهدون بالطريقة التي تمكَّن فيها يعقوب عليه السلام من التوليد الناجح لقطيعه الخاص، حيث أنَّ يعقوب كان يعمل مع حماه -لابان- لحوالي عشرين سنة، وتاق إلى تأسيس مورد مالي لنفسه، وعقد اتفاق بين لابان ويعقوب بأن كل الماعز التي تولد رقطاء، بلقاء، مخطَّطة وكل الخرفان السود ستكون ليعقوب، وكان لابان رجل أعمال ماكر، فقد عزل ذلك اليوم كل التيوس المخططة البلقاء، وكل العناز الرقطاء والبلقاء، وكل ما هو أسود اللون بين الخرفان، وراثياً سيكون صعباً للغاية إن لم يكن غير محتمل توليد أنواع من العناز والخرفان تعود إليه.

تقول الرواية: أخذ يعقوب لنفسه قضبانا خضراً من شجر الحور واللوز والذلب وقشَّر فيها خطوطاً بيضاء كاشطاً عن البياض الذي على القضبان، وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مساقى الماء حيث كانت الغنم تجيء لتشرب تجاه الغنم، لتتوحَّم عند مجيئها لتشرب، فتوحَّمت الغنم على القضبان، وولدت الغنم مخططات ورقطا وبلقا، وبهذه الطريقة أصبح يعقوب ثرياً جداً!

الطبقة الأولى: الهالة الأثيرية: وهي التي تحيط بالجسم المادي مباشرة وتخرقه بقليل يقارب البوصة أو البوصتين، ويتفاوت لون هذه الطبقة بين الأزرق الفاتح إلى اللون الرمادي.

الطبقة الثانية: الهالة العاطفية أو النجمية: وهي المتعلقة بالعاطفة والشعور، تخترق الجسم المادي وتتعداه ما يقارب ثلاث بوصات تقريباً، وهي أكثر استدارة وضبابية.

الطبقة الثالثة: الهالة العقلية: وهي التي تحوي بنية الإنسان الفكرية، تخترق الجسم المادي من ثلاث بوصات إلى ثمان بوصات تقريباً، وغالباً ما تتلون باللون الأصفر الفاقع.

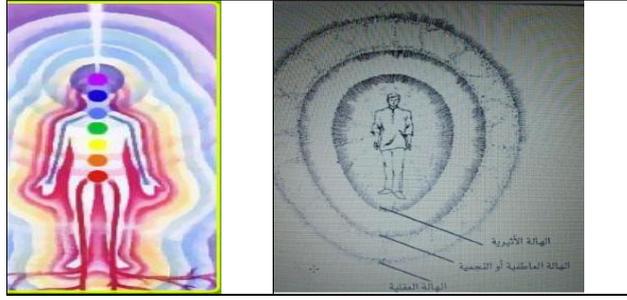
الطبقة الرابعة: الهالة الكوكبية: متعلقة بالحس، فهي مسؤولة عما يحسه الإنسان تجاه الآخرين من تجاذب وتنافر، تمتد هذه الطاقة من نصف القدم إلى القدم حول الجسم المادي.

الطبقة الخامسة: هالة القلب الأثيري: وهي هالة متعلقة بالروح، مسؤولة عن سلامة الجسم الأثيري، والداعم له في حالة المرض، وفي هذه الطبقة يُعالج الخلل من خلال الصوت، تمتد هذه الهالة من القدم والنصف إلى القدمين عن الجسم المادي.

الطبقة السادسة: الهالة المقدسة أو السماوية: هي الهالة العاطفية للمستوى الروحي، وهي مرحلة من النشوة الروحية التي يتوصل إليها الإنسان، فيشعر ارتباطه بالكون، وبوحدته مع الخالق، وتظهر هذه الهالة على شكل أضواء متألئة بألوان زاهية، وتمتد إلى ما يقارب الثلاث أقدام من الجسم المادي.

الطبقة السابعة: الهالة السببية: هي الهالة العقلية للمستوى الروحي، يتوصل الإنسان بوعيه إلى هذا المستوى ويشعر أنه هو والإله شيء واحد!، وهو الشكل البيضاوي الخارجي للهالة البشرية التي تحيط بكافة الجسم، وتمتد هذه الهالة إلى ما يزيد على الثلاثة أقدام عن الجسم المادي^(١).

(١) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص(٦٨ - ٧٣)، والتطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص(٢٣٦-٢٤٠)، وانظر أيضاً: الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١ = ٢٠٠٦م. ص(٢٩)، والكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفانندا، ص(٣٤٤).



الصورة الأولى من كتاب معجزات الشفاء البراني توضح حالات الجسم المادي الثلاث،

بينما الصورة الثانية توضح الجسم المادي ومن حوله الجسم الأثيري وطبقات الهالة السبعة التي تحيط بجسم الإنسان.

هذه هي طبيعة الجسم الأثيري، وبحسب المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية فإن طبيعة الأمراض التي تظهر على الإنسان في الجسم المادي كدليل على اعتلال الجسم الأثيري؛ وبالتالي فإنهم يعتبرون أن الطاقة الكونية في الجسم الأثيري في حالة استنزاف!، وهذا هو تفسيرهم لما يعرف بتقلص الهالة الداخلية للجزء المصاب إلى حوالي (إنشين) أو أقل، وفي هذه الحالة فإنه لا يمكن للجسم المادي أن يتحصل على الشفاء إلا من خلال شفاء الجسم الأثيري؛ لأنه تابع له، وبشفاء الجسم الأثيري يشفى الجسم المادي، وهذا هو ما يطلقون عليه بـ (قانون التآزر^(١))، وهو القانون الذي يفسر العلاقة الحميمة والرابطة الوثيقة بين الجسم الأثيري والجسم المادي، وهذا الذي قادهم إلى تبني فكرة أسبقية الجسم الأثيري في تكوينه على الجسم المادي، ويعد بمثابة قالب أو نموذج للجسم المادي، وهو لا يختلف عنه تماماً، يتطابق معه في كل شيء، فكل خلية في الجسم المادي تقابلها خلية مشابهة لها تماماً في الجسم الأثيري.

وبما أن الجسم الأثيري تشكّل قبل الجسم المادي فإن من مهامه أنه يتحكم بكامل الجسم المادي وأعضائه وأجزائه المختلفة، وهو المسؤول عن أدائها الوظيفي السليم، ولذلك فإنه يتوجب على الجسم الأثيري أن يمتص الطاقة ويوزعها على الجسم المادي، حتى تتمكن وظائف الجسم المادي من العمل بصورة جيدة، وإذا كان هناك أي خلل في الجسم الأثيري، فإن هذا الخلل سيظهر على الجسم المادي، وبالتالي فإن الأمراض التي تظهر على الجسم المادي سببها خلل في وظائف الجسم الأثيري، كما أن انقطاع العلاقة بين الجسم الأثيري والجسم المادي معناها: حصول الموت، وانسلاخ الجسم الأثيري عن الجسم المادي^(٢).

(١) انظر: طاقة الحياة: د. أحمد توفيق حجازي، ص(٢٥).

(٢) نفس المصدر السابق، ص(٢٥).

كيف يتحكم الجسم الأثيري بالجسم المادي؟

يتحكم الجسم الأثيري في الجسم المادي عبر المسارات الشاكرية أو ما يعرف بقنوات الـ"شاكرات"، وهي قنوات متمركزة داخل الجسم المادي، مهمتها إمداد الإنسان بالطاقة الكونية، ويقوم الجسم الأثيري بامتصاص الطاقة بتجلياتها المختلفة، والمنتشرة في الطبيعة، فيوزعها داخل الجسم عبر المسارات الشاكرية، ويقوم الجسم الأثيري من خلال أشعة الصحة وهالات الصحة مقام الوافي الحامي من الأمراض والعلل^(١)، ولذلك فإنَّ الأمراض تظهر بدايةً في الجسم الأثيري، ويمكن منعها من التجلّي والظهور على الجسم المادي، من خلال الملاحظة الاستبصارية، ويدّعي ممارسي الطاقة الكونية مقدرتهم على تحسس الهالة وملاستها، من أجل رؤية المرض في الجسم الأثيري، ومعالجة الخلل!^(٢) ولنأخذ مثلاً على هذا:

لو أن الحنجرة أصابها اعتلال في مادتها الأثيرية البيلوبلازمية؛ فإن هذا الاعتلال يظهر على شكل سعال أو التهاب أو أي مشاكل أخرى متعلقة بالحلقة، فيعمد المعالج إلى استقطاب الطاقة الكونية ومن ثم شحنها في هالة المريض، لتعويض الطاقة المستنزفة من الحلقة، عندئذ سيشفى الحلقة في الجسم الأثيري، ومن ثمَّ يدخل الجسم المادي في مرحلة الشفاء، ولو أنَّ المريض تنبّه للتنظيف الأثيري الذي حصل له في الحلقة وعالج المشكلة من بدايتها لم يكن ليحصل له هذا السعال أو هذا الالتهاب^(٣).

وكما أنَّ الجسم الأثيري يحصل له نزيغ طاقي، كذلك يحصل له تضخم طاقي، بسبب تركز كمية زائدة من الطاقة في منطقة معينة من الجسم، وتبرز الهالة المصابة بالتضخم من حوالي سبعة إنشات أو أكثر إلى حوالي قدمين ونصف أو أكثر.

وفي كلا الحالين فإنَّ الجسم يعاني من انسداد في المسارات الدقيقة أو القنوات الخاصة لشحن الطاقة، وهذا يعني أن الطاقة الكونية لا تستطيع التدفق بحرية وسلاسة إلى داخل وخارج المنطقة المصابة^(٤).

(١) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داوود، ص(٥٦-٥٧)، وانظر: طاقة الحياة: د. أحمد توفيق حجازي، ص(١٣).

(٢) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داوود، ص(٤٠).

(٣) انظر: طاقة الحياة: ص(٢٥)، والشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق: ص(٤٠)، ومعجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داوود، ص(٤٠).

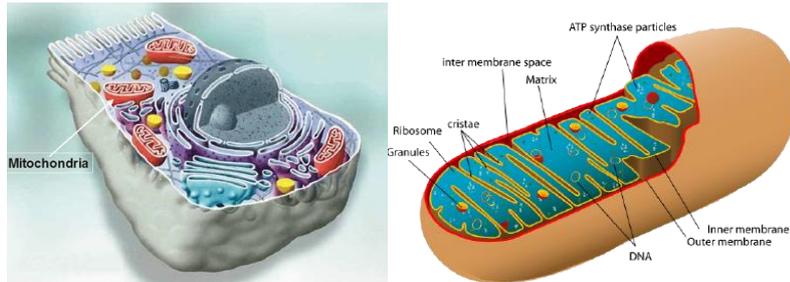
(٤) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ترجمة: باسل ديب داوود، ص(٣٦).

التفسير العلمي لإنتاج الطاقة داخل جسم الإنسان:

يقع الكثيرون في اللبس بين الحقائق العلمية وبين الخرافة والوهم، فيخلطونها بالحقائق العلمية، والسؤال الذي يرد هنا هل على المرء أن يؤمن أولاً ثم يبرهن لمعتقده؟ أم أن الدليل يقوده إلى الحقيقة الإيمانية؟.

إن تطويع الحقائق العلمية من أجل حججة الخرافة والوهم هي من أهم السمات البارزة التي يتصف بها حكماء الطاقة الكونية وفلاسفتها، وإن المطلع على كتبهم وكتاباتهم في العصر الحديث ليجد ذلك بوضوح، وهنا تكمن المشكلة، فـ"كيريان" لم يستطع إثبات الجسم الأثيري وهالاته السبعة، والدعوى تقول أن الجسم الأثيري يتصل بالجسم المادي عبر الحبل السري الفضي الذي يمد الجسم بالطاقة الكونية، وبانقطاع هذا الحبل تحدث الوفاة!.

والحقيقة العلمية أثبتت أن للجسم البشري طاقة، وأن تلك الطاقة يتم انتاجها عبر خلايا الجسم، وهذه الخلايا تحتوي على مولدات للطاقة داخل الخلية تسمى بالـ(ميتوكوندريا - Mitochondria)، والواحدة منها تسمى (ميتوكوندريون - Mitochondrion)، وهي: حويصلات بيضاوية الشكل محاطة بغشائين، وتحتوي على حبات بالغة الصغر، وبعضها تحتوي على خمائر مؤكسدة، تقوم بمهاجمة العوامل المرضية التي تهاجم الخلية فتبطلها عدوانها، وفي حبات أخرى عدد كبير من الإنزيمات^(١) التي توفر الطاقة للخلية من خلال أكسدة المواد الغذائية.



جهاز إنتاج الطاقة في جسم الإنسان

(١) الإنزيم: مفرد جمعه إنزيمات وأنزيمات، "عامل عضوي" في جسم الإنسان، يخرج من الخلايا الحية على شكل إفراز؛ يساعد على حصول التفاعلات الكيميائية داخل جسم الكائن الحي بدون أن يتغير، و"إنزيمات بكتيرية": معاملة إنتاج الإنزيمات. انظر: معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها: د. فانيامبادي عبد الرحيم، ص (٣٨)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة: (١م/١ص/١٢٨).

فمولدات الطاقة الحيوية في جسم الإنسان (ميتوكوندريا - Mitochondria) هي أشبه ما تكون بالبطاريات القابلة لإعادة الشحن؛ إذ تقوم بنسخ نفسها لمواجهة الأخطار والظروف الطارئة التي تهدد الخلية، كما تقوم باستنساخ نفسها عندما تشيخ وقبيل موتها لتستمر الحياة^(١).

لذلك يجب ألا نقع في دائرة اللبس حين يشير البعض الى طاقة "ATP" أو "أدينوسين" ثلاثي الفوسفات الذي يتم إنتاجه في الميتوكوندريا داخل الخلية الحية على أنها نفسها هي الطاقة الحيوية الكونية؛ فهي تختلف في طبيعتها بالتأكيد عن المجال الحيوي الكهرومغناطيسي^(٢)، وكذا عن الطاقة الحيوية الكونية^(٣)، ولذلك نجد أن المهتمين بفلسفة الطاقة الكونية لا يجدون حرجاً في الاستدلال بأي شيء في سبيل الترويج للخرافة والوهم، فهم على مبدأ "آمن ثم فكر"، وفي سبيل إثبات الخرافة يوردون الحقائق العلمية ويطوعونها لتتوافق مع مبادئ فلسفتهم، ولترسيخ المفهوم الديني في الفكر الشرقي القديم والمتمثل في ربط العلاقة الإنسانية بجوهر الحياة، وهي غاية ما يسمو إليه ذلك الفكر، حين يتخطى الإنسان عالمه بحثاً عن العوالم الأخرى لتحقيق النشوة الروحية ومتعة الاتصال بالجوهر الكلي، وما لم يتخطى الإنسان إنسانيته لن يكون بمقدوره إيجاد الجوهر الأساسي للحياة، وسيبقى في دوامة التناسخ، ومصيره أن يكون في عالم الحيوانات فيعيش حياة بهيمية لا طائل منها سوى إشباع الغرائز وتحقيق الشهوة النفسية.

(١) انظر: مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: عبد التواب عبد الله حسين: ص(٩٣-٩٤)، وانظر: طاقة الحياة في جسم

الإنسان: د. أحمد حجازي: ص(٤١).

(٢) هو المجال الذي سبق الإشارة إليه في موضوع تصوير الجسم الأثيري عبر جهاز كيرليان.

(٣) انظر: الهالة النورانية بين العلم والدين: هالة فؤاد الأشرم، ص(٣٩).

المطلب الثاني: مراكز الطاقة الحيوية في جسم الإنسان.

إن قانون التآزر في فلسفة الطاقة الكونية يوحي بأن الإنسان إذا ما واجه أي مشاكل صحية، فإن هذا يعني أن هناك نزفاً طاقياً يحدث لدى الإنسان، وهذا النزف يظهر على الجسم المادي من خلال العوارض الصحية المعتادة، وللدخول في عملية العلاج والشفاء فإنه يستلزم على المريض أن يعوض الطاقة المستنزفة، كما أن لتضخم الطاقة في الجسم تدل على أن المسارات الدقيقة والقنوات الحيوية لا تعمل بشكل جيد، وفي كلا الحالين فإن على المريض أن يستقطب الطاقة الكونية ويشحنها في الحقول الخاصة لحفظ الطاقة والتي تكون في الحالة الأثيرية للجسم الأثيري للمريض، والتي بدورها تقوم بتصدير الطاقة وإخراجها من الجسم الأثيري إلى الجسم المادي.

حقيقة الشاكرات:

كلمة الـ "شاكرات" كلمة هندية سنسكريتية، معناها: عجلة الضوء^(١)، ويسميه ممارسو اليوغا "دوامة الطاقة" أو "عجلات الطاقة"^(٢)، وهناك من يسميه "زهرات اللوتس السبع"^(٣). و"الشاكرة" مفهوم مأخوذ من النصوص الدينية الهندوسية، ويستخدم في طقوس وممارسات العبادة في الهندوسية، وهي قد تعني مولدات الطاقة في الجسم. ويعزو مفهوم الشاكرات وفقاً للطب الهندي التقليدي إلى الدوامات التي تشبه العجلة^(٤).

وفي فلسفة الطاقة الكونية يقصد بالـ "شاكرات" المراكز الحيويّة الدوّارة في الجسم الأثيري، تقابل تماماً تلك الغدد وتلك الشبكات العصبية الهامة في الجسم المادي المرئي، هذه الـ "شاكرات" تتحكم

(١) انظر: المعالجة بالطاقة الحيوية: سليم بك علاء الدين، الناشر: مطابع الدستور التجارية: الأردن، ط ١ = ١٤٢٥ هـ، ص (٤٧)، وانظر: التنويم المغناطيسي من أمحوتب إلى أوباما: ضاحي عثمان، الناشر: دار صرح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠١٠ م، ص (١٧٥).

(٢) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص (٧٨)، وانظر: ألف باء التنوير: أوشو، ص (٩٢).

(٣) انظر: ألف باء التنوير: أوشو، ص (٩٢)، واللوتس: نبات مائي، ذو أوراق كبيرة، وأزهار وردية، لها مكانة مقدسة في أديان الشرق؛ فهي ترمز للتحويل الروحي، فهي تنبت وسط الوحول القذرة، وتحول تلك القذارة إلى عطر، كما حصل لـ "بوذا" و"فيشنو" حين أجلسا على تلك الزهرة. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار، (٢٠٤٤/٣)، وانظر أيضاً: ألف باء التنوير: أوشو، ص ١٣٩.

(٤) انظر: سبعة رقم جوهر في الحياة وظواهر الكون: عبير يونس، "مقال" منشور في جريدة البيان الإماراتية بتاريخ:

بالأعضاء الرئيسية والحيوية في الجسم المادي، وتقوم بعملية شحنها بالطاقة، فهي بمثابة محطات توليد تزود الأعضاء الحيوية والرئيسية بطاقة الحياة.

هذه الـ "شاكرات" منها ماهي رئيسية، ومنها ماهي ثانوية، ومنها ماهي صغيرة، تماماً كالذي في الجسم المادي الذي يملك أعضاء حيوية، وأخرى ثانوية، وبعضها أعضاء صغيرة.

إن نظرية الـ "شاكرات" كما هو واضح من التعريف فإن أصلها سنسكريتي، فهي هندية المنشأ، ومن هذه النظرية استمدت الديانات الهندية تعاليمها وشعائرها، وأصبحت من السمات البارزة في المعتقدات الهندوسية والبوذية، ونتيجة لتخطي تلك الديانات مجتمعها إلى المجتمعات المماثلة لها أصبحت نظرية الـ "شاكرات" سمة بارزة في فلسفة الديانات الشرقية، ولذلك نجد أن الفكر الصيني أيضاً تصور واعتقد بوجود مراكز لحفظ الطاقة حول جسم الإنسان، شأنها شأن الـ "شاكرات"، ترتكز على الوخز بالإبر، تجري الطاقة الكونية من خلالها في الجسم على طول قنوات تعرف بالـ "زواليات"^(١)، وكل قناة توجد فيها مسارات من النقاط، منها نقاط رئيسية، تسمى: (تاكسو لان - Ta Xsu Lan)، ومنها نقاط صغيرة فرعية تسمى (كسيو كسو لان - Xiao Xsu Lan)^(٢)، هذه النقاط مهمتها استقطاب الطاقة الكونية، وتسيرها داخل الجسم عبر مسارات وقنوات دقيقة تجري من خلالها فتغذي الجسم وتنشطه، مشابهة تماماً لتلك المراكز الحيوية الدوارة في نظرية الشاكرات.

نقد فكرة الشاكرات:

إذا كان الفكر الشرقي القديم قد توصل إلى نظرية الاستشفاء بالطاقة الكونية من خلال شحن المسارات الشاكرية، وعرف كيف يتغلب على الأمراض والمشاكل الصحية، ووصل إلى مراحل متقدمة من الراحة والسعادة النفسية، فما الإشكال إذاً في هذا؟!.

حسناً وإذا كان الأمر كذلك فإنه مما يتوجب عليك معرفته هي أن هذه النظرية قائمة على معتقد باطني قائم على أن الكون انبثق من ثنائيي الذكورة والأنوثة^(٣)، وأن هذه الثنائية متولدة من الواحد المطلق، وفي سبيل الوصول والاتحاد بهذا الواحد المطلق يمكن ممارسة عكس عملية نشأة الكون،

(١) انظر: طاقة الحياة: ص(٤٥).

(٢) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشواكوك سوي، ص(١٨).

(٣) تحدثنا عن الثنائيات الكونية في الفكر الشرقي القديم في المطلب الثاني.

وذلك من خلال اتحاد المظهر الأنثوي بالمظهر الذكوري فيحصل عند ذلك النجاة من تكرار المولد والخروج من دوامة تناسخ الأرواح.

كذلك الحال في نظرية الشاكرات ومراكز الطاقة الحيوية، فإن الشاكرات الموزعة على طول الجسم البشري، منها ما يتسم بسماتٍ أنثوية، ومنها ما يتسم بسماتٍ ذكورية، فالمظهر الأنثوي القابع في أسفل العمود الفقري يصعد إلى الأعلى عبر مراكز الطاقة الحيوية إلى المظهر الذكوري المتمركز في أعلى الرأس فتتحد به وينتج عندئذ الاتحاد بالواحد الكلي المطلق، وتتحقق الحلول والاتحاد فيه^(١).

وتتم هذه العملية من خلال ما يعرف في الفلسفة الهندية بالـ(مانترا)، وهي كلمة سنسكريتية تتألف من مقطعين "مان" ومعناها: التفكير، و"ترا" ومعناها: التحرير، فيكون المعنى تحرير الروح والعقل من خلال إصدار بعض الأصوات أو الكلمات والتي من شأنها تساعد في خلق تحول نفسي للإنسان من خلال ربط الآثار الناتجة عن تلك الأصوات مع القنوات الشاكرية الموجودة في الجسم الأثيري، والحقيقة أن تلك الأصوات لست إلا تعويذات تستخدم لاستدعاء الآلهة؛ حيث أن لكل شاكرة إله خاص بها يشرف عليها، تتحد أخيراً بالإله الواحد الكلي الموجود في أعلى الشاكرة^(٢)، كما تساعد هذه التعويذات على الارتقاء بالروح والتحرر من الجسد المليء بالممارسات الشهوانية، والسلوكيات الشيطانية، كما أنها تؤدي إلى توليد طاقة داخلية نفسية كبيرة من خلال التركيز على الـ(مانترا)، وهنا تكمن أهمية الـ(مانترا) إذ أنها تتصف بثلاث صفات:

■ فهي نابضة: ولكي تكون نابضة لا بد وأن تتألف من مقطعين، حتى تتماشى مع

إيقاع التنفس.

■ ذات ترنيمية: فلا بد أن يكون للصوت تذبذبات خاصة بها، متوافقة مع الإيقاع

الكياني الذاتي للنفس، فمن خلال ترتيل هذا الصوت النابض بذبذباته الخاصة به في داخل

النفس، تنسجم مع الكون وتمتزج به في بحر هادئ صامت تسري في خط مستقيم، دون أن

تزعجها أي تذبذبات أخرى، في تدفق لا نهائي عبر الأزل.

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية، لهفاء بنت ناصر الرشيد: ص(٢٤٣-٢٤٤).

(٢) انظر: الكامل في اليوغا، سوامي فشنو ديفاندا: ص(٣٤٧-٣٥١).

▪ **ذات معنى:** المانترا لا تكمن أهميتها في كونها نابضة وذات ترنيمه فحسب، بل ولا بد أن يكون لها معنى، فالمعاني السامية للمانترا! بإيقاعاتها وتذبذباتها، تذهب بالإنسان في صمت تام، لتذوب وتندمج بنشوة في أصل كل الأشياء!^(١).
ومن هنا يتضح لنا حقيقة هذه المانترات وعلاقتها بعملية الاستشفاء والعلاج والتنمية الذاتية، وأن سبل استقطاب الطاقة الكونية ليست إلا طقوس وعبادات هندوسية تأتي في مقدمتها:

❖ الممارسات التأملية، وتقنيات التحكم في التنفس: وهو من أهم العبادات؛ إذ يهدف

المتعبد من خلالها إلى تحصيل الهدف الأعلى وهو الاتحاد بالملق الكلي، وكثيراً ما يقتزن التأمل بأوضاع جسدية مميزة، يبقى عليه العابد لفترات طويلة، ومن هذه الأوضاع ما هو خاص بالأصابع ويسمى المودرا^(٢)، وهو سمة مميزة للهندوس.

❖ الصوم والأنظمة الغذائية: وهو مفهوم تعبدي في الفكر الهندوسي، يعتمد إلى تحديد ما

يأكله الإنسان، وما يجتنبه، وقد يندب السالك إلى تجنب الطعام تماماً في فترات معينة.

❖ الصلاة: وهي عبارة عن تلاوة صامته للصيغ المقدسة "المانترات"، هدفها استدعاء

الآلهة، وأهمها على الإطلاق لفظ "أوم - ॐ - Om" وهو الصوت البدائي الذي يعتقد أن الكون خلق بواسطته^(٣).

بقي أن أشير إلى أن تعويذات المانترا عددها سبعة، وسوف أشير إليها من خلال ربطها بالشاكرات، وربط كل واحدة من هذه الشاكرات السبعة بلون معين، وعنصر خاص بها.
هذه الـ "شاكرات" في الفلسفة الهندية، تقابلها نقاط الوخز في الفلسفة الشرقية الصينية، وتسمى بالـ "زوايات"، وهي اثنتا عشرة نقطة رئيسية، هذه النقاط تشبه تماماً تلك الشاكرات، ووجه الشبه

(١) انظر: أهمية المانترا في التأمل: "مقال"، متاح على موقع طائفة الإنسانية ودين المحبة: (www.ram1ram.com).

(٢) المودرا: مفهوم ديني متعلق بالعقائد الهندوسية، حين يمارس الفرد التأمل؛ فإن من أهم الحركات التي يؤديها هي حركة المودرا، تؤدي بالأصابع، وهي أنواع مختلفة، ولها مسميات منها "يوني مودرا"، و"مها مودرا"، ومنها "يوغا مودرا"، ومفهومها يعني هو الختم على تخزين الطاقة الكونية، وهذا الختم تفسير لحالة السكر المقدس التي تحصل للتأمل حين يستمد الطاقة الكونية إلى داخل جسده، ومن ثم يحميها بالمودرا، إشارة إلى أن الطاقة قد تم احتزانها. انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، ص (١٩٢).

(٣) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص (٨٢-٨٣).

بينهما أن كلاهما يلتقيان في مركز واحد؛ جميع الشاكرات تلتقي عند (شاكرة التاج الرأسية)، وجميع الزوايات تلتقي عند (نقطة التقاء المائة طريق) هذه النقطة هي تماماً موضع شاكرة التاج الرأسية^(١). هذه المراكز الحيوية (الشاكرات) و (الزوايات) هي مراكز رئيسية، وينفرد منها مراكز فرعية ثانوية أخرى، ففي الشاكرات الهندية ثمة واحد وعشرون مركزاً فرعياً تستخدم في العلاج والاستشفاء والتنمية الذاتية وعمليات التأمل والاسترخاء^(٢)، بينما نجد نقاط الوخز لها أيضاً مراكز فرعية موزعة على جسم الإنسان على رأسه و صدره وبطنه تستخدم كنقاط هامة لتنشيط الطاقة الكونية تصل إلى ما مجموعه (٣٦٥) نقطة^(٣).

الشاكرات الرئيسية السبعة وفق الفلسفة الهندية:

ذكرنا أن الشاكرات الرئيسة سبعة، وأن كل واحدة منها تختص بلون معين، وعنصر خاص بها، وصوت محدد لها، وسوف نبين ماهية هذه الشاكرات السبعة وأشكالها وألوانها وعناصرها وأصواتها.

الشاكرة الأولى: شاكرة القاعدة (الجذر) وتعرف أيضاً بالـ(كونداليني):

التسمية الأصلية: شاكرة مولادارا^(٤).

الموقع: تقع هذه الشاكرة أسفل الظهر، وتحديداً أسفل العمود الفقري، عند ما يعرف شرعاً بعَظْمِ عَجَبِ الدَّنْبِ، ويعرف طبياً بمنطقة (العَصْعَص)^(٥).

الوظائف: مركز طاقات العقل المطلقة، ذات القوة الشديدة، والتي تحتوي على المعارف، وأسرار خلق الإنسان، تحتوي على الخلايا الوحيدة في جسم الإنسان التي لا تفنى ولا تبديد، والتي من خلالها يعبر بها الإنسان إلى العالم الآخر عند البعث، كأساس لتركيب الخلق يوم القيامة^(٦).

(١) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشو كوك سوي، ترجمة: د. باسل ديب داوود، ص(١٨).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص(٢٤٨).

(٣) انظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نمر، الناشر: الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط١ = ١٤٢٦ هـ، ص(٢٤-٢٥)،

وانظر: العافية، طريقة المحافظة على الصحة، والحصول على الشفاء من داخلك: حسن البشل، الناشر: دار ابن حزم،

ط١ = ١٤٢٦ هـ، ص(٨٦)، نقلاً عن: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص(٢٤٩).

(٤) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣).

(٥) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص(١٨).

(٦) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص(٢١).

المهام: هذه الشاكرة هي المسؤولة عن الوعي، فهي مصدر القيم والمعرفة والبقاء والمتعة الجسدية، فهي المسؤولة عن التحكم الكامل في تصرفات جسم الإنسان، وعمل أعضائه الداخلية. كما أنه يستطيع من خلال هذه الشاكرة أن يصل بفعله إلى ما يسمى بخوارق العادات والأفعال^(١).



اللون: أحمر^(٢).

العنصر: الأرض^(٣).

صوت المانترا: لام (Lam)^(٤).

المميزات: بما أن هذه الشاكرة تمثل الأرض والعالم المادي، فإن السيطرة عليها معناها السيطرة على القوى المادية الطبيعية، فيستطيع المرء حينئذ الصعود في الهواء دون الخضوع لجاذبية الأرض، كما أنه يستطيع أن ينمي قدراته ومهارته ليدرك حقائق الماضي، وتنبؤات المستقبل، ويتغلب على الأمراض والآلام الجسدية، حينها يسعر بقوة الحياة، والاستقرار والأمان، والإرادة، والولع، والنشاط، والمتعة الجسدية، والطموح وحب المعرفة^(٥).

سلبياتها: سلبيات هذه الشاكرة تكمن في العنف والخوف والإحباط وعدم الوفاء والتسلط واختلالات المتعة الجسدية^(٦).

(١) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبي شاكرا، ص(٧٩)، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص(٢١)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير احمد، ص(١٨).

(٢) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص(٢١)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص(٦٢)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص(١٨)، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص(٦).

(٣) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١ = ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ص (١٥).

(٤) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضًا إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Chakra Mooladhara) (Mantra-Lam Vam Ram Yam)

(٥) انظر: فلسفة اليوغا: لـ(ب. ك. نارايان)، ص(١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص(١٦).

(٦) للاطلاع أكثر. انظر: التخاطر: ص(٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاهة وجمان السيد: ص(٦٢-٦٦)، ومعجزة الشفاء بطاقة الحياة لـ(تشواكوك سوي) ص(٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦-١٠). و أسرار

الشاكرة الثانية: شاكرا العجز أو الشاكرة الوجودية:

التسمية الأصلية: شاكرا سواديستانا^(١).

الموقع: تقع تحت السرة بثلاثة أصابع، وترتبط بالطحال^(٢).

الوظائف: هي المسؤولة عن عمليات الهضم والجهاز الهضمي والجهاز الكلوي^(٣).

المهام: هي مصدر العواطف والطاقات الخلاقة، فهي المسؤولة عن الجانب العاطفي للنفس البشرية، وترمز إلى السعادة والانفتاح على الآخرين والتعاطف معهم، ويلتف حولها كل المشاكل العاطفية من ضعف أو قصور أو مواقف سلبية^(٤).



اللون: برتقالي^(٥).

العنصر: الماء^(٦).

الصوت: فام (Vam)^(٧)

الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص(١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ (ب.ك. نارايان): ص(١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣)، والكامل في اليوغا لـ (سوامي فشنوا ديفانندا: ص(٣٤٧-٣٥١)، والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص(٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك: غادة المعايطه الدلاييح، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١ = ٢٠٠٤م، ص(١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهي نور: ص(٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص(٢٤٥-٢٤٨).

وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣).

(٢) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص ١٨.

(٣) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١.

(٤) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص ٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص ١٨.

(٥) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص ٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص ١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص ٦.

(٦) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، ص ١٥.

(٧) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162)

- Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضاً إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

مميزاتها: تسيطر على المعدة السفلية والكلية من حيث وظائف الجسم المادي، وأما من حيث الجانب الروحي، فإنها تشتمل على ستة أوراق، كل ورقة لها قدرات روحية، يكتسبها الإنسان من خلال السيطرة على هذه الشاكرة، ومنها السيطرة على عناصر الماء والحواس الخمس والشهوة الجنسية والغضب والحرص والطمع والأنانية.

يستطيع الإنسان من خلال هذه السيطرة على هذه الشاكرة المشي على الماء دون خوف من الغرق، والبقاء تحت الماء لفترة طويلة كما يشاء^(١).

سلبياتها: تكمن سلبية شاكرة العجز في القدرة على تحمل مشاعر الآخرين، وحجب الإبداع، كما أنها تتسبب في الكثير من المشاكل الصحية المرتبطة بالوظائف الكلوية^(٢).

الشاكرة الثالثة: شاكرة الضفيرة أو الشبكة الشمسية أو الشكرة الذاتية أو العقل الباطن:

التسمية الأصلية: شاكرة مانبور^(٣).

الموقع: في دائرة البطن، أسفل القفص الصدري وفوق المعدة، وتحديداً أسفل الحجاب الحاجز، وترتبط بالبنيكرياس^(٤).

الوظائف: مركز الأعصاب المتصلة بالجهاز العصبي^(٥).

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Chakra Mooladhara) (Mantra-Lam Vam Ram Yam)

(١) انظر: فلسفة اليوغا: لـ (ب. ك. نارايان)، ص (١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص (٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص (١٦).

(٢) للاطلاع أكثر. انظر: التخاطر: ص (٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاه وجمان السيد: ص (٦٢-٦٦)، ومعجزة

الشفاء بطاقة الحياة لـ (تشواكوك سوي) ص (٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص (٦-١٠). وأسرار

الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص (١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ (ب. ك. نارايان):

ص (١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص (٢٠٣)، والكامل في اليوغا لـ (سوامي فشنوا ديفاندا: ص (٣٤٧-٣٥١)،

والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص (٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك لغادة المعاينة الدلاييح:

ص (١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهي نور: ص (٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص (٢٤٥-٢٤٨).

وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص (٢٠٣).

(٤) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص ١٨.

(٥) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١.

المهام: تعتبر مركز الطاقة الإيجابية، وصدر القوة الشخصية، والصلة بين العقل والعواطف، فهي مركز السلطة، وعند موازنتها فإنها تمنح الإنسان الشعور بالرضى والكمال، وعند اختلالها يشعر بالخوف والغضب وفتور المشاعر^(١).

هي المسؤولة عن حياة الإنسان الذهنية والمتضمنة العادات والطباع والغرائز، وتختص بكثير من الملكات كالإلهام والتخيل والذاكرة والإحساس والحدس.



اللون: أصفر^(٢).

العنصر: النار^(٣).

الصوت: رام (Ram)^(٤).

المميزات: بجانب السيطرة على وظائف الجسم المادي، فإن هذه الشاكرة من الناحية الروحية تحتوي على عشرة أوراق، تمتاز بالسيطرة على عناصر النار، وتمنح الإنسان قدرات حول الذكاء، والانضباط وقوة الشخصية، والثقة في النفس واحترام الذات^(٥).

سلبياتها: تكمن في الخوف من الفشل والجبن، والانهزامية وفقدان الثقة النفسية، والصلابة والعصبية^(٦).

(١) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاکر، ص ٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير احمد، ص ١٨.

(٢) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاه وجمان السيد، ص ٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص ١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص ٦.

(٣) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، ص ١٥.

(٤) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضًا إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara).

(٥) انظر: فلسفة اليوغا: لـ(ب. ك. نارايان)، ص(١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص(١٦).

(٦) للاطلاع أكثر. انظر: التخاطر: ص(٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاه وجمان السيد: ص(٦٢-٦٦)، ومعجزة

الشفاء بطاقة الحياة لـ(تشواكوك سوي) ص(٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦-١٠). و أسرار

الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص(١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ(ب. ك. نارايان):

ص(١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣)، والكمال في اليوغا لـ(سوامي ديفانندا: ص(٣٤٧-٣٥١)،

الشاكرة الرابعة: شاكرا القلب:

التسمية الأصلية: شاكرة أناهاتا^(١).

الموقع: مقابل القلب، وسط القفص الصدري^(٢).

الوظائف: تحافظ على صحة وحيوية الجسم والقلب، فهي المسؤولة عن الوظائف القلبية^(٣).

المهام: تسيطر على نظام المناعة والعواطف الإنسانية العميقة، مثل الحب والرقّة والشفقة والأمانة والعطاء، وهي مصدر القوة والحزم في الإدارة^(٤).

هي المسؤولة عن علاقة الإنسان بربه وخالقه، فهي مركز الروحانيات والحب الصادق والحقيقي الطاهر الذي يخلو من الأنانية والحسد، وهي المؤدية إلى اكتمال الوعي بالحياة، والذوبان في الطبيعة. كما أنّها تربط الجسد والروح والعقل مع بعضهم البعض.

اللون: أخضر^(٥).

العنصر: الهواء^(٦).

الصوت: يام (Yam)^(٧).



والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص(٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك لغادة المعاينة الدلايح: ص(١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهى نمور: ص(٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص(٢٤٥-٢٤٨). وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣).

(٢) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٣) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١.

(٤) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٥) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص٦.

(٦) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، ص١٥.

(٧) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

مميزاتها: من خلال السيطرة على هذه الشاكرة، يستطيع الإنسان السيطرة على عناصر الهواء في العالم المادي، فيستطيع الطيران في الهواء، والدخول في أبدانٍ أخرى، كما أن السيطرة على هذه الشاكرة تجعل الإنسان يظهر بشخصية جذابة، تجعله محبوباً لدى من يصادفه فيشعر بالرضا والإخلاص وحب الذات والآخرين والتعاطف معهم، كما أنها تساهم في نجاح عملية الشفاء من الأمراض^(١).

السلبات: سلبيات هذه الشاكرة تكمن في الخوف والأناية والكرهية والتسرع والطيش والاستياء، وسرعة الغضب والمكر والعجب والقهر. كما أنها تسبب في الكثير من الأمراض القلبية^(٢).

الشاكرة الخامسة: شاكرة الحنجرة أو الشكرة الحلقيّة:

التسمية الأصلية: شاكرة فيشودا^(٣).

الموقع: في أعلى الرقبة من الجهة الأمامية^(٤).

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضاً إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Chakra Mooladhara) (Mantra-Lam Vam Ram Yam) (١) انظر: فلسفة اليوغا: لـ (ب. ك. نارايان)، ص (١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص (٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص (١٦).

(٢) للاطلاع أكثر. انظر: التخاطر: ص (٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاه وجمان السيد: ص (٦٢-٦٦)، ومعجزة الشفاء بطاقة الحياة لـ (تشوا كوك سوي) ص (٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص (٦-١٠). و أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص (١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ (ب. ك. نارايان): ص (١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص (٢٠٣)، والكمال في اليوغا لـ (سوامي فشنوا ديفانندا: ص (٣٤٧-٣٥١)، والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص (٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك لغادة المعايطه الدلاييح: ص (١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهي نمر: ص (٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص (٢٤٥-٢٤٨). وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص (٢٠٣).

(٤) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص ١٨.

الوظائف: ترتبط بالغدة الدرقية، وهي المسؤولة عن الوظائف الحلقية^(١).

المهام: هي المسؤولة عن مهارات الكلام، والسكينة الداخلية والمسؤولية، وهي ترتبط بالإرادة العليا، لأنها تمثل قوة الكلمة، وسلطة التعبير، فهي مصدر للحقيقة^(٢).

كما أنها تعتبر مركز الاتصال مع النفس ومع الآخرين، كما أنها مركز التعبير وخلق الأفكار والكلام والكتابة، وهي مخزن الغضب.

اللون: أزرق سماوي^(٣).

العنصر: الأثير^(٤).

الصوت: هام (Ham)^(٥).

المميزات: تنبع منها ستة عشر ورقة تشبه زهرة اللوتس، والسيطرة عليها معناها: حصول الاستنارة الروحية، فتتكشف له حقائق الكون، فيعرفها حق المعرفة، ويستطيع فهم الرموز الغامضة التي تتضمنها الكتب المقدسة، فيستطيع أن يتحدث في خطاب واضح، ويتصل مع النفس ومع الآخرين بإخلاص وروية^(٦).

سلبياتها: إذا اختل توازن هذه الشاكرة يظهر الغضب والثرثرة والميل إلى الباطل والتبعية والمبالغة في المدح، والشعور بالضعف وعدم القدرة على إبداء الآراء والأفكار، وإخماد المشاعر^(٧).

(١) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١.

(٢) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص ٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير احمد، ص ١٨.

(٣) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص ٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاه وجمان السيد، ص ٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص ١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص ٦.

(٤) انظر: فلسفة البوغا: ب. ك. ناربان، ص ١٥.

(٥) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضًا إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Chakra Mooladhara) (Mantra-Lam Vam Ram Yam)

(٦) انظر: فلسفة البوغا: لـ(ب. ك. ناربان)، ص(١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص(١٦).

(٧) للاطلاع أكثر. انظر: التخاطر: ص(٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاه وجمان السيد: ص(٦٢-٦٦)، ومعجزة الشفاء بطاقة الحياة لـ(تشوا كوك سوي) ص(٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦-١٠). و أسرار الطاقة

الشاكرة السادسة: شاكر العين الثالثة أو الشكرة الجينية:

التسمية الأصلية: شاكرة أجنا^(١).

الموقع: في مركز الجبهة بين الحاجبين^(٢).

المهام: مركز الطاقة الروحية، ومصدر بصيرة الإنسان، ترتبط بالحدس وقوة الإدراك، وتختص بالإبداع، وتطلعات وآمال وأحلام الشخص وطموحاته في الحياة^(٣).

يمكن للإنسان من خلال هذه الشاكرة التنقل بين الماضي والمستقبل، ومن خلالها ينمي قدراته وملكاته الداخلية كالتخاطر والجلء البصري والسمعي والشمي، والطرح الروحي، والتنويم المغناطيسي.



اللون: أزرق نيلي أو بنفسجي^(٤).

العنصر: الوعي^(٥).

الصوت: شام (Sham)^(٦).

الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص(١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ (ب.ك. نارايان): ص(١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣)، والكمال في اليوغا لـ (سوامي فشنوا ديفانندا): ص(٣٤٧-٣٥١)، والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص(٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك لغادة المعاينة الدلايخ: ص(١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهي نمر: ص(٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص(٢٤٥-٢٤٨). وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣).

(٢) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٣) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبي شاكرا، ص٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٤) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص٦.

(٥) انظر: فلسفة اليوغا: ب.ك. نارايان، ص١٥.

(٦) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضاً إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

المميزات: موقع الروح ومركز التأمل، والسيطرة على هذه الشاكرة معناها: اجتياز أشواطٍ طويلة في التقدم الروحي، المتضمن مغفرة الإله ورضوانه، حينها سيصل إلى طريق الروح الموصل لمعرفة الذات، فيتحصل على البديهة والحكمة والشفاء الروحي، والتخاطر والصدق^(١).

السلبيات: تكمن سلبيات هذه الشاكرة في البرودة والكذب وعدم الإحساس وصعوبة التخطيط للمستقبل، بجانب مشاكل صحية تطرأ على الإبصار وعدم الرؤية والصداع^(٢).

الشاكرة السابعة: شاكراتاج أو شكرة النور:

التسمية الأصلية: شاكرة ساها سرارا^(٣).

الموقع: في قمة الرأس وأعلاه، وتظهر جلياً في رأس المولود على شكل تجويفٍ ناعم^(٤).

الوظائف: يرتبط ارتباط وثيق بالعدة النخامية^(٥).

المهام: هي مصدر الروحانية مع الكل، وصلة الوصل بين الإنسان والقوة العقلية والوعي الروحي، وهي مركز الإشراق والحكمة، ومحل المعرفة المطلقة بحقيقة الإنسان وتكوينه.

من خلال هذه الشاكرة يعلم الإنسان كل شيء، ويفهم كل شيء، لا شيء غامض في الحياة، هي شاكرة النور والمعرفة، ومحل التزود بالأفكار العملية، ومركز الاتصال مع العوالم الأخرى، والاتحاد مع الذات الإلهية، هي ليست إلا مظهراً من مظاهر الإله! ^(٦).

اللون: أبيض أو بنفسجي^(٧).



والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara).

(١) انظر: فلسفة اليوغا: لـ(ب. ك. نارايان)، ص(١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص(١٦).

(٢) انظر: علم الطاقة الروحية: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: ص(١٦).

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣).

(٤) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: المهندس كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٥) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١.

(٦) انظر: العلاج بالطاقة الكونية: لبنى شاكر، ص٧٩، والتخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨.

(٧) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص٢١، والاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص٦٢، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: كريم أمير أحمد، ص١٨، وعلم الطاقة الروحية: هند رشدي، ص٦.

العنصر: الكون^(١).

الصوت: أوم (Om)^(٢).

المميزات: السيطرة على هذه الشاكرة ذات الألف ورقة معناها: التغلب على ألم الموت، فبواسطة التأمل يصل الإنسان إلى هذه الشاكرة، وتنفصل روحه عن جسده، فيترك الجسد بدون عناء ومشقة، ليتصل بالعالم الآخر، ويتحد بالواحد الكلي المطلق، بكل تفانٍ وإخلاص، ويتحصل على التنوير والمعرفة، حينها سوف يبذل السلام والمحبة، وتظهر الجمال، ويدرك بأن الحقائق الروحية تفوق الحواس والنفس والعقل والمشاعر، وأنها تصل بالإنسان إلى مراحل متقدمة من الرقي الروحي^(٣).

السليبيات: تكمن سليات هذه الشاكرة في اليأس، والشعور بالإحباط والفشل والضييق^(٤).

هذه هي الشاكرات في الجسم الأثيري، تمتص الطاقة وتحفظها، ومن ثم تقوم بتوزيعها على الجسم عبر مسارات مخصصة لها، بمثابة الأوعية الدموية التي تنقل الدم في الجسم المادي، وتتم هذه العملية من خلال اتباع ثلاث خطوات:

(١) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، ص ١٥.

(٢) انظر: Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely, Page Of (158- 162) - Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.
Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of (236) – Publisher: Bloomsbury – London.

واستمع أيضاً إلى مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

والاستماع إلى هذه المقاطع تساعد على فتح الشاكرات. (Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara).
(٣) انظر: فلسفة اليوغا: لـ(ب. ك. نارايان)، ص(١٥-٢٠)، علم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦)، وأسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد، ص(١٦).
(٤) للاستزادة عن موضوع الشاكرات انظر: التخاطر: ص(٢١-٢٤)، والاستشفاء بالطاقة الحيوية لرفاه وجمان السيد: ص(٦٢-٦٦)، ومعجزة الشفاء بطاقة الحياة لـ(تشوا كوك سوي) ص(٣٧-٥٠)، وعلم الطاقة الروحية لهند صبري: ص(٦-١٠). و أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل للمهندس: كريم أمير أحمد: ص(١٦-٢٥)، وفلسفة اليوغا لـ(ب. ك. نارايان): ص(١٥-٢٠)، وأعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٣)، والكامل في اليوغا لـ(سوامي فشنوا ديفانندا: ص(٣٤٧-٣٥١)، والمعالجة بالطاقة الحيوية لسليم بك علاء الدين: ص(٤٩-٥٠)، والعلاج بالطاقة والماكروبيوتك لغادة المعاينة الدلاييح: ص(١١٢-١١٣)، وطاقة الكون بين يديك لمهي ثمر: ص(٣٦-٣٩)، وكتاب التطبيقات المعاصرة: ص(٢٤٥-٢٤٨).

وانظر أيضاً: مجموعة من مقاطع الفيديو على موقع: (يوتيوب) بعنوان:

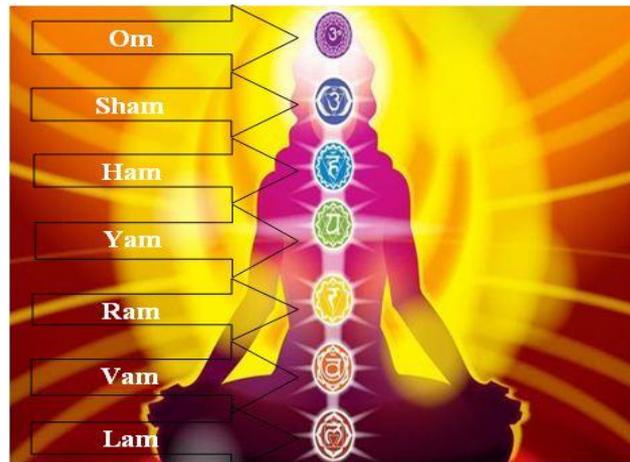
(Mantra-Lam Vam Ram Yam) (Chakra Mooladhara)

تفسر العلاقة بين أصوات المانترا والشاكرات وألوانها.

❖ حركات جسدية تسمى (هاثا يوغا).

❖ تمارين تنفسية، تسمى (برانايااما) تتكون من خلال إصدار أصوات تتكون من مقطعين توافق الإيقاع الداخلي للنفّس، على سبيل المثال: صوت: (لام – Lam)، فهي تتكون من مقطعين: (لا – La) توافق إيقاع الشهيق، و (م – m) توافق إيقاع الزفير، ومن خلال إصدار هذا الصوت تتم تنشيط إحدى الشاكرات.

❖ التأمل والتركيز، وتسمى بـ (راجا يوغا) وهي العملية المتممة للخطوتين السابقتين، ومن خلال التأمل والتركيز مع إصدار أصوات (المانترا)، مصحوبة بحركات جسدية، تتم تنشيط الشاكرات، والوصول إلى مرحلة الوعي وإيقاظ القلب ومن ثمّ الوصول إلى عالم الكشف والذوق، وتحصيل المعارف النورانية والعلوم اللدنية^(١).



هذا ما يتعلق بالشاكرات ومراكز الطاقة الحيوية وفق التصور الهندي القائم على وجود سبع شاكرات في جسم الإنسان، يندمج المظهر الأنتوي القابع في أسفل العمود الفقري، بالمظهر الذكوري الذي يكمن في شاكرات التاج الرأسية، وتجري من خلالها (البرانا) أو الطاقة الحيوية، منتشرة في جميع أرجاء الجسم عبر مسارات دقيقة تسمى (نادي).

وبحسب فلسفة اليوغا الهندية، فإن هذه المسارات مهمتها نقل التيارات الروحية في جسم الإنسان، وهي غير مرئية، فلا يمكن مشاهدتها، وعدد هذه المسارات التي تسمى (نادي) تتراوح ما

(١) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء، ص(٢٠).

بين (٧٢,٠٠٠ - ٣٥٠,٠٠٠) نادي^(١)، وأمام هذا الكم الهائل من المسارات (النادي)، تظهر عشرة مسارات أساسية^(٢)، ومن هذه العشرة تظهر مساران في غاية الأهمية مرتكزان على جانبي الجسم، مسار (بنغالا) على الجانب الأيمن، ومسار (إدّا) على الجانب الأيسر، مهمتهما إدخال الطاقة الكونية من منخر الإنسان، تنطلق (بنغالا) من المنخر الأيمن، حاملة للطاقة الموجبة، بينما تنطلق (إدّا) من المنخر الأيسر، حاملة للطاقة السالبة، ويتشابكان في مسيرهما أربع مرات، ويبلغان إلى نهاية العمود الفقري مركز شاكرا القاعدة (الكونداليني) التي تحتوي على عظم عجب الذنب، لتتحد الطاقة السالبة والموجبة، وتنطلق القوة الروحية وتجري عبر القنوات الحساسة، وتسموا إلى الأعلى^(٣).

وثمة قناة ثالثة لا تختلف أهمية عن سابقتها؛ إنها قناة ترتكز في قمة الرأس، وتدعى (نادي سوشامنا)، ينطلق من قمة الرأس ويصل في خط مستقيم خلف العمود الفقري متجاوزاً كل الشاكرات، ليصل أخيراً إلى مركز شاكرا القاعدة (الكونداليني)^(٤)، وتنشيط هذا النادي يجعل المرء يتعدى حدود الفكر والزمان، بينما تنشيط نادي (إدّا) و(بنغالا) يقيان الإنسان تحت تأثير الزمان والمكان أثناء عملهما، ولذلك كان نادي (سوشامنا) من أهم النوادي، إذ هو الموصل إلى البراهما، ولذلك أطلق عليه لفظ (الطريق نحو الخالق)^(٥).

مفهوم الوخز بالإبر وفق الفلسفة الصينية:

الوخز بالإبر نوع من أنواع العلاج والاستشفاء بالطاقة الكونية، وهي منبثقة من تعاليم الفلسفة الشرقية التي تؤمن بوجود طاقة كونية حيوية يتصل بها الإنسان لتؤثر على صحته وسعادته. لا تختلف فكرة الوخز بالإبر في نقاط معينة حول جسم الإنسان عن فكرة القنوات الشاكرية، فكلها تعتمد على التصور القائم بتدفق الطاقة الكونية من خلال القنوات أو مسارات النقاط، لتغذي الجسم وتنشطه، معتمدةً على قوتين قطبيتين متوازيتين، من شأنهما تأمين الراحة العامة، واختلال هاتين القوتين نتيجة عوامل سوء النظام الغذائي، ينتج عنه أمراض وأعراض، ولذلك فإن

(١) انظر: فلسفة اليوغا: ب. ك. نارايان، ص(١٢).

(٢) انظر: الكامل في اليوغا: سوامي فشنو ديفاندا، ص(٣٤٤).

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٠-٢٠٢).

(٤) انظر: المرجع السابق: ص(٢٠٢).

(٥) انظر: الكامل في اليوغا: ص(٣٤٤-٣٤٥).

الهدف من هذه النقاط هو تنبيه نقاط الوخز، لتسهيل الطاقة عبرها إلى كافة الأعضاء، وتجعل الجسد كالكون منتظماً ومتناغماً، محققة بذلك التوازن المثالي. وستطرق أكثر لفكرة الاستشفاء بنقاط الوخز بالإبر حين نعرض على التطبيقات العلاجية التي تعتمد على الطاقة الكونية.

المطلب الثالث: مفاهيم متعلقة بالطاقة الكونية المرتبطة بجسم الإنسان.

أولاً: مصادر الطاقة الكونية:

- تختلف طرق الاستمداد بحسب نوع الطاقة، وبالتالي يمكن تقسيم الطاقة الكونية إلى قسمين:
- ▶ القسم الأول: طاقة كامنة (ثابتة): وهو ما يسمونه بالطاقة الوراثية، والعوامل المؤثرة فيها ثلاثة:
- (١) العامل الوراثي: وهي الطاقة التي نستمددها من الآباء والأجداد، فمستوى طاقة الآباء أثناء تكون الجنين ونشأته تؤثر سلباً وإيجاباً عليه.
- (٢) العامل الزمني: فطاقة الإنسان الذي ولد في الصيف تختلف عن طاقة الإنسان الذي ولد في الشتاء.
- (٣) العامل المكاني: فالطفل المولود في المدينة تختلف طاقته عن الطفل المولود في القرية أو الصحراء أو الجبل^(١).

- ▶ القسم الثاني: طاقة حركية (مكتسبة)، أي التي اكتسبها من القوة السارية في الكون، والتي تتمثل في كل شيء، فكل شيء طاقة، وتتجلى في صور شتى سبق الإشارة إليها، والطاقة الكونية كلما كانت في تجليها لطيفة كانت غير مرئية، وتأثيرها على الإنسان غير واضح، وكلما كانت مركزة كلما تمثلت بشكل مادي، وكان تأثيرها على الإنسان ظاهر ومحدد، فالمادة ليست إلا مظاهر بنسب مختلفة للطاقة^(٢).

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد: ص(١٢-١٣)، ولا يمكن تبني مثل هذه الآراء، في جو مليء بالمغالطات والخلط بين ما هو حق وباطل، وتسمية تلك الآراء بالحقائق العلمية، دون إيراد الأدلة أو البراهين العقلية، أو حتى المختبرية، ولو استدلل المتأثرون بتلك العلوم بالأدلة العلمية لصحة هذه الافتراضات لكان بالإمكان مناقشة تلك الأدلة، ولكن للأسف الشديد ومن خلال التتبع والعرض للموضوع وخاصة مقالات المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية من الكتاب المسلمين نجد الخلط الشديد، والإبهام العسير، والغموض الذي يلف هذه الفلسفة، والتكلف الشديد في لي أعناق النصوص الشرعية لتتوافق مع تلك الأطروحات، وكثير من القضايا التي ناقشها أولئك الكتاب يحذفون قضايا الوثنية، ويقومون بخلط كلامهم مع النظريات الفيزيائية وغيرها، أو حتى مع النصوص الشرعية، وتلك النصوص والنظريات في واد، وأطروحاتهم في واد آخر، وحين ترجع إلى الكتابات الأصلية بما فيه المترجمة إلى العربية تجد القضايا الوثنية قد تم إيرادها بشكل واضح وجلي، وهي في حقيقتها تلزم الكتاب المسلمين من المتأثرين بالفلسفات القديمة توضيح موقفهم من تلك القضايا، ويزداد الأمر تعقيداً حين يكون الاهتمام بالنتائج التي يتم تحصيلها من ممارسة التطبيقات، دون الالتفات لجوهر تلك التطبيقات، والخلقية العقائدية لها.

(٢) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، ص ١١.

وعطفاً على ما سبق فإن الطاقة الكونية بقسميها تشكلان عدة أنواع من الطاقة في الجسم البشري، وهي على النحو التالي:

- ◆ طاقة جسدية.
- ◆ طاقة نفسية.
- ◆ طاقة عقلية.
- ◆ طاقة روحية.

نخلص إلى أن الطاقة الكونية تنقسم إلى قسمين: طاقة كامنة، وطاقة مكتسبة، ومن خلال تفاعلها تعمل الوظائف البدنية (النفسية والعقلية والجسدية والروحية) بشكل جيد، ويحصل التناغم الكوني، ويعزى إلى الطاقة الداخلية قوة الاستشفاء والصحة والتغلب على الأمراض، بينما تغذي الطاقة الخارجية المسارات الشاكرية المنتشرة في الجسم البشري، فتتدفق إلى داخله وتنساب بلطف وحيوية.

عملية التدفق ليست سهلة؛ بل تعتمد على الاستمرار الباطني والممارسة التأملية الطويلة، ويستلزم نطق الأوراد الخاصة باستدعاء الطاقة الكونية، وهي أوراد مختلفة وردت من بيئات مختلفة، فقد تكون تلك الأوراد خاصة بصيغ المانترا الهندية، أو نابعة من التجربة الشامانية^(١)، أو لها علاقة بالسحر الكابالاياليهودي، وقد تتضمن عملية الاستدعاء مخاطبة الكائنات العلوية التي تتدفق في الكون، أو الكائنات الروحية التي تتجول في العالم الغيبي.

تتدفق الطاقة الكونية المستدعاة من **الكون** إلى **الذات** البشرية، فيتحكم فيها ويوجهها إلى **الآخرين** بغية علاجهم ومساعدتهم.

الكون والذات والآخرين هي أوعية حفظ الطاقة الكونية، فالكون المصدر الأول للطاقة الحيوية، يعرض الإنسان نفسه لأشعة الشمس، ويتنفس الهواء النقي، ويمشي حافياً على الأرض، كما أنه يتحكم فيها من خلال تحسس الطاقة بيده، كل هذه العمليات تزيد من قوة الطاقة لدى جسم

(١) **الشامانية:** واحدة من أهم النسق الاجتماعية السائدة في مختلف أنحاء العالم، تتصف بكونها ظاهرة دينية لدى المجتمعات التي تركز على التدين، وتعتمد على السحر لتمنح معنىً للأحداث ولكي تؤثر فيها، تتميز الشامانية بالاعتقاد بوجود عالم محجوب، وهذا العالم لا يستجيب إلا للشامان الذي يستطيع الوصول إلى ذلك العالم من خلال استخدام السحر والكهانة، انظر: الشامانية، فلسفة للحياة: ميشال بيران، ص (١١)، وموسوعة تاريخ الأديان: فراس السواح، ص (١٥٩)، وقاموس المورد الحديث: منير البعلبكي، ص (١٠٦٤)، ولمعرفة المزيد حول الموضوع يمكن مراجعة المطلب الرابع: تقنية الوجد في الشامانية، ضمن المبحث الثالث من هذا الفصل.

الإنسان، كما يستطيع أن يفعل هذه الطاقة من خلال تنمية القدرات الحسية لديه من خلال زيادة الوعي الحسي بالبيئة المحيطة به، كالتأثر والأصوات والروائح واللمس، فإنها تزيد من فاعلية الطاقة لدى الإنسان.

والذات الإنسانية أيضاً تعتبر وعاءً لحفظ الطاقة المتدفقة من روح الطبيعة؛ ومن خلال التأمل الكوني وممارسة الرياضات الروحية، وتنمية قدراته النفسية وانعكاساتها اللاإرادية يستطيع التحكم على بدنه، فيسيطر على غريزة الجوع والعطش، فيمكث الأيام والليالي من غير طعام ولا شراب. ومن خلال سيطرته على القوة الروحية وتحكمه فيها، يستطيع المعالج الروحاني أن يوجه تلك الطاقة إلى الآخرين بغية مساعدتهم أو علاجهم، وقد تكون تلك المعالجة أو المساعدة لحظية وفي نفس المكان، وقد تكون بعيدة تتخطى حدود الزمان والمكان والقوانين الفيزيائية. ويزعم فلاسفة الطاقة الكونية أن تلك العملية يمكن تحقيقها من خلال استخدام رموز القوة؛ وهي رموز باطنية لا تكاد تجد لها ذكراً في كتب المعالجين الروحانيين، حفاظاً على سرّيتها وقوة تأثيرها، وينصح المختصون بهذه العلوم بأخذها من خلال الدورات التدريبية المتقدمة؛ لأنه لا يمكن الحصول على طاقة الرموز إلا من خلال الاتصال المباشر، وعن طريق اليد مع من لديه "ماستر بالريكي"^(١).

ثانياً: وظائف الطاقة الكونية.

إن فلاسفة الشرق وحكمائها ربطوا المراحل العمرية للإنسان بالطاقة الكونية، وأوعزوا إلى كل مرحلة وظائف تليق بتلك المرحلة، يستطيع الإنسان من خلالها أن يتكيف مع متطلبات المرحلة. المرحلة الأولى: تبدأ هذه المرحلة بعد الميلاد مباشرة، ومتطلبات هذه المرحلة تكمن في إمكانية التحكم البدني، فغاية ما يسمو إليه الإنسان في هذه المرحلة هو أن يملك القدرة على أن يتحكم ببدنه، من خلال ما تعتره من غرائز جبلية أو انعكاسات لاإرادية، كغريزة الجوع والعطش، فيمكن تنمية قدرات الإنسان على التحكم ببدنه من خلال زيادة التواصل مع الطبيعة، وخلق نوع من الحركة

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاة وجمان السيد، ص ٥٧، وقد اجتهدت د. هيفاء الرشيد في كتابها التطبيقات المعاصرة، ونشرت تلك الرموز بعد أن وجدتها في كتاب خشيت مؤلفته من مشكلة ضياع تلك الرموز، مبررة فعلها بأن "الأرواح الهادئة" لا يمكن أن تسمح باستخدام تلك الرموز في الشر، وسيأتي مزيداً من التوضيح والبيان حول تلك الرموز. راجع فصل "تطبيقات الطاقة الكونية" من هذه الرسالة. ص (٤٢٧).

حيثما وجد الجمود، عن طريق تغيير النظام الغذائي، أو التدريبات البدنية، ويكون الهدف من وراء كل ذلك الوصول إلى مستوى أكبر من التكيف!.

المرحلة الثانية: تبدأ هذه المرحلة بعد الميلاد بعدة أيام، ومتطلبات هذه المرحلة تكمن في إمكانية التحكم الحسي، فالإنسان في هذه المرحلة يريد أن يتحسس البيئة المحيطة به، فالعرائز الجبلية والانعكاسات اللاإرادية تفرض عليه أن يتحسس البيئة المحيطة به، ويدرك الأمور المقبولة، فتتطور الإمكانيات، وتتولد لديه القدرة على تمييز الألوان والأصوات والروائح والمذاق واللمس، وكذلك إدراك الأمور المقبولة وغير المقبولة، فيمكن تنمية قدرات الإنسان على التحكم الحسي من خلال تنمية وعي المرء بالبيئة المحيطة به.

المرحلة الثالثة: تبدأ هذه المرحلة بعد الميلاد بعدة أشهر، ومتطلبات هذه المرحلة تكمن في أن يتحكم الإنسان على مشاعره وعواطفه، فمتطلبات المرحلة تفرض عليه أن يطور قدراته نحو مشاعره ووجدانه، كما تفرض عليه أن يميز بين الإعجاب والنفور، والحب والبغض، ويكمن تنمية قدرات الإنسان على التحكم بعواطفه ووجدانه من خلال إيجاد أناس يشاركون الفرد في حياته، ويكون الهدف من وراء ذلك زيادة الاستقرار، وإعطائه مزيداً من فرص التعبير.

المرحلة الرابعة: تبدأ هذه المرحلة من عمر الرابعة تقريباً، وينتقل الإنسان من مرحلة التطور البدني، إلى التطور الفكري، فيتطلع إلى المعرفة، وحب العلم، وطرح الأسئلة، والرغبة في اكتشاف مسببات الأشياء، ولكي يستطيع الإنسان أن ينمي قدراته على التحكم الفكري عليه أن يضع نفسه أمام مزيدٍ من مواقف التحدي، وطرح الأسئلة، وأن يكتشف الأشياء بنفسه مما يؤدي إلى مزيد من وضوح الرؤية ونفاذ البصيرة.

المرحلة الخامسة: تبدأ هذه المرحلة في عمر السادسة تقريباً، ولكنها تظهر بوضوح في سن المراهقة، ومتطلبات هذه المرحلة تكمن في الرغبة النفسية بالتشبه بالآخرين، ومن ثم تظهر الرغبة في الاختلاف عنهم، فتتطلع النفس إلى الاستقلال، فالطفل في عمر السادسة تراه يقلد والديه في كل شيء، ويتشبه بهم، وفي مرحلة تالية خلال سنوات المراهقة يتطلع إلى الاستقلال وبناء الأسرة والتفاعل مع المجتمع، ويمكن تنمية قدرات الإنسان على التحكم الاجتماعي المؤدي إلى تعميق الشعور بالتعطف، من خلال حث النفس على مساعدة الآخرين، وبذل الخير لهم، وكذلك حث النفس على الزواج وبناء الأسرة.

المرحلة السادسة: تبدأ هذه المرحلة في سن العشرين، وفي هذا المرحلة تظهر تطلع الإنسان إلى التفكير الديني والوعي الروحي وحب العدالة والقدرة على فهم الخير والشر والخطأ والصواب والتمييز بينهما، وذلك من منظور فلسفي، ويمكن تنمية قدرات الإنسان على التفكير الصحيح للتدين، والتحكم الروحي من خلال خلق تحديات اجتماعية، والاستفادة من مواقف الفشل، والتخلي عن العادات السيئة والسلبية، ولو افترضنا أن هناك ظاهرة اجتماعية تمثل تحدياً للمجتمع، وهذه الظاهرة تتصارع بين الخير والشر أو بين الخطأ والصواب؛ فالإنسان من خلال هذه الظاهرة يمكن أن ينمي قدراته حول التفكير الصحيح، فيصل إلى نتيجة حتمية حول هذا الصراع، ويمكن أن يفشل؛ وفشله لا يعني نهاية الطريق، بل يمكنه الاستفادة من فشله فيعاود التفكير مرة أخرى لعله يصل في النهاية إلى النتيجة، كل ذلك يؤدي إلى رفع مستوى الوعي الروحي.

المرحلة السابعة: وتبدأ هذه المرحلة بعد أن يجتاز المرحلة السابقة؛ ويكون قد تحصل على القدرة على فهم الخير والشر، وحصل على الحقائق النورانية، وعادة ما يكون الإنسان في المرحلة في سن الأربعين، وفي هذه المرحلة يسعى إلى إدراك الحب المطلق للكون، والرغبة في التوصل إلى توحيد كل العناصر المتضادة ظاهرياً، وإلى فهم كل العناصر اللازمة للحياة، ويمكن توظيف قدرات الإنسان وطاقاته من خلال الاهتمام بالإشارات التحذيرية البدنية والعاطفية، والتحكم في غريزة التسامي، والعلو في التعامل الإنساني مع الذات أولاً، ومع الآخر ثانياً، عن طريق دراسة (الين واليانغ)، وفهم نظام الحياة^(١).

إن الإنسان إذا ما نجح في توظيف الطاقة الكونية خلال مراحل حياته على نفسه؛ فإنه سيصل في النهاية إلى توحيد جميع عناصر الكون، فيتحول البغض إلى حب، والعداوة إلى صداقة، والمرض إلى صحة، والتعاسة إلى سعادة، وإذا ما وصل إلى هذه النهاية فإنه يكون قد حقق التوحيد!، وحصلت له الانعتاق والحرية، وتغلب على المخاوف، وتحصل على السلامة النفسية، والسعادة الأبدية، ويكون بذلك قد حصل له الإيمان المطلق!.

هذه هي وظائف الطاقة الكونية، وهي مرتبطة بالمراحل العمرية لجسم الإنسان، ولا سبيل إلى توظيف هذه الطاقة إلا من خلال اتباع قوانين الطاقة الكونية.

(١) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء: ص(١١-١٣).

ثالثاً: قوانين الطاقة الكونية:

إن الإنسان خلال مراحل حياته العمرية إذا ما طبق ووظف الطاقة الكونية في نفسه، وتعرف كيف يتحكم بها على صحته ومشاعره وسلوكه فإنه سيكون إنساناً قوياً ببدنه، صحيحاً بفكره، واعياً بروحه، وإذا ما حصل أي خلل في وظائف الجسم بسبب عدم التحكم على الطاقة؛ فإن الأمراض ستداهمه، فيعتل جسده، ويتشوش فكره، وإذا ما أراد لنفسه صحة جسده، وسلامة نفسه، وتحصل له السعادة الأبدية، فإنه لا سبيل له إلى ذلك إلا من خلال اتباع قوانين الطاقة الكونية.

إن معالجة النفس والجسد لا يمكن إلا من خلال قانونين أساسيين للشفاء بالطاقة:

١- قانون الشفاء الذاتي.

٢- قانون طاقة الحياة.

قانون الشفاء الذاتي:

معناه أن جسم الإنسان قادر على شفاء نفسه، فإذا أصيب الجسم بجروح أو حروق؛ فإن الجسم يعالج نفسه ويشفى في غضون أيام قليلة، حتى ولو لم يستخدم أي مضاداً حيوياً للجرح أو للحرق، وهو قانون أزلني طبيعي لا يتغير، كامن في نفس كل حي، وداخل كل خلية تتحرك وتعيش، وأي شيء يحرك تلك الخلية؟، القوة الحية الخالقة الكائنة في تلك الخلية!، وهي قوة طبيعية مقدسة، يعم الكل، ويشمل الجميع، لا فرق بين خلية وأخرى^(١).

وتكمن أهمية هذا القانون أنه وقائي؛ ينشأ الفرد وفي عقله وعي بالإيجاء الذاتي، حتى تصبح متغلغلة الجذور في وجدانه وعقله، وبذلك يعيش حياة طبيعية هادئة، ومنسجمة مع طبيعة الوجود والبيئة، وأفضل طريق لتجسيد هذا القانون هو من خلال ممارسة الـ"يوجا"، وعبر التقنيات العقلية ومنح النفس الثقة المطلقة، والثقة بالقوة المودعة في النفس، والإرادة الكامنة في العقل، ومن ثم تظهر قوة الشفاء الذاتي، وهي قوة منحت للأنبياء والمرسلين والقديسين، والإنسان مثلهم في تلك القوة، والأمر فقط يحتاج إلى استخدام الثقة^(٢).

(١) انظر: اليوجا - علاج وشفاء: د. عباس المسيري، الناشر: مكتبة الأنجلو، القاهرة، مصر، ط (بدون) تاريخ النشر: (بدون)، ص (١٥).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق: ص(١٦).

قانون طاقة الحياة:

معناه: أن الجسم المصاب لا بد أن يمتلك طاقة الحياة حتى تتم عملية الشفاء، وانعدام هذه الطاقة يعني عدم قابلية الجسم للشفاء.

وطريقة العلاج أنه يتم رفع طاقة الحياة إلى المنطقة المصابة، لكونها أصيبت بنزف طاقي، فيتم شحن المنطقة المصابة بالطاقة، وتتم عملية المعالجة!.

وعطفاً على تلك القوانين فإن ثمة تأثيرات ينسبها أولئك المهتمون بفلسفة الطاقة الكونية إليها، ويزعمون أن للطاقة الكونية قدرات عالية في التغلب على الأمراض والأسقام، والشفاء منها، وأنها مصدر من مصادر السعادة الأبدية والراحة النفسية والقوة الجسدية، وأن الإنسان بما يمتلك من اتجاهات متعددة، عقلية كانت أو جسدية أو روحية، وما تحتوي هذه الاتجاهات من شعور فكري وعاطفي ووجداني، وما يترتب عليه من سلوك بدني، لا يستطيع هذا الإنسان أن يتحكم فيها ويسيطر عليها إلا من خلال ممارسة تطبيقات الطاقة الكونية، وهي بذاتها تؤثر عليه، وتجعله منسجماً معها، وتمكنه من أن يتحكم في اتجاهاته وتصرفاته، كأنها في بوتقة واحدة، فيتحد العقل والروح والجسد في سبيل الوصول إلى الجوهر العظيم والاتحاد به!، عندها تنكشف له أسرار الحياة.

ويمكننا أن نلخص تأثيرات الطاقة الكونية على الإنسان وفق النقاط التالية:

✓ الطاقة الكونية مصدر من مصادر سعادة الإنسان، فمن خلال ممارسة الرياضات الروحية كالاسترخاء والتأمل والتنفس العميق، يمكن للإنسان أن ينعق من القوى الشريرة ويتحد بالجوهر العظيم، ويحصل على رضاه ومغفرته، وهذه هي السعادة الحقيقية والهدف الأسمى من الوجود!.

✓ الطاقة الكونية تؤدي إلى السعادة، من خلال التوازن والاعتدال بين العقل والجسد والروح، وهذا يجعل الإنسان متكاملًا، شافيًا وسعيدًا، يتحكم في مشاعره وعواطفه، وتقوي المناعة الجسدية والنفسية والعقلية، وتحسّن من قدرات الإنسان في الفهم والذكاء وتحسين الذاكرة، كما تساهم في إزالة التوتر والقلق والاضطراب.

✓ الطاقة الكونية مصدر للقوة الجسدية، فمن خلال الرياضات الروحية يحصل للإنسان ملكة وقوة جسدية تمكنه من التغلب على شهوات الحياة، فهي قوة لا تقهر؛ وقوة الروح

أقوى من قوة الجسد، ومن خلال ممارسة بعض التطبيقات كاليوغا والكونغ فو والطايجي شوان يستطيع أن يمتلك القوة الجسدية.

✓ من خلال الطاقة الكونية يستطيع الإنسان أن يصل إلى مرحلة خرق العادات، فالإنسان يمتلك في داخله طاقة هائلة، وإذا ما استطاع توظيفها بشكل جيد فإنه يمكنه أن يخرق العادات فيستطيع المشي على الماء وعلى الجمر والطيران في الهواء!.

✓ ربط علماء الطاقة الكونية الظواهر الطبيعية بحياة الإنسان وجعلوها مؤثرة فيها، فراقبوا دوران الشمس وحركة القمر، ولاحظوا الأبراج السماوية والنجوم السيارة، وحركة البحار وما تعثر بها من ظاهرتي المد والجزر، وقالوا إنها تؤثر في حياة الإنسان، وبنوا عليها أفكارهم ومعتقداتهم.

✓ من خلال ممارسة تطبيقات الطاقة الكونية يتحصل الإنسان على التربية العقلية والفكرية، وتحصل له الاستنارة الداخلية، وهذا لا يتم إلا من خلال السيادة على النفس أولاً، ثم من خلال اكتساب التوازن الكامل بممارسة التربية الذهنية والجسدية وتنمية الإرادة والنشاط والإيحاء الذاتي^(١).

✓ نسب بعض علماء المسلمين^(٢) إلى أسماء الله الحسنى طاقة شفائية كبيرة لعدد من الأمراض، فنسب إلى كل اسم من أسمائه الحسنى طاقة تحفز الجهاز المناعي للإنسان، وتجعله يعمل بكفاءة عالية، كما أنه من خلال تقنية الرنين اكتشف أن مجرد ذكر اسم من أسماء الله الحسنى يؤدي إلى تحسين في مسارات الطاقة الحيوية في جسم الإنسان^(٣).

(١) انظر: التخاطر: يوسف الشرفاء: ص(٢٨).

(٢) هو الدكتور والمهندس المصري إبراهيم كريم، مؤسس علم التشكيل الهندسي الحيوي (البايوجيوميتري)، ومؤسس الموقع الرسمي لدراسات وأبحاث البايوجيوميتري، أنظر: (<http://www.biogeometry.com>).

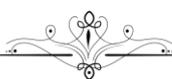
(٣) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية، د.رفاه السيد، م.جمان السيد: ص(٣٥).

المبحث الثالث

الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية

وفيه تمهيد وأحد عشر مطلباً:

- * المطلب الأول: التصور الفلسفي للكون.
- * المطلب الثاني: عبودية الطبيعة في الفكر الشرقي القديم.
- * المطلب الثالث: الشعائر والرموز في العقائد الروحية القديمة.
- * المطلب الرابع: تقنية الوجد عند الشامانية.
- * المطلب الخامس: نظرية الـ"تاو" عند "لاو" تزه.
- * المطلب السادس: فلسفة التغير في الفكر الصيني القديم.
- * المطلب السابع: فلسفة "أوبانيشاد" في الفكر الفيدي الهندي القديم.
- * المطلب الثامن: نظرية الـ"نيرفانا" عند "سيدهارتا غوتاما".
- * المطلب التاسع: الرؤيا الكونية عند هرمس.
- * المطلب العاشر: المعرفة الباطنية.
- * المطلب الحادي عشر: نظرية المثل عند "أفلاطون".



المبحث الثالث

الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية



وفيه تمهيد وأحد عشر مطلباً:

تمهيد:

نتيجة للتصورات الفلسفية التي كانت سائدة في الفكر القديم، والتي سنتعرف عليها من خلال هذا المبحث، ومحاولة الإنسان فهم قضية الوجود، فإن هذه القضية قد أثرت كثيراً في التوجه الفكري للفلاسفة، بل إن جل المعتقدات السائدة في الديانات الشرقية أو التصورات الفلسفية اليونانية نابعة من فهمهم لقضية الوجود، وهذا الأمر أدى إلى ظهور العديد من التصورات الفكرية نحو ذات القضية، وحين تجتمع تلك التصورات المختلفة في بوتقة واحدة وتحت إطار فلسفي، يدعي روادها فهمهم لحقيقة الطبيعة والكون والإنسان، ومن ثمّ تصبح فلسفة شاملة ومدرسة ذات منهج متكامل، لتحل محل الدين والمعتقد، فتقدم للمتأثرين بها قالباً مزيجاً من أطروحات متعددة وثقافات متباينة، وتزعم أن القوالب الدينية إنما نبعت في بيئات لها ظروفها، ونشئت لحاجة البشرية إليها، ومع التقدم العلمي والثورة الصناعية في العالم الحديث أصبحت البشرية في حاجة إلى صياغة فلسفة شاملة للحياة!، ولم يكن ثمة حل إلا بالرجوع إلى أساطير الأولين وخرافات الأقدمين!.

إن دراسة فلسفة الطاقة الكونية وبيان حقيقتها يقودنا إلى ربط الحقائق بعضها مع بعض، وجمعها في إطار واحد؛ لفهم المنطلق والقاعدة التي استند عليها الفلاسفة في دراستهم لحقيقة الوجود. وإن المتأمل في النظريات الفلسفية التي قدمها أولئك الفلاسفة ليجد أن منطلقهم كانت نحو فهم العالم غير المحسوس أو العالم الميتافيزيقي، والبحث عن الإله في ذلك العالم!، والقاعدة التي انطلقوا منها تكمن في إشكالية عدم فهمهم لحقيقة التوحيد؛ وأن الانحراف الفكري في فهم حقيقة التوحيد يعد سابقة في تاريخ البشرية، فالفلاسفة من خلال الأطروحات التي قدموها للبشرية لم تكن إلا دعوة للتوحد مع الطبيعة، والاندماج مع الكون، تحت غطاء قوة إلهية مقدسة، فهم فهموا حقيقة التوحد، ولم يفهموا حقيقة التوحيد مع الله والذي يعني بالدرجة الأولى الاستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين؛

وإلا لم يكن ثمة حاجة في إرسال الرسل والأنبياء ومواصلة الدعوة إلى توحيد الله بدلاً عن دعاوي التوحيد مع الإله أو بمعنى أصح مع "الجوهر الكلي" في الطبيعة أو العالم الروحي.

إن دراسة الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية مهمة وتقودنا معرفتنا لتلك الجذور إلى نتائج حتمية تبين لنا خطورة الاعتماد على الفكر البشري واستقلالته أو تقديمه على نور الوحي الإلهي، وأن كل المحاولات الفلسفية التي ناقشت حقيقة الوجود والمبدأ والغاية والمصير ليست إلا رجماً بالغيب وتخريصاً بالظن، وهي محاولات بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية، فضلاً عن كونها تستند على مستند من الحجة والبرهان.

ولقد تعددت الجذور الفكرية، وتطورت من بيئة لأخرى، ومن مجتمع لآخر، واستطاع مفكرو الشرق وفلاسفة الغرب من صياغة العديد من التصورات حول حقيقة الوجود والمبدأ والغاية والمصير، بعضهم انطلق من منطلق التدين الفطري المغروز في النفس، وبعضهم انطلق من تقديسه للذات الإنسانية وتحررها الفكري والنفسي، وأن الذات الإنسانية لها من الخصائص ما يجعلها قادرة على الخلق والتدبير.

المطلب الأول: التصور الفلسفي للكون في الفكر الشرقي القديم.

التصور الفلسفي للكون في الفكر الشرقي القديم ظهر كنتيجة حتمية للإيمان بوحدة الوجود، وهذا التأمل الفلسفي يمثل النصف الآخر من النتاج الفكري للتصورات الدينية للفكر القديم، بل إن التأمل الفلسفي للكون كان هو المنطلق نحو التأصيل لفلسفة الطاقة الكونية.

لقد كان للتأمل الكوني دور كبير في محاولة استكشاف العالم الغيبي (الميتافيزيقي)، وحاول الإنسان قديماً أن يصل إلى الحقيقة الإلهية بناءً على المعطيات التي كانت متوفرة لديه، وهي في مجملها لا تكاد تخلو من كونها موروثات شعبية، نسجت من وحي الخيال أساطير وصفتهم بكونهم آلهة، أو أنصاف آلهة، أو كائنات حلت فيهم الآلهة. تناقلتها الأجيال عبر الزمن، ونتج عن ذلك فلسفة ذات طبيعة روحانية، تدعو إلى ضرورة الاهتمام بالأخلاق والقيم والفضائل، وعالجت السلوك الإنساني بناءً على إيمانها بمبدأ الثواب والعقاب الديني^(١).

إن حقيقة التصور الفكري للكون قائم على مشكلة أزلية ونظرة بشرية قاصرة تنظر للكون على أنه قديم قائم بذاته، وأنه لم يزل موجوداً منذ الأزل، وعطفاً على عقيدة وحدة الوجود فإن الكون في أصله كان "كل" واحد، لا مرئي ولا شكل له، وليس له بداية ولا نهاية، ثم شاءت إرادة الخالق^(٢) فقسم العالم إلى نصفين، تكونت منها ثنائيات متوازنة، هذه الثنائيات تقوم على فكرة قيام مبدئين أو أصلين متناقضين متعارضين وراء مظاهر الوجود، يظهران إما متناحرين متصارعين يهدف كل واحد منهما إلى إلغاء دور الآخر، وهو ما يسمى بـ(الثنوية الكونية)، تدفع بالإنسان نحو نهاية محتومة عبر ثلاث مراحل: مرحلة العصر الذهبي للخليفة قبل أن يعدو الشر على الخير، ثم تأتي مرحلة الامتزاج بين الخير والشر ويبدأ الصراع بينهما، ثم تأتي مرحلة الفصل والقضاء نهائياً على الشر لكي يعود العالم طيباً ونقياً كما كان عند ذلك ترتقي النفس البشرية من مرحلة الوجود المادي إلى مرحلة الوجود الروحي وتتحد بالكائن الكلي المطلق.

وإما أن يظهر متعاونين متكاملين ولا قيام لأحدهما بدون الآخر، وهو ما يسمى بـ(القطبية)، وهو لا يتضمن معنى الصراع بقدر ما يتضمن معنى التكامل والتعاون، فالقطبية قائمة على ثنائية

(١) ليس إلا لتنظيم الأمور الحياتية. وعقيدة تناسخ الأرواح أكبر دليل على ذلك، فالأرواح لا تتحد بالمطلق الأسمى إلا بعد أن تحقق رغباتها الدنيوية.

(٢) تصور أساطير الخلق في الفكر الشرقي القديم على أن الخالق الذي قسم العالم إلى نصفين كان متواجداً داخل الكون!، ثم شاءت إرادته فقسم الكون إلى نصفين أو ما يعرف بالبيضة الكونية، فتشكل العالم بسماؤه وأرضه وكائناته.

أصلية متعارضة و متناقضة، يكمل كل واحد منهما دور الآخر، ومن خلال تفاعلها تنشأ مظاهر الوجود المادي والحيوي وبهما تستمر، ومن خلال الموازنة بينهما واستقطابها ترتقي النفس البشرية من المادية الى الروحية، ومن الانحطاط إلى الفضيلة، لتتحد في النهاية بالكائن الكلي المطلق وتحل فيه^(١). وسواءً كانت هذه الثنائيات متصارعة أو متعاونة، فإنها ستصل في نهاية المطاف إلى نتيجة حتمية وهو استمرارية الحياة والكون والعالم لضمان استمرارية (الكل الواحد)، ولا بد للإنسان أن يسعى لإيجاد التوازن بين هذه الثنائيات في حياته ليصل للسعادة الأبدية والراحة النفسية، ويصل في النهاية إلى مرحلة الاتحاد بالكل الواحد المطلق، ويساعده في ذلك تأملات خاصة ورياضات روحية، وأنظمة حمية غذائية، وتمارين استمداد الطاقة الكونية.

هذه الثنائيات تشكل ركيزتين أساسيتين في فلسفة الديانات القديمة التي نشأت في الشرق، نجد ثنائية (القطبية الكونية) في أعظم تجلياتها عند قدماء الصينيين وفي المعتقدات الهندية، وفي تلك الحضارات التي نشأت في بلاد الرافدين، وفي مصر مهد الفراعنة. بينما نجد أن ثنائية (الثنوية الكونية) في أعظم صورها تجلت لدى الزرادشتية المجوسية والمناوية، ولدى أتباع المدرسة الغنوصية^(٢) بشتى فرقها ومذاهبها.

الثنائيات الكونية في الفكر الشرقي القديم:

لقد أصبحت فكرة الثنائيات الكونية طابع وركيزة أساسية قامت عليها فلسفة الديانات الشرقية القديمة، والتي بنت عليها جلّ معتقداتها وعباداتها، وترتبت عليها طقوسها الدينية وشعائرها الروحية، داعية الإنسان إلى استقطاب الطاقة الكونية من خلال الموازنة بين الثنائيات الكونية. وفي هذه الفقرة نسلط الضوء على هذه الثنائيات بشقيها القطبي والثنوي، وكيف تشكلت واستطاعت أن تصوغ جملة من التصورات والمعتقدات حول الكون ونشأته لدى مختلف الحضارات والديانات الشرقية من أقصاها إلى أدناها.

(١) انظر: الرحمن والشيطان؛ الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية: فراس السواح، الناشر: دار علماء الدين، دمشق، سوريا، ص (١١-١٥).

(٢) الغنوصية: مفهوم فلسفي انتقائي، يضم العديد من المبادئ المنتقاة من تجارب البشر من مختلف الحضارات حول المعرفة الباطنية، والكلمة يونانية الأصل تعني "المعرفة الحدسية، الباطنة، أو البصيرة، يعتمد على المنهج الإشراقي في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم والموقف منه، يصل لأن يكون اكتساباً بلا واسطة. انظر: الغنوصية وموقف الإسلام منها: هدى المالكي، ص (٢٠).

✽ ثنائية "ين ☯ يانغ" القطبيتين، وأنها منشأ المحسوسات:

على هذه الثنائية يقوم الفكر الصيني منذ أقدم الأزمنة بالنظر إلى الحياة والإنسان والوجود بأكمله على أنه نتاج قوتين ساريتين في كل مظاهر الوجود، وأبعد من ذلك فإن الصينيين يعتقدون بأن هذه الطاقة هي الحقيقة المطلقة وهي واجبة الوجود، هي التي تمنح الحياة لكل الكائنات في الكون. تشكلت هذه الثنائية لدى الصينيين القدماء عندما تحدثوا عن نشأة الكون والخلق وتصوروا العالم الوجودي وقالوا: بأن هذا العالم مرَّ بأطوارٍ متعددة قبل أن تتحدد معالمه التي نألفه اليوم. كان الطور الأول متمثلاً في الوجود الفوضوي أو العدم، ثم تولّد من العدم، ومن خلال حركات تحويلية تلقائية ظهر أول شكل من أشكال الوجود. إنه الـ"تاو" مبدأ كل الأشياء وجوهرها وطبيعتها الذاتية ومحركها، "التاو مجرد عن الاسم، عار عن الصفات، هو بداية كل الأشياء، وبداية البدايات، هو ليس شيئاً، هو بداية الأشياء^(١)" الـ"تاو" هو القوة الكامنة في الأشياء، تلك القوة السارية في الموجودات، والتي تعطى الحركة والسكون، ومن خلال هذا الوجود الأولي ظهر ما يعرف بالـ(تشي) الطاقة الروحية، ومن الـ(تشي) وتدخل قوتي السلب والإيجاب الـ"ين ☯ يانغ"، وتفاعلهما بالعناصر الخمسة^(٢) تنشأ المحسوسات^(٣).

✽ ثنائية (بنغالا) و(إدّا) القطبيتين، ومن خلال تفاعلها تسلسل الخلق:

ثم إننا نجد أن نفس التصور الصيني للخلق ونشأة الكون وجد عند الهندوس، فالهندوس عندما تصوروا نشأة الكون والخلق قالوا: "بأن الكون كان مغموراً في غيابة الظلام، ولا يمكن إدراكه، وخالياً من كل وصفٍ مميز، لا يستطيع تصوره بالعقل، ولا بالوحي، كأنه في سباتٍ عميق، وانقضى على

(١) انظر: كتاب التاو للاوتسه، ترجمة ودراسة: هادي العلوي: ص(١٥-٢٠).

(٢) العناصر الخمسة هي: النار والماء والخشب والمعدن والأرض، هذه العناصر الخمسة تمثل دائرة متناسقة ومتكاملة، والعنصر الذي يخلق شيئاً، تجذ العنصر الآخر يدمره، وسيأتي مزيداً من الإيضاح حول هذه الفلسفة من خلال المباحث القادمة بحول الله.

(٣) انظر: تاريخ الفكر الصيني لـ (آن شينغ)، ترجمة د. محمد حمود، ص(٣٠٣-٣٠٣)، وانظر: كتاب التاو، لـ (لاو - تزو)، صياغة عربية للنص: فراس السواح: ص (٩)، وانظر أيضاً: التخاطر (خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية): يوسف الشرفاء، ص (١١-١٥)، وانظر أيضاً: كتاب الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال، ص(١٣)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: (٢٧/٤).

هذا أمدٌ طويل، ثم تعلقت إرادة المولى الموجود بذاته ^(١) الذي لا تدركه الأبصار، فجعل هذا العالم مرئياً، ثم اقتضت حكمة (براهما) الذي لا يدركه إلا العقل أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة، فأوجد الماء أولاً، ووضع فيه جرثومةً، فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب، وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة (براهما) ملايين السنين، ثم ما لبث أن قسم (الكائن الكلي براهما) البيضة نصفين، فخلق من أحدهما الجنة، ومن الثاني الأرض والسماء وما بينهما والكائنات ^(٢). فـ(براهما) هذا هو الإله الخالق الموجد والمدبر، مانح الحياة، القوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء، وتولدت عنه (البرانا) ^(٣)، "ثم إنَّ (البرانا) الروح الكوني تشكل بالشكل الإنساني ثم خاف من وحدته فقسم نفسه قسمين: قسم بقي على حاله، والقسم الآخر تحوّل إلى امرأة فكانت هذه المرأة زوجته ومن تلك الساعة ومن خلال تفاعلات القطبين تسلسل خلق الإنسان" ^(٤). هذه الثنائية هي التفسير الوحيد لما يسميه الهندوس وعلماء اليوغا قطبي الـ(برانا)، قطب (بنغالا) الإيجابي، وقطب (إدّا) السلبي، ومن خلال الموازنة بين هذين القطبين يتمكن اليوغي من استمداد الطاقة الكونية، وهنالك العديد من التقنيات التنفسية في فلسفة اليوغا تساعد على استمداد الـ"برانا"، عبر الشهيق والزفير.

✽ الثنائيات التي تشكلت في معتقدات حضارات الشرق الأدنى من بلاد الشام وما بين النهرين:

تشكلت في الشرق الأدنى ثنائيات قطبية بناءً على تصورهم للكون وعبادتهم للقوى الطبيعية، وإن الناظر إلى تلك الثنائيات يجد أنها تفسير طبيعي للحالة الكونية وتغيراتها الطبيعية وتناوب فصولها، ولكن القوم ربطوها برابط العقيدة.

(١) هذا المولى الموجود يذكرون أن اسمه (برميشور)، وهو الذي خلق (برهما)، خلقه من مادة التكوين مع أنه روح الله الأزلية، وإليه ترجع الأرواح السفلية، و(براهما) كان مخلوقاً ثم انقلب فصار خالقاً، فخلق الجنة والأرض والسماء وما بينهما، وخلق سائر الطبقات الأربع، البراهمة من فمه، وأخرج من عضده طائفة (الكشترى)، ومن فخذة أخرج طائفة (الويشيا)، وأخيراً أخرج من رجله الطائفة المنبوذة (الشودرا). انظر: فصول في أديان الهند ص: (١٠١).

(٢) انظر: قوانين منو: الباب الأول (٥١-٥٢) نقلاً عن: فصول في أديان الهند لضياء الرحمن الأعظمي: ص(١٠٠-١٠٣)، وانظر أيضاً: مقارنة الأديان: أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد شليبي ص: ٤٩-٥١، وانظر أيضاً: مجلة ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، سبتمبر (١٩٥٦م)، بعنوان "الأساطير الهندوسية عن الكون وخلقته": ص ٣٧، (بدون مؤلف).

(٣) انظر: كتاب (براهما ستر) باللغة الهندية. (راجع).

(٤) انظر: مقارنة الأديان للدكتور أحمد شليبي ص ٥٢، وانظر أيضاً: أعمدة اليوغا الثمانية: ص(٢٠٠).

في بلاد الشام مهد الحضارة الفينيقية^(١) وموطن الكنعانيين^(٢) نجد أنهم يقررون بأن (إيل) هو الإله الأكبر خالق العالم، هو العادل الحكيم الذي يحاول أن يجعل العدالة تسيطر بين جميع الآلهة، ومنه انبثقت جميع الآلهة فهو أبو بقية الآلهة، ومن تلك الآلهة (بعل) و(موت) اللذين يجسدان ظاهرة الخصب والجفاف، في صراع دائم بينهما ولا غنى لأحدهما عن الآخر، وإذا ما غلب أحدهما الآخر وسقط فإنه يعود بعد فترة وجيزة إلى الحياة فيدعوه إلى منازلته، ويستمر الصراع بينهما من أجل أن تستمر الحياة الطبيعية في دورتها وتناوب فصولها ودورات الخصب والجفاف فيها، "وما الصراع الشكلي بينهما إلا من قبيل تناوب قوتي الـ"ين" (☉) يانغ" في التاوية^(٣)".

ونجد أيضاً أن لتلك الثنائيات القطبية حضوراً واسعاً في المعتقدات السائدة في بلاد ما بين النهرين، نجد أن الحضارة السومرية^(٤) والبابلية^(٥) بنت معتقداتها وتصوراتها للكون ونشأته بناءً على تلك الثنائيات القطبية.

(١) فينيقيا: أمة سامية عاشت على الساحل الشرقي للبحر المتوسط جاءوا على هيئة هجرات وفدت من الجنوب الشرقي من بابل أو الخليج العربي. ظهورها كأمة تجارية منذ سنة ١٦٠٠ ق.م، من أبرز إنجازاتهم إنشاء المحطات البحرية، وبناء المدن على السواحل، كما أنهم برعوا في الاستعانة بالنجوم في أسفارهم ليلاً. انظر: المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: محمد محمود محمد، ص (٣٣).

(٢) كنعان: هو سام بن نوح، وإليه ينسب الكنعانيون، وهم جيل من الناس انقرضوا، كانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية، وموطنهم من أرض الشام، فيه كان يعقوب بن إسحاق عليه السلام ومنه خرج إخوة يوسف بأخيهم يوسف، بينها وبين مصر ثمانون فرسخاً. انظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي، الروض المعطار في خبر الأقطار: الحميري، ص (٤٩٦)، تاج العروس (٢٦٦/ص ٥٦).

(٣) انظر: الرحمن والشيطان لفراس السواح: ص(١٣)، وانظر: الفلسفة في الشرق: بول ماسون - أورسيل، ترجمة: محمد يوسف موسى، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ص(٤٥-٤٦).

(٤) سومر: تطلق على الأراضي التي أطلق عليها بعد (٢٠٠٠) عام ق.م بلاد بابل، وهي أراضي ما بين النهرين "دجلة" و"الفرات"، ويشكل أغلبها اليوم جزءاً من دولة العراق الحديثة، وتحققت في الجنوب منها الحضارة السومرية في الألفية الرابعة ق.م، وتحديدًا عند مصب النهرين، فقد أسسوا مدناً لهم، كانت تعتبر ممالك مستقلة يفصل بينها مستنقعات مائية، ولا يعرف الكثير عنهم. انظر: الحضارات الأولى؛ الأصول والأساطير: علين دانيال، ترجمة: سعيد الغانمي، ص (٥٤-٥٥)، وتاريخ حضارة وادي الرافدين: أحمد سوسة، ص (٥٤٩).

(٥) بابل: بكسر الباء، مدينة بالعراق، تقع جنوب بغداد، بين النهرين، وهي إلى الفرات أقرب، ومنها الكوفة والحلة، ينسب إليها السحر والخمر، يقال إن أول من سكنها هو نوح عليه السلام، وهو أول من عمرها، وكان قد نزلها بعد الطوفان، فسار هو ومن خرج معه من السفينة إليها لطلب الدّفء، فأقاموا بها وتناسلوا فيها وكثروا من بعد نوح، وملكوها عليهم ملوكا، وابتنوا بها المدائن، واتصلت مساكنهم بدجلة والفرات، وموضعهم الآن يقال له سواد العراق، وحدائقها كانت

وتتلخص أفكار السومريين حول آلهة كلية مطلقة لها من الصفات الأزلية ما جعلتها تخلق الكون، فهي الآلهة الأم ويزعمون أن اسمها (نمو)، وهي كانت ساكنة، ثم تحركت، وبدافع الحركة والسكون ظهر إله السماء واسمه (آن)، وآلهة الأرض واسمها (كي)، وكانا ملتصقين متعانقين، وبفضل تعاونهما وتفاعلهما سكبت الأمطار من السماء إلى الأرض فظهر الإله (إنليل) سيد الهواء ونفَسَ الحياة الذي كان في بدايته يسبح في مساحة ضيقة بين السماء والأرض، ولكنه لم يطق نفسه في هذا المكان الضيق، فقام بقوته الخارقة بفصل أبيه (آن) عن أمه (كي)، فرفع أبيه إلى الأعلى فصار سماءً، وبسط الثانية فصارت أرضاً، وأصبح الآن يجري ويرتع بينهما في هذا الكون الواسع ويمد العالم بالحياة والاستمرارية.

بينما نجد أن الفكر البابلي بنى تصوره لنشأة الخلق والكون على نفس هذه الثنائية، تقول أسطورة الخلق البابلية: في البدء لم يكن هناك سماء ولا أرض، لم يكن في الوجود سوى العماء المائي، فمبدأ الوجود الأولي لدي البابليين هي المياه الأولى وهي أزلية خلقت نفسها بنفسها!، ومن هذه العماء المائي الأولي تولدت عنصرين تمثلان بمثابة عنصر الذكورة والأنوثة، عنصر الذكورة يمثلها الإله (أبسو)، وعنصر الأنوثة تمثلها الآلهة (تيامة)، فأبسو يمثل محيط العالم السفلي، و(تيامة) تمثل العماء المائي، لقد كانا مادة الكون الأولية الحية، متحدتين ومشاركين في الوجود مثل الروح والجسد، ولقد احتوى هذا التكوين المركب على جميع العناصر، تلك العناصر التي استخدمت فيما بعد لصنع الكون و تشكيله^(١).

✽ ثنائية (شو) و(تفنوت) القطبيتين عند قدماء المصريين، وبهما انتظم العالم:

يتصور قدماء المصريين الكون بأنه لم يكن في البداية ثمة شيء، لم يكن سوى اللاوجود أو الفوضى ذاتها، لم تكن إلا كتلة لم تتشكل بعد، وبداخلها بذرة الحياة الكامنة، هذه الكتلة جسدها المصريون في الإله (نون) الذي أطلقوا عليه اسم (الواحد القديم) و (المبدأ الأول)، وبطريقة ما انبثق من (نون) إله

إحدى عجائب الدنيا، وآثارها لا زالت باقية. انظر: معجم البلدان: (٣٠٩/١)، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: عاتق البلادي، ص (٣٩).

(١) انظر: أساطير بابل وكنعان: شارل فيروللو، تعريب: ماجد خير بك، الناشر: مطبعة الكاتب العربي، دمشق، سوريا، ط ٢=١٩٩٠م، ص(٢٠)، وانظر: أساطير الآلهة في بلاد الرافدين: ناجح المعموري، الناشر: دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ط ١=٢٠٠٦م، ص(١٠)، وانظر: كلكماش الإنسان والخلود: عبد الحكيم ذنون/ منشورات المنارة، بيروت - دمشق، ط ١=١٩٩٦م، ص(٩-١٠).

الشمس (رع) الذي بدأ يرسل أشعته الذهبية إلى الأرض، هذه الأشعة التي تحمل في طياتها نفس المادة الإلهية لـ(رع)، اعتلت تلاً أو حجراً مديباً يسمى (بنبن)، في هذا التل ومن فوق قمته بدأ الوجود الذاتي للإله (أتوم) وهو الكامل المطلق الذي أتى إلى الوجود بنفسه، وهو الأقدم والأزلي، كما أنه الأوحى المتفرد بذاته، الحاكم على كل الآلهة الأخرى، سيد الجميع.

ومن (أتوم) انبثقت الثنائية القطبية (شو) و(تفنوت)، فعندما عطس (أتوم) خرج من الهواء الخارج منه (شو) وهو يمثل رب الجفاف، ومن الرذاذ المتطاير من عطسة (أتوم) خرجت (تفنوت) وهي تمثل ربة الرطوبة، وبهما انتظم العالم ومنهما تسلسل الوجود وانبثقت جميع الآلهة^(١).

ومجمل القول؛ فإن بذرة الحياة الكامنة يتم تفسيرها على أنها مبدأ القوة الفعالة للناس والآلهة، وهي التي تحول الجسد إلى شيء لا يفنى، فتتيح للمتوفي أن يظهر على شكل روح (الباه)، وإما على شكل عقل (آخ)، ويظل العقل سماوياً، أما الروح فتعود وتبعث الحياة في التماثيل والمومياء متنقلة بين السماء والأرض^(٢).

وفكرة الثنائيات الكونية القطبية في الفكر الشرقي القديم هي فكرة يتم من خلالها بناء الموقف الفلسفي للكون، ويكمن دور الإنسان من خلال تحقيق الموازنة بين تلك الثنائيات، كي يصل إلى السعادة والصحة الأبدية، والحصول على أسرار الحياة وإكسيريها، وهي لا تتأني إلا من خلال نظرة الفكر الشرقي القديم للمعبود، وهي نظرة تقرر بوجود قوة إلهية سارية في الكون، قد انبثقت من الجوهر الكلي.

* ثنائية "الخير" و "الشر" أو "النور" و "الظلام" الثنوية التي تشكلت في المعتقدات الفارسية:

تشكلت فكرة الثنائية الكونية (الثنوية) لدى المعتقدات الفارسية من خلال تصورهم لنشأة الكون؛ فالثنوية هو المذهب السائد لدى الفارسيين، ومنها نشأت معتقداتهم على اختلاف بسيط حول

(١) انظر: ربّ الثورة (أوزيريس) وعقيدة الخلود في مصر القديمة: سيد القمني، من إصدارات المركز المصري لبحوث الحضارة، ط ٢ = ١٩٩٩م، ص(٩٦)، وانظر: الفكر الشرقي القديم: د. جمال المرزوقي، ص(٧٧)، وانظر: قصة الديانات: سليمان مظهر، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط "بدون" = ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص(٢٠-٢١)، وانظر: الديانات الوضعية المنقرضة - موسوعة الأديان: محمد العربي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ص (١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر: الفلسفة في الشرق: بول ماسون - أورسيل: ترجمة: محمد يوسف موسى، الناشر: دار المعارف: ص (٥٧-٥٩)، وانظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي، الناشر: دار الآفاق العربية، ط ١ = ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ص(١٦٩).

أصلية هذين المبدئين، فالزرادشتية لا ترى بأصلية هذين المبدئين، فهما ليسا أزليين بل حادثين ومتولدين عن الإله الأزلي الواحد القديم الذي يسمونه (زرفان)، ومن (زرفان) تولد إله الخير والنور واسمه (أهورمزدا)، وإله الشر والظلام واسمه (أهريمان)، وهما في حالة صراع دائم منذ صدورهما، وإن كانا متساويين في القيمة النسبية وفي علاقتهما بالوجود^(١).

بينما ترى المانوية بأصلية هذين المبدئين وبأزليتهما وباستقلالهما وتعارضهما، لكل منهما عالمه وسلطانه المطلق على العالم الذي يحكمه، ولم يحصل الصراع بينهما إلا بعد أن عدت الظلمة على النور، الأمر الذي أدى إلى هزيمة النور وابتلاع الظلام للإنسان الأول (أهور مزدا)، ثم خرج بعد ذلك كائن آخر يعرف بالروح الحي (ميهريازرد - الاله ميثرا) لمحاربة قوى الظلام الشيطانية، ومن جلد هذ القوى صنعت السماوات، ومن عظامها كانت الجبال، ومن لحمها كانت الأرض، وعندما تحقق الروح الانعتاق بواسطة الزهد فإنها تصعد إلى الفردوس الجديد الذي يحكمه الإنسان الأول. والنتيجة في كلا المذهبين واحدة وهي الوصول إلى مرحلة الفصل بين الخير والشر والنور والظلام، والقضاء نهائياً على قوى الشر والظلام، كي يبلغ العالم نهايته السعيدة، عندها تتحرر كل ومضات النور التي سجت في المادة، ويعود الجسد الإنساني كله إلى الجنة، أما الذين لم يتيسر لهم الانعتاق الكامل فإنهم يخضعون للميلاد من جديد^(٢).

✽ ثنائية "الخير" و "الشر" في الفكر الغنوصي:

تعتقد الغنوصية بوجود خالقين للعالم، ذلك لأن العالم مادة، والمادة شر بطبيعتها، ولا يمكن لإله الخير أن يخلق الشر، أو يكون مسؤولاً عن وجوده، لذلك تؤمن هذه الطائفة بوجود خالقين الأول وهو الخالق الأعلى واحد قديم أزلي هو إله الأنوار الأعلى، ثم إنه خلق إلهاً أدنى منه مرتبة وهو قام

(١) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط "بدون" = ١٤٠٤هـ، (٢م/ص ٤٢)، وانظر: الرحمن والشيطان: فراس السواح، ص(١٢)، وانظر: الأديان الوضعية المنقرضة: محمد العربي، ص(٢٠٨-٢٣٤).

(٢) انظر: الفصل في الملل والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (١م/ص ٣٧)، وانظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: (٢م/ص ٤٩)، وانظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، الناشر: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٩٣م، ص(٩٠-٩٧)، وانظر: الأديان الوضعية المنقرضة: محمد العربي، ص(٢٠٨-٢٣٤)، والرحمن والشيطان؛ الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانة المشرقية: فراس السواح، ص (١١-١٢).

بدوره بخلق العالم المادي، والإنسان الذي وجد في عالم المادة الشريرة عليه أن يخلص نفسه من هذه المادية، لأن الروح في صراع وتعارض دائم مع الجسد، وهذا لن يكون إلا من خلال مجاهدة النفس وتربيتها على التزهد والتقشف، وعبر ممارسات رياضية روحية، لكي تصل إلى عالم الأسرار الخفية، ومعرفة أصل الروح ومصدرها الحقيقي، ليحل في نهاية الأمر بالإله النوراني خالق الخير^(١).

ومجمل القول؛ فإن فكرة الصراع الكوني فكرة استطاعت أن تؤسس للمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية؛ ذلك لأنها تقرر بأزلية ذلك الصراع، من أجل ديمومة الكون، وعطفاً على ذلك فقد رتبت طقوسها الدينية، وشعائرها الروحية، وموقف الإنسان من ذلك الصراع يتمحور حول اختياره لأحد قطبي الصراع، فهو من يقرر إن كان يريد الانضمام إلى الخير أو إلى الشر، وفي كلا الحالتين؛ فإن هنالك قانون الجزاء والحساب، والإنسان نفسه في صراع دائم بين الجسد والروح، وهو حين يتخلص من جسده فيختار طريق العرفان المفضي إلى الاتحاد بالإله الأعلى^(٢)، كما أن هذا الإله ليس إلهاً ذاتياً؛ وإنما هو "الخير المطلق" كما يسميه "أفلوطين".



(١) انظر: الرحمن والشیطان؛ التنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانة المشرقية: فراس السواح، ص (١١، ٢٠٣-٢١٢).
 (٢) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص (١٥٣-١٥٤)، وانظر أيضاً: الرحمن والشیطان: فراس السواح، ص ١٥،
 والموسوعة الميسرة: إشراف د. مانع الجهني: ص ١١٠٤.

المطلب الثاني: عبودية الطبيعة في الفكر الشرقي القديم.

إن المتأمل في التسلسل التاريخي للفكر الشرقي القديم ليدرك كيف أن ذلك الفكر استطاع أن يؤثر في نفوس أتباعه، وينقلهم من التوحيد إلى التوحد في الطبيعة والكون، ومن عبادة الخالق إلى عبادة المخلوق، في تدرج خطير انتقل بالبشرية من التوحيد إلى الشرك عبر الأجيال، خطوة تعقبها خطوة، بدءاً بالتصوير ومروراً بتعظيمها وانتهاءً بعبادتها؛ إما لاتخاذها قرى وزلفى إلى الله، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾^(١)، وإما إنكاراً للخالق - ﷻ - ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٢).

وكانت النتيجة والمحصلة أن بُعدت النفس البشرية عن نور الهدي الإلهي، وضلت الصراط المستقيم والمنهج القويم؛ فاتخذت لنفسها ديناً من صنع يديها، ذلك لأن النفس لا تستغني عن الدين، والإنسان بلا دين كالورقة في مهب الريح، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ﴾^(٣).

لقد كان الدين المنتحل عبارة عن مزيج من الثقافات الموروثة والعقائد المتداولة، يحاكي واقع الناس في سلوكهم وأخلاقهم وتنظيم حياتهم من خلال مبدأ الثواب والعقاب والجزاء الدنيوي، ولا يوجد أي تصور عن قضية البعث والنشور واليوم الآخر، اللهم إلا تقارير تجعل من البعث قضية محتزلة ضمن الإطار الخيالي، والمتمثل في الخلود الروحي، والتنعم بالحديث مع الكائنات الإلهية.

وبما أن النفس مفطورة على الخضوع لكائن أعلى، يظهر ذلك بوضوح حال الافتقار والشدائد، ولسد هذه الثغرة الغائرة في تلك الديانات توجهوا إلى الطبيعة واتخذوها معبودة لهم، خوفاً منها وإحساسهم بروعة المجهول، واختلفت مظاهر التعبد من إقليم لإقليم؛ فالإقليم الذي يحتاج الناس فيه لأشعة الشمس اتخذوا من الشمس معبودة لهم، والإقليم الذي ارتوى من نبع ماء أو نهر أو غير ذلك، وبنى حضارته على ذلك النبع أو ذلك النهر؛ اتخذ من الماء معبوداً له، وظن أنها تؤثر في

(١) سورة الزمر: الآية (٣).

(٢) سورة التوبة: الآية (٣١).

(٣) سورة الحج: الآية (٣١).

حياته، والإقليم الذي كان الناس فيه متأثرين بصنف من حيوان أو شجر نتيجة منفعتهم من تلك الأصناف اتخذوها أرباباً لهم من دون الله^(١).

كما أنه كان هناك اعتقاد سائد في تلك الديانات بأن لكل مادة في هذا الكون لها روح، وأن الإنسان إذا ما استطاع أن يستحوذ على هذه الروح من خلال تأدية بعض الطقوس والشعائر، فإنه سيتمكن من استخدامها والانتفاع بها^(٢)، ولهذا ظهرت فكرة (الطوطم)^(٣)، التي تفسر العلاقة الحميمة بين القبيلة والجماعة الإنسانية الواحدة وبين الطبيعة عبر عالم الأرواح، إذ تتخذ كل قبيلة أو جماعة لنفسها حيواناً مسالماً يؤكل لحمه، أو تتخذ من الأشجار أو من القوى الطبيعية طوطماً لها، وترتبط به روحياً، ويكون الطوطم ذو علاقة خصوصية مع كامل أبناء القبيلة، فهو الأب الأول للعشيرة، ومن ثمّ الروح الحامية لها، والمعين الذي يرسل لها الوحي، وإذا ما كان هناك خطر محقق فإن هذا الطوطم يعرف أبناء القبيلة ويصونهم، ومن أجل ذلك يخضع أبناء الطوطم للالتزام مقدس خاص بهم، ويكون رادعاً ذاتياً، يقضي بأن لا يقتلوا طوطمهم ولا يبيدونه، ولا يستغنوا عن لحمه أو عن أي متعة يمكن أن يقدمها لهم، وتستمر فكرة الطوطمية في ذلك المجتمع ويشمل جميع أفراد النوع؛ فإذا كان حيواناً تستمر الطوطمية في جميع أفراد ذلك النوع من الحيوان وهكذا، وتقام الأعياد من وقت لآخر يقلدون فيها أبناء الطوطم من خلال حركات ورقصات طقوسية جميع خصائص طوطمهم المقدس^(٤).

إن الغريزة الدينية والفطرة النفسية نحو نزعة التدين والمعتقد هي ظاهرة في كل مجتمع، وإن الدافع لهذا التدين يختلف من مجتمع لآخر، فتارة يكون الخوف من المجهول والفرع الذي يحيط بالإنسان هو الدافع للتدين، وتارة يكون لاحترام الأسلاف والكبار بحكم الأعراف والعادات، وتارة يكون الدافع

(١) انظر: آلهة في الأسواق؛ دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق: رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الكويت، ط ٢=١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص(٢٨-٢٩).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق: ص(٢٨).

(٣) طوطم: أصلها من إحدى لغات الهنود الحمر، دخلت لغات مختلفة وأصبحت مصطلحاً دالاً على اعتقاد بعض القبائل البدائية في صلتها وقربتها من حيث الدم بحيوان محدد أو كائن طبيعي معين، يتخذونه رمزاً لهم، بمعنى اعتقاد بعض القبائل البدائية في قوة خارقة للعادة كامنة في بعض الأشياء المادية. انظر: مجلة مجمع اللغة العربية المعاصرة، الأعداد: (٨١-١٠٢) ص٢٩.

(٤) انظر: الطوطم والتابو: سيموند فرويد، ترجمة: بوعلوي ياسين، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١=١٩٨٣م، ص(٢٣-٢٤).

للتدين هو الاعتقاد بالمؤثرات الطبيعية الكونية في حياة الإنسان، وفي كلا الأحوال فإن النظرة نحو المعبود تختلف، فهي في حال الخوف والفرع تتخذ من الروح معبوداً وتقدم لها القرابين لاسترضائها، وهي في حالة احترام الأسلاف والكبار تتجه نحو التقديس والتعظيم، كما أنها في حالة الاعتقاد بالمؤثرات الطبيعية الكونية تتخذ من المظاهر الطبيعية في الكون معبودة لها؛ فالكواكب السيارة، والأنهار الجارية، والنيرون التي لا تنطفئ، والكوارث الطبيعية المدمرة، والحيوانات المفترسة، وغيرها، كلها معبودات لاستلطاف رحمة الطبيعة^(١)!

لقد اتخذ الفكر الشرقي القديم من قضية المعبود موقفاً سلبياً؛ وفي كثير من الأحيان يكاد يكون هذا الموقف غامضاً يشوبه الوهم والخلط بين الحقائق، فلا تكاد تجد موقفاً واضحاً من قضية الربوبية، ولن تجد إجابة مقنعة تجاه المعبود كل ما في الأمر مصطلحات غامضة وموهمة، تارة يطلقون مصطلح الواحد المطلق، والجوهر المطلق، وتارة مصطلح المبدأ السامي، وتارة بالقوة العليا^(٢)، وهذه المصطلحات بما اشتملت من إيهام وغموض لا توفي حق الله قدره ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣)، وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هذه المصطلحات مرادفة لمعنى الربوبية وفق التصور الإسلامي. والمتأمل في واقع الفكر الشرقي القديم ليجد أن ذلك الفكر قد ضل الطريق الصحيح لمعرفة الله، وانحرف عن الصراط المستقيم، فلم يستطع الوصول إلى ربه وخالقه، موقف من شأنه أنه أوصل فكره إلى تصور سقيم لمقام الألوهية، بدءاً من احتكاره للتوحيد وجعله خاصاً لفئة معينة، ومروراً بتصورات التجسيد الإلهي، وانتهاءً بالاعتقاد بأن الطبيعة ليست إلا تجل من تجليات الإله، وهو الاعتقاد الذي يصل إلى نفي صفة الخلق والتدبير عن الإله الحق، بل يكاد يصل إلى نفي وجوده، حين يقرر ذلك الفكر أن الطبيعة بما تحتويه من طاقة وقوة خفية هي الخالقة، هي التي خلقت نفسها وأوجدتها من العدم، هي الحقيقة المطلقة والوجود الكلي، "هي التي تتمثل في كل شيء، بل كل شيء طاقة، والمادة (الطبيعة) ليست إلا مظاهر بنسب مختلفة للطاقة"^(٤)، فهي التي خلقت العالم والكون، وهذا الوجود ليس إلا مظهراً من مظاهر الطاقة والقوة الخفية، لها تأثير مباشر في الكون، لها القدرة على

(١) مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت-القاهرة، ط ١ = ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ص (١٦).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد: ص (٥٤-٥٧).

(٣) سورة الزمر: الآية (٦٧).

(٤) انظر: الوجود الأربعة للطاقة لرفاه وجمان السيد، ص (١١).

التدبير والخلق والإيجاد والحياة والفناء، وعن طريق هذه الطاقة يمكن للإنسان "أن يفسر الظواهر الحياتية وغيرها خاصة الظواهر التي كانت عصية عن التفسير من قبل كالإيحاء أو الاتصال عن بعد أو السيطرة الإيجابية أو التنويم المغناطيسي وغيرها من الأحلام والمشاعر"^(١). ومن خلال هذه الطاقة "يمكن للإنسان ان يحس بالوجود بعيداً عن الجسم الفيزيقي، ويتصل مع ما يمكن وصفه بالحضرة الإلهية أو الوعي بالله، ويتحصل على الهداية والإلهام الحقيقي"^(٢).

(١) انظر: طاقة الحياة في جسم الإنسان لـ د. أحمد توفيق حجازي: ص(٧).

(٢) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس كريم أمير أحمد: ص:(١٥)، وهذا هو وحدة الوجود عند من يؤمن بوجود الله، وأما من لا يؤمن بوجود الله فإنه من خلال هذه الطاقة يتحصل على الوعي والإدراك ويحصل له الاتصال بالآلهة ويتحصل على الهداية والإلهام، فيحصل له الانعتاق والاتحاد بالآلهة.

المطلب الثالث: الشجائر والرموز في الحقائق الروحية القديمة.

كانت للطقوس والحياة الشعائرية الدينية في الفكر البدائي القديم دور كبير في ظهور العقائد الروحية في المجتمعات القديمة، والتي استطاعت بدورها أن ترسخ مبادئ الطاقة الكونية في إطار التدين، وتجعل من تلك الفلسفة كأهم رافد يؤصل لتفسير العالم الغيبي، ومنطلقاً نحو التكامل الفكري للتصور البشري نحو الإله والوجود والكون؛ ذلك لأن التدين كان سبباً للإنتاج الزراعي، فواقع المجتمع الزراعي يفرض على نفسه أن يكون متديناً ومحافظاً على القيم والأخلاق والفضيلة، "لأن الإنسان لا يملك في العملية الزراعية إلا وضع البذور في الأرض وتغذيتها بالماء والأسمدة، ولكنه لا يملك إنبات البذرة ولا استعجال نموها ولا حماية المحاصيل من عوارض الجو والآفات، فيتوهم -أو يفترض- وجود قوة خفية غيبية ينسب إليها القدرة على كل العمليات التي لا يقدر هو عليها من إنبات وإماء وحماية، ويروح يتعبدها ويتقرب إليها بالقرابين لكي ترضى عنه وتحفظ له محصوله الذي يعيش عليه^(١).

الحياة الشعائرية في المجتمع القديم:

كانت الحياة الشعائرية في المجتمع القديم قائمة إلى التوجه نحو الطبيعة، ومؤسسة على التقاليد والمعتقدات المتجددة التي يستمر حفظها عن طريق انتقال التعاليم الشفهية من جيل إلى جيل، وهي بدورها تستند إلى كم هائل من القصص الأسطورية والحرفات الشعبية المنسوجة من وحي الخيال، وتأتي أهمية الأساطير الدينية في المجتمع القديم بكونها أهم عنصر يمكن أن يؤدي إلى إيقاظ طاقات الحياة الكامنة في الإنسان، ومن ثم التحكم في توجيهها حسب سلطة الكهنة ورجال الدين الذين يمتلكون أسرار الحياة الشعائرية.

إن الحالة الدينية بشكل عام في المجتمع القديم هي حالة يسيطر عليها الجانب الروحي من جهة، فالتجارب الروحية مدعاة إلى الاعتقاد بوجود إله!، ولكن ثمة أمر آخر؛ وهو أن الإنسان في ذلك المجتمع حين يمارس تلك التجارب الروحية فإنه يكون قد دخل في لحظة لا يمكن توصيفها إلا بكونها مجموعة من المشاعر المختلفة كالرعب والسعادة، والتعرض لمثل هذه الحالات يعني التوجه للقاء

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: د. محمد قطب، ص (٣٧٤).

المقدس المفعم بالكينونة!، ومن هنا تأتي فكرة الاستحواذ على القوة المقدسة واستجلابها والتحكم فيها، فالقوة المقدسة تعني الحقيقة والبقاء والفاعلية في الوقت نفسه^(١).

ومن جهة أخرى يتم توجيه العقول نحو التوجه إلى الطبيعة، تلك الطبيعة التي حاول الإنسان أن يفهمها ويربط مصيره بها، ومن خلالها يفسر الأحداث والوقائع التي تنتابه وتحدث له، ولما كانت الطبيعة هي كل شيء بالنسبة له لم يكن ثمة طريق لفهمها إلا من خلال التوجه إليها، واتخاذها معبودة له، خوفاً منها وإحساسه بروعة المجهول، واختلفت مظاهر التعبّد من إقليم لإقليم؛ فالإقليم الذي يحتاج الناس فيه لأشعة الشمس اتخذوا من الشمس معبودة لهم، والإقليم الذي ارتوى من نبع ماء أو نهر أو غير ذلك، وبنى حضارته على ذلك النبع أو ذلك النهر؛ اتخذ من الماء معبوداً له، وظن أنّها تؤثر في حياته، والإقليم الذي كان الناس فيه متأثرين بصنف من حيوان أو شجر نتيجة منفعتهم من تلك الأصناف اتخذوها أرباباً لهم من دون الله^(٢).

كما أنه كان هناك اعتقاد سائد في تلك الديانات بأن لكل مادة في هذا الكون لها روح، وأن الإنسان إذا ما استطاع أن يستحوذ على هذه الروح من خلال تأدية بعض الطقوس والشعائر، فإنه سيتمكن من استخدامها والانتفاع بها^(٣)، وقد سبقت الإشارة إلى هذا عند حديثنا عن (الطوطم). والحاصل أن الحياة الشعائرية في المجتمع القديم كانت تتميز بكونها انتقائية، فكل مجتمع ينتقي مما يستفيد منه من مظاهر الوجود، ويرجع عليه بفائدة، فيجعلها في إطار ديني، يقيم حولها الشعائر والطقوس، ويظن أن الأثر الناتج من تلك العناصر الطبيعية هي بسبب تلك الشعائر.

الرموز الدينية كأهم وسيلة لإدراك الحقيقة الروحية المقدسة:

تعتبر الرموز الدينية أهم وسيلة لإدراك الحقيقة الروحية المقدسة، والحالة الفكرية في المجتمع القديم قائم على ضرورة النظر إلى جوهر الأشياء لا ظاهرها، فالرؤية الرمزية تساعد الفرد على أن يتخيل المعنى الحقيقي الجوهرية، وعليه فإن من خلال وجهة النظر هذه فإن المظهر المادي يعتبر رمزاً يمثل الحقيقة الروحية، والتي هي في أجل صورها انعكاس للتجسيد الإلهي!

(١) انظر: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ترجمة: محمد غنيم، دار

الساقى، ط ١ = ٢٠١٢م، ص ٨٥.

(٢) انظر: آلهة في الأسواق: رؤوف شلي: ص (٢٨-٢٩).

(٣) انظر: نفس المصدر السابق: ص (٢٨).

ولعل من أبرز ملامح الرؤية الرمزية في الفكر المتدين القديم هو تعظيم العناصر الطبيعية، والإطار الديني يحيط بتلك العناصر جملة من الهالة والتقدیس، انطلاقاً من الإيمان بأن القوة الكونية العليا مبنوثة داخل الكون، وهي بدورها متمركزة في تلك العناصر الطبيعية، ومن هنا أدرك الإنسان في الفكر البدائي القديم بأن الأمور والأحداث الطبيعية والظواهر الكونية إنما تجسد شيئاً روحانياً غامضاً، يمكن تفسيره بأنه إما منحة ربانية أو غضب الإله، فأصبحت تلك الظواهر الكونية مظهراً من مظاهر الرمزية الموصلة لإدراك الحقيقة الروحية، والمتمثلة في الاعتقاد بالتجسيدات الإلهية المنعكسة على العالم المادي، فعناصر العالم المادي على سبيل المثال "الشجر والحجر" لم تعبد بمجرد أنهما حجر أو شجر؛ وإنما لدالتهما على القداسة، لأن التجسيدات الإلهية المنعكسة على ذلك الشجر أو الحجر كشف لأولئك الناس عن التحول الواقعي لتلك الأجسام المادية إلى حقيقة خارقة للطبيعة، فالطبيعة كلها بالنسبة لهم قادرة على أن تكشف عن نفسها كمقدس كوني، والكون بأسره يمكن أن يصبح تجسداً ربانياً^(١).

كما أن من الأنماط الاجتماعية السائدة في ذلك المجتمع، والتي يمكن أن تساهم في إدراك الحقيقة الروحية هي رمزية رجال الكهنة، فهم يملكون أسرار المعتقد، وحق التفسير الغيبي لكل الظواهر الكونية، والتنبؤ بالغيب وكان من أساليب التنبؤ الشائعة ملاحظة كبد الحيوان، ذلك أن الاعتقاد السائد عند هذه الأمم هو أن الكبد مركز العقل في الحيوان والإنسان على السواء^(٢)، ولهذا لم يكن أي ملك يجرؤ على شن حرب أو الاشتباك في واقعة، أو البت في أمر من الأمور، أو الإقدام على مشروع خطير، إلا إذا استعان بكاهن أو عراف ليقراً له طالعهُ بطريقة من الطرق الخفية^(٣).

ومن هنا ظهرت فكرة تقديس الكهنة ورجال المعبد، وتقديم القرابين والنذر لهم، وكانت هي الغاية القصوى للإنسان البسيط في ذلك المجتمع، فالفوز برضى رجال المعبد هاجس كل فرد يخشى أن تحل به لعنة الآلهة، ولذلك كانت الطقوس والصلوات تؤدي داخل المعبد، يقرأون فيها أناشيد التوبة مرتلة ومرنمة، يتضرعون ويعتقدون أن لها تأثيراً.

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي، ومرداد مسعودي، ص(٨٨-٨٩).

(٢) في علم الطاقة تتبع (الكبد) قطبية "بين الموجبة فهي مسؤولة بشكل مباشر عن إحساس الإنسان بالصحة والعافية والحيوية، ويقابلها (المرارة) التي تتبع قطبية (يانغ) السالبة، وتعتبر (الكبد) إحدى الشاكرات السبع ومركزاً من مراكز الطاقة الحيوية في جسم الإنسان.

(٣) انظر: قصة الحضارة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، (م٢/ص٢٢٦-٢٢٧).

ومن الرموز الموصلة إلى إدراك الحقيقة الروحية هي الاعتقاد بتأثير التعاويذ والرقى والتمائم على الشخص، وأنها تحميهم من القوى الشيطانية، والأعمال السحرية، وفي الحضارة البابلية كانت الخيوط التي تغزل من عنزة لم يقرها تيس من أشد أنواع التمائم أثراً، وكان من الحكمة أن يستعان بالرقى الحارة والطقوس السحرية لإخراج الشيطان من الجسم، كرشه بالماء المحمول من أحد المجاري المقدسة كدجلة والفرات^(١). وكانت صور الآلهة إذا حملها الشخص معه تكفي في الغالب لإخافة الشيطان وإبعاده.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الحياة الشعائرية والرموز الدينية الموصلة لإدراك الحقائق الروحية في المعتقدات القديمة ساهمت بشكل كبير في ظهور الأفكار الفلسفية لمبادئ الطاقة الكونية وعلومها، ولقد انعكست تلك الشعائر والرموز بشكل واضح على التعاليم والممارسات التي ينادي بها أولئك المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية، والذين يدعون أن السلام يدخل إلى نفوس الناس عندما يدركون علاقتهم ووحدانيتهم مع الكون، وكل قواه، وعندما يعرفون أن الروح الأعظم كامن في الوحدة المتجسدة في تعدد الأشكال الروحية، وأنه يسكن في مركز الكون، وأن هذا المركز هو في الواقع في كل مكان، وهو في داخل كل واحد منا^(٢).

ومن الشواهد على ذلك اعتبارهم أن القديسين والأنبياء والأئمة والعلماء والعباقرة هم أناس يحتزنون الطاقة ويستعملونها، وأنهم من خلال التحكم —(الطاقة) يستطيعون السيطرة على جميع موجودات الكون^(٣).

وأن الإنسان في الفكر الشرقي القديم استطاع أن يكرس الطاقة الكونية للاستشفاء والعلاج من الأمراض، فالفراعنة هم أول من درسوا ووضعوا قياسات لمسارات الطاقة الحيوية بجسم الإنسان بواسطة ما يعرف بالبندول الفرعوني^(٤)، والصينيون اكتشفوا العلاج بالوخز بالإبر على مناطق الطاقة الحيوية في جسد الإنسان^(٥)، والهنود استخدموا الطاقة الكونية لبناء القوة الجسدية، ومن بعدها تحقيق الصفاء الروحي من خلال ممارسة بعض التمارين الجسدية كاليوغا والبراناياما^(٦).

(١) نفس المصدر السابق: (٢م/ص ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بسروي ومرداد مسعودي، ص(٧٩-٨٠).

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، الناشر: (بدون)، ط١(٢٠٠٢م)، ص: (١٩٧-٢٠١).

(٤) انظر: الفلسفة في الشرق لبول ماسون - أورسيل، ترجمة: محمد يوسف موسى، ص(٥٧-٥٩)، وانظر أيضاً: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي، ص(١٦٩).

(٥) انظر: الطب الصيني الروح - العقل - الجسد: ترجمة: محمد يوسف شهاب، ص(٩٦).

(٦) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، ص(١٩٧).

المطلب الرابع: تقنية الوجد عند الشامانية.

الشامانية دين "بدائي" من أديان شمال آسيا وأوروبا، يتميز بالاعتقاد بوجود عالم محجوب؛ هو عالم الآلهة والشياطين وأرواح السلف، وبأن هذا العالم لا يستجيب إلا للشامان، وهو بدوره يستطيع الوصول إلى ذلك العالم من خلال استخدامه للسحر والكهانة، فيشفي المريض ويكشف المخبأ والسيطرة على الأحداث^(١).

وبالتالي فإن الشامانية تظل واحدة من أهم النسق الاجتماعية السائدة في مختلف أنحاء العالم، وتتصف بكونها ظاهرة دينية لدى المجتمعات التي تركز على التدين، وتعتمد على السحر لتمنح معنى للأحداث ولكي تؤثر فيها^(٢).

بجانب ما سبق فإن الشامانية ما هي إلا جملة من المعتقدات والممارسات التي اعتنقها الإنسان، وكانت نتاج أفكاره التي أفرزها من الأساطير والخرافات الشعبية التي كانت سائدة ومسيطرة على عقول تلك المجتمعات، وبما أن ذلك الفكر استند إلى الأساطير والخرافات في صياغة الشامانية؛ فإنه قد استطاع أن يؤثر في نفوس معتنقيه بأن هنالك جانباً غيبياً وعالمماً خفياً موجود حول الإنسان وداخله، ولا يستطيع أن يدركه بعقله ولا بحسه، فظهرت فكرة الشامان، وهو ذلك الإنسان الذي يملك أسرار هذه العوالم الخفية والجوانب الغيبية، فهو ولا أحد غيره يستطيع أن يفسر ذلك العالم الخفي، وفك رموزه وشرح أسرار ألعازه، فأكتسب ذلك (الشامان) شهرة في أوساط مجتمعه بأن لديه قدرة خارقة على تشخيص الأمراض وشفائها، وأنه يتحكم بالطقس، ويتنبأ بالمستقبل، وأنه يستطيع السيطرة على الأرواح، كما أنه يجيب على أسباب النجاح، ويفسر مقومات الفشل، وأنه بذلك يجلب الخير ويدفع الشر عن موطنه وبيئته ومجتمعه، مما شاع وأحدث لدى الناس أنهم إذا ما استرضوا (الشامان) فإنه سيلحقهم الأذى والضرر.

كل هذه الأمور التي اتصف بها (الشامان) في الشامانية كان من خلال إيمانهم بالسحر والكهانة، ولا سبيل إلى الوصول إلى العوالم الخفية والجوانب الغيبية إلا من خلال تعلم مبادئ السحر وطقوس

(١) انظر: قاموس المورد الحديث: منير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص(١٠٦٤).

(٢) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ترجمة إدريس كثير، الناشر: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "كلمة"، ط ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، ص(١١)، وانظر: موسوعة تاريخ الأديان: تحرير: فراس السواح، وترجمة: ديمتري أفينيريوس ومحمود منقذ الهاشمي وآخرون، الناشر: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط ٢٠١٧، ص(١٥٩)، وانظر: قاموس المورد الحديث: منير البعلبكي، ص(١٠٦٤).

الكهانة، وهم بذلك يفسرون هذه الممارسات بأنها من قبيل نشر الخير ونفع الناس، ولذا كان للسحر والكهانة مكانة كبيرة في حياة المجتمعات البدائية، وتبلورت المعتقدات مع الممارسات السحرية والطقوس الكهنوتية في بوتقة واحدة، وصار (الشامان) شخصية ذات أهمية بالغة؛ لأنه يقوم بوظيفة الاستحواذ على القوى الحيوية والطاقة الكونية، من خلال إحداث موازنة وانسجام بين الطبيعة والإنسان والكون، ومن خلال هذا الانسجام أصبح يفسر قضايا الألوهية والوجود وأسرار الكون ومظاهره.

ومن هنا ظهرت أهمية الشامانية ودورها في إحداث التوازن بين قوى الإنسان الذاتية الكامنة فيه، وبين القوى الخارجية المحيطة به، من خلال استتراق العالم الغيبي؛ إذ تلجأ إلى نمط من التواصل مع المافوق طبيعي، وبالتالي فإن الشامانية لا تهتم بالتعاليم الدينية، فهي بكيانها ليست ديناً، ويمكن أن تظهر بجانب أي دين، وإنما هي نوع من الخبرة الاجتماعية، اهتمت بالوجد من خلال التواصل مع العالم الآخر لحل مشاكل الناس من شفاء الأمراض والتغلب على الجوع والفقير^(١).

وعليه فإن مهمة الشامان الرئيسية هي ليست في معالجة مشاكل الناس فحسب؛ بل من خلال تنشيط القوة الذاتية الكامنة في الإنسان، لتحقيق التوازن بين الأقطاب الكونية المتمثلة في القطب الكوني، والقطب الذاتي الكامن داخل النفس البشرية، وتؤمن الشامانية بأن تحقيق التوازن بين القوة الكونية والقوة الذاتية البشرية تساعد في التغلب على مصادر الشر.

فالشامانية إذاً "مؤسسة اجتماعية"، وبعبارة أدق: "جملة أفكار تبرر مجموعة أفعال"^(٢)، ومعنى شمولي: تفسير لـ"تقنية الوجد"، فالشامان: هو أستاذ الوجد العظيم^(٣).

تتضمن الشامانية تصوراً خاصاً للإنسان والعالم، وهو تصور يفترض صلة خاصة بين الناس و"الآلهة"، هذه الصلة هي نوع من التواصل مع اللامرئي، ولفهم هذه النقطة علينا أن ندرك حقيقة المبادئ الكبرى المميزة للشامانية، وهي ثلاثة مبادئ:

أولها: نظرة الشامانية للوجود نظرة ازدواجية، وبصيغة أفضل فالعالم يوجد بين قطبين؛ كل منهما يتواجه مع الآخر، ويؤثر فيه مشابه لضرب من الجاذبية، فهناك العالم الدنيوي المرئي اليومي، وهناك العالم المقدس غير المرئي والمافوق طبيعي، واللامرئي يجاور المرئي، ومعنى هذا أن العالم يمنحه لنا العالم

(١) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ترجمة إدريس كثير، ص (٢٩-٣٠).

(٢) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ترجمة إدريس كثير: ص (١١، ١٦).

(٣) انظر: موسوعة تاريخ الأديان: الكتاب الأول: الشعوب البدائية والعصر الحجري: فراس السواح: ص (١٥٩).

الآخر الحاضر دوماً وأبداً، فهو يسكنه أو يحتبئ فيه، أو يذرعه ويحركه ويتحكم فيه، وكل الأحداث التي تقع في العالم المرئي تعود إلى العالم اللامرئي، فالعالم الآخر هو إسقاط للعالم الدنيوي، والكائنات التي تسكنه تحركها الأفكار نفسها والأهواء نفسها التي تحرك الناس الذين يتخيلونها، لكن سلطة هؤلاء (أي سلطة الذين يسكنون العالم الآخر) أكبر وأسمى؛ وهو ما يسمى بأنسنة العالم الآخر.

المبدأ الثاني: هو أن ساكني العالم الآخر يتوجهون للإنسان بواسطة علامات أو لغات خاصة كالأحلام مثلاً، فالشامانية تؤمن بأن بعض الناس يستطيعون إرادياً ربط تواصلهم مع اللامرئي، بحيث يتمكنون من رؤيته ومعرفته، خلافاً لأناس آخرين لا يستطيعون إلا الشعور والتأثر به.

وتحدد السلطة الشامانية طريقتين لربط الصلة مع العالم اللامرئي:

أولها: عن طريق الأرواح المساعدة، وكل مجتمع أو شامان يسميها ويحدد طبيعتها وأصلها بطريقته الخاصة.

ثانيها: عن طريق إرسال روح الشامان نفسه متى شاء إلى العالم اللامرئي.

وغالباً ما يتعايش النمطان معاً، ويصبح الشامان وسيطاً يسافر فيما بين الحدود بالقدر الذي يمكنه خلال وظائفه، وإرادياً فينتهي إلى العالم الآخر والعالم الدنيوي، فيصبح عنصراً نشيطاً وفعالاً في سلسلة تربط هذا القطب بذاك.

المبدأ الثالث: الشامان معالج يتحكم في الخصائص الحيوية، فهو يتدخل لإحداث التوازن بين العالمين، فما انعكس على العالم الآخر بسبب العالم الدنيوي يصلحه، وما أسقط من العالم الآخر من كوارث وابتلاء ومرض على العالم الدنيوي يتدخل للتأثير على الأرواح المصابة واستخلاص العناصر الخبيثة، وحتى أيضاً إضعاف قوات العدو إذا ما تعلق الأمر بالحرب^(١).

وعطفاً على ما سبق؛ فإن الممارسات الشامانية بناء على المبادئ السابقة لا تتم إلا بناءً على طلب أولئك الذين يرجون مساعدته، ولأجل تحقيق الطقوس والعملية العلاجية فإن على الشامان أن يدخل في تواصل مع اللامرئي.

وهذا التواصل يختلف من مجتمع لآخر، فكل مجتمع يفرض على شاماناته مجموعة من القواعد والسلوك والتقنيات، في بعض الأحيان تكون غريبة، وكلها تهدف إلى شيء واحد وهو استدعاء الانفتاح الإرادي على العالم الآخر^(٢).

(١) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ص(١٢ - ١٦).

(٢) نفس المصدر السابق: ص٥٩.

ومجمل محاولات التواصل مع ذلك العالم تدور حول فكرة الوجد؛ والشامانية كما أسلفنا هي في حقيقتها وشمولها تفسير عملي للوجد.

وإذا أردنا أن نفهم حقيقة هذا الوجد؛ فإن الأساطير التي تناقلها سكان قبائل شمال آسيا عن عمليات صعود الشامانات إلى العالم العلوي، وهبوطهم إلى العالم السفلي، تفسر لنا حقيقة الوجد، وأن الشامان يتم اتصاله من خلال الصعود إلى العالم العلوي، وهو مختص بالشامان الأبيض، ووظيفته الاتصال بالآلهة، أو من خلال الهبوط إلى العالم السفلي، ويمكن أن يباشرها جميع الشامانات، إلا أن من الطبيعي أن يكون ذلك مختصاً بالشامان الأسود، ووظيفته الاتصال بالأرواح الشريرة والشياطين. وتواصل الأسطورة حديثها فتصور لنا حالة الوجد عند الشامان في لحظة الاتصال؛ إذ يضحى الشامان بالحصان المقدم إلى الإله، وتسير تلك الروح صاعدة إلى السماء في رحلتها نحو العرش، ويدخل في هذه اللحظة الشامان في حالة الوجد بعد أن يلبس حلته الاحتفالية الخاصة به، وهي حلة تساعد على استحضار الأعداد الغفيرة من الأرواح، فيقرع طبله، ويبدأ رحلة الصعود نحو السماء، وبعناء يمثل الحركات والإشارات التي تمكنه من اجتياز السماوات حتى يصل إلى السماء التاسعة، وإذا كان قوياً يمكنه أن يصل إلى السماء الثانية عشرة، وعندما يذهب في العلو إلى حيث تسمح له قدراته، يتوقف ويخاطب الإله بتخشع وخضوع، مبتهلاً إليه أن يمنحه حمايته وبركاته. وفي هذه الأثناء يصل الشامان إلى ذروة الوجد فيعلم من الإله بقبول التضحية من عدمها، ويبدأ في استقبال النبوءات المتعلقة بحالة الجو والحصاد القادم، ولإنهاء هذه الحالة وفي رحلة العودة ينهار الشامان، ويغدوا منهوك القوى، ويظل من غير حراك ولا كلام، وبعد مدة يبدأ بفرك عينيه، ويظهر في حالة استيقاظ من نوم عميق، ويرحب بالحاضرين وكأنه يحييهم بعد طول غياب.

ولا يختلف الحال كثيراً مع الشامان في رحلته نحو الهبوط إلى العالم السفلي؛ إذ يصحب الشامان خلال رحلته المليئة بالعوائق أسلافه الموتى وأرواحه المساعدة، وعندما يصل إلى العائق السابع يبصر قصر "رب الموتى"، وهو قصر مبني من الحجر والصلصال الأسود ومحمي من كل الجهات، فينطق الشامان صلاة طويلة لـ "رب الموتى"، ثم يعود إلى الخيمة المستديرة، ويقص على جمهوره نتائج رحلته^(١).

هذه الأساطير الشامانية توضح لنا حقيقة الوجد الشاماني، وهذه الأساطير تحمل في مضامينها قدرة الشامان على امتلاك القوة الكونية، وأنه بمقدوره الطيران بروحه إلى السماء، أو الطواف حول

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأديان: فراس السواح: ص ١٦٩.

الأرض، أو نزول روح الشامان إلى عالم ما تحت الأرض، بين الموتى، والحقيقة أن الشامان يتولى هذه الرحلات الوجدية لأربعة أسباب:

أولاً: ليلقى الإله السماوي وجهاً لوجه، ويحضر له مقدمة -قربان- من الجماعة.

ثانياً: لبحث عن روح إنسان مريض، من المفترض أنها هامت بعيداً عن جسده، أو اختطفها الشياطين.

ثالثاً: ليرشد روح إنسان ميت إلى مسكنها الجديد.

رابعاً: ليضيف إلى معرفته بالتردد إلى الكائنات العليا غير البشرية^(١).

بجانب ما سبق فإن حالة الوجد عند الشامان تعني الانفصال بالشعور عن الحالة الإنسانية الطبيعية إلى الحالة الغريبة التي تنتاب الشخصية الشامانية نتيجة التزامه بالطقوس الرمزية، فيتحول فيها إلى عالم ما وراء الطبيعة، والانفتاح على العالم الآخر، وهذا الانفتاح نتيجة نابعة من المنطق الخاص للشامانية، وهو المنطق الذي يفرض على الشامان ضرورة التواصل مع الكائنات (العليا أو السفلى) غير البشرية، وهذا يفرض على الشامان سلوك أنواعٍ أخرى من طرق التواصل مع تلك الكائنات بجانب اعتماده على طريقة الطقوس، ومن هذه الطرق:

التزام الشامان بحالة من الوعي الخاص:

الشامان يلتزم بحالة من الوعي الخاص؛ لأنه غالباً ما يعيش في علاقة أخرى مع العالم ومع جسده، ويتحدث مع الناس عن هذه التجربة، فهو يعتقد بأنه يكتشف العالم الآخر، والأسطورة لديه تتحول إلى واقع وأفعال، وهو يبين للناس بأنه ليس رجلاً عادياً، بل إنه شيء آخر، إنه عاش حالة انفصالية، ولكي يصل إلى هذه المرحلة من الوعي عليه أن يلتزم بنوع من السلوك تؤدي إلى هذه الحالة، وتمكنه من الإبقاء على المحفزات الخارجية، والانفعالات الحركية، من خلال العزلة الطويلة، أو ممارسة التمارين الجسدية المرافقة لإيقاعات موسيقية، أو التحولات الذهنية بواسطة الأناشيد والتراتيل^(٢).

استعمال الشامان للأعشاب المهلوسة والمخدرات:

من الطرق التي لا تقل أهمية عن سابقها، والمؤدية إلى حالة الوجد التي تعترى الشامان، هي استعمال الأعشاب المهلوسة أو تناول المخدرات!، وبحسب المجتمعات الشامانية فإن استعمال

(١) نفس المصدر السابق: ص ١٦٨.

(٢) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ص ٦٢.

المخدرات تفتح الباب على اللامرئي، وتهيئ التواصل مع الأرواح، وتمنح للروح حركة كبيرة، وتمكن الشامان من خوض تجربة مباشرة مع العالم الآخر، وخاصة إذا ما أدركنا تأثير الشامان بالأساطير، وأن تلك الأساطير هي البنية الأولى والأساس العلمي للبنية الفكرية عند الشامان، وعند تناول الشامان للأعشاب المهلوسة، وتعاطي المخدرات فإن تلك الأساطير تتحول إلى واقع وأفعال، فيعيش المغامرة، ويخضع للتعلم فهو في تلك الحالة: يعرف ويرى ويسمع.

تؤمن الشامانية بأن استعمالها للمخدرات والأعشاب المهلوسة وتعاطيها للتبغ يسهل حركة الروح، وبالتالي يسهل الحلم من حيث هو سفر للروح، كما أن تلك الأعشاب تؤدي بالشامان إلى مسارات عجيبة وعوالم ثقافية محددة بشكل جيد، تسمح له بالوصول إلى مستوى عالٍ من القدرة لمعايشة الأسطورة، والتعرف على كائنات كثيرة، كما يحصل لشامانات البيرو عندما يرون تلك الكائنات يتشكلون في شكل إنساني فيرون الأمهات المافوق طبيعيات القويات اللواتي يمين النبات والحيوانات، فيتواصل معهن من خلال الأغاني، ويعرف من خلالها أصل البؤس والشقاء^(١).

أدوات زينة الشامان:

ومن الطرق أيضاً: أدوات زينة الشامان، ولكي يكون التواصل الشاماني مع العالم اللامرئي أكثر فعالية فلا بد من شحذ الحواس كلها: الشم والسمع والرؤية واللمس والتذوق، وهو تواصل استعراضي ومضاعف في الوقت نفسه؛ إذ على الشامان أن يربط الاتصال بكائنات العالم الآخر، وبين الناس الذين دعاهم للجلسة بشكل ضمني من خلال التعبير لهم بالحركات والإيماءات والأغاني والصراخ، والصمت عن الطريقة التي يتم بها سفره، وعن تطور علاقته بالأرواح والآلهة.

ولأجل ما سبق فإن على الشامان أن يتخذ مجموعة من الأدوات التي يستعملها، وهي تمثل أدوات مادية للتواصل، وعليه أن يجسد الأرواح في تماثيل صغيرة أو عصي طقوسية، بواسطة الأغاني، أو الدخان الصاعد من النار التي ألقى داخلها البهارات أو الكاكاو مثلاً.

ومن أدوات الزينة المهمة الطبل؛ إذ يحتل مكاناً مهماً في الثقافة الشامانية، فهو يحمل قيمة رمزية عالية، يتم تهيته في كل مرة باعتباره أداة تحمل الشامان في سفره.

كما أن الشامان ومن خلال أدوات زينته يستطيع أن يرسل علامات إلى العالم الآخر، كالمعاطف الثقيلة المزينة كما عند شامانات سيبيريا، أو الأقنعة الحيوانية عند شامانات أمريكا، والكراسي

(١) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ص ٦٤.

المختلفة ذات الشكل الحيواني والتي يمنحها شعوب الهنود الحمر دوراً مهماً كوسيط، وقبعات تحمل أجراساً وأقنعة وصبغات على الوجه، وتجسيدات عدة تمثل الأرواح المساعدة، أو الأسلحة الخفية المستعملة ضد الأرواح الشريرة والمريضة^(١).

الأهازيج وصوت الأرواح:

يعبر الشامانات عن طريق الغناء والتراويل واللغات الخاصة الخاضعة لقواعد معقدة، وبالطريقة الاعتيادية عن علاقاتهم بالعالم الآخر خلال مدة العلاج، وحالة الوجد التي تعترى الشامان من خلال الغناء، وتسمح لهم بالانفتاح على العالم الآخر يمكن تبسيطها إلى نوعين من أنواع الغناء الشاماني:

أولها: الأغاني أو التراويل الطويلة التي حفظها الشامان أثناء رحلة التعلم.

ثانيها: التراويل التي أوحى بها إليه.

وهذه الأغاني والتراويل تحمل الأرواح المساعدة أو الكائنات اللامرئية، لتتجاوز مع الشامان، وتحكي له معاناتها خلال العلاج، وغالباً ما يختلط هذان النوعان من الأغاني.

وهذه الأغاني أو التراويل لها مكونات:

أولها: أنها عبارة عن شبه لغة يفترض فيها أن تكون لغة الأرواح التي يعرفها الشامان الناطق الرسمي بها.

والثاني: أنها مكونة من ألفاظ خاصة يمكن أن يعرفها بعض الأشخاص الحاضرين، فهي تشير إلى طلبات الحلي أو الماشية أو المال الذي يأمر بها المعالج الشاماني لإشباع متطلبات الأرواح المساعدة.

الثالث: اللهات والصراخ والتعجب، وكلها تعكس عذاب الشامان وحركته الكثيفة في العالم اللامرئي، كما تعكس صراعه وخضوعه للمقابل أحياناً الذي يجب دفعه لربط التواصل بذلك العالم^(٢).

وبهذا يتبين لنا أن الشامانية ومن خلال تقنية الوجد التي جعلتها منطقاً خاصاً لها مصدراً أساسياً لفلسفة الطاقة الكونية، وجزراً فكرياً مهماً في صياغة الأفكار الفلسفية للطاقة الكونية، وإذا كان الشامان لديه القدرة على ترك جسده بأمان، ويستطيع أن يتصرف تصرف الأرواح كما يشاء،

(١) نفس المصدر السابق: ص ٦٨.

(٢) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ص (٦٩).

ووقت ما يريد، فيطير عبر الهواء، ويصير غير مرئي، ويدرك الأشياء من مسافات بعيدة، ويصعد إلى السماء، وينزل إلى الجحيم، ويرى أرواح الموتى، ويستطيع أن يمسك بها، ولا تنفذ إليه النار، كما أنه بمقدرته إقناع المشاهدين بأنه متمثل أسلوب كائن من الأرواح، ولديه القدرة على أن يتحول إلى حيوان، وأن يقتل عن بعد، وأن يتنبأ بالمستقبل^(١)، فإن هذه المنجزات هي نفسها ما عنت به فلسفة الطاقة الكونية، حين جعلت من الإنسان كائناً يمكنه أن ينسجم مع الكون ويندمج فيه، من خلال تعذيب الذات وممارسة الرياضات القاسية، والتأمل في الكون وتلاوة التراتيل المقدسة، والعزلة الطويلة حتى يتحقق الفناء الجسدي، وتنعتق الروح لتتصل بالجواهر الكلي وتتحد به، حينئذ يكون بمقدورها تسخير الكون لخدمة الإنسانية، على النحو المشاهد في التطبيقات والممارسات التي يطبقها رواد فلسفة الطاقة الكونية ومنظريها، من الدراويش والزعماء الروحيين والمعالجين الذين يداون مرضاهم عن بعد.

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأديان: فراس السواح: ص(١٦٨).

المطلب الخامس: نظرية الـ"تاو" عند "لاو-تزو".

كان الصينيون يدينون بديانة شعبية اشتملت على الممارسات والطقوس الدينية السائدة في جميع الأراضي الصينية، وهذه الديانة الشعبية في معتقداتها وطقوسها لا تختلف كثيراً عن تلك التي كانت سائدة في الحضارة الهندية قبل أن تظهر وتشكل الديانة الهندوسية، فتعدد الآلهة وعبادة الأرواح وتقديس الأسلاف وعبادتهم، والعناية بالسحر والكهانة والتنبؤات الغيبية، وتعظيم الأخلاق إلى درجة أن الصينيين كانوا ينصبون النصب الرمزية التي تدل على الإخلاص والشجاعة والعدل، وكانوا يعبدونها^(١).

وفي القرن السادس قبل الميلاد ظهرت الكونفوشيوسية والتاوية كديانتين رئيسيتين لأهل الصين، وتشكلت الديانة التاوية بناءً على أطروحات الفيلسوف الصيني (لاو-تسو)، وأصبحت هذه الديانة بجانب أطروحات (كونفوشيوس)^(٢) الأخلاقية تمثلان ديانتان قوميتان أصيلتان في الصين، ومحور الفلسفة وأساس الدين؛ إذ لعبت تلك الأطروحات دوراً هاماً في صياغة الأفكار الفلسفية الصينية، فاهتمت الكونفوشيوسية بالأخلاق، وسعت إلى تعزيز الأخلاق في المجتمع الصيني، واهتمت بتربية الوازع الداخلي لدى الفرد ليشعر بالانسجام الذي يسيطر على حياته النفسية، كما اهتمت بتقديس الأسلاف وبيعض القيم الأخلاقية كالعدالة والتعليم وإيجاد فرص عملية للفقراء، ومحاربة الظلم والاستبداد والجهل والفقير، فهي ديانة سلوكية أخلاقية عملية لا غير^(٣).

بينما اهتمت التاوية بالدين، وتبنت ممارسة السحرة والكهانة، واتخذتها طقوساً وشعائر لدينها، كما أنها استطاعت أن تطور الطرق العلاجية والرياضات الروحية والتي أخذتها من (الشامان) وتأثرت بها في صياغة معتقداتها، كما أنها اهتمت بالتقشف والتصوف، فدعت الفرد إلى التخلص من عوالم المادة، ليصبح إنساناً روحياً خالصاً، وينتقل إلى مرحلة الوحدة التامة بين الفرد والقانون

(١) انظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جيفري بارندر، ص(٢٢٤-٢٣٦).

(٢) كونفوشيوس: كونفوشيوس: اسمه "كونج تشيو"، فيلسوف صيني، ولد سنة (٥٥١ ق.م)، اهتم بالقضايا السياسية والاجتماعية، وتوفي سنة (٤٧٩ ق.م). انظر: معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٧٦٤).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف د. مانع بن حماد الجهني، ط ٥=١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص(٧٤٨-٧٥٦)، وانظر: الحقائق المعبرة عن الأديان والفرق المنتشرة: د. أحمد حسين سعيد الوصي، الناشر: دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٣١ هـ ص(١٧٩-١٨٤).

الأعظم أو الجوهر الكلي (التاو)، لتصير شخصية واحدة، عندها يستطيع أن يصل إلى الحالة الأثيرية؛ إذ لا موت ولا حياة!، وهي بذلك قد ناهضت الكونفوشسية، واتجهت اتجاهاً سلبياً في المجتمع، قائم على الاتكالية وعدم العمل والنهوض بالأمة، فدعت الناس إلى التأمل والحياة في البراري والجبال المقدسة والجزر النائية^(١).

طرح الفيلسوف الصيني "لاو - تسو" نظرية الـ "تاو"، وكان يهدف من خلال هذا الطرح إلى تعزيز التعاليم الروحية في النفس الإنسانية، لذا فإن المنهج الروحي الذي ينتهجه "لاو - تسو" تهدف إلى أن يسعى الإنسان من خلال الـ "ين ㊦" يانغ" إلى الاتحاد مع الـ "تاو"؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يحقق السعادة والاستقرار النفسي إلا عن طريق هذه الوحدة، وهي وحدة يخوض الإنسان تجاربها في رحلة روحية بحثية، قائمة على فكرة التخلي عن الفعل وترك العمل، وعدم التدخل في المجرى الأبدي للطبيعة، فهي تقوم بكل ما يلزم^(٢).

حقيقة مبدأ الـ "تاو":

ورد في كتاب الـ "تاو" أن أصل الكلمة في اللغة الصينية معناها: الصراط، ثم استعملت في الفلسفة لتخرج من مدلولها الملموس إلى مدلولها المطلق^(٣)، وهذا المدلول الملموس كان شائعاً لدى الصينيين، حتى جاء المفكر الصيني (لاو - تسو) وأضاف عليها بعداً فلسفياً^(٤) فأصبحت (التاو) تعني: المبدأ والمآل، المبدأ الذي تأتي منه كل الأشياء، فهو جوهرها وطبيعتها ومحركها، والمآل الذي تترد إليه كل الأشياء، لا يخرج في كل الأحوال عن مقتضى الكون والطبيعة الكونية^(٥).

إن هذه الفلسفة التي تعتمد على مبدأ الـ "تاو" كعنصر رئيسي لفلسفتها غير قابلة للتوضيح أو الفهم، فهي فلسفة غامضة لا يمكن الإحاطة بها أو تحديد مفهوم دقيق لها. نجد ذلك بوضوح عند "لاو - تسو" نفسه الذي لم يخف حيرته أمام هذا المطلق فيقول: "مظلم، محير، عسير الوصف".

(١) انظر: الموسوعة الميسرة: ص(٧٣٥-٧٤٠).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد: ص(١٠٥ - ١٠٧).

(٣) ص: ١٥.

(٤) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي: ص(٥٩).

(٥) انظر: كتاب التاو: لاو - تزو، ترجمة: هادي العلوي: ص(١٥).

ولكي لا يتراجع للحيرة يقول: "النور جاء من الظلمة، النظام من اللاصورة، التاو ينتج الطاقة، وهي التي تعطي النفس للصورة العضوية".

ويفتح كتابه "التاو تي تشينغ" فيقول:

" ١ / التاو الذي يمكن التحدث عنه

ليس التاو السرمدى.

الاسم الذي يمكن اطلاقه

ليس الاسم السرمدى.

٢ / اللامسمى هو السابق على السماء والأرض

المسمى هو أم الآف المؤلفة" (١).

ويقول في موضع آخر:

" الطاو لا سبيل إلى تعريفه قط، وهو من الصغر في حالة الـ لا تشكل بحيث

يتعذر الإمساك به" (٢).

ويحاول (لاو - تسو) أن يصف (التاو) وحاله قبل وجود الكون والمخلوقات، فلا يزيد وصف

المبدأ الغامض إلا غموضاً، يقول كما ورد في الفصل الخامس والعشرين من كتابه:

" هنالك شيء بلا شكل.

موجود قبل السماء والأرض.

صامت وفارغ.

قائم بنفسه لا يحول.

شأنه الدوران بلا كلل.

مؤهل لأمومة هذا العالم.

(١) انظر: التاو تي تشينغ - إنجيل الحكمة التاوية: (لا وتزي) ترجمة: فراس السواح: الفصل الأول: ص(٢٥).

(٢) انظر: كتاب التاو: ترجمة: هادي العلوي، ص(٧١)، وكلمة (الطاو) نقلتها نصاً كما ترجمها المترجم، وإلا فأن المتفق عليه

هو (تاو - Tao)

لا أعرف اسمه فأدعوه: التاو
 لا أستطيع وصفه: فأقول: العظيم
 عظمته امتداد في المكان
 الامتداد في المكان يعني امتداد بلا نهاية
 الامتداد بلا نهاية يعني العودة إلى نقطة المبتدي"^(١).

(التاو) إذاً هو البسيط الذي هو مبدأ كل الأشياء، هو العقل الأول، والمحرك الأول، ويقابله في التصور الإسلامي (البارئ)، هو القوة الكامنة في الأشياء.
 ويصف تلميذ (لاو - تسو) مبدأ (التاو) فيقول:

" في السماء حركة دائبة، وفي الأرض ثبات، هل يتنازع الشمس والقمر مجريهما؟، من يحكم فوق هذه الأمور ويعمل على تنظيمها، من يحافظ على اتساقها وتناغمها؟ من بدون جهد يحفظها؟ هل هناك قوة شد خفية تجعلها على ما هي عليه؟ هل يتحتم على الأجرام السماوية أن تجري على هذا النحو فلا تستطيع غير ذلك؟، انظر إلى السحب كيف تسقط مطرها؟، وإلى المطر كيف يرتفع ثانية فيصنع سحباً، من يحركها لتعطي خيرها؟ ومن بدون جهد ابتدر هذا؟ ويعمل على دوامه؟، رياح تنطلق من الشمال وتهب غربية وشرقية، وأخرى تنطلق نحو الأعلى دونما وجه!، أية أنفاس تدفع بها؟ من بلا جهد يدفع هبوبها؟ ماهي العلة؟"^(٢).

ثم يجاب على الأسئلة التي طرحها بأنه لا وجود لعلة خارجية لكل ما عدده من مظاهر حركة الكون والطبيعة، لأن العلة والمعلول وجهان لحقيقة واحدة هي (التاو)، ويقرر هذا فيقول بأن (التاو) في كل مكان، فلا يخلو منه مكان، هي القوة السارية في الموجودات والتي تعطيها الحركة والسكون^(٣)، وعندما طلب منه تحديد (التاو) أكثر، قال:

(١) انظر: التاو تي تشينغ - إنجيل الحكمة التاوية: الفصل الخامس والعشرين: ص(٦٠).

(٢) انظر: التاو تي تشينغ: مقدمة المترجم: ص(٢٥-٢٦).

(٣) انظر: التاو: ترجمة هادي العلوي: ص(١٦-١٧).

"إنه هنا في النمل.. في حشائش الأرض..
في الآجر والقرميد.. وفي البول والعدرة أيضاً"^(١).

لقد استطاع (لاو - تزو) أن يخرج من خلال فلسفة (التاو) بتفسير كلي للوجود؛ فهو قد قرر بأن (التاو) هو المبدأ الأسمى والجوهر الكلي والواحد الأزلي الذي تولدت منه الثنائية القطبية المتمثلة بالـ"ين" (☯) يانغ"، ومن هذه الثنائية تولد كل ما في الوجود^(٢)، وفي هذا الصدد يقول:

"الطاو يولد واحداً، ومن الواحد يتولد الاثنان، ومن الاثنان الثلاثة، والثلاثة تنسل العشرة آلاف شيء، العشرة آلاف شيء تحمل الـ"ين" وتحتض الـ(يانغ) وتحقق انسجامها بالدمج بين هاتين القوتين"^(٣).

وعلى هذا التفسير لمبدأ (التاو) فإنه لا يمكن أن يكون مرادفاً لله ﷻ، ولا يمكن حمل هذا المعنى وفق التصور الإسلامي للخالق ﷻ، ومن خلال ما سبق فإنه قد اتضح لنا أن الفلسفة الطاوية تنكر وجود خالق وبارئ ومدبر لهذا العالم، فهي ترى بأن الكون انبثق من (التاو)، ومنه تولدت الثنائية القطبية "ين" (☯) يانغ"، ومنهما انبثق الكون وتولد الوجود، والإنسان لا بد من أن يحقق الانسجام من خلال الدمج بين هاتين القوتين الموصولتين إلى التوحد بالمبدأ الأسمى (التاو)، عندها يحصل التنوير والإشراق، وتحقق السعادة، ذلك أن الفلسفة التاوية تنظر إلى الإنسان بأنه مصدر الشر والتعاسة، وأن أفعالهم وحيلهم تفضي إلى ذلك، وأنه لا سبيل لهم إلى السلام والرضا وتحقيق السعادة وتخليص النفس البشرية من عذاب المادة، إلا بالسير مع الطبيعة الكونية، والانسجام معها، لأنها هي المعيار الأقوى، والروح الأسمى، وبدخلها يسري (التاو)، واهباً الخير والحياة للكل، وعلى النفس البشرية أن تنطلق نحوه لتتحد به ويحصل لها الإشراق والتنوير، وهذا الاتحاد لا يكون إلا من خلال اتباع المنهج العملي الـ(طي) الذي رسمه لهم مؤسس الفلسفة الطاوية (لاو - تسو)، وهي باختصار: تلك الإرادة القوية الواعية الكامنة في نفس الحكيم، وهي التي ترشده إلى الابتعاد عن الأنانية والانغماس في عالم

(١) نقلاً من كتاب: التطبيقات المعاصرة ص: ١٠١.

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص(١٠٥).

(٣) كتاب التاو: ترجمة: هادي العلوي: ص(٧٧).

الشهوات، كما تدله على العودة إلى أصالة الحياة الطبيعية الأولى التي يعيش فيها الإنسان في حالة توحيد مع الطبيعة في كل موجوداتها وظواهرها المتحركة بفعل (التاو) وقوانينه^(١).

ولو تأملنا مبدأ (التاو) جيداً ندرك حقيقة التشابه الكبير بين هذا المبدأ ونظرية الفيض والصدور^(٢)؛ هذه النظرية التي يزعم معتقوها بإله مفارق للكون، وهذا الإله يفيض عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات، وقد تأثر بهذه النظرية كثير من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام كابن سينا وغيره، وتأثرت بها كثير من الطرق الصوفية.

كما أن الفلسفة التاوية حين أقرت بمبدأ الفيض والصدور، أنكرت وجود صانع للعالم من خارجه فقالت: "عظمته امتداد في المكان"^(٣)، فهي تعتقد بأن (التاو) المبدأ الأسمى والجوهر الكلي موجود داخل العالم، وكل المظاهر الطبيعية في الكون ما هي إلا تجليات لذلك المبدأ.

كما أن في قولها بمبدأ (التاو) قد شابحت في مقولتها تلك نظرية العقل الأول^(٤) عند فلاسفة اليونان، ومبدأ (البرهمن) عند حكماء الهندوس، فهي بما تحتوي من غموض وإيهام، إلا أنها لا تخرج عن تلك التي قررها حكماء الهندوس حول مبدئهم، والطريقة التي ينطلقون نحو ذلك المبدأ، تشابحت أقوالهم واختلفت المسميات فقط، وهي بذلك لا تخرج عن عقيدة وحدة الوجود، فـ(التاو) حاضر في الكائنات لا يفصله عنها مسافة لا في الزمان أو المكان، كما أن (البرهمن) يتخلل كل شيء، هو

(١) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي: ص(٨٧)، والفكر الشرقي القديم و بدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي: ص(٢٥٣).

(٢) الفيض: نظرية فلسفية تقرر أن الكائنات إنما صدرت عن مبدأ واحد، وفاضت عنه على درجات متدرجة، ومن هذا الفيض يتألف العالم جميعه، والغاية منها تفسير الوجود بطريقة أخرى غير نظرية الخلق، باعتبار أن هذه النظرية لا تسمح بفهم كيف يمكن لإله لا مادي أن يخلق المادة، وكيف يمكن للكامل أن يصنع الناقص، دون أن يدنس وجوده وينقص من كماله، وهذا المذهب يطلق على البراهمانية والأفلاطونية الحديثة، انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال سعيد، ص (٣٥١).

(٣) انظر: كتاب التاو: لاو-تسو، صياغة عربية: فراس سواح، ص(٦٠).

(٤) العقل الأول: مفهوم فلسفي يقرر بأن العقل هو مبدأ الوجود، وهو جوهر بسيط مفارق للمادة، موجود بنفسه، وهو أصل نظام العالم، والمحرك الأول للمادة، وهذا المفهوم ظهر عند أرسطو، وتأثرت به الغنوصية، والهرمسية، والأفلاطونية الحديثة، كما تأثر به الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام أمثال الكندي، والفارابي، وابن سينا. انظر: الفلسفة اليونانية: أ. د. أحمد السيد رمضان: ص (٦٠)، وللمزيد حول مفهوم العقل الأول راجع في المبحث الثالث من هذا الفصل: مطلب الرؤيا الكونية عند هرمس ص ()، وأيضاً مبحث الوعي الكوني من الفصل الثاني من هذه الرسالة، ص ().

كل الوجود، ومصدر الموجودات، منه هذا العالم يتحرك، هو فوق الأزمنة الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل^(١).

ويتضح هنا جلياً بأن الفلسفة التاوية ما هي إلا دعوة لمعتقد وحدة الوجود، وأن السبيل والطريق المؤدي إلى ذلك المعتقد لا يكون إلا من خلال اتباع المنهج العملي التي أقرتها، فدعت الإنسان للعودة إلى البساطة الطبيعية الموصلة إلى الكمال، وإلى تمام العلم بالـ(تاو) الأبدي السرمدى، ومن ثم الانصهار به في وحدة كونية^(٢)، ويقرر هذا (لاو - تسو) فيقول عن هذا المنهج:

"هذا يدعى (طي) اللاجهد، يدعي قدرة التعاطي مع الناس"، أو "يدعى بالإفادة من قوة الطرف الآخر"، "ولقد كان هذا معروفاً منذ القدم بأنه الاتحاد التام مع السماء" أو "التمثال مع السماء"^(٣).

هذه هي مبدأ الـ"تاو" في الفكر الفلسفي الصيني، وهو مبدأ يضاھي النظرة السليمة لقضية الألوهية، وبالتالي فإن التاوية قد ضلت الطريق نحو فهم القضية الجوهرية لحقيقة الوجود، وهو عبادة الله وحده - ﷻ -، فابتدعت وضلت وأضلت، وحادت عن الصراط المستقيم والطريق القويم، فكان من آثار هذه الفلسفة منهجاً عملياً قائم على تأليه الطبيعة والاندماج فيها والتناسق معها، من خلال تطبيقات وممارسات وطرق علاجية نفسية وبدنية، يتوصل من خلالها المرء إلى الاتحاد التام مع المبدأ الأسمى والجوهر الكلي!.

ولقد ساهمت نظرية الـ"تاو" في صياغة التوجه الفلسفي لحقيقة الطاقة الكونية، ومثلت جذراً مهماً تستند عليها الطاقة الكونية في مكنونها الفكري؛ إذ أن فكرة الـ"ين" (☯) يانغ المنبثقة من مبدأ التاو تمثل عنصراً مهماً لفهم حقيقة الطاقة الكونية.

(١) انظر: الحكمة الهندوسية: سوامي رامداس، الناشر: مؤسسة نوفل للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٦م، ص(٥٥)، وانظر: فلاسفة الشرق: أ. و. ف. توملين، ترجمة: عبد الحميد سليم، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢، ص(١٨٤-١٨٥)، وانظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي: ص(٢٢٢).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص١٠٤.

(٣) التاو: ترجمة هادي العلوي: الفقرة: (٦٨)، ص(١٢٠)، وترجمة: فراس السواح: الفقرة: (٦٨)، ص(١٠٤).

المطلب السابع: فلسفة التخير في الفكر الصيني القديم.

كان لتعاليم "التاو" المنسوبة إلى "لاو تزو" تأثير كبير على الحياة الفلسفية في الصين ونتائجها الفكرية على مدى آلاف السنين، بسبب تركيز تعاليم "التاو" على أهمية الإدراك الروحاني للفرد، واستنارته الصوفية، من أجل بلوغ الكمال البشري، وهذا الإدراك الروحاني يحمل في مضامينه عناصر باطنية ومعتقدات غيبية لا يمكن للفرد أن يسبر أغوارها ويدرك كنهها إلا من خلال التجربة العملية لتلك التعاليم التي تؤسس لفكرة التحرر من الموت، وتكريس الحياة للتجربة الخاصة والمباشرة للاتحاد التأملية الصوفي، والتوافق المنسجم مع التدفق اللانهائي للأحداث، وكي ينهجوا هذا السبيل لجأوا إلى اعتماد مبدأ "التاو" الذي يمثل مبدأ ما وراثياً غامضاً يتم بموجبه التوافق والانسجام بين كل المتناقضات، وتتوحد به كل المتعددات^(١).

ومن أهم النتائج الفلسفية في الفكر الصيني القديم هو كتاب "ي جينغ"، وهو النص الفلسفي الأقدم والأكثر أهمية في الفكر الصيني القديم. فهي تعنى بالكتابات الكلاسيكية عن مبدأ التغييرات. وحقيقة هذه التغييرات تكمن في أن الفلسفة التاوية تقرر أن الكون جاء نتيجة للتفاعلات بين القوتين الأوليتين المتعارضتين: "ين ☯ يانغ"، ولأن الأشياء تخضع للاختبار كأشياء متغيرة، فلا يوجد في الكون شيء ساكن، بل كل شيء متحرك ويخضع للتغير، وعملية التكوين إنما تحدث نتيجة للتفاعلات بين المتغيرات، فلا بد أنها تملك كلاً من "يانغ" أي الكينونة، و"ين" الافتقار للكينونة، من دون "يانغ" لا شيء يمكن أن يأتي إلى الوجود، ومن دون "ين" لا شيء يمكن أن يخرج منه، وبالتالي فالتفاعل بين "ين ☯ يانغ" مطلوب للطبيعة لأجل أن تنشأ وتعمل^(٢).

ومن هنا ظهرت فكرة تدوين كتاب التغييرات؛ إذ يسود الاعتقاد بأن مؤسسي أسرة تشاو "أباطرة الصين القدامى" هم من ألفوا هذا الكتاب في نحو عام ١١٠٠ ق.م، مع لفت الانتباه بأن هنالك نصوصاً أخرى عنيت بالتاو، وقد كتبت في وقت مبكر، لعل من أهمها النصوص التي تعود إلى أسرة

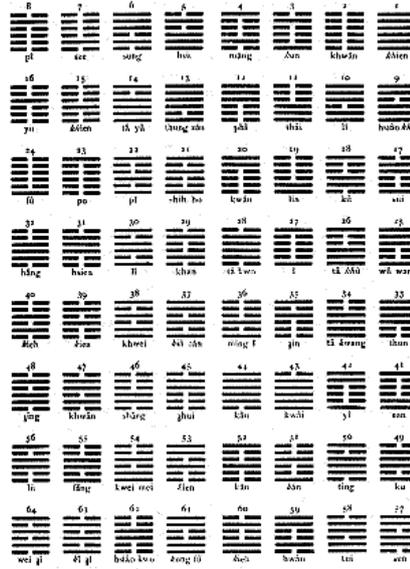
(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص(٣١٣).

(٢) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ترجمة: نصير فليح، الناشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،

ط ١=٢٠١٣م، ص (٣٨٤-٣٨٦)، وانظر أيضاً: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص(٣١٩).

"شانغ" في نحو عام ١٧٠٠ ق.م، وبالتالي فقد أثرت النصوص التي شرحت مبدأ التغيير بشكل مباشر على كل ما لحق من ديانات الصين وفلسفتها^(١).

تتكون نصوص كتاب التغيير من أربع وستين سداسية، كل منها يمثل نزعة معينة في التغيير، يصحبها نصوص مرتبطة بها، الغرض منها المساعدة في تأويل السداسيات، والمتكونة من تركيبية من ستة خطوط، بعضها متقطعة ترمز إلى "ين"، وأخرى متصلة ترمز إلى "يانغ"^(٢).



صورة تجمع أشكال التغيير

كان هنالك اعتقاد سائد أنه من خلال التركيز على فهم تلك السداسيات يتم فهم كيفية تغيير الأشياء، لأن تعاليم التاو تقرر بأن الواقع يتكون من عمليات دائمة التغيير، وليس من أشياء دائمة، فالسداسيات الأربع والستين ترمز لنزعات التغيير ومراحل العمليات التكوينية، ولاحقاً صار فهم التغيير طريقة لتعلم المنهج العملي للفلسفة التاوية عبر قطبي "ين" (☷) و"يانغ" (☰)، وأصبح بإمكان الفرد أن يشارك في العمليات الكونية من خلال مراقبة التغيير في الحياة والتناغم معها^(٣)، فالمرء إذا لم يعرف

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص(٣١٧ - ٣١٨)، ويظهر أن هذه الفلسفة أثرت على "بروتاجوراس - Protagoras" زعيم المدرسة السوفسطائية في الفكر اليوناني، حين قرر أن الحقائق نسبية، وأن كل شيء قابل للتغيير، ويعتبر زعيم فلسفة التغيير في الفكر اليوناني، إلا أن الفكرة في البيئة اليونانية استطاعت أن تتخلص من خصائص الفكر الصيني من الاستعانة بالكهانة والتنجيم والعرافة، لكنها جعلت من الإنسان مقياساً لكل الأشياء، مستندة في ذلك على نظرتها المقدسة نحو العقل.

(٢) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٣٨٤).

(٣) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٣٨٥).

ويعيش طبقاً للقوانين الداخلية للكون فسينتهي إلى كارثة، لكن عبر اتباع سنة الكون؛ يمكن إنجاز كل الأشياء"^(١).

تتشكل السداسيات عبر ثلاثة خطوط، توضح العلاقة بين العناصر الأساسية الكونية: السماء والأرض والإنسان، وشبكة الروابط المعقدة التي تنشأ بين هذه الأكوان الثلاثة، وتأثير كل واحد في الآخر"^(٢).

الخط العلوي يرمز إلى "يانغ: العالم العلوي المخفي السماء" أو البيئة العامة، والخط السفلي يرمز إلى "ين: العالم السفلي الأرض" أو البيئة المباشرة، والخط الأوسط فيرمز إلى الإنسان؛ إذ يرتبط كل من الكون الكبير "السماء"، والكون الصغير "الأرض" مع "الإنسان"، وكل منهم يحترم الآخر، وتؤثر كل من طاقة السماء وطاقة الأرض على طاقة الإنسان بطريقتين: طريقة نوعية مباشرة، وطريقة عامة غير مباشرة"^(٣)، لتتشكل في النهاية تلك السداسيات والتي هي في المقام الأول: محاولة لتبيين كيف تتغير الأشياء، وفي المقام الثاني: محاولة لتبيين كيف يستطيع الشخص الاستجابة بأفضل سبل للتغيير، لأن قوتي "ين ☯ يانغ" القطبيتين هما اللتان تصنعان كل ما يوجد، وتحددان كل التشكلات والتحويلات التي تجري في الكون، فإن هذه التراكيب من خطوط "ين ☯ يانغ" يمكن أن تمثل كل شيء في الكون، كل سداسية تمثل بصري رمزي لفكرة أو صورة ذهنية لقوى التغير الفاعلة والمنتجة لكل شيء في الوجود"^(٤)، وهي تعبر عن أربع نتائج مستقبلية محتملة: "مستقبل جيد، مقبول، ندم، انتكاسة شديدة"^(٥).

ومن هنا يظهر أن كتاب التغيرات هو في أصله كتيب عرافة، وكانت تستعمل من أجل التنبؤ بالمستقبل"^(٦)، والغرض من هذه التكهّنات هو تحقيق التوافق مع الـ"تاو"، "طريق الروح الحيوية"، ومخالفة هذا الطريق هو مخالفة قانون الطبيعة، وعطفاً على مبدأ التغير فالفكر الصيني ربط بين الأكوان الثلاثة "السماء والأرض والإنسان" ربطاً محكماً، ولكل واحد من هذه القوى في الظاهر

(١) مقولة منسوبة إلى "لاو تزو". انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٣٩٨).

(٢) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتو وستيفن بيرش، ترجمة: د. أحمد حربا، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١ = ٢٠٠٤م، ص(٢٤).

(٣) نفس المصدر السابق: ص (٢٤-٢٦).

(٤) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٤٠٧).

(٥) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء الرشيد، ص(١٢١).

(٦) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٣٨٤).

طريق خاص أو غاية مقصود تحقيقها، فغاية السماء تسمى "تيان تاو"، وغاية الأرض تسمى "تو تاو"، وغاية الإنسان تسمى "جين تاو"، وهذه الغايات هي في الحقيقة ليست إلا غاية واحدة، هي غاية العالم أو قانون الطبيعة أو واجب الموجودات، ولهذا الارتباط المحكم بين تلك الغايات الثلاث أثره العميق في كل شيء، إذ لا يكاد اضطراب بسيط يحدث في أحدها حتى يتردد صدها في جميع جزئيات الآخرين، وما الكوارث الطبيعية إلا نتاج حياد الإنسان عن الطريق السوي^(١)، وكل ما يجده الإنسان من تعاسة وشقاء، نتيجة لحياده ومخالفته عن صراط الـ"تاو" ومنهج، ومن يتوافق معه يحصل له السعادة والطمأنينة^(٢).

ولذلك لم يكن ثمة سبيل لفهم "طريق الروح الحيوية" إلا من خلال فلسفة مبدأ التغيير وفهم السداسيات بأشكالها الأربع والستين، والتي تشكل وسائط رمزية يمكن من خلالها فهم كل الظواهر، بما في ذلك قوى الطبيعة، والشؤون البشرية، والتفاعل بين الأشياء، وظروف التغيير، كوسائط للمعنى المجرد، تكشف في حالات متعينة (يُنظر إليها بواسطة الكهانة أو من خلال الممارسة التأملية واستقطاب قوة "تشي" الكونية) كل الخاصيات الديناميكية، والسمات المميزة، وأنماط العلاقة بين الأشياء جميعاً المرئية وغير المرئية، في الطبيعة وفي عالم البشر، كما أن الفكر الصيني يعتقد بأنه من خلال دراسة هذه الأشكال الرمزية يمكن للفرد أن يشارك في التحولات الأساسية للكون، وباستطاعته رؤية أنماط التغيير في الكون، حينها يكون قد منح نفسه فرصة لفهم عميق بالنفس، وابتداع استراتيجيات فاعلة للتعامل مع المواقف المتغيرة في حياة الفرد الخاصة وفي مجتمعه^(٣).

(١) انظر: الفلسفة الشرقية: د. محمد غلاب، القاهرة، ١٩٣٨م، ص(٢٢٣).

(٢) انظر: كتاب التغيير آي تشنغ: رانيا مشلب، الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠١م ص (١١-١٦).

(٣) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(٤١٣).

المطلب السابع: فلسفة "أوبانيشاد" في الفكر الفيدي الهندي القديم.

الفيدا هو الكتاب المقدس للهندوس ويحتوي على أفكار فلسفية هي نتاج بحث فلاسفة الهند عن الأسئلة التي طرحوها عن أنفسهم وعن العالم من حولهم وموضعهم فيه. واشتمل الفيديا على نصوص وأشعار تعتبر بمثابة الحكمة، وتشكل جوهر طقوس الهند المقدسة، والفكر الفيدي الذي هو عبارة عن أشعار حكمة تمثل نواة الطقس الديني المقدس، كما أن الحكمة الفيدي سمرمية وغير مؤلفة، فهي سمرمية لأنه كُشفت لأول البشر قاطبة، وغير مؤلفة لأنها لم تكشف بواسطة الإنسان؛ بل بواسطة الحقيقة. وأشعار الحكمة الفيدي عندما تترتل، وتنشد، ويتغنى بها، فإنها تمكن الخلق جميعاً من المشاركة في حكمة الواقع الإلهي وطاقته، وأن تلك الطقوس الشعائرية تستطيع أن تجدد الحياة بالطاقة المقدسة المطلقة، لتمنح معنى للحياة^(١).

ولفهم حقيقة المشاركة في حكمة الواقع الإلهي وطاقته فعلينا أن نعرف الحالة الدينية للمجتمع الهندي قبل أن تتشكل الديانة الهندوسية في كامل رؤيتها الدينية وتكامل فكرها العقائدي، فقد كان التوجه الديني والعقائدي لذلك المجتمع توجهاً روحياً، وكانت طقوس العبادة طقوساً روحية طوطمية بالدرجة الأولى، فالصخور والحيوانات والأشجار ومجري المياه والجبال والنجوم، كلها أوعية لأرواح سكنت داخلها، وكانت الثعابين والأفاعي كائنات مقدسة، ولما كان المجتمع الهندي على هذه الحالة، والاعتقاد الذي يسود الفكر هو الإيمان بأن الأرواح هائمة ومنتشرة في الأرجاء، وأن منها ما هو طيب، وما هو خبيث، وأن الاعتلالات التي تصيب الإنسان ليست إلا بدخول الأرواح الخبيثة إلى داخل الجسم وتمكنها منه، فلا يستطيع الإنسان حفظ جسمه من تلك الأرواح، فكان ولا بد من فهم تلك الأسرار من خلال تعلم مهارات السحر، ومن هنا نشأت مجموعة الرقي والتمائم والصيغ السحرية^(٢)، وظهر علم ما يعرف بالـ "مانترا"، وينظر إليه على أنه نوع من المعرفة المرتبطة بالعمل القادر على قهر التجزئة والاعتراب في إطار عملية توحد كل الكائنات وملء الحياة بالطاقة الإلهية المقدسة.

(١) نفس المصدر السابق، ص ٥٢، وانظر أيضاً: معتقدات آسيوية: د. كمال سعفان، الناشر: دار الندى، مدينة نصر،

جمهورية مصر العربية، ط ١ = ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص (١٥٧).

(٢) انظر: قصة الحضارة: ول ديورانت: (١م / ص ٣٠).

هذا التصور الفكري أو المحاولة الفلسفية نشأت جرّاء مواجهة فلاسفة الفيديا لأسئلة من قبيل كيف؟ وماذا؟ ولماذا؟، وفي البداية سعى المفكرون الفيديون إلى الإجابة عن هذه الأسئلة بصورة الأفعال البشرية، فنسبوا أحداث الطبيعة إلى الآلهة التي تم تصورهما كأشخاص خارقين (فوق بشريين-Superhuman)، ولاحقاً توغلت التصورات الفلسفية لأبعد من هذا، ومضى أولئك الفلاسفة في البحث عن طبيعة الآلهة، وما يكمن وراءها، وإلى فهم الطبيعة الحقة للخير الأسمى، ووسائل بلوغه^(١).

هذا التفكير الفلسفي في الفكر الفيدي دفع المجتمع الهندوسي إلى الإيمان بأكثر من إله!، وتعددت الآلهة، وتنوعت اختصاصاتها وأعمالها، ولكن هذا التعدد يرتقى في (الأوبانشاد) التي دونت ما بين (٨٠٠ - ٥٠٠ ق.م)، إلى نزعة توحيدية واضحة، تصل إلى فكرة توحد النفس "أتمن" مع الإله "برهمن"، في رحلة البحث عن الخلود والاتحاد الكلي مع الإله، لتقرر في نهاية المطاف بأن "أتمن" و"برهمن" شيء واحد^(٢).

الأوبانشاد أكثر فلسفة وأكثر تركيزاً على المعرفة من الفيديا؛ لأنها بحثت عن سر هذا العالم الذي عز على الإنسان فهمه، وهذا الأمر هو الذي دفع حكماء الهندوس إلى التحول إلى التأمل الفلسفي والبحث عن الأجوبة الميتافيزيقية عن سر الوجود ومن أين جئنا؟، وأين نقيم؟، وإلى أين نحن ذاهبون؟، من الذي أمر بنا فإذا نحن هنا أحياء!، أهو الزمان، أم الطبيعة، أم الضرورة، أم المصادفة، أم عناصر الجو، أم السبب وهو ما يسمى "بروشا" الروح الأعلى؟.

هذه الأسئلة دفعت الحكماء إلى إيجاد نظرة كونية ترتكز على العالم الآخر "الروحي"، ولذا فإن نصوص "الأوبانشاد" تميزت بكونها ذات طابع تأملي فلسفي تحفل بالفكر التصوري فيما يتعلق بحقيقة الإله وطبيعة النفس والواقع العملي، وتقدم الأسس التي قام عليها التفكير الفلسفي فيما بعد^(٣).

(١) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص(٣٢).

(٢) انظر: معتقدات آسيوية: كمال سغان: ص(١٥٤).

(٣) انظر: فصول في أديان الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص(٤١).

أولاً: تصور حكماء أوبانيشاد لحقيقة الإله:

التصور الذي تظهره نصوص الأوبانيشاد لحقيقة الإله هو تصور متأخر، وهو التصور النابع من السؤال الأكثر أهمية، وأحد أهم سؤاليين قامت عليها فلسفة الأوبانيشاد، وهو: ما الطبيعة الفعلية للحقة للحقيقة النهائية؟^(١).

العصور الفيديوية المتقدمة استطاعت أن تجسد طبيعة الإله، وجرت محاولات لتعريف هذا الإله برموز وشعائر دينية، أو بموضوعات طبيعية، وكل تلك المحاولات كانت على المستوى الظاهري أو عالم الظهور والمظاهر، تفترض مسبقاً حدوداً لهذه القوة، وهو مستوى يدرك فيه الفرد عالم التنوع، وينتبه لأناه الفردية الخاصة^(٢).

وفي المرحلة المتأخرة من التصور الفكري لطبيعة الإله والقائم على الرؤية الفلسفية لحقيقة الوجود؛ فإن طبيعة الإله "برهمن" قد بلغت مستوى المطلق أو اللاكوني أو المتسامي، وهو مستوى تذوب فيه كل الاختلافات في وعي لا ثنائي يصعب تفسيره، ويراد بذلك الوعي بأن المستوى المتسامي صرف ينبث داخل الكون ويبقى خارجه، وعليه فإن "برهمن" هو الحقيقة النهائية للعالم الخارجي، والمبدأ الأول الذي تنبثق منه كل الأشياء، وإليه ترتكز، وفيه تتلاشى، في "برهمن" وحده تتوحد كل الاختلافات التي تبدى في العالم الظاهري^(٣)، وهو في كل كائن حي أو جامد، حقيقته الجوهرية مطلقة أزلية أبدية، فكل صغيرة وكبيرة من أجزاء العالم مشتملة عليه، وهو حقيقة عامة في كل شيء ولا يمكن تعيينها ولا تشبيهها بأي شيء آخر^(٤).

طبيعة الـ"برهمن":

هناك نظريتان حول طبيعة الـ"برهمن":

إحداها: أن هناك حقيقة أساسية واحدة تسمى (براهمن) الإله الأسمى، العام الأزلي الأبدي في ثباته، وبما أنه لا تشبه به أي حقيقة ظاهرية، أمكن أن يتحقق في كل حقيقة، وهذا الحل هو الذي

(١) انظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦١).

(٢) انظر: الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نجيلاناندا، ترجمة: د. نبيل محسن، ص(٢٧)، وانظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٢).

(٣) انظر: الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نجيلاناندا، ترجمة: د. نبيل محسن، ص(٢٧)، وانظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٢).

(٤) انظر: الفلسفة الشرقية لمحمد غلاب: ص(١٠٥-١٠٦).

يحقق لكل حقيقة وجودها، فهو الذي به يمكن حركة المتحرك، وهو الحياة التي تدب في كل جسم، والفكرة التي تنشأ في كل رأس^(١).

والنظرية الثانية ترى بأن الـ "برهمن" مطلق، يدل على واحد غير معين، متعري عن الصفة والشرط والاستثناء، وأنه لا يحمل أي صفات إلهية، فهو غير مدرك ولا مبين عن الخلق، وهذا هو الرأي الأشهر عند المدارس الهندوسية المتأخرة^(٢)، ولذلك يعتمد حكماء الهندوس إلى طريقة النفي فيصفونه بالسلب^(٣) فيقولون: منزه عن الصفات، واحدية مطلقة لا وجود سواه، لا خالق ولا خليفة، ليس فاعلاً ولا مفعولاً ولا فعلاً، لا ثنائية، ولا ازدواجية، ولا كثرة، واحدية تتجاوز الآحاد، لا سبيل إلى تصوره، فهو لا يتغير، ولا يناله أذى، ولا يمكن إدراكه، ولا مجال لرؤيته أو الإحاطة به، ولا سبيل إلى سماعه، أو تذوقه، وليس بالوسع شمه، لا نسل له، ولا لون، بلا عين ولا أذن، وبلا أيد ولا أقدام، يتخلل كل شيء، هو كل الوجود، إنه الواحد الذي لا يتغير، الذي ينظر إليه الحكماء باعتباره مصدرًا للموجودات، منه هذا العالم يتحرك، هو فوق الأزمنة الثلاث: الماضي والحاضر والمستقبل، وهو الذي يرى كما لو كان بدون أجزاء، هو الذي يعيش في ذهننا، هو فوق كل صور العالم والزمن، هو بلا بداية ولا نهاية، وأعظم من العظيم!، ثم بعد هذا كله يقولون: ولاكتشافه لا بد أن يتخطى الإنسان وظائفه الفكرية وذاتيته، ويفنى فيه!^(٤).

ويلزم من هذه النظرية الاعتراف بحقيقة أزلية الروح وقدمها وسرمديتها، وأن الكون هو الإله وأنه يتجلى بالصورة البشرية لأنه أكمل وأجمل^(٥).

والنتيجة والمحصلة من خلال النظريتين واحدة وهي: أنه لا يكون في الوجود حقيقة أخرى غير هذا المطلق، وأن مظاهر الطبيعة ليست إلا زيفاً حائلاً، والفرد مكون من كائنين أحدهما: حقيقي والآخر: زائف^(٦).

(١) انظر: الفلسفة الشرقية لمحمد غلاب: ص(١٠٦).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية لـ د. هيفاء الرشيد: ص(٥٧).

(٣) انظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٢).

(٤) انظر: الحكمة الهندوسية ص: ٥٥، فلاسفة الشرق: توملين ص: (١٨٤-١٨٥)، والفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي: ص(٢٢٢).

(٥) انظر: فصول في أديان الهند: محمد ضياء الرحمن الأعظمي: ص(٤٦-٤٨).

(٦) انظر: الفلسفة الشرقية لمحمد غلاب: ص(١٠٣-١٠٤).

كما يلزم من خلال النظريتين أن الـ "برهن" إما أن يكون حلالاً في المخلوقات، وإما أن يكون متحداً بها، وإما أن يكون هو إياها^(١).

ثانياً: طبيعة النفس عند فلاسفة الأوبانيشاد:

فلاسفة الأوبانيشاد في بحثهم عن طبيعة النفس النهائية تساءلوا "من أنا في المستوى الأعمق لوجودي؟"، وهذا السؤال لا يقل أهمية عن السؤال السابق، بل هو السؤال الثاني الذي قام عليه الأوبانيشاد.

هذا السؤال يفترض مسبقاً النفس كشيء يتخطى ما تراه العين، لكن السؤال عن ماهية النفس المفكرة أمر آخر، وبمعنى ثانٍ فإن مفكري الأوبانيشاد ميزوا بين ما تظهر عليه النفس، وما هي عليه فعلاً، هذا البحث عن الجوهر الأعمق للوجود الإنساني موجه بالوصية القائلة: "النفس "أتمن" الحرة من الشر، الحرة من الشيخوخة، الحرة من الموت، الحرة من الحزن، الحرة من الجوع والعطش، ومن رغباتها الحقيقية، وأفكارها صحيحة، تلك النفس التي ينبغي البحث عنها، تلك النفس التي على الإنسان الرغبة بفهمها، ذاك الذي بلغ تلك النفس وفهمها، هو من ينال العوالم والرغبات جميعاً"^(٢).

وإذا كانت طبيعة النفس كذلك؛ فإن السؤال هو ما تلك النفس الغامضة الرائعة الكامنة وراء مجرد المظاهر؟

نصوص الأوبانيشاد تحدثنا عن روحين تتواجدان جنباً إلى جنب في الإنسان، الروح الحقيقية، والروح الفردية أو الظاهرة، وتوصفان بعصفورين لهما ريش متماثل، وهما صديقان لا يفترقان متعلقان بالشجرة ذاتها، لكن أحدهما يأكل الثمار، والآخر ينظر دون أن يأكل.

الروح الظاهرة تختبر الألم واللذة كنتيجة لأفعالها الخيرة والشريرة، وهي مرتبكة بسبب عجزها، لكن الروح الحقيقية هادئة ومطمئنة بسبب عدم تعلقها بالعالم، وعندما تحقق الروح الظاهرة وحدتها مع الروح العليا يزول مصدر الأسى^(٣)، عندها تصبح الذات أو النفس الإنسانية (الجوهر الفرد)، لها

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية لـ د. هيفاء الرشيد: ص(٥٧).

(٢) انظر: الأوبانيشاد: الجزء التاسع: "شاندوغيا": ترجمة عبد السلام زيان: ص (١٤٤-١٤٥)، وانظر أيضاً: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٣).

(٣) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٣).

معنى تجاوزي؛ فهي مقيمة داخل النفس، ومتحدة مع المبدأ الأسمى، وهو مبدأ فوق طبيعي وطاقة كونية، يقيم في العقل أو هو العقل، والعقل لا يعرفه^(١).
وقد صيغت وحدة الروحين هذه بعبارات فيدية مثل: "ذاك هو أنت"، "هذه الذات هي برهمن"، "برهمن هو الوعي"^(٢).

ثالثاً: الواقع العملي يفرض حقيقة نهائية واحدة:

التصور الفلسفي لفلاسفة الأوبانيشاد حول "براهمن" بأنه المطلق الأعلى وجوهر الوجود والمبدأ الأول، ويقابلها (أتمن) الحقيقة النهائية للنفس أوجد النظرة التي ترى بأن العالم المادي والموجودات والمظاهر الطبيعية ما هي إلا مظاهر خادعة وزائفة، وليست حقيقة، لأن الحقيقة واحدة ولا يمكن أن تكون هناك حقيقتان، هذه الحقيقة هي مبدأ "البرهمن"، والنفس البشرية مكونة من كائنين: إحداها: زائف وهي المادة، وثانيها: حقيقي وهي "الأتمن" الروح الإنسانية، ولذلك يجب على النفس البشرية أن تتخلص من عوالم المادة الزائفة؛ وتفنى بحقيقتها الروحية في الجوهر الكلي "البرهمن"، وهذا لا يكون إلا من خلال الواقع العملي الذي يفرضه الأوبانيشاد بأن — "برهمن" قوة كامنة في ذاته وغير متخلفة عنه تطلق عليها "مايا"^(٣)، وهي بدورها أزلية ل تحتفي عن "برهمن" إلا عندما يحصل المرء على المعرفة المباشرة من "برهمن".

ويزعم حكماء الأوبانيشاد بأن "مايا" تتكون من ثلاث غونات^(٤) هي مادتها الأساسية، وهذه الغونات الثلاث هي الجداول الثلاث التي تشكل حبل "مايا"، والذي يصبح البشر بوساطته مقيدين إلى العالم الظاهري أو عالم المظاهر، وهي توجد بدرجات مختلفة في كل الأشياء الكثيفة أو اللطيفة، بما فيها العقل والفكر والأنا، وتعرف بأنها "ساتفا - Sattva"، و"راجاس - Rajas" و"تاماس - Tamas".

(١) انظر: الفلسفة في الهند قطاعاتها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة: د. علي زيعور، الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١٣١٤هـ - ١٩٩٣م، ص (١٢٨).

(٢) انظر: الأوبانيشاد: الجزء التاسع: "شاندوغيا": ترجمة عبد السلام زيان: ص (١٢٥-١٢٨)، وانظر أيضاً: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص (٦٣).

(٣) برهمن ومايا كالنار وقدرتها على الإحراق؛ إن قبلت بأحدهما عليك أن تقبل الآخر، إذا رأيت النار فعليك أن تعترف بقدرتها على أن تحرق.

(٤) غون - Guna: الخيط أو الحبل.

"راجاس - Rajas" و"تاماس - Tamas" هما خصائص متعارضة، فالأول هو قوة "مايا" الفاعلة، والطاقة التي يظهر تأثيرها في النشاط المستمر، فتخلق التعلق والألم، بينما تتجلى "تاماس - Tamas" بالسكون والبلادة والإهمال والغباء، فهي تخلق الوهم، وهي تمثل قوة "مايا" الحاجبة، ويحقق "ساتفا - Sattva" التوازن بينهما فتتجلى بصفات روحية^(١).

ومن هذا الواقع العملي نجد أن النظرة الكونية ركزت على ضرورة الانفتاح على العالم الآخر "الروحي"، وفي نفس الوقت فإن تلك النظرة استندت في ذلك الانفتاح على ضرورة التحرر الروحي والانعتاق "موكشا - Moksha"، كأهم هدف في فلسفة الفكر الفيدي للهروب من دورة التناسخ "سمسارا"، ولبلوغ حالة التحرر الروحي والوصول إلى درجة الانعتاق فإن على الباحث الفرد أن يصل إلى المعرفة الإلهية عن طريق التركيز والتأمل^(٢) وممارسة أسمى أنواع العذاب الجسدي والذهني.

وكان الدافع وراء ذلك هو محاولة تحسين الحياة، وإيجاد المبررات والأسباب لفهم الحياة والطبيعة والكون، والسعي لاستئصال المعاناة، وكل تلك المحاولات كانت من خلال التوازن بين قوة "مايا" الفاعلة والحاجبة، ولكي تتجلى "ساتفا" بقوتها الروحية لتحدث التوازن بينهما، والسبيل إلى ذلك التوازن يكمن من خلال الممارسة العملية للفلسفة الفيدي الهندية، في أحسن صورها هي فن العيش في إطار سيطرة المرء الكاملة على ذاته، وفي أجل صورها كمحك لاختبار الحقيقة الفلسفية هو التأكيد على أهمية منظور التأمل الذاتي أو الاستبطان، إذ ينبغي على المرء لكي يتغلب على المعاناة أن ينغمس في فحص الذات، التي يمكن من خلالها فهم الأوضاع الداخلية للحياة، وهذا يقتضي وقتاً عميقاً متواصل^(٣).

رابعاً: انعكاس الحقيقة النهائية على الذات الإنسانية:

استناداً على التصورات الفلسفية في الأوبانيشاد فإن إيجاد التوازن بين "الغونات" الثلاث يبقى العالم في حالة استتار وتحلل، وعندما يضطرب التوازن بسبب سيطرة "غونا" على أخرى يبدأ في خلق العالم المادي، ويتم هذا الخلق من العنصر الأول "أكاشا - Akashic records" وهو العنصر الجوهر المادي غير الملموس، والمنبث في كل الكون، وهذا الجوهر افترض وجوده، استناداً على المعتقد الذي

(١) انظر: الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلائاندا، ص(٤١-٤٣).

(٢) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص(٦٠).

(٣) انظر: الفكر الشرقي القديم: د. جمال المرزوقي: ص(٢١٣)، والفكر الشرقي القديم: جون كولر: ص(٢٧).

ينظر لفكرة أن الكون انبثق من المادة الأثيرية المنتشرة في الكون، ثم تجلت أربعة عناصر أخرى هي الهواء والناء والماء والتراب، وهذه العناصر الخمسة هي لطيفة في البداية، فهي سارية في الكون ومنبثة داخله، ثم تصبح كثيفة فتنتج الأشياء المادية والجسد والحواس والعقل والفكر ومادة العقل والأنا^(١).

وهذا المعتقد له مفهوم فلسفي؛ إذ يرى بأن مادة الكون "أكاشا - Akashic" هي طاقة الحياة الأساسية التي ينبعث منها كل شيء في الوجود، وهذه الطاقة الأثيرية لها خاصية يمكنها حفظ سجلات الكون المعلوماتية، على هيئة ترددات وذبذبات، فكل فكرة لها ذبذبة خاصة بها محفوظة في تلك السجلات، منذ بداية الوجود وحتى نهايته، ولن تزول أبداً، ويمكن للأشخاص دخول المكتبة الكونية وزيارة سجلاتهم وسجلات من يشاؤون عن طريق حالة الوعي، ومن خلال الممارسة التأملية والإسقاط النجمي^(٢).

ومن هنا ظهرت فكرة الاستحواذ على طاقة الحياة أو ما يسميه حكماء الهندوس بالـ "برانا - PRANA"، وهي طاقة موجودة في كل شيء، ومتغلغلة داخل الكون، وظيفتها الخاصة هي الحركة؛ فهي القوة الحياتية المحركة للكون، وأما طريقة الاستحواذ على تلك الطاقة والتحكم فيها فتكمن من خلال الممارسة التأملية، واستنشاق الهواء من الطبيعة عبر عملية الشهيق والزفير، يستجلب من خلالها الممارس لعملية التأمل الطاقة المحيطة بالبيئة والمتمركزة في الهواء والأرض، وفق إيقاع ثنائي يعرف بـ "بنغالا - إدًا"، ومن خلال هذين القطبين يتنفس الإنسان طاقة البرانا الموجبة من المنخر الأيمن، ويتنفس البرانا السالبة من المنخر الأيسر^(٣).

هذا الأمر يقودنا إلى معتقد آخر لا يقل أهمية عن سابقه؛ وهو معتقد التجسد الإلهي، أو الإله الإنسان، أو الشخص الكوني، وبحسب الفلسفة الفيديوية فإن الممارسة التأملية أو بمعنى آخر الطقوس الشعائرية تعتبر واحدة من أهم وأجل التعابير التي تشير إلى القوة الخفية لتلك الشعائر، وأنها هي القوة الأسمى والمتحكمة لكل ما يجري، فهي تعلق قوة الكهنة كخبراء لتلك الشعائر، فهم حين يقرأون تلك التراتيل الخاصة بهم يتصورون الواقع كشخص عملاق يقرب نفسه لنفسه شعائرياً، آتياً

(١) انظر: الهندوسية: تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلاناندا: ص(٤٣).

(٢) انظر: الوعي الكوني "أكاشا": إعداد: إميل سمعان، مقال متاح على موقع مركز العلاج البديل: للإخصائي الماستر: إميل سمعان: (<http://www.emile4u.com>)، والسجلات الأكاشية وكيفية الوصول إليها: مقال منسوب إلى محمد إسماعيل متاح على موقع ما وراء المادة: (<http://www.metaphysicalarabia.com>).

(٣) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية: غطاس الحكيم، ص: (٢٠٠)، وطاقة الحياة: غاي براون، ت: أحمد العميري، ص(٢٥)، وأسرار الطاقة: حكم الزمان حمرة، ص: (١٥٧).

بهذا الكون إلى الوجود، في كل تنوعه المنتظم، وبرؤيتهم للكون في شخص واحد، أو رؤية العالم بتمامه في تجل منظم للحقيقة العليا وهي الحقيقة النهائية^(١)، وهي في أسمى صورها: التجلي الوحيد لـ "برهمن" المطلق هو "الأفاتارا - Avatara"، حين يجسد الإله نفسه لتلبية حاجة كونية رغبة منه بتأمين استمرارية العالم، واضعاً الممتلك الأبدي للمعرفة والسيادة والقوة والقدرة والطاقة والنشاط "مايا" والطبيعة الأولية المتميزة بالغونات الثلاث تحت سيطرته، ويتميز هذا التجسد حسب الفلسفة الفيديا بأنه ليس محدوداً بزمان أو مكان، وليس محددًا بشخصية تاريخية واحدة^(٢).

(١) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ص(٥٥).

(٢) انظر: الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلاناندا، ص(٤٣-٤٥).

المطلب الثامن: نظرية الـ"نيرفانا" عند "سيدهارتا غوتاما".

حين ثار "سيدهارتا غوتاما" - ﷺ - بوذا" على الديانة الهندوسية، فإن هذه الثورة لم تكن لتحديث ديناً أو معتقداً جديداً، وإنما كانت ثورة وحركة عكسية لإصلاح ما أحدثته الهندوسية من نظام طبقي لا تقبله النفس البشرية بأي حال من الأحوال، ولتقديم صورة أفضل من تلك التي في الهندوسية حول النفس البشرية وتخليصها من المعاناة، وتحقيق الاستنارة من خلال التصوف والخشونة ونبد الترف، والمناداة بالحب والتسامح وفعل الخير، فهي ثورة اهتمت بالدرجة الأولى بالسلوك والأخلاق الكريمة والمساواة بين البشر، فهي تمثل فلسفة حياة قائمة على الاستبصار والجهد البشري، ومع تطور فكرها أمست تأول كطريقة دينية؛ لأنها بحثت عن الخلاص القائم على الإيمان بـ"بوذا" وبتعاليمه، ويمكن اعتبار "الطريقة البوذية" بفلسفتها وتعاليمها الدينية مكوّنين للسبيل الكلي في الحياة المتجه لتحقيق أكبر قدر من الكمال البشري^(١)!

ولقد اهتم "بوذا" بجانب تحقيق الكمال البشري؛ وحظيت فلسفته بنصيب وافر من الدراسات المتصلة بالتراث الروحي الشرقي لاستناد مبادئها على الرحمة والأخلاق الكريمة والمساواة^(٢)، ولكنه في المقابل غض الطرف عن قضية الإله، وجعل حياته وتعاليمه الأساسية نواة الطريقة البوذية في العيش، وليست من أولويات هذه الطريقة الاهتمام بقضية الألوهية، وقد كان في بداية دعوته لا يتكلم عنها ولا يوليها أي اهتمام، وكان يتحاشى الخوض في أمور الغيب^(٣)، وليس في تعاليمه شيء عن الله - ﷻ -، أو عن تقديم القرابين، حتى وصل به الحال إلى أنه حرم على مريديه وأتباعه النظر أو الخوض في الإلهيات، أو القضايا المتصلة بالأبحاث اللاهوتية، وما وراء الطبيعة، وما يتحدث عن القضايا الدقيقة في الكون^(٤)، فهو لم يذكر وجود الإله في الحقائق المقدسة، كما أنه لم يوص تلميذه وخليفته من بعده بالإيمان بالله، وإنما أوصاه بأن يتخذ من نفسه ملاذاً^(٥).

(١) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص(١٠٣).

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم لـ د. جمال المرزوقي: ص(٢٣١).

(٣) انظر: موسوعة الملل والأديان: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، النشر والتحرير: لجنة الإشراف العلمي بموقع الدرر السنية، ١٤٣٦هـ.

(٤) انظر: أديان الهند الكبرى لـ د. أحمد الشلبي: ص(٢٠٦)، وانظر أيضاً: الأديان الوضعية ومصادرها المقدسة لـ د. إبراهيم محمد إبراهيم: ص(١٣٩).

(٥) انظر: أديان الهند الكبرى لـ د. أحمد شلبي: ص ١٧٠، وفصول في أديان الهند للأعظمي: ص(١٤٠ - ١٤٢).

هذا الإعراض والسكوت عن هذه القضية الجوهرية ألجأ بعض العلماء والباحثين^(١) إلى القول بأن (بوذا) كان ملحداً وأنه لم يكن من مثبتي الألوهية^(٢).

يقابله رأي آخر يميل إلى أن "بوذا" كان مؤمناً بإله^(٣)، وأنه لا توجد أدلة صريحة تدل على إنكاره للألوهية، وأن سكوته في مثل هذه القضية وعدم التفصيل فيها كان بناءً على النهج الذي سلكه مع أتباعه من عدم الخوض فيها، وأنه كان يرى بأن الإيمان بإله شيء والدعوة إليه شيء آخر، وأن الدعوة إلى عبادة إله شأن مؤسسي الأديان ودعاتها!، وهو لم يرد هذا؛ وإنما أراد بما لديه من نزعة إنسانية أن يحدث ثورة تخلص الإنسان من الألم والمعاناة، فقنن قواعد الأخلاق والسلوك والتأمل المفضية إلى إيقاف هذا الألم، مع أن هذه النزعة قد ترتب عليها من جهة أخرى تسليم "بوذا" بمألوه؛ إذ يصبح الإنسان المتحرر الذي يحقق الخلاص لنفسه كائناً إلهياً، أو متحداً باللانهاية اللاواعية المطلق^(٤).

هذا الموقف الغامض من "بوذا" حول الإله وعدم وجود تصور واضح لقضية الألوهية كان نتيجة للوضع السائد في المجتمع الهندي القائم على مظاهر تعدد الآلهة، مما ولد لديه ردة فعل دفعه إلى إهمال هذه القضية وعدم الخوض فيها، فهو لم يشغل نفسه بالكلام عنها نفيًا أو إثباتًا، كل ذلك كان سبباً في أن يوصم بالإلحاد، ولكن إلحاده لم يكن بالمعنى الدقيق، ذلك المعنى المؤدي إلى إنكار الخالق بالكلية، بل إن إلحاده يتمثل في نبذه لآلهة الهندوس، ولهذا شواهد كثيرة في خطبه ومحاوراته

(١) أمثال: ول ديورانت في قصة الحضارة: (٣/٥٧-٨٢)، وحبيب سعيد في كتابه: أديان العالم: الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، مصر، ص(١٠١-١٠٣)، وأحمد شلبي في أديان الهند الكبرى: ص٢١٢، وتوملين في كتابه: فلاسفة الشرق: ص٢١٣، وعبد الله نومسوك في كتابه: البوذية، تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ = ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص(١٥٢-١٥٧) وغيرهم، وقد نقل د. ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه فصول في أديان الهند: ص(١٤١) بأن كثيراً من العلماء المتقدمين أجمعوا على إنكار بوذا للألوهية وذكر منهم: "تان سين" (١٥٠ ق م)، و"ناجا أرجن" (١٧٥ م)، و"آسنك" (٣٦٠ م)، و"بسويند" (٤٠٠ م)، و"دجناج" (٤٢٠ م)، و"شانت" (٧٥٠ م)، و"شاكيا شري بدر" (١٢٠٠ م)

(٢) انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني لـ د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص(٩٤).

(٣) أمثال: د. غوستاف لوبون في كتابه: حضارة الهند: نقلها إلى العربية: عادل زعيتر، الناشر: دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط١ = ٢٠٠٩م، ص(٣٨٧)، والشيخ محمد أبو زهرة في كتابه: الديانات القديمة: الناشر: معهد الدراسات الإسلامية، ص(٧٠).

(٤) انظر: مشكلة التأليه في فكر الهند الديني لـ د. عبد الراضي محمد عبد المحسن: ص(٩٦-٩٨).

ومن ذلك إنكاره لآلهة الهندوس (براهما) من خلال محاورته لأحد الهندوس^(١)، وفكرة الإيمان بإله خالق للكون ومسيطر عليه موجودة لديه؛ وخاصة إذا ما أخذنا في عين الاعتبار أن البوذية أيضاً نبعت من البيئة الهندية، فهي محاولة فلسفية لا تختلف كثيراً عن محاولات فلاسفة الهند ونظرتهم نحو الوجود، إلا أنها تميزت عن الهندوسية بكونها ذات رؤية وسطية وازنت بين حياة الشهوات، وبين حياة الزهد، فهي في الوقت الذي مارست فيها القمع الذاتي للشهوات، رأت أن تعذيب النفس ليس سبيلاً للاستنارة^(٢)، كما أنها اعتقدت أنها حلت مشكلة المعاناة والموت ولكن دون افتراض أي وجود للمطلق^(٣)، كما أنها في الوقت ذاته اتخذت من دعوة التحرر من المعاناة والموت، والتفكير في طبيعة النفس، والفعل، والمعرفة، سبيلاً إلى تحقيق الاستنارة، والوصول إلى القداسة من خلال الانغماس في إنكار الذات، والبعد عن الممارسات الزهدية الأكثر تطرفاً، والمحافظة على العهد في تنفيذ الوصايا البوذية العشر^(٤)، والالتزام بالمنظومة الأخلاقية البوذية، وهي كلها تؤدي في نهاية المطاف إلى الفناء الذاتي المفضي إلى الإطفاء والخمود الذاتي، وإلى مرحلة "لا حياة ولا موت"، إنها حالة من السعادة التي يعترها نشوة التحرر من الفردية ومن العودة إلى الحياة إلى حالة من النعيم الذاتي، والسعادة في الحياة التي تلي الموت، فلا تناسخ ولا تكرار للمولد. وهذا الحالة يسميها "غوتاما" بالـ "نرفانا".

ماهي الـ "نيرفانا"؟

النرفانا كلمة سنسكريتية تتألف أصلاً من مقطعين: "نر - Nir" ومعناها يطفئ أو يخمد، و"فانا - Vana" بمعنى ينفخ، والمعنى الكامل: الإخماد حيث تسعى البوذية إلى الوصول إلى حالة سامية

(١) المحاوره أوردها بالتفصيل د. ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه: فصول في أديان الهند: ص(١٤٠-١٤١)، وانظر أيضاً: البوذية لـ د. عبد الله نومسوك: ص(١٥٢-١٥٦).

(٢) انظر: قصة الحضارة: ديورانت، ص(٧٠).

(٣) انظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(١٠٣).

(٤) انظر: الفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص(١٠٣)، وفلاسفة الشرق: أ. و. ف. توملين، ترجمة: عبد الحميد سليم، ص(٢٢٢)، وموسوعة تاريخ الأديان: الشرق الأقصى: فراس السواح، ص(١٨٩)، وقصة الديانات: سليمان مظهر، ص(١٢٥)، وأسرار الآلهة والديانات: أ. س. ميغوليفسكي: ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط٤=٢٠٠٩م، ص(١٩٩، ١٩٠).

من التحرر عن طريق إخماد رغبات الفرد ووعيه^(١)، وبمعنى آخر: فالنرفانا تطلق ويراد بها السكنينة التي لا يشوبها ألم، ومصدرها الرئيسي هو إخماد الشهوة الجسدية^(٢).

يقول "بوذا" في معرض حديثه عن النرفانا: "والآن فهذه هي الحقيقة السامية عن زوال الألم، إنه في الحق فناء المرء حتى لا تعود له عاطفة تشتهى، إنه اطراح هذا الظمأ اللاهث، والتخلص منه والتحرر من ريقته، ونبذه من نفوسنا نبذاً لا عودة له"^(٣).

ولفهم حقيقة النرفانا، علينا أن نفهم طبيعة الحالة الروحية التي يصل إليها الفرد البوذي والمتمثلة في "انعدام كل شيء في أعماقه"^(٤)، وهذا الانعدام يمثل بالنسبة للفرد البوذي نعيماً ذاتياً؛ لأن الخلاص من المعاناة والآلام لا يتم إلا من خلال الغرق في النعيم الذي لا ينتهكه أي شيء، إنه الغرق في النرفانا إذ "لا حياة ولا موت، ولا بعث ولا نشور، ولا فناء ولا عدم"^(٥)^(٦).

وسيدهارتا غوتاما نفسه لم يعرف "النرفانا"، ولم يضع لها أي معلم، وعندما جاء أتباعه من بعده فسروا الكلمة بكل ما يمكن أن يقع تحت الشمس من ضروب التفسير المقدسة^(٧)، ولكن حسينا أن

(١) انظر: المنهجية في دراسة الأديان الوضعية: أ. د. عبد الله سملك: ص(٣٤٦)، وأسرار الآلهة والديانات: ميغوليفسكي: ص(٢٠٦).

(٢) انظر: قصة الحضارة: ديورانت، ص(٨٥).

(٣) نفس المصدر السابق: ص(٨٥).

(٤) انظر: أشهر الديانات القديمة: لطفي وحيد، الناشر: المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط "بدون"، عام النشر "بدون"، ص(٩٥).

(٥) انظر: الهند القديمة، حضاراتها ودياناتها: د. محمد إسماعيل الندوي، الناشر: دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م، ص(١٤٩)، وانظر أيضاً: أسرار الآلهة والديانات: أ. س. ميغوليفسكي: ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، ص(١٦٣).

(٦) الطريقة البوذية بجانب كونها لم تهتم بقضية الألوهية ولم ترعها أي اهتمام، هي كذلك لم تعط لقضية الخلود والحياة بعد الموت أي اهتمام؛ فالثورة البوذية هي في أساسها لم تكن إلا للقضاء على موضوع التناسخ وتكرار المولد، وأما الإيمان باليوم الآخر والخلود وحتى حقيقة الاتحاد بالذات الإلهية هي كلها تعاليم وافدة على الفكر البوذي نتيجة للتطورات المذهبية وتأثر البوذية بالبيئات المحيطة بها، فنجد في فلسفة "زن" البوذية بأن الإنسان يصل إلى أن يتحد بنفسه بالكائن المطلق والمتمثلة في شخصيات مختلفة تنظر إليها بنظرة الألوهية، ومن تلك الشخصيات (سيدهارتا غوتاما "بوذا")، وعندما تتحد بها تكون قد وصلت إلى مرحلة الفردوس المادي؛ حيث تنعم النفس فيها بالحديث مع الشخصيات الإلهية، وفكرة الفردوس المادي حلت وفق هذه المدرسة محل فكرة (النرفانا)، ومما يلاحظ هنا أن أتباع هذه المدرسة لا يؤمنون بالحياة الآخرة، ولا بمبدأ الثواب والعقاب، وفكرة أن يستسلم الإنسان لقوى أخرى مرفوضة عندهم، ولذا فإن الهدف من تحقيق الاستنارة عندهم هو الاتحاد بالشخصيات الإلهية، والحديث معها، هذه هي أقصى غاية عندهم، وأسمى هدف!.

(٧) انظر: معتقدات آسيوية: كمال سعفان: ص(٢١١)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: ديورانت: ص(٨٤).

ندرك حقيقة الحالة الروحية التي يمكن للفرد البوذي أن يصل إليها ويظن أنه وصل إلى النيرفانا، إنها تمثل بالنسبة له نهاية الصيرورة المؤلمة، فهي الأمن النهائي، والحالة الأبدية لعدم الوجود وعدم العدم، لأن كل ما ليست له نهاية ليست له بداية، ولا يمكن للمعرفة البشرية والكلام البشري أن يحيط بها فهماً^(١).

وبالتالي فإن الحالة النرفانية تتمثل في الطريقة البوذية بكونها أعلى درجات الصفاء الروحاني، التي يبلغها الفرد في الفكر البوذي، بعد مصارعاته ومجاهداته النفسية، عن طريق تجريد النفس، وقمع جميع الشهوات والرغبات، وممارسة الضغط على الذاتية والأنانية، لإزالة الرغبات، وانعدام المطامع والأهداف، ومن ثم لا مجال لفعل الخير أو لارتكاب الشر، فتتوقف دورة التناسخ الروحي، وتنطلق القوة الحيوية بعد الموت إلى حيث الخمود المطلق، والفناء النهائي الذي لا عودة فيه أبداً^(٢).

ويمكن أن نقسم الحالة النرفانية إلى حالتين:

أولها: وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع الرغبات المادية.

الحالة الثانية: إنقاذ الإنسان نفسه من ريقة "الكارما"، ومن تكرار المولد، بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

في الحالة الأولى يصل الفرد البوذي إلى "النرفانا" وهو حي، بينما في الحالة الثانية ترتبط النرفانا بالموت وبالتخلص من هذه الحياة على ألا يعود لها^(٣).

ويحاول القديس البوذي "بودهي ناندا" أن يقرب الصورة أكثر فيقول "هنالك قوى كونية ترتب أفعالنا، وتضعنا في ظروف نلقى فيها ما نستحقه من ثواب وعقاب، فهذا هو قانون "كارما" إنه ليس إلهاً؛ ولكنه يتحكم في الآلهة، وفي الناس، وفي غيرهم، فكل شيء في الوجود تحت حكم هذا القانون"^(٤).

فالفكر البوذي يجعل مآل الإنسان تحت هذا القانون، وهو قانون يدعو إلى السلبية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، هي دعوة إلى الهروب من الحياة المادية والانغماس في التجربة الروحية من

(١) انظر: موسوعة تاريخ الأديان: الشرق الأقصى: فراس السواح، ص(٢٠٨)، وقصة الأديان: د. سليمان مظهر، ص(١٢٥).

(٢) انظر: البوذية: د. عبد الله نومسوك: ص(٢٥٣)، وانظر أيضاً: المنهجية في دراسة الأديان الوضعية: أ. د. عبد الله علي سمك، ص(٣٦٣).

(٣) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلي، ص(١٥٥)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: ديورانت: ص(٨٤).

(٤) انظر: البوذية، تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها: د. عبد الله نومسوك، ص(١٨٦).

خلال التركيز في التفكير والعمق فيه، ولا يمكن فهم حقيقة هذه التجربة الروحية من خلال النظريات؛ بل بالسير المتواصل لضبط الشهوات دون شعائر محددة أو طقوس معينة، حينها يصل الراهب المنتسك إلى أعلى درجات الاستنارة، ومن خلال جمعه لمكونات الـ "نرفانا" السبعة وهي: السيطرة على النفس، والبحث عن الحقيقة، والنشاط، والهدوء، والغبطة، والتركيز، وعلو النفس^(١)، فيتولى بنفسه كشف الأسرار، وفي نهاية المطاف يقوم ذلك الراهب المنتسك العابد مقام المعبود، والمخلوق مقام الخالق؛ فلم يبق بينه وبين خالقه أدنى فرق، ومن هنا يدعي الألوهية لنفسه!، ومن وصل إلى تلك التجربة الروحية فقد وصل إلى حقيقة النرفانا فلا حياة ولا موت، ولا يعقب ذلك جنة ولا نار، ولا بعث ولا نشور^(٢).

ويمكن للفرد في الفكر البوذي أن يصل إلى النرفانا من خلال الطرق ذو الشعب الثمانية والتي تتكون من النظرة السليمة إلى الحقائق الأربعة: وهي الألم، ومصدرها، وإعدامها، والطريق إلى إعدامها.

ثم تتبعها النية السليمة، فالقول السليم، ثم العمل الطيب، والعيش السليم، والجهد الطيب، والفكر السليم، والتركيز السليم.

هذا الطريق ذو الشعب الثمانية هي منظومة من ثمان خطوات متعاقبة؛ حيث الكمال في كل خطوة مطلوب قبل التقدم لما يليها، وبالأحرى فهي يمكن اعتبار هذه الخطوات الثمانية قواعد مرشدة لبلوغ حياة متكاملة كلياً، ولكن وراء تلك القواعد الثمانية المكونة للطريق ثلاثة مبادئ رئيسية وهي: الحكمة، والسلوك الأخلاقي، والانضباط الذهني^(٣).

المرحلة الأولى: الالتزام بالأخلاق البوذية، وتسمى "سيلا - Sila"، وتتضمن القول السليم والعمل الطيب، والعيش الحلال.

المرحلة الثانية: الرياضة النفسية بالتأمل الذاتي، وتسمى "سمادى - Smadhi"، وتتضمن الجهد الطيب، والفكر السليم، والتركيز السليم.

(١) انظر: قصة الحضارة: ديورانت، ص ٨٥.

(٢) انظر: المنهجية في دراسة الأديان الوضعية: أ. د. عبد الله علي سمك، ص ٣٦٣.

(٣) انظر: البوذية: د. عبد الله نومسوك: ص ٢٥٣، أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلي، ص ١٥٦، وفصول في تاريخ الهند: د. ضياء الرحمن الأعظمي: ص ١٣٦، وموسوعة تاريخ الديان: فراس السواح: ص ٢٠٧، وقصة الديانات: د. سليمان مظهر، ص ١٢٦، وأشهر الديانات القديمة: لطفي وحيد، ص ٩٥. وقصة الحضارة: ديورانت: ص ٧٦، والفلسفة الآسيوية: جون م. كولر: ص ١٢٤، وأسرار الديانات والآلهة، ميغوليفسكي: ص ١٩٠.

المرحلة الثالثة: مرحلة التنوير والمعرفة والكشف، وتسمى "بانيا - Panya" وتشمل النظرة السلمية والقرار السليم^(١).

هذا هو فكرة النرفانا في الفكر البوذي ودوره في صياغة فلسفة التأمل الكوني، ونلاحظ كيف أن البوذية اختلفت حالها بعد وفاة مؤسسها، وخلفت تعاليم بوذا وموقفه السلي من قضية الألوهية فراغاً كبيراً لدى أتباعه حول الإله الذي يعبدونه، نتج عن ذلك انقسام البوذية إلى قسمين: منها من حافظت على تعاليم بوذا مع إهمالها لقضية الألوهية، وهو مذهب الراشدين "التيرافادا". ومنها من تحررت من التعاليم واتجهت نحو الجانب الفلسفي، وتأثرت بالقضايا الفلسفية التي سادت في وقتها، فتأثرت "المهايانا" بالهندوسية واتجهت نحو تأليه "بوذا"، وأصبحت البوذية في الهند لا تختلف كثيراً عن الهندوسية من الناحية الدينية والجانب العملي؛ فبوذا أصبح إلهاً بجوار آلهة الهندوس، وأضحى التأمل الكوني منهجاً عملياً للفرد البوذي لتحقيق الاستنارة والتغلب على الحقائق الأربعة، والوصول إلى النرفانا.

وحيث صُدّرت البوذية إلى خارج محيطها اختلفت بالمفاهيم والعقائد المنتشرة في تلك البيئة، ولم تستطع أن تحافظ على أصالتها، فخرجت عن طورها، وإذا ما نظرنا إلى البوذية في التبت والبلاد المجاورة لها نجد كيف تأثرت اللامية أو "الفجريانا" بالتعاليم التي كانت متواجدة في التبت، فهي عبارة عن طقوس دينية اصطبغت بالعقيدة المحلية التي تؤمن بقوة السحر وتنظر إليها على أنها قوة إلهية مقدسة^(٢)، فخطت خطوات نحو الاتجاه الباطني الفلسفي، فأعطت للطقوس السحرية ولسيادة المرئي أهمية قصوى في تعاليمها^(٣)، واستمدت من (اليوغا) الهندية أهم التمارين الذهنية والجسدية التي تمكن من التقدم الروحي، كما أنها اعتمدت على ممارسة طقوس (التانترا)^(٤)، وينظر التيبتيون إلى (الدلاي لامات) بأنهم آباء روحيين لهم، وأنهم كائنات مستنيرة تتأمل بحياتها اللاحقة فتختار أن تولد

(١) انظر: البوذية: د. عبد الله نومسوك: ص ٢٥٣.

(٢) انظر: فلسفة الزن رحلة في عالم الحكمة: جان لوك تولا، ترجمة: ثريا إقبال، الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة"، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م، ص ٢٣، وانظر: أديان العالم -دراسة روحية تحليلية لأديان العالم-: د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم، الناشر: دار الجسور الثقافية، حلب، سوريا، ط ٣=١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م، ص ٢٢٠.

(٣) انظر: فلسفة الزن رحلة في عالم الحكمة لـ (جان لوك تولا)، ترجمة: ثريا إقبال: ص ٢٣، و أديان العالم -دراسة روحية تحليلية لأديان العالم- لـ د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم: ص ٢٢٠.

(٤) انظر: أديان العالم -دراسة روحية تحليلية لأديان العالم- لـ د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم: ص ٢٢٠.

من جديد لفائدة الجنس البشري^(١)، وهي بتلك النظرة تصف شخصية (بوذا) بصفات تجاوزية تشبه إلى حدٍ كبير صفات الـ(براهمان) في الهندوسية، والـ(طاو) في الطاوية، وهو قول مفض إلى القول بالحلول والاتحاد^(٢).

ولا يختلف الحال كثيراً مع بوذية الـ"زن" والتي نشأت في الصين وتأثرت كثيراً بالفلسفة الطاوية، والمذهب الأخلاقي الكونفوشيوسي، وقدمت لأتباعها فلسفة روحية بحتة، متمثلة في فلسفة الزن، وهي فلسفة تركز على التأمل وفق نظرية الـ"ين" والـ"يانغ"^(٣)، وانتقلت إلى اليابان، وافتقرت كثيراً عن تعاليم بوذا، وهي تهتم بالتأمل، والمعنى الحرفي لـ"زن" هو التأمل، وفلسفة الـ"زن" فلسفة تشدد على نوع معين من الانضباط الروحي، يساعد على تحقيق الاستنارة المفاجئة، وهي بدورها مرحلة على طريق الاستنارة الكاملة^(٤)، ولا يمكن فهمها إلا من خلال خوض تجربة روحية، تقتضي التركيز والانضباط الذهني، والجسدي، والمعنوي، لتحقيق الصحة وتحصيل الاستنارة المفاجئة، إنه الوجود في اللحظة ذاتها، فيما وراء كل وجود في الكون، وبلوغ أبعاد بوذا والعيش في هذه الأبعاد!^(٥)، وتلعب الرياضات الروحية والمتمثلة في التنفس العميق دوراً بارزاً لإدراك الفردوس المادي^(٦)؛ إذ تنعم النفس التي بلغت أبعاد بوذا والمتواجدة في اللحظة ذاتها بالحديث مع الشخصيات الإلهية وتحصيل العلم والمعرفة^(٧).

(١) انظر: اللامية. بوذية التيب، دراسات في الأديان للكاتب: نبيل فياض، منشورة على موقعه الرسمي:

<http://www.nabilfayad.com>.

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص ١٣٩.

(٣) انظر: فلسفة الزن: جان لوك تولا: ص ٢٧.

(٤) انظر: فلسفة الزن: جان لوك: ص ٧، والفكر الشرقي القديم: جمال المرزوقي: ص ٢٣١، والتطبيقات المعاصرة ص ١٥١.

(٥) مقولة لـ(دوجين) في مؤلفه شوبوغنزو، نقلاً من فلسفة الزن: ص ٧٩.

(٦) انظر: فلسفة الزن: جان لوك تولا، ص: ٨١.

(٧) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص ١٥٢.

المطلب التاسع: الرؤيا الكونية عند "هرمس".

لقد كانت للرؤيا الكونية التي رآها "هرمس الحكيم" في إحدى جلساته الإشرافية، وسجلتها أقدم الوثائق التاريخية الأثر الكبير في صياغة الأفكار الفلسفية، وبناء التصورات البشرية حول الإله، وأصبحت أغلب القضايا الفلسفية التي طرحها كبار الفلاسفة أمثال فيثاغورث^(١) وأفلاطون^(٢) متأثرة بتلك الرؤيا، حتى إن كبار فلاسفة عصر النهضة حين ترجموا النصوص الهرمسية اعتقدوا بأنها المصدر الأول لأولئك الفلاسفة.

وإن المتأمل في تلك الرؤيا وحين يقارن بين مضامينها وبين حقيقة فلسفة الطاقة الكونية ليجد الأثر المباشر للرؤية الهرمسية على فلسفة الطاقة الكونية، وأضحت تلك الرؤيا جذراً هاماً في البناء الفكري للمتأثرين بحقيقة الطاقة الكونية والمؤمنين بها، فمن هو هرمس؟ وما هي حقيقة تلك الرؤيا؟ وما أثرها على فلسفة الطاقة الكونية؟.

التعريف بشخصية "هرمس" الحكيم:

"هرمس" شخصية موعلة في القدم بقدم التاريخ الإنساني، وينتاب الشك حول تلك الشخصية، وحول حقيقتها؟ هل هي شخصية حقيقية أم هي من وحي الخيال؟! .

اختلفت الآراء حول شخصية "هرمس"، واختلاف الآراء يدل على تنوع التصورات حول تلك الشخصية، فمنهم من رفعه إلى درجة الإله، ومنهم من عدّه نبياً، وآخرون جعلوه حكيماً وطبيباً، واختلاف التصورات يدل على تأثير تلك الشخصية على مختلف الثقافات والحضارات، فكل أمة تدعي صلتها بهرمس، وتزعم أنه منها، وهذا يقودنا إلى حقيقة تأثير تلك الشخصية على حياة الناس في مختلف الأوطان والأقطار.

(١) فيثاغورث: فيسولوف يوناني، ولد سنة (٥٧٢ ق.م)، ذهب إلى تفسير الطبيعة تفسيراً عددياً، وأسقط عن الأجسام أي خواص لها، إلا ما يمكن التعبير عنه بأرقام وأعداد، وتوفي سنة (٤٩٧ ق.م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٣٣)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٦٦٥).

(٢) أفلاطون: فيسولوف يوناني، ولد سنة (٤٢٧ ق.م)، تتلمذ على سقراط، وتلمذ عليه أرسطو، ومن مؤلفاته: الجمهورية وتيمائوس، وتوفي سنة (٣٤٧ ق.م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٧٩)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ١٠٠).

تشير بعض الدراسات التي اهتمت بهرمس بأنه هو الشخصية التي سماها الفرس "أنجهد"، وسماها اليهود "أنوش" أو "أنوخ" أو "خنوخ"، وسماها الصابئة "بوذا سيف"، وسماها المسلمون "إدريس النبي"^(١).

وهرمس ظهر عند الرومان^(٢) باسم "مركوري" وأرميس، وقد قابله "نولدكه"^(٣) بـ "أندرياس" طاهي الإسكندر، وقيل هو أختاتون التي حولت إلى "أخنوخ"، و "أوزريس" التي حولت إلى "إدريس"، وقيل أخو إلياس أو الخضر^(٤).

و "هرمس" ظهر أيضاً في فترة محددة في الثقافة اليونانية، ولكن فيما يبدو أن ورودها في الفكر اليوناني متعلق بتأثير مدرسة الإسكندرية على الفلسفة اليونانية؛ إذ ينسب بعض الباحثين تلك النصوص إلى الحكيم المصري "تحوت" الذي ظهر في مصر القديمة قبل ٣٠٠٠ عام (ق.م)، وتحول بفضل حكمته المقدسة إلى كائن رباني، وعظمه اليونانيون الذين كانوا يبجلون المعرفة الروحانية المصرية، وأصبح "تحوت" من ضمن آلهة اليونان، وعرف باسم "هرمس"^(٥).

يقول د. لطف الله خوجة في رسالته "الإنسان الكامل": "وهرمس هذا اسمه "تريسي مجستوس"، وهو في الأصل اسم يوناني للإله المصري "طوت"، جعلته الحكايات رجلاً من

(١) انظر: هرمس المثلث العظمة: لويس مينار، ترجمة: عبد الهادي عباس، الناشر: دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ١=١٩٩٨م، ص ٥، وانظر أيضاً: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة: أحمد غسان سبانو، الناشر: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ٤ = ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٦.

(٢) الرومان: نسبة إلى روما، عاصمة إيطاليا الحالية، والمعنى يشير إلى أرض الثيران والعجول، تأسست هذه المدينة في القرن الثامن ق.م، أسسها "روم ولوس"، ثم نمت روما نتيجة عناصر بشرية مختلفة من الإيطاليين وغير الإيطاليين ولا سيما الإغريق اليونانيين، حتى غدت دولة مدنية ذات حضارة وقوة سياسية وعسكرية. انظر: تاريخ الرومان وحضاراتهم: جهاد محمود توفيق، ص (٢).

(٣) نولدكه: نولدكه: ثيودور نولدكه، مستشرق ألماني، ولد عام (١٨٣٦م) في هامبورغ، يعد شيخ المستشرقين، أبرز من ابتدأ الزعم من بين المستشرقين بوجود أخطاء في القرآن الكريم، وآراءه مبثوثة في مباحث كتابه الشهير "تاريخ القرآن"، وقد كوّن صورة كلية عن القرآن بوصفه عملاً إنسانياً وضعه محمد ﷺ -!، هلك عام (١٩٣٠م). انظر: المستشرقون ودعوى الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم: د. آدم ميا، ص (١٢).

(٤) انظر: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة: أحمد غسان سبانو، ص (٧-٨).

(٥) انظر: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة: أحمد غسان سبانو، ص ٦، وانظر أيضاً: متون هرمس - حكمة الفراعنة المفقودة: تيموثي فريك و بيتر غاندي، ترجمة: عمر الفاروق عمر، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠٠٢م، ص ١٥.

الحكماء، ثم من الأنبياء، ونسبت إليه كتباً منها رسالة في معاتبة النفس، شاع اسمه في بابل وإيران، وانتسب إليه بعض الصابئة، ونسبت إليه الأساطير والعلوم الإنسانية والإلهية^(١). ولكثرة الآراء المتعددة حول هذه الشخصية، وما يكتنفها من غموض؛ إلا أن كل الآراء والأبحاث التي جاءت عن "هرمس" في مختلف الأزمان والحضارات أجمعت على أن هذه الشخصية تتمتع بصفات منها:

أولاً: أنها شخصية تتميز بكونها فريدة ومميزة.

ثانياً: أنها ذات ثقافة واسعة وعلم مميز في زمن سادته الجهل.

ثالثاً: هذه الشخصية لها تعلق بالله - ﷻ -؛ فهي عند البعض تحمل صفة إله، وعند آخرين نبي مرسل، إلا أنه في كل الأحوال فقد تمتعت تلك الشخصية بكونها ذاتاً مقدسة.

رابعاً: تحدد فترة ظهور "هرمس" بزمن سابق على زمن "الطوفان"، فهي شخصية ظهرت مع فجر عصر الكتابة، ويحددها علماء التاريخ الإنساني في حوالي الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد. خامساً: أجمع الباحثون على أن "هرمس" كان حكيماً متعبداً طاهراً هادياً وداعياً، وأنه كوفئ من عند الله فأصبح خالداً في الجنة، وأنه رفع مكاناً علياً^(٢).

خلاصة القول:

الذي يترجح والله أعلم أن شخصية "هرمس" هي مزيج أسطوري قديم، من شخصيات حقيقية وخيالية، ظهرت على فترات متفاوتة من التاريخ البشري، والهرمسية عموماً هي اتجاه روحي ذو صبغة دينية، وإنسانية، تنتسب إلى "هرمس المثلث بالعظمة"، وقد اعتقد القدماء بأنه ظهر في ثلاثة تراثيات كبرى بثلاثة تجليات، فهو عند المصريين القدماء أخنوخ، وعند اليونانيين القدماء إرميس، وعند المسلمين إدريس، وقد أخذ اليهود الاسم المصري القديم، وألحقوا بالتوراة سفيراً بعنوان "أخنوخ"، كان متداولاً بمصر، وموجوداً بها في القرن الثاني الميلادي، ثم اختفى^(٣).

(١) ص (٤٢١).

(٢) انظر: هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة: أحمد غسان سبانو، ص ٦.

(٣) انظر: دوامات التدين: يوسف زيدان، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠١٣م، ص ٢٩.

والحاصل أن هنالك لبس وخلط في الموضوع؛ وقد يكون الشخص المعني بهرمس هو نفسه "إدريس النبي^(١)" الذي قص الله علينا خبره في القرآن الكريم فقال جل وعلا: "ورفعناه مكاناً علياً"، إلا أن التحريف والتبديل والتغيير قد لحق بتلك النصوص التي عثرت في زمن ما، شأنها شأن الصحف والكتب المنزلة التي لم يتكفل الله -عز وجل- بحفظها، بل أسند مهمة الحفاظ عليها إلى البشرية، فضيعوها، وهذه النقطة مهمة لنقد كل ما يخالف أصول الدين وما جاءت به الرسل وظهرت في تلك الرؤيا الكونية، فمنهج الأنبياء والرسل واحد، ودينهم واحد وهو توحيد الله -عز وجل-، والتحريف والتبديل الذي لحق بتلك النصوص ليست بغريبة ولا هي بجديدة؛ وخاصة إذا ما أدركنا وعد الشيطان الذي قطعه مع الله -عز وجل- في إغواء بني آدم، ومن جانب آخر تظهر لنا من الأفق نظرية المؤامرة!، حين تفصح لنا الحقائق بأن الوثائق الهرمسية كانت تتمتع بسلطة كبرى خلال القرون الأولى من تاريخ الكنيسة المسيحية، وغالباً ما استشهد بها فقهاء الكنيسة، واحتجوا بها على الوثنيين لإقناعهم بحقيقة المسيحية، وإن المطلع على تلك الحقبة الزمنية يعرف كيف استطاع اليهود في تحريف المسيحية وتغيير معالمها بقوة السلطان تارة، وبالمؤامرة وبث الدسائس تارة أخرى، وإن الباحثين الغربيين نقدوا هذه الوثائق، وشككوا في موضوعيتها وحقيقتها، وقد انتهى نشاط النقد ليبرهن على الصفة المحرفة لتلك الوثائق المنسوبة إلى هرمس، وأنه عمل يهودي في جزء منه، ومسيحي في الجزء الآخر^(٢)، وأزيد وأقول بأنه يمكن أن يكون أولئك الذين حرفوا النصوص الهرمسية هم من نسجوا الرؤيا الكونية الهرمسية ونشروها في شتى بقاع العالم لتكون تلك الخطوة هي اللبنة الأولى وحجر الزاوية لمشروع الباطنية العالمية، ومن ثم الخروج بدين باطني استسراري جديد يحل محل الدين، بل يهدم أصول الدين الحق، ويتوافق مع الأديان والملل والنحل التي صنعها البشر.

هذا المشروع الباطني العالمي الذي يتصف بالاستمرار والغموض تبنتها المدرسة الإسكندرية التي صدرت المنهج الإشرافي، ويحسب لها الدور الأكبر في نشر التعاليم الهرمسية، حين كانت الإسكندرية مركزاً ثقافياً وتعليمياً مهماً بجانب الثقل السياسي، وتفوقت على غيرها من المدن بما في ذلك مدينة أثينا حاضرة اليونان وعاصمة الفلاسفة، وقد احتوت مكتبة الاسكندرية على

(١) يرى الشهرستاني بأن هرمس هو إدريس عليه السلام، وهو الذي وضع أسامي البروج والكواكب السيارة، وربتها في بيوتها، وأثبت لها الشرف والوبال، والأوج والحضيض. انظر: الملل والنحل: ص ٢٩٩.

(٢) انظر: هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار، ترجمة: عبد الهادي عباس، ص ١٥.

تعاليم هرمس التي وجدت باليونانية واللاتينية والقبطية، وجمعت في تلك المكتبة أثناء القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وألهمت الهرمسيات بعضاً من الانتاج الفكري في العالم القديم، وحين هزم الاسكندر الأكبر اليونان، ومصر، وفارس، والهند، ووحدهم في امبراطورية واحدة، ولتكون الاسكندرية مدينة عالمية استقبلت أفواجاً من الرجال والنساء من كافة الأمم والطوائف من اليونانيين واليهود والمصريين والبابليين والفينيقيين، وحتى البوذيين من الهند ليتعايشو معاً في سلام نسبي^(١).

وقبل أن أدخل في تفاصيل الرؤيا الكونية أشير فقط إلى أن الهرمسية انقسمت إلى مدرستين: أولاهما: الهرمسية الشعبية: والقطب الذي تدور عليه هو علوم التنجيم والغيب. وثانيها: الهرمسية العلمية: والقطب الذي تدور عليه هو علم اللاهوت والفلسفة^(٢).

حقيقة الرؤيا الكونية:

تعتبر الرؤيا الهرمسية من أهم النصوص التي تشرح قصة المبدأ والمعاد في إطار أسطوري، وكما يقول الدكتور محمد عابد الجابري فإنه يمكن اعتبار تلك الرؤيا المصدر الهرمسي الأول في هذا الموضوع، ذلك النص الذي صدرت به المدونة الهرمسية، والذي يروي فيه هرمس ما رآه في إحدى مشاهداته الإشراقية، والحوار الذي جرى بينه وبين الإله المتعالي الذي يحمل في الرؤيا اسم "بوامندريس"^(٣)، وبه سمي النص الهرمسي.

ومن المفيد في هذا الموضوع أن أذكر تلخيص د. الجابري وأهم الخصائص التي تميزت بها الرؤيا الهرمسية، قبل أن نخوض في سرد أحداث الرؤيا.

يقول د. الجابري بأن نص الرؤيا يبدأ بتقرير أولوية النور، وهذا التقرير يمثل القسم الأول من الرؤيا، فهرمس أول ما رأى في رؤياه أو بمعنى آخر مشاهدته الكشفية نوراً يغمر كل شيء، نوراً أخذ يصعد إلى أعلى، لتظهر الظلمة في الأسفل، وتتحول إلى رطوبة تكون هي الطبيعة أو المادة الأولى.

(١) انظر: متون هرمس - حكمة الفراعنة المفقودة: تيموثي فريك وبيتر غاندي، ترجمة: عمر الفاروق، ص ١٥.

(٢) انظر: هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار، ترجمة: عبد الهادي عباس، ص ٩.

(٣) بوامندريس: شخصية مهمة في الأدبيات الهرمسية؛ تقوم بأدوار مختلفة، تارة يكون هو الإله المتعالي، وتارة يكون قوة من قوى الألوهية، بمعنى يكون أحد الملائكة المقربين. انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص ٢٦١.

ثم يتلو ذلك انبجاس الكلمة الإلهية المقدسة من النور، ويلاحظ هنا استخدام "هرمس" لكلمة "انبجاس".

وبانبجاس الكلمة الإلهية المقدسة تظهر العنصرين الطبيعيين المكونين للعالم السماوي، وهما النار والهواء، وقد انبعثا من الطبيعة الرطبة، بينما يبقى الأرض والماء ممتزجتين في الطبيعة، متحركين بفعل الكلمة الإلهية المقدسة.

بعد هذا يأتي تعبير هذا القسم من الرؤيا: فالنور هو العقل " "، الإله/الأب/المتعالى، أما الكلمة فهي ابنه الأول/الإله الصانع.

ثم تأتي المرحلة الثانية من الرؤيا، وهي تتحدث عن نشوء العالم، وهي مرحلة تمثل انتظام النور على هيئة "قوى" لا تحصى عدداً (مثل أفلاطونية/ صور روحانية/ الملائكة جنود الله)، وانفصال النور والنار عن بعضهما انفصلاً نهائياً، واستقرار النار في موقعها الثابت، وكانت قد صعدت من الطبيعة واتجهت إلى أعلى فالتصقت بالنور، أما الآن فقد انفصلت عنه وصارت تشكل مادة السماء.

بعد هذا يأتي تعبير هذا القسم من الرؤيا، فالعالم النوراني المملوء بالقوى هو العالم المعقول عالم الكائنات النورانية، أما العالم الحسي فقد بدأ بالتشكل بمشيئة الإرادة الإلهية، عندما تلقت الكلمة المقدسة وأخذت تعمل على محاكاة العالم العلوي الفائق الجمال، وتتوزع نفوساً على الكائنات الأرضية.

ثم تأتي المرحلة الثالثة من الرؤيا، وهي مرحلة تبدأ بانجباب (الأب / الإله المتعالى / النور) الذي هو ذكر وأنثى، نور وحياء، للعقل الثاني (الإله الصانع) إله النار والنفس " "، وهذا الإله الذي سيتولى صنع المدبرات السبع، أي الكواكب السبع السيارة، التي ستتولى تدبير العالم تدبيراً صارماً في صورة حتمية لا ترحم، تسمى القدر " "، بعد هذا تغادر الكلمة المقدسة عالم الطبيعة، أي الأرض والماء، وتصعد إلى السماء وتلحق بأخيها العقل الصانع فتتحد به، لأنهما من جوهر واحد، ويعملان معاً على إعطاء الدفعة الأولى للدوائر الفلكية السبع (دوائر النار/ الكرات السماوية)، فتنتقل بحركتها المستديرة، وقد انفصلت الأرض والنار احدهما عن الأخرى، فتنشأ في الأرض الحيوانات البرية، وفي الماء الحيوانات المائية، بتأثير تلك الحركة.

ثم تأتي المرحلة الرابعة من الرؤيا، وهي مرحلة ظهور الإنسان السماوي (الإنسان الكامل / الإنسان الأول / آدم الجنة) الذي ينجبه (العقل الأول / الإله المتعالي) على صورته، فيجبه لأنه على صورته ويمنحه تسخير جميع مخلوقاته.

ويريد الإنسان السماوي على غرار أخية الإله الصانع بصنع شيء، ويأذن له الرب / الإله المتعالي، فيدخل كرة الخلق / عالم الكرات السبع / عالم الخلق^(١)، فتبصره المدبرات السبع / نفوس الكواكب السبع السيارة، وتكلف به وتستقبله بحفاوة، فيكتسب طبيعتها، ويخترق محيط الكرات السبع، ويطل إلى أسفل على الطبيعة (الأرض والماء)، فتعكس صورته على الماء ويرتسم ظله في الأرض، فتغرم به الطبيعة، ويرى هو نفسه صورته منعكسة على الماء، فيعجب بها، ويرغب في المقام على الأرض، حيث تنعكس صورته الجميلة / النرجسية فينزل، فتستقبل الطبيعة محبوبها، ويتعانقان، ويتحدان اتحاد زواج، وهذا هو السقوط / الخطيئة، والنتيجة: هي أن الإنسان سيصبح منذئذٍ كائناً مزدوجاً، فانياً بجسمه العائد إلى الطبيعة، خالداً بمهيته الأصلية الراجعة إلى الإنسان السماوي، هكذا يكون في آن واحد؛ أسيراً للقدر وسيداً عليه.

هنا تبدأ عملية التكوين والنشوء على الأرض؛ ذلك أن لإنسان السماوي النازل إلى الأرض المتحد معها اتحاد حب وغرام، يخصب محبته فتلد في الحين سبعة آدميين / كائنات بشرية، كل منهم ذكر وأنثى في نفس الوقت، وهم يناظرون بعددهم وطبائعهم عدد وطبائع المدبرات السبع، هؤلاء الآدميين ينتمون بجسمهم إلى العناصر الأربعة التي منها يتألف، وينتمون بنفوسهم إلى الإنسان السماوي الذي توزع فيهم إلى جزأين: نفس وعقل، بعد أن كان هذان الجزآن فيه حياة ونوراً انحدرتا إليه من أبيه، وتبقى جميع كائنات العالم الحسي على هذه الحال إلى أن ينقضي دور غير محدد.

وعند انقضاء هذا الدور تتوزع بمشيئة الإله المتعالي، وبكلمة منه جميع الكائنات الحيوانية والبشرية إلى صنفين: صنف ذكور، وصنف إناث، وبفعل العناية الإلهية وبتوسط مجموع الكرات السماوية تبدأ عملية التناسل والتكاثر في الكائنات الحية، كل حسب نوعه.

إلى هنا تنتهي القسم الأول من الرؤيا بمراحلها المذكورة، وهي تتعلق بالمبدأ، وأما القسم الثاني فيتعلق بالمعاد.

(١) عالم الخلق في مقابل عالم الأمر الذي هو عالم الكلمة المقدسة.

يبدأ القسم الثاني المتعلق بالمعاد بالتأكيد على أن الإنسان الذي يعرف نفسه، بمعنى آخر يعرف مصدره، ويعرف أنه كائن خالد (لكونه ينحدر من الإنسان السماوي ابن الإله المتعالي)، هذا الإنسان يتعلق بالخير وينال الخير ويكون مآله الخلود في عالم الخير والجمال، العالم الذي كله حياة ونور.

أما الإنسان الذي يبقى مشدوداً إلى جسمه، هذا الجسم المنحدر إليه من خطيئة العشق والغرام "خطيئة الحب" فإن مصيره الموت المظلم، وهو يستحق ما ينزل به من عقاب؛ لأنه عاش عبداً لجسمه، الجسم الذي يرجع إلى الطبيعة التي أصلها الظلمة الأولى. هكذا يبدأ طريق الخلاص بمعرفة النفس، وهذا هو العرفان، المخلص الوحيد.

بعد هذا يأتي الحديث عن الأخرويات، ويبدأ بالإشارة إلى أنه عندما يصيب الموت شخصاً ينحل جسمه، وتتورى صورته عن الأنظار، ويلتحق طبعه الذي عطله الموت، يلتحق بالشيطان، بينما تعود قواه الحسية إلى أصلها، كل منها إلى المصدر الذي جاءت منه (عالم الكواكب)، أما قواه الغضبية والشهوانية فتعود إلى الطبيعة (المادة)، وهكذا لا يبقى إلا النفس؛ فتصعد إلى السماء راجعة إلى أصلها، وتجتاز في معراجها الأفلاك السبعة، لتترك في كل فلك ما سبق أن لصق بها منه عندما كانت جزءاً من الإنسان السماوي الهابط، وهكذا تأخذ في خلع ثيابها واحداً بعد الآخر، إلى أن تنتهي عارية صافية إلى السماء الثامنة، فتدخل في حضرة "القوى" العليا القريبة من الإله المتعالي / الأب، بمعنى آخر: تدخل في حضرة الملائكة المقربون وتصير مثلها، وتعود إلى الله لتتحد به، وتلك هي غاية العرفان^(١).

تلك هي خلاصة الرؤيا الهرمسية، وفيما يلي الترجمة الكاملة لنص هذه الرؤيا:

يقول هرمس:

١- ذات يوم بينما أنا مستغرق في تأمل الموجودات بفكر يخلق في الأعالي، وحواسي معطلة كما يحدث لأولئك الذين يهجم عليهم نوم عميق تحت تأثير افراط الأكل أو إرهاق كبير للجسم، بينما أنا كذلك إذا بي وكأن كائناً، عظيم القامة يفوق كل تقدير وقياس، يناديني باسمي ويقول لي: "ماذا تريد أن تسمع وترى، وبفكرك أن تتعلم وتعرف؟".

٢- فقلت: "لكن، من أنت؟". قال: "أنا بوامندريس، الرب مالك الملك. أعلم ما تريد، وأنا معك أينما كنت".

(١) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص(٢٦١-٢٦٣).

٣- قلت: "أريد أن أعرف عن الموجودات، أن أفهم طبيعتها، وأن أعرف الله". ثم أرفت قائلاً: "آه كم أنا متشوق للاستماع". فرد علي بدوره وقال: "استحضر جيداً في عقلك كل ما تريد أن تعرفه، وأنا سأعلمك".

٤- وما إن أنهى كلامه حتى غير مظهره، فانكشف أمامي كل شيء في لمح البصر، فرأيت مشهداً لا حدود له، لقد تحول كل شيء نوراً ناصعاً بهيجاً أخذ بلبي بمجرد ما أبصرته. وبعد ذلك بقليل ظهرت ظلمة داكنة مرعبة، متجهة ناحية الأسفل، منعقدة ملتوية، فبدت لي كأنها أفعى، ثم تحولت هذه الظلمة إلى ضرب من الطبيعة الرطبة، تهتز اهتزازاً يدق عن الوصف، وترسل بخاراً كما ترسل النار الدخان، محدثة صوتاً كالأنين لا يوصف. ثم انبعث منها صراخ ضجيجي حملني غموضه على تشبيهه بصوت النار.

٥- هذا بينما انبجست من النور كلمة مقدسة أحاطت بالطبيعة واحتضنتها، فانطلقت خارج الطبيعة الرطبة، نار صافية اتجهت صوب الأعالي، لقد كانت خفيفة حية، وفي نفس الوقت ملتبهة. ثم بعد ظهور هذا النَّفس الناري انطلق الهواء لخفته مفارقاً الأرض والماء، متجهاً إلى أعلى حتى أدرك النار، وبدأ كأنه معلق عليها. أما الأرض والماء فقد لزمَا مكانهما ممتزجين أحدهما بالآخر إلى درجة لم يكن من الممكن معها رؤية الأرض بمعزل عن الماء. لقد كان يتحركان معاً بدون انقطاع بتأثير نفخ الكلمة (=الإلهية) التي كانت قد انتقلت فوقها إلى أعلى، حسب ما كان يخيل للأذن.

٦- ثم إن "بوامندريس" خاطبني قائلاً: "هل عرفت ما يعنيه هذا المشهد؟". قلت: "سأعرف ذلك منك". قال: "أما النور فهو أنا العقل، الهك، الموجود قبل ظهور الطبيعة الرطبة خارج الظلمة، أما الكلمة النورانية الصادرة من العقل فهي ابن الاله". قلت: "عجباً!". قال: "افهم مني ما أعنيه بهذا: إن ما فيك يرى ويسمع هو كلمة الرب. أما العقل فهو الإله الأب، وهما -الكلمة والعقل- غير منفصلين أحدهما عن الآخر، لأن اتحادهما هو الحياة بعينها". قلت: "شكراً". قال: "ركز فكرك في النور واعرف هذا".

٧- هنا، عند هذه الكلمات، اتجه إلي بنظرة مركزة لفترة طويلة أخذت منها ارتعد من مظهره، وعندما رفع رأسه رأيت في عقلي النور الذي كان عبارة عن عدد لا يحصى من القوى، قد تحولت عالماً لا حدود له، بينما كانت النار مطوقة بقوة هائلة. وبما أنها قد أمسك بها هكذا بقوة، فقد بلغت مستقرها وكفت عن الحركة، ذلك بما رأيت به فكري في هذا المشهد مؤيداً بكلمة "بوامندريس".

٨- ولكن بما أنني كنت خارج طوري فقد أضاف يقول: "لقد رأيت في العقل الصورة المثل، المبدأ المتقدم على كل مبدأ، السابق للبداية التي لا تعرف نهاية". هكذا خاطبني "بوامندريس". فقلت: "ومن أين صدرت عناصر الطبيعة إذن؟"، فأجابني قائلاً: "عن إرادة الله التي تلقت الكلمة ورأت سناء عالم المثل، البهي الجميل، عمدت إلى محاكاته، فتشكلت، حسب عناصره وتناجه نفوساً، على هيئة عالم منظم".

٩- وبما أن العقل الإله ذكر وأثنى، حياة ونور، فقد أوجد بكلمة منه عقلاً ثانياً صانعاً، هو إله النار والنفس، فصنع المدبرات السبع التي تغلف بدوائرها العالم الحسي، ويسمى تديرها: "القدر".

١٠- وفي الحين انطلقت كلمة الله واتحدت مع العقل الصانع (لأنهما من جوهر واحد) تاركة العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية التي صارت خاصة بالطبيعة التي صنعت الآن، ولذلك صارت العناصر السفلى من الطبيعة متروكة لنفسها، محرومة من العقل، فبقيت مجرد مادة.

١١- وفي أثناء ذلك عمل العقل الصانع المتحد بالكلمة، المحيط بالدوائر الفلكية الجاعل لها تدور محدثة ازدياداً، عمل على اعطاء الدفعة الأولى للحركة الدائرية لمصنوعاته تاركاً إياها تدور منذ بداية غير محددة وإلى ما لا نهاية له، لأنها حركة تبتدئ حيث تنتهي. وبمشيئة العقل حدث من حركة الدوائر الفلكية حيوانات بدون عقل لأنها لم تحتفظ بالعقل (لم تبق قريباً منه)، حيوانات مكونة من العناصر التي كانت تتجه إلى أسفل (= الهواء والماء والأرض) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة، وأنتج الماء الحيوانات السابحة، أما الأرض التي كانت قد انفصلت عن الماء بمشيئة الله فقد أخرجت من جوفها الحيوانات البرية، من ذوات الأربع والزواحف والدواب الوحشية والحيوانات الأليفة.

١٢- ثم ان العقل، أب جميع الكائنات، والذي هو حياة ونور، أنجب انساناً شبيهاً به، فأعجب الاب بابنه؛ لأن الابن كان جميلاً على صورة أبيه، وفي الحقيقة فإنما أحب الله صورته، هو، في ابنه، وسخر له جميع مخلوقاته.

١٣- وعندما رأى الانسان ما أنشأه الإله الصانع من مصنوعات في عالم الكواكب أراد هو أيضاً أن يصنع شيئاً، فأذن له الأب، وعندما دخل كرة عالم الخلق حيث ستكون له الكلمة العليا، رأى مصنوعات أخيه فكلفت به المدبرات السبع وأشركته كل منها في تديرها ورتبتها، فاطلع هكذا على ماهيتها وشاركها في طبيعتها، فأراد أن يخترق محيط دوائرها ويتعرف على قوة حاكم عالم السماء من خلال اختبار صلابة هذه الأخيرة.

١٤ - - وعندئذ تقدم الإنسان صاحب الكلمة العليا في عالم الكائنات الفانية والحيوانات المحرومة من العقل، وأطلَّ عبر الكرات السماوية التي شقها من أقصاها إلى أقصاها، فكشف للطبيعة المقيمة أسفل عن صورة الله السنية، فلما رأته وقد تحلى بالجمال الخالد وبقوة المدبرات السبع جميعاً، علاوة على صورة الله التي يحملها، ابتسمت له حباً وعشقا لأنها رأت سمات هذه الصورة الرائعة الجمال وهي تنعكس على الماء، كما شاهدت ظله مرتسماً على الأرض. أما هو فلما رأى الصورة الشبيهة به حالة في الطبيعة، منعكسة على الماء، أحبها وأراد الإقامة هناك. وبمجرد ما أراد ذلك فعل، فسكن الطبيعة المحرومة من العقل واحتضنت هذه الأخيرة معشوقها الذي استقبلته عندها، فاتحدا لأنهما كانا يحترقان عشقاً، أحدهما إلى الآخر.

١٥ - - كان ذلك هو السبب الذي من أجله كان الإنسان وحده من بين جميع الموجودات التي على الأرض كائناً مزدوجاً: فانياً بجسمه، خالداً بالإنسان الحقيقي، ومع أنه خالد من حيث حقيقته ومتصرف في جميع الأشياء فإنه يعاني من وضعية الكائنات الفانية ويخضع للقدر، كما هو بالفعل. وهكذا فعلى الرغم من أنه فوق الأفلاك واغلفتها فهو عبد لها، ومع أنه ذكر وأنثى لكونه صادراً عن أب ذكر وأنثى، ومع أنه معصوم من النوم لأنه صادر عن كائن لا ينام، فقد انهزم أمام الحب وإزاء النوم.

١٦ - بعد هذا قلت: "يا إلهي، وأنا أيضاً عاشق للكلمة"، قال: "إن ما سأفضي به إليك ظلّ إلى اليوم سرّاً مصوناً. الواقع أن الطبيعة باتحادها بالحب مع الإنسان قد أنجبت شيئاً عجباً، مدهشاً تماماً. "لقد كان الإنسان يحمل في ذاته طبع مجموع المدبرات السبع المؤلفة، كما قلت لك من النار والنفس. وبما أن الطبيعة لم تكن تستطيع الانتظار فقد أنجبت في الحين سبعة كائنات آدمية، تناظر بعددها طبائع المدبرات السبع، كائنات كان كل منها ذكر وأنثى في آن واحد، وقد ولّت وجهها جميعاً نحو السماء". واثر هذا قلت: "اي بوامندريس . إن رغبة جامحة في الاستماع إليك تستبد بي الآن، فلا تترك الموضوع". فرد علي قائلاً: "اسكت. أنا لم أنته بعد من شرح النقطة الأولى". فأجبت: "انظرها أنذا ساكت.

١٧ - وأضاف: "وهكذا، وكما كنت أقول، فقد تكونت هذه الكائنات الآدمية السبعة على النحو التالي: كانت الأرض هي الأنثى، وكان الماء هو العنصر المخصب. أما النار فقد قادت الأشياء إلى نضجها، وأما الأثير فقد أمد الطبيعة بنفَس الحياة، فأنجبت أجساماً وفق صورة الانسان. أما هذا الأخير، فيما أنه حياة ونور، فقد تحول إلى نفس وعقل: لقد صارت الحياة نفساً

وصار النور عقلاً. وظلت جميع كائنات العالم الحسي على هذه الحال إلى أن انتهى دور، وبدأ ظهور الانواع.

١٨- واسمع الآن هذه المسألة التي تتحرق شوقاً إلى الساع عنها. فلما بلغ ذلك الدور تمامه انفصمت بمشيئة الله العروة التي كانت تربط الاشياء كلها. ذلك أن الحيوانات التي كانت إلى الآن ذكوراً إناثاً في نفس الوقت، قد افتزقت الآن عن بعضها كما افتزقت الكائنات الأدمية السبعة على نفس الطريقة فصار الجميع صنفين: صنف الذكور وصنف الإناث. وعند ذلك خاطبها الله بكلمة مقدسة قائلاً: "تناسلوا وتكاثروا أنتم جميعاً يا من خلقتم وصنعتم. ومن منكم له عقل فليعرف أنه خالد، وليعلم أن سبب الموت هو الشهوة، وليعرف جميع الكائنات".

١٩- وتنفيذاً لكلمة الله عملت العناية بواسطة القدر وهيكل الأفلاك على تزويج الكائنات ببعضها، وإقرار التناسل فيها، فأخذت كلها تتكاثر، كل حسب نوعه. ومن منها عرف نفسه صار هو المصطفى المختار، أما من منها تعلق بجسمه الصادر عن الخطيئة والشهوة فإنه بقي في الظلمة تائهاً يعاني من الموت بحواسه.

٢٠- فصحت قائلاً: "أي خطيئة كبرى ارتكبتها، إذن، أولئك الذين بقوا في الجهل حتى يجرموا من الخلود؟". قال: "بيدوا لي أنك لم تفكر فيها سمعت مني. ألم أقل لك كن متبهاً؟"، فقلت: "لقد انتبهت وتذكرت، وفي نفس الوقت أشكر". قال: "إذا كنت قد انتبهت فقل لي لماذا استحق الموت أولئك الذين فارقوا الحياة؟". قلت: "لأن الأصل الذي منه كان الجسم البشري هو الظلمة القائمة التي منها خرجت الطبيعة الرطبة، هذه التي منها تكوّن الجسم في العالم الحسي، الجسم الذي يرتوي منه الموت".

٢١- قال: لقد فهمت فعلاً أيها الصديق، ولكن لماذا كان: "من عرف نفسه يعود إلى نفسه"، كما قال الله. فأجبت: "لأنه من النور والحياة رب كل شيء، الرب الذي أنجب الإنسان". قال: "أنت تقول: النور والحياة. ذلك هو الله الأب الذي منه كان الإنسان فإذا تعلمت أن تعرف نفسك بوصفك مصنوعاً من الحياة والنور، ومكوناً من هذين العنصرين، فإنك ستعود إلى الحياة"، ذلك ما قاله بوامندريس. فسألته: "ولكن، اشرح لي يا إلهي كيف يمكنني الرجوع إلى الحياة وفقاً مع قول المتعالي: "ليعرف الإنسان العاقل نفسه".

٢٢- "أو ليس كل الناس في الواقع ذوي عقول؟". قال: "احفظ لسانك يا صديقي، إني أنا العقل قريب من الذين هم أولياء طيبون مطهرون رحماء، قريب من الأتقياء، وحضوري إلى جانبهم

عون لهم، وبهذا يعرفون في الحين جميع الأشياء، ويطيعون الأب بحبهم له فيشكرون له ويباركون ويسبحون كما هو مطلوب في حق الله، برأ بالوالد. وقبل أن يفارقوا البدن ويغادروه تاركين إياه للموت الذي إليه مصيره، كانوا يزدرون حواسهم لأنهم يعرفون عملها. وفضلاً عن ذلك، فيني، أنا العقل، لا أسمح لأفعال البدن التي تهاجمهم، لا أسمح لها بأن تمارس تأثيرها عليهم. ذلك لأني بوصفي حارس الأبواب سأغلق الباب أمام الأفعال السيئة المشينة التي تحول دون الاستغراق في التأمل".

٢٣- "أما الذين لا يفقهون، أما الأشرار والفجّار والحساد والطامعون والقتلة والكفار فيني أبتعد عنهم تاركاً للشيطان الناقم الذي يتوجه بسهام من جهنم إلى الإنسان المستعدّ لذلك فيهجم على إحساساته ويغريه على إتيان المعاصي لكي يكون العقاب الشديد ماله. وبذلك يستمر هذا الإنسان في توجيه رغباته نحو الشهوات بدون حدود، يقاتل في الظلام دون أن يشبعه شيء، وهذا ما يعذبه ويلهب باستمرار النار التي تحرقه".

٢٤- قلت: "أيها العقل لقد علمتني فعلاً كل شيء كما كنت أريد، ولكن حدثني أيضاً عن المعراج وكيفيته". فأجاب بوامندريس على هذا قائلاً: "أولاً عندما يفسد جسمك تغادره وتتركه ينحل فتختفي عن الأبصار الصورة التي كنت تحملها، وتترك للشيطان أنك العادي الذي يتعطل منذئذ عن الشعور، وتصعد حواسك الجسمانية ليعود كل منها إلى مصدره، فتمتزج من جديد بالقوى النجومية، بينا تعود القوة الغضبية والقوة الشهوانية إلى الطبيعة المحرومة من العقل".

٢٥- وهكذا ينطلق الإنسان منذئذ إلى السماء، يشق طريقه عبر هياكل الكرات السماوية، فيترك في الكرة الأولى (= كرة القمر) قوة النماء والنقصان، ويترك في الثانية (= كرة عطارد) قوة الخبث والاحتيايل التي لن يعود لها بعدئذ أي مفعول، ويترك في الثالثة (= كرة الزهرة) وهم الرغبة التي تصبح بعدئذ معطلة، ويترك في الرابعة (= كرة الشمس) كبرياء الحكم التي فقدت الأهداف الطموحة التي كانت تحركها، ويترك في الخامسة (= المريخ) التهور الكافر والادعاء الكاذب، ويترك في السادسة (= كرة المشتري) الشهوات المحرمة التي يولدها الغنى والتي تصبح منذئذ عاطلة، ويترك في السابعة (= كرة زحل) الكذب الذي يكيد كيداً.

٢٦- وهكذا يلج إلى السماء الثامنة متحرراً ما خلفته فيه طبائع الكرات الفلكية، لا يملك غير قوته الذاتية، فيسبح للأب مع القوى ويفرح الحضور جميعهم بقدموه، وبما أنه قد صار مثل رفاقه فإنه يسمع أيضاً بعض القوى التي تقيم فوق السماء الثامنة مسبحة للأب بصوت رخيم. وعند ذاك

يصعدون، في نظام بديع نحو الأب، مسلمين أمرهم للقوى، فيصيرون مثلها، ويتحدون بالله، لأن ذلك هو النهاية السعيدة لمن يملكون العرفان، نهاية أن يصيروا هم الله. والآن ماذا تنتظر؟ ألا تتولى الآن وقد أخذت عني المذهب كله، هداية من هم أهل للهداية، عسى أن يخلص الله بك الجنس البشري.

٢٧- ثم إنه عندما أنهى كلامه بهذه الكلمات غاب عن ناظري بين القوى، أما أنا فبعد أن توجهت لرب العالمين بأعمال الحمد والشكر، أذن لي بوامندريس بالانصراف، بعد أن زودت بالتأييد، واطلعت على حقيقة الكل، ورأيت المشهد الأسمى، فبدأت أعظ الناس، وأخذت أبين لهم حسن التقوى والعرفان: "أيها الناس، أنتم الذين ولدتم من الأرض (=خلقتكم من تراب)، يا من هم متروكون للغفلة والنوم والجهل بالله، تجنبوا الخمر، وكفوا عن التمرغ في الفسوق، فأنتم في نوم بهيمي مستغرقون".

٢٨- أما هم، فعندما استمعوا لندائي هبوا إلي جميعاً، فخاطبتهم: "أيها الناس، يا من من الأرض ولدتم، لماذا استسلمتم للموت؛ بينما أنتم قادرون على الخلود مع الخالدين؟، أقبلوا على التوبة، أنتم سلكتم سبيل الضلال، وجعلتم الجهل رقيقاً. خلصوا نفوسكم من الضياء المعتم وكونوا مع الخالدين، خلصوا نفوسكم من الضلال مرة واحدة وإلى الأبد".

٢٩- وحينئذ صار بعضهم يسخرون من أنفسهم بعد أن كانوا يسخرون مني، يسخرون من أنفسهم لسيرها على طريق الموت، أما الآخرون فقد ارتقوا بين قدمي، وأخذوا يناشدونني أن أعلمهم، فأهضتهم وأخذت أعمل على هداية الجنس البشري ناشراً للمذهب: كيف الخلاص وما الطريق إليه؟، فزرعت فيهم الحكمة، وصاروا يرتوون من ماء الخلود. وفي المساء عندما بدأ نور الشمس يختفي كلية دعوتهم إلى تقديم صلاة الشكر لله، وعندما أنهوا صلاتهم أوى كل منهم إلى فراشه ونام.

٣٠- أما أنا فقد نقشت في قلبي فضل "بوامندريس" علي. لقد صرت في فضل عظيم لارتوائي مما كنت أرغب فيه، ذلك لأن نوم الجسم قد صار لي سهراً خفيفاً للنفس، كما أن انسدادا عيني قد صار لي رؤية حقيقية. أما صمتي فحمل ومخاض بالنبأ، وأما عبارة كلامي فعقد من الدرر الثمينة. وقد حدث لي كل هذا لأني تلقيت من العقل أي من "بوامندريس" كلمة رب الملكوت، وها أنذا، اذن، مفعم بنفس الحقيقة الإلهية، فمن كل قلبي وبكل قواي أتقدم للإله الأب بهذا الدعاء.

٣١- مقدس هو الله رب كل شي.

مقدس هو الله الذي تنفذ مشيئته القوى الخاصة به.

مقدّس هو الله الذي يريد أن يعرف والذي يعرفه الذين يؤوبون إليه.
 تقدست يا من بالكلمة أنشأت كل موجود.
 تقدست يا من تستنسخ الطبيعة كلها صورته.
 تقدست يا من لم تستطع الطبيعة حمل كل صورته.
 تقدست يا من هو أقوى من كل قوة.
 تقدست يا من هو أكبر من كل عال وشريف.
 تقدست يا من هو أسمى من كل حمد وثناء.

تقبل القرابين الخالصة التي تقدمها لك بالدعاء، نفس صافية، وقلب منصرف إليك، يا من لا يعبر عنه بكلام، ولا يسعه وصف، أنت الذي بالصمت وحده تعرف.

٣٢- أتوسل إليك أن تقيني من كل زلة تحرمني من النصيب من المعرفة الخاص بجوهرنا وحقيقتنا. تقبل مني هذا الدعاء، واملاً قلبي قوة وتأيداً. وسأنير بهذه النعمة من هم من بني جنسي ما يزالون في الجهل غارقين، من إخوتي أبنائك. نعم أنا مؤمن، وأشهد أني ذاهب إلى الحياة والنور. شكراً لك ربي : إن الذي جعلته إنساناً لك يريد أن يعينك في عمل التطهير بكل ما منحته من قوة وتأيد. انتهى^(١).

أثر الرؤيا الهرمسية على فلسفة الطاقة الكونية:

يتضح لنا من خلال دراسة نص الرؤيا الهرمسية أو ما يعرف بنص "بوامندريس"، أن هنالك علاقة بين التعاليم الهرمسية وبين فلسفة الطاقة الكونية؛ ويظهر ذلك جلياً من خلال تأصيل النص لفكرة الثنائيات الكونية وتأثيرها المباشر في خلق الكون، بعيداً عن العناية الإلهية فضلاً عن كون الله هو الخالق والمدبر للكون، والنص الهرمسي حين يؤصل لتلك الفكرة فإنه يرى بأن تلك الثنائيات الكونية "النور" و "الظلام" إنما ظهرت للوجود من خلال انبثاقهما من الرب.

ثم نرى كيف يؤصل الفكر الهرمسي لنظرية الصدور والفيض، فيصور لنا كيف انبجست (الكلمة المقدسة/ الموجود الأول أو العقل الأول/ ابن الإله) من النور، بعيداً عن مبدأ الخلق والتخليق، ويشرح "بوامندريس" لهرمس هذه الأبجديات فيقول: "أما النور فهو أنا العقل، الهك، الموجود قبل ظهور الطبيعة الرطبة خارج الظلمة، أما الكلمة النورانية الصادرة من العقل فهي ابن الاله".

(١) بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص (٢٦٣-٢٦٨).

ونلاحظ جيداً من خلال النص تفسير "بوامندريس" لحقيقة الحياة؛ إذ يرى أن الحياة الحقيقية هي من خلال اتحاد الكلمة والعقل معاً.

ويؤصل الفكر الهرمسي لمصدرية التأمل في الفكر البشري، وقدرة العقل على تحصيل العلم والمعرفة الإلهية من خلال التأمل الكوني، وأساساً "هرمس" لم يصل إلى تلك الحقائق إلا من خلال التأمل، ويقرب لنا الصورة أكثر فيقول بأنه استطاع أن يرى في عقله لما كان خارج طوره "الصورة المثل" المبدأ المتقدم على كل مبدأ، السابق للبداية التي لا تعرف نهاية، وأن العناصر الطبيعية إنما صدرت عن إرادة الله التي عندما تلقت الكلمة ورأت سناء عالم المثل البهي الجميل؛ عمدت إلى محاكاته، فتشكلت عناصره وتواجه نفوساً على هيئة عالم منظم، وبالتالي فإن هذا النص يؤصل لفكرة أن الإنسانية هي الوعاء الذي يمكن من خلاله أن تتحد فيه العوالم المنظورة وغير المنظورة، فالجسد المادي لا قيمة له إذا لم يتحد الجسد الروحي بالكلمة التي انبجست من العقل أو النور.

والنص وإن كان يقرر بأن هنالك مشيئة وإرادة لله؛ فإن هذه الإرادة لا تنفذ إلا من خلال وساطة القوى الكونية الخاصة وهي الكلمة النورانية (الإله الصانع)، وحقيقة هذا الإله الصانع كما يصوره لنا النص الهرمسي فإن العقل الإله "ذكر" و"أنثى"، أوجد بكلمة منه عقلاً ثانياً صانعاً، هو إله النار والنفس، وانطلقت كلمة الله لتتحد مع العقل الصانع لأتهما من جوهر واحد، تاركة العناصر الطبيعية تهبط إلى العالم السفلي التي صارت خاصة بالطبيعة، وبالتالي فإن العناصر الطبيعية أصبحت محرومة من العقل لأنها بقيت مجرد مادة.

بهذه الكيفية يؤصل النص الهرمسي لقصة الخلق والتكوين، وفي هذا الصدد يقرر الفكر الهرمسي بأن العناصر الطبيعية حين هبطت إلى العالم السفلي؛ أنتجت حيوانات بدون عقل؛ نتيجة حرمانها من العقل!، فأنتج الهواء ذوات الأجنحة، بينما أنتج الماء الحيوانات السابحة، وأما الأرض فقد أخرجت من جوفها الحيوانات البرية ذوات الأربع والزواحف والدواب... الخ.

وهنا سؤال يطرح نفسه: إذا كانت الحيوانات التي هي بدون عقل هي من نتاج العناصر الطبيعية التي أصبحت محرومة من العقل الأول، فمن أنتج الإنسان؟.

يقرر النص بأن العقل أب جميع الكائنات والذي هو "ذكر" و"أنثى"، و"حياة" و"نور" أنجب إنساناً شبيهاً به، فأعجب الأب بابنه، وسخر له جميع المخلوقات. وهنا نلاحظ تأصيل لمبدأ الإنسان السماوي، الإنسان الكامل الذي يدبر الكون ويسخرها لخدمة الإنسانية، الإنسان الذي يملك القدرات الخارقة التي تجعله يتصل بالإله وقتما شاء وكيفما شاء.

وعظفاً على ما سبق فإن الأب أعجب بابنه فمن أهبطه إلى الأرض؟ من خلال النص الهرمسي فإن الإنسان صاحب الكلمة العليا في عالم الكائنات الفانية والحيوانات المحرومة من العقل أطلَّ عبر الكرات السماوية التي شقها من أقصاها إلى أقصاها، فكشف للطبيعة المقيمة أسفل عن صورة الله السنية، فلما رآته وقد تحلى بالجمال الخالد وبقوة المدبرات السبع جميعاً، علاوة على صورة الله التي يحملها، ابتسمت له حباً وعشقاَ لأنها رأت قسماً هذه الصورة الرائعة الجمال وهي تنعكس على الماء، كما شاهدت ظله مرتسماً على الأرض.

أما هو فلما رأى الصورة الشبيهة به حالة في الطبيعة، منعكسة على الماء، أحبها وأراد الإقامة هناك. وبمجرد ما أراد ذلك فعل، فسكن الطبيعة المحرومة من العقل واحتضنت هذه الأخيرة معشوقها الذي استقبلته عندها، فاتحداً لأنهما كانا يحترقان عشقاً، أحدهما إلى الآخر.

ومن أجل هذا العشق أصبح الإنسان كائناً مزدوجاً، فانياً بجسمه، خالداً بإنسانيته الحقيقية، ومتصرف في جميع الأشياء إلا أنه خاضع للقدر، كما أنه وإن كان صادراً عن أب ذكر وأنثى، ومعصوم من النوم لأنه صادر عن كائن لا ينام؛ إلا أنه انهزم أمام الحب والنوم.

كما أن ذلك الإنسان حين تزوج وتكاثر نسله كل حسب نوعه، فالذي عرف نفسه وعرف حقيقته صار هو المصطفى المختار، أما من تعلق بجسمه الصادر عن الخطيئة والشهوة فإنه يبقى في الظلمة تائهاً يعاني من الموت بجواسه.

وهنا لفتة وهي أن الطريق إلى معرفة الإنسان لنفسه لا تتم إلا من خلال الممارسات التأملية والاستغراق الذهني في الطبيعة والوجود، حسب ما يقرره النص الهرمسي حين يؤصل لفكرة الاستغراق في التأمل حول الطبيعة التي عشقت صورة الإنسان، والإنسان الذي عشق الطبيعة حين رأى الصورة الإلهية وقد انعكست عليها، بجانب ازدرائه للحواس وعدم السماح لأفعال البدن السيئة بأن تؤثر على المتأملين وتحول بينهم وبين الاستغراق في التأمل، حينها يصل الإنسان إلى معرفة معدنه الأصلي، ويكتشف أنه جزء من الإله، وإليه يعود، وبوصول الإنسان إلى هذه المعرفة يحصل له الكشف والاطلاع على جميع الأشياء، والوصول لا يكون إلا بازدراء الحواس والعناية بالروح^(١).

أيضاً ومن خلال مطالعتنا لنص الرؤيا الكونية عند هرمس نجد أن لقضية الخلود حضوراً لافتاً؛ إذ تقرر النصوص الهرمسية مبدأ الخلود، وترى أن الإنسان الذي حقق الكمال، وتحققت لديه الصورة

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية،

المثال، أو الصورة الإلهية، وهذا التحقق لا يكون إلا من خلال التخلص من كل خلق بشري أرضي، ويكون المرور عبر هياكل الكرات السماوية السبعة: القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، زحل، وعندما يتحرر من الفلك السابع يكون قد وصل إلى السماء الثامنة متحرراً مما خلفته فيه طبائع الكرات الفلكية السبعة، وهذه الفكرة هي نفس الفكرة الموجودة في فلسفة الطاقة الكونية حول ما يعرف بتنشيط الشاكرات السبعة، وحين يصل الإنسان إلى تنشيط الشاكرة السابعة "شاكرة التاج" يكون قد تحرر والتحق بالملكوت الأعلى ليتحصل على العلم والمعرفة الإلهية.

وتمضي الفكرة لتؤصل لنا مبدأ الخلود الروحي؛ إذ أن الإنسان حين يصل إلى كماله، ويرتقي ليكون إنساناً سماوياً يتحد بالإله، وهي النهاية السعيدة حين يتحد بالإله فيصير هو الإله بذاته، وهذا المبدأ سبق وأن تبنته الديانات التي تؤمن بتناسخ الأرواح، ويأتي في مقدمتها الديانة الهندوسية، وبشكل مطور عند "سيدهارتا غوتاما" في نظريته "النيرفانا".

كل ما سبق ذكره يوضح لنا حقيقة الترابط بين تعاليم فلسفة الطاقة الكونية وبين الرؤيا الكونية الهرمسية التي تميزت بميزتين إحداهما أنها انتقائية، والأخرى كونها ملفقة!، فالأديان الهرمسية تتسم بأنها تأخذ من مختلف المذاهب الفلسفية، ومن مختلف الديانات^(١).

(١) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ٢٦٩.

المطلب العاشر: المعرفة الباطنية.

الباطنية كلمة تطلق للدلالة على المذاهب والمدارس الفكرية التي تتخذ من التجربة الروحية مدخلاً لتحصيل المعرفة الإلهية، فالمعرفة الباطنية هي معرفة نابغة من النفس مباشرة، حين يتم اتصالها بالعقل الفعال لتحصيل الأسرار الإلهية، والحقائق الدينية، وينظر إليها على أنها معرفة أرقى من العلوم الذي يحصل لعامة المؤمنين، أو لأهل الظاهر من رجال الدين، فهي خاصة بصفوة معينة من الناس^(١)، ولديهم من الإمكانيات والقدرات الخارقة التي يستطيعون من خلالها التوصل إلى المعرفة التامة، ومن خلال تلك المعرفة يستطيعون حل القضايا الكونية^(٢).

مصطلح الباطنية مشتق من الأصل اليوناني "يسوتيركوس - Esoterikos"، وهي تعني "باطني" و "داخلي"، الأمر الذي يجعل هذا المصطلح على اتصال مباشر بمفهوم الروحانية أو التصوف^(٣). وعرفت الفلسفة اليونانية طريقها نحو المعرفة الباطنية من خلال الغنوصية والأفلاطونية والفيثاغورية وغيرها، وكانت مهمة المعلمين في تلك المذاهب هي بث المعرفة في حدود قلة من الطلاب، داخل هيئة سرية أو شبه سرية^(٤).

فالباطنية إذاً هي مجموعة التعاليم الخفية والخاصة، والتي يصعب إدراكها على غير مستنيري العقول، وقد أطلقت قديماً على العلوم والمعارف الخاصة والمميزة والمحصورة ضمن طبقة النبلاء والأشراف من دون سائر القوم، خصوصاً وأن تلك العلوم تتناول النواحي اللامنظورة أو الخفية من الأمور^(٥).

(١) انظر: المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، (م/٢ص/٧٢)، وانظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص ٢٥٤، وانظر: تاريخ الكنيسة المفصل: بولس باسيم، نقله إلى العربية: الأيوبي أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، الناشر: دار المشرق، بيروت، لبنان، ١ = ٢٠٠٢م، (م/١ص/٧٤، ١٢١).

(٢) انظر: تهافت الفلسفة: السيد محمد أبو الفيض المنوفي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١ = ١٩٦٧م، ص ١٤٣.

(٣) انظر: موسوعة الاستغراب: الباطنية الغربية، متاح على موقع مركز الفكر الغربي: (<http://www.cwestt.com>)، وانظر أيضاً: علم الإيزوتيرك: إميل سمعان، "مقال"، متاح على موقع (<http://www.emile4u.com>).

(٤) انظر: المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: يوسف الصديق، الناشر: الدار العربية للكتاب والشركة التونسية للتوزيع، ط ٢ = ١٩٨٠م، ص

(٥) انظر: محاضرات في الإيزوتيرك: بقلم (ج ب م) جوزيف مجدلاي، ضمن سلسلة علوم الإيزوتيرك، منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء - بيروت: لبنان، (ج ٢/ص ١١).

نشأة الباطنية:

لا يمكن تحديد فترة معينة من التاريخ الإنساني يحدد توجه الإنسان نحو تحصيل المعرفة الباطنية؛ لأن كل التيارات الدينية والأفكار الفلسفية التي كانت سائدة في الفكر القديم كان هنالك جانباً باطنياً في المعتقد، ولم تكن تلك المعرفة ذات أهمية لأنها لم تكن إلا عقيدة الخواص من رجال الدين وطبقة الكهنة الذين يملكون أسرار المعتقد.

والمتتبع لتاريخ الأديان يدرك أن الباطنية أول ما تشكلت كفكر يؤصل لقدرة الفرد بلوغ درجة الكمال الإنساني، وإمكانية التواصل الروحي مع الكائنات العلوية أو ما يعرف بأنصاف الآلهة والهيكل السيارة وعبادة الكواكب، وتحصيل المعرفة الإلهية إنما ظهر عند الصابئة الذين ظهوروا زمان إبراهيم الخليل -عليه السلام- نتيجة تقربهم إلى الهيكل السيارة السبع، والتقرب إليها بأعيانها، والتلقي عنها بذواتها، فهم قالوا: إنا نحتاج في معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته، وأوامره، وأحكامه إلى متوسط، لكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا، وذلك لزكاء الروحانيات، وطهارتها، وقربها من رب الأرباب. والجسماني بشر مثلنا: يأكل مما نأكل، ويشرب مما نشرب، يماثلنا في المادة والصورة^(١).

كما أصبح مذهب الصابئة في بلاد الفرس مذهباً باطنياً قائماً على إثبات أصلين هما النور والظلمة، في محاولة لتكريس مبدأ الثنوية الكونية، وأن النور والظلمة في حالة صراع دائم منذ صدورهما، وعلى هذا المبدأ يدور مذاهب المجوس، ومذهبهم قائم على قاعدتين اثنتين: إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة.

والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً^(٢). وموقف الإنسان من ذلك الصراع، والسبيل المؤدي إلى النجاة وتحقيق الخلاص كلها تتم من خلال المعرفة الباطنية، فالنور يمثل العالم العلوي الروحاني، والظلام يمثل العالم السفلي المادي، وعلى الإنسان أن يبادر إلى تحديد موقفه من هذا الصراع، إما أن يختار طريق الخير، ويتمثل من خلال مخاطبة الذات، وتحرير الروح من سجن الجسد، ومواصلة البحث عن الحقيقة الإلهية الكامنة في الذات، والموصلة إلى الانفتاح على العالم الروحاني العلوي، وتحصيل المعرفة الإلهية، وإما أن يختار طريق الشر؛ فيظل الروح حبيساً في الجسد المادي، ويظل الإنسان أسيراً لرغباته وشهواته.

(١) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ص(٣٥-٣٧).

(٢) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ص(٣٥-٣٧).

وهكذا انتشرت المعرفة الباطنية في بلاد فارس وما جاورها من أراضي الرافدين والجزيرة^(١)، وسيطرت الإمبراطورية الفارسية على المنطقة رداً من الزمان، ونشرت ديانتها الثنوية فيها، ثم جاء غزو الإسكندر^(٢) للمنطقة، وانتشرت الثقافة الهلينية^(٣)، فمزجت الأفكار والعقائد الوثنية وديانات الأسرار المختلفة بالفلسفات والعقائد اليونانية. فاختلطت الروحانية المشرقية بالوثنية اليونانية.

ومع ظهور المرحلة الرومانية التي أسقطت الحدود القومية، وشجعت التبادل بين الشعوب في الشرق والغرب، وأدّى اتساع نطاق الإمبراطورية إلى تزايد اختلاط الديانات المختلفة وإلى عمليات تهجينها، الأمر الذي أدى إلى فرض الواقع الوثني على المجتمع الذي كان يحكمه القانون الروماني المستلط، وأمام خسارة الطبقة المثقفة لمناصبها ومكانتها في الدولة اليونانية؛ إذ لم يستوعبها العالم الروماني الجديد، ظهرت الغنوصية الجامعة بين الفلسفة اليونانية وأسرار الديانات الشرقية، نتيجة للوضع التشاؤمي السائد، فالغنوصية أعلنت أن هذا العالم فاسد تماماً، فسقطت المدن والإمبراطوريات والعالم الطبقي والقوانين الطبيعية والأخلاقية الغاشمة بضربة معرفية واحدة. أما عالم المدينة الوثني الذي يتطلب الانتماء إليه الانتماء للعبادة الوثنية، فإنه يسقط هو الآخر بإعلان أن طريق الخلاص هو العرفان الداخلي دونما حاجة لكهنة أو معابد، وأما اغتراب الإنسان فيوسع الإنسان أن يعقلته قليلاً بأن يدّعي أنه يوجد في هذا المكان ولكنه ليس منه، وهي محاولة لتأصيل مبدأ نكران الذات، وأن الإنسان في أصله لا ينتمي إلى هذا العالم، بل ينتمي إلى العالم السماوي، وأما وجود الإنسان في موقع متدن من السلم الطبقي، فيستطيع مثل هذا الإنسان أن يُفسّره لنفسه بأنه في واقع الأمر من الروحانيين في عالم جسماني. أما من هم في قمة السلم فهم في واقع الأمر الجسمانيون أو النفسانيون على أحسن تقدير، وهو سلم سيُقلب رأساً على عقب حين يعود

(١) الجزيرة: المنطقة الواقعة بين نهر الفرات ودجلة، وتعرف بالجزيرة الفراتية أو "أقور"، وهي مهد حضارات العالم القديم، شرقها موطن ديار ربيعة، وغربها موطن ديار مضر، وشمالها موطن ديار بكر، وموقعها اليوم تمثل أجزاء من الأراضي العراقية والسورية وجنوب تركيا، وقد شكلت جسراً أرضياً يوصل بين طرق المواصلات البحرية بين جنوب أوروبا والبحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، كما أن لموقعها أهمية بالغة لكونها تقع في قلب العالم القديم. انظر: معجم البلدان: (١/٢٣٨)، والجزيرة الفراتية وديارها العربية، عبد الحكيم الكعبي، ص (٢٩ وما بعدها).

(٢) الإسكندر المقدوني: الإسكندر بن فيليبوس المقدوني اليوناني، ملك أجزاء شاسعة، وغزا فارساً واستولى عليها، وعلى اسمه سميت الإسكندرية، وكان أرسطو أستاذاً له، وتوفي سنة (٣٢٣ ق.م)، انظر: تاريخ مختصر الدول (١/٥٧)، تاريخ ابن خلدون (٢/١٣٦).

(٣) الهلينية: الهلين هو الاسم الأخص الذي يطلق على الشعب اليوناني، ومصطلح الهلينية يدل على الحقبة التاريخية اليونانية قبل فتوحات الإسكندر المقدوني.

الإنسان العارف لأصله الروحاني ويشغل قمة الهرم، وبذا يحل محل النخبة اليونانية الرومانية. أما الجسمانيون أو النفسانيون فهم كالقشرة أو المحارة سيئبذون أو يحتلون مكانهم في أدنى درجات السلم^(١).

وكانت الجماعات اليهودية من أكثر الجماعات تأثراً بهذه التحولات، وقد كان اليهود من أكثر الجماعات انتشاراً في المدن الإغريقية، ومن المعروف أنه في المائة الأخيرة قبل الميلاد، كان عدد اليهود في الإسكندرية أكثر منهم في القدس، كما كان عدد اليهود خارج فلسطين أكثر منهم في داخلها. وقد اندمج اليهود في الحضارة الهيلينية بشكل سريع، وفقدت أعداد كبيرة منهم هويتها، وقد تُرجم العهد القديم إلى اليونانية، وتأثرت العقيدة اليهودية بالتشكيل الحضاري السامي الوثني، ودخلت عليها عناصر وثنية حلولية، وتسربت المعرفة الباطنية إلى التراث الصوفي اليهودي، وعرفت بعلم الـ "قبّالاه"، وهي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية الصوفية عند اليهود، والذين يوصفون بأنهم "العارفون بالفيض الرباني"، وكان القبّاليون يرون أن المعرفة توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني مُحدث يُفضي إلى معرفة غنوصية باطنية بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية^(٢).

وقد أصبحت القبّالاه في نهاية الأمر ضرباً من الصوفية الحلولية ترمي إلى محاولة معرفة الإله بهدف التأثير في الذات العلية حتى تنفذ رغبات القبّالي أو المتصوف، ولكي يتسنى لصاحب هذه المعرفة السيطرة على العالم والتحكم فيه. ولذا؛ فإن القبّالاه تتبدى دائماً في شكل قبّالاه عملية، وهي أقرب إلى السحر الذي يستخدم اسم الإله والمعادل الرقمي للحروف "جماتريا"^(٣)، والأرقام الأولية والاختصارات "نوطيقون"^(٤) للسيطرة. وترتبط القبّالاه في وجهها العملي بعدد من العلوم السحرية،

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، ص(٤٢٨/٥).

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، ص(٤٢٨/٥).

(٣) جماتريا: هي التفسيرات الرقمية، وهي كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني «جيوميتري» ومعناه «هندسة». وهو منهج في شرح كلمات من العهدين القديم والجديد، يستند إلى تحليل القيمة العددية لحروف الكلمات العبرية التي يعتبرها المفسرون القبّاليون وغيرهم مقدّسة، وقد ظهر هذا المنهج بين معلمي المشناه في القرن الثاني الميلادي، وورد في التلمود مائة وخمسون حالة استخدام للجماتريا، ثم ساد هذا المنهج بين المفسرين بسيادة الفكر القبّالي وطموحه الأساسي للوصول إلى العرفان أو الغنوص أو الصيغة الهندسية التي تؤدي إلى التحكم في العالم، انظر: الموسوعة اليهودية: د. عبد الوهاب المسيري، (٤٧٢/١٣).

(٤) نوطيقون: كلمة عبرية تدور حول مفهوم السيطرة.

مثل: التنجيم^(١)، والسيمياء^(٢)، والفراسة^(٣)، وقراءة الكف^(٤)، وعمل الأحجبة^(٥)، وتحضير الأرواح. ومع ابتعادها عن التقاليد الحاخامية^(٦) الدراسية استوعبت عناصر كثيرة من التراث الشعبي تمثل الازدهار الأقصى للتفكير الأسطوري والحلوي في اليهودية^(٧).

وقد تشكلت علوم "القبلاه" على فترات متفاوتة من التاريخ اليهودي، حتى أصبحت الكلمة تعني من أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، «أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة»، إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي^(٨).

(١) التنجيم: علم يبحث في تأثير حركات النجوم على مجرى الأحداث، ويستخلص منها تنبؤات مستقبلية ذات تأثير مزعوم على حياة الناس، وطباعهم؛ إذ يدعي المنجمون أن ما يجري للإنسان وما يحدث في الكون ذو اتصال سببي بحركات النجوم، وهو علم قديم اشتهرت به الصابئة في حران بالشام، وبنوا لها الهياكل وعبدوها، وزعموا أن لها أرواحاً، كما أن الفلاسفة ادعوا أن هذه الكواكب لها عقولاً فاضت عن العقل الفعال، وهي تفيض على سائر المخلوقات. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (٢١٧٣/٣)، والموسوعة الميسرة: (١٠٢٣/٢).

(٢) السيمياء: مصطلح يطلق على الكيمياء القديمة، فهو المرحلة البدائية للمعرفة الكيميائية، وكان الهدف الرئيسي لهذه المرحلة في العصور الوسطى تحويل الفلزات الخسيسة مثل النحاس إلى فلز نقيس مثل الذهب، واستخدام في ذلك ما سمي بحجر الفلاسفة، وظن أنه يضفي الشباب الدائم على الناس، ويطيل الحياة، وسمى بالإلكسير. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١١٥١/٢)، ومعجم الكيمياء الحديثة: مجمع اللغة العربية: (٢٠/١).

(٣) الفراسة: علم من العلوم الطبيعية، تعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة، كالألوان والأشكال والأعضاء، أو هي الاستدلال بالخلق الظاهر على الخلق الباطن، وهي قديمة عرفها اليونان، كما استخدمها قدماء المصريين، واهتم بها "أرسطو" فكتب فيها ستة فصول، وأشهر من عرفها العرب، ومن الفراسة عندهم القيافة والريافة والعيافة. انظر: علم الفراسة الحديث: جورجي زيدان، ص (٥ - ٦).

(٤) قراءة الكف: نوع من أنواع الكهانات القديمة، كانت موجودة عند الإغريق والهنود والصينيون والعرب قبل الإسلام، وتعتمد على أشكال الخطوط على الكف، وكيف تتقاطع، ونوعية الجلد والأظفار، ويعرفون عن طريقها "طالع" الإنسان. انظر: أسرار السحر: علي الطهطاوي، ص (٧٥).

(٥) الأحجبة: جمع حجاب، نوع من أنواع الرقي والتمايم، تكتب في ورقة بجزر أخضر أو أحمر، -والغالب أن ذلك الحبر من النجاسات-، ثم تطبق، وتوضع في جلد أحمر، ويعلقها على رقبة من أراد، حفظاً من العفارت. انظر: قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، أحمد أمين، ص (٣٥).

(٦) الحاخام: كلمة عبرية معناها "الرجل الحكيم أو العاقل"، والمصطلح يستخدم للدلالة على العالم اليهودي، والمعنى الأكثر شيوعاً هو استخدام كلمة «حاخام» للإشارة إلى القائد الديني للجماعة اليهودية الذي كان يقوم بوظيفتين: أولاهما تفسير التوراة وتطوير الشريعة الشفوية، ولكنه أصبح، إلى جانب ذلك، القائد الديني للجماعة اليهودية مهمته الإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي. انظر: الموسوعة اليهودية: د. عبد الوهاب المسيري، (٩٩/٤).

(٧) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، ص (٤٢٨/٥).

(٨) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، ص (٤٢٨/٥).

إن الباطنية القديمة على اختلاف مذاهبها وتعدد شخصياتها، تؤمن بأهمية التوافق والانسجام بين جميع المعتقدات الدينية المختلفة، وبضرورة أخذ التعاليم الروحية السرية من المعلم، وهي بجانب ذلك فإن كل المذاهب الباطنية القديمة تتفق في أربعة مسائل جوهرية:

أولها: نظرية الترابط والتوازي بين جميع أجزاء العالمين الحسي "المشاهد" والغيبي.

ثانيها: اليقين بأن الطبيعة عبارة عن كائن حي، نشأ نتيجة وجود إلهي أو طاقة حيّة.

ثالثها: الحاجة إلى عوامل وسيطة (الرموز والطقوس والأرواح والرؤى) للتوصل إلى المعرفة الروحية.

رابعها: الإحساس بحالة من التحول الشخصي والروحي عند التوصل إلى تلك المعرفة^(١).

ومن أهم الطرق الموصلة إلى المعرفة الباطنية طريق الغنوص والعرفان، وطريق الإشراف:

● أولاً: طريق الغنوص والعرفان.

الغنوص والعرفان هو امتداد للفكر الهرمسي، وهو من نتاجها، وإذا كان الفكر الهرمسي يقرر مبدأ الخلود الروحي واتحاد النفس بالإله لتحصل لها الكمال؛ فإن الغنوصية والعرفانية ليست إلا طريق ومنهج مؤدي لذلك الاتحاد الذي يتبنى فكرة تغذية العقل البشري بالمعرفة الإلهية، وهي معرفة بضرورة الحال تقتضي أن تكون مستندة على الحدس وقوة الخيال والاستغراق الذهني المنبثق من عملية التأمل الكوني.

فما الغنوص إذاً وما العرفان؟

الغنوص كلمة يونانية الأصل تعني "المعرفة الحدسية"^(٢) الباطنة^(٣) أو "البصيرة"^(٤)، انتقلت إلى الثقافة العربية والإسلامية عبر الثقافات التي كانت سائدة قبل الإسلام في الشرق الأدنى، وعرفت باسم "العرفان"، وهو نظام معرفي ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم والموقف منه^(٥)، واكتساب

(١) انظر: موسوعة الاستغراب: الباطنية الغربية، متاح على موقع مركز الفكر الغربي: (<http://www.cwestt.com>).

(٢) الحدس: قوة روحية لإدراك الحقائق، يتوصل إليها من خلال اليقظة المستمرة، والهدف منها هو حماية الحدس من العقل التجريبي، حتى لا يفقده بدهائه وصفائه، وسيأتي مزيد بيان عن المعرفة الحدسية، راجع: الفصل الثاني: المبحث الثالث: مدرسة الوعي الكوني، ص (٢٨٧).

(٣) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط = ٢٠٠٤، ص ٦٦.

(٤) انظر: الغنوصية الفلسفة والوحي: إدوارد مور، ترجمة: أسماء جلال الدين، متاح على موقع معابر: (<http://www.maaber.org>).

(٥) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ٢٥٣.

المعرفة يصل لأن يكون اكتساباً بلا واسطة^(١)، تتمثل في ارتقاء النفس الإنسانية إلى المبادئ العالية، حتى تصبح مرآة مجلوة تحاذي شطر الحق، فتمتلئ في النور الإلهي الذي تغشاها من دون أن يتحلل فيه انحلالاً تاماً، ويسمى هذا الامتلاء من النور الإلهي: "كشفاً وروحاً"^(٢).

فالغنوصية والعرفانية هي اتجاه يقوم على الإشراق، وإنكار الوحي، وهي قائمة على جملة من الفلسفات الانتقائية التي تستند على تعميق الحياة الروحية على النحو الموجود في الفلسفات الشرقية بشتى صورها، والتي أثرت بشكل كبير على الفلسفة اليونانية في فترة لاحقة، ويتبين لنا أن الغنوصية أو العرفانية هي جملة التيارات الدينية التي يجمعها، كونها تعتبر أن "المعرفة الحقيقية بالله وبأمر الدين هي تلك التي تقوم على تعميق الحياة الروحية، واعتماد الحكمة في السلوك، مما يمنح القدرة على استعمال القوة التي هي من ميدان الإرادة"، وبالتالي فإن الغنوصيين أو العرفانيين يطمحون إلى التوفيق بين جميع الديانات والكشف عن مغزاها العميق بواسطة معرفة باطنية وكاملة لأمر الدين تُلقن عن طريق التدريب وإعطاء القدوة^(٣).

ونخلص إلى أن الغنوصية أو العرفانية ليست إلا مذهباً انتقائياً ملفقاً يحاول التوفيق بين الأديان والفلسفة، ويجمع بين الآراء ويمزج بينها، والغرض من ذلك هو: الوصول إلى المعارف العليا أو تذوق تلك المعارف المشيئة على نوع من المعرفة؛ إذ أنها متسمة بأنها معرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معتمدةً على الحدس الإشرافي الباطني الذي يتجسد فيها بجانب المعرفة الباطنية: مجموعة الطلاسم والأسرار والسحر، والتنجيم والكيمياء، بعيداً كل البعد عن تذوق أي معرفة حسية قائمة على الاستدلال أو البرهنة العقلية^(٤).

نشأة الغنوصية:

تشكل الفكر الغنوصي القائم على التلفيق والمتسم بالانتقائية في القرن الأول الميلادي كرد فعل للنصرانية التي جاء بها عيسى -عليه السلام-، وكان للدور الذي لعبه اليهود أكبر الأثر في ظهور الغنوصية

(١) انظر: إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم: الناشر: دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط ١=١٩٨٨م، ص ٢٩٦.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا، (١/٤٥١-٤٥٢)، وانظر أيضاً: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة:

د. عبد المنعم الحفني، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط ٣= ٢٠٠٠م، ص (٢٨٢-٢٨٣).

(٣) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ٢٥٣.

(٤) انظر: الغنوصية وموقف الإسلام منها: هدى يحيى علي المالكي، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى،

إشراف: د. ابتسام جمال، ١٤٢٧هـ، ص ٢٠، وانظر أيضاً: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ٢٥٤.

كوجه آخر للديانة النصرانية؛ إذ ساهمت جهود رجال الغنوصية أمثال سمعان الساحر السامري^(١)، وفيلون السكندري^(٢)، وبولس "شاؤل"^(٣)، ومرقيون^(٤)، وباسيلدس^(٥)، وفالتينوس^(٦)، وأمونيوس سكاس^(٧)، وغيرهم في تشويه الديانة المسيحية وتحريفها.

ويمكن القول بأن الغنوصية حركة دينية وفلسفة سائبة التنظيم؛ لكونها نشأت نتيجة التفاعل مع مجموعة من الأفكار والمعتقدات الدينية، تأتي في مقدمتها الأطروحات الفلسفية اليونانية التي ازدهرت في العصر الهلنستي^(٨)، والمتأثرة بالأفكار والفلسفات الشرقية الوافدة إلى البيئة اليونانية نتيجة فتوحات الإسكندر المقدوني الأكبر، وازدهرت العلوم الغنوصية التي كانت تتسم بالباطنية والانتقائية في القرنين الأول والثاني للميلاد. ولا يمكن تعقب الأصل أو الأصول الدقيقة لتلك المدرسة، على

(١) **سيمون السامري**: ويعرف بـ "SIMON MIAGUS" — سيمون الساحر — شخصية يهودية، يعتبر مؤسس الغنوصية وأول العرفانيين بعد ظهور النصرانية، وكان يخلط التعاليم المسيحية بالفلسفة اليونانية، وكانت له فرقة تدعى بالسيمونية لا تعدو الثلاثين فرداً، وكانت مهمتهم هي المتاجرة بالإيمان، ورجاء المنفعة من وراء ذلك.

(٢) **فيلون السكندري**: "PHILON" : شخصية يهودية، فيلسوف ولد ونشأ في الاسكندرية، وبها تعلم الفلسفة اليونانية، فهو يعد من أكبر المثقفين والعارفين بالفلسفة اليونانية، حتى أنه تعلم العقيدة اليهودية من التراجم اليونانية للكتب العبرية، وهو من رواد الأفلاطونية المحدثة، له دور كبير في ظهور الغنوصية.

(٣) **شاؤل**: اسمه شاول الطرسوسي اليهودي الفريسي، ولد في طرسوس (تركيا اليوم)، وكان صاحب ثقافات واسعة بالمدارس الفلسفية والحضارات في عصره، وهو تلميذ أشهر علماء اليهود في زمانه عمالاميل، ويعد "بولس" أحد أبرز الشخصيات الكنسية الأولى في تاريخ النصرانية، أُطلق عليه رسول الأمم اليهودية والرومانية، وعُرف أيضاً بـ "رسول الوثنيين"، تزعم حملة ملاحقة النصارى الأوائل، قبل أن يختلق ديناً جديداً ربطها بالنصرانية التي جاء بها عيسى -عليه السلام-، ومن أبرز تعاليمه عقيدة الخطيئة، والخلاص، نقم عليه اليهود واتهموه بمخالفة الشرع، فاعتقل ونفي إلى روما، وأعدم فيها عام ٦٧م. انظر: أطلس الأديان: سامي المغلوث، ص (٢٢٠).

(٤) **مرقيون**: غنوصي مسيحي، ولد على الأرجح في سنة (١٠٠م)، وهو مؤسس شيعة المرقيونيين، وهم يبنذون العهد القديم كله، والعهد الجديد إلا إنجيل لوقا وعشر رسائل لبولس، ومات نحو سنة (١٦٥م). انظر: معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٨٨٢).

(٥) **باسيلدس**: غنوصي إسكندري من النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، ومؤسس إحدى عبادات الأسرار. انظر: معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٢٠٠).

(٦) **فالتينوس**: غنوصي، ولد في أواخر القرن الأول الميلادي، واعتنق النصرانية إلا أنه لم يتخل عن غنوصيته، ومات نحو سنة (١٦١م). انظر: معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٦٢٧).

(٧) **أمونيوس سكاس**: ولد سنة (١٧٥م)، في الإسكندرية، يعده البعض المؤسس الأول للفلسفة الأفلاطونية الحديثة، حاول التوفيق بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو، وتوفي سنة (٢٥٠م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٣١١)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ١٣٦).

(٨) **العصر الهلنستي**: العصر الذي اختلطت فيها الثقافة اليونانية مع الثقافات الشرقية، بسبب فتوحات الإسكندر المقدوني.

الرغم من إمكانية تتبُّع مؤثراتها أو مصادرها بالعودة إلى الماضي حتى القرنين الأول والثاني ق.م، مثل المقالات المبكرة للمجموعة الهرمسية "Corpus Hermeticum"، والكتابات العبرية الرؤيوية^(١)، والفلسفة الأفلاطونية، والكتب اليهودية المقدسة نفسها^(٢).

وانتقلت الغنوصية لاحقاً إلى البيئة الإسلامية عبر الحركة الصوفية الفلسفية، وأصبح العارفون هم الذين يتصلون من خلال بصيرتهم الداخلية بالحقيقة الكلية، وخصوصهم هم غير العارفين الذين وقفوا عند ظاهر التعاليم الدينية، ولم ينفذوا إلى باطنها^(٣).

ملامح الفكر الغنوصي:

اتسم الفكر الغنوصي بأهم ميزتين تميزه عن غيره، فهو فكر تلفيقي انتقائي، يجمع بين شتى المذاهب والأديان والأفكار الفلسفية في إطار واحد هو الإطار الروحاني الذي يهدف إلى الوصول إلى المعرفة الإلهية.

كما أن الفكر الغنوصي يتسم بكونه باطني، فهو خاص بأناس محدودين، لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الممارسة العملية.

وعطفاً على ما سبق فإن أبرز ملامح هذا الفكر يتمثل في كونه جامعاً لكل ما يخدم الفلسفة الروحية، فالغنوصية هي حجر الزاوية، والجامعة بين الروحانية المشرقية والوثنية اليونانية الغربية.

ومن أبرز ملامح هذا الفكر:

(١) الكتابات العبرية الرؤيوية: هي الكتابات العبرية التي اهتمت بالرؤى والأحلام، وهناك العديد من الأسفار العبرية المصنفة تحت دائرة الأسفار الأبوكريفية "المنحولة"، وهي بدورها اهتمت بموضوع الرؤى والأحلام، منها على سبيل المثال: كتاب راعي هرماس، وهو أحد مؤلفات عهد "الآباء الرسولين"، وقد كتب هذا الكتاب ما بين نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني للميلاد في مدينة روما الإيطالية، وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام رئيسية: إذ يتألف الكتاب من خمس رؤى، تمثل القسم الأول، ومن ١٢ وصية تمثل القسم الثاني، ويختم السفر بعشرة أمثال تمثل القسم الثالث والأخير من الكتاب، وللاستزادة حول الموضوع يمكن مطالعة كتاب: **النصوص الرؤيوية الكتابية - مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني**: د. نزار صميده، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٨م.

(٢) انظر: الغنوصية الفلسفة والوحي: إدوارد مور، ترجمة: أسماء جلال الدين، متاح على موقع معابر: <http://www.maaber.org>.

(٣) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص ٦٦.

أولاً: الإيمان بالفيض والصدور:

تؤمن الغنوصية بنظرية الفيض والصدور؛ لأن الغنوصية تؤمن بقدوم المادة، فالمادة وجدت بنفسها منذ الأزل إلى جانب الإله المتعالي المنزه عن كل علاقة بها، ولحل مشكلة نشوء العالم من هذه المادة، يقول هذا الاتجاه بمبدأ ثالث وسيط بين الإله المتعالي وبين المادة، يتولى صنع العالم، فيكون هو الإله الصانع المسؤول عن وجود العالم وما فيه من شر، وهكذا تكون المبادئ الثلاثة:

(١) الإله المتعالي المنزه عن كل علاقة بالعالم.

(٢) المادة الأزلية.

(٣) الإله الصانع الذي يطلق عليه "الأيون الأول"، أو "العقل الكلبي" أو "الابن الأول" -

ابن الله" (١).

وبالتالي فإن موقف الفكر الغنوصي من قضية الإله هو موقف يستند على نظرية الفيض والصدور، وهي نظرية تدعو إلى أن الإله الواحد الأعلى لما فكر أن يوجد الخلق، وحين شاءت إرادته أراد أن يحدث ذلك الأمر فاض عنه الإله الصانع، فالإله الصانع هو خالق الكون ومدبره، وعلى هذا فإن الغنوصية تؤمن بمبدأ الثنوية الكونية، وهي ثنوية قائمة على مبدأ واحد، وأصل واحد، قديم وأزلي، هو إله الأنوار الأعلى، ثم إن هذا الإله صدر عنه إلهاً أدنى منه في المرتبة، وهو بدوره قام بخلق العالم المادي، فالمادة شر بطبيعتها، ولا يمكن للإله الواحد أن يخلق الشر، أو أن يكون مسؤولاً عن وجوده (٢). ونلاحظ هنا أن فكرة الإيمان بالإله الواحد والإله الصانع هي موجودة في الكتابات الهرمسية، فالإله الخالق الذي هو ذكر وأنثى، حياة ونور، قد أوجد بكلمة منه عقلاً ثانياً صانعاً، هو إله النار والنفس، فصنع المدبرات التي تغلف بدوائرها العالم الحسي، ويسمى تديرها "القدرة"، وفي الحين انطلقت كلمة الله واتحدت مع العقل الصانع (لأنهما من جوهر واحد) (٣).

(١) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص ٢٦٠.

(٢) انظر: الرحمن والشيطان: فراس السواح، ص ١٢.

(٣) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ٤٣٢.

ثانياً: الإيمان بنظرية "الكلمة".

تعرف هذه النظرية بـ "اللوغوس"، وهي نظرية آمن بها المصريون القدماء، وانتقلت تلك النظرية إلى الثقافة اليونانية، وتأثر بها فلاسفتها أمثال "هراقليطس"^(١)، و"الفيثاغوريون الجدد"^(٢)، و"الرواقيون"^(٣)، كل بمعنى مختلف، ولكنها معان تشترك في محاولة التغلب على مشكلة الصلة بين الله والعالم^(٤). وفي الغنوصية نجد لهذه النظرية حضوراً لافتاً؛ إذ أسس "فيلون الإسكندري اليهودي" مذهباً يمكن معه البلوغ إلى الله الواحد عن طريق قوى وسيطة، وعلى الأخص منها نظرية "اللوغوس" أو "الكلمة" بوصفها خالقاً وسيطاً بين الله والعالم^(٥)، ومن معالم هذا المذهب هو الإيمان بضرورة الفصل بين "الله" وبين "العالم"، ومن هنا يأتي وجوب القول بواسطة بينهما، فالله قادر على فعل أي شيء، ولكنها قدرة غير مباشرة تقوم على اتصال الله بالعالم المادي، وإنما هي قدرة غير مباشرة، تتم عن طريق وسائط هي القوة الإلهية، وهي على أربعة أنواع:

- (١) المثل الأفلاطونية^(٦) التي يخلق الله على غرارها الموجودات.
- (٢) القوى العنصرية السائدة في الطبيعة.
- (٣) الملائكة، وهم رسل الله إلى أنبيائه ومنفذي إرادته.
- (٤) الجن، وهم عنصر الشر والانتقام في الطبيعة^(٧).

(١) هراقليطس: فيلسوف يوناني، ولد سنة (٥٤٠ ق.م)، ذهب إلى أن النار هو المبدأ الأصل الذي تصدر عنه الأشياء، وهي في الأصل نار أثرية تتحول ناراً محسوسة، ويرى أن الأشياء في تغير متصل، وتوفي سنة (٤٧٥ ق.م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٣٠)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٩٦٨).

(٢) الفيثاغوريون الجدد: أو الفيثاغورية الحديثة، مدرسة فلسفية "انتقائية" ظهرت خلال القرن الأول ق.م، وقد اشتهرت في الإسكندرية، وكانت سرية للغاية، وتعاليمها غامضة، اهتمت بفلسفة أفلاطون والإيمان بالخزعبلات الوافدة من الشرق، والاشتغال بالعلوم الخفية، وتميزت بأنها استطاعت فصل الجانب الروحي الغامض من الفيثاغورية عن البحث الرياضي العلمي الذي اختصت بها الفيثاغورية القديمة في الزمن اليوناني القديم. انظر: دوامات التدن: يوسف زيدان، ص (٢٦ - ٢٧).

(٣) الرواقيون: مدرسة فلسفية يونانية أسسها "زينون"، ومنها انتقلت إلى روما في القرن الثاني ق.م، وسميت رواقية لأنهم كانوا يتعلمون في الرواق، ويسمون أصحاب المظلة، والرواقية ترى أن ماهية الإنسان جزء من الوحدة الجامعة بين "الله" و"الطبيعة"، وأن الكون تسري فيه روح كلية، وأن خالق هذا الكون ليس مفارقاً له؛ بل هو كامن فيه. انظر: الموسوعة الميسر: (١٠٦١/٢).

(٤) انظر: مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية: عبد المجيد عبد الرحيم، ص ٢٨١.

(٥) انظر: معجم الفلاسفة: جورج طرايشي، ص ٤٩١، ومدخل إلى الفلسفة: عبد المجيد عبد الرحيم، ص ٢٧٩.

(٦) يأتي توضيحه لاحقاً.

(٧) انظر: مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية: عبد المجيد عبد الرحيم، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط ١ = ١٩٧٩م، ص ٢٨١.

ثالثاً: الإيمان بفاعلية القوى الثنائية الكونية.

من أهم وأبرز ملامح الفكر الغنوصي هو الإيمان بفاعلية القوى الثنائية في الكون؛ فالغنوصية تؤمن بوجود مبدئين، هما النور والظلمة، الروح والمادة، وعلى أساس أن العالم ليس من صنع الله؛ لأنه إله متعال على كل ما يجري في العالم المادي، والعالم المادي إنما هو من صنع الأيون الأول^(١) الصادر من الإله، صنع من المادة الظلامية عالمًا كله فساد وخداع وموت وآلام، ومن هذه المادة الظلامية نفسها صنع جسد الإنسان، والأيون الأول أراد أن يرجع إلى الإله ويظهر نفسه بالغنوص، فطرد من مكانه لتصدر عنه هذه الأيونات الشريرة التي سجت النفوس "الأرواح" الصادرة من الإله الأعلى، ولذلك فإن الإنسان ليس خاضعاً بكليته إلى إله العالم "الأيون الصادر من الإله الأعلى"، وإنما بجسده فقط، لأن جسده صنع من مادة العالم، أما في جزئه الأنبل والأسمى وهو "الروح" فينبغي تحريرها كي تعود إلى أصلها السماوي، ولذلك فهي في نزاع دائم مع المادة للعودة إلى أصلها بالاتحاد الجوهري مع ذات الإله، ومسؤولية تحرير الروح من الجسد المادي تقع بالدرجة الأولى على عاتق الإنسان نفسه، لأن الله ينادي الإنسان، وما على الإنسان إلا أن يتلمس هذه الدعوة في أعماق نفسه من خلال فعالية العرفان وطريق الغنوص^(٢).

وعليه فإن الغنوصية ترى أن العالم كله شر، لأنه ينتمي إلى المادة، وأن النور والظلمة في صراع دائم، والإنسان هو محور هذا الصراع الذي تجتمع عنده قوى النور وقوى الظلام؛ فهو كائن موزع بين عالم ناقص لا يمكن إصلاحه، ويقع في مجال ظلامي سفلي يمثل موطن الإنسان المؤقت والعارض، وعالم كامل يقع في مجال نوراني علوي، يمثل الموطن الأصلي والحقيقي، فالغنوصية تنظر إلى الإنسان نظرة تشاؤمية، وتجعله أسيراً لرغباته وشهواته، وتجعل من قلبه مقراً للقوى الشيطانية التي تدفعه إلى المطابقة بينه وبين جسده المادي، وتباعد بينه وبين بذرة النور المزروعة في داخله، ولا سبيل إلى التماس ذلك النور إلا من خلال المعرفة الباطنية التي تعين الروح الإنسانية على التعرف على

(١) الأيون: مفهوم فلسفي يعتبر أن الذرات المادية هي الأساس الوحيد الذي يتكون منه كل شيء، ويرد الأشياء إليها، والمتكلمين إذا أطلقوا الحركة أرادوا بها الحركة الأينية المسماة بالنقطة، وأول من قال بها هو "ديموقريطس" الذي أرجع كل شيء إلى الذرات المادية، باعتبارها الأساس الوحيد الذي يتكون منه كل شيء. انظر: تمهيد للفلسفة: د. محمود زقروق، ص (١٨٢)، وموسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف الجرجاني، (١٦٤/٢).

(٢) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص (١٥٣-١٥٤)، وانظر أيضاً: الرحمن والشيطان: فراس السواح، ص ١٥، والموسوعة الميسرة: إشراف د. مانع الجهني: ص ١١٠٤.

أصلها النوراني الأعلى، وبذلك يتم خلاصها واتصالها بأصلها مجدداً^(١)، لتنعم بالخلود الروحي والأبدي حين تتحرر من الجسد المادي وتنعتق، وتستمر في الانجذاب نحو الأصل السماوي الإلهي الخالد، فيزداد شوقاً إليه كلما ازداد معرفة به. إلى أن يصل إلى لحظة يشعر فيها أنه قاب قوسين منه أو أدنى، بعدها تأتي لحظة يتحد فيها العاشق والمعشوق، لحظة الفناء واندماج العارف في أصله^(٢).

رابعاً: الإيمان بالتجلي الإلهي:

تؤمن الغنوصية بفكرة الإله المخلص، وهو إله يهبط من السماء إلى الأرض، ليسير على الطريق الذي سار فيه البشر، ثم يموت وينهض من الموت، وهبوط هذا الإله إنما هو لتخليص البشر من شرور الحياة^(٣).

خامساً: الاعتقاد بالعدد (سبعة):

فالغنوصية تؤمن بالعدد (سبعة)، وأنه يمثل آخر الفيوضات، والقوى السبعة عندهم متمثلة بالكواكب السبعة: (عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، الشمس، القمر). وهذه هي التي تدبر العالم وتؤثر فيه، فتصنع الحياة والحركة والموت وغير ذلك^(٤).

● ثانياً: طريق الإشراف:

يعتبر طريق الإشراف من أهم الطرق الموصلة إلى المعرفة الباطنية، فهو الطريق المؤدي إلى الإشراف الداخلي والكشف الباطني، والمعرفة الإشرافية معناها "ورود المعرفة على النفس مباشرة من الملاء الأعلى، من غير أن تتطلبها النفس"^(٥)، ولفهم حقيقة المعرفة الإشرافية علينا أن نفهم الحقيقة الإلهية عند فلاسفة الإشراف.

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص(١٥٣-١٥٤)، وانظر أيضاً: الرحمن والشيطان: فراس السواح، ص ١٥، والموسوعة الميسرة: إشراف د. مانع الجهني: ص ١١٠٤.

(٢) انظر: بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ص(٢٥٧-٢٥٨).

(٣) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص ١٤٤.

(٤) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص ١٤٤.

(٥) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص(١٣٢-١٣٣).

أولاً: تستند المعرفة الإشرافية في أصلاتها على قاعدة القول بالواحد الذي صدر عنه الكثرة^(١)، وهذه القاعدة تقودنا إلى موقف فلاسفة الإشراف من الألوهية.

ذلك أن الإله عندهم هو المبدأ الأسمى للوجود، بسيط لا نظير له، فهو الواحد المنزه عن جميع الصفات، وعن الاتصال بالمادة، وعن التنوع في ذاته، فهو الخير المطلق، والعلة الأولى، وهذا الإله تفيض عنه الأشياء جميعاً ولا تنفصل عنه.

ثانياً: عملية الفيض إنما حدثت نتيجة تأمل "الإله الواحد" في ذاته، فعلم أنه موجود، ففاض عنه "العقل الأول" الذي هو صورة الله، وليس الله نفسه. ثم إن "العقل الأول" تأمل ذاته فصدر عنه كائن آخر هو "النفس الكلية" التي تملأ العالم، وترجع "النفس الكلية" بالتأمل في "العقل الأول" فيفيض منها كوائن متعددة هي "نفوس الكواكب"، ثم يستمر الفيض فيصدر عن كل كائن كائنات آخر أقل شبيهاً بالعقل الأول المطلق البريء من المادة والأكثر صلة بالمحسوسات، حتى تفيض "الهيولى"، وهي أدنى دركات الفيض، لأنها مادة مطلقة فوضى لا صورة لها البتة.

ثالثاً: "النفس الكلية" هي التي تملأ العالم، وتبعث فيه النشاط، وتظهر في كل كائن حي، ونسبة "النفس الكلية إلى النفوس الجزئية (نفوس البشر والكائنات الحية) كنور الشمس المشرق على غرف متعددة، ففي كل غرفة جزء من نور الشمس نفسه، وليس النور كله^(٢).

هذه هي أبرز معالم الفكر الإشرافي، وتعود أصل الفكرة إلى المعلم الغنوصي "أمونيوس ساكاس" الذي حاول التوفيق بين الفلسفة الهلينية وبين المعتقدات الشرقية، وقد تلفقها طلابه من بعده ونشروا هذه المبادئ وفق سرية تامة، ومن أبرز طلابه "أوريجانوس"^(٣) - "و" "أفلوطين"^(٤).

(١) انظر: المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٢هـ-١٩٨٣م، ص ١٨. ومعجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار، ص (١٠٤/١).

(٢) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص ١٣٤.

(٣) أوريجانوس: يعرف بأوريجانوس المصري، ولد في الإسكندرية عام (١٨٥م)، ونشأ وترعرع في بيت مسيحي محافظ، تميز بالدفاع عن العقيدة اللاهوتية، قتل أبوه على يد "سفرينوس" الذي قاد حملة عنيفة ضد المسيحيين، تأثر بأفلوطين، ونفي من الإسكندرية بعد أن اتهم بالهرطقة النابعية - مفهوم نابع من اللوغوس يجعل الإبن أقل مرتبة من الأب مع انه تابع له-، وحرّمته الكنيسة، وعاش في فلسطين، وتوفي عام (٢٥٤م). انظر: تاريخ الفكر المسيحي: القس د. حنا جرجس الخضري، (١/٥٣٩).

(٤) أفلوطين: مؤسس المدرسة الإشرافية أو ما تعرف باسم "الأفلاطونية الحديثة"، درس الفلسفة المصرية وسافر إلى اليونان وتأثر بفلاسفتها، ولم يكتف بذلك بل رحل إلى بلاد فارس، ودرس على حكماء الهند، واطلع على الديانات القديمة والأساطير والسحر والشعوذة، وتكونت لديه فلسفة هي مزيج من الفلسفات والتصورات التي تأثر بها من مختلف البيئات، كان من

أما "أوريجانوس" فقد ذهب إلى صياغة الدين المسيحي صياغة فلسفية جديدة، فهو أول مسيحي أراد أن يرسم الحدود بين العقل والوحي فوضع كتاباً سماه "المبادئ" شرح فيها الحقائق الأساسية وبدايات الأشياء ومصادرها، والكتاب يروي صدور الكائنات عن الله ثم انصرافها عنه، فهبوطها، فعودته إليه. وهو بذلك رفض المبدأ الثنوي الغنوصي، وفي الوقت ذاته يؤكد على وحدانية الله، والقول بقدم العالم، وأزلية الروح، وشرح الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً؛ لأنه يقرر أن الإنسان الكامل هو الذي يفهم بالناموس الروحاني أو النفساني الذي يطلع على الغيب^(١).

وأما "أفلوطين" فقد اعتنى بمذهب "ساكاس"، وطوره نتيجة الانفتاح الفكري الذي كان يتميز به، فقد تأثر بمثالية أفلاطون، وأثر الفكر الانتقائي والتلفيقي الذي كان سائداً في مدرسة الاسكندرية عليه كثيراً. إذ ساهمت آراء أفلوطين الفلسفية حول الكون والإنسان والحياة في إيجاد تفسير فلسفي لها، قائمة على أساس محاولات التوفيق بين الفلاسفة المختلفين، فالفلاسفة عنده رجال أسرة واحدة، وفروع شجرة مباركة تمد الإنسانية بما فيها من ثمار وخيرات، فأنبادوقليس^(٢)، وفيثاغورث، وأفلاطون، وأرسطوطاليس^(٣)، وبوذا، وهرمس، ومزدك^(٤)، وماني^(٥)، وإن انتسبوا إلى شعوب مختلفة فهم أبناء الإنسانية أولاً وبالذات، ورسل السلام والإصلاح!^(٦).

ثمّارها الفلسفة الإشراقية التي أثرت بشكل كبير على رواد التصوف الفلسفي من المسلمين أمثال السهروردي المقتول وابن سينا وغيرهم.

(١) انظر: الغنوصية: هدى المالكي، ص(٨٦-٨٨).

(٢) أنبادوقليس: فيلسوف يوناني، ولد نحو سنة (٤٩٢ ق.م)، وهو أول من قال بالعناصر الأربعة الطبيعية، وهي: الماء والتراب والنار والهواء، وأول من عدّ التراب من جملة العناصر، وأول من قال بأن الفكر في القلب وليس في الدماغ. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٤٧)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ١٣٧).

(٣) أرسطو طاليس: أرسطو، ويلقب بـ(المعلم الأول)، ولد في أسطاغيرا من مقدونيا سنة ٣٨٤ ق.م، وهو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين، وأول من وضع التعاليم المنطقية، وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م. انظر: تاريخ الحكماء ص ٢٧-٥٣، دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، المطبعة المنيرية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٤م، ١/ ١٦٤ - ١٦٥.

(٤) مزدك: فارسي ذهب إلى وجود إلهين: النور والظلمة، وادعى النبوة، ودعى إلى الإباحية والاشتراك في النساء والأموال. انظر: الملل والنحل (٢/ ٥٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٨٩).

(٥) ماني: فارسي عاش في القرن الثالث للميلاد وعمل على التوفيق بين المسيحية والزرادشتية، قال ان للعالم مبدئين: احدهما النور، وهو مبدأ الخير، والآخر الظلمة، وهو مبدأ الشر، وكل مبدأ من هذين المبدئين مستقل عن الآخر ومنازع له. انظر: المعجم الفلسفي (٢/ ٣١٤)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٨٧٤).

(٦) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي: د. محمد علي أبو ريان، الناشر: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠م، (٢م/ص٥٤٥).

ولذلك فإن الفكر الإشراقي عند "أفلوطين" فكر باعث على التأمل في الطبيعة؛ لأن الألوهية في نظره مبنوثة في كل شيء^(١)، وهي تمثل ثالثاً تضم "الواحد" و"العقل الأول" و"النفس الكلية" التي تملأ العالم وتبعث فيه النشاط والحيوية، واتصال النفوس الجزئية بأجسامها يرجع إلى هبوط النفس من الملاء الأعلى إلى الأجسام التي في الأرض، فإذا اتصلت النفس بجسد إنساني خضعت لشورور وعبوب كثيرة نتيجة اتصالها بالمادة، والنفس دائماً تحاول أن ترجع إلى مصدرها الأول، فإذا سلكت في جسدها سلوكاً كاملاً رجعت إلى مقامها الأول في الملاء الأعلى، وإلا تقلبت من جديد في أجسام بشر آخرين أو أجسام أخرى، حتى تتطهر تماماً، وتصبح خليفة بالرجوع إلى علمها الأول^(٢).

ولذلك فإن الإشراقية تؤمن بأهمية اكتساب المعرفة الباطنية، وهي معرفة لا يمكن الوصول إليها عن طريق الحواس أو التفكير المقصود؛ بل تكون مباشرة من النفس الكلية، عن طريق الإشراق الذي يقع في القلب بطريق الفيض، من غير استدلال ولا نظر، بل بنور يقذفه الله في الصدر^(٣)، والنفس الجزئية حين تتصل بالنفس الكلية لتحصيل المعرفة تكون قد تخلصت ولو للحظات معدودة من أسر الجسد ومن شوائب المادة، وتكون تلك اللحظات المعدودة قد بلغت السعادة في أثناء حياتها، وهو اتصال لا يطول ولا يتكرر كثيراً؛ ولكن يحتاج إلى رياضة خاصة^(٤)، رياضة تكمن من خلال الاستغراق في التأمل الباطن^(٥)، والقضاء على نوازع الجسم المادي، والتطهير، ثم الفناء في الواحد، وهذه هي حالة الوجد أو النشوة التي يطمح أن يصل إليها الإنسان^(٦).

لقد حاول أفلوطين من خلال فكره الإشراقي أن يلبّي طموح الإنسان من الناحية الدينية والأخلاقية والعقلية^(٧)، وهذا واضح من خلال تقسيماته للقضايا الفلسفية التي تناولها في تاسوعاته؛ إذ قسمها إلى ثلاثة أقسام: الأخلاق ثم الطبيعيات، ثم العالم الكلي، تمثل مرحلة الارتقاء الروحي، فالأخلاق وضعت

(١) انظر: معجم الفلاسفة: جورج طرابيشي، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٣ = ٢٠٠٦م، ص ٧٧.

(٢) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص ١٣٤.

(٣) انظر: المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدم له:

أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ = ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، ص ١١.

(٤) انظر: تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، ص ١٣٤.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا، (٢/٢٣٠).

(٦) انظر: الموسوعة الميسرة: د. مانع الجهني، ص ٧٩٤.

(٧) انظر: موسوعة المذاهب الميسرة: مانع الجهني وآخرون: ص ٧٩٣.

في البداية للتأكيد على التطهر الجذري للنفس في عملية الارتقاء، ثم الطبيعيات لتتوح التطهر الذي يطال المحسوسات، وبعد ذلك تأتي الميتافيزيقيا للتيح للنفس كل التجليات الإلهية الفائقة^(١)!.
ومن هنا ندرك ماهية الفكر الإشراقي ودوره في صياغة مفهوم التأمل الكوني؛ فهو فكر يؤمن بقضية الارتقاء الروحي، والتي تتجلى في كامل صورها عند أفلوطين حين تبحث النفس الإنسانية عن التجليات الإلهية الفائقة بعد أن انغمست في الطبيعة، وتحررت من عبودية المادة، باحثة عن إله موجود داخل الكون، وهو في الوقت ذاته مفارق لها، فاضت عنه الكون والوجود كله بما فيه من مخلوقات لا تنفصل عنه^(٢).

ولإدراك المعرفة الناتجة من معرفة الإله وهو الخير المطلق، والمبدأ الأسمى للوجود، فإن هذه المعرفة لا تتم إلا على صورة أنوار وأضواء، تفيض من العقل الفعال على النفوس البشرية، فطريقها هو الفيض الإلهي، والإشراقات النفسية التي يتبعها إلهامات بالمعارف وفيض لها من أعلى^(٣).

ولهذا فإن أهم ما يميز الفكر الإشراقي هو أن الإله لا يثبت عندهم بالقول الشارح المؤسس على الحجج المنطقية والأدلة العقلية؛ وإنما هو يتجلى في نفوس المتنسكين تجليات فردية خاصة تشعر كل واحد منهم على حدة، وفي داخل روحانيته الشخصية، هذا الوجود النوراني الباهر الذي يشع في داخل النفس، يغمرها في حالة غير عادية لا تتمشى مع قواعد العقل وأساليبه^(٤)، ومن هنا ندرك أن المعرفة الإشراقية ظلت ولا تزال من أهم الطرق الموصلة إلى المعرفة الباطنية، تلك المعرفة القائمة على الفيض والاتجاه الباطني، ويقوم على الكشف والذوق والحدس، ويدور حول فكرة ظهور الأنوار العقلية ولمعائها وفيضاتها بالإشراقات على النفوس عند تجردها، وهذا المعنى يفترض رؤيا داخلية، وتجربة صوفية، ومعرفة تستند إلى محاضرات الفيلسوف لظهور الأنوار المعقولة، وتدفعها على الأرواح لدى مفارقتها للأجساد^(٥).

(١) انظر: تاسوعات أفلوطين: نقله إلى العربية: د. فريد جبر، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٧م، مقدمة الكتاب.

(٢) انظر: تاسوعات أفلوطين: ص ٢٨٩، وقد ضرب مثالين لتوضيح هذا الفيض أو عملية الصدور عن الله من خلال الماء الذي ينبع من منبعه وهو في أصله لا أصل له، بينما هذا الماء يمد النهر، وكذلك الشجرة العظيمة بالنسبة إلى جذورها، فالجذر هو الذي يمد الشجرة بالحياة، بينما هو برئ من الكثرة، ولو كان هو أصل الكثرة.

(٣) انظر: الفلسفة اليونانية: أ. د. أحمد السيد رمضان، الناشر: دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ٢=١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، ص ٩٩.

(٤) انظر: المعرفة عند مفكري المسلمين: د. محمد غلاب، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ص ٨٩.

(٥) انظر: الفلسفة اليونانية: د. أحمد السيد رمضان: ص (٩٧-١٠١).

المطلب الحادي عشر: نظرية المثل عند "أفلاطون".

يعتبر مذهب أفلاطون أوضح صورة للمثالية قديماً، فقد تميز مذهبه بتصويره للحياة الإنسانية تصويراً روحياً، وإيمانه بقدرة العقل على الوصول إلى الحقيقة المطلقة^(١)، وهو من الذين ناقشوا الروح والنفس في الفكر القديم، ويظهر ذلك من خلال محاورته مع "فيدون"^(٢)، حيث وصل الى استنتاجات مثل أن الأشياء تتولد من أصدادها، فالأرواح الحية تتولد من الأرواح التي ماتت، والتي ماتت تتولد من التي كانت حية، وعلى هذا الأساس فإن كل معرفة سابقة حصلتها النفس في حياة سابقة عن حياتها في البدن، وإذا كانت النفس أزلية فهي صورة الحياة لأن النفس لا يوجد فيها الشر، والشر هو الذي يجعل الأشياء غير أزلية^(٣).

نجد أن (أفلاطون - Plato) تصور العالم على أنه عالمان: عالم المثل؛ ذلك العالم الذي لا يتغير ولا يتبدل، وهو عالم حقيقي أبدي، والعالم الآخر هو العالم الذي نعيش فيه هو عالم الواقع الزائف الذي يتعرض للزوال والتغيير، وهو عالم غير حقيقي مستنسخ من عالم المثل بصورة غير كاملة، وأن حركات الإنسان وتصرفاته وأفعاله هي انعكاس لما في العالم الحقيقي؛ فهي بمثابة الظل. وبناءً عليه فإن أفلاطون يرى بأن الروح التي هي من عالم المثل في صراع مع الجسد الذي ينتمي للعالم الزائف والمتغير، وأن الروح تسعى للتحرر من العالم المتغير لكي تعيش في عالم المثل^(٤).

مثالية أفلاطون أثرت بشكل كبير على قضية الوجود، وهي بجانب الأطروحات الروحية التي قدمها فلاسفة الشرق، كانت بمثابة التمهيد نحو دراسة الظواهر الروحية وصياغتها في طابع فلسفي، وكانت للفلسفة المثالية التي طرحها أفلاطون دوراً بارزاً في التأثير على المدرسة الوجودية الكونية وتأثيرها المباشر على دعوات الروحية الباطنية الحديثة، وقد ظهر ذلك جلياً وواضحاً على أساطين الفلسفة المثالية في العصر الحديث، والذين تبنا البحث في مسألة الوجود، وقالوا بأن الوجود المادي وجود ظاهري يحس به الإنسان ويدركه بعقله فقط، فالعقل هو أساس المعرفة، وهو الحقيقة النهائية، وعلّة العلل، والمادة إنما تصدر عن العقل المجرد كما يصدر المعلول عن علته، ولكن دون علم أو إرادة، كصدور الحرارة عن

(١) انظر: المعجم الفلسفي: من إصدار مجمع اللغة العربية، ص ١٨.

(٢) فيدون: فيلسوف يوناني، عاش في القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، ومن تلامذته سقراط. انظر: معجم الفلاسفة، لطرايشي ص ٥٦١.

(٣) انظر: ميثولوجيا الخلود: خزعل الماجدي، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص ٢٣.

(٤) انظر: الفلسفة اليونانية: د: أحمد رمضان، ومذاهب فكرية معاصرة: د. محمود مزروعة: ص ٤٦ و ٣١١.

النار، والضوء عن الشمس، ولا قدرة للنار على الحرارة ولا الشمس على الضوء، ولا إرادة، بل إن الأرواح هي الفاعل وهي التي تملك الإرادة، والمادة مظهر تتبدى فيه الروح^(١).

ومنهم الراهب الإيرلندي "جورج باركلي"^(٢) الذي يعد هو مؤسس المثالية الحديثة، وكان يعتقد أن الأشياء الطبيعية التي لا يدركها الإنسان موجودة في علم الله.

ومنهم "إيمانويل كانط"^(٣) الذي يقول: "إن المعرفة الإنسانية مقتصرة على الظواهر؛ فالإنسان لا يستطيع معرفة الأشياء في ذاتها.

و"جورج فلهلم هيغل"^(٤) الذي كان يعتقد أن الوجود المادي مظهر للروح، فالمادة مظهر تتبدى به الروح، وعليه فإن جوهر الحقيقة روحي، والروح لا تستطيع أن تدرك نفسها إلا في علاقتها بعنصر مادي موضوعي، وهذا هو علة وجود المادة.

و "آرتور شوبنهاور"^(٥) الذي تأثر كثيراً بالمثالية الأفلاطونية، كما تأثر بالبودية، رافضاً في الوقت ذاته بفكرة تناسخ الأرواح^(٦).

كما أن مثالية أفلاطون ظهرت جلية في تجربة الحركة الروحية الحديثة ورائدها المرشد الروحي "سيلفر برش"^(٧).

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد: د. محمود محمد مزروعة، الناشر: مكتبة كنوز المعرفة، جدة، السعودية، ط ٢=١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٣١١، والموسوعة الميسرة: ص(٨١٥ - ٨١٧).

(٢) جورج باركلي: ولد في إيرلندا سنة (١٦٨٥م)، ومن مؤلفاته: مبادئ المعرفة الإنسانية، وتوفي سنة (١٧٥٣م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم (ص: ١٧٧).

(٣) إيمانويل كانط: ولد سنة (١٧٢٤م)، ومن مؤلفاته: نقد العقل المحض ونقد العقل العملي وأسس ميتافيزيقا الأخلاق، وتوفي سنة (١٨٠٤م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم (ص: ٢٢٥)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٧١١).

(٤) جورج فلهلم هيغل: ولد سنة (١٧٧٠م)، ومن مؤلفاته: كتاب المنطق وفلسفة الدين ودروس في تاريخ الفلسفة، وتوفي سنة (١٨٣١م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم (ص: ٢٩٧)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ١٠٠٤).

(٥) آرتور شوبنهاور: ولد سنة (١٧٨٨م)، ومن مؤلفاته: الإرادة في الطبيعة، وتوفي سنة (١٨٦٠م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ليوسف كرم (ص: ٣١١)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٥٦٢).

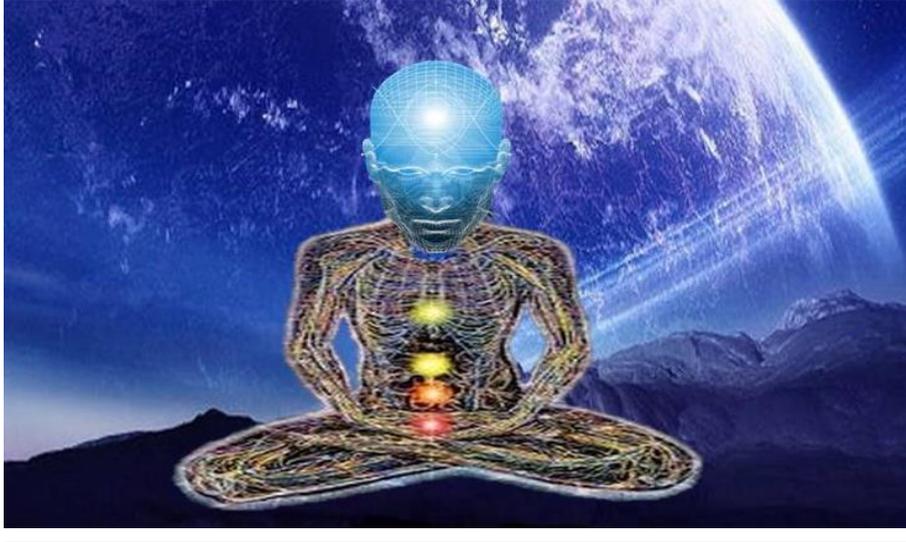
(٦) انظر: الموسوعة الميسرة: ص(٨١٥ - ٨١٧)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة، ص ٧١.

(٧) سيأتي مزيداً من التوضيح عن شخصية سيلفر برش، راجع ص (٢٠٣) من هذه الرسالة.

لقد مثل الاتجاه الروحي وأثره على الحرية النفسية جانباً مهماً، وارتكز بمقومات أهمها الاعتماد على مصدرية الفكر البشري كأهم رافد يؤصل للاتجاه الروحي، بجانب الاعتماد على المعرفة الباطنية من الحدس والتنبؤات والمنامات والرؤى والأحلام، بجانب الاعتماد أيضاً على فلسفة الطاقة الكونية وما تمخض من هذه الفلسفة من إيجاد رؤية حول الكون والوجود والإنسان والحياة، وحصره داخل نظرية الثنائية القطبية، جعلت منها فلسفة يؤمن بتأثيرها الفكري أتباع مدرسة الوجود الكوني.

الفصل الثاني

مدارس فلسفة الطاقة الكونية



وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

❖ المبحث الأول: مدرسة الوجود الكوني.

❖ المبحث الثاني: مدرسة الإنسان الكوني.

❖ المبحث الثالث: مدرسة الوعي الكوني.





تمهيد



بعد أن درسنا فلسفة الطاقة الكونية وتعرفنا على حقيقتها، ووقفنا على جذورها الفكرية، يجدر بنا الآن أن نقف على الاتجاهات الفكرية والنفسية التي انبثقت من فلسفة الطاقة الكونية، ومن خلال هذا الفصل نتعرف بحول الله وقوته على المزيد من تلك الاتجاهات التي أثرت على الفكر وعلى النفس، سواءً في الفكر الشرقي القديم، أو حتى في الفكر المعاصر، ولعبت هذه الاتجاهات دوراً بارزاً في الترويج لفلسفة شاملة للحياة تتضمن الاحتياجات النفسية والفكرية، ولكي تحل محل الدين.

ولقد أثرت تلك الاتجاهات على العقل البشري، وأصبحت تمثل جانباً مهماً من كل جوانب الحياة لدى الفرد؛ وهذه الجوانب المهمة انبرى لها فلاسفة ومفكرون نظروا في كل جانب من وجهة نظرهم وتفكيرهم، وكل على حسب توجهه، وكان لها تبعات كبيرة على حساب الإيمان والتدين الفطري.

وأياً كانت نتاج هذه الفلسفة باتجاهاتها الفكرية والنفسية من التصورات العقلية وتحقيق الغرائز النفسية فإنها لا تمثل لدى المتأثرين بها والمؤمنين بحقيقتها إلا الوصول إلى الإرهاصات الظنية المبنية على الافتراضات والجدليات العلمية؛ بينما هي في الحقيقة بعيدة كل البعد عن الحقائق العلمية^(١). ذلك لأن النفس الإنسانية مفطورة على البحث عن المعرفة والوصول إلى الحقائق بما فيها الحقيقة الكونية والإنسانية، وحين يفتقد العقل لنور العلم ويبعد عن المسلمات القطعية والحجج الصحيحة الصريحة في هذا الجانب من أدلة فطرية ونصوص وحيية وحجج كونية، فإن الإنسان يظل تائهاً بين المسلمات القطعية والافتراضات الظنية.

ولئن كان فلاسفة الطاقة الكونية والمتأثرين بها يرون أن الطاقة الكونية يمكن أن تكون فلسفة شاملة لكل الحياة؛ فإن المتأمل في حقيقة تلك الفلسفة ليجد أن فلاسفتها وعلمائها انطلقوا من ثلاثة اتجاهات يمثلون مدارس فكرية مختلفة تبنت فلسفة الطاقة الكونية كمنهج لها، ويعتقدون بكونها فلسفة شاملة للحياة.

(١) انظر: المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية بين الدين والفلسفة: د. فوز كردي: ص ٥.

وأول هذه المدارس هي:

مدرسة الوجود الكوني: وهي تهدف إلى تقديم رؤية كونية تتضمن تفسيراً للحياة، انطلاقاً من إيمانها بضرورة تفسير القضايا الميتافيزيقية من خلال البحث في الوجود، وفي مقدمتها المعرفة الإلهية، وتسعى لأن تعطي إجابةً عن المسائل المصيرية في التفكير البشري، والتي ناقشت الأسئلة الفلسفية حول المبدأ والغاية والمصير.

ثم **مدرسة الإنسان الكوني:** وهي مدرسة تهدف إلى تقديم رؤية كونية تتضمن تفسيراً للحياة، انطلاقاً من إيمانها بضرورة تفسير القضايا الكونية من خلال البحث في حقيقة الذات الإنسانية، ودور العقل الواعي لبلوغ الذات البشرية إلى مرحلة الاندماج مع الكون ليمثل حقيقة واحدة هي حقيقة الإنسان الكامل.

وأخيراً: **مدرسة الوعي الكوني:** وهي مدرسة تهدف إلى تقديم رؤية كونية تتضمن تفسيراً للحياة، انطلاقاً من إيمانها بضرورة تفسير قضايا الحياة من خلال الانطلاق من الوعي الكوني، وتأطير سبل العيش ضمن إطار فلسفي يسمح للإنسان بخلق السعادة لنفسه ومشاركته مع الكون، ليمثل حقيقة واحدة؛ هي حقيقة تعايش الإنسان بوعيه الكوني مع الطبيعة.

ومن خلال مباحث هذا الفصل سنخرج على هذه المدارس بشيء من التفصيل، نعرضها وننقدتها على ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الأول

مدرسة الوجود الكوني

وفيه ثلاثة مطالب:

* **المطلب الأول:** التعريف بمدرسة الوجود الكوني، وأبرز فلاسفتها،

واتجاهاتها الفكرية.

* **المطلب الثاني:** الاتجاه الروحي، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية وأثره

على الحرية النفسية.

* **المطلب الثالث:** التأمل الكوني، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية، وأثره

على الحرية الفكرية.



المبحث الأول

مدرسة الوجود الكوني



وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التعريف بمدرسة الوجود الكوني، وأبرز فلاسفتها، واتجاهاتها الفكرية.

❖ التعريف بمدرسة الوجود الكوني:

أولاً: معنى الوجود لغة واصطلاحاً:

الوجود في اللغة: مصدر وُجِدَ ووجد، فهو موجود: أي وجد من العدم، ولا يقال "وجده الله تعالى"، وإنما "أوجده الله تعالى"^(١)، والمعنى أنه أوجده الله من غير مثال سابق، فالوجود هو كل ما هو موجود أو يمكن أن يوجد، كون الشيء واقعاً، وهو ضد العدم^(٢)، تقول: خرج إلى الوجود، أي: أصبح ذاتاً كائنة في الكون، وتقول: غاب عن الوجود، أي: صار في العدم^(٣).

الوجود في الاصطلاح:

الوجود أمر بدهي يدرك بدهاة، ولا تزيده التعريفات الموضوعية له إلا غموضاً، لأن معناه أعرف عند الناس من جميع تعريفاته^(٤)، إلا أن الفلاسفة لهم رأي آخر في تعريفهم للوجود، وإذا ما أطلقت كلمة "الوجود" في السياق الفلسفي فالمراد به هو الوجود الأزلي، وهو واجب الوجود، وهو الله - ﷻ - ، كما تطلق على المخلوقات التي أوجدها الله - ﷻ - ، وعلى ذلك يكون المراد بالوجود هو: واجب الوجود: وجود الله، وممكن الوجود: وجود المخلوقات.

(١) انظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط ٨ = ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص ٣٢٤.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٣م/ص ٢٤٠٣).

(٣) انظر: معجم الغني الإلكتروني: د. عبد الغني أبو العزم، فهرسة وتنسيق: فواز زكارنة، ١٤٣٤ هـ - مارس ٢٠١٣ م.

(٤) انظر: عقيدة الصوفية: د. أحمد بن عبد العزيز القصير، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، (١م/ص ٢٨).

ومقصود الفلاسفة في بحثهم عن الوجود هو النظر في تحول الأشياء من القوة إلى الفعل^(١)، فالصور المرتسمة على الذهن تتحول بقوة العقل إلى الفعل خارج الذهن، ويصبح موجوداً في الخارج، وهو أنواع: منها الوجود الحسي، وجود بإحدى الحواس الخمس، نحو "وجد طعمه، وريحه، وصوته..."، ووجود بقوة الشهوة، نحو "وجدت الشبع"، ووجود بقوة الغضب، كوجود الحزن والسخط، ووجود بالعقل، كمعرفة الله - ﷻ - ومعرفة النبوة^(٢)، وهذه كلها كما سبق ذكره لا يحتاج إلى بيان وشرح وتفصيل لمعرفة المراد منها، فهي أمور بديهية تدرك بالعقل والفطرة. وعطفاً على ما سبق فإن البحث في الوجود يراد به البحث في طبيعة الوجود، فهو علم ما ورائي، يبحث في الإلهيات وطرق الوصول إلى المعرفة الإلهية من خلال دراسة ظواهر الوجود المتحقق في الموجودات، وبالتالي فهي تحمل جملة من الاتجاهات والأفكار المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم^(٣)، وبجانب ذلك فإنها تتصف بكونها تضيئي للذات الإنسانية حرية فكرية ونفسية^(٤).

ثانياً: معنى الكون لغة واصطلاحاً:

الكون في اللغة: اسم مفرد من كان يكون كوناً، وجمعه (أكوان) والمصدر (كان)، والكاف والواو والنون أصل صحيح يدل على:

١- الإخبار عن حدوث شيء في زمان ماضٍ أو زمان رهن: تقول: كان الشيء يكون كوناً، إذا وقع وحضر، فإذا جعلته عبارةً عمّا مضى من الزمان احتاج إلى خبر، لأنه دلٌّ على الزمان فقط تقول: كان زيدا عالماً. وإذا جعلته عبارةً عن حدوث الشيء ووقوعه استغنى عن الخبر، لأنه دلٌّ على معني وزمان. تقول كان الأمر، وأنا أعرفه مذ كان، أي مذ حُلِقَ^(٥).

-
- (١) انظر: معجم الرائد: جبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧=١٩٩٢م، ص ٦٠٥.
- (٢) انظر: تاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، (٥م/ص٢٩٧).
- (٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: بإشراف د. مانع الجهني: ص ٨١٨.
- (٤) انظر: كيركجور رائد الوجودية: إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٢م، ص ١٠٥.
- (٥) انظر: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (٦م/ص٢١٨٩).

٢- الأمر الحادث الذي وجد واستقر : تقول: كَوَّنَه فتكون: أي أحدثه فحدث، وفي الحديث: (من رأي في المنام فقد رأي فإن الشيطان لا يتكونني)، وكَوَّنَ الشيء: أحدثه، والله مُكَوِّنُ الأشياء يخرجها من العدم إلى الوجود، قال ابن الأثير^(١): الكون مصدر كان التامة؛ يقال: كان يكون كونا أي وجد واستقر^(٢).

معنى الكون بحسب المفهوم الفلسفي للطاقة الكونية:

يأتي الكون في المفهوم الفلسفي بمعنى العالم، ويراد به العلم الذي يبحث في القوانين العامة للكون من حيث أصله وتكوينه ونشأته وقوانينه الطبيعية التي يسير بمقتضاها، ويبحث في مظهر الكون وتركيبه العام، بكل ما فيه من مادة وطاقة مجتمعين في مكان واحد يعيش به الإنسان ويتفاعل معه؛ إذ أنها تتميز بقدره عالية على النفاذ^(٣)، ومن هنا ظهر الاتجاه نحو الكون من أجل البحث عن الإله، وعن المعرفة الإلهية، وعن التجليات الإلهية في الطبيعة، وأن هذا الكون الفسيح بمادته وطاقته ينعكس على الكون الأصغر داخل النفس، فالذات الإنسانية هي جزء من الكون، وبالتالي فإن الإله الذي هو كامن في الطبيعة؛ كذلك هو كامن داخل الذات الإنسانية.

إذاً فالمدرسة الوجودية الكونية هي مدرسة تبحث حول المواضيع الميتافيزيقية، وتهدف إلى الوصول نحو رؤية كونية تتضمن تفسيراً للقضايا الميتافيزيقية، وفي مقدمتها المعرفة الإلهية، وتسعى لأن تعطي

(١) ابن الأثير: المبارك بن محمد بن محمد الشيباني، أبو السعادت، الملقب بمجد الدين، المعروف بابن الأثير، ولد في سنة (٥٤٤هـ)، كان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن، والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقه، وكان شافعيًا، ومن مؤلفاته: النهاية في غريب الحديث والأثر، وجامع الأصول في أحاديث الرسول، وتوفي في سنة (٦٠٦هـ). انظر: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٦٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (٣/ ٢٥٧)، سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨).

(٢) انظر: لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: (م١٣/ص٣٦٣-٣٦٦)، والمصباح المنير: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، تحقيق: د. عبد العظيم الشنناوي: (م٢/ص٥٤٥)، والقاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ص(١٢٢٨)، وتاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، (م٣٦/ص٦٩)، ومعجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (م٥/ص١٢٠)، والكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ص (٧٧١).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (٣/ ١٩٧٥).

إجابةً عن المسائل المصيرية في التفكير البشري، والتي ناقشت الأسئلة الفلسفية حول المبدأ والغاية والمصير، وطرق بلوغ الإنسان إلى تلك المعرفة.

✿ أبرز فلاسفة مدرسة الوجود الكوني:

حين نتحدث عن فلاسفة الوجود الكوني، ونتأجهم الفكري، فإننا نجد أن محاولة الإنسان لفهم الوجود كانت نابعة من اتجاهين:

أولها: محاولة فهم الوجود من خلال المعرفة الغيبية، وهي المعرفة التي جاء بها الأنبياء والرسل، ومن خلال الكتب التي أنزلها الله عليهم، وما احتوت تلك الكتب من حقائق ومعارف تفسر قضية الوجود، وتبين كيف ومتى نشأ الكون.

وأما الاتجاه الآخر؛ فهو الاتجاه النابع من العقل البشري، ومن خلال المعرفة المتناقلة عبر الأجيال، وصورتها قصص الأساطير والخرافة، وهذا الاتجاه هو في حد ذاته اتجاه خطير؛ زلت فيه الأقدام نتيجة الاعتماد الكلي على العقل البشري، وانعدام التصور الحقيقي للوجود، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار أن تلك الأساطير المتناقلة عبر الأجيال لا تخفي قصة نشوء الكون.

وحين نقلب صفحات التاريخ البشري العتيق، فإننا نجد أنفسنا أمام كم هائل من التصورات البشرية، والآراء الفكرية، بمختلف توجهاتها، واختلاف مللها ونحلها، وما يهمننا في هذا الموضوع البحث عن أولئك الفلاسفة الذين توجهوا إلى الوجود، وبحثوا في النظام الكوني، وأرادوا أن يتعرفوا على سر الوجود، فمنهم من زعم أن الكون أوجد نفسه بنفسه؛ والوجود في حقيقته إنما هو نتيجة التفاعل بين الثنائيات الكونية، وسواءً كانت تلك التفاعل بين الثنائيات الكونية قطبية أو ثنوية فإن النتيجة واحدة، وهو أن الكون مستقل بذاته، موجود من العدم، يحكمه نظام التفاعل بين الثنائيات المتصارعة، أو المتجاذبة، وهؤلاء هم أصحاب مبدأ الكثرة.

وفريق آخر أُعجب بالفكرة السابقة نوعاً ما؛ لكونه يتفق مع سابقه على حيوية المادة وقدمها، وأنها متحركة بذاتها، فهي فاعلة ومؤثرة في الكون، وبالتالي فهي مكتفية بنفسها مستغنية عن خالق يوجدها، ولكنه انطلق من مبدأ الوحدة، فذهب إلى البحث في أنظمة الطبيعة فوجد أن الوجود يعود إلى أصل واحد وهو الماء، وآخر قال الهواء، وثالث أعادها إلى مادة لا متناهية، فلا ماء ولا هواء، ورابع زعم أن مبدأ الموجودات هي النار؛ فهي المبدأ وإليها المنتهى، وخامس اعتقد أن أصل الموجودات ترجع إلى الجواهر الفردة، أو الذرات التي لا نهاية لعددها وحدها، وسادس تصور أن

العقل هي التي خلقت المادة ونظمت الوجود، وسابع أرجع أصل الوجود إلى الأعداد المتناغمة، وافترض أنها هي التي تحكم الوجود.

فكرة الحكماء السبعة وتصوراتهم السبعة هي فكرة مادية إلهادية، ترجع أصل الوجود إلى أصل واحد، ولكنها في الوقت ذاته تنفي أن يكون للخالق المدبر أي دور في الوجود.

والذين جاءوا من بعدهم لم تعجبهم النظرة المادية للوجود، وفكرة نفي الإله جملة وتفصيلاً، فأثبتوا مدبراً للوجود، وزعموا أن وجود هذا الكون هو وجوده وهو ذاته، فالعالم تشيع فيه قوة حية، قوة تنساب داخل الكون، وهذه القوة الحية هي الله -تعالى الله عن قولهم-، وزعموا أنه منبث داخل الكون، وفي كل ذرة من ذراته، وهو القوة المصرفة له، وهؤلاء هم أتباع مدرسة وحدة الوجود.

ثم ظهر المؤهلة من الفلاسفة أتباع المدرسة اللاهوتية، الذين يقولون بأن الوجود لا بد وأن يكون له موجود أعلى، يسمونه "الإله"، وهم كثير من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين، إلا أنهم اختلفوا في تصوراتهم وعباراتهم عن الإله بالنسبة لصفاته وأفعاله.

فمنهم من أثبت صانعاً مدبراً فوق الآلهة الأخرى، وزعم أن الآلهة الأخرى هي أدوات يستعين بها الإله الأعلى في صنع الوجود، وهذا قول سقراط^(١).

ومنهم من افترض أن الوجود عبارة عن عالمين: عالم المثل، وعالم الحس، وأن العالم الحسي "الموجودات" ما هي إلا صورة انعكست عن عالم المثل، فالمثل هي أصل الأشياء والموجودات الحقيقية؛ وإذا كانت "المثل" هي أصل الموجودات فإن هذا لا يعني أن "المثل" هي المدبرة للكون، لأن المثل غير صالحة لإنتاج الأشياء، وهذا هو قول أفلاطون، وحين نسأله من أنتج الوجود؟ يقرر أفلاطون في هذا السياق بأن وراء المثل خالقاً مدبراً للعالم يقوم بذلك الدور، يشبه ما يقوم به الفنان حين ينحت من المادة تمثالاً على صورة معينة، فهو الذي يخلع على المادة صورة المثل، ويكسبها صفاتها، فتوجد الأشياء.

ومنهم من زعم أن الوجود عبارة عن مادة وصورة، فالمادة ثابتة ذات قوة، ولكي نغير المادة من القوة إلى الفعل فلا بد لنا من الصورة، فالوجود عبارة عن صورة تحرك المادة من القوة إلى الفعل،

(١) سقراط: فيلسوف يوناني، ولد سنة (٤٦٩ ق.م)، ويعد من أبرز الفلاسفة وجاءت فلسفته في سياق الرد على السوفسطائيين، واهتم بالجانب الأخلاقي على حساب الجانب الطبيعي والرياضي، وتوفي سنة (٣٩٩ ق.م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم (ص: ٦٤)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ٥٠٦).

وهذا هو قول أرسطو، وأصل الحركة عنده هي عشق المادة للصورة كي تحصل على الوجود الحقيقي، والإله عنده محرك ولا يتحرك، والأشياء تتحرك به على طريقة تحريك المعشوق لعاشقه.

ومنهم من ادعى بأن الوجود فاض عن الإله "المبدأ الأسمى" للوجود، وهو الخير المطلق، فالعالم إنما يجيء صدوراً عن الله في صورة فيض، فمرتبة تفيض عن مرتبة، وهكذا حتى تصل إلى أدنى المراتب، فعملية الفيض تبدأ أولاً بالعقل أو الروح، ثم النفس، ثم الواقع الحسي في الزمان والمكان^(١)، وهذا هو قول أفلوطين، وهو يقرر أن الألوهية لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل؛ لأنه قاصر عن ذلك، وإنما يمكن الوصول إليها عن طريق نوع آخر من المعرفة، لا يتوصل إليها إلا بعد القضاء على نوازع الجسم المادي، والتطهير، ثم الفناء في الواحد.

ولقد أثرت تلك الأفكار بشكل كبير على بعض علماء المسلمين ممن تأثروا بالفكر اليوناني عموماً، وفكر أرسطو وأفلاطون خصوصاً، ومنهم الكندي^(٢) الذي زعم أن للكواكب حياة وتصرفاً، وإن الفلك أو الجرم الأقصى مخلوق من العدم، وهو جسم حي فاعل، يسمع ويبصر، وهو الذي يهب الحياة في الكائنات اضطراراً.

ومنهم الفارابي الذي يرى أن "العقل الفعال"، الذي هو آخر العقول، هو الذي يتولى تدبير الأمور المتعلقة بتكون المخلوقات التي تحت فلك القمر؛ إذ يعتقد أن القمر هي آخر الأجرام السماوية ومنتهى الكواكب^(٤).

(١) الواقع الحسي في الزمان والمكان: مفهوم يراد منه أن كل شيء يحدث في الكون إنما يحدث في الزمان والمكان المناسبين، وهما مترابطين بشكل لا يمكن الفصل بينهما، وهذا المفهوم هو ما يعبر عن بالمشيئة الإلهية التي تدور حولها مسألة القضاء والقدر، وأن مصطلح يجب أن توضع في دائرة ما يمكن للعقل فهمه وإدراكه وتحليله، باعتبار أن المشيئة الإلهية تفهم من خلال تأثير الزمان والمكان، وتكوين الخلق، وتركيب الجسم والعقل، ومدى قابلية الفهم والتفهم. انظر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور؛ وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: فتحي حسن ملكاوي، ص (٢١٠).

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، (٢م/ص ٧٩٤).

(٣) الكندي: يعقوب بن إسحاق بن الصباح أبو يوسف الكندي، فيلسوف العرب والإسلام في عصره، تعلم واشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة والفلك. وألف وترجم وشرح كتباً كثيرة، يزيد عددها على ثلاثمائة، ومن مؤلفاته: رسالة في التنجيم القول في النفس، وتوفي نحو سنة (٢٦٠ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (١٢ / ٣٣٧)، الأعلام للزركلي (٨ / ١٩٥).

(٤) سيأتي مزيد من الإيضاح عن نظرية الفارابي في المبحث الثالث من هذا الفصل: مدرسة الوعي الكوني، راجع ص: (٣٠٧).

ومنهم ابن سينا الذي اتفق مع الفارابي على اختلاف بسيط في التصور، فزعم أن "العقل الفعال" هو آخر الفيوض، وهو الذي يدبر أنفسنا، ومنه تفيض العناصر الأربعة، ومنها تتكون الأجسام وتتطور تلك الأجسام صعوداً من الجماد إلى النبات فالحيوان البهيم، فالإنسان^(١).

وزعم ابن سينا أن علم الله بخلقه هو علمه بما صدر عنه وما عليه الوجود، وعنايته بالخلق هي ما جعل فيه من نظام الخير على الوجه الأبلى، وليس معنى العناية عنده إكرام شخص دون شخص ولا تبديل في القوانين الطبيعية حباً بالبعض أو نصرة لبعض على بعض.

ولم يكن غلاة المتصوفة في منأى عن الانحراف الفكري في مسألة الوجود، فقد تقلدوا أقوال إخوانهم من الفلاسفة المتقدمين، إلا أنهم تميزوا بتلميعها بمسميات إسلامية، تمويهاً وتلبيساً على الناس، وإلا فإنهم في الحقيقة يضاھئون قول الذين كفروا من قبل، وإن تصور غلاة المتصوفة عن نشأة الكون لا تخرج عن التصور الفلسفي اليوناني^(٢).

وإذا نظرنا إلى رأي محي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي^(٣) في نشأة الكون نجد يقول بالحقيقة المحمدية، وأنها منسئ الكون، وأن الله تعالى هو هذا الوجود كله وأنه ظهر في شكل هذه المخلوقات العلوية والسفلية، ويزعم أن الوجود تقاسمته أسماء الله، وأعظم هذه الأسماء هو "الحقيقة المحمدية" التي هي عنده عبارة عن مجموعة من الأسماء الإلهية وهي حسب كلامه: "الرحمن الرحيم العظيم الخبير العلي الكريم الحميد"، فأنشأ أولاً من هذه المجموعة من الأسماء ما سماه "سيدنا محمد" حيث يقول: "وأول النشاء: نشأ سيدنا محمد على أكمل وجه وأبدع نظام، بحر اللؤلؤ والمرجان، المودع في العالم الأكبر والإنسان، ولما تعلق إرادة الحق سبحانه بإيجاد خلقه وتقدير رزقه برزت الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الإلهية وذلك عندما تجلى لنفسه بنفسه من سماء الأوصاف".

(١) سيأتي مزيد من الإيضاح عن نظرية ابن سينا في المبحث الثالث من هذا الفصل: مدرسة الوعي الكوني، انظر ص: (٣٠٧).

(٢) انظر: قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية، عرض ونقد في ضوء مذهب السلف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مجلة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢١)، ص ٢٧.

(٣) ابن عربي: محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين فيلسوف من أئمة المتكلمين، ولد بمرسية بالأندلس سنة (٥٦٠ هـ)، واستوطن دمشق، من تصانيفه الفتوحات المكية، فصوص الحكم، اصطلاحات الصوفية، وهو قدوة القائلين بوحدة الوجود، توفي سنة (٦٣٨ هـ) ودفن بقاسيون. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣ / ٤٨ - ٤٩)، معجم أعلام شعراء المدح النبوي (ص: ٣٧٧)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (ص: ١٥٦).

ثم قال: "فكمن فيه كمون تنزيه، ودخل جوده في حضرة علمه، فوجد "الحقيقة المحمدية" على صورة حكمه، فسلخها من ليل غيبه فكانت نهاراً، وفجرها عيوناً وأنهاراً، ثم سلخ العالم منها فكانت سماءً عليهم مدراراً، وذلك أنه سبحانه اقتطع من نور غيبه قطعة لم تكن متصلة فتكون عنه عند التقاطع منفصلة".

ثم قال: "ولما اقتطع القطعة المذكورة، مضاهية للصورة، أنشأ منها محمداً على النشأة التي تنجلي أعلامها، ولا يظهر من صفاته إلا أحكامها، ثم انقطع العالم كله تفصيلاً على تلك الصورة، وأقامه متفرقاً على غير تلك النشأة المذكورة".

هذا قوله في إنشاء الصور، ثم ذكر بعد ذلك إنشاء العالم المحسوس من الحقيقة المحمدية أولاً: الماء ثم الأرواح ثم العرش ثم الكرسي ثم أرواح الكواكب ثم العناصر الأولى للكون وهي التراب والهواء والنار، ثم أنشأ السماوات والأرض من العناصر الأربعة^(١).

ولم يختلف عنه كثيراً "عبدالغني النابلسي"؛ واتفق معه في الضلالة، حيث جعل لوجود الله سبع مراتب، ناقلاً ذلك عن "عبدالكريم الجيلي": وهذه المراتب هي:

الأولى: مرتبة اللاتعيين وذلك أنه وجود منزه عن النعوت والصفات وتسمى الأحادية.

الثانية: مرتبة التعيين الأول ويعني ذلك علمه سبحانه بنفسه على سبيل الإجمال وتسمى مرتبة الوحدة وتسمى أيضاً الحقيقة المحمدية.

الثالثة: مرتبة التعيين الثاني ويعني بذلك علمه بذاته وصفاته تفصيلاً، وتسمى مرتبة الواحدية،

وتسمى

الحقيقة الإنسانية، فهذه المراتب كلها قديمة أزلية.

الرابعة: مرتبة الأرواح.

الخامسة: مرتبة عالم المثال ويعني صور الأشياء التي ستوجد وهي في الخيال.

السادسة: مرتبة عالم الأجسام المؤلفة من العناصر الأربعة: النار والهواء والماء والتراب.

(١) انظر: قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية، عرض ونقد في ضوء مذهب السلف: د. سعود بن عبد

العزير الخلف، ص ٢٧، وانظر أيضاً: عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب: محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي،

(بدون بيانات نشر)، ص ١١٩.

السابعة: الجامعة لجميع المراتب وهي: الجسمانية وهي: مرتبة التجلي والانكشاف الإلهي الأخير وهو الإنسان المطلق أو الإنسان الكامل^(١).

وإن المتأمل في هذه الأقوال ليجد أنها من صميم قول فلاسفة اليونان أصحاب المدرسة اللاهوتية، مع قول فلاسفة مبدأ وحدة الوجود، والمدرسة الإشرافية أتباع الأفلاطونية الحديثة، ومن خلال عرض الأقوال السابقة يمكن أن نقسم الاتجاهات الفكرية لمدرسة الوجود الكوني إلى اتجاهين:

☞ **الاتجاه الأول:** يعتمد على السير والسلوك لتحصيل المعرفة الإلهية، فهو اتجاه يبحث عن مسألة الوجود من خلال العالم الروحي، ويقرر أن حقيقة الوجود حقيقة روحية، وأن العالم المادي ليس إلا انعكاساً للعالم الروحي، فالروح هي العلة الفاعلة، والتي تملك الإرادة، وبالتالي فهو اتجاه قائم على المكاشفة الروحية، ويصل بالمرء إلى الحرية النفسية.

☞ **الاتجاه الثاني:** يعتمد على المنهج العقلي التأملي الذي يستخدم الفكر والنظر في تحصيل المعرفة الإلهية، وهو اتجاه تأملي قائم على التأمل في الوجود، ويصل بالمرء إلى الحرية الفكرية.

وكلا الاتجاهين يعتمدان على المفهوم الفلسفي حول الطاقة الكونية والعلة الفاعلة والمديرة للكون كوسيلة للوصول إلى المعرفة الإلهية، ولعل القاسم المشترك بين الوجودية وبين الغنوص المعتمد على الحرية النفسية وبين التأمل الكوني المعتمد على الحرية الفكرية هو الذات الإنسانية، وإذا ما أردنا أن نعرف حقيقة وصول الذات الإنسانية إلى المعرفة الإلهية فعلينا أن ندرك الحقائق الكامنة في المقولة التي يرددها غلاة المتصوفة: "من ذاق عرف، ومن عرف وصل، ومن وصل اتصل"^(٢)، فهي عملية تبدأ خطواتها الأولى بالتوجه إلى الذات ومعرفة حقيقة كيانها وحقيقة وجودها ومدى قيمتها، وحين

(١) انظر: القول المتين في بيان توحيد العارفين: عبد الغني النابلسي، (بدون بيانات نشر)، ص (١١-١٧)، نقلاً عن: قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية، عرض ونقد في ضوء مذهب السلف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، ص ٢٨.

(٢) مقولة يرددها غلاة المتصوفة، وقد ذكر صدر المقولة "من ذاق عرف" الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، والكالاباذي في كتابه التعرف على مذهب أهل التصوف، انظر: إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م، (م/٤/ص٣١٠)، وانظر أيضاً: كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف: الإمام العارف أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، صححه واهتم به: آرثر جون أوبري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ٢=١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص ١٠٢، وبنحو المعنى المراد ذكره النقشبندي في شرحه رسالة ابن عربي "من عرف نفسه فقد عرف ربه، انظر: مرآة العرفان ولبه شرح رسالة من عرف نفسه فقد عرف ربه: أحمد بن سليمان الأروادي النقشبندي الأكبري، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: الناشر: BOOKS-PUBLISHER، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م، ص ٧٥.

يدرك الناسك والمتأمل حقيقة الذوق فإنه سيصل إلى نوع من المعرفة النفسية، وهي بدورها تقوده إلى الحرية النفسية، ثم تبدأ عملية التفكير والوصول إلى العمق التأملي بواسطة الفكر والتخيل المؤدي إلى الحرية الفكرية، والوصول إلى هذه المرحلة تؤدي بالناسك والمتأمل إلى حقيقة الاتصال بالجواهر الكلي.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن قالب الذي يحوي تفسيراً عملياً لتلك العملية تتجلى في أبلغ صورها من خلال الاعتماد على النظرية الثنوية المتأصلة في الفكر الغنوصي، ومن خلال الاعتماد على النظرية القطبية المتأصلة في الفكر الشرقي والقائم على التأملات الكونية^(١).

والفكر الغنوصي يسعى بأن يصل بالفرد إلى حالة من حالات التحرر النفسي، انطلاقاً من إيمانه بالخلاص؛ فإن هذا الخلاص يتمحور حول ضرورة المعرفة النفسية، والتي تأتي عن طريق فعالية روحانية داخلية تقود المرء إلى تلك المعرفة، وهي بدورها تقود إلى المعرفة الطبيعية الإنسانية، ومصير الإنسان، وفي أعماق درجاتها تقود إلى المعرفة الإلهية عن طريق الذوق والكشف والإلهام، عند ذلك يمكن تحرير الروح الحبيسة في الجسد المادي والعالم المادي الأوسع لتعود إلى العالم النوراني الذي صدرت عنه^(٢).

هذا الخلاص الذي لا يمكن تحقيقه إلا أولئك الأشخاص "الروحانيين" الذين دخل في كيانهم شرارة أو بذرة الجوهر الروحي الإلهي المقدس، وبالتالي فإن الفاعلية الروحية الداخلية التي تقود الفرد إلى المعرفة الإلهية، أو بشكل أدق إلى الاتحاد بحقيقة الذات الإلهية، هي موجودة في الإنسان نفسه؛ وإذا بحث عنها الإنسان سيجدها في أعماق ذاته وكيانه^(٣).

وسيتضح لنا جوانب خفية أكثر عن حقيقة العالم الروحي وحقيقة اتحاد النفس بالذات الإلهية حين بعدت النفس البشرية عن المنهج الإلهي الصحيح، ووقعت في حبال الوهم والخيال، وخطت النفس البشرية أولى الخطوات نحو اتجاه الإصلاح الروحي؛! ولكن للأسف بدلاً من أن يكون ذلك التوجه الروحي دافعاً للنفس نحو الإيمان بالله -عز وجل- والتوجه نحو نزعة التوحيد، أصبحت تلك النفس واقعة في شرك الإلحاد المكتسبي بثياب الروحية؛ ينطلقون من الإيمان بالمبادئ والأصول الفلسفية التي تؤصل لفكرة سريان الإله داخل الكون أو الذات، وأعظم تجلياته تكمن في الطاقة

(١) سبق الحديث عنها في الفصل الأول.

(٢) انظر: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص ٦٦.

(٣) انظر: المقالة (٢٢) عن الغنوصية للكاتب: أثناسيوس فهمي جورج: متاح في المكتبة القبطية الأرثوذكسية التابعة لموقع:

©الأنا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية مصر: ([https://st-](https://st-takla.org/)

[takla.org](https://st-takla.org/)، وانظر أيضاً: الوجه الآخر للمسيح: فراس السواح، ص ٦٦ نقلاً عن المعلم الغنوصي "مونوميريس".

الكونية، بل إن في كثير من الأحيان يجلب هؤلاء الفلاسفة الروحيين محل الإله، فيحاطون بهالة من التقديس والإجلال، وهكذا أصبح الاتجاه الغنوصي العرفاني المعتمد على المنهج الروحاني اتجاهاً مهماً في بلورة أسس الطاقة الكونية وفلسفتها في إطار المعرفة الباطنية. ولها فلاسفتها ومفكروها الذين يفسرون تلك المعرفة الباطنية بنظريات علمية، يحسبها الإنسان من الوهلة الأولى أنها على شيء، ولكن هي في حقيقتها زائفة، ولا تتصل بالعلم الحديث بأي صلة.

بينما نجد في الجانب الآخر أن التأمل الكوني بشتى مناهجه ومذاهبه المختلفة والتي هي من نتاج التصورات الدينية في الفكر الشرقي القائم أساساً على الإيمان بالنظرية القطبية؛ إذ لا انتظام للكون إلا من خلال تفاعل القطبين بحيث يكمل أحدهما دور الآخر.

ومن هنا يأتي دور الفرد حين يريد أن يفهم أسرار الكون؛ فينطلق في رحلة تأملية للكون؛ يراقب من خلالها حركة الأقطاب في الكون وانعكاسها على المراقبة الداخلية للنفس، فيشعر بحالة الاندماج الكوني، اندماج من شأنه الشعور بلذة الاتحاد مع الجوهر الكلي، ويسعى في تلك اللحظة بأن يصل إلى الحرية الفكرية، تلك الحرية التي تضمن له تلقيه العلوم الإلهية مباشرة من الإله!، ومن دون حجاب!؛ ذلك من خلال الإيمان بألوهية الطبيعة، وهي بدورها قادرة على مد الإنسان بالطاقة اللازمة بشرط متى ما توجه إليها بفكره وتأملاته.

إن الفرد حين يمارس التأمل الكوني فهو ينطلق في رحلة تأمل عبر الطبيعة، ويرى أن كل جميل ورائع في العالم المادي ليس إلا تجلياً لإلهه الذي حصره في طاقة متغلغلة في كل ذرة من ذرات الكون!، وهكذا أصبح التأمل الكوني بما اشتمل من تصور فلسفي نحو الطبيعة والكون محاولة قاصرة لسدّ ثغرة التدين الفطري التي يحتاج إليها البشر، وكان ذلك نتيجة التصورات الأولية والبدائية نحو مقام الألوهية، وتراكمها وما آلت إليه من الإهمال الشديد والفهم القاصر نحو قضية المعبود، والتي أضحت مشكلة كبرى يعاني منها الفكر القديم والحديث نتيجة البعد عن المنهج الواضح والصراف المستقيم ونور الوحي الإلهي، وما أفرزه ذلك الفهم القاصر من تعدد النزعات النفسية والفكرية نحو الجوهر الكلي؛ فمنهم من اختزله في التعدد، وآخرون حصروه في التثليث، وجمع ضمّنه في وحدة الوجود، فأحدثت تلك النزعات العديد من التطبيقات والممارسات التي انحصرت في بوتقة التدين، وأصبحت تلك التطبيقات والممارسات شعائر تعبدية يؤديها الفرد في سلوك رهيب وتأمل عجيب.

المطلب الثاني: الاتجاه الروحي، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية، وأثره على الحرية النفسية.

الاتجاه الروحي هو القلب الذي يمثل فلسفة الغنوص، والغنوصية وإن كانت حركة قديمة جداً ظهرت نتيجة نفر استحوذ القلق عليهم، في بيئة كانوا فيها قلة، ثم ساورهم الشك في حياتهم الفكرية، بالإضافة إلى النظم العقلية التي كانت سائدة في زمانهم، فغلب عليهم التدين ورفضوا سلطة العقل، ثم زعموا أن إدراكهم للأمور مستمد من معرفة يتلقونها من العالم الإلهي، بطريقة باطنية خصوا بها دون سائر الناس^(١).

إلا أنها لم تلبث أن اختلطت بمزيج من التوجهات الروحية التي ظهرت لاحقاً من مختلف الديانات والفلسفات، فهي في اليهودية تمثل الـ "كابالاه"، واختلطت بها المسيحية حتى أصبحت الغنوصية الوجه الآخر للمسيحية، وفي مراحل متأخرة من التصوف الإسلامي تمثل "العرفان"، وهي ظاهرة عقائدية اجتماعية في أديان الشرق القديم والفكر البدائي الذي يؤمن بجوهرية الروح وأصالته وقداسته^(٢).

وأصبحت الروحية هي المظلة التي يستظل بها أولئك المتأثرون بالتعاليم الروحية، المعتقدين بأهمية الممارسات الروحية وانعكاسها على الإنسانية كبديل للدين، ومن ثم الوصول إلى المعرفة الباطنية من خلال الاعتماد على القوى الغيبية، وإدعاء استحضار أرواح الموتى بقوالب علمية، حتى أضحت الروحية اليوم مذهباً فلسفياً يحمل في طياته لفيماً من أصحاب الديانات والمذاهب المختلفة^(٣).

والفلسفة الروحية الحديثة تدعو الناس إلى الإيمان بالله والحياة الآخرة من خلال الدخول في تجربة الرياضة الروحية والتأمل، وهي بتلك الخطوة زهدت الناس في الإيمان بالغيب وبما أعده الله للمؤمنين في الحياة الآخرة، وأصبح الإيمان بالغيب من وجهة نظر الفلسفة الروحية إيماناً لحظياً يلامس المتأثرين به ثمراته وقت ما أرادوا وكيفما أرادوا، ولم يعد لتلك النصوص الواردة في الكتب السماوية أي أثر.

ومن أوائل الروحانيين الذين نادوا بخوض التجربة الروحية في العصر الحديث بثوبها المكتسبي بالعلم العالم السويدي "عمانويل سويدنبرج" الذي ولد في "استكهولم" سنة "١٦٨٨ م"، وزعم أنه أنعم عليه بلقاء الملائكة والتحدث معهم، وأنهم أخذوه في رحلات لزيارة الجنة والنار، وأطلعوه على سكانهما،

(١) انظر: الفكر العربي في منهاج البكالوريا اللبنانية: الدكتور عمر فروج، من إصدارات دار العلم للملايين - بيروت: لبنان:

عام ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م: ص ٦.

(٢) انظر: مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: عبد التواب عبد الله حسين: ص ٩٥.

(٣) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة وتحضير الأرواح: د. علي بن سعيد العبيدي، الناشر: دار كنوز إشبيليا

للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ١٧.

وأمره أن يصف للناس ما شاهده بنفسه في مناطق عالم الروح المختلفة، وأصدر كتاباً سماه "الأسرار" ذكر فيه تجربته الروحية^(١).

ومنهم أيضاً "أندرو جاكسون" الذي ولد في أمريكا الشمالية عام "١٨٢٦م"، وقد تأثر كثيراً بـ "سويدنبرج"، وزعم أن الروح المسيطرة عليه هي روح "سويدنبرج"، وقد ألف عدة كتب بشر فيها المتأثرين بالفلسفة الروحية بأن الحركة الروحية ستنتشر بين الناس، وأن الاتصال الروحي مع الأموات سيكون أمراً طبيعياً كتنفس الهواء!، ومن أهم كتبه "أسرار الطبيعة" زعم فيها أن الأسرار المودعة في كتابه هي من الإملاءات التي أمليت عليه وهو في غيبوبته، وقد استغله أحد أطباء التنويم المغناطيسي ليكون وسيطاً وحيماً، وكان قد تنبأ باختراع السيارة والطائرة والغواصة والآلة الكاتبة^(٢).

ومنهم أيضاً العالم البولندي "أبراهام هيسكل"، الذي ولد في بولندا عام "١٩٠٧م"، وهو أستاذ الصوفية اليهودية في المعهد الديني اليهودي في أمريكا، وقد تبنى مبدأ تحقيق التكافل وتحقيق السلام العالمي من خلال تأثير الأديان في بعضها وتأثرها فيما بينها، يقول في هذا الصدد: "إن أديان العالم لم تعد مكتفية ذاتياً، ولم تعد مستقلة ولا معزولة أكثر من عزلة الأفراد والشعوب، فالطاقات والتجارب والأفكار التي تظهر إلى الوجود خارج نطاق دين معين أو خارج حدود الأديان كلها، لا تزال تعترض كل دين وتؤثر فيه، فليس هناك دين معزول كجزيرة، فالجميع متشارك معاً ومتفاعل، ولذا فإن الخيانة الروحية من قبل أي منا تؤثر في إيماننا جميعاً"^(٣)، ويوضح الراهب البوذي الفيتنامي "تكنات هان" الذي ولد عام "١٩٢٦م" حقيقة هذا الإيمان ويصفها بالروح العالمية المميزة والمدركة، وهي التي تؤثر في الكائنات الحية، وأن تلك الكائنات لا يمكنها ولا تستطيع أن توجد وتعيش مستقلة بمعزل عن العالم، فالإنسان يكون في بيئته المحيطة، والروح العالمية مميزة تدرك أن الكائنات الحية ليست جزراً معزولة قائمة كل منها بذاتها^(٤).

ومما سبق يتضح أن الاتجاه الروحي استطاع أن يمحور قضية الألوهية ضمن الإطار الطبيعي، وهو الإطار الوحيد الذي يمكن من خلاله أن تجتمع فيها البشرية كلها بشتى دياناتهم ومملهم، فظل يحث

(١) انظر: يسألونك عن الروح: حسن عبد الوهاب ومحمود شلي، طبعة مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١ =

١٩٩٨م، ص ٦.

(٢) انظر: يسألونك عن الروح: حسن عبد الوهاب ومحمود شلي، طبعة مكتبة الآداب - مصر: ص ٧.

(٣) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي: ص ٤٧.

(٤) نفس المصدر السابق: ص ٤٦.

المتأثرين بالروحانيات بضرورة الإيمان بالروح العالمية، وهذه الروح يمكن إيجادها من خلال التوجه إلى الطبيعة واستكشاف أسرارها ونواميسها، حينها يمكن البحث في تغيير تفكير الجنس البشري؛ وأن روح الجماعة العالمية يمكن أن تتفوق على أنماط التفكير القديم والذي يتجلى في الصراعات القبلية وصور التخلف في المجتمعات البدائية، ولا يمكن تجاوز هذا النمط من التفكير إلا من خلال العقل الجمعي الذي يعتقد بتأثير الروح العالمية على مسيرة السلام والتنمية.

علاقة الروحية بفلسفة الطاقة الكونية:

ظهر الاهتمام بالروحانيات ودراسة الظواهر الروحية لدى الإنسان نتيجة احتياج الإنسان لإشباع الرغبات النفسية والباعثة نحو التدين الفطري، وبعيداً عن الإيمان بالله أو الاعتقاد بوجوده والخضوع لذات عليا، ظهر وجه آخر من التدين؛ ظن المهتمون بها بأنها تساعد على سد الرغبة النفسية نحو الدين، الا وهو الاعتقاد بالطاقة الروحية وقوتها وأنها محرّكة وفاعلة في المادة^(١)، ويتلقى الجسد المادي هذه الطاقة من العالم الخارجي نتيجة تفعيل الشاكرات الرئيسية التي ترتبط كل نوع منها بذبذبة خاصة بها^(٢) أو ما يسمى في الفلسفة الفيديّة الهنديّة (مانترا) ذات الإيقاع الخاص، أو في الفلسفة الصينية بنقاط الوخز "الناديات" أو (الزوالي)، فتغذي الجسد بالقوة والحياة، ولكل شاكرة لون معين، كما أن لكل صوت خاصية تساهم في تنشيط نقاط الوخز في الجسم حسب الفلسفة الصينية، ولكي تمد الإنسان بنوع معين من أنواع الطاقة السارية في الكون^(٣)، فتبلغ الروح منزلة الكمال؛ مثلها مثل الفقاعات التي تنطلق من أسفل قاع الماء الذي يغلي فتأخذ سبيلها صاعدة عبر الماء إلى الفضاء اللامحدود، والروح كذلك تنطلق من أسفل الجسد المادي حتى تسير وتسبح في الفضاء اللامحدود وتحرر من المادة فيحصل لها الإشراق والتنوير، وهي بدورها لا تتلاشى ولا تفنى بموت أجسامها الأصلية^(٤).

والروح عندما تتلقى الإشراق والتنوير من العالم الخارجي؛ فإن هذا لا يعني خضوعها لذات عليا، وإنما تحصل هذه العملية من وجهة نظر الروحانيين نتيجة التقاء الأرواح في عالم ما وراء الطبيعة

(١) انظر: علم الطاقة الروحية: هند رشدي: ص ٣.

(٢) سيأتي الحديث عنها بشكل مفصل من خلال مطالب هذا البحث.

(٣) انظر: علم الطاقة الروحية: هند رشدي: ص ٥.

(٤) انظر: أديان العالم - دراسة روحية - د. هوستن سميث: ص ١٠٨.

وتحضيرها في عالم المادة، وتتم تلك العملية من خلال نظرية الاهتزاز والذبذبة وإشعاعية الروح وعدم إخضاعها لقانون الزمن.

ولذلك فإن الإنسان حين اعتقد بالقوة الروحية، وآمن بتأثيرها وفعاليتها، فإن من لوازم ذلك الإيمان: الإيمان بأن لكل شيء في هذا الكون له روح، وكل الموجودات في هذا الكون حية بجوهر روحي، فهي تمثل قوة وطاقة روحية متأصلة في كل شيء، والإنسان عليه أن يبذل جهده في امتلاك هذه القوة وتسخيرها لما فيه مصلحته ومنفعته.

وكانت نظرة الإنسان نحو هذه القوة الروحية التي آمن بها بأنها خالدة فهي لا تفنى، وأنها ليست ثابتة أو مستقرة في أي شيء، ويمكن انتقالها بواسطة أي شيء، كما أن الأرواح سواء كانت غير متجسدة أو كانت كائنات فوق الطبيعة تستطيع أن تمتلكها أو تهبها لمن شئت^(١).

ولذلك ظل هذا الإنسان يفسر من خلال هذه النظرة تلك الظواهر الطبيعية التي تحصل في الكون، فالنجوم المتناهية والمنتشرة في هذا الكون الفسيح ما هي إلا أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء بجانب الآلهة^(٢)، والقوة الكامنة في داخل النفس والوجود العميق الصامت بداخلها والتي لا تُرى هي القوة الحقيقية التي تمثل قوة الإله الواحد المطلق، وبالتالي فهي قوة روحانية مسيطرة على العالم^(٣)، أو تلك الأمور التي تحدث وهي في حد ذاتها خارقة للعادة على أن الأرواح تقمصت فيها؛ وبالتالي فإن هذه الظواهر الطبيعية وحوارق العادات ما هي إلا تحقيق لإرادة الروح.

كما أن هذه الروح حلت في هذه الظاهرة الكونية وحققت إرادتها؛ كذلك يستطيع الإنسان أن يستجلبها ويستحضرها ومن ثم يتخاطب معها ويحقق لها إرادتها!، ذلك لأن النفس إذا ما حققت غايتها في هذه الحياة فهي لن تصل إلى عالم السعادة والاتحاد بالإله الواحد الكلي المطلق، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما حقيقة هذا الاستحضر وما حقيقة السيطرة على القوة الروحية؟.

إن فكرة استحضر الأرواح والسيطرة على القوة الروحية هي فكرة قديمة بقدم الإنسان، وظل الإنسان في الفكر الشرقي القديم يحاول أن يسبر غور هذا العالم الروحي، ويستكشف أسرارها، وقد كانت هذه الدراسات الروحية هي محور الأديان الشرقية، واستطاعت أن تقدم لمعتنقيها جملة من

(١) انظر: تراثنا الروحي: ص ٨٦.

(٢) انظر: التواصل مع العالم والأرواح الأخرى: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط ١= ٢٠١٣م. ص ٥، وهذه نظرة الفراعنة نحو الروح.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ١٢، وهذه نظرة الهندوس نحو الروح.

النظريات الروحية التي تركز على مبدأ إمكانية التواصل مع أرواح الموتى والاتصال بهم والتواصل معهم من العالم الآخر؛ ذلك العالم الغيبي الذي لا يمكن مشاهدته، ولكن يمكن إدراكه من خلال الوعي الروحي والمتمثل في العقل الذي يمكنه إنجاز غير الممكن، ومن خلال تفاعل الإنسان مع أحاسيسه وحركاته دون الارتباط بقوة آلية فيزيائية يصل إلى شئئين:

أولاً: يصل إلى (الحاسة السادسة) وهو الإدراك فوق الحس، يدرك ما هو أعلى من الحواس الخمس، ويطلق علماء الباراسيكولوجي على هذه النقطة مصطلح (ساي جاما- ESP).

ثانياً: تتولد لديه طاقة نفسية مؤثرة ومحركة (ساي كايا- PK)^(١).

ويتفق محضرو الأرواح بأنهم من خلال الوعي الروحي يستطيعون أن يرتقوا بأنفسهم وذواتهم إلى ما هو أعلى من الحواس الخمسة، إنها رحلة لا نهائية في عمق الوعي الكوني، يصلون إلى مرحلة الاتصال الفكري بين عقليين لا تحدهما زمان ولا مكان، وإلى استبصار الأشياء دون التقيد بالحدود والمسافات، وإلى سماع الأصوات الصادرة من العالم الروحي التي لا تحدها اللغات، وإلى معرفة حوادث الزمان ومستقبل الأيام^(٢).

كما أنهم من خلال هذا الوعي الروحي يستطيعون التأثير على النفس فيعالجون الروح ويقومون بعمليات جراحية روحية!^(٣)، كما أنهم يؤثرون على النفس، ولديهم الإمكانيات لتحريك الأشياء وفق إرادتهم ومقتضياتهم فيستطيع الواحد منهم أن يوقف زهر الطاولة على الرقم الذي يريده!^(٤).

وشيئاً فشيئاً ومع التطور والتقدم العلمي، وما يعاينه الإنسان اليوم من الطغيان المادي الذي طغى على الجانب الروحي ظهرت الحركة الروحية الحديثة، فأعاد نشر هذه النظريات وفي قوالب جديدة، ودخلت هذه القوالب والتطبيقات ضمن فلسفة الطاقة الكونية مع الأخذ في الاعتبار بأن هذه الحركة التي ظهرت ما هي إلا ردة فعل للمنهج التجريبي المادي الغربي، وما هي إلا محاولة للتوفيق بين

(١) انظر: الباراسيكولوجي؛ القوى الروحية: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، جمهورية مصر العربية، ط ١=٢٠١٣م، ص ٢٣.

(٢) انظر: نفس المصدر السابق: ص(٢٢- ٢٧)، وانظر أيضاً: الحاسة السادسة؛ رحلة في عمق وعين الكوني: د. أحمد توفيق حجازي، ص (١٣، ٤١-٤٤، ١١٦، ١٤٠-١٤٣).

(٣) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، من إصدارات: Book Publisher، بيروت. لبنان، ط ١=١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، ص ١٢٦.

(٤) انظر: الباراسيكولوجي؛ القوى الروحية: د. ماهر يسري، ص ٢٦.

ما توصل إليه العلم الحديث وبين النظريات الروحية، وبين التوفيق والتطبيق هناك خلط بين المصطلحات وبين توظيفها.

إن تفسير الظواهر الخارقة للعادة من منظور التجربة العلمية وربطها بعالم الأرواح تفسير مبالغ فيه ومتكلف عليه، وما هو إلا قول مزخرف يحاول فيه من يروج للمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية بما فيها من نظريات علمية تم تطويعها لعلمية الوهم والخرافة، ومن ثم يدّعي أن لها جانب علمي تجريبي يمكن الاستناد عليه!، ولعل من أجل الشواهد على ذلك الاستناد على نظرية الترددات والذبذبات والاهتزازات، تلك النظرية التي تولدت منها نظريات شتى في عالم الروح؛ كنظرية الأثير والطرح الروحي والاتصال بعالم الأرواح وغيرها مما سيتضح أكثر بعد دراستنا لنظرية التردد والاهتزاز والذبذبة.

نظرية التردد والاهتزاز والذبذبة:

هي نظرية قائمة على مبدأ أن الكون يتكون من عوالم مختلفة، وكل عالم يتكون من موجودات، والموجات تتكون من جزيئات، والجزيئات تتكون من ذرات، وفي وسط الذرة نواة تتكون من بروتونات مهتزة في حركة دائمة وغير ساكنة ذات ثقل نسبي وشحنة كهربائية موجبة، ومن نوترونات محايدة، وحول النواة منطقة معزولة فيها جسيمات ذات شحنة كهربائية سالبة تسمى (إلكترونات) تدور حول النواة في مدارات متقلبة كدوران الكواكب حول الشمس، فتقفز من مدار إلى مدار فتشع أو أنها تمتص الطاقة في حركة دائمة وذبذبة لا تهدأ، وعليه فإن الكون لا يمكن أن يكون ساكناً وخاملاً، كل شيء في الكون يهتز ويتذبذب، وأينما وجدت حياة وجدت الذبذبات والاهتزازات، وكل شيء في الكون سواء كان منظوراً أو غير منظور، صلباً كان أم سائلاً أم غازياً أم طاقة أم كهرباء أم ضوءاً أم لوناً أم رائحة له موجة معينة، وكلما زادت سرعة الذبذبات زادت المادة رقة وشفافية بالنسبة لحواس الإنسان^(١).

هذه هي نظرية الاهتزاز والذبذبة، وهي بدورها مهدت الطريق لتبني من يستند على هذه النظرية من فلاسفة الطاقة الكونية لنظريات أخرى كنظرية الأثير والوسيط الروحي وظاهرة الطرح الروحي

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص ٢١، وانظر أيضاً: الحاسة السادسة: د. أحمد توفيق حجازي، ص (٦٧ - ٧٧).

والارتقاء في عالم البرزخ والاتصال الروحي والتناغم الكوني، وستحدث عن هذه النظريات بشيء من التفاصيل.

إن فلاسفة الطاقة الكونية حين استندوا على نظرية الذبذبة والاهتزاز تأصل لديهم فكرة أن الأرواح أيضاً لها ذبذبات واهتزازات؛ وبناء عليه فإنهم يقررون بإمكانية التواصل بين عالم المادة وعالم الأرواح، ولكي تحدث هذه العملية يجب على من في عالم الأرواح بأن يخفض ذبذبته!، وأن يرفع من في عالم المادة ذبذبته، ومن الأسر الالتقاء في منتصف الطريق!، هذا الالتقاء يحصل من خلال وسيط تنتقل من خلاله الأرواح، وقد استندوا على افتراض علمي^(١) مفاده أن كل ما في الكون من ضوء إلى حرارة إلى كهرباء إلى مغناطيس له إشعاع؛ وهذه الأشعة تنتقل من خلال وسيط وهمي سمي بالأثير، وبناء على هذا الافتراض فإن الأثير هي المادة الأساسية في الكون، وأنها تملأ ما بين السماء والأرض، وما بين النجوم والكواكب، وتتخلل داخل كل الأجسام وفي كل الأشياء.

وبناءً على هذه الفرضية فإن هناك نظرية أخرى مبنية على هذا الافتراض مفادها أن لكل جسم مادي في هذا الكون من إنسان وحيوان ونبات له مقابل أثيري مشابه له في الشكل تماماً، ويعتبر هو الجسم الحقيقي، والجسم المادي ليس إلا رداءً للجسم الأثيري؛ ولكي يستطيع الانسجام مع المستوى المادي للحياة الأرضية!، ويرى فلاسفة الطاقة الكونية أن هذا الجسم الأثيري هو الوسيط الذي تنتقل فيه الأرواح؛ إذ أنه ليس إلا نوعاً من الإشعاع^(٢).

وإذا كانت الأرواح ليست إلا نوعاً من الإشعاع، ويستطيع من في عالم الأرواح أن يلتقي بمن في عالم المادة من خلال خفض أو زيادة الذبذبات بين الطرفين فإن هذا الأمر أدى إلى ظهور مرشدين روحيين تحت مظلة علمية يزعمون أن لديهم قدرات روحية، وأنهم يستخدمون وسائل معينة لتخفيض ذبذباتهم حتى يتصلوا بالعالم الأرضي وأنهم فوق ذلك عباد من عباد الله، وروح من روح الله، وقبس من نور الله^(٣).

(١) افتراض نظرية الأثير هو افتراض أوجده عالم الفيزياء البريطاني جيمس كليرك ماكسويل عام (١٨٦٤م)، وقد بدد هذه النظرية عالم الفيزياء ألبرت آينشتاين عام (١٩٠٥م) من خلال اكتشافه للنظرية النسبية، وهو الاكتشاف الذي ألغى نظرية الأثير.

(٢) توصل عالم الفيزياء البريطاني (سير أوليفر لودج) إلى هذه النظرية.

(٣) انظر: دراسات في عالم الروح، السفير عزت علي البحيري، ص (٢٤-٢٦)، وانظر أيضاً: الوعي الروحي: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١ = ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص ٣٧٨.

وعلى مر تاريخ تحضير الأرواح فقد ظهر العديد من المرشدين الروحيين^(١) ولعل من أبرزهم في هذا العصر المرشد الروحي "سيلفر برش" الذي سخر نفسه لخدمة البشرية، إنه ليس إنساناً؛ إنه روح من عند الله اختار هذا الاسم عندما أراد أن يتصل بالعالم الأرضي للدلالة على شخصه، وقد ظهر في دائرتين في هذا العالم، أولاًها في لندن وكان يتحدث بالإنجليزية، وثانيها في القاهرة وكان يتحدث فيها بالعربية، وفي كلا الدائرتين كان لديه وسطاء روحيين من البشر، دلسوا على الناس أنهم باستطاعتهم أن يرفعوا من ذبذباتهم، وأن يتصلوا بمرشدهم الروحي "سيلفر برش" لتلقي العلوم والمعارف النورانية، وهذا كله من الدجل على الناس، والاستعانة بالجن والشياطين، يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً، قال الله تعالى مبيناً حالهم: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾، فلا يدري ذلك المفتون أهو من عند الله، أو من إيجاء الشياطين، سولت لهم أنفسهم، وافتروا على الله كذباً وبهتاناً، ولا يستطيعون

(١) على مر التاريخ فقد ظهر العديد من المرشدين الروحيين، وإن المتأمل في حقيقة هؤلاء ليجد أن ظهورهم كان لتبرير معتقدات أو تمرير أفكار، وأن محضروهم لا يحضروهم إلا لهدف، ونشاهد ذلك من خلال معظم التيارات والحركات المختلفة في العالم، فإذا كان المذهب الشيعي يروج لمعتقد ولاية الفقيه ومهديهم المنتظر فإنهم يستحضرون روح الصحابي الجليل الحسين بن علي عليه السلام، ولا شك أنه برئ منهم، وليس المقام ذكر برائته منهم لأن هذا الموضوع مفروغ منه، ولكن الشاهد أن هذا الصحابي الجليل يمثل قضية محورية لديهم فهم يعتقدون أنهم يستحضرون روحه لتبرير معتقداتهم وأفكارهم، ولا شك أنها وسيلة من وسائل الخداع والتلبيس على عوامهم، كما أن الشخصيات الروحية المنتشرة في المجالس الصوفية، وتتعدد الشخصيات بحسب كل طائفة، فالقادرية تستحضر روح عبد القادر الجيلاني، والشاذلية تستحضر روح الشاذلي وهكذا، وكل طائفة أو طريقة تروج لمعتقداتها وأفكارها من خلال هذه الوسيلة.

كما أن من الشخصيات الروحية المنتشرة في العالم في الوقت الراهن شخصية الفتى الياباني ايتشيغو كوروساكي ذات (١٧) عاماً، وهي شخصية كرتونية ظهرت في سلسلة مغامرات (مانغا بليتش) ولديه القدرة على رؤية الأرواح، ومهمته حماية مدينة "كاركورا" والدفاع عن أهلها من قوة "الهولو" الأرواح الشريرة، ومثل هذه الشخصيات تظهر لتقرير ما هو معتقدتهم حول الأشخاص القادرين على خرق العادات وأنهم أنصاف الآلهة وأنهم أبناء الإله هبطوا إلى الأرض لإنقاذ البشرية وفق ما هو مقرر في أساطيرهم ومعتقداتهم.

ومؤخراً فقد انتشرت لعبة تحدي تشارلي في وسائل التواصل الاجتماعي، أو ما يعرف بلعبة الأرقام، وهي لعبة مستوحاة من التقاليد المكسيكية التي تنص على أن اللاعب يستوجب عليه استحضار روح تشارلي من خلال قراءة وتلاوة بعض التعاويذ الخاصة بتلك اللعبة والمتجلية في الصراخ واستدعاء تشارلي، ومن ثم طلب المساعدة منه في كشف الأمور المستقبلية، ونفس الكلام ينطبق أيضاً على ممارسي لعبة الويجا.

كما أن روح المرشد "سيلفر برش" والتي ظهرت في لندن والقاهرة ما هي إلا لترويج أفكار ومعتقدات الحركة الروحية الحديثة.

ترويج أباطيلهم إلا على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر ممن يحضرون مجالسهم، وافتتنوا بتلك الترهات، والله ما هي إلا وساوس شيطانية زخرفوها، وخرافات مضلة ألقوها، وأكاذيب مختلفة لفقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان، إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون، وسيجزون ما كانوا يعملون^(١).

ظاهرة الطرح الروحي:

استناداً على نظرية التردد أو الاهتزاز أو الذبذبة وبناءً على فرضية الأثير وإشعاعية الروح؛ فإن الإنسان يمكنه أيضاً أن يخوض تجربة الغوص في عالم الروح وسبر أغواره من خلال ظاهرة الطرح الروحي، وهذه الظاهرة تعرف بقدرة الشخص على التحكم في جسده الأثيري، فيخرج بها منفصلاً عن جسمه المادي ويسافر إلى عوالم مختلفة روحية أو مادية أو طرح روحي لا إرادي كما في حالة النوم أو التنويم المغناطيسي أو الغيبوبة الواسطية^(٢) أو تجارب الاقتراب من الموت^{(٣)(٤)}. وفي هذا السياق تقرر المدرسة الروحية أن الشخص حين يسافر بجسده الأثيري وبروحه فإنه يظل مرتبطاً بجسمه المادي عبر الحبل الأثيري الفضي، وإذا انقطع هذا الحبل فإن هذا يعني أنه قد فارق جسده المادي تماماً وبلا عودة.

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول: العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٧٨.

(٢) الغيبوبة الواسطية: تصنف من ضمن تطبيقات الظواهر الفيزيائية، ويقصد منها التأثير على المادة، وحالة الغيبوبة الواسطية تشبه حالة التنويم المغناطيسي؛ إذ يقصد منها أن يكون الـ وفي كلا الحالتين يكون الشخص الذي طبقت عليه الظاهرة هو شخص وسيط، إلا أن الغيبوبة الواسطية تتميز عن التنويم المغناطيسي بكونها تختص بظاهرة الكتابة التلقائية والكلام التلقائي، بمعنى أن الروح أو المرشد الروحي يستخدم جسد الوسيط البشري من أجل الكتابة أو التحدث، ويحدث ذلك في حالة اليقظة والإنسان بكامل صحته وقواه العقلية. ولمعرفة المزيد حول هذه الظاهرة يمكن مراجعة فصل التطبيقات من هذه الرسالة، ص ٣٦٤.

(٣) تجربة الخروج من الجسد: تصنف ضمن تطبيقات الظواهر العقلية، ويقصد منها قدرة الإنسان على الخروج من جسده المادي إلى جسد آخر؛ هو الجسد النجمي، والهدف من ذلك الخروج هو السفر إلى العوالم الأخرى بواسطة العقل من أجل الحصول على المعرفة والتنبؤ للمستقبل، ولمعرفة المزيد حول هذه الظاهرة يمكن مراجعة فصل التطبيقات من هذه الرسالة، ص ٣٤٦.

(٤) انظر: تحضير الأرواح، الاتصال بالموتى أو تجسيد الأرواح: أحمد حسن الشيخ، الناشر: جروس برس، طرابلس، لبنان، عام: ١٩٩٩م، ص ١٤٢.

والإنسان حين يسافر بجسده الأثيري فإنه يقوم بجولة في عالم الأرواح يتعرف من خلالها على أقاربه ومعارفه الذين سبقوه، كما أنه يسمع أصوات من حوله من الناس في عالم المادة، وحين ما تعود الروح إلى الجسد المادي فإنها تخبره بما شاهدته، وأحوال الناس في هذه المرحلة تتفاوت؛ وقد لا يستطيع أكثر الناس التعبير والبوح بما شاهدوه، ولكن من خلال الوعي الروحي يصلون إلى الإدراك فوق الحس، والعقل فوق الوعي، أو ما يعرف بالحاسة السادسة، ومن خلالها يكشف الإنسان ضروب السمو التي يمكن للطبيعة البشرية بلوغها، والوعي السامي الذي يعلل أعمال الإلهام والوساطة الراقية وإنكار الذات، وعندها تتولد لدى النفس البشرية طاقة نفسية هائلة قادرة على التأثير والتحرك. والإنسان الذي يملك هذه الحاسة ويكون قد تدرّب عليها فإنه في حالة الطرح الروحي النهائي والانتقال إلى عالم الأرواح لديه القدرة على التغلب على آلام الموت وعذاب الفراق، والاستعداد للانتقال إلى الحياة الجديدة؛ ذلك لأن روحه قد بلغت مرحلة الارتقاء والوعي، وأنها ترى الجسد الروحي يسترد نفسه تدريجياً، ثم يفتح عينيه في عالم الروح؛ عندها يشاهد بوعيه ويدرك بأن الأرواح الأخرى قد أتت للترحيب به في العالم الجديد!^(١).

ومما سبق ذكره وبيانه يتضح أن ظاهرة الطرح الروحي هي فكرة في أصلها وجوهرها مأخوذة من فلسفة الأجسام الأثيرية، ولا شك أن هذا القول هو ادعاء على الله بغير علم، ومن تأمل في قضية الطرح الروحي يدرك خطورة الأمر على العقيدة الإسلامية، فهي طريق للشرك بالله، وتؤول بصاحبه إلى إنكار البعث الجسماني، والاعتقاد بخلود الأرواح، خلود من شأنه أن يفنى الجسد، وتبقى الروح متنعمة في عالمها إن استطاعت أن تنجو من دوامة التناسخ وتتحد بالجوهر الكلي المطلق.

وظاهرة الطرح الروحي هي في أصلها طقوس وثنية يمارسها أتباع اليوغا في الفلسفة الهندية، ولتحقيقها لا بد من ترديد المانتترات للتأثير على الشاكرات، وهي بدورها تبقى الفرد على درجة من الوعي وقوة التركيز، يسافر من خلالها إلى ما يظنه أنه عالم الأرواح أو السجلات الأثيرية الكونية التي تحتوي على أحداث العالم، فيطلع على ماضيها، ويتنبأ بمستقبلها، ويجعله قادراً على إحداث المعجزات، فيقول للشيء "كن" فيكون!.

وحاصل القول؛ فإن الطرح الروحي يتضمن العديد من الانحرافات العقدية، ومنها أن العملية لا تحصل إلا في حالة اليقظة الواعية، وبالتالي فإن خروج الروح من الجسد يكون خروجاً حقيقياً وليس خيالياً ولا أحلاماً، وهذا الادعاء لا يمكن تبنيه إلا في إطار الاستعانة بالقوة الغيبية الخفية من الجن

(١) انظر: دراسات في عالم الروح، السفير عزت علي البحيري، ص ٣٧.

والشياطين، وهم بدورهم لا يخدمون إلا لمن يطيعهم ويقدم القرابين لهم. كما أنه يتضمن ادعاء علم الغيب، والجزم بما قد يحصل في المستقبل، وتحويل الأمانى والرغبات إلى حقائق واقعية، كل ذلك يحصل من خلال الاتصال بالعقل الكوني، والتفاعل معه عبر شاكرة العين الثالثة، وشاكرة التاج، والشخصية المسلمة الواعية بآثار هذه الانحرافات لا يمكن لها أن تقدم على تعلم مثل هذه الخرافات، فضلاً عن ممارستها، وهي تدرك أن الروح من أمر الله، وأن علم الغيب مما اختصه الله به لنفسه، فلا يطلع على علم الغيب أحد من خلقه، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والجن والشياطين أنفسهم لا يعلمون الغيب، "ومن يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة، لا يخلو: إما أن يكون قوله صادراً عن علم بالغيوب المستقبلية، وقد علم أن هذا الله وحده، فلا أحد يعلم شيئاً من المستقبلات الغيبية، إلا من أطلعه الله عليه من رسله. وإما أن يكون متخذاً عهداً عند الله، بالإيمان به، واتباع رسله، الذين عهد الله لأهلهم، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، علم بذلك بطلان الدعوى"^(١)، قال الله تعالى: ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۗ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۗ ﴾^(٢).

نظرية الارتقاء في عالم البرزخ:

النفس البشرية حين تنتقل إلى عالم الأرواح، ذلك العالم الموسوم بعالم البرزخ، فإن النفس مردها بحسب ما عملته في الدنيا إما إلى جنة أو نار، ولكن ثمة موقف آخر يذهب إلى إمكانية الارتقاء في ذلك العالم، وأنه يمكن للنفس التي عملت السيئات واقترفت المنكرات أن ترتقي بنفسها إلى مستويات أعلى لتعويض الذنوب التي ارتكبتها في الحياة الدنيوية!، ذلك لأن الروح تحيا في البرزخ مع الأرواح المشابهة لها في الذبذبة، فكل روح تحيا مع الأرواح المشابهة لها في عمل الخير والشر في الحياة الأرضية، ولكي ترتقي إلى مستويات أعلى فإنها يتوجب لها أن تساهم في الأعمال الخيرية ونفع البشرية من خلال تناسخ الأرواح التي تقوم بها النفس أثناء التجسيدات المتعاقبة.

والروح وهي في عالم البرزخ كيف تتحصل على العلوم والمعارف التي تنفع بها البشرية؟

يجيب عليها العلماء المختصين بعالم الأرواح بأن الروح تسير في عالم البرزخ بسرعة أكبر من سرعة الضوء بخمسين مرة!، تستطيع من خلالها قراءة أحداث الماضي ومعرفة أخطاء الأقسام السابقين

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥٠٠.

(٢) سورة مريم: الآية (٧٨-٧٩).

وسماع النصائح والإرشادات منهم!، كما أنها تسير وبنفس السرعة المقدرة إلى الأمام يستقرؤون من الكتاب الكوني تنبؤات المستقبل وتاريخ البشرية، وتتفاوت الأرواح في عملية استقراء الكتاب الكوني؛ إذ يُسمح لروح الاطلاع على أمر معين ولا يسمح لروح آخر الاطلاع على ذلك الأمر^(١).

ومما سبق ذكره يتضح أن نظرية الارتقاء في عالم البرزخ تكريس لعقيدة الهندوس ومن وافقهم حول تناسخ الأرواح، ومعروف عندهم أن الروح خالدة ولا تفنى، وحين تخرج من جسد إنسان ما فإنها تتقمص أجساداً جديدة بحسب أعمالها، فترجع إلى روح الرجل الصالح بعد موته في جسم أعلى منه رتبة، ولا تزال في تناسخها من جسم إلى آخر حتى ترتقي إلى الإله برهما وتمتج به، وأما روح الرجل الفاسق فترجع إلى جسم أردأ منه ويستمر التناسخ حتى تصل إلى حيوانات خبيثة^(٢).

ولا يمكن تصور فكرة الارتقاء في عالم البرزخ إلا من خلال ربطها بمفهوم التناسخ، والعملية لا يمكن أن تنضبط؛ لأنه لا يوجد مخلوق كله خير، أو مخلوق كله شر، إلا من عصمه الله -عز وجل-، والجن والإنس والحيوانات مخلوقات فيها خير وفيها شر، وهب أن روح الرجل الصالح ارتقت إلى جسد أعلى، هل يمكن أن يكون الجسد المرتقى إليه معصوماً من الوقوع في الشر والخطيئة!، كذلك نفس الحال في الشر، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يجازي العبد على أفعاله، والموت حق، وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"^(٣)، والحديث قد دل على انقطاع العمل عن الإنسان بعد الموت، فيجازى على أعماله، إن كانت خيراً فيثاب عليها، وإن كانت شراً فيجازى عليها، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٤)، فأعمالها موثقة بسعيها،

(١) نفس المصدر السابق: ص ٤٤ .

(٢) المنهجية في دراسة الأديان الوضعية: أ.د. عبد الله سمك، ص ٢٤٧ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٦٣١)، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، (٣/١٢٥٥)، وقد يستدل قائل أن هذه الأعمال الصالحة التي لا ينقطع ثوابها فيها ما يدل على ارتقاء الروح في عالم البرزخ، وليس الأمر كذلك، فإن هذه الأعمال يلحق ثوابها للميت، وليس فيها ما يدل على ارتقاء الروح، أرأيت لو كانت الأعمال سيئة، هل سيرجع سيئاتها إلى ذلك الميت أم أن الروح سينزل رتبته، هنالك روح مؤمنة بحسناتها وسيئاتها، وهنالك روح كافرة بحسناتها وسيئاتها، ولو كانت النظرية صحيحة فلماذا خلقت النار؟!، لن يكون هنالك كافر، لأنه حين ينتقل إلى عالم البرزخ ويشاهد الحقائق فإنه عطفاً على النظرية سيبدأ في الارتقاء، وسينجو من العذاب، والنتيجة لن يكون هنالك لا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، بل ولن يكون هنالك يوم القيامة، وهذا هو الخلود الروحي.

(٤) سورة المدثر: الآية (٣٨).

قد أزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب^(١)، وما يسعى إليها من يؤمن بمثل هذه النظريات هو إضعاف القوة الإيمانية في النفس، وعلى الأمة الإسلامية، والتهوين من قضية أعمال الجوارح، وأنه يكفي في الإيمان مجرد القول بكلمة التوحيد "لا إله إلا الله" دون الالتزام بالعمل بمقتضاها.

نظرية الاتصال الروحي:

وإذا كانت الأرواح وهي في عالم البرزخ تريد أن ترتقي بنفسها فتتوصل على العلوم والمعارف النورانية، والتي من خلالها تستطيع أن تساهم في الأعمال الخيرية ونفع البشرية، فإن لها أن تتصل بالعالم الأرضي لإيصال تلك العلوم والمعارف، ويتوجب عليها ولكي تتصل بالعالم الأرضي من أن تخفض من ذبذبتها، وعلى من في عالم الأرض الذي يتناول هذه العلوم المهمة عليه أن يرفع من ذبذبته، وطريقة رفع الذبذبة تكمن من خلال التأمل بجانب ترديد المانترات والترانيم الإنشادية وعزف الموسيقى، مع أهمية الهدوء والاسترخاء والمواظبة على التأمل والصفاء النفسي، وترك الملذات الدنيوية والتمسك بالأخلاق القويمة، والبعد عن كل ما يعكر المزاج من انفعال أو غضب أو قلق أو حزن أو خوف؛ لأنها تؤثر على الهالة الأثيرية للإنسان.

كما أن الاتصال الروحي تتم في الظلام أو في النور الأحمر، ويحذر المختصون في هذا الشأن بعدم محاولة إمساك أو لمس أي ضوء قد تظهر وتجوب المكان أثناء الاتصال الروحي؛ ذلك لأنها ناتجة من تشكل مادة "الأكتوبلازم"^(٢) المنبعثة من الكائن الروحي، والخارجة من المتلقي، وفي محاولة إمساكها ضرر بالغ وقاتل بالمتلقي تؤدي إلى الإضرار به^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص(٨٩٧)

(٢) الاكتوبلازم: هي مادة (خام) رقيقة ولطيفة وشديدة الاهتزاز، ولها عدة ألوان (أبيض، رمادي، أسود) تتكثف كالبخار، وهي عندما تخرج لا بد وأن تدخل في جسد يسوده اللون الأحمر أو الظلام، والاکتوبلازم لا تذكر إلا ويذكر الجسد معها، وتستعملها الأرواح حين تريد الاتصال بالعالم الأرضي، وهي تنبعث من الروح، كما أنها تتواجد لدى الإنسان وتحديداً في مركز الضفيرة الشمسية والقلب وفوق الكتف فتتحد المادتين ويحصل الاتصال الروحي!. انظر: التواصل مع الأرواح والعالم الآخر للدكتور: ماهر يسري: ص(١٢٢)، وانظر أيضاً: منتدى المعهد الروحي: www.spiritualschool1.com/vb/index.php

(٣) انظر: دراسات في عالم الروح للسفير: عزت علي البحيري: ص(٤٦-٤٨)، والتواصل مع الأرواح والعالم الآخر للدكتور: ماهر يسري: ص(١٢١).

إن هذه النظريات التي عرضناها كان لها تأثير في تقرير المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، واستندت هذه الفلسفة بقوة على الإيمان بالقوى الغيبية الروحية، وأن لها تأثير بالغ على حياة الإنسان، وعلى مستقبله، فراح يستكشف العالم المادي وتاريخ المستقبل من خلال سير أغوار العالم الروحي، كما أنه من خلال الإيمان بالقوة الروحية الغيبية تولد لدى معتنقيه ظاهرة الاستشفاء بالروح، وأنه كلما زاد إيمان الشخص بهذه الروحانيات كلما زادت الطاقة الحيوية لديه، فالروح هي الطاقة التي تمنح الجسم الحياة والقوة، وعندما تضعف الروح بسبب النوايا السلبية فإن نور الروح يخفت، وبالتالي يتسبب في ظهور الأمراض النفسية والبدنية، ولتغلب على هذه الأمراض على الإنسان أن يشحن روحه من خلال التطبيقات والممارسات المبنية على النظريات السابقة، ولعل من أبرزها:

❖ ممارسة التأمل الكوني.

❖ تنمية الملكات الميتافيزيقية، وتنشيط الحاسة السادسة من خلال فتح الشاكرات ومسارات الطاقة الكونية داخل الجسد للوصول إلى المعالجة الروحية.

❖ تطبيقات الظواهر العقلية "الوساطية" كالتخاطر والجلاء والرؤية عن بعد والخروج من الجسد.

❖ تطبيقات الظواهر الفيزيقية كالمشي على الجمر والتنويم المغناطيسي والغيبوبة الوساطية.

أثر الاتجاه الروحي على الحرية النفسية:

إن المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية حين أقرت بضرورة الإيمان بالقوة الغيبية الكامنة، بما فيها القوة الروحية، فإنها بذلك قد جعلت من ذلك الإيمان أثراً بالغاً على النفس؛ ذلك أن الإنسان حين يعتقد بتلك النظريات التي مرت معنا سابقاً، وهي نظريات تم تكريسها من أجل إبراز دورها في استقطاب الطاقة الكونية وممارستها، فإن من آثار تلك الممارسات على النفس هي عدم خضوعها لأي دين؛ بل هي تسعى لتحرر من بوتقة التدين، وترى بأن الدين ليس إلا حجر عثرة في الوصول نحو المعرفة الباطنية.

وبالتالي فإن مصادر المعرفة عند أرباب الطاقة الكونية ما هي إلا خليط من شتى المصادر السماوية والوضعية والفلسفية والروحانية والعلوم الحديثة والآراء الشخصية وغير ذلك، بل إن الواحد منهم لا يتورع عن الأخذ من ضلال دين معين أو مهرطق في مذهب، أو شاذ في معتقد؛ ولا أدل

ولا أوضح على ذلك من اعتماد الفلاسفة الروحانيين على رسائل الأرواح التي بشرت بها تلك الأصوات الناهقة من خلف الظلام، والمدعية بأنها من عالم الأرواح الطاهرة! (١).

وعوداً إلى موضوع الحرية النفسية؛ فإن تلك العملية وإن كان من يدعي بنفعها وعلاجها من ممارسي تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية، فإنها تتضمن في خفاياها معتقدات وفلسفات خطيرة على النحو الموجود في الديانات والفلسفات الشرقية من قضية إهمال الجسد المادي، وإنكار البعث الجسماني، وأبديية الخلود الروحي، وتناسخها، وفوق كل ذلك عدم وضوح الرؤية حول معتقدتهم بالله - ﷻ -، واختزالهم النظرة الإلهية في الإيمان بالعقل اللاهائي؛ وكل الظواهر الطبيعية الفيزيائية والروحية - تعبر عن العقل اللاهائي، وأن العقل اللاهائي والحياة في توافق بينهما.

بل إن قضية الألوهية ذهبت في نظرهم إلى أبعد مما يتصور؛ ذهبت إلى الإيمان بألوهية الذات البشرية، وقدرتها على تدبير نفسها، وبقاء الشخصية الإنسانية بعد الموت، وإمكانية الاتصال بالموتى عن طريق الظواهر الروحية، والنفس الإنسانية ترتقي بمسؤولياتها؛ فما عملته من خير ينعكس عليها في عالم الأرواح وتظل ترتقي بها إلى ما لا نهاية والعكس بالعكس، ومن لوازم هذا القول (وهم يصرحون بهذا اللازم) الإيمان بأن باب التوبة مفتوح ولا يغلق في وجه النفس البشرية سواء على الأرض أو في عالم الأرواح في السماء (٢).

ولقد مثلت قضية الروح جانباً مهماً في الفكر الغنوصي؛ فهو الجانب الإيجابي والمشرق لذلك الفكر، بل إنها قدمت لمريديها فلسفة روحية كحل بديل لإشباع النفس المفرّغة من الإيمان بالله - ﷻ - والباحثة عن الحق، وتقديمه للبشرية على أنه مذهب يدعو إلى الفضيلة والتصوف والرهبانية، ونبد الشهوات والأنانية وحب الذات.

وأمام المنهج المادي وآثاره في الجمود الروحي والعاطفي وحاجة النفس البشرية لتغذية الجانب الروحي والمتعطشة لذلك، سارع فلاسفة الحضارات على مدى تاريخ البشرية إلى الدعوة لاستصلاح الجانب الروحي لدى الإنسان، وخرج الفكر الإنساني القديم بشتى أنواع من التصورات والمعتقدات حول الاستصلاح الروحي، وساهمت الغنوصية الحديثة بنشر تلك التطبيقات تحت دائرة العلاج ومنها: "العلاج بحقول التفكير"، أو "العلاج بتحرير الأحاسيس"، والحق أن هذه الممارسات مرتبطة

(١) انظر: الموسوعة الشاملة للروحانية: د. علي العبيدي، ص ٣١.

(٢) انظر: الباراسيكولوجي "القوى الروحية": ماهر يسري، ص ١٧.

بعقيدة الطاقة الكونية، التي هي أساس فلسفي مهم في الديانات الشرقية، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكر الملحد المنكر لله - ﷻ -، وتقوم بتقديم تصورات بديلة عن عقيدة الألوهية^(١).

ذلك لأن قضية الألوهية تعد من القضايا المهمة التي تتمحور حولها كل الفلسفات والأفكار التي مرت على الفكر البشري طوال فترات تاريخها العتيق، وتناول الإنسان لهذه القضية كانت إما على وجه السلب أو الإيجاب، وإن المتتبع والمتابع والباحث حول الدراسات الروحية ليجد أن تلك الدراسات ناقشت الفلسفة الروحية كمبدأ لسبر أغوار الحياة، ومن ثم إيجاد نظرة حول الحياة المستقبلية لما بعد الموت، يمكن للعقل الإنساني أن يتقبله ويرضخ له في ظل البعد عن الحديث عن الإيمان بذات عليا!؛ وبالتالي فإن الحديث عن الإيمان بقضية الألوهية لا تعتبر ذات أهمية قصوى عند أولئك الباحثين، بل إن جُلَّ تلك الدراسات هي إلحادية بحتة ناقشت قضية الروح من منظور فلسفي، انطلاقاً من إيمانها بالفلسفة المثالية كمنهج واقعي يضمن تأطير الحياة ضمن القيم الأخلاقية.

وإن من التصورات البديلة التي حاولت الغنوصية تقديمها كبديل يسمح لها تحرير النفس البشرية من سجن المادة إلى حرية الروح هي من خلال إحيائها لفلسفة الطاقة الكونية وما تمثلها من محور مهم نحو فهم فلسفة الحياة من خلال النظرة الفلسفية نحو الكون، والمتمثلة في الـ "يانغ"، المنبثقتان من **الجوهر الكلي**، وبالتالي فإن كل ما في الوجود من مظاهر الين واليانغ ما هو إلا تجل للجوهر الكلي.

ويختلف اسم ذلك الجوهر الكلي من بلد إلى بلد، ومن لغة إلى لغة، ومن تطبيق إلى تطبيق، فهو عند الغنوصية القديمة "النور الأعلى"، وهو "الطاو" في الديانة الطاوية، و"براهما" عند الهندوس، و"العقل الكلي" عند فلاسفة الإغريق^(٢).

ولو تأملنا أكثر وتبعنا التاريخ لنجد أن الفلسفة الروحية كانت متفشية في المجتمعات البدائية؛ إذ الخوف من الكوارث الطبيعية وأمنيات حفظ المحصول الزراعي من التلف كانت هي الأداة الأهم لتبني الفلسفة الروحية لفهم هذه الحقائق، والتي فسرتها فلسفة الطاقة الكونية وأعطت تصوراً ومنهجاً شاملاً لكل ما هو ميتافيزيقي ولا يخضع للحجة والبرهان.

(١) انظر: الحرية النفسية، العلاج بحقول التفكير: فوز بنت عبد اللطيف كردي، "مقال"، متاح على موقع طريق الإسلام، "<https://ar.islamway.net>".

(٢) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص ٢٢-٢٣.

والإنسانية وإن كانت قد وصلت إلى الآفاق، بفضل ما أنعم الله عليها من ثورة علمية غير مسبوقة في التاريخ البشري، ورأت بفضل تلك الثورة العلمية من آيات الله الدالة على عظيم قدرته، وبديع صنعته، وبدلاً من أن تهتدي بتلك الآيات إلى معرفة الله - ﷻ - وتحقيق توحيده، عادت بفكرها لتحيي التراث القديم، وتكرر مقولات الفلاسفة السابقين؛ فتبنت المفاهيم الفلسفية وآثارها الناتجة عنها، وروّجتها ضمن الاتجاه الإلحادي الروحي^(١)، وتبني فلسفة روحية بعيداً عن الحديث عن الإيمان بوجود الله مهم في نظر هذه المدرسة، وخاصة إذا ما أدركنا أن المناهج الفلسفية الحديثة بماديتها وإلحادها قد أنهكت الإنسان، وبات الجانب الروحي المتأصل في النفس والمفطور عليه ومتعطشاً لتغذيته، وهو في نهاية المطاف يهدف إلى تحقيق الحرية النفسية، فلم يكن ثمة موقف إلا بالعودة إلى تعزيز الجانب الروحي بعيداً عن الحديث عن الإيمان بوجود الله، وهذا الأمر لن يتحقق إلا بالعودة إلى النظريات الفلسفية القديمة ونظرتها للكون!، وهذا كان له دور كبير في نشر ثقافة الحرية النفسية بتطبيقاتها المختلفة في العصر الحديث، ولا سيما محاولات رائدة الفكر الروحي الحديث "مدام هلنا بلافاتسكي - Mrs. Helena Blavatsky" والتي تبنت نشر الفكر الباطني الحديث، وأسست لذلك جمعية أسمها الـ "ثيوسوفيا"، وتهدف إلى تقديم الحكمة الخالدة و"الحكمة القديمة" و"دين الحكمة" و"الفلسفة الأبدية" والعقيدة السرية"^(٢)، في شكل معاصر، وهذه الحكمة هي التي تقوم عليها أديان العالم وعلومه وفلسفاته^(٣)، والتي تتمحور حول الحكمة الإلهية والمعرفة الغامضة التي تشكل الأساس لجميع النصوص المقدسة والأديان الظاهرية^(٤)، فهي المنقول الغيبي الذي يتناول المسائل والقضايا المتعلقة بصيرورات الطبيعة ونواميسها الخفية، ويتضمن دراسة المبادئ الإلهية الكبرى المهيمنة على الكون والمسيرة له^(٥)، وبمعنى أعمق فهي معرفة القوانين المكونة للطبيعة والإنسان التي

(١) الإلحاد الروحي: مصطلح يقصد منه إنكار الإله، والإيمان بتأثير الأرواح، ويرد العناية الإلهية التي تلك الأرواح، بعكس الإلحاد المادي اللاديني، فهو اتجاه انتقائي يعتمد على مزيج من مفاهيم الديانات الشرقية والوثنيات القديمة والفلسفات الغربية الملحدة، ويتبنى دعوة إحياء الطقوس الروحية القديمة والتي تميزت بها الأديان الشرقية، والأنماط الاجتماعية التي كانت سائدة في العالم مثل طقوس الشامانية والهنود الحمر وسكان جزر هواي في قوالب عصرية، وصورة تطبيقات حياتية أو رياضية أو صحية. انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة: د. فوز كردي، ص (١١ - ١٢).

(٢) انظر: الثيوسوفيا، دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوسوفي الحديث: مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ١=١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص ٣١.

(٣) انظر: الموقع الرسمي لجمعية الثيوسوفي الأمريكية: www.theosophy.org.

(٤) انظر: The Key to Theosophy, Blavatsky:245.

(٥) انظر: الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة: ديميتري أفبيرنوس، متاح على موقع معابر: (www.maaber.org).

تحكم التطور المادي والنجمي والنفسي والفكري، وهي دين علمي وعلم ديني^(١)، في غطاء فلسفي باطني سري تمثل لدى معتنقيه والمهتمين به الصورة النهائية والنموذج الأمثل التي يجب أن ينتهي إليها أتباع كل الديانات؛ لأنها هي جوهر كل الأديان، وحصيلة المعرفة والحكمة التي يقوم عليها الكون، وعلى أساس أن "كل موجود يحيا ويتحرك من قبل النفس أو الروح الكونية"^(٢)، وفي النهاية هي جوهر الحقيقة المطلقة الذي نبعت منه أصول الأديان^(٣)، مع رفضهم القبول بأي من الديانات التوحيدية فيما يختص بمسألة الإله.

إن الحقيقة المطلقة التي تنادي بها مدرسة الإلهاد الروحي ولا سيما الحركة الثيوصوفية الحديثة وما توصلت إليها من مفاهيم استسرارية، ومبادئ باطنية حول معتقداتها، نجد أن تلك الحقيقة المطلقة التي ينادون بها ماهي إلا تلك المعاني التي يقصد بها القول بوجود مطلق هو الجوهر الكوني، والجوهر الإلهي، والجوهر الواحد أو المتجاوز باعتبار أنه الجوهر الداخلي الذي يكمن في باطن كل شيء، والكينونة الواحدة ويفهم في العقيدة السرية بأنه الفراغ المطلق الذي يعجز أي فكر بشري عن سبره أو تكوين أي تصور عنه، ومن جهة أخرى فهو يمثل الوعي الطليق غير المحدود ويرمز لها بالنفس العظيم، والقوة الكامنة الذي يكمن داخل الشكل الخارجي، والعقل العالمي والطاقة والمطلق والمجهول^(٤).

والممتع لهذه المعاني يجد أن تصور الثيوصوفية الحديثة حول الإله ما هو إلا خليط ومفاهيم سابقة حول الآلهة التي أنشأها الإنسان على صورته وشكله في الفكر الشرقي القديم، ولا يرفضون الإله بوصفه الكينونة المطلقة والمجردة، مع اكتفائهم بهذا الموقف وحرصهم على توعية أتباعهم على عدم الخوض في مثل هذه القضايا سوى المشاركة في التجارب الروحية التي يخوضونها، وتحقيق مبدأ الحرية النفسية من خلال دعوتهم إلى التعرف على الجوهر الكوني من خلال التجارب الروحية واستكشافه بأنفسهم^(٥)، بجانب رفضهم القاطع نحو فكرة إله شخصي، أو مفارق للكون، أو حتى مجسم^(٦)، وإن

(١) انظر: The Ocean of Theosophy , William Q. Judge: Chapter =1.

(٢) انظر: .The Theosophical Glossary, Blavatsky, 282, and The Key To Theosophy, Blavatsky, 38-39.

(٣) انظر: the secret doctrine, Blavatsky, Vol.1, ii, and The Theosophical Glossary, Blavatsky, 302, and Ibid,40.

(٤) انظر: الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة : ديميتري أفبيرنوس، متاح على موقع معابر: (www.maaber.org).

(٥) انظر: الثيوصوفيا: دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث: مريم عنتابي: ص ١٣٥.

(٦) انظر: .The Key to Theosophy, Blavatsky:42.

هذه المعاني واضحة في بيان هذا المعتقد الباطل والذي لا يمكن في أقل أحواله أن يرتقي إلى فهم الإله على النحو الموجود في التصور الإسلامي خصوصاً وتصور الأديان السماوية التوحيدية عموماً.

إن الباطنية الحديثة حين اعتمدت مصادرها على أصول الفكر الباطني القائم على النظريات الفلسفية والديانات الشرقية، ومصادرها من المعرفة المنقولة والمتوارثة عبر الحضارات المتجذرة في التاريخ الإنساني العتيق، والمذاهب الفكرية بمشاربها المختلفة، ومن الاستبصار والحدس والمعرفة الغامضة والقوة الروحية الخفية وامتلاكها وتحضيرها وتسييرها لخدمة البشرية، وتحقيقها للحرية النفسية؛ فإن من آثار تلك الحرية النفسية على النفس البشرية المتأثرة بالاتجاه الغنوصي العرفاني، والبعيدة كل البعد عن الإيمان بذات عليا أو حتى النهل من معين الوحي ومنهج النبوة الصحيحة:

✿ الإيمان بأزلية الأرواح والاعتقاد بتأثيرها على البشرية والكون:

الإيمان بأن الأرواح البشرية حين تغادر أجسادها تبقى على ما هي عليها من صفات طيبة أو خبيثة، وإيمانهم بهذا المبدأ دفعهم إلى تفسير الغيب تفسيراً مادياً؛ ففسرت الأرواح على أنها أرواح خيرية وأخرى شرانية، وأن أرواح البشر إذا كانت خيرية؛ فإنها تتحول إلى كونها ملائكة، أو أنها تصطف بجانب الملائكة، وتكون من جنودها، وإن كانت شرانية فإنها تتحول إلى كونها شيطانية، أو أنها تصطف بجانب القوة الشيطانية، مسخرة نفسها في خدمتهم، وهكذا فإن الكون في صراع دائم مع الخير والشر، حتى يتغلب الخير على الشر، ويسود العالم الأمن والسلام حين ترتقي البشرية بوعياها الروحي، وتستمد معرفتها من العالم الروحي^(١).

✿ الاعتقاد بالجسم الأثيري.

الجسم الأثيري هو أحد الأجسام السبعة في فلسفة الطاقة الكونية^(٢)، وعلاقة الجسم الأثيري بالفلسفة الروحية علاقة باطنية ذات مغزى إلهادي يؤصل لفكرة أفلاطون حول النظرية المثالية، فالجسم الأثيري يمثل عالم المثل والروح والحقيقة، بينما يمثل جسد الإنسان عالم الوهم والمادة والصورة

(١) فكرة الصراع الكوني بين الخير والشر هو ما يعرف بالثنوية الكونية، انظر: الرحمن والشيطان؛ الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات الشرقية: فراس السواح، ص (٢٥).

(٢) سبق الحديث عن الجسم الأثيري، راجع الفصل الأول: المبحث الثاني: مطلب طبقات الجسم الأثيري. راجع ص

المستنسخة من عالم المثل، ويرتبط الجسم المادي بالجسم الأثيري عبر ما يسمى بالحبل الفضي أو حبل الحياة، ومن أهم وظائف هذا الحبل امداد جسم الإنسان بالطاقة الكونية المستمدة من عالم الأثير^(١)، ولها خاصية الانسياب والتدفق، فتعطي للأجسام البدنية قوة الحياة، والصحة، والروحانية، والحب والسعادة، ويكون حظ الإنسان من هذه الطاقة بحسب فهمه وتصوره لها، وتطبيقه لتعاليمها وتمارينها ومنهجها في حياته، عندها تتدفق الطاقة الكونية داخل الجسم الأثيري مانحة إياه طاقة روحية هي طاقة قوة الحياة^(٢).

❖ الإيمان بفلسفة الشاكرات، وبأسرارها وتأثيراتها على الإنسان.

ومن آثار الحرية النفسية على النفس البشرية الإيمان بفلسفة الشاكرات وتأثيرها على الإنسان، وتنشيط هذه الشاكرات وتفعيلها تتم عبر ترديد صيغ "المانترا" المقدسة، وهذه الشاكرات هي منافذ الاتصال بالطاقة الكونية الواقعة على الجسم الأثيري، وتعتبر هذه الشاكرات ممرات لدخول الطاقة، وحركة دخول وخروج الأجسام الأخرى البدنية والعاطفية والعقلية والروحية حسب ما هو موجود في فلسفة الأجسام السبعة.

ومن خلال هذه الشاكرات تتدفق الطاقة الكونية المتصرفة بالخصائص الإلهية! إلى داخل الجسم، مانحة للإنسان الحياة والصحة والسعادة الروحية^(٣).

وهذه الشاكرات لها أسرار لا يعرفها إلا رجال المعبد والذين يملكون السلطة الكهنوتية، وأولئك الأشخاص الذي مارسوا الرياضات القوية والحمية الشديدة، وواظبوا على التمارين الروحية من التأمل التجاوزي والتنفس التحولي في الأماكن النائية والكهوف المظلمة والجزر البعيدة، ومعرفة أسرار

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط ١=٢٠١١م، ص (٣٧-٣٨)، وانظر: الحاسة السادسة قوة تأثير العقل على الأشياء المادية، د. ماهر يسري، ص ٥٠، وانظر أيضاً: أسرار الطاقة لحكم الزمان: ص(١٨١-١٨٢).

(٢) انظر: المذاهب الفلسفية الإلهادية الروحية: د. فوز كردي: ص ٢٦.

(٣) انظر: التاو-لاو-تزو، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، ص ١٦، وانظر: التاو: لاو - تزو، صياغة عربية للنص: فراس السواح: ص (٩)، وانظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه السيد، ص (١١)، وانظر: طاقة الكون بين يديك: مهى نور، ص(١٦)، وانظر: تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة د. محمد حمود، ص(٣٠٣-٣٠٣)، وانظر: التخاطر: يوسف الشرفاء: ص(١١)، وانظر: الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال: ص(١٣)، وانظر أيضاً: قصة الحضارة: وليام جيمس ديورانت، (٤م/ص٢٧)، وانظر: أعمدة اليوغا الثمانية لغطاس الحكيم: ص(٢٠٠)، وانظر: مبادئ العلاج بالطاقة: عبد التواب عبد الله حسين، ص(٩١).

الترميزات تعتمد على تلك الممارسات وإلمام الشخص بها، ومعرفته على الطرق التي يستطيع من خلالها فتح الشاكرات وتنظيفها وطرد الطاقات السلبية، وبالتالي يستطيع إحداث الفارق الروحي على نفسه أولاً، ثم على الآخرين من قدرة التأثير والتصرف في الأشياء والأشخاص والحوادث بطريقة مذهلة^(١).

❖ الاعتقاد بالتطور الروحي.

من آثار الإيمان بفلسفة الأجسام السبعة، وتأثير الجسم الأثيري على حياة الإنسان، ونتيجة الإيمان بأسرار الشاكرات والاعتقاد بتأثيرها؛ ظهرت فكرة التطور الروحي، وفي القدم كان مقتصرًا على بلوغ الإنسان مرحلة الاتحاد مع "المطلق الكلي"، أو بلوغ مرحلة الفردوس المادي والحديث مع الذوات الإلهية كما في فلسفة الزن، وفي الفكر الشرقي القديم هناك اعتقاد سائد في كل التصورات الدينية التي بلغها الفكر البشري حول تناسخ الأرواح، وتطورت الفكرة حديثاً مع التطور العلمي وثورة المكتشفات الحديثة؛ فسارع أرباب الإلحاد الروحي إلى سرعة ربط منهجهم بتلك المكتشفات؛ لعلّ وعسى أن يجدوا على الأقل مستنداً ظاهرياً يمكن لهم أن يستندوا عليه مانحين لفلسفتهم صفة شرعية تكتسي بالعلم والمعرفة!.

وأصبح من السهولة بمكان الاستناد على صحة نظرياتهم من خلال التجارب البحثية والنظريات العلمية، ولا سيما النظريات الفيزيائية كنظرية الحقل الموحد، وهي نظرية افترضها العالم الفيزيائي "آينشتاين"^(٢) وحاول من خلالها إيجاد قانون موحد يحكم القوى الأساسية والتفاعلات بين الجزيئات الأولية، إلا أنه لم ينجح في التوصل إلى إيجاد قانون يفسر التفاعلات المادية^(٣)، ونجد أن الإلحاد الروحي استغل هذه النظرية في سبيل الترويج لمعتقداته الباطلة من خلال أن العالم يحكمه نظام واحد يتحكم فيه ويتفاعل من خلاله، وهي الطاقة الكونية التي تسري داخل الجسم، ويتوصل المرء من خلاله إلى إدراك الحقائق الكونية والاتصال بالقانون الكوني.

(١) انظر: المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية: د. فوز كردي: ص(٢٦-٢٨).

(٢) آينشتاين: ألبرت آينشتاين، ولد لأسرة يهودية عام (١٨٧٩م)، ونشأ وترعرع وتدرج في التعليم، كتب مقالته الأولى وهو في السادسة عشر من عمره بعنوان: "بحث حالة الأثير في مجال مغناطيس"، وهي المقالة التي لعبت دوراً أساسياً في حياته العلمية، أذ أدت أبحاثه اللاحقة إلى اكتشاف نظرية النسبية، وهي النظرية التي ألغت فرضية عالم الأثير، فاز بجائزة نوبل في الفيزياء عام (١٩٢١م)، وتوفي عام (١٩٥٥م). انظر: عبقرية البرت اينشتاين: يوسف أبو الحجاج، ص (١١ وما بعدها).

(٣) انظر: التطبيقات المعاصر: ص٢٢٦.

ومن النظريات التي استغلت للترويج للإلحاد الروحي نظرية الذبذبة والاهتزاز، وإذا كان كل شيء في الكون يتذبذب ويهتز؛ فإن الروح أيضاً لها درجة من الذبذبة والاهتزاز، ويمكن للإنسان أن يرتقي بروحه من خلال رفع ذبذباته ويتصل بالعالم الروحي المتسم بخفة الذبذبات، وترويج هذه النظرية ترويج للكذب والدجل الحاصل في غرف تحضير الأرواح، وإضفاء نوع من الشرعية حولها؛ إذ يحاول العنصر البشري من رفع ذبذباته ومن خلال تقليل العناصر المادية في تلك الغرف، فيما يحاول العنصر الروحي أو ما يسمى بالمرشد الروحي الاتصال بالعنصر البشري فتتم الاتصال ويتم تحصيل العلم والمعرفة والارتقاء الروحي!.

موقف مدرسة الإلحاد الروحي من قضية الروح قائم على الإيمان بعالم الأثير، وهذا العالم له من الخصائص والصفات ما تجعله مؤهلاً لأن يحل محل الإله، وهم بذلك قد عاجلوا مسألة الفراغ الروحي المفتقر للإيمان بالله -ﷻ-، ولم يكتفوا بذلك؛ بل ذهبوا إلى الإيمان بالكائنات الروحية القادمة من عالم الأثير، ودورها في التأثير على العالم عموماً وعلى العنصر البشري خصوصاً، والهدف الأسمى من كل ذلك الوصول نحو عالم يسوده السلام والألفة والمحبة بعيداً عن الصراعات الدينية!، والاختلافات العقائدية، لتنصهر كل تلك الاختلافات في بوتقة واحدة هي دين الإنسانية، أو الفلسفة الإنسانية الكونية القادرة على نفع البشرية، والارتقاء بهم نحو السمو الروحي!.

إن الروحية بنظرياتها التي تؤمن بها؛ والتي عزتها إلى المكتشفات العلمية، وما تمخض عنها من تطبيقات ما هي إلا محاولات يائسة لإثبات العالم غير المنظور من خلال المنهج التجريبي، وقد دأب دعاة فلسفة الطاقة الكونية على هذه المحاولات؛ وإن المتأمل في حقيقة الظواهر الروحية المختلطة بتلك النظريات التجريبية ليجد محاولات التلفيق والخلط العجيب بين عالم الغيب وعالم الشهادة، ومن الخطأ قياس ما هو في عالم الشهادة بما هو في عالم الغيب، وأن هذه التطبيقات يشوبها الكثير من المعتقدات والأفكار الباطنية والتي تستهدف بالدرجة الأولى: المعتقد الإسلامي الواضح في أهدافه، والشامل في منهجه، والمتزن في تطبيقه.



المطلب الثالث: التأمل الكوني، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية، وأثره على الحرية الفكرية.

● معنى التأمل في اللغة:

التأمل في اللغة من مصدر "أمل"، ومعناه: التثبت والانتظار، ويقال: تأمل الشيء؛ نظر إليه مستبيناً له، فيكون المعنى هو التثبت في النظر^(١)، إذا حدَّق نحوه، وتدبره وأعاد النظر فيه، مرة بعد أخرى ليتحقَّقه^(٢).

● معنى التأمل في الاصطلاح:

هو حالة من الاستغراق الذهني القائم على التفكير العميق والتركيز والانتباه، والملاحظة الداخلية للحالات الشعورية أو الانفعالية التي يحسُّ بها^(٣)، فيستسلم لما يمرُّ في خاطره من معانٍ وأفكار، تجعله يغفل عن الأشياء الأخرى، بل عن أحوال نفسه^(٤).

بمعنى آخر: فإن التأمل هي حالة ذهنية واعية يكون فيها الفكر مستسلماً لذكريات وصور مُبهمه^(٥).

وقد يطلق التأمل بمعنى استغراق الفكر في موضوع ديني^(٦)، فيكون الشخص المستغرق بفكره متأملاً يقضي وقته في التأمل^(٧).

● المراد بالتأمل الكوني وفق المفهوم الفلسفي للطاقة الكونية:

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن مسلك التأمل هو المسلك الذي يتجه من خلاله الفرد نحو الحرية الفكرية؛ ذلك لأن المتأمل حين يستغرق بفكره في موضوع ديني معين؛ فإن ذلك الموضوع من

(١) انظر: العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، (٨م/ص ٣٤٧)، وانظر: معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، (١م/ص ٦٠)، وانظر: مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥ = ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) انظر: تاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (٢٨م/ص ٢٧).

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١/١٢٠).

(٤) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: (١/٢٣٣)، وانظر: المعجم الفلسفي: مراد وهبة، الناشر: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٥ = ٢٠٠٧م، ص ١٥٨.

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١/١٢٠).

(٦) انظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: (١/٢٣٣).

(٧) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١/١٢٠).

خلال الفكر الشرقي القديم قائم على التأمل في الثنائيات الكونية، ومراقبة الفرد لتلك الثنائيات، حينها يدخل الناسك أو المتأمل في عملية إفراغ النفس، وتحرير الفكر من كل شيء، والدخول إلى اللاشيء، في حالة انزواء داخلي يعبر عنه بالسكون والصمت^(١)، يساعد على تعميق فهم القوى المقدسة^(٢)، والتوجه نحو الوعي الصافي وتحقيق الـ"نيرفانا"، من خلال التركيز، والتنفس المسترخي، والجلوس الهادئ، والوضع المريح، وترديد صيغ المانترا المقدسة، وهي تعويذات خاصة بالمتأمل، يتحول فيها شعور الفرد بصورة متزايدة إلى إدراك ما فوق الماديات، وإلى عالم الحقيقة السامية أو العالم المجرد^(٣)، ومن ثمّ تحصيل لون من المعرفة، وهي المعرفة الباطنية، ولفهم هذه المعرفة علينا أن نفهم حقيقة التأمل الكوني من منظور فلسفة الطاقة الكونية.

مفهوم التأمل الكوني من منظور فلسفة الطاقة الكونية:

التأمل الكوني من مفهوم فلسفة الطاقة الكونية ليست إلا رحلة الوعي تجاه النفس حيث تقوم بالسفر من الجسد إلى العقل، ومن العقل إلى الفكر، ومن الفكر إلى النفس و ما وراء ذلك^(٤)، بحثاً عن القوة الكامنة في النفس والتي ينظر إليها على أنها قوة إلهية حسب التصور الفلسفي لها، وبالتالي فإن التأمل هي: طرق باب النفس لبلوغ ما وراء النفس، بغية تحقيق الذات، هي مسعى الإنسان منذ وجوده^(٥).

ويحاول "أوشو" أن يقرب الصورة أكثر للقارئ العربي فيفسر التأمل بأنها عملية إفراغ الذات من أي محتوى، حتى لا تتزاحم الأفكار داخل النفس، وحده يكون السكون، السكون هو التأمل، ستتعرف إلى الحقيقة، ولا تجعل التأمل هو التفكير في الحقيقة، ثم يحذر هذا القارئ من أي محاولة للتأمل حول الإله!، فيقول: كيف تمارس التأمل حول الإله وأنت لا تعرف عنه شيئاً، كل ما تعرف عنه هو ما أملاه غيرك عليك، من خلال التأمل سينجلي الغموض المسيطر على الحقيقة، ولا حاجة

(١) انظر: ألف باء التنوير "القاموس الروحي لكل الأزمان": أوشو، ص (٣٩-٤٠).

(٢) انظر: التأملات عمقها وأنواعها: مقال منسوب للبابا شنودة الثالث، متاح على موقع: (www.st-takla.org).

(٣) انظر: التأمل للمبتدئين: د. ستيفاني كليمنت، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣= ٢٠١٠م، ص ١٩.

(٤) انظر: بحث "سبيلي" حول العلاج بالطاقة: رامي عفيفي: متاح على موقع: سبيلي (<http://sabeily.org>).

(٥) انظر: التأمل والتمعن: بقلم ج ب م "جوزيف بوجدلاني"، تعريب: لجنة الترجمة في الإيزوتيريك، منشورات: أصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت، لبنان، ص ٢٣.

لأن تجد شخصاً ما يساعدك كي تجد الإله؛ إنك فيه بالفعل، ولم تكن بعيداً عنه مطلقاً، لا يمكنك الابتعاد عنه، ليس هناك مكان آخر تذهب إليه، وليس هناك شيء آخر تكونه!، التأمل هو السر الكامن فيك، هو النور داخل كينونتك^(١).

ويعبر "دافيدجي" عن حالته مع التأمل ويصفها فيقول بأنها السكون العميق، والتحرر من الأفكار، لإدراك العديد من اللحظات الكونية في الجلسة التأملية، إنها حالة نقل العقل (الدماغ) من الحالة الراهنة من النشاط إلى حالة اللحظة الراهنة التي تشهد الوعي، هذا الوعي هو الطريق الموصل للطاقة الإلهية الكامنة في داخل النفس، والواصل إليها سيشعر بالقوة المطلقة، شعور من شأنه تحصيل خبرة التفرد المطلق للكون^(٢).

وإذا أدركنا حقيقة التأمل الكوني، أدركنا حينها حقيقة المعرفة السامية التي يتشدد بها دعاة التأمل المتأثرين بالطاقة الكونية، وأنها ليست إلا حالة من حالات التحرر الفكري الذي يصاحبه شعور الاتصال بالجواهر الكلي المطلق لتحصيل العلم الباطني، من خلال عملية الاستغراق الذهني للإنسان، والاستسلام للذات عبر ملاحظة الحالة الداخلية للنفس بتفكير عميق مصحوب بقوة التخيل، ووعي ذهني يقظ وهيئة جسدية خاصة، تساعد على عملية الإيقاع التنفسي، والتناغم الكوني بين الذات الإنسانية والقوة المقدسة السارية في الكون، وينظر إليها على أنها صورة من صور تجليات "الجواهر الكلي المطلق"، ويستمد المتأمل من هذه القوة المقدسة الطاقة الكونية إلى داخل الجسد، فتبعث "النشوة الداخلية" الكامنة في النفس يصاحبها شعور بإيقاظ "الأفعى الكوندالينية"^(٣).

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا عن ماهية هذه التأملات وحقيقتها، وعن دور الفكر البشري القديم في صياغتها نحو إطار فلسفي يقدم للإنسانية نوعاً من المعرفة، وهل هذه المعرفة معرفة حقيقية أم هي ضرباً من التخيلات الشيطانية القائمة على الوهم والخرافة؟.

(١) انظر: ألف باء التنوير: أو شو: ص ٤٠، والتحول التان تري: أو شو: ص ٢٠٨.

(٢) انظر: أسرار التأمل الدليل العملي إلى السلام الداخلي والتحول الشخصي: دافيدجي، ترجمة: حسين محمد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١= ٢٠١٤م، ص (٩-٢٩).

(٣) الأفعى الكوندالينية: مفهوم فلسفي مرتبط بفلسفة الشاكرات، ويعتقد أنها كامنة وملتفة حول أسفل العامود الفقري، وهي في حالة ركود على شكل أفعى، تلتف حول شاكرا الجذر، مفتوحة من الأعلى، استعداداً لاستقبال أو إطلاق طاقة الكونداليني، والهدف من هذه الممارسات البوذية الباطنية هو تحويل الطاقة الساكنة الداخلية لتكون وسيلة للتطور الروحاني، وللمزيد حول الموضوع يمكن مراجعة الفصل الثالث من هذه الرسالة، والمخصصة للتطبيقات، راجع ص(٣٥٤).

إن فلسفة الطاقة الكونية حين أصلت لقضية حلول الإله داخل النفس الإنسانية، استناداً على النظرية القطبية الكونية والتي جعلت من مهمتها الحفاظ على ديمومة الحياة واستمرارية الخلق، ومن هذا المنطلق الفلسفي استطاع الفلاسفة ومفكرو الفلسفة الشرقية أن يوجدوا علاقات ترابطية تجمع الإنسان بالطبيعة والكون. وبالتالي فإن الوسيلة الموصلة لقضية حلول الإله داخل النفس تكمن من خلال خوض تجربة إفراغ النفس من أي محتوى، والدخول في حالة سكون داخل النفس، هذا السكون هو ما يعبر عنه بالتأمل الذي يوصل الفرد إلى معرفة الإله الكامن في داخل النفس^(١).

وحده التأمل هو الذي يساعد الإنسان على التعرف والإحساس بالطاقة الكونية الكامنة في النفس، ومن خلال التأمل يستطيع الفرد بأن يتعرف عليها، والإحساس بها، ومن ثمَّ التحكم فيها والسيطرة عليها، عندها يستطيع الإنسان أن يتحكم في أفكاره وسكناته، والوصول إلى هذه المرحلة من وجهة نظر فلاسفة الطاقة الكونية تكاد تشعر الإنسان بحالة من النشوة الداخلية التي يصاحبها الشعور بأن هذا الفرد المتأمل هو جزء من هذا الكون يتحكم فيها ويدبر أمرها ويصل إلى مرحلة الحكمة في النظر إلى الأمور الحياتية العامة^(٢).

وإن المتأمل في الجذور الفكرية لفلسفة التأمل الكوني ليدرك بأن تلك الجذور ركزت على ثلاثة

عناصر رئيسية وهي :

١. طهارة النفس.

٢. آلية التفكير.

٣. قوة الذاكرة والتخيل.

وإذا أمعنا النظر في هذه العناصر الثلاثة الرئيسية أتضح لنا معالم فلسفة التأمل الكوني، وأنها ليست إلا مزيج من تصورات فلسفية عديدة نشأت في بيئات مختلفة عانت كثيراً من مسألة ازدواجية التصورات الدينية نحو المعبود، وكانت تلك التصورات بعيدة كل البعد عن مشكاة الوحي الإلهي. ولذلك نجد أن فلسفة التأمل الكوني توصل لموضوع طهارة النفس؛ وهذا مطلب مهم إلا أنه ما يعيننا في هذا الموضوع هو الوسيلة المؤدية إلى مسلك طهارة النفس؛ إذ تؤمن الفلسفة الشرقية عموماً والهندية منها خصوصاً بما فيها فلسفة الطاقة الكونية بفاعلية الشاكرات الموجودة في جسم الإنسان، وتأثيرها على السلوك الإنساني، وأنها هي الطريق نحو طهارة النفس لإدراك الحقائق والمعرفة من خلال

(١) انظر: ألف باء التنوير: أوشو، ص ٤٠.

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد: ص ٢٤.

النفس وفق التأمل الكوني؛ لأن فلاسفة الطاقة الكونية يفرقون بين الإنسان المتأمل الذي يرى الحقائق والتجليات الإلهية من خلال النفس، وبين الإنسان العادي الذي يدرك كنه الحقائق من خلال العقل الظاهر.

والعقل الظاهر عاجز عن إدراك الحقيقة، بينما النفس الطاهرة تستطيع أن تدرك الإلهام المباشر، والبصيرة التي يستشعر بها الفرد على رؤية الحقيقة داخل النفس، دون الاعتماد على العقل الظاهر، حينها يستطيع السيطرة على القوى والطاقات التي في داخله والتي تحيط به إذا ربط نفسه مع الطاقات الهائلة في عقله الباطن، وستصبح كل الأشياء ممكنة له^(١).

وفي سبيل الوصول إلى ذلك يمكن للفرد المتأمل أن يعيش تجربة تنشيط الشاكرات وفق ما هو مقرر حسب الفلسفة الهندية التي تقول بأن تنشيط الشاكرات تساعد كثيراً على ممارسة التأمل، وتنشيطها تتم من خلال عملية التنفس والاسترخاء، وتساعد هذه الشاكرات الفرد المتأمل على التعرف والإحساس بالطاقة الداخلية.

وأما العنصر الثاني: آلية التفكير، وهي المرحلة الثانية من عملية التأمل الكوني، وبعد أن يصل الإنسان إلى مرحلة طهارة النفس، والاحساس بالطاقة الكونية التي استطاع أن يسيطر عليها سواء الطاقة الكونية الكامنة في النفس أو المحيطة بها، هنا تأتي مرحلة آلية التفكير.

ويقصد بآلية التفكير معرفة كيفية عمل الطاقة الكونية وتوجيهها، وإمداد هذه القوة والطاقة الخفية التي هو جوهر الحياة بالأفكار السامية والتوجيهات وفق إرادة المتأمل^(٢).

ولكي تكون آلية التفكير سليمة وصحية فإن على المتأمل أن يتبع الخطوات التالية:

أولاً: على الفرد المتأمل أن يركز بفكره على مسألة معينة، هذا التفكير يولّد في المركز السابع (شاكرة التاج - الأبيض) طاقة خفيفة.

ثانياً: على الفرد المتأمل أن يجمع تلك الطاقة، بواسطة عملية التنفس (شهيق وزفير)، ويقوم بإنزالها إلى المركز السادس (شاكرة الجبين - البنفسجي)، وينتظر قليلاً حتى يرى أثرها على المركز الذي استقرت فيها تلك الطاقة.

(١) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه وجمان السيد: ص ٢٤، وانظر: التخاطر وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص ٢٦.

(٢) انظر: الوجود الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد: ص (١٩-٢١)، والتخاطر وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص ٣٠.

ثالثاً: عند الاقتراب عند المركز الخامس (شاكرا الحنجرة - الأزرق) يشعر الفرد المتأمل بالطرب والغناء، ويبدأ بتحريك شفثيه طرباً.

رابعاً: عند الوصول إلى المركز الرابع (شاكرا القلب - أخضر) يشعر الفرد المتأمل بحالة من البكاء، يصاحبه فرح.

خامساً: عند الوصول إلى المركز الثالث (شاكرا الضفيرة الشمسية - أصفر) يشعر الفرد المتأمل بالطمأنينة، وسهولة تحقيق الإرادة.

سادساً: عند الوصول إلى المركز الثاني (شاكرا العجز - برتقالي) وهذا المركز هو مستودع الطاقة الزائدة، والفرد المتأمل إذا وصل إلى هذه الشاكرا فإنه سيتذكر أشياء من الماضي تفيده في الحاضر والمستقبل.

سابعاً وأخيراً: عند الوصول إلى المركز الأول (شاكرا القاعدة - أحمر) فإن الفرد المتأمل سيشعر بقوة بدنية هائلة تمكنه من الوصول إلى المرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل التأمل الكوني وهي قوة التخيل والذاكرة، أو ما يعرف بالحاسة السادسة، أو العين الثالثة^(١)، وكلها مسميات لشيء واحد وهو القدرة الخارقة^(٢).

العنصر الثالث: قوة التخيل والذاكرة، ووصول الفرد المتأمل إلى هذه المرحلة يعني أنه وصل إلى مرحلة القدرة الخارقة، وهذه المرحلة تسبب في فتح العين الثالثة، ومن خلالها تتدفق الطاقة الكونية، ويتدفق البصر الروحي، ومن خلالها يتم نقل الصور الأثيرية للدماغ والإيحائيات، ورؤية وإحساس الأمور الخفية، بواسطة الترددات الأثيرية من وإلى جسد الإنسان.

وتسمى هذه المرحلة بالتخاطر، وهي انتقال الأفكار والصور بين البشر دون الاستعانة بأي شيء وبدون أي وسيط!. وهذه الظاهرة لا يحكمها لا مكان ولا زمان، وهي غريزة فطرية متطورة وتسمى أيضاً بالبصيرة.

(١) العين الثالثة: عين وهمي؛ يقع منتصف الجبين، وتحديداً فوق الحاجبين، وهو مفهوم فلسفي باطني، مرتبط بفلسفة الشاكرات، وتنشيطها يعني الوصول إلى الحاسة السادسة، وهي حاسة تتميز عن الحواس الخمس للإنسان العادي بكونها تظهر للمتأمل أشياء لا يراها الإنسان العادي بحواسه الخمس، وعملية التنشيط تتطلب بذل المزيد من الممارسة التأملية الباطنية، وتنمية الملكات الميتافيزيقية للوصول إلى الإنسان الكوني أو الإنسان الكامل، انظر: سر أسرار النانتر، خفايا الباطن، وسر الجوهرة المفقودة: أوشو، ترجمة: هيثم فوزي شقير، الناشر: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ١ = ٢٠١٦م، ص ٨٧.

(٢) انظر: الوجود الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد: ص (١٩-٢١).

من خلال العين الثالثة يمكن للفرد المتأمل أن يتحكم بالبصر، وأن يرى الهالة الأثيرية للإنسان، وأن يتواصل مع العوالم والكينونات الأخرى، كما أنه بإمكانه رؤية وإحساس المستقبل القريب والبعيد.

والوصول إلى هذه المرحلة يعني امتلاك القدرة الخارقة التي يمكن حصرها في التالي:

- ١ - القدرة على رؤية وتوقع المستقبل.
- ٢ - القدرة على قراءة الأفكار.
- ٣ - رؤية ومعرفة الحوادث في أماكن قريبة وبعيدة.
- ٤ - القدرة على تأثير العقل على المادة، فيكون بمقدوره تحريك الأشياء من مكانها.
- ٥ - القدرة على استحضار الماضي أو الرجوع إلى الماضي.
- ٦ - القدرة على رؤية الهالة حول جسم الإنسان^(١).

الأدوات المساعدة للقدرة على ممارسة التخيل:

الأداة الأولى: كثير من الفلاسفة الشرقية التي تؤمن بالتأمل تقوم بتصميم صوراً وهياكل تساعد الفرد المتأمل على قوة التخيل والذاكرة، وهذه التصميمات نابعة من التصور الفلسفي والاتجاه الديني لكل الذين يمارسون التأمل؛ ونجد أن الفلاسفة الصينية تدعو الفرد المتأمل إلى التركيز على الرمز الصيني للأنوثة والذكورة أو ما يسمى بالـ"ين ☯ يانغ"، وهي دائرة داخلها سمكتان، كل واحدة منها تشكل نصف الدائرة، لكنهما تلتقيان معاً، ويشكلان دائرة مغلقة، والفرد الصيني أو الذي يؤمن بحقيقة الـ"ين ☯ يانغ" وسرها في الوجود يمارس تأمله من خلال التركيز على هذا الرمز.

بينما نجد في الفلسفة الهندية أن التأمل يتم وفق ما يعرف بالـ"ماندالا"، وهي صورة لتصميم هندسي، الهدف منها مساعدة الفرد المتأمل على قوة التخيل والتركيز، وتساعد على إيجاد التوازن

(١) انظر: العين الثالثة/ الحاسة السادسة: د. إميل سمعان: متاح على موقع إميل سمعان الرسمي:

<http://www.emile4u.com>، وانظر أيضاً: الحاسة السادسة رحلة في عمق وعينا الكوني: د. أحمد توفيق

حجازي: ص(١٧ - ٢١).

الداخلي للنفس، وبشكل عام فإن تلك التصاميم الهندسية هي تخيلات تصور أيقونات دينية إلهية، أو تجسيد لشخصيات أسطورية تتصف بصفات إلهية، وكل منها يرمز لقوة معينة في حياة الفرد المتأمل^(١).



هذه القوة التي تساعد الفرد المتأمل في حياته وتأملاته هي رمز للقوة الإلهية المبتوثة داخل الكون، وهي التي تسبح في عالم الطبيعة، وهي التي تكمن داخل النفس وتحيط به، وكل ما يتوجب على الفرد المتأمل لتعزيز جانب التخيل لديه هو أن يضع ما يعتقد وسط الصورة، لإدراك حقيقة التجلي والحلول والاتحاد، وتحصيل العلم الإلهي والمعرفة الإشرافية.

ولذلك لا نستغرب أن نجد أن التأمل البوذي قائم على التأمل على صورة "سيدهارتا غوتاما" - بوذا، وهو الكائن الإلهي والمعبود في الفكر البوذي المتحرر، والماندالا البوذية التي استطاعت أن تجسد بوذا نفسه وسط الصورة التي تحيط به أشكالاً هندسية على غرار ما هو موجود في الفلسفة الهندية جعلت من التأمل وسيلة للاتصال ببوذا المستنير.

كذلك نجد أن هذه القوة الإلهية كانت حاضرة وبقوة في الفكر المصري القديم من خلال الفلسفة الروحانية التي قامت عليها المعتقدات المصرية القديمة، وهذه الفلسفة الروحانية قائمة على أربعة مبادئ وهي:

المبدأ الأول: الإله (المحتجب) هو رب كل شيء، الذي يتجلى في كل مكان، وفي كل شيء من خلال الكيانات الإلهية.

المبدأ الثاني: حين يفقد الإنسان الاستقامة يصبح مقيداً بالأغلال، وهي السبب في جهله بالإله.

المبدأ الثالث: الحب الإلهي هو الذي يحرر الإنسان من تلك الأغلال.

المبدأ الرابع: ممارسة التأمل تقود الإنسان لمعرفة ذاته، ومعرفة الإله.

(١) أفادني بذلك أحد الرهبان الهندوس أثناء رحلتي إلى الهند عام ٢٠١٦م.

والإنسان المصري القديم مارس التأمل الكوني وتوصل إلى الإيمان بوجود قوة غيبية لها القدرة على التأثير ما يفوق قدرته، والوصول إلى هذه القدرة تتطلب العيش في تناغم مع الحياة، وممارسة التأمل الذي يكشف تفاهة المتع الحسية وزوالها، حينها ينجح المتأمل في تحقيق السلام والتناغم الكوني مع ذاته أولاً، ثم الوصول إلى التنوير وهو يقظة الإنسان من غفلته، وإدراك الجوهر الروحي الكامن في كل شيء، والذي يربط كل شيء في الكون، وهو الجوهر الخالد الذي لا يعتره نقص أو تغيير، وهو جوهر كل الأشياء، وجوهر الإنسان، وهذا هو منتهى السعادة والسلام والقوة، وزهرة اللوتس هي "شتاوت نتر" أي اكتشاف الطبيعة الإلهية من خلال الممارسة التأملية واليوجا لمعرفة التجليات الإلهية ومعناها سعي الروح للوصول إلى نور الحقيقة وإلى الرضا التام والتناغم^(١).

ولقد حاول الإنسان المصري القديم أن يستدرك حقائق الكون من خلال عملية التوازن بين الجسد والروح، أو ما يعرف بتأمل الـ(مير كاه باه) ولحفظ قوة الحياة ومنح الجسم بالقوة الحيوية^(٢). وللسعي إلى إيجاد هذه القوة الحيوية اكتشف الإنسان في الحضارة المصرية القديمة الـ"ماندالا" التي كانت منقوشة على الألواح في المعابد والمقامات وغيرها، معتقداً أنها تساعد على التناغم مع الشكل الكلي للكون، وكانت هذه النقوش تمثل "زهرة الحياة"، وهي عبارة عن مجموعة من الدوائر المتداخلة تمثل التعاليم السرية الباطنية التي حاكها الفلاسفة القدماء حول العالم القديم، وأن كل المخلوقات تجلت منبثقة من الفراغ الكوني الكبير، وكل شيء تجلى انطلاقاً من فكر الخالق، وزهرة الحياة تمثل النموذج الهندسي الأكثر قدسية في الكون، والذي تجلت وفقه كافة أشكال الحياة^(٣).

وقد لعبت تلك الرموز والعلامات دوراً هاماً في بلورة حياة وفكر الإنسان المصري القديم، وارتبطت في كثير منها بالظواهر الكونية، وقد كانت لها أبعاد دينية وعقائدية ساهمت في وصول الفكر المصري نحو الوعي والتصوف^(٤).

هذا الفكر الفلسفي الإشرافي القديم أثر بشكل كبير على الباطنية الحديثة التي ركزت على هذه الـ"ماندالات"، ويتم الترويج لها بشكل كبير على أنها تساعد على الاسترخاء والصحة الجيدة، وهي

(١) انظر: الفكر الديني في مصر القديمة: أ.د. عبد الحليم نور الدين، إعداد: مهتاب درويش، الناشر: مكتبة الإسكندرية،

مصر ص ٣، وانظر: اليوجا المصرية: د. مواتا آشي، ترجمة: صفاء محمد، (ج ٢ ص ٢١ وما بعدها).

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: جمال المرزوقي: ص ١٧٠.

(٣) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: للمهندس: كريم أمير محمد: (٧٣ وما بعدها).

(٤) انظر: الفكر الديني في مصر القديمة: أ.د. عبد الحليم نور الدين، ص ١٠.

في حقيقتها عبارة عن طقوس دينية مختلطة من بيئات مختلفة وفلسفات عدة، ظلت لقرون طويلة حبيسة المعابد والسلطة الكهنوتية، واليوم يتم الترويج لها تحت مظلة الإنسانية كدين عالمي للبشرية كلها، وهي في أصلها معتقدات فلسفية وشروحات باطنية روحانية قديمة، وتهدف إلى استكشاف العالم الماورائي بواسطة قوة السحر والكهانة، وهي نتاج فلسفي قائم على الفكر البشري القاصر على امتداد الحضارة الإنسانية، وتلقفها اليهود يضاهئون بذلك قول الذين كفروا من قبل فيما يسمى عندهم بعلم الـ (كابالا)، وانتشرت في الغرب، وطبق مبادئها فلاسفة العصر الجديد، الذين يؤمنون بكل ما هو روحاني سواء من الروحانية الشرقية أو الغربية، ونجد أن تأملهم قائم على التركيز على شجرة الحياة التي تحتوي في وسطها نجمة سداسية.

ولقد تأثر كثير من المسلمين بفكرة الماندالا، ويتم الترويج لها في الوسط الإسلامي على أنها رياضة ذهنية تساعد على الاسترخاء والصفاء الذهني، وتعالج حالات القلق والتوتر، وأنها تساعد في تفرغ الطاقة السلبية، وتحقيق السلام النفسي والاسترخاء⁽¹⁾، ويروج كثير من المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية والذين يحاولون أسلمة تطبيقات الطاقة الكونية على وضع مصطلحات ورموز دينية وسط الماندالا، مثل وضع لفظ الجلالة -الله-، أو اسم الرسول محمد -ﷺ- -ﷺ-، أو آية قرآنية.



الأداة الثانية: لكي يكون التأمل سليماً وصحيحاً، ولكي يدفع بعقل المتأمل نحو حقول الجاذبية للمستويات الدنيا للوعي، ولكي يكون العقل الباطن أكثر صخباً، وأسهل وصولاً نحو العقل السامي، ولكي تتولد الطاقة الهائلة في النفس البشرية، فإن العملية التأملية لا تتم إلا من خلال

(1) تقرير صحفي أجرته صحيفة "HE HUFFINGTON POST" الناطقة بالعربية مع خبيرة اليوجا والماندالا: هنا كمال، صاحبة مركز (35B) لليوغا والتأمل بمصر.

التركيز الحاد على "المانترا"، والتي سبق أن وضحنا أنها تتصف بثلاث صفات: فهي نابضة تتصف بالنغم الإيقاعي، وذات ترنيمه واهتزاز، وذات معنى^(١).

وأصوات المانترا التي يقرأها المتأمل خلال تأملاته يقصد منها تفاعل العقل البشري مع الإيقاع النغمي، وبالتالي يسهل عليه التفاعل مع الذبذبات؛ إذ يدعي ممارسي التأمل بأن كل الإيقاعات النغمية تتذبذب عند تردد معين بانسجام فيما بينها، والإنسان المتأمل عندما يصل إلى الإيقاع النغمي الخاص به، ويتفاعل مع ذبذبات الطبيعة، فإنه سيصل إلى اللحن الخاص به، وعندها سيندمج العقل بالوعي الكوني اللامحدود، وهذا يعني التحكم الكامل للمشاعر الإنسانية، وليس هذا فحسب؛ بل والظواهر الطبيعية أيضاً، وينسب إلى كثير من المتأملين قدرتهم الخارقة في التحكم في الطبيعة وأنهم بإمكانهم إنزال المطر وتوليد الحرارة حسب إرادتهم^(٢).

وأصوات المانترا لها أسرار كما يدعي بذلك ممارسي التأمل الكوني، وهذا الأصوات تختلف من ثقافة لأخرى، إلا أن جميع المهتمين بهذه الأصوات في شتى الثقافات مجموعون على تأثيرها القوي ومفعولها اللامحدود على الشاكرات وعلى الجسم الطاقى للإنسان.

ومن هذه الأصوات في الفلسفة الهندية (أوم - ॐ - OM)، وهي تعويذة هندوسية مقدسة، والمتأمل في الفلسفة الهندية لا يكاد ينقطع لسانه عن ترديد هذا الصوت الذي يختص بفتح العين الثالثة، وتنمي له ملكاته الميتافيزيقية، كما تسبب للمتأمل أثر اهتزازي، تجلب له تجربة أعمق وأكثر فهماً^(٣).

وفي التأمل البوذي نجد أنهم يستخدمون صوت (أوم ماني بادم هوم - OM MANI PEDME HUM)، و(أوم) هي التعويذة الهندوسية المقدسة، و(ماني) هي الجوهر، و(بادم) زهرة اللوتس،

(١) للاستزادة والمعرفة أكثر عن المانترا يمكن مراجعة الفصل الأول: المبحث الثالث: ص ٥٠.

(٢) من أمثال هؤلاء كبير المتأملين في بلاط الإمبراطورية المغولية (تانسن)، ولقد أمره الإمبراطور المغولي (أكبر) أن يعزف (راجا) وهي الإيقاع النغمي التي طورها المعلم اليوغى الشهير (شيفا) قبل أكثر من سبعة آلاف عام، فاستطاع بفضل انسجامه مع ذبذبات الطبيعة بأن يحل الظلام داخل القصر والشمس ما زالت في كبد السماء، انظر: قصة الحضارة: وليم جيمس ديورانت، (م/٣ ص ٣٣٧).

(٣) انظر: الموروثات الخارقة: د. ديباك شوبرا و د. رودولف إ. تانزي، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي ومنال الخطيب، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٦م. ص ٢٠٧.

و(هوم) الروح المتنورة^(١)، وهذه الألفاظ تكاد أن توحي لنا معنى آخر وهو: أن المتأمل الذي يجلس على هيئة زهرة اللوتس يناجي الجوهر الكلي الذي هو حالُّ في تلك الزهرة بالتعويدة المقدسة (أوم) ويقول له نور روح هذا المتأمل!.

وللتسهيل على المتأملين في المعابد التيبية البوذية من استخدام التعويذة الشفهية، تم استخدام الصنوج الخاصة بالتأمل؛ وهي صنوج حديدية عندما يقوم راهب المعبد بالضرب عليها تصدر صوتاً رناناً مضبوطاً على نفس الصوت الكوني (أوم)، مما يصدر اهتزاز بتردد معين يحدث تأثيراً على المستوى الروحي للهالة وكذلك الشاكرات، فيتم التوازن مع الإيقاع الكوني على النحو الذي كانت لفظ (أوم) تعبر عنه^(٢).

الأداة الثالثة: ضبط الإيقاع التنفسي:

من أهم الأدوات التي تساعد على فهم حقيقة التأمل الكوني؛ هو ضبط الإيقاع التنفسي، وهي تقنية تساعد على الصلة بين التفكير والجسد، معتمداً على الإيقاع التنفسي، والتركيز على الإحساس بالزفير والشهيق.

إن ضبط الإيقاع التنفسي للفرد المتأمل يجعله قادراً على استقطاب الطاقة الكونية ومروره إلى داخل الشاكرات، وتنشيط هذه الشاكرات تؤدي إلى إيقاظ الأفعى الكوندالينية، وهي المسؤولة عن تغذية الفكر بالعلم والمعرفة الإلهية، وبلوغ الوعي الكوني والاستنارة^(٣).

كيف يحصل ذلك؟

يحصل من خلال ضبط الإيقاع التنفسي، المصاحب لترديد المانترا -الصوت الكوني- بالإيقاع النغمي، والتركيز على الماندالا، وضبط هذه الأدوات الثلاثة تسمح باستقطاب الطاقة الإلهية المبتوثة داخل الكون، ومرورها بالقنوات التي تصل بالشاكرات لكي تتحد بالقوة الكامنة في داخل الجسد، وتحديداً في شاكرة الجذر-العصعص-، تلك الشاكرة التي تعرف بحسب فلاسفة الطاقة الكونية

(١) انظر: مدخل إلى البوذية: كونراد ما يزيغ، "سلسلة في علوم الديان" بإشراف: عادل تيودور خوري، تعريب: المطران كيرلس سليم بسترس، الناشر: المكتبة البولسية، جونبة، لبنان، ط ١ = ٢٠١٠م، وانظر أيضاً:

Mantras associated with Avalokiteshvara (aka Quan Yin, Chenrezig) in Siddham, Tibetan (Uchen), Ranajana (Lantsa), Elvish, and Klingon". Retrieved 13 October 2015 (www.visiblemantra.org).

(٢) انظر: أسرار الطاقة الحيوية للمهندس كريم أمير محمد: ص ٧٠.

(٣) انظر: المورثات الخارقة: ديباك تشوبرا: ص(٢٠٦-٢٠٧)

والمهتمين بها بأنها مركز أسرار الحياة وسر الخلق، وحاوية العلوم والمعارف، وهي الطاقة الكونية الواحدة والموحدة، وطاقة تشكيل الحياة والخليعة، وهي موجودة في كل إنسان لا تتغير ولا تتبدل ولا تفنى.

وهذه الطاقة الكامنة في الذات الإنسانية تستيقظ عند ممارسة الفرد للأعمال الروحانية، فتبدأ بالنهوض والعمل، ولذلك فإن الممارسات التأملية حسب الفلسفة الشرقية تبعث على إيقاظ هذه الطاقة التي صورها فلاسفة الشرق على هيئة ثعبان نائم ملتف بثلاثة دورات ونصف الدائرة وتسمى بالأفعى الكوندالينية.

إن إيقاظ الأفعى الكوندالينية من خلال التأمل الفلسفي تجعل من ذلك الثعبان يخترق الدائرة الأولى صاعداً إلى الدوائر الأخرى، حتى يتحد بالوعي المطلق، ولذلك فإن تلك الطاقة تكون على درجة عالية عند ممارسي اليوجا والحكماء والقديسين، ولذلك تعتبر هي طاقات العقل المطلقة ذات القوة الشديدة، ولا يحسن التعامل معها إلا أولئك الذين تمرسوا على التأمل الكوني.

وشعور الإنسان ببلوغ أعلى درجات الرقي والوعي الكوني لإدراك الحقائق السرية والمعارف الباطنية والأنوار الإلهية لا تتم إلا من خلال إيقاظ الأفعى الكوندالينية التي تمد الشاكرات الأخرى بالطاقة من خلال أنبوب النخاع الشوكي الموجود داخل العمود الفقري للإنسان، وإذا اتبع المتأمل الأساليب الصحيحة للتأمل الكوني فإنه يكون بمقدوره إيقاظ الدوائر الأخرى، وعليه أن يلجأ للتركيز والتخيل حتى يصل إلى شاكرة التاج الموجودة في أعلى قمة الرأس، وتتأجج في شاكرة العين الثالثة، فتفتح لدى الفرد المتأمل الحاسة السادسة المسؤولة عن الحدس والإلهام والاستبصار ورؤية المستقبل، ويدرك حينها أن الطاقة الإلهية تهبط نحوه، فتملأه بالنور الإلهي، والقوة والمحبة، فيصبح ممراً لهذه القوة الإلهية التي تدعى في الطاوية "كي السماوية"، وعند القبلانية "الكابالا" عمود النور، ويسميه الهنود جسر النور الروحي، وتدعى نزول روح القدس عند المسيحيين، والتي يرمز لها بعمود من نور أبيض مع حمامة نازلة، وهي رمز للقوة الإلهية الهابطة، كذلك نجدتها عند مريدي التصوف الروحانيين الذين مارسوا التأمل فإنهم يشعرون بنور غامر شديد الضياء، يعمي أبصارهم أحياناً، أو يشعرون برؤوسهم وقد امتلأت بضياء باهر^(١).

ولم يختلف الوضع كثيراً في العصر الحديث؛ وعاد فلاسفة الطاقة الكونية يحيون آثار أسلافهم السابقين، وأصبح ما هو من قبيل الخرافة والوهم علماً حديثاً مدعماً بالأدلة وتجارب المختبرات!، في

(١) انظر: معجزات الشفاء البراني: للمعلم تشواكوك سوي: ص ٢٢٧ وما بعدها.

خلط واضح بين الحق والباطل وتأثير عجيب في إقناع البسطاء من الناس الذين يهتمهم في الدرجة الأولى تحقيق السعادة الذاتية ولو على حساب الخرافة والوهم.

وعوداً إلى موضوع التأمل فقد روجت الباطنية الحديثة لقضية التأمل الكوني، تحت ستار تحقيق الوعي الكوني والتنمية الذاتية، والوصول إلى السلام الروحي والاسترخاء العقلي، مع استبطنهم الجانب العقدي في ذلك، وتميرها في إطار لا يتعارض مع الدين، ومحاولة فصل الشعائر التأملية عن الدين نفسه، وتقديمه كخدمة جلييلة للإنسانية.

ذلك لأن الباطنية الحديثة انتهجت منهجاً معيناً في ترويجها للتأمل الكوني؛ فهي لا تصدر التأمل الكوني بصورة الفكر والفلسفة والمعتقد؛ بل يصدرونها على هيئة صور لتقنيات وتطبيقات تتخذ من التدريب والرياضة والتغذية والاستشفاء وأمور الحياة المادية المختلفة، ولهم شعارات وأهداف ينطلقون منها، هي في حقيقتها إعادة لكثير من فلسفات المنطق اليوناني القديم، وإحياء لطقوس وشعائر فلسفات الفكر الشرقي القديم القائم في أساسه على الروحية والميتافيزيقية^(١).

وقد لعبت الحركات الباطنية الحديثة والتي نشئت في الغرب نتيجة التلاقح الفكري بين الشرق والغرب دوراً كبيراً في نشر التأمل الكوني بسبب الفراغ الروحي جراء اعتناق الغرب للفلسفة المادية التي لا تؤمن إلا بنظرية التجربة، وكان للانفتاح الفكري الذي أحدثته الثورة العلمية سبباً مباشراً في اعتناق بعض فلاسفة الغرب للمنهج الفلسفي الشرقي القديم، ثم ما لبثت أن صُدِّرت هذه الفلسفات تحت غطاء علمي في أوساط المجتمعات الإسلامية، وأقيمت العديد من البرامج التي سوف نتعرف عليها، وشيدت الكثير من المراكز المتخصصة في تعلم تقنية التأمل.

ومن هذه الحركات الباطنية الحديثة التي اهتمت بالترويج لتقنية التأمل الكوني:

أولاً: حركة الفلسفة المتعالية - Transcendentalism:

وهي أول حركة فكرية نشئت في أمريكا الشمالية، وقد تأثرت كثيراً بالديانات الشرقية واعتمدت على ترجمات الكتب الهندوسية المقدسة^(٢).

(١) انظر: الأصول الدينية لتطبيقات الاستشفاء والرياضة الوافدة من الشرق عبر الغرب وخطورتها على معتقد الأمة: د. فوز بنت

عبد اللطيف بن كامل كردي، "مقال"، متاح على موقع صيد الفوائد <http://www.saaaid.net> "

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: د. فوز كردي، ص (١٤ - ١٥).

والفلسفة المتعالية انطلقت من مقالة كتبها "رالف والدو إمرسون - Ralph Waldo Emerson" عام (١٨٣٦م) بعنوان الطبيعة، وقد تأثر "إمرسون" كثيراً بترجمات الكتب الهندوسية المقدسة، وبالتعاليم الشرقية الرامية إلى إيجاد تفسير يربط العلاقة بين الإله والإنسان والكون.

وهو شخصياً كان يمثل الصورة الأمريكية للاتجاهات الباطنية في عبادة الطبيعة، ثم تأسس في العام نفسه النادي المتعالي الذي كان يضم عدداً من المثقفين المهتمين بمبادئ "إمرسون" الباطنية، ومن ثم تحولت فلسفة (إمرسون) إلى حركة منظمة متماسكة^(١).

تبنت حركة الفلسفة المتعالية نظرية وحدة الوجود في تفسير العلاقة بين الإله والإنسان والكون، الأمر الذي جعلهم يؤمنون بالتأمل الكوني المفضي إلى المعرفة الإشرافية.

هذه المعرفة تأتي عن طريق المعرفة الحدسية الداخلية التي تأتي من وراء نطاق عمليات الفكر والحواس الخمس والقوى العقلية عن طريق "العرفان الغنوصي"، وكذلك الإلهام المباشر، وهي مقدسة لكونها أيضاً من العقل المقدس^(٢).

وهذا هو الذي دفعهم إلى الإيمان بأن للإنسان قدرات كامنة غير محدودة، وهي خارقة لا يستخدم البشر سوى جزء يسير منها، وتوظيف الإنسان لهذه القدرات لنفسه تمكنه من التعامل مع العالم الميتافيزيقي الغيبي بلا حدود، ولذلك فإن العقل البشري والفكر المجرد متصف بصفة الفاعلية المؤثرة، ويستطيع الفرد من خلال الممارسات التأملية المعتمدة على صفاء النفس والفكر القدرة على تغيير العالم بالفكر والتأثير في البيئة الخارجية بمجرد السيطرة على الحالة الذهنية والتحكم بالفكر على غرار ما هو موجود في الفكر الهندوسي الشرقي^(٣).

الفلسفة المتعالية تعتقد بإلهية الطبيعة، وترى بأن التناغم مع الطبيعة المقدسة هو طريق الحياة الفضلى، وهذا التناغم جعلهم يؤمنون بإلهية العالم^(٤)، وأن روح الفرد هو جزء من روح هذا العالم الكلي، والحقيقة الإلهية موجودة داخل النفس؛ ولذلك فهي تدعو الإنسان إلى اكتشاف الطبيعة

(١) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد: ص ٣٦.

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: د. فوز كردي، ص (١٤ - ١٥).

(٣) انظر: حركة العصر الجديد: د. فوز كردي، ص (١٤ - ١٥)، حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد: ص ٣٦.

(٤) انظر: حركة العصر الجديد: د. فوز كردي، ص (١٤ - ١٥).

الإلهية الموجودة داخله، وأنه هو الطريق لتحقيق النجاة المطلقة (الخلاص)، وليس خاضعاً لأمر خارجي يتعلق بالدين أو المعتقد أو السلوك^(١).

ثانياً: حركة الفكر الجديد – "New Thought".

وهي حركة ظهرت على يد "فينيس كويمبي - Phineas Quimby"، خلال الفترة من (١٨٠٣م - ١٨٦٦م)، وهي امتداد لفلسفة الطبيب الألماني النمساوي "فرانز أنتون مزمر - Franz Anton Mesmer"، والمتمثلة في اتخاذ أساليب جديدة في علاج المرضى، وهو ما يعرف بالتنويم المغناطيسي أو العلاج بالإيحاء، وقد مزج "كويمبي" مؤسس حركة «الفكر الجديد» بين ممارسات "مزمر" وأفكاره، وبين الفلسفة المثالية التي تعتبر العقل والفكر أصل الحقيقة، وهو سر القوة المسببة وراء الكائنات المادية والأحداث والظروف، وكوّن من ذلك أصول حركة «الفكر الجديد» التي انتشرت كحركة اجتماعية، وأنشأت فيما بعد العديد من المراكز والمعابد بعضها تحت اسم الكنائس^(٢).

ثالثاً: جمعية "الثيوصوفيا" الحديثة – "Theosophia":

كذلك نجد من المتأثرين بالمنهج الفلسفي الشرقي مؤسس جمعية "ثيوصوفيا" الحديثة مدام "هلنا بتروفينا بلافاتسكي - Madam Helena P. Blavatsky"، وما يهمنا في هذا المقام هو دور حركة الثيوصوفيا الحديثة في نشر التأمل الكوني. لقد قامت "بلافاتسكي" بزيارات إلى العديد من البلاد منها الهند والتبت وسريلانكا، واعتنقت البوذية، وقضت سبع سنوات في التبت تعلمت خلالها العلوم الباطنية. وتعظم "الثيوصوفيا" المعرفة الداخلية للإنسان والتي تقوده إلى المعرفة الإلهية، ويعتقد منظرو "الثيوصوفيا" بأن العلوم الباطنية هو العرفان الذي يهبط على قلوبهم إرشاقاً دون واسطة، ودون معلم، وفي سبيل ذلك يلتزمون برياضات قاسية تمكنهم من الدخول إلى التجربة الباطنية التي توصلهم إلى الحقيقة المطلقة عن طريق الاتحاد الذي يتم بواسطة العزلة^(٣).

(١) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد: ص ٣٦.

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: د. فوز كردي، ص ١٦.

(٣) انظر: الثيوصوفيا دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث: مريم بنت ماجد عنتابي: ص ٨٨.

وعن هذه الرياضات القاسية فإن "التيوصوفيا" تعتقد بأن إدراك الإنسان يرتفع وتتطور قواه الحدسية من خلال الممارسات والرياضات الروحية؛ كالصلاة والتأمل والتفكير^(١)، والممارسة تصفي النفس وتنقي أحجبة الروح، وتسمح للنور بالسطوع في العقل، فتتفتح البصيرة الروحية للإنسان ويحدث الوجد^(٢).

ولذلك نجد أن أصول المعرفة ومصادرها في الفكر التيوصوفي كلها قائمة على ممارسة الرياضات التأملية والتي تؤدي إلى نهاية المطاف إلى الاعتماد على الاتجاه الباطني في فهم الحقيقة، ومن أهم هذه المصادر:

أولاً: المنقول الباطني للفلاسفة وحكماء الإنسانية على مر التاريخ، وهي نتاج معرفة عميقة وصلوا إليها بتجليات واستبصار وكشف الحقائق المغيبة، وإبرازها برموز ودلالات لتكون هادية لمن بعدهم^(٣).

ثانياً: عن طريق الاستبصار الباطني الذي هو في حقيقته تفعيل لدور الشاكرات عن طريق ممارسة التأمل الكوني المؤدي إلى فتح العين الثالثة (شاكرة الضفيرة الشمسية) أو ما يعرف بالحاسة السادسة. ويعتبر (التيوصوفيون) طريقة الاستبصار جزء أساسي من الكون يصل إليه "التيوصوفي" عبر المعرفة الباطنية أو التنوير الباطني أو الداخلي، وهي بدورها تصل بالمتنور إلى الحكمة الإلهية عن طريق الوجد، وهي حالة وعي يتجاوز فيها الصوفي عقله وكل ما يتعلق بعالم الشهادة، ويحصل على تصور مباشر للحقيقة، يأتي من الجزء الإلهي فيه^(٤).

ثالثاً: الحدس: ويقصد به في الأدب التيوصوفي بأنه معرفة مباشرة من الذات العليا^(٥)، وهي مرحلة عالية من العرفان، ويصوورها بأنه لا يمكن التعبير عنها بالألفاظ؛ لأنها حالة من ارتقاء النفس الإنسانية حتى تصبح مرآة مجلوة، تمتلئ من النور الإلهي الذي يغشاها^(٦).

(١) نفس المصدر السابق: ص ٨٨، وانظر أيضاً:

Isis Unveiled, Blavatsky, Vol.I, 389, and The Path of Knowing: H. P. BLAVATSKY on theosophy, Barry Thomson, from: www.theosophy.org

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٨٨، وانظر أيضاً:

Collectd Writings, Blavatsky, Vol. 9, 400-G, from: www.blavatskyarchives.com.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ١٠٦ وما بعدها.

(٤) نفس المصدر السابق: ص ١١٢.

(٥) نفس المصدر السابق: ص ١١٥، وانظر أيضاً:

A Dictionary Of Some Theosophical Terms, Powis Hault, 59.

(٦) نفس المصدر السابق: ص ١١٤.

رابعاً: الاستسرار والتأهيل الباطني، ويقصد به العلم الذي خفي على عامة الناس، وكشف لخواص من المؤهلين الذين ساروا في درب التأهيل واتصلوا بالمعلمين الباطنيين الذين يؤهلونهم لتلقي الأسرار الباطنية^(١).

وهذه الأسرار لا يمكن لأحد أن يتحصل عليها إلا من خلال التجربة الصوفية القاسية التي تمتد لسنوات طويلة يدخل خلالها طالب حكمة الثيوصوفيا في عملية تأهيل طويل تتطلب التخلي عن متطلبات الحياة وعدم الالتفات إليها، وتفريغ العقل من كل شيء إلا الحقائق الكونية في الطبيعة، والدخول في حالة تقشف، والابتعاد عن كل ما هو مادي من شأنه أن يرهق الفكر أو الجسد، يصاحبها نكران الذات، والممارسة الطويلة للتأمل الكوني^(٢).

وتدعي "بلافاتسكي" بأن المرید من خلال حصوله على المعرفة الباطنية أن يكتسب القوى الغيبية، وهي قوى تفوق الطبيعة، يحققها ممارس اليوجا؛ كالقدرة على الجذب، وقوى السحر، والمزمرية^(٣)، وغيرها.

وعملية التأمل الكوني الموصل إلى معرفة القوى الغيبية في الكون تتجسد عند "بلافاتسكي" من خلال أداء الطقوس الشعائرية، وممارسة السحر والمعارف الغامضة، وتهدف إلى الوصول إلى نشوة المعرفة الروحية، وعموماً فإن العملية التأملية عند "بلافاتسكي" تتم عبر أربعة مراحل:

المرحلة الأولى: تتمثل في أداء بعض الطقوس والشعائر الدينية، وتسمى بـ (ياجنا فديا - Yajna Vidya).

المرحلة الثانية: تتمثل في ممارسة السحر والمعارف الغامضة، وهي سحر يمارسه (الكابالاه) وعبادة (التانترিকা - Tantrika)، وهي تدل على مراسم ترتبط بعبادة (التانترا - Tantra)، تتميز بعبادة القوى الأوثوية، وتسمى بـ (ماها فديا - Maha Vidya).

المرحلة الثالثة: تتمثل في المعرفة الاستسرارية، وبشكل خاص معرفة القوى الصوفية الكامنة في (المانترا - Mantra)، ولها خصائص حيوية وتأثير مباشر على ممارس التأمل، يقوم الممارس بتزويد

(١) نفس المصدر السابق: ص ١٢١.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ١١٨.

(٣) **المزمرية:** اتجه باطني حديث يرجع إلى مساهمات الطبيب الألماني "فرانز أتون مزمر"، أول من استخدم التنويم المغناطيسي في علاج الكثير من الأمراض، والمزمرية تؤمن بتأثير القوى الخارقة، وتعتقد أنه بالإمكان دراسة علم نفس الظواهر الخارقة، وأنه بمقدور الإنسان تنمية تلك الظواهر لديه من خلال تقوية الاستعداد الفطري، وقد أدت نظريات "مزمر" وتطبيقاته إلى تطوير وتقوية الإيحاء والتأثير على المخ البشري. انظر: الحاسة السادسة، د. ماهر يسري، ص (١٤-١٥).

المانترا وهي في الغالب تكون إما تعويذة أو طلاسـم سحرية، سبق وأن بين بأنها تعتمد على الإيقاع النغمي، وتسمى هذه المرحلة بـ(قهيـا فديـا - Guhya Vidya).

المرحلة الرابعة: تتمثل في المعرفة الروحية، وهي أسمى أشكال المعرفة الباطنية، ويجب أن يسعى "الثيوصوفي" إلى هذه المعرفة الذي يتوق إلى طريق النور والحكمة بغير أنانية، وتسمى هذه المرحلة بـ(أتما فديـا - Atma Vidya)^(١).

رابعاً: الحركة المهاريشية:

تعتبر الحركة المهاريشية التي أسسها الراهب الهندوسي "مهاريش ماهيش يوجي - Maharishi Mahesh Yogi" في منتصف القرن الماضي من الحركات الباطنية التي استطاعت أن تؤثر بفكرها الروحاني لدى العديد من المثقفين والمفكرين والباحثين عن الحياة الروحية في الغرب، وهي في حقيقتها تدعو إلى إحياء الطقوس الكهنوتية الهندوسية من أجل تحصيل السعادة الروحية، بدءاً من تبنيها لفلسفة التأمل التجاوزي^(٢)، ومروراً بإيمانها بالوعي الكوني، وانتهاءً بتحضيراتها لجلسات التأمل لمشروع السلام العالمي.

وانطلاقاً من المشروع الذي تبنته المهاريشية وهو التحالف من أجل المعرفة؛ فإن هذا التحالف هو السبيل الموصل إلى الإدراكات غير المحدودة، ولا تتحقق إلا عن طريق الاسترخاء، وإطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان الموصل إلى التحرر الفكري، وقد دأبت المهاريشية على تسمية هذا التحرر بعلم الذكاء الخلاق، فالذكاء هو الصفة الأساسية للوجود، ومن خلاله يمكن البحث في المناهج والتجارب التي تساعد على خلق الوسائل القوية والقادرة على إحداث التغيير في كل زمان ومكان، وهنا ألفت الانتباه إلى أن المهاريشية حركة إلحادية قائمة على الإيمان بالذات الإنسانية، وأن الإنسان خالق لفعله، ومن هذا المبدأ فقد تبنت المهاريشية الحرية الفكرية، وضمنت لأتباعها الحرية النفسية، فالإنسان عندهم لا يلتزم بلوازم، ولا يتقيد بقيود، سوى التقيد بالعقيدة المهاريشية التي تمنحهم الطاقة الروحية^(٣).

(١) انظر: الثيوصوفيا دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث: مريم بنت ماجد عنتاوي: ص(١١٨-١١٩).

(٢) سيأتي بيانه في فصل التطبيقات إن شاء الله، راجع ص(٣٥٩).

(٣) انظر: مجلة المجتمع الكويتية: العدد (١٠/٢٨٦) صفر ١٣٩٦هـ - ١٠ فبراير ١٩٧٦م)، والعدد (٢٠/٢٩٦) ربيع الآخر ١٣٩٦هـ - ٢٠ إبريل ١٩٧٦م)، والموسوعة الميسرة بإشراف مانع الجهني: ص(٧٧١-٧٧٦).

وعليه فإن الحركة المهاريشية تؤمن بأهمية التحول الذاتي، وأهمية فهم الوعي الكوني من خلال التجربة الشخصية؛ تلك التجربة المستبطنة في برنامج التأمل التجاوزي الذي تروج له هذه الحركة، وهي عبارة عن تقنية عقلية تتيح للعقل تجربة الوصول إلى المراحل النقية من الفكر والوعي الخالص، وتحدد المانترا المخصصة لكل فرد هذه المراحل المتقدمة من الوعي^(١)، والتي تم تقسيمها إلى سبع مستويات: اليقظة، الحلم، النوم، الوعي المتجاوز، الوعي الكوني، الوعي الإلهي، الوعي الواحدي^(٢)، فيطلق عنان الفكر والضمير والوجدان، ويشعر براحة عميقة تنساب إلى داخله، ويستمر في حالته الصامتة، حتى يجد حلاً للكثير من المشكلات التي يواجهها فيتجاوزها^(٣)، ولعل من أهم المشكلات التي يواجهها ذلك الفرد هو البحث عن إلهه ومعبوده؛ ولذلك تؤمن المهاريشية بأن هذا البحث لا يمكن إلا من خلال التأمل المصحوب بالـ"مانترا" أو الإيقاع الصوتي وإدخال النفس في حالة صمت وتفكير عميق لفهم الكون، تفكير يتم من خلاله انتقال الإنسان إلى حالة الوعي الكوني، ومن ثمّ البدء في رحلة البحث عن المطلق الأسمى.

أثر اتجاه التأمل الكوني على الحرية الفكرية:

إن المتأمل في حقيقة التأمل من منظور الفلسفة الشرقية يدرك أن لها بعداً فلسفياً تكمن في كونها طريق الخلاص، ومن ثم تحقيق الاتحاد بالجوهر الكلي المطلق. وهذا الخلاص لا يتم إلا من خلال ممارسة التأمل المفضي إلى إخلاء الفكر، وتجريده من كل الشوائب، ليصل بالفرد إلى التحرر الفكري من كل شيء، ولينتهي به المقام إلى الحلول والاتحاد، وأي عملية تأملية لم تكن قائمة على مبدأ تحرير الفكر فإنها لن تحقق الغاية من العملية التأملية. وإذا ما أدركنا هذه الحقيقة نعلم حينها أن التأمل في الفكر الشرقي القديم ليست إلا محاولة فلسفية لإدراك الذات الإلهية، وتحصيل المعرفة الباطنية الحاصلة من ترويض العقل واستغراق الذهن، ولأجل هذه الحقيقة ولتأصيل هذا المبدأ ظهرت الأطروحات الفلسفية المختلفة في شتى الحضارات التي شهدتها الشرق القديم، والتي ناقشت الأسئلة الفلسفية حول المبدأ والغاية والمصير. والحاصل أن كل الأطروحات الفلسفية التي قدمها فلاسفة الشرق القديم حول الخالق وأصل الوجود وقصة الكون هي في أصلها متشابهة إلى حد ما، وتتميز بخصائص أهمها الطابع الديني،

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص (٤٠٢-٤٠٧).

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: ص (٣٧٩).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة بإشراف د. مانع الجهني: ص ٧٧٢.

والواقع العملي؛ فالطابع الديني يتميز بتعزيز العقائد المبنية على التصورات الذهنية والمستندة على مصدر الفكر البشري القاصر، يصل بالفرد إلى عالم ما وراء الطبيعة، ويجعله متصلاً بإلهه الذي صورته له تلك الأطروحات الفلسفية على أنه إله موجود داخل الكون ويتمتع بالحلول في كل الأشياء، وأن الفرد عندما يتصل بذلك الإله فقد وصل إلى الكمال الإنساني، يجعل منه إنساناً متمتعاً بصفات إلهية تمكنه من القدرة على التفرد بالكون والتصرف فيها.

بينما اهتم الواقع العملي بتعزيز الأخلاق والقيم، ومحاربة الفساد الخلقي الباعث على حب الذات والأنانية.

وهنا يأتي دور التأمل الكوني؛ إذ أن التأمل يبعث بالفرد على إصلاح الجانب الديني له، كما أنه يقوّم الجانب الأخلاقي للفرد المتأمل، وأصبح التأمل الكوني منهجاً شاملاً على المرتكزات الدينية حسب التصورات التي وصل إليها الفكر البشري، فالتأمل الكوني يوصل الفرد إلى الإحساس بشعور الاتصال بالإله؛ بل أكثر من ذلك إلى الاعتقاد بحلول ذلك الإله فيه.

كما أنه بجانب دوره في الإصلاح النفسي للفرد، كذلك أصبح التأمل الكوني معززاً للجانب العملي بما تحويه من طقوس وممارسات تؤدي إلى آثار نفسية منعكسة من تلك التصورات والعقائد الدينية على الفرد، فتساهم على تربية النفس بالقيم الأخلاقية والفضيلة، ومحاربة القيم الأخلاقية السيئة والرذيلة.

ولذلك كان الفكر الشرقي القديم بجانب إحداه في باب العبودية؛ إلا أنه كان متبنيًا لفلسفة الأخلاق، ومهتماً بالطبيعة والكون، واختزل عباداته وشعائره في تأملات نفسية حول مسألة الطبيعة والكون، واستطاع أن يدرك أن الإنسان يمتلك في داخله قوة كامنة، نظر إليها بأنها قوة إلهية مقدسة، والأمر لا يعدو في كونه قوة يمكن للإنسان أن يطوعها لنفسه إذا ما كانت لدية الإرادة والعزيمة المصاحبة لإعانة الله -عز وجل- للعبد وتوفيقه له قبل الفعل ومع الفعل.

هذا وقد كان للتأمل الكوني أثر كبير على الحرية الفكرية، فالمتأمل والناسك في الفكر الشرقي القديم يتم تدريبه على ضرورة التجرد الفكري، وعدم الانسياق لأي فكرة، وخاصة الأفكار الدينية، لأنها تقف عائقاً في سبيل الوصول إلى الحقيقة^(١)، بل إن التأمل الكوني يسعى بالفرد إلى الوصول إلى الفكر السامي البعيد كل البعد عن أي فكر أو دين.

(١) انظر: ألف باء التنوير: أوشو، ص ٤٠.

ولذلك نجد أن الإنسان في الفكر الشرقي القديم حين بحث عن سر وجوده وعن هدفه في الحياة، وحين بحث عن الماورائيات للوصول إلى الحقيقة الكبرى، نجد أنه في سبيل الوصول إلى تلك الحقيقة أضاع الطريق، ودخل في غياهب الظلمات؛ ذلك لأنه في الأساس لم يكن بحثه سائراً على منهج صحيح؛ والدليل على ذلك أنه وقع في شرك تعدد الآلهة تارة، وتارة أخرى يميل إلى نزعة التثليث، وفي الشدائد يصبح موحداً، وبالتالي فإن ضياعه وبعده عن نور الهدي الإلهي هي نتيجة منطقية للأساس الذي بناه على الباطل.

والمشكلة الكبرى لدى الإنسان في الفكر الشرقي القديم تكمن في الصورة الذهنية التي رسمها لإلهه الذي يعبده، والتي بناها على خرافة الأساطير وأسطورة الخرافة، ولم يجد طريقاً لعبادته والوصول إليه ومعرفته إلا من خلال التأمل في الطبيعة والكون، ذلك لأن المنهج البحثي الذي اتبعه يوصله إلى إله مبعوث داخل الكون وليس خارجه، ومن خلال التأمل قد يعثر عليه في الطبيعة، مع ضرورة التركيز على تلك الصورة الذهنية التي رسمها لإلهه في الذهن، وسطرتها له الأساطير والخرافات الشعبية. ولذلك فإن الحرية الفكرية كانت ولا زالت من أهم الآثار النابعة من مشكلة التصور الإلهي في الفكر البشري المتأثر بالاتجاه التألمي وتأليه الطبيعة، والبعيدة كل البعد عن الإيمان بذات عليا أو حتى النهل من معين الوحي ومنهج النبوة الصحيحة، ومن آثار تلك الحرية الفكرية:

✽ الدعوة إلى التحرر الفكري عبر التأمل في الطبيعة والكون.

✽ الاعتقاد بأن التجرد الفكري يؤدي إلى امتلاك الإنسان لقوة التخيل.

✽ التجرد الفكري يؤدي إلى التصور الصحيح للجوهر الكلي.

✽ الاعتقاد بأسرار المانترا، وترديدها من غير التقيد بدين أو مذهب.

✽ الاعتقاد بتأثير الشاكرات من خلال:

أ/ الإيمان بأن إيقاظ الأفعى الكوندالينية تساهم في تسريع آلية التفكير واستقطاب الطاقة الكونية وتوجيهها حسب المراد.

ب/ الإيمان بدور العقل الباطن في الوصول نحو الخوارق، ودوره في عملية طهارة النفس.

ج/ الإيمان بتأثير العين الثالثة وتأثيرها المباشر على الحرية الفكرية.

وفي ختام هذا المبحث يجدر بنا الإشارة إلى أن من أهم القوالب التي جمعت المدرسة الوجودية الكونية باتجاهيها الروحي والتأملي هو قالب **الأخوة العالمية**؛ ذلك أن الوجودية الكونية تستهدف إلى إحلال قضية الإيمان بديانة عالمية لتكون بديلة عن الإيمان بالأديان السماوية، وهذه الأخوة لها إطاران:

الإطار الأول: الأخوة البشرية من الجانب الروحي؛ إذ تؤمن هذه المدرسة بأن الأرواح جميعها على مستوى واحد في الذبذبة وتتفاوت بحسب فضائلها في الدرجة، فالأرواح الطيبة كلها تجتمع على ذبذبة معينة، تليها من دونها في المستوى وهي بدورها أيضاً تجتمع وتلتقي بأخواتها في نفس الذبذبة، وهكذا تساهم جميع الأرواح في الارتقاء بمستوياتها^(١)، والشاهد أن المدرسة الإلحادية الروحية ترى بأنه إن كان هذا هو حال الأرواح فمن باب أولى أن يكون حال البشر في الحياة الدنيا كذلك، وهي ترى بأهمية الأخوة البشرية، وأن العالم لن يصل إلى وعي روحي كامل إلا من خلال انصهار جميع البشر في بوتقة واحدة، وكيان واحد، وديانة واحدة، هي الديانة الإنسانية "الهيومانية - Humanism"، ومن خلال تمجيد وتقديس أرواح أولئك الذي ضحوا بحياتهم في خدمة الإنسانية.

الإطار الثاني: الأخوة البشرية من الجانب التأملي؛ إذ تعتقد الوجودية الكونية بأهمية الممارسة التأملية لمساعدة البشرية، ولا بد من عقد الجلسات التأملية التي تجمع كل الأطياف البشرية بمختلف أنماطها ومشاربها واختلاف أديانها ومذاهبها تحت مظلة التأمل الكوني، وغدت تلك الممارسات التأملية من أهم الطرق التي يستمد من خلالها المرء طاقة الكون، وإرسالها إلى البؤساء والمحرومين من الجموع البشرية التي أنهكتها الحروب والصراعات، أو حل بها النوازل والملمات، من الكوارث الطبيعية وغيرها من المهلكات!، وظهرت الأصوات الداعية إلى التأمل من أجل تحقيق السلام العالمي، وعقد الجلسات من أجل إرسال النيات (الطاقة) أو العيش في اللحظة.

وأصبح ما كان يمارس في الفكر القديم من التوجه إلى الطبيعة واستلطاف رحمتها خوفاً من النوازل الطبيعية، يمارس اليوم بشكل جديد ومضمون قديم، وهي ليست إلا محاولة لإحياء التراث الوثني القديم، ولم يعد التأمل بمفهومه الحقيقي وهو النظر والتأمل في الطبيعة وسحرها، والتدبر في نظام الكون المتناسق، ويتبعه أثر نفسي تشوبه العبرة، وتختلجه بيان عظمة الخالق - سبحانه -، بل تعدت الممارسات التأملية إلى أبعد من ذلك وأصبحت من الفلسفات التي تؤصل للوجودية الكونية بنظرتها

(١) انظر دراسات في عالم الروح للسفير عزت البحيري: ص ٤٤.

نحو الثنائيات الكونية المنبثقة من الكل الواحد (المطلق)، وتأثير تلك الثنائيات على الكون والوجود والإنسان بما تمتلكه من طاقة مؤثرة، هي من وجهة نظر معتقديها مدبرة للكون. واليوم أصبح التأمل الكوني ببعده الفلسفي ظاهرة عالمية، تبتتها الباطنية الحديثة، وتهدف إلى جعلها ديانة عالمية، حتى غدا التأمل الكوني شعيرة عالمية إنسانية، تعدت حدود المكان، وجمعت الإنسان مع اختلاف الطوائف والملل والأديان.

المبحث الثاني

مدرسة الإنسان الكوني

وفيه ثلاثة مطالب:

- * المطلب الأول: التعريف بمدرسة الإنسان الكوني.
- * المطلب الثاني: التصورات الفكرية لفكرة الإنسان الكوني.
- * المطلب الثالث: دور الإنسان الكوني في تشكيل الواقع العملي.
 - الحالة النفسية للإنسان الكوني.
 - أثر الإنسان الكوني على واقع الحياة.
 - مظاهر أثر الإنسان الكوني على واقع الحياة.



المبحث الثاني

مدرسة الإنسان الكوني



وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التحريف بمدرسة الإنسان الكوني:

التعريف بالمدرسة الإنسانية الكونية:

الإنسانية الكونية "Universal-Human" مدرسة عظمت الذات الإنسانية، وبالغت في تعظيمها حتى أوصلته لدرجة الكمال، انطلاقاً من إيمانها بالحقيقة السامية بشمولية الحياة والكون والإنسان وشمولية الطاقة الكونية، وأن هذه الشمولية تتجلى في الإنسان ومن خلاله، فيصبح هو المبدأ الفعال في الكون، وهو الكائن المقدس الذي يدبر أمر الكون والخلق ويتصرف فيها. ولعلنا نعرف من خلال هذا المطلب على حقيقة الإنسان الكوني، وأبرز الأفكار والاتجاهات الفكرية التي أصلت لنظرية الإنسان الكوني أو الإنسان الإله أو الإنسان الكامل، ودور هذا الإنسان في التأثير على خرق العادات البشرية، وحقيقة امتلاكه لقوة الشفاء والمعالجة.

أولاً: تعريف الإنسان الكوني لغة واصطلاحاً:

تعريف الإنسان في اللغة:

الإنسان في اللغة: اسم جنس، اختلف أهل اللغة في اشتقاقه، مع اتفاقهم على زيادة النون الأخيرة:

١- من (أن س)، وأصله: "أناس" على وزن "فُعال"، اشتقاقاً من "الأنس" الذي هو خلاف الوحشة^(١)، أو من "الإنس" الذي هو في أصله من "النسيان" وجمعه "أناسي"، وتصغيره "أنيسيان"،

(١) انظر: أمالي ابن الشجري: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ١ = ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، (١م/ص ١٨٨)، والصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤ = ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، (٣م/ص ٩٠٥)، وتاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (١٥م/ص ٤١٣)،

على وزن "فعليان"، وهو مذهب الخليل بن أحمد^(١) وسيبويه^(٢) والفراء^(٣) - رحمهم الله تعالى -، واستدلوا عليه بقول ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: إنما سمي إنساناً لأنه عهد إليه فنسى^(٤).

٢- من (ن و س)، وأصله: نَوَسَ على وزن "فَعَلَ"، فُقُلِبَت الواوُ ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، والنَّوْسُ: الحركةُ، مصدره ناس ينوس: إذا تدلى وتحرك وظهر، وهو مذهب

والفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص ٢٧٤، ولسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣=١٤١٤هـ، (٦م/ص ١٢).

(١) الخليل بن أحمد: الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري، ولد سنة (١٠٠هـ)، وهو الإمام اللغوي المشهور صاحب العروض، وصاحب كتاب "العين"، أستاذ سيبويه، كان رأساً في لسان العرب، عاش فقيراً صابراً، توفى بالبصرة سنة (١٧٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٤/٣٥٥)، وفيات الأعيان (٢/٢٤٤)، بغية الوعاة (١/٥٥٧).

(٢) سيبويه: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الفارسي، ومعنى سيبويه: رائحة التفاح، ومن تصانيفه: الكتاب، وهو العمدة في النحو، كان يطلب الآثار والفقهاء، توفي سنة (١٨٠هـ). انظر: أخبار النحويين البصريين (ص: ٣٨)، تاريخ العلماء النحويين (ص: ٩٠)، معجم الأدباء (٥/٢١٢٢).

(٣) الفراء: يحيى بن زياد بن عبد الله، الديلمي المعروف بالفراء، كان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكلماً، عالماً بأيام العرب وأخبارها إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ومن مؤلفاته: معاني القرآن والمقصود والممدود وغيرها، توفي في طريق مكة سنة (٢٠٧هـ). انظر: نزهة الألباء، ص (٨١)، بغية الوعاة (٢/٣٣٣)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: ٣١٣).

(٤) انظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي: (٧م/ص ٣٠٤)، والكتاب: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي المعروف بـ "سيبويه"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ٣=١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، (٣م/ص ٣٧٩)، ومعاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاشي وآخرون، الناشر: دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١، (٢م/ص ٢٦٤)، و أمالي ابن الشجري: (١/١٨٨)، وتهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠١م، (١٣م/ص ٦١)، والصحاح: (٣/٩٠٥)، وتاج العروس: (١٥/٤٢٢)، والفروق اللغوية: ص ٢٧٤، ولسان العرب: (٦/١١)، والمحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، (٨م/ص ٣٨٥).

الكسائي^(١) - رحمه الله -^(٢)، وقيل للإنس إنس لأنهم يؤنسون: أي: يبصرون، كما قيل للجن جن لأنهم لا يؤنسون: أي: لا يرون^(٣).

ومن خلال التأمل في المعاني اللغوية السابقة يتضح لنا أن الإنسان يطلق في اللغة ويراد به معنى الأُنس والنسيان، والظهور، ولا مانع من أن يكون للكلمة أصلين على طريقة ابن فارس^(٤)؛ إذ يقول: الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد، وهو ظهورُ الشيء، وكلُّ شيءٍ خالفَ طريقة التوحُّش^(٥). فالإنسان لم يسمى إنساناً إلا لكونه ظهر وأبصر إنساناً آخر وأنسه واستأنسه؛ ثم إنه لما طال به العهد نسيه.

تعريف الإنسان اصطلاحاً:

اختلف الناس في تعريف "الإنسان" اصطلاحاً؛ فبعضهم جعله المعنى القائم بالبدن، ولا مدخل للبدن فيما سماه، وهو مذهب الحنفية ووافقهم في ذلك الغزالي. وجعله آخرون الهيكل المحسوس، وهم جمهور المتكلمين^(٦).

(١) الكسائي: علي بن حمزة بن عبد الله بن بجمن بن فيروز الأسدي مولاهم، الملقب: بالكسائي؛ لكساء أحرم فيه، ولد في حدود سنة (١٢٠هـ)، كان أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين، ومن تصانيفه: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، والنوادر الكبير، ومختصر في النحو، توفي سنة (١٨٩هـ). انظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٣٤٥)، نزهة الألباء (ص: ٥٨)، وفيات الأعيان (٣/ ٢٩٥).

(٢) انظر: أمالي ابن الشجري: (١/ ١٨٨)، والمصباح المنير: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط، ٢، (١م/ص ٢٥٢، ٢٣٠)، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمن الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، سوريا، (١م/ص ١١٩)، وتاج العروس: (١٦/ ٥٨٤)، والمحيط في اللغة: (٨/ ٣٨٩).

(٣) انظر: تهذيب اللغة: (١٣/ ٦٢).

(٤) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله عبد العظيم خوجة: ص ٢١.

(٥) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: (١/ ١٤٥)، وابن فارس هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين، ولد عام (٣٢٩هـ)، وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري، وتوفي فيها عام (٣٩٥هـ)، من جهوده في التصنيف: كتاب مقاييس اللغة، وهو أشهر كتبه، ومنها أيضاً: المجمل، وكتاب في التفسير اسمه جامع التأويل وغيرها من المصنفات. انظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، (١/ ١٩٣).

(٦) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله عبد العظيم خوجة: ص ٢٢.

بمعنى آخر فإن كلمة "الإنسان" إذا أطلقت هل يراد بها الإنسانية المقومة للهيكل المحسوس؛ ولا مدخل للبدن في ذلك، أم يراد بها البدن المتقوم بالروح؟.

حكى الأشعري^(١) - رحمه الله - في مقالاته أقوال الناس في ذلك^(٢)، وملخصه ما يلي:

الأول: قول أبي الهذيل^(٣): الإنسان هو الشخص الظاهر المرئي الذي له يدان ورجلان.

الثاني: قول النظام^(٤): الإنسان هو الروح.

الثالث: قول بشر بن المعتمر^(٥): الإنسان جسد وروح^(٦).

والحاصل أن الإنسان يطلق ويراد به جنس الإنسان الكائن الحيّ المفكّر القادر على الكلام المفصّل

والاستنباط والاستدلال العقليّ، ويقع على الذكّر والأنثى من بني آدم، ويطلق على المفرد والجمع^(٧).

ثانياً: تعريف الإنسان الكوني:

استناداً على التعريف اللغوي والاصطلاحي للإنسان؛ فإن الإنسانية متصفة بالنسيان والظهور وحاجة الإنسان إلى الأنس والألفة؛ وكل هذه الصفات تقودنا لحقيقة مفادها عجز الإنسان وضعفه وافتقاره إلى المساعدة والمساندة.

(١) الأشعري: علي بن إسماعيل الأشعري، أبو الحسن البصري، ولد سنة (٢٦٠هـ)، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، له من الكتب: اللمع، ومقالات الإسلاميين، ورسالة إلى أهل الثغر، ومات ببغداد سنة (٣٢٤هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، سير أعلام النبلاء (٨٥ / ١٥)، الوافي بالوفيات (١٣٧ / ٢٠).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، مدينة فيسبادن، جمهورية ألمانيا الاتحادية، ط ٣ = ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص ٣٢٩.

(٣) أبي الهذيل: محمد بن محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، أبو الهذيل العلاف، ولد سنة (١٣٥هـ)، وهو من أئمة المعتزلة، واشتهر بعلم الكلام، وله مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، وتوفي سنة (٢٣٥هـ). انظر: تاريخ بغداد (٤ / ٥٨٢)، وفيات الأعيان (٤ / ٢٦٥)، الأعلام للزركلي (٧ / ١٣١).

(٤) النظام: إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام، وكان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة، ومن مؤلفاته: كتاب الطفرة، وكتاب الجواهر والأعراض، وكتاب حركات أهل الجنة، وتوفي بسبب أنه سقط من غرفة وهو سكران، فمات في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦ / ٦٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٠ / ٥٤١)، الوافي بالوفيات (٦ / ١٢).

(٥) بشر بن المعتمر: بشر بن المعتمر الهلالي، أبو سهل البغدادي، فقيه معتزلي مناظر، وتنسب إليه الطائفة البشرية من المعتزلة، ومات ببغداد (٢١٠هـ). انظر: تاريخ الإسلام (٥ / ٤٠)، الوافي بالوفيات (١٠ / ٩٦)، الأعلام للزركلي (٢ / ٥٥).

(٦) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله عبد العظيم خوجة، ص ٢٤.

(٧) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١ / ١٣٠).

ولكن ثمة إنسان آخر يرى أنه تميز عن الإنسانية بمعناها اللغوي والاصطلاحي، وارتقى بإنسانيته أمام الحقيقة الشرعية والكونية التي تقول بأن الإنسان لم يكن ليظهر على هذا الكون إلا من أجل عبادة الله -عز وجل-، وبالتالي فهو مخاطب بالعبودية، وما الكون وما فيها من مخلوقات فهي مسخرة لذلك الإنسان من أجل عمارتها بالتوحيد الخالص لله -عز وجل-.

بيد أن هذا الإنسان الذي زعم أنه ارتقى بإنسانيته إلى درجة أنه أصبح مندمجاً مع الكون؛ وأصبح هو والكون كياناً واحداً منتمياً إلى حقيقة التمدد^(١) المادي في الكون، وحقيقة التمدد المعنوي في الإنسان، عبر التواصل غير المقيد مع الفكر والعقل والروح والإنسان في هذه الحياة، معتمداً على الانفتاح العقلي والروحي والأخلاقي مع كل إنسان في هذا العالم، ومستخدماً كل تقنيات الإنسان الحديث سواءً العلمية أو الفكرية أو السلوكية، فهو باختصار "إنسان عابر لحدود الزمان والمكان، وحدود مستويات العقل والوعي والانتماء الديني والفكري"^(٢).

إذاً الإنسان الكوني هو: إنسان يتمتع بمجموعة من القيم الأخلاقية، والسلوكيات المعرفية، التي لا تتقيد بحد، ولا يحدّها قيد، منفتحة على الكون الذي هو عبارة عن طاقة محرّكة للكيان الإنساني المتصف بالشمولية والكمال، وهو المبدأ الفاعل في الكون عموماً، وفي الكوكب الأرضي خصوصاً^(٣).

ونقصد بمدرسة الإنسان الكوني بتلك المدرسة التي تهدف إلى تقديم رؤية كونية تتضمن تفسيراً للحياة، انطلاقاً من إيمانها بضرورة تفسير القضايا الكونية من خلال البحث في حقيقة الذات الإنسانية، ودور العقل الواعي لبلوغ الذات البشرية إلى مرحلة الاندماج مع الكون ليمثل حقيقة واحدة هي حقيقة الإنسان الكامل.

(١) حقيقة التمدد: هي نظرية تعتقد بأن كل شيء في هذا العالم المادي خلق من منظور لا مادي من قبل ما يسمى المصدر، فكما أن المصدر خلق العالم؛ كذلك فإن الإنسان يستطيع من خلال قوة التفكير "مصدر" أن يصنع عمله، وبالتالي فإن الفكر البشري سابق على الواقع الحقيقي؛ بمعنى أن الزمان والمكان الذي يتواجد فيه الإنسان لم يظهر إلا بقوة الفكر قبل أن يظهر بالشكل، انظر: إسأل تعط: استر وجيري هيكس، ص ٥٦.

(٢) انظر: إسأل تعط: استر وجيري هيكس، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٧، ص(٥٦-٥٨)، وتصفح: مدونة حركة الانسان الكوني: بإشراف المفكر والكاتب العراقي وليد عبد الله، صاحب مشروع الانسان الكوني: حركة فكرية وسلوكية، www.uhm2012.blogspot.com.

(٣) انظر: نفس المرجع السابق بالإضافة إلى: كونية الإنسان: ندرة اليازجي، متاح على موقع معابر: www.maaber.com.

ثالثاً: حقيقة الإنسان الكوني:

منذ القدم؛ وحين انحرفت البشرية عن توحيد الله -عزَّ وجلَّ-، وظهر الفكر البشري القديم يقدم للبشرية أشكالاً وأصنافاً من المعالجات التي ظن أنها تقوم مقام المنهج الرباني الذي ارتضاه للبشرية، وكل تلك المعالجات كانت ضمن إطار الإيمان بقدرات الفكر البشري، وأن هذا الفكر قادر على التعايش مع محيطه وبيئته وكونه، وظلت هذه المحاولات الفكرية خاصة بمن يملك القوة الروحية والسلطة الكهنوتية، وأصبحت الجموع الغفيرة من الجماهير منقاداً لهذه السلطة.

وأمام هذا الانقياد الذي يشوبه الإيمان بقدرات رجال الدين الخارقة، وتنسج حولهم الأساطير في قدرتهم على الخلق والتدبير، ونعتهم بكونهم آلهة أو أنصاف آلهة أو أن الإله حالٌ فيهم، أصبحوا أناساً استثنائيين، والقاعدة الأساسية للوعي الإنساني^(١)، ذلك لأن الإله منحهم صفات خاصة لم يمنحها الكثيرين من غيرهم، وجعلهم يدركون من الأمور ما لا يدركها الآخرون، ويرون من الأشياء ما لا يراه غيرهم، بل ويشعرون ويتوقعون ويتنبئون بما سيقع في المستقبل، فهم يملكون قدرات خاصة هي قدرات نفسية وروحية تجعلهم يتجاوزون الحواس الخمس الطبيعية للإنسان، الأمر الذي يجعلهم قادرين على التأثير على بعض الأفعال قبل حدوثها!، ومن على مسافات بعيدة تتخطى حدود الزمان والمكان^(٢)، وبالتالي فإن رغبة الناس بوجود الإنسان الكوني أمر ضروري؛ لأنهم يشبعون رغباتهم الروحية قبل الحسية^(٣)!

لقد كانت من نتائج محاولات الفكر البشري القديم في حل الأسئلة الميتافيزيقية التي طرحها الإنسان حول الوجود وقصة الخلق والمبدأ والمصير هو توجه الناس إلى تعظيم وتمجيد أولئك الذين حلُّوا هذه الأسئلة من الفلاسفة والمفكرين وأصحاب السلطة الكهنوتية الذين يملكون القوة الروحية، وهم في نظر مجتمعاتهم أناس استثنائيون بفضل ما قدموه لهم من أجوبة حول العالم الغيبي "الميتافيزيقي"، والحقيقة تؤكد أن وصول الإنسان الكوني إلى هذا العالم وتحصيل المعرفة لم يكن إلا من خلال استتراق أبواب السحر والكهانة والتنجيم، والتواصل مع العوالم غير حسية الأخرى!، ولا

(١) انظر: لقاءات مع أناس استثنائيين: أوשו، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١= ٢٠٠٩م، ص ٥.

(٢) انظر: الحاسة السادسة: د. ماهر يسري: ص (٥-٨).

(٣) انظر: لقاءات مع أناس استثنائيين: أوشو: ص ٥.

عجب فقد كان هذا ديناً بالنسبة إليهم، وقد كان الدين والسحر مختلط بعضها ببعض للتسلط الروحي والتأثير على المواد وعلى العقول بالرياضات والتكشف والتضحية، وهذا واضح بالنسبة لديانات الهند، وحتى محاولات الإصلاح والثورة الدينية التي نتجت عنها ظهور البوذية بشتى مذاهبها لم تكن قادرة على التخلص من العلوم السحرية والاتصال مع العوالم غير الحسية، ويظهر هذا بشكل جلي على الطقوس والشعائر الدينية في التبت والصين^(١).

لقد كان من اعتماد الفكر الشرقي القديم على العلوم السحرية والتواصل مع العوالم غير الحسية منطلقاً نحو فكرة الإنسان الكوني، والإيمان بالقدرات الخارقة التي يتمتع بها، وهي حقاً قدرات تفوق قدرات الإنسان العادي، لكن إذا ما عرفنا السبب من وراء هذه القدرات الخارقة بطل العجب. بجانب ما سبق فإن الإنسان الكوني توصل إلى المعرفة أيضاً بطريق آخر لا يقل أهمية عن ما سبق ذكره، وهو الاعتقاد بوجود قدرة كامنة في كل إنسان بوسعها أن تمنحه إدراك المعرفة الحقة^(٢)، وهذه المعرفة يمكن تحصيلها بواسطة قوة العقل الباطن، وهي قوة ينظر إليها على أنها الشعلة الإلهية المقدسة في عقل الإنسان، فهي تمثل جوهر الحياة، ولا حدود لقوتها^(٣)، ويفسر الفلاسفة هذه القوة بحالات الاتصال بالعالم العلوي، واختراق حجب الغيب والوقوف على المكنون الخفي بقوة التخيل، وأن المخيلة متى ما تحررت من أعمال اليقظة المختلفة استطاعت أثناء النوم أن تصعد إلى سماء النور والمعرفة^(٤).

ومن العرض السابق يتضح لنا أن الإنسان الكوني هو عبارة عن قوة خارقة، مصدرها العقل الباطن الذي يملك حق التدبير والتصرف في الكون، فهو الخالق الأعظم لكل ما كان وما هو كائن وما سوف يكون!.

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢=١٩٧١م، (٥٠ص/٦٥).

(٢) انظر: الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة: ديميتري أفينوس، متاح على موقع معابر: (www.maaber.org).

(٣) انظر: العقل الباطن، قوة خارقة في أعماق الإنسان، د. أحمد توفيق حجازي، ص: (١٧-١٩).

(٤) انظر: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه: د. إبراهيم مدكور، الناشر: دار المعارف، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص (١١٦-١١٧).

المطلب الثاني: التصورات الفكرية للإنسان الكوني:

أولاً: الإنسان الكوني في الفكر الشرقي القديم:

إن أبرز تصورات الفكر الإنساني والتي بحثت حول حقيقة الإنسان كانت نابعة من الفكر السائد الذي كان دوماً يحاول التوفيق بين العالم المادي والعالم الميتافيزيقي، ليجد العلاقة والرابطة بين العالمين، فلم يجد سبيلاً لفهم حقيقة تلك العلاقة إلا من خلال الإنسان، والمجتمعات القديمة القائمة على الشعائر التعبدية، والمنطلقة من إيمانها بتأثير القوى الغيبية على حياة الفرد والمجتمع تنبعت لهذه الثغرة، فحاولت أن تسد تلك الثغرة باعتقادها أن هنالك أناس استثنائيون بإمكانهم أن يتغلبوا على طبيعتهم البشرية، فيرتقوا إلى درجات أعلى من الإنسان العادي، الأمر الذي يجعلهم أناس خارقون للعادة البشرية.

وحين نتأمل في الانتاج الفكري والحصاد المعرفي للفكر الشرقي القديم نجد هنالك مجموعة من الأفكار التي ساهمت في تأصيل فكرة الإنسان الكوني أو الإنسان السماوي أو الإنسان الإلهي، ومهما اختلفت الأسماء وتنوعت فإن ما يهمننا هو أصل الفكرة ولبها.

أصل الفكرة نبتت من سعي الإنسان حول التعايش ضد الاختلاف، وبمعنى آخر؛ البحث عن طريقة لوصول "الطبيعة البشرية" إلى مرتبة الكمال، ليعيش الجميع بتناغم تام، وبحيث يستطيع كل شخص أن يكون **حكيماً**، وهو الهدف الأسمى في الفكر الشرقي؛ إذ أن الحكيم يمثل الإنسان الكامل، "وكمال الشخص يمثل كمالاً للحقيقة النهائية".

وهذا التناغم لا يمكن أن يحدث إلا من خلال وجود **"مبدأ"**، و**"شخص"**، و**"فعل"**.

المبدأ هو "تشي" القوة الكونية والقانون الفعال في الأشياء، والذي يمنح الكون تماسكه ونظامه، وهو الذي نشأت عنه كل الأشياء، والمتأصل في كل شيء، وهو القانون الداخلي لطبيعة شيء ما "جزئيات"، ويُنقل من القانون الداخلي "الكلي" للكون^(١).

والكائنات البشرية تأخذ قانون كينونتها من القانون الداخلي للكون، وبالتالي فهي وحدة معه من حيث المبدأ، ولأن الذهن يشير إلى الجوهر الأصلي للإنسانية؛ فالذهن والمبدأ متطابقان، وحين يتم

(١) انظر: تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة: د. محمد حمود، ص(٣٠٣-٣٠٣)، وكتاب الناو: لاو - تسو، صياغة عربية للنص: فراس السواح، ص(٩)، وانظر أيضاً: التخاطر، خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص(١١-١٥)، والطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال، ص(١٣).

إدراك المبدأ وتبينه في كل الأفعال ينال التناغم معاً، ولبلوغ حقيقة هذا التناغم يجب على الفرد أن يكون صادقاً مع مبدأ " تشي - القانون الكلي للكون" (١).

إن وصول "الطبيعة البشرية" إلى مرتبة الكمال كان يعد هاجساً لدى فلاسفة الفكر الشرقي القديم، وأصبح الفيلسوف أو الحكيم شغوفاً للوصول إلى تلك المرتبة، حتى أضحت فكرة الكمال الإنساني أصلاً من أصول الفكر القديم، وظاهرة من ظواهرها.

ومن أبرز الأفكار التي كانت بارزة في الفكر القديم عن طبيعة الإنسان الكوني أو الإنسان الكامل، فكرة أنه أول الموجودات، وقبل ذلك حدث الخلق عن الفكر، فظهرت المخلوقات من الوجود الروحي إلى الوجود المادي، وأن أول الوجود هو الإنسان الكامل.

ثم إن الإنسان الكامل وجد في صورة نورانية؛ فالإنسان الكامل يتميز بكونه ذو طبيعة إلهية، والمخلوقات إنما صدرت عنه، وكل شيء في الكون يقع بتأثيره، فهو التجلي الأول والساري في جميع الكون، وأن الخلاص والصعود والبلوغ لا يمكن إدراكه إلا بوساطته (٢).

والفكر القديم يزخر بعشرات الأساطير التي جسدت فكرة الإنسان الإله، أو الإنسان الذي حظي بمرتبة نصف إله، والفكرة في بدايتها اتخذت شكلاً كونياً؛ إذ يقتصر دورها على تفسير نشأة العالم، ثم تطورت فاتخذت شكلاً آخر هو الخلاص، خلال رحلة استمرت قروناً متطاولة، وكان لها ظهوراً لافتاً في الفكر القديم (٣).

ومن أبرز مظاهر فكرة **الإنسان الكوني** في الفكر القديم حين تتجلى الفكرة في المعتقدات الفارسية القديمة، وقد كانت لها أهمية في المقام الأول، ولا سيما في منهج الاستاق (٤) حين تقرر

(١) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر: ترجمة: نصير فليح، ص (٥٦٣-٥٧٠).

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ٤١٤.

(٣) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ٤١٥-٤١٦.

(٤) **منهج الاستاق**: الاستاق هو الكتاب المنسوب إلى "زرادشت"، وهو الكتاب المقدس عن الزرادشتية، يتجاوز عمره ثلاثة آلاف سنة، وهو موضع شك من حيث مصدره وموطنه ولغته، إلا أن المتفق عليه هو أنه مكتوب بلغة صعبة، لذلك كانت الترجمات مختلفة، ولم تدون نصوصه في البداية، وكانت تنقل التعاليم مشافهة جيلاً بعد جيل، حتى أمر الملك الزرادشتي "كشتاسب" بتدوينه، فدون في اثني عشر ألف جلد من جلود الأبقار، ويتكون من أربعة أجزاء، العبادات، والطقوس، وقانون ضد الأبالسة، وأناشيد العبادة. انظر: المنهجية في دراسة الأديان، أ.د. عبد الله سمك، ص ٤٨٠.

الروايات أن الإنسان الأول هو "كيومرث"^(١)، ويوصف بأنه المبدأ الأول من الأشخاص، وهو الحي الناطق^(٢).

وفي فكر المعتقدات الهندية القديمة نجد فكرة "الإنسان الإله" قد ضُمَّت ضمن طقوس التأمل الكوني، وأصبحت غاية مهمة لكل ناسك ومتأمل، انطلاقاً من فلسفة الانعتاق، حين تتحرر النفس من الجسد وتتحد بالإله، وفي هذا السياق نجد الذين يمارسون التأمل أو اليوغا يطلبون كمالاً روحياً، ويعتقدون أن وصولهم إلى المعرفة الإلهية هو في حد ذاته كمالاً إنسانياً، ومطلباً مهماً من متطلبات فلسفة الانعتاق^(٣).

وحين تقرر الفلسفة الهندية بحقيقة التجسد الإلهي؛ فإن الذين يمارسون التأمل الكوني هم من يكرسون تلك الحقيقة، وأنهم بفنائهم مع ذواتهم قد بلغوا مرتبة الإنسان الكامل، "فالكامل هو الفاني، وهو الذي حل فيه الإله، وهو المتحد به"^(٤).

والفلسفة الهندية تزخر بعشرات المستنيرين الذين بلغوا مرتبة الكمال الإنساني، واتحدوا بالإله، فظهرت الآلهة في أجسادهم، وفي مقدمتهم فلاسفة الفكر الهندي أمثال "راما"^(٥) و"كريشنا"^(٦) و"بوذا" الذين جسّدوا الإله "فشنو"^(٧)، وهذا الأخير اتخذ صوراً عديدة في تجسده لدى المنتورين والذين بلغوا الكمال الإنساني بدعوى حماية العالم وتدييره^(٨).

(١) كيومرث: شخصية مقدسة عند الجوس؛ اختلفت التفاسير حوله، فقائل يزعم أنه المبدأ الأول من الأشخاص، وآخر يزعم أنه آدم -عليه السلام-، وتفسير كيومرث هو "الحي الناطق"، وقد ورد في تواريخ الهند والعجم أن كيومرث هو آدم عليه السلام ويخالفهم سائر أصحاب التواريخ. انظر: الملل والنحل: الشهرستاني، (١/٢٣٢).

(٢) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: (٢م/٣٨)، وانظر أيضاً: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: ص ٤١٥.

(٣) انظر: التصوف في الإسلام: د. عمر فروخ، الناشر: مكتبة الميمنة، بيروت، لبنان، ط ١=١٣٦٦هـ-١٩٤٧م، ص ٣٩.

(٤) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ٤٤٦.

(٥) راما: كائن إلهي عند الهندوس، وظيفته العدل والإنصاف بين الناس.

(٦) كريشنا: كائن إلهي عند الهندوس، وظيفته نشر السلام.

(٧) فشنو: كائن إلهي عند الهندوس، هو الحافظ، وهو إله ممتلئ بالحب والرحمة، ويتخيله الهندوس بصورة شخص جاء ليقدم الخير والعون، وقد يساعده في تنفيذ مهمته آلهة أخرى مثل "راما"، و"كريشنا". انظر: الحقائق المعترية عن الديان المنتشرة: د. أحمد حسين الوصي، ص (١٣٨).

(٨) انظر: الفلاسفة الآسيوية: جون م. كولر: ترجمة: نصير فليح، ص (٣٠٤ - ٣٠٥).

وينظر أتباع سيدهارتا غوتاما - ❁ - بوذا" إلى "بوذا" نفسه بأنه كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه مما فيه من الشرور^(١)، وفكرة "النرفانا" هي في حد ذاتها دعوى للوصول إلى الكمال الإنساني، وأن الإنسان الكامل وفق الرؤية البوذية هو من حقق "النرفانا".

ولقد أثرت هذه الأفكار بشكل كبير في الديانات التي تؤمن بفكرة الخلاص، ولا سيما الغنوصية منها، وربما كان أول ظهور لفكرة الإنسان الكامل بخصائصها الخلاصية، على يد المانوية، الذين كانوا يعتقدون أن "ماني" كائن إلهي، له الوساطة في الخلاص^(٢).

وبعيداً عن الاتجاه الذي يؤمن بحقيقة الإنسان الكامل وأثره في تفسير نشأة الكون، ودوره في الخلاص، نجد أن هنالك اتجاهات أخرى يختلف عن الاتجاه السابق، وهو الاتجاه الذي يؤمن بحقيقة التفويض الإلهي للإنسان الكوني، وأنه يملك سلطة روحية يستطيع من خلالها تدبير أمور الكون بما فيه الإنسان، وهذا الاتجاه ظهر جلياً لدى المجتمعات الزراعية التي كانت لا تملك في العملية الزراعية سوى وضع البذور، ومن ثم رعايتها، وخوفاً من الكوارث الطبيعية التي كانت تجتاح مزارعهم كانوا يستلطفون رحمة الطبيعة من خلال التوجه إلى الإنسان الكوني الذي يملك سلطة روحية، وتفويضاً إلهياً من السماء يجعل لهم القدرة في تدبير أمور الكون، فكانوا هم الوساطة بين أبناء المجتمع الزراعي وبين آلهة الطبيعة، يستنجدون بها، ويستلطفون رحمتها لتحفظ لهم نتاجهم الزراعي^(٣).

وفي بعض المجتمعات في الفكر الشرقي القديم، على سبيل المثال: المجتمع المصري، فقد كان الإنسان الكوني هو الذي يملك السلطة، حتى عُدد فرعون إلهاً أو ابن إله، بسبب التأثير الكبير الذي كان يحدثه في تنظيم الشؤون الداخلية لمصر القديمة. فقد كان هو مصدر الازدهار، والأحكام الصادرة عنه بمثابة اليقين، وهو موضع عبادة أمام الجموع الغفيرة من المصريين، وبالتالي فإن الفرعون المصري نموذج للإنسان الكامل أو الإنسان الإلهي، وهو يمثل شخصية أسطورية لا يمكن مخاطبته مباشرة كالإنسان؛ لأنه يعلم ما يقع، وليس هناك شيء في الدنيا لا يعلم به، وخصوصية الفكر المصري تكمن في الاتصال بين إله العالم العلوي وإله العالم الدنيوي، والإنسان عليه أن يدرك أنه خليفة إلهية،

(١) انظر: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١١ = ٢٠٠٠م،

ص ١٦٣.

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ٤١٦.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: د. محمد قطب، ص (٣٧٤).

ومن ثم عليه أن يدرك صلته بالإله، فالكون يتحكم فيه الإله الخالق، والدولة يتحكم فيها الفرعون باعتباره ابن الإله، وصورة تمثله في الأرض^(١).

الفكر الصيني اختلفت نظرتة للإنسان الكوني عن النظرة السابقة، فهو لم ينظر إلى الإنسان الكوني كشخص محليّص؛ وإنما نظر إليه كشخص يملك سلطة السماء التي لا تستهدف إلا الخير، وبالتالي فالإنسان الكوني هو الإنسان الحاكم، والإنسان الذي يستمد قوته من خلال سلطة الأسلاف المتواجدين في السماء، كمبدأ أساسي توضح العلاقة بين الأبناء وبين أسلافهم، وبالتالي فإن الإنسان الكوني يحمل صفاتاً إلهية، ويختلف عن عامة الناس الذين يفتقرون للأصول المقدسة^(٢). وتقرر الفلسفة الصينية بأهمية فهم الطبيعة، ومحاولة فهم القانون الطبيعي؛ فهو السبيل الموصل إلى مرتبة الطبيعة البشرية الكاملة، والقوة الحقيقية كامنة داخل الطبيعة، ولا سبيل إلى معرفة حقيقتها إلا من خلال ممارسة التأمل الكوني؛ ذلك لأن عقل الإنسان الكوني إذا كان في حالة سكون فإن الحقيقة تنعكس عليها، تقول النظرية: "في العقل الساكن المفتوح سوف تنعكس الحقيقة"^(٣)، حينها فقط يمكن تذوق المعنى الحقيقي للعالم الذي يتحقق التناغم فيه، وفهم سر الوجود والحرك الفعلي لها تكمن في فهم حقيقة القوة الكونية القطبية "ين ٠ يانغ"، وقتها يدرك الإنسان الكوني سر الوجود.

ثانياً: الإنسان الكوني في الفكر اليوناني:

تميز الفكر اليوناني من خلال نظرتة للإنسان بسمتين بارزتين، تتجلى السمة الأولى في كونه مخلوقاً يتصف بالحواس والعقل والوجدان، فأضفت على العقل البشري قداسة منقطع النظر، وجعلت من "العقل" قوة جبارة تضفي دلالة خاصة على الوجود البشري.

وأما السمة الثانية فتكمن في كونها شخصية مبدعة وخلّاقة بفضل امتلاكها ملكة العقل، وهي بذلك قد أهدرت الجانب الروحي لدى الإنسان، وجعلت الإنسان بفضل امتلاكه لقوة "العقل" مشاركاً في الإبداع والخلق.

(١) انظر: الخطاب السياسي في مصر القديمة: مصطفى النشار، الناشر: دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١=١٩٨٨م ص ١٦١.

(٢) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر محمد صبحي عبد الحي، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١=١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، ص (٥٠-٥١).

(٣) انظر: كتاب التاو والفضيلة: لاو- تزو، ترجمة: علاء الديب، الناشر: دار الكرامة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١= ٢٠١٦م، ص ٧.

وعلى الرغم من كون الإنسان اتصف بهذه السمات إلا أنه يبقى ناقصاً نظراً لتأثير البعد الميتافيزيقي عليه؛ لأن نظرية الكلمة "اللوغوس" أو "القوة العاقلة" المنبثقة في جميع أنحاء الكون أو "العقل الكلي" تؤثر في الإنسان، لكونها تمد العقول الجزئية بكل ما فيها من نطق وعلم. ولقد حاول فلاسفة اليونان توضيح أثر البعد الميتافيزيقي على ملكة العقل عند الإنسان، فقالت الرواقية بأن الإنسان جزء من الكون، وأن كل ما يقع في الطبيعة فهو يقع بتأثير العقل الكلي.

كيف يحدث ذلك؟

قالوا إن العقل عن طريق امتثاله لأمر الإحداث المعبرة عن إرادة الله تعالى ينفذ إلى الطبيعة، ويتحكم فيها تحكماً مطلقاً، وبالتالي فإن العقل إنما هو جزء من العقل الإلهي المنغمس في أجسام الناس.

والحكيم هو الذي يعلم أن كل شيء في الطبيعة إنما يقع بتأثير العقل الكلي^(١). وتتفق الأفلاطونية مع الفلسفة الرواقية في تأثير العقل الكلي على العقل الجزئي، وتسميه بالعقل الفعال، وتعتقد بأن هنالك عقلاً آخر هو العقل بالقوة "العقل الكامن" وهذا هو الجزء الإلهي في الإنسان، ومعرفة هذا الجزء تبعث على عودة النفس إلى أصلها - حين فاضت من العقل الكلي - بعد أن تتحرر من المادة، وتعتقد من عبودية الجسد والحس، فتذوب النفس في الآلهة وتتحد به، وتحظى بالسعادة الحقة^(٢).

كما أن العقل الكلي يؤثر على ملكة العقل لدى الإنسان، فإن هذا العقل هو جزء من العقل الكلي، وبالتالي فإن فلاسفة اليونان من الرواقيين والأفلاطونيين يتفقون على أن في الإنسان جزءاً إلهياً.

وإذا كان الرواقيون يرون أن عقل الإنسان عقلاً جزئياً يتأثر بتأثير البعد الميتافيزيقي عليه، فإن السفسطائيون قد خالفوهم حين أعلنوا أن "الإنسان هو مركز الأشياء، وهو مقياس كل شيء"^(٣).

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: ص(٤٥٧-٤٥٨).

(٢) انظر: موسوعة أعلام الفلسفة: روني ألفا، مراجعة: جورج نخل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط=١٤١٢هـ-١٩٩٢م، (١م/١٠٨)، وانظر أيضاً: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: ص٤٦٢.

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون بإشراف زكي نجيب محمود، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص٩٢.

وهذا الإعلان هو بمثابة التأكيد المطلق للمبادئ الذاتية^(١) المتمركزة حول الذات، وهي دعوة تحوي في مضامينها أهمية الرجوع إلى الذات واستكشافها للوصول إلى المعرفة الباطنية، ومن نتائجها أن الإنسان لا بد له من أن يقدر الأشياء بناءً على خبرته الفردية الخاصة^(٢)، وبالتالي فإن السفسطائيون قد جعلوا الإنسان هو المحور الأهم في البناء المعرفي، وأن المعرفة الإنسانية النابعة من التجربة الفردية هي المعيار التي من خلالها يتم فهم الحكمة، مشككين في الوقت ذاته على دور الآلهة في إيجاد الخير أو الشر، فالخير والشر أمر نسبي؛ فما هو خير بالنسبة للفرد قد يكون شرًا بالنسبة لفرد آخر. وهذا الأمر دفعهم إلى إلغاء دور الآلهة تمامًا، وجعل الإنسان هو مركز الأشياء، ومقياس كل شيء، والإحساس هو معيار الوجود، وأنكروا الحقيقة المطلقة، والقول بالحقيقة الاعتبارية، ولذلك فقد كانت المعرفة عندهم معرفة حسية من جهة، ومن جهة أخرى فهي نسبية تختلف من إنسان لآخر^(٣).

ولقد حارب أفلاطون السفسطائيون وأفكارهم المغلوطة، والتي تنمي ظاهرة الأنانية في الفرد، وتعلي الفردية وتنتصر لها على حساب القيم والأخلاق، فلا وجود للخير المطلق، ووجوده هو وجود فردي فقط.

ولذلك فإن الإنسان عند أفلاطون هو الذي يستطيع بفضل صحبته الدائمة للنظام الإلهي، والتي توصل إليها من خلال التأمل في الكون الذي يحكمه النظام الثابت والمتوافق، ويخضع فيه كل شيء للعقل، أن يحدث مثل هذا النظام في نفسه، ومن ثمَّ يصبح شبيهاً للآلهة، وهذه في حد ذاتها دعوة إلى تبني مشروع فكرة الإنسان الكوني؛ فأفلاطون يرى أن المعيار الأهم في الإنسانية هو مدى تشبهها بالآلهة، والسبيل إلى ذلك يكمن من خلال التأمل في الذات، ومقارنتها بالكون، فالذات هو الكون الأصغر في هذا العالم الذي نجد فيه كوناً أكبر بنظامه الدقيق ومبادئه الثابتة وقوانينه المتوافقة، ومتى ما استحدثت الإنسان هذا النظام الذي استلهمه من الكون الأكبر وطبقه في الكون الأصغر حينها يكون مشابهاً للآلهة، وفكرة التشبه بالآلهة هي في أساسها نابعة من فكرة عالم المثل الذي تبناه

(١) المبادئ الذاتية هي مجموع القيم والأفعال التي يصدرها الإنسان كردة فعل لما في ذاته وكيانه، والأفعال الخيرة هي التي تؤدي إلى نشوء الأخلاق والفضيلة وحب الآخرين، بينما أفعال الشر تؤدي إلى ظهور الأنانية والفردية وانعدام الفضيلة والتفسخ الأخلاقي.

(٢) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون بإشراف زكي نجيب محمود، ص ٢٣٢.

(٣) انظر: الفلسفة اليونانية: أ. د. أحمد السيد علي رمضان، ص (٣٦-٣٢).

أفلاطون، حين قرر أن الوجود هو عبارة عن عالمين: عالم المثل، وعالم الحس، وأن العالم الحسي "الموجودات" ما هي إلا صورة انعكست عن عالم المثل، وأن وراء المثل خالقاً مدبراً للعالم يقوم بذلك الدور، يشبه ما يقوم به الفنان حين ينحت من المادة تمثالاً على صورة معينة، فهو الذي يخلع على المادة صورة المثل، ويكسبها صفاتها، فتوجد الأشياء.

وكذلك الإنسان يكون مشابهاً للإله حين يتأمل في ذاته التي تساوي عالم المثل، وهو العالم الحقيقي الذي لا يشوبه الخداع والوهم، فيعكس تأملاته في ذاته إلى عالم الحس، فتنشأ الفضيلة وتظهر القيم، وتنتصر الأخلاق على المادة، ويصبح الفرد إنساناً إلهياً.

وفكرة الإنسان المتشبه بالإله التي تبناها أفلاطون هي فكرة نابعة من المدرسة اللاهوتية التي كان أفلاطون أحد أتباعها، وأقصد أن تلك المدرسة بحثت عن إله مبين لخلقهم ومغاير لهم، بعيداً عن التصور الوثني السائد لدى اليونان؛ وإلا فإن المعتقدات الدينية لدى اليونان تصور فكرة الإنسان الإله كتفسير للصراع الدائر بين الآلهة اليونانية وبين البشر، ويصور لنا الأستاذ محمد قطب هذا الصراع فيقول: "إنه صراع الإنسان لإثبات ذاته، وإثبات وجوده، وإثبات فاعليته في الحياة، وإثبات إيجابيته، وإن العصيان - عصيان الله - هو برهان الإيجابية والفاعلية لإثبات الذات... إنه انحراف بشع تكاد تنفرد به - فيما أعلم - تلك الجاهلية اليونانية!، فالجاهليات الأخرى - فيما أعلم كذلك - قد توهمت وجود آلهة متعددة، وجعلت من بعض هؤلاء الآلهة آلهة شريرين صناعتهم الشر والانتقام والإيقاع بالإنسان بلا غاية سوى التدمير والإهلاك. ولكن الجاهلية اليونانية وحدها هي التي اختصت بتصوير هذا الصراع المنفر بين البشر والآلهة، من أجل إثبات فاعلية الإنسان وإيجابيته!، فكتبت اللعنة على الإنسان أنه لا يثبت ذاته إلا على حساب عقيدته، وأن ضميره لا يصطح مع الله، فلا يقوم الوثام في داخل نفسه بين رغبته الفطرية في إثبات ذاته، ورغبته الفطرية في الإيمان بالله" (١).

ثالثاً: الإنسان الكوني في الفكر الإسلامي:

لم يكن الإسلام في حاجة إلى تبني فكرة الإنسان الكوني، ولن تجد لهذا المصطلح حضوراً في العقيدة الإسلامية، ولو تتبعنا نصوص الكتاب كلها، وقرأت السنة الصحيحة من ألفها إلى يائها، بل وحتى ضعيفها وموضوعها فلن تجد لفكرة الإنسان الكوني حضوراً؛ ذلك لأن الله - عَزَّوَجَلَّ - حين

(١) انظر: جاهلية القرن العشرين: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ١٢ = ١٤١٢ هـ = ١٩٩٢ م، ص ٢٥.

أكمل نعمته على المسلمين ورضي لهم الإسلام دينًا ، فإن المعرفة الإلهية عند المسلمين قد كملت حين توجهوا بالتوحيد إلى ربهم، فالمسلم يكون كاملاً حين يكون موحدًا، والكمال لله -عز وجل-، وإن علاقة المسلم بربه علاقة مباشرة ليس فيها وسيط روحي ولا إنسان كوني يتميز بصفات إلهية وخصائص ذاتية، تجعله مفارقًا عن الإنسان العادي. والإسلام قد أعلى من إنسانية الإنسان وكرمه ورفع من شأنه، وجاءت نصوص الوحيين تستلهم الهمم من أجل التفكير في مخلوقات الله واستدراك عظمة الله وعجيب صنعه وتدييره للكون والمخلوق.

وفكرة الإنسان الكوني هي في أساسها فكرة نابغة عن نقص في الفكر!، والمتأمل في الفكر القديم والفكر اليوناني يجد أن قضية الإنسان الكوني هي قضية نابغة عن حاجة، وهي من أجل إيجاد علاقة تواصلية بين الخلق وبين الآلهة، ولأجل ذلك ظهرت السلطة الكهنوتية في الفكر القديم، ونجد أن ذلك الفكر قد أعيا عوام الناس في معتقداتهم ولبّس عليهم وأوقعهم في الحيرة والشك حين وجههم إلى التعدد في المعبودات، وتميز رهبان المعبد وحكماء المجتمع وفلاسفتها بعقيدة خاصة بهم، هي عقيدة الاندماج والانحلال في الجوهر الكلي المطلق.

ولم يكن الفكر الإسلامي في حاجة إلى مثل هذه الأفكار، والرسول -صلى الله عليه وسلم- ترك أمته على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وما من خير إلا وقد دل أمته عليه، وما من شر إلا وقد حذر أمته منه.

ولكن نتيجة للأفكار العقيدية الوافدة من خارج البيئة الإسلامية بسبب التمازج الفكري والتلاقح الثقافي بين مختلف الحضارات، أو بسبب اعتناق البعض للمعتقدات الباطنية بحسب ظروف معينة، وما كان لحركة الترجمة من دور كبير في التأثير على الفكر الإسلامي، حين نقل التراث الشرقي واليوناني إلى العالم الإسلامي، وتسربت الأفكار الوافدة من خارج البيئة الإسلامية إلى داخلها، ومن ضمن تلك الأفكار ظهور فكرة "الإنسان الكامل"، وهي فكرة تبناها أصحاب التصوف الفلسفي الباطني، مثل محي الدين ابن عربي، وإليه تنتسب الفكرة، فلا يرى استخدام المصطلح إلا في مؤلفاته، وليس له أثر فيمن قبله، وقد اشتهر فيمن بعده، وكتب فيه من كتب، ومنهم عبد الكريم الجيلي الذي ألف كتاباً سماه "الإنسان الكامل" وزعم أنه أخذه من عند الله! (١).

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص ١٤٣.

وفكرة الإنسان الكامل تضاهي فكرة الإنسان الكوني أو الإنسان الإله، أو الحكيم المتشبه بالإله، على غرار ما ورد في المعتقدات الدينية القديمة، وكلها تتميز بكونها تضيفي للإنسان صفة إلهية قادرة على الخلق والتدبير، و"الإنسان الكامل" حسب ما يقرره "ابن عربي" هي النسخة التي أرادها أن تتوافق مع البيئة الإسلامية!، فالأفكار شرقية والتطبيق إسلامي!.

ويقدر "ابن عربي" فكرة "الإنسان الكامل" فيصفه بالجامع للحقائق الإلهية والكونية، ويعتقد أنه هو البرزخ بين الوجود والإمكان، وهو الوساطة بين الحق والخلق^(١)(٢).

وكونه جامعاً للحقائق الإلهية بمعنى أنه كالمرآة تعكس صورة الناظر فيها، ومن ينظر في المرآة يرى فيها صورة الواقف أمامها، فالإنسان الكامل عند "ابن عربي" هو المرآة التي تظهر صورة الله تعالى، فينعكس ذلك على الخلق^(٣)، والسبب الذي حملة على ادعاء هذا القول هو بسبب اعتقاده أن وجود الله وجود مطلق، ليس له اسم ولا صفة، ثم أراد أن يرى نفسه في مرآة هذا الوجود فظهر في صورة الكائنات^(٤)، وأعظم هذه الكائنات وأكملها هو صورة الإنسان الكامل.

(١) انظر: الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص: صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالبي، الناشر: BOOKS-PUBLISHER، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٣٤هـ-٢٠١٢م ص ١٢، وانظر أيضاً: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي درجوج، بإشراف: د. رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٦م، (م/١ص ٢٨١).

(٢) اخترت تعريف "ابن عربي" في هذا السياق لكونه مرجعاً للفكرة، وكتب المتكلمين وفلاسفة التصوف مليئة بالتعريفات، وكلها تدور حول فكر ابن عربي وتعريفه للإنسان الكامل، ومن أبرز من كتب حول الإنسان الكامل هو عبد الكريم الجيلي، وله تعريف طويل عريض، صرفت النظر عن إيراده لما فيه من الإطالة، وهو في الجملة لا يخرج عن تعريف ابن عربي، كما أن للشريف الجرجاني تعريف حول "الإنسان الكامل" فيقول: هو الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية؛ الكلية والجزئية وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، فمن حيث روحه وعقله: كتابٌ عقلي مسمّى بأمر الكتاب، ومن حيث قلبه: كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه: كتاب المخو والإثبات، فهو الصحف المكرمة، المرفوعة المطهرة، التي لا يمسه ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية، فنسبة العقل الأول إلى العالم الكبير وحقائقه بعينها نسبة الروح الإنساني إلى البدن وقواه، وإن النفس الكلية قلب العالم الكبير، كما أن النفس الناطقة قلب الإنسان، ولذلك يسمى العالم بالإنسان الكبير. (التعريفات: ص ٣٨). وقد ذكر الدكتور لطف الله خوجه في رسالته القيمة عن الإنسان الكامل جملة من التعريفات وناقشها وأسهب فيها ونقدها نقداً علمياً. وذكر مجموعة من المصطلحات المرادفة لمصطلح الإنسان الكامل ومنها "الولي، القطب، الحقيقة المحمدية، الكلمة..." راجع: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: ص (١٤٦-١٨٠).

(٣) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجه، ص ٢٠٩.

(٤) انظر: درجات التصوف والموقف الشرعي منها: د. أبو زيد بن محمد مكّي، ص ٣١٨.

وكونه جامعاً للحقائق الكونية بمعنى أن الموجودات هي محل الظهور والتجلي الإلهي، والقاسم المشترك بين الإنسان الكامل وبين الكون أن كل موجود في الكون فحقيقته تتمثل في الإنسان الكامل، فهو مجمع وخزانة حقائق كل الموجودات، فالإنسان الكامل هو مركز العالم وروحه، وهو بالنسبة للعالم كنسبة الروح إلى البدن. ويصور "ابن عربي" العلاقة بين الله تعالى والعالم والإنسان، فيجعل "الإنسان الكامل" مختصر "العالم"، والعالم مختصر "الحق"، والنتيجة أن "الإنسان الكامل" مختصر "العالم والحق"، فهو نقاوة المختصر، والإنسان الحيواني "العادي" مختصر العالم^(١).

والإنسان الكامل بكونه جامعاً للحقائق الإلهية والكونية أهله ليكون في مرتبة وسط بين الحق والخلق، وهو في هذه المرتبة يمارس وظيفته في إيصال الفيوضات الإلهية إلى الخلق، كما أنه يصعد بالإنسان إلى الحق ليفنى فيه، وبالتالي يكون الإنسان الكامل هو الواسطة بين الحق والخلق، وانعدامه هو انعدام لهذه الواسطة؛ إذ يمتنع حصول عملية الفيض والفناء بدون هذه الواسطة^(٢).

وإذا كان الإنسان الكامل هو الواسطة بين الحق والخلق لكونه جامعاً للحقائق الإلهية والكونية، فإن من وظائفه التصرف في الكون، وتدبير أمور المخلوقات!، لأنه أصبح في عالم البرزخ، مطلع على الغيبات!، يعلم أسرار الوجوب والحكمة من الإمكان!، فيهب لمن يشاء!، ويعطي من يشاء!، ويمنع ممن يشاء!، وفي هذا الصدد يقرر فلاسفة التصوف بأن للإنسان الكامل ثلاثة برازخ وبعدها المقام المسمى بالختام.

البرزخ الأول يسمّى البداية وهو التحقق بالأسماء والصفات. **والبرزخ الثاني** يسمّى التوسّط وهو محك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر الممكنات واطلع على ما يشاء من الغيبات. **والبرزخ الثالث** وهو معرفة التنوع الحكيمية في اختراع الأمور القدرية، ولا يزال الحق يخرق له العادات بما في ملكوت القدرة حتى يصير له خرق العوائد عادة في تلك الحكمة، فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان. وإذا تمكّن من هذا البرزخ حلّ في المقام المسمّى بـ "الختام"، وليس بعد ذلك إلا الكبرياء، وهي النهاية التي لا تدرك لها غاية. والناس في هذا المقام مختلفون فكامل وأكمل وفاضل وأفضل^(٣).

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص(٢٢٤-٢٢٧).

(٢) نفس المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٣) انظر: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، (١م/ص ٢٨١).

وهذا ويتفق فلاسفة التصوف الباطني في الإنسان الكامل على مجموعة من الصفات والخصائص التي يتميز بها، وهي ذاتية ومتعددة ومنها:

- ١- أن الإنسان الكامل له من الصفات البشرية والإلهية، فهو مكون على الصورة الإلهية، وبنفخة إلهية، وكمال مستمد من حيازته الأسماء والصفات والإلهية.
 - ٢- هو مرآة الحق، يرى الحق بنفسه، وبه تعرف الحق إلى الخلق، وبدونه لا يعرف!؛ لأنه على صورته أزلاً وأبداً.
 - ٣- هو روح العالم، ونسبته إليه كنسبة الروح الإنساني إلى البدن، وبقاؤه ببقائه، وكل رقيقة منه تمتد إليه لتمده وتحفظه.
 - ٤- هو الواسطة بين الحق والخلق، فالفيض الإلهي يصل الخلق من خلاله، ووصول الخلق إلى الحق والفناء فيه يكون من خلاله.
 - ٥- وهو يظهر في كل زمان ومكان، وهو واحد، وأكمل ظهور له هو ظهوره في صورة النبي محمد - ﷺ - ثم الأنبياء، ثم الأولياء.
 - ٦- الإنسان الكامل له التصرف والتمكين في الكون والكشف، بحكم الخلافة الإلهية.
 - ٧- كل إنسان في أصله يكتنز حقيقة "الإنسان الكامل" في نفسه، فمنهم من ينال المرتبة بحكم الاصطفاء، ومنهم من ينالها بحسب الاستعداد^(١).
 - ٨- وأخيراً: فإن الإنسان الكامل كما هو الواسطة بين الحق والخلق في الدنيا، كذلك فإن التجليات الإلهية لأهل الآخرة إنما تكون بواسطة الإنسان الكامل. والمعاني المفصلة لأهلها متفرعة من مرتبته ومقام جمعه أبداً، كما تفرع منه أزلاً. وما للكامل من الكمالات في الآخرة لا يقاس على ما له من الكمالات في الدنيا، إذ لا قياس لنعم الآخرة على نعم الدنيا^(٢).
- هذه المميزات والخصائص التي انفرد بها الإنسان الكامل، نجد أنها نابعة من التصور الفلسفي للوجود عند أفلوطين^(٣)، وتصور "ابن عربي" للفكرة حسب ما يتضح لي هي الصورة الأنضج

(١) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة، ص (١٤٧-١٤٨).

(٢) انظر: نقد النصوص في شرح نقش الفصوص: مولى عبد الرحمن الجامي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيال، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٧٧.

(٣) سبق ذكره في المبحث الأول من هذا الفصل، راجع ص ١٧٠ وما بعدها.

والكاملة للتصور الأفلاطوني الذي تبنى نظرية الفيض والصدور، والسبب وراء ذلك هو وضوح التصور الإلهي عند "ابن عربي" بخلاف "أفلوطين" الذي توجه للطبيعة والكون للبحث عن الإله. وأفلوطين وإن كان يتميز بنظرته التوافقية بين الفلسفة الشرقية والفلسفة اليونانية، وهو الوعاء الذي جمع بين التصور الشرقي للإله الذي يراه في كل الموجودات، وبين التصور الوثني اليوناني، والذي استقر في آخره على نبد الآلهة اليونانية بسبب الصراع بين الإنسان الكوني وبين الآلهة، ومن ثم الوصول إلى الاعتقاد بأن خلف الوجود إله مغاير للخلق ومباين لهم، وهذا بلا شك حدث بسبب الالتقاء الفكري بين الشرق واليونان في المدرسة الاسكندرية. ويلاحظ التأثير الشرقي على الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

كذلك فإن "ابن عربي" استطاع أن يصل إلى مرحلة من التوافق بين التصور الأفلاطوني وبين ما يظنه معتقداً إسلامياً. فهو باختصار يعد من رواد المرحلة الثالثة من التصوف، وهي المرحلة التي اختلط فيها التصوف بالفلسفة اليونانية، وتبنى رواد هذا المرحلة نظريات الفيض والصدور والإشراق، ولا شك أن هذه المرحلة هي من أخطر مراحل التصوف، ومن لوازم الاعتقاد بحقيقة الإنسان الكامل هو إنكار أن يكون لهذا الكون خالقاً مالكاً مدبراً.

كما أن تصور "ابن عربي" لفكرة الإنسان الكوني هو تصور شامل لكل التصورات الفلسفية الشرقية أو اليونانية، وهي تصورات لا تخرج عن كون البعض اتخذها وسيلة وأداة لفهم الطبيعة، وإدراك الروح الكونية لفهم أسرار الحياة، وإدراك الغيبات، كما هو الحاصل عند حكماء الصين، أو اتخذ من الفكرة بأهمية وجود "المخلص" الذي يضحى بنفسه من أجل خلاص البشرية من الخطيئة كما هو الحال مع "بوذا" وعند من يؤمن بنظرية المخلص من النصارى ومن وافقهم. أو اعتقد أن الإنسان الكوني هو الوسيط بين الخلق وبين معبودهم كما هو الحال عند رهبان المعابد وكهنتها في الفكر الشرقي القديم.

إلا أن ما تميز به ابن عربي عن ما سبقه هو جمعه لكل الاتجاهات الفكرية حول الإنسان الكوني في إطار واحد، فالإنسان الكامل وفق رؤيته هو الإنسان الذي انعكست عليه صورة الإله، فهو روح العالم، وبه تدرك الحقائق، وهو المخلص الذي يصل الخلق بخالقهم فيحقق لهم الفناء، وهو الوسيط بين الحق والخلق، فيوصل الفيوضات الإلهية بهم.

رابعاً: الإنسان الكوني في الفلسفة الحديثة:

أول من نادى بفكرة "الإنسان الكوني" في الفكر الغربي هو الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشة"، وهو من فلاسفة القرن التاسع عشر.

ويعتبر "نيتشة" من الفلاسفة الذين تبنا نظرية "الإنسان الأعلى" بسبب نقده لصحة الاعتقاد في الدين المسيحي، وما تحويه العقيدة المسيحية من طلاس كنيسية، وكهنوت رجالها الذين نسجوا حول المسيح جملة من الاعتقادات أدت إلى قصور العقل البشري عن إدراك الحقيقة الإلهية، وإهدار قيمة العالم الأرضي في سبيل العالم الآخر.

وقد تأثر بـ "شوبنهاور"، و "فاجنر"، ولكنه آثر أن يبني منهجه الخاص لنفسه، والذي يعتمد على التصوف الخالص بعيداً عن منهج التحليل النقدي، وقد نشر مذهبه في كتابه "هكذا تكلم زرادشت"، ويمكن أن نستقي نظريته حول "الإنسان الأعلى" من هذا الكتاب الذي أعلن فيه موت الإله! (١).

لقد كان لعصر التنوير الذي وجد فيها "نيتشه" نفسه محاطاً بجملة من النظريات والقوانين الفيزيائية التي توصل إليها البشر من خلال الثورة العلمية أنه لم يعد هناك حاجة للعناية الإلهية، فأوروبا لم تعد بحاجة إلى الإله كمصدر ومرجعية للأخلاق أو القيمة أو النظام في الكون، بل كانت الفلسفة والعلوم قادرتين على فعل ذلك من أجل فهم العالم. وقد دفعت الفلسفة العلمانية المتزايدة في الغرب إلى إدراك "نيتشه" أن الإله لم يمت فقط، بل أن البشر قد قتلوه بثورتهم العلمية، ورغبتهم في فهم العالم بشكل أفضل (٢).

وبالتالي فإن مفهوم موت الإله عند "نيتشه" هو مفهوم قصد بها موت القيم والمثل العليا والأخلاق المنبثثة من الأديان، وبشكل عام موت كل ما هو ميتافيزيقي وكل المثالية التي كانت تعلو فوق العالم الحسي وماديته، ومن أجل ذلك نادى بالإنسان الأعلى المتحرر من كل المعتقدات والأفكار والقيم والأخلاق المتمثلة في موت الإله؛ فيرقى لمكانة جديدة تامة، هي مكانة "الإنسان الأعلى" (٣)، وفي هذا السياق يقول "نيتشه" وهو مخاطباً الإنسان الراقي: "إن طبقة الشعب تنكر الإنسان الراقي؛ فهي ترى الناس على اختلاف طبقاتهم إنساناً واحداً أمام الله، أما المساواة أمام الله

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ٤٣٢.

(٢) انظر: ماذا قصد نيتشه بموت الإله؟: محمد أحمد يوسف، مقال على موقع إضاءات، بتاريخ: ١٠/٧/٢٠١٨م.

(٣) نفس المصدر السابق.

فما لنا ولها ما دام هذا الإله قد مات!، ولكن العامة كائنة ونحن نأبى المساواة أمامها، فأعرضوا عن العامة أيها الرجال الراقون، وابتعدوا عن ساحاتها"^(١).

لقد نادى "نيتشه" بفكرة الإنسان الأعلى، ملهماً ذلك الإنسان بضرورة التحرر من القيم والمثل العليا التي تنادي بها الأديان؛ لأن تلك القيم والمثل ببساطة تمثل إله الإنسان العادي، وأما الإنسان الراقى فما كان له أن يُبعث مرة أخرى لولا أن الخطر الأعظم قد زال حين أُدرج "إله الإنسان العادي" في لحدده!.

ولعل "نيتشه" يقصد بالبعث هنا هو إعادة الأمل للحياة الغربية الجديدة التي قامت على أنقاض سلطة الكنيسة، حين وضعت الكنيسة اعتبار الإنسانية في معزل عن قيمتها الجوهرية، فلا كرامة لذلك الإنسان أمام المعرفة الكهنوتية التي لا يمكن حتى إبداء الرأي فيها فضلاً عن التشكيك في ماهيتها.

ومن أجل ذلك نادى "نيتشه" بنظرية "الإنسان الأعلى"، وقد انطلق من "نظرية التطور" في بناء فكرته، يقول واصفاً الإنسان العادي، والإنسان المتفوق: "إنني آت إليكم بنبأ الإنسان المتفوق، فما الإنسان العادي إلا كائن يجب أن نفوقه، فماذا أعددتكم للتفوق عليه؟".

إن كلاً من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى في مدها، بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الإنسان، وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره؟.

لقد اتجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الإنسان، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف به ديدان الأرض، لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى، على أن الإنسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود في قرديته.

لقد أتيتكم بنبأ الإنسان المتفوق، إنه من الأرض كالمعنى من المبنى، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الإنسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها. ما الإنسان إلا حبل منصوب بين الحيوان والإنسان المتفوق، فهو الحبل المشدود فوق الهاوية"^(٢).

إذاً فنظرية التطور ألهمت "نيتشه" احتمال وجود إنسان يتعالى على كل المعوقات؛ من مرض وشيخوخة وغيرها، وذلك لأن إنسانية "نيتشه" تقرر أن أصل الإنسان دودة أو قرد، وقد أخذ في

(١) انظر: هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص ٣٢١.

(٢) انظر: هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، ص (٤١ - ٤٢).

التطور إلى أن وصل لهذه الصورة، فلا يبعد أن يصير في المستقبل إلى الكمال المطلق، خصوصاً وأن كلَّ واحدٍ من بني البشر يجد نفسه توافاً دائماً إلى الكمال والمثالية في كل شيء، في نفسه ومن حوله^(١).

وبحسب التطور الذي ينشده "نيتشه" فإن "الإنسان الأعلى" هو الذي بلغ مرحلة متطورة من الوجود؛ مرحلة يتجاوز فيها "الإنسان الأعلى" الإنسان العادي، تجعل من هذا الأخير مجرد أضحوكة وإحراج مؤلم أمام "الإنسان الأعلى"، وهل القرد من الإنسان إلا سخريته وعاره؟".
وفي سبيل الدفع بالإنسانية إلى الارتقاء لتصل إلى مرحلة "الإنسان الأعلى" يضع "نيتشه" مجموعة من الصفات للإنسان الأعلى، تجعل منه إنساناً متمسماً بمجموعة من المعتقدات والأخلاق، والمبدأ المهيم هو امتلاك القوة الذي يتوق بصاحبه إلى الازدهار والانتشار، ولو بالطغيان على الغير، وبسط سلطاتها عليه^(٢).

ولو تأملنا في مجموع المعتقدات والقيم التي نادي بها "نيتشه" نجد أنها تتدور حول امتلاك القوة، ولو على حساب الغير؛ وأن أي وسيلة لامتلاك القوة بما فيها الحروب تبعث القوة في الإنسان، وتوجهه إلى الجمال والواجب^(٣).

كما أن مبادئه تؤكد بأن يكون "الإنسان الأعلى" إنساناً متصفاً بالمناعة والحصانة ضدّ أمور إنسانية هي من الجبلية البشرية، فالقوة تعني عدم الانصياع للشفقة والمعاناة؛ لأنها تستبقي الإنسانية في حال الضعف والمهانة، بل تزيداً ضعفاً ومهانة، ولهذا فإنه يجعل الفوز على المساكين والتغلب على شفقتهم من أجل الغايات التي ينبغي للإنسان الأعلى أن يتنبه لها^(٤).

ولأجل ذلك جعل "الإنسان الأعلى" في حالة تغير وصيرورة مستمرة، من أجل أن يتمكن من مسايرة العالم المتغيّر من حوله، فهو في حالة دائمة من الولادة المتجددة والنضج، وهو في الوقت ذاته يرفض أن يكون الإنسان الأعلى قد استقى قيمه وأخلاقه من مصادر خارجية كالدين أو المجتمع،

(١) انظر: دراسات في النظم والمذاهب: لويس عوض، لويس عوض، الناشر: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت،

لبنان، ط ١= ١٩٦٢م، ص (١٤١).

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ٤٣٥.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٤٣٢.

(٤) نفس المصدر السابق: ص ٤٣٦.

بل يؤكد على استقلالية القيم الأخلاقية، ومصدرها العقل، فهو الذي يضع ويحدد القيم الأخلاقية الخاصة، وهذه العملية الخلاقة للقيم هي التي تمنح السعادة المطلقة والشعور بالنشوة العارمة^(١).

إن محور الدائرة في فلسفة نيتشه إنما هو إيجاد إنسان يتفوق على الإنسانية؛ لذلك تراه يهزأ بكل من عدّه التاريخ عظيمًا بين الناس قائلًا: إن الجيل الذي يلد العظماء لم يُولد بعد، وأن لا رجل في هذا الزمان يمكنه أن يتفوق على ذاته، وكل ما بوسع الناس أن يفعلوه في سبيل المثل الأعلى هو أن يتشوقوا إليه ليخرج من سلالتهم في مستقبل الأزمان^(٢).

ولذلك فإن رؤية "نيتشه" حول الإنسان الأعلى تتمثل في كونه إنساناً منتخباً من الطبيعة، وهو مثال للقوة الخارقة، وهذا الانتخاب ليس متاحاً للجميع، بل هو الإنسان الذي قادته مجاهداته إلى بلوغ الذروة الإنسانية، وهو الأمر الذي جعل هذا الإنسان الخارق عوضاً عن الإله الذي نادى بموته. ومن أبرز الحركات الباطنية الحديثة التي تبنت فكرة الإيمان بالقدرات الخارقة للإنسان، وأن تلك القدرات كفيلة لكي تجعل من الإنسان نفسه خالقاً ومدبراً للكون:

حركة القدرات البشرية الكامنة والتي تؤمن بفكرة الإمكانيات الخارقة والكامنة في النفس البشرية المقترنة بالاعتقاد بوجود شرارة إلهية تكمن في داخل النفس، وهذه الشرارة متى ما تم إطلاقها تمتع الإنسان بقدرات غير محدودة من الطاقة الكونية؛ ومن ثمَّ يجب البحث عن الإله الذي بداخل النفس، والعمل على تنمية الذات وتطويرها بغض النظر عن الحقيقة العلمية، وهذا لا يمكن حصوله إلا من خلال تجاوز الإنسان لذاته؛ وحلولة محل الإله الموجود في أعماقه؛ ولكي ينصهر فيه وفي الكون حتى يصير الكل في بوتقة واحدة^(٣).

حركة العصر الجديد والتي تؤمن بألوهية الذات الإنسانية، والاعتقاد بأن الإنسان يولد بشرارة إلهية لا بد له من الكشف عنها وتنميتها ليتحقق اتحاده مع الإله والكون؛ إذ لا فكرة للإله الشخصي لديهم، الإله هو الطاقة المتغلغلة في كل شيء؛ وعليه فإن الإنسان إله موجود، هو الذي يخلق محيط حياته، وهو الذي يتحكم في مستقبله وفي حياته وبعد مماته!، كما أن الإنسان يستطيع

(١) تصفح: مدونة بروميثيوس: فلسفة: السوبرمان هو الذي يتجاوز ذاته دائماً، "مقال" منشور بتاريخ ١٥ ابريل ٢٠١١م،

متاح على: <http://shadowofprometheus.blogspot.com>.

(٢) انظر: هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص ١٥.

(٣) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد: ص ٥٠، والتطبيقات المعاصرة: ص ٢٨١.

أن يصل إلى الكمال المطلق من خلال ممارسة بعض التقنيات والطرق العلاجية، والأمراض التي تظهر في الإنسان ليست إلا نتيجة معاكسة النواميس الكونية؛ وعندما يتناغم الإنسان مع الكون فإنه يحصل على صحة وحياة أفضل^(١).

وأخيراً فإن التصورات الفكرية للإنسان الكوني على مختلف التيارات الفكرية، قد أثرت بشكل كبير على صياغة مفهوم الإنسان الكوني بالصورة الموجودة في فلسفة الطاقة الكونية، وإذا كان الإنسان في سابق عهده قد أدت محاولاته البحثية في ما وراء الوجود إلى الاعتقاد بوجود إله أو كائن علوي مباين لخلقه، مع اختلافه في طرق الوصول إلى ذلك الإله واقتصار التوحيد بمعناه الفلسفي على طائفة مختصة من رهبان المعبد دون سواهم من الرعية، إلا أن الإنسان وأمام الثورة العلمية التي افتتن بها جعلته يحطم العقائد وينقلب على القيم، على حساب كيانه وذاته التي راح يستكشفها بقوة العلم، وكانت المحصلة هي الانسياق نحو تبني مفهوم الألوهية من خلال الاعتقاد بإلهية الإنسان، وفي أفضل الأحوال بأنه جزء من الإله ويحمل شرارة إلهية، متى ما وصل إليها من خلال ذاته وكيانه، أشعلت تلك الشرارة التي تقود الإنسان إلى مراقبي السلطة الإلهية.

وأي إله!، هل هو الإله المباين لخلقه والمفارق لكونه؟ أم أن التصور الفلسفي الذي يصور الإله على أنه مبعوث داخل الكون وينساب داخله!.

إن مفهوم الإنسان الكوني في فلسفة الطاقة الكونية هو مفهوم يبدأ خطواته الأولى من التعرف على حكمة الجسد، مروراً بالوصول إلى السلام الداخلي، ومن ثم الاندماج مع الكون، لتظهر لنا حقيقة الإنسان الكوني؛ ذلك الإنسان الذي اجتاز عقبات التنوير، وحقق شروط اليقظة، ليصبح في النهاية إنساناً خالقاً مشاركاً في عملية الخلق والتدبير.

حسنًا؛ ولنبدأ لتتعرف على حقيقة الإنسان الكوني من خلال اتباع الخطوات السابقة:

الخطوة الأولى: التعرف على حكمة الجسد:

تعتبر هذه الخطوة هي اللبنة الأولى لمشروع الإنسان الكوني، وهو الخط الفاصل بين الإنسان العادي والإنسان الكوني، لأن الإنسان العادي هو الإنسان الذي فشل في التعرف على حكمة الجسد، وبالتالي عدم مقدرته في الوصول نحو الطريق، بينما الإنسان الكوني هو الذي يدع حكمة الجسد ترشده نحو طريق التنوير.

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص (٢٨٦-٢٨٧).

وأول ما يتعرف عليه في طريق التنور هو معرفة الهدف الأسمى من الحياة، وتكمن أهمية الهدف في تطوير تقنية التعرف على الذات، وسبل التحكم فيها، وتقدير المصير النهائي للذات الإنسانية، وفي هذا السياق يعد تكوين وتنمية مبدأ حياتي قوي أمرًا في غاية الأهمية، وأول هذه المبادئ هو المبالغة في إنكار الذات، ومن ثمَّ الخروج عن دوامة "الأنا"، فالإنسان الذي تجاوز "الأنا" هو الإنسان الذي تجاوز الوهم، والمبالغة في إنكار الذات هي الوسيلة الموصلة إلى تجاوز العالم المادي لإدراك العوالم الأخرى، وهذا ما ينشده الإنسان الكوني لتحقيق الهدف الأسمى.

بجانب التعرف على الهدف الأسمى، تظهر مؤشرات أخرى تساعد الإنسان الكوني على التعرف على حكمة الجسد؛ ومنها المشاركة الفاعلة مع الحياة، وهي مشاركة من شأنها أن تجعل كل خلايا الجسم متصلة مع بعضها البعض، لتولد نوعاً من الوعي؛ وهو وعي من أولوياته الانفتاح الدائم على المتغيرات، واستشعار اللحظة الراهنة لإدراك المعارف المنبثقة من عملية التغير الدائم.

عملية التغير الدائم ستعكس على الإنسان الكوني جملة من الشعور يمكن وصفها من خلال تقبل الآخرين جميعاً بمبدأ المساواة، وتحت ستار الأخوة العالمية، والمعيار الأهم في عملية القبول هو الإيمان بالقدرات البشرية الكامنة وتأثيرها على الذات أولاً؛ حين يهتز الكيان مع الإيقاع الكوني، محققاً التناغم مع الطبيعة، وعلى الوعي ثانياً؛ حين يتم تطويع كل لحظة من لحظات الكون لخلق الإبداع المتجدد.

ومن الشعور التي ستخلفها عملية التغير الدائم هو الشعور بالارتباط مع المصدر؛ وهذا الشعور هو حجر الزاوية؛ فبلوغ الإنسان إلى إدراك حالة الشعور بالارتباط بالمصدر هي الغاية من تحقيق الهدف، فالطاقة الكونية المناسبة في كل ذرة من ذرات الكون، بما فيها الكون الداخلي للإنسان تلهم الإنسان الكوني بنشوة الارتباط بالمصدر حين تتدفق تلك الطاقة في المسارات الشاكرية.

الخطوة الثانية: الوصول إلى السلام الداخلي:

حين يتم التعرف على حكمة الجسد؛ فإن تلك الحكمة تقود الإنسان إلى فناء "الأنا"، وحين تفتى "الأنا" يحصل السلام الداخلي للإنسان، وتتحرك الروح من أسر المادة، ليدرك الإنسان حينها الهوية الجوهرية لذاته، وهذا الجوهر متصف بأنه عديم الشكل، وكيونته تسبق كل الأشياء، وتتقدم على كل الماهيات، ويتميز بكونه حاضراً ومهيماً بكيونته على الوعي.

ويكمن دور الإنسان في هذه المرحلة المُقدِّرة على خلق الصورة العقلية بفضل الحضور الدائم للهوية الجوهرية للذات وهيمنتها على الوعي، والصورة العقلية التي خلقها الإنسان الكوني تسمح له بالانفتاح الداخلي، وهذا الانفتاح هو ما يجعله منفتحاً على الحياة، وقادراً على مواكبة التغيير الدائم، ويسمح للكون بمواصلة التمدد من خلاله، ويتدفق الكيان الداخلي مع الرغبة المتمددة الجديدة؛ حين تحول الحقيقة الجوهرية أو المصدر الكامن في الذات تلك الانتباه التي خلقت الصورة العقلية إلى فكرة جديدة متمددة، ويصبح هو بذاته مع الحقيقة الجوهرية شيئاً واحداً.

إن إدراك هذا النوع من المعرفة هو ما يعنى بالوصول إلى السلام الداخلي، وتحقيق "سلام الرب"، فالنفس حينها تسترخي في السلام والسكينة الداخليين اللذين يجلبهما الاستسلام للكون الداخلي، وتستريح النفس في "رحاب الرب"، وفي هذا السياق يتم الاستشهاد بما هو منسوب إلى نبي الله عيسى - عليه السلام -: "مملكة الرب ليست تأتي بإشارات يمكن لحظها، ولن تقول انظروا ها هي هنا أو هناك، لأن مملكة الرب بينكم"^(١).

الخطوة الثالثة: التعايش مع اللحظة الراهنة:

يقصد بمصطلح التعايش مع اللحظة هو التركيز والتواجد الكلي في اللحظة، فكل الحواس بما فيها الحاسة السادسة أو القدرات الكامنة فوق الحس أن تكون متواجدة وفعالة وحية. ولذا فإن اللحظة الراهنة هي الزمن الوحيد الذي يعتبر أبدياً وسرمدياً، لأنها لحظة الوعي الآنية^(٢)، أي الوعي بما أنتجته اللحظة، والتعايش معها هو منتهى السعادة، تتجاوز هذه اللحظة تجعل الحدث من الماضي، والتعاطي مع ردة فعل اللحظة هو العيش ضمن الآمال المستقبلية. والذات الإنسانية حين تعيش مع الماضي أو مع المستقبل تكون قد وقعت في شرك الوهم، الجوهر الحقيقي هو التعايش مع اللحظة الراهنة.

(١) انظر: أرض جديدة: إيكهارت تول، ترجمة: ياسر أبو هوش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة"، ط ١=١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص (٦١-٦٢، ١٠٩ وما بعدها، ٢٠٤-٢٢٢). وانظر أيضاً: الطاقة المدهشة للمشاعر: إستر وجيري هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ومنال الخطيب، دار الخيال، بيروت، ط ١=٢٠١٧م، ص (٣٧-٤٢).

(٢) انظر: وصفات الطبيب للسعادة

وهذا اللحظة تتصف بصفتين: أولها كونها مسيطرة؛ فهي تسيطر على كيان الإنسان، وتجعله أسيراً لها، وثانيها: كونها مغيرة؛ فالإنسان يمكن أن يتغير في لحظة، عندما يدرك حقيقة التعايش معها^(١).

إن التعايش مع اللحظة الراهنة تجعل اللحظة أثن من الزمن؛ لأن الزمن وهم، يخطئ الإنسان حين ينساق للزمن، فيتذكر الماضي، ويعلق الآمال للمستقبل، وهذه بحد ذاتها تجعله في دوامة الوهم، الجوهر الحقيقي هو أن يعيش الإنسان خارج الزمن، فما يدركه في اللحظة الراهنة تمثل الشيء الحاضر لديه، وهذا الإدراك هو أثن ما في الوجود^(٢).

ولعلنا نقرب الصورة أكثر، فإن نبي الله سليمان -عليه السلام- حين أمر جنوده بأن يأتوا إليه بعرش بلقيس، وهو العرش الذي تم جلبه حقيقة من اليمن إلى القدس في طرفة عين، فإن المختصين بخطاب نبي الله سليمان -عليه السلام- انقسموا إلى فريقين، الفريق الأول ويمثله عفريت من الجن قال لسليمان: "أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك"، فوقع في الوهم، لأنه فكر في المستقبل. بينما الفريق الآخر ويمثله وزيره الذي كان لديه علم الكتاب قال "أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك"، فاستطاع بفضل معاشته للحظة الراهنة أن يجلب العرش في طرفة عين.

إن التعايش مع اللحظة الحاضرة هي الحيز الذي تترعرع فيه الحياة، والنقطة الوحيدة التي يمكن أن تأخذ الإنسان إلى عالم ما وراء حدود العقل، والفرصة الوحيدة لبلوغ عالم الكينونة السرمدي الذي لا شكل له^(٣).

ولذا يوجه معلمي التنوير الروحي مرشديهم إلى ضرورة التصالح مع اللحظة الراهنة لكي يعيشوا في سلام داخلي، وهو في نهاية المطاف يؤدي إلى فناء الأنا، وهذا هو ما بحث عنه "بوذا" في رحلته التنويرية، ودعا إلى ضرورة التصالح مع اللحظة الراهنة، حين دعا اتباعه إلى ما سماه بـ "تا تا تا" أي "راهنية الحياة" وهو لا يعدو في كونه واقعاً في اللحظة، ومعارضة مثل هذه الراهنية فإن "بوذا" يعدها من السمات الأساسية للأنا، كونها تخلق السلبية، وتجلب التعاسة، وتسبب المعاناة للنفس وللآخرين^(٤).

(١) انظر: عيش اللحظة: مصطفى حسني.

(٢) انظر: قوة الآن

(٣) انظر: قوة الآن

(٤) انظر: أرض جديدة: ص ١٠٩

الخطوة الرابعة: الاندماج مع الكون:

إن تعايش الذات مع اللحظة الراهنة تؤدي إلى فناء الأنا، ومن ثم توصل إلى مرحلة الاندماج مع الكون، لأن النفس الإنسانية حين تحررت من وهم الأنا، استطاعت أن ترتقي بذاتها لتكون مندمجة مع الكون، وتتشارك معه؛ هكذا يقرر فلاسفة الطاقة الكونية حين يوضحون مفهوم الكون، فالكون عندهم هو عبارة عن شيء موجود في الخارج، مترامي الأطراف، وله ارتباط ضئيل أو يكاد أن يكون معدوماً مع الكيفية التي يعيش فيها الإنسان ويمارس حياته اليومية. وبالتالي فإن الإنسان لا بد وأن يكون متشاركاً مع الكون؛ لأن الكون هو الذي يستجيب للكيفية التي يفكر بها الإنسان، ويشعر به، فالكون إنما يستمد شكله ولونه وصوته وتركيبه من الإنسان نفسه، وهذا الكون ليس له مثيل، ولا يقصد به الكون عند الفيزيائيين، كما أنه ليس الكون الذي ورد في الكتب المقدسة على أنه إبداع الإله العظيم^(١).

وإذا كان الكون يستمد هيئته التكوينية من الإنسان ذاته؛ فإن الإنسان الكوني هو الذي يقود سفينة الكون، وهو ربانها وعليه أن يصل بتلك السفينة إلى بر الأمان، وهذا يفرض عليه أن يقوم بدور محوري يتمثل في خلق الواقع المثالي، وحتماً فإن هذا لا يمكن تحقيقه إلا من خلال فناء الأنا ومن ثم اكتشاف العالم الداخلي للإنسان، وهو عالم لا مادي يمتلك هوية خالدة وممتدة تُفهم من خلالها الحياة، ومن تلك النظرة الشاملة تظهر عمليات مراقبة الذات والتفكير والتخيل والتأمل والتعلم والشعور^(٢)، وهذا هو الواقع المثالي الذي يجب أن يكون ظاهراً على الإنسان الكوني، وهو الواقع الذي يسمح للكون أن يواصل تمدده من خلال الإنسان الكوني، عبر استدعاء الطاقة اللامادية، والسبب وراء هذا التمدد هو استدعاء الإنسان نفسه للطاقة^(٣)، وهذا على أساس أن الكون الواعي هو الذي يستجيب للكيفية التي يفكر بها الإنسان، ويستمد هيئته التكوينية من سلوك الإنسان وواقعه الذي يفرضه على نفسه.

(١) انظر: أنت والكون: د. ديباك تشوبرا و د. ميناس كافاتوس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ولينا الزبيق، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٨م، ص (١٥ - ٢٢).

(٢) انظر: الطاقة المدهشة للمشاعر: إستر و جيرى هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ومنال الخطيب، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٧م، ص (٣٣-٤٢).

(٣) انظر: الطاقة المدهلة للنبة المتعمدة: إستر و جيرى هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ونورس حمزة، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٧م، ص ٢٧.

الخطوة الخامسة: المشاركة في عملية الخلق:

وهي أهم ما في المسألة؛ فالإنسان الكوني الذي سمح للكون بالتمدد من خلال استدعاء الطاقة اللامادية، استطاع حينها أن يكون مشاركاً مع الكون في عملية الخلق، وهذه المشاركة تأتي من خلال القانون الكوني الذي يفرض أن كل ما في الكون يتذبذب، وأن كل ما في الكون ينبض بالحياة، فخلايا الجسد هي عبارة عن نقاط وعي، وهي تختبر التناقض لتقوم بتوضيح التفضيلات، والحيوانات والأشجار والحجار والغبار والتراب وغيرها كلها تنبض بالفعل، وهي عبارة عن كيانات واعية وحية، تقوم باختبار التناقض، ولديها تفضيلاتها الخاصة بها، وهذه التفضيلات النابضة والحية تملك طاقة استدعاء، والإنسان حين يطلب يعطى له، فالعطاء لا يتوقف^(١)، وإذا كانت المسألة هكذا؛ فمن الذي يعطي؟!.

هل هي الكائنات الواعية والنابضة بالحياة!، أم تلك الطاقة التي تملك خصائص الاستدعاء واختبارات التناقض واختيار التفضيلات!، أم أن ثمة هنالك إله أعلى مفارق للكون.

من وجهة نظر المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية فإن عملية التوسع الأبدي للكون يؤدي إلى التواضع في رؤية النفس، واحتقارها وازدراءها، وأنها عديمة القيمة، والإنسان ما وجد على كوكب الأرض إلا من أجل العمل على تحقيق أمر إلهي، أو من أجل نيل رضى الإله، بينما هناك فريق الآخر لا يؤمن بإله، فإن جهدهم لا يهدف إلى إرضاء أحد. بينما تتمثل رؤية المهتمين بفلسفة الطاقة الكونية إلى إيجاد نظرة شمولية لا مادية وأكثر اتساعاً، يفهم من خلالها قوة وغاية وقيمة الكائن البشري وذهنه وتفكيره؛ فالإنسان يمثل طليعة الفكر، وليس دوره أن يتفرد بمقومات الفكر؛ لأن كل من كان قبله مدرك للمكان الذي هو فيه، وفيما يفعله، وما ينشده، واكتشاف الجانب اللامادي هو الذي يختبر التمدد، ويكشف عن الأفكار الجديدة، وينضم إلى الإنسان بفرح حين يواصل الانتقال نحو المستقبل العظيم ليصبح إنساناً خالقاً عظيماً، مع الإشارة إلى أن عملية الخلق قد يقصد بها إيجاد الحدث من حيز التصور إلى قوة الفعل، وهذا ما يطلقون عليه تقنية النية المتعمدة، ويقصد به التركيز عن قصد لإحداث أمر ما، من خلال تطبيق بعض الأمور التي تعين على خوض التجربة، ومنها:

(١) البدء بالشعور بتجاذبات طفيفة بعدم الرضا.

(١) انظر: الطاقة المذهلة للنية المتعمدة: إستر و جيرى هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ونورس حمزة، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١= ٢٠١٧م، ص (٢٧-٣٠).

- ٢) ثم الشعور بعملية لطيفة من توضيح التفضيلات الشخصية إزاء شيء مختلف.
- ٣) ثم الانسجام مع الفكرة، والخوض في التفاصيل المرغوبة المراد تحقيقها.
- ٤) ثم الشهود بوعي كامل على حركة القوى والظروف لتنفيذ عملية الاستحواذ.

إن تحقيق النتيجة النهائية هو التجلي؛ وهذا التجلي لا يمكن أن يتحقق إذا لم يكن هنالك نية متمعدة، وكل ما يجب على الإنسان فعله هو إدارة التوازن الاهتزازي (الذبذبة الخاصة به) ومراقبة الطاقة الكونية على نحو واسع تسمح بتحقيق العيش المتعمد، والإنسانية حينها تكون قد امتطت أكثر درجات التمدد الكوني أهمية، مصحوبة برغبة جامحة في العودة إلى إدراك الوعي الخلاق، وهو الوعي الذي يجعل الإنسان الذي يمضي عمره في جسده المادي متّسماً بالفرح الواعي والمتأني، وتجعله يعيش اللحظة الراهنة، بل واللحظة الخالقة!^(١).

إذا الإنسان الكوني هو إنسان إلهي؛! يحمل في داخله شرارة إلهية، وهذه الشرارة هي في أصلها الإله نفسه، ولا يعبر عنه إلا بالوجود المطلق، ثم إن ذلك الإله تشكل في المادة، وتجسد في المحسوس، ومع طول المدة ابتعد عن طبيعته، ونسي أصله؛! وهو في أبسط أشكال المادة، ثم أخذت هذه الكائنات البدائية بالتطور والنشوء والارتقاء إلى أن تشكلت في أرقى أشكال الوجود المادي المتجسد في الإنسان الذي يحمل بداخله شرارة إلهية، ولذلك فإن استخراج هذه الشرارة وإطلاق القدرات الكامنة وتحرير الإله الذي بداخل كل إنسان، وإدراك البشرية لحقيقتها الإلهية هي غاية ما يسعى إلى تحقيقها كل "المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية التي تتخذ من الباطنية الغربية مسلكاً لها"، وفي مقدمتها حركة العصر الجديد، ومن قبلها مذهب الثيوصوفيا^(٢).

ولعلي أنقل بعض النصوص التي أوردتها د. هيفاء الرشيد في كتابها حركة العصر الجديد، تأصل لقضية الإنسان الإلهي، ومن تلك النصوص:

تصريح "آني بيسانت - Annie Besant" حول معتقدها في الإنسان قائلة: "الإنسان إله في المقام الأول، شرارة من الحياة الإلهية"، وتوضح أنه إله كامن في طور النشوء والارتقاء.

(١) انظر: الطاقة المذهلة للنية المتعمدة: إستر و جيرى هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ونورس حمزة، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٧م، ص (٢٧-٣٤).

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٢.

وتؤكد "بيسانت" بضرورة اكتشاف الإله الذي في الإنسان، تقول: "يجب على كل نفس التحقق بنفسها. كما يجب عليها أن تكتشف ما بداخلها، مستحضرة دائماً أن مملكة الرب هي في الداخل". وتقول أيضاً: "تأتي لحظة في وجود الإنسان يقف وجهاً لوجه مع نفسه الحقيقية، ويعلم أنه تلك النفس حقيقية، وليست فقط نظرية، ويصبح واعياً بالإله الذي في داخله"^(١).

ومن النصوص أيضاً مقالة "آلس بيلي - Alice Bailey" حول الإنسان الإلهي، فتقول: "إن تطور الإنسان ليس سوى مرور من حالة وعي إلى أخرى، وهو توسعات متعاقبة، ونمو للملكة الإدراكية التي تشكل الصفة المهيمنة على المفكر الذي بداخلك. إنه التقدم من الوعي المتمركز في الشخصية والذات الدنيا أو الجسد، إلى الوعي المتمركز في المطلق أو الروح الكوني، حتى يصبح الوعي إلهياً في النهاية".

وتواصل آلس بيلي حديثها فتبين العوامل التي يتطلبها الكمال البشري، فتقول: "في الإنسان الكامل على المستوى الفيزيقي تكون جميع المراكز تحت السيطرة التامة، وجميع طاقاتها توظف بشكل صحيح، وتكون الإرادة الروحانية للإله الذي في الداخل هي العامل الرئيس"، وهي بذلك تؤكد إلى أن الكمال البشري لا يتحقق إلا بإدراك الإلهية الكامنة^(٢).

ومن النصوص المهمة في مسألة الإنسان الإلهي: نصوص "آيلين كادي - Eileen Caddy"، والتي كانت تزعم أنها بإملاء الإله الذي في داخلها، وتكمن أهمية نصوص "كادي" في كونها مرجعاً مهماً لمؤسسة فندهورن الإسكتلندية، ومما يدرس في تلك المؤسسة أن "الإله" ومصدر العلوم كلها يكمن في داخل الإنسان^(٣).

ومن النصوص أيضاً: نص "رامثا.جي زي نايت - Ramtha.J.Z Knight" إذ يسخر من التعاليم الأصولية التي تقرر بأن الإله مباين للإنسان، متميز عنه، فيقول: "منذ دهور وأنت تلقن بأن الإله

(١) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٣، نقلاً عن كتاب:

Death and After – Annie Besant: P (21,23).
Initiation – Alice Bailey: P (29, 103).

(٢) انظر:

Initiation – Alice Bailey: P (13, 181).

نقلاً عن: حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٣.

(٣) انظر:

Perspectives On The New Age – Lewis & Melton: P (96).
Children of the Neo Age – Steven Sutcliffe: P60

نقلاً عن حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٣.

خارج مملكتك، في مكان ما في قامات الفضاء، وكثير منكم آمنوا بهذه وتقبلوه كحقيقة. ولكن الإله، العلة الأولى لكل الحياة لم يكن يوماً خارج ذاتك، إنه إياك"، ويحاول أن يقرب الصورة أكثر حول مفهوم الإله عنده فيقرر أن "الإله" ليس شيئاً سوى الفكر، يقول: "ما هو الإله في أسمى أشكاله؟. الفكر. الأب - المنبر الذي تخلق منه خلاله حياتك. مادة كل شيء وطاقته الحياتية - هو المفهوم الأكبر: الفكر، فالفكر هو الخالق الأعظم لكل ما كان وما هو كائن وما سوف يكون"^(١). وأختم بمقالة "ديباك تشوبرا - Deepak Chopra" حول فلسفته نحو الإنسان؛ إذ يتحدث عن الصوت الذي يسمع من الداخل قائلاً: "إن له رغبة واحدة فقط، وهي أن تتذكر طبيعتك الجوهرية كشرارة من الإله"^(٢).

المطلب الثالث: دور الإنسان الكوني في تشكيل الواقع العملي:

إن للحالة النفسية التي تعترى الإنسان الكوني دور كبير في تشكيل شخصيته، وانعكاسها على الواقع العملي للحياة، وما يترتب على تلك الحالة من تأثير مباشر على نفسه أولاً، ومن ثم تأثيره على الآخرين، ومن خلال دراسة الحالة النفسية للإنسان الكوني يتضح لنا الفرق بين إن كانت تلك الحالة النفسية من قبيل الأحوال الشيطانية أو من قبيل البراهين التي يؤيد بها الله رسله وأنبيائه. في الفكر الشرقي القديم نجد أن الفلاسفة وحكماء الأسرار الإلهية كان لهم ظهوراً لافتاً؛ وهذا الظهور كان نابعاً من حاجة المجتمعات الوثنية إلى منقذ أو حكيم يفهم الحالة الدينية لهم، ويوضح لهم ما استشكل عليهم من أمور دينهم، وفي مقدمتها تفسير الظواهر الغيبية التي كانت عصية عن التفسير وإدراك العقل البشري لها.

ومع إيماننا بأن الله -عز وجل- لم يترك أمة إلا وقد خلا فيها نذير؛ فإن السنة الكونية التي جرت مع هؤلاء النذر هو عدم تقبل أقوامهم لهم، بل تعدى الأمر إلى اتهامهم بأصناف من التهم والأراجيف الكاذبة؛ فتارة يتم اتهامهم بالسحر، ومرة يتم وصفهم بالجنون، وأحياناً يتم اتهامهم بالكذب، يقول

(١) انظر:

The white Book – Ramtha (j.z Knight):P (58 & 69).

نقلاً عن حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص (٢٩٤ - ٢٩٥).

(٢) انظر:

The Seven Spritual Laws of Yoga – Deepak Chopra: P 8.

نقلاً عن حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٢.

جل جلاله: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ (١). وهذه النتيجة تقودنا إلى أن النفس البشرية الأمانة بالسوء لم تكن لترضخ لدعوة الأنبياء والرسل؛ اللهم إلا من أدركته رحمة الله وهدايته.

ولما خرجت تلك المجتمعات عن سلوكها الديني من التوحيد إلى الشرك، وأصبحت الوثنية طاغية على تلك المجتمعات؛ كانت الحاجة النفسية جامحة إلى استنساخ فكرة الأنبياء والرسل، لأنها حين رفضت دعوتهم أخذهم الله بعذاب من عنده، وظهر الأديان الوضعية هي محاولة بشرية يائسة لتصحيح المسار، غير أنها فقدت خصيصة من أهم خصائص الصحة والحجية؛ وهو الاعتماد على الوحي الإلهي، وكانت النتيجة هو عدم اذعانها للدعوة الإلهية الحقة.

ومن هنا ظهر الفلاسفة وأدعياء الحكمة الإلهية وقد استأسرت الجموع الغفيرة لهم، ورضخت عقولها لهم، وأصبح النتاج العقلي للفلاسفة مسلمة عقلية!، وأضحت تراتيل الكهانة وتعاويد المعبد قواطع برهانية لا يعترها الشك!، والسؤال المحير الذي يظهر هنا ما الذي تغير بين صدق الدعوة الإلهية التي جاء بها الأنبياء والرسل وبين ترهات العقل البشري القاصر؟!.

إن إلقاء نظرة يسيرة على الحالة النفسية للإنسان الكوني كفيلة بالتفريق بين ما هو حق وبين ما هو باطل، وإذا كان الأنبياء والرسل قد أحاطهم الله -عز وجل- بالعناية من عنده، وأمدهم بالحجة والآيات المعجزات؛ فمن ذا الذي يحيط بالإنسان الكوني بمثل تلك العناية!، ويمده بمثل تلك الآيات والمعجزات؟!، والفارق بين الحالتين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته-: "أنه لا يوجد أحد خرج في العبادات عن الطريق الشرعية إلا أوجب له ذلك أحوالاً فاسدة بحسب خروجه؛ فإن الأحوال النفسانية والشيطانية نتيجة الخروج عن متابعة الرسل، كما أن الأحوال الرحمانية نتيجة اتباعهم" (٢)، ومقالة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- تكاد تكون مطردة؛ فإن الفلاسفة وحكام الأسرار الإلهية حين ضلوا عن طريق الشرع وحادوا عن منهج الوحي الرباني؛ ضلوا وأضلوا، وتفرقت بهم السبل، واختلفت تصوراتهم وآرائهم حول المعبود.

(١) سورة الذاريات: الآية (٥٢ - ٥٣).

(٢) انظر: الرد على الشاذلي في حزبه، وما صنفه في آداب الطريق: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقق:

علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٩هـ، ص ١٧.

❁ الحالة النفسية للإنسان الكوني:

وعطفاً على ما سبق؛ وبحسب المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية فإن الإنسان الكوني عُدد إنساناً إلهياً!، يشارك مع الكون في عملية الخلق والإيجاد، ويحل المشكلات الناتجة بين البشر، ويملك أسرار الطبيعة وقوانينها، ويحدث الأمور الخارقة للطبيعة؛ فيشفي المريض ولو كان بعيداً عنه بالجسد، ويخلق الأحداث، ويصنع القدر، كل ذلك يحدث بقوة التفكير والتخيل.

إن اتصاف الإنسان الكوني بصفة الإلهية؛ أو بمعنى أنه يحمل شرارة إلهية في داخله، وأنه متى ما وصل إلى هذه الشرارة فإنه يدرك حينها الخصائص الإلهية التي تُمكنه من قلب موازين الأحداث، والتأثير على الكون وعلى الحياة من خلال إحداث المعجزات وخرق العادات، تجعل منه إنساناً يعيش حالة نفسية معينة؛ وهذه الحالة النفسية هي ما يحل بالقلب من أعمال ومن آثار الأعمال، والأحوال إنما هي نتائج الأعمال، فإن كانت الأعمال سالحة، كانت الحالة النفسية مطمئنة، وإن كانت الأعمال فاسدة، وبعيدة عن طريق الشرع؛ كانت الحالة النفسية شيطانية مضطربة.

وإذا رجعنا إلى تأصيل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- في المسألة تتضح لنا معالم الحالة النفسية للإنسان الكوني، فإن القوة الغيبية السائرة في الكون، أو الكامنة في النفس، حين يستدعيها الإنسان ويطلبها، فإنه بذلك يكون قد دخل في مرحلة الاستعانة والاستغاثة بالقوة الغيبية، وأما عن ماهية تلك القوة فهي لا تخلو من قوتين كما يذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية: فهي إما أن تكون قوة ملائكية، وإما أن تكون قوة شيطانية، والإنسان حين يقع في شرك الاستعانة والاستغاثة بغير الله فإن الملائكة لا يمكن أن تستجيب لذلك النداء، لأن الملائكة لا تستجيب للمشركين، وبالتالي لم يتبق إلا أن تكون تلك القوة هي من قبيل القوة الشيطانية^(١)، وإن اختلفت المسميات، واختلفت إرادة الإنسان في استخدام تلك القوة، وزعم أنه لا يستخدمها إلا من أجل نفع الناس، إلا أن أصل المسألة تكمن في أن ما بني على باطل فهو باطل، وهذا الإنسان الكوني حين انطلق من الشرك مستغيثاً بالقوة الغيبية كي يعالج مريضاً أو يحدث أمراً تنتفع منه البشرية، فإن الخير الذي حصل هو خير في الظاهر، لكن أصله كان نابعاً من الشرك.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقق: علي بن حسن وآخرون،

دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢ = ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (٢م/ص ٣٢١).

والكلام السابق يحمل في طياته اتهاماً بالشرك لمن تأثر بفلسفة الطاقة الكونية، ولا سيما عن جانب التنمية البشرية منها، ولكن من الجميل أن نلقي نظرة على الوضع الراهن لأهم الأسباب التي تجعل الإنسان الكوني أسيراً لحالة نفسية متلبسة بأحوال شيطانية، والواقع يصدق الاتهام بالشرك أو يكذبه، ومن تلك الأسباب:

• الانحراف في مفهوم كلمة التوحيد:

أهل السنة والجماعة يقررون في معنى "لا إله إلا الله" أنه "لا معبود بحق إلا الله"، بينما المتأثرين بالعلوم الفلسفية من المتكلمين وأهل السلوك والتصوف يخالفون أهل السنة والجماعة في ذلك فينحون منحى آخر في التعريف فيقولون في معنى كلمة التوحيد: أنه "لا خالق إلا الله".

والنتيجة بين الفريقين تظهر في الأثر؛ فأهل السنة والجماعة قطعوا طريق الشرك حين نفوا كل المعبودات، وحكموا عليها بالبطلان، فلا معبود بحق عندهم إلا الله^(١)، فأعانهم الله على هدايته، وأمدهم بالآيات والبراهين القاطعة، وحين يجري الله - ﷻ - تلك الآيات على يد عبد من عباده فإن تلك الآيات لا بد وأن تكون متوافقة مع السنن الكونية والشريعة، وأن تلك الآيات لا يمكن معارضتها، ولا الإتيان بمثلاها.

بينما الفريق الآخر جاز عندهم التوجه للموتى بالدعاء والنذر والاستعانة والاستغاثة بهم، لأنهم حين فسروا كلمة التوحيد بأنه لا خالق إلا الله، تفسيرهم لم يتضمن نفي من يخلق من البشر، فهم يقولون بأن هنالك مؤثرين من البشر، يخلقون ويوجدون، ولهم جاه ومرتبة عالية عند الله، وظيفتهم أنهم يشفعون لهم من أجل مغفرة الذنوب وتفريج الكربات^(٢).

وإذا كان هذا ظاهراً عند المتصوفة؛ فإن المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية ينحون نفس الاتجاه، حين يقولون بأن الإنسان الكوني الذي يحمل في داخل كيانه شرارة إلهية، وهذه الشرارة هي في أصلها الإله نفسه، ولا يعبر عنه إلا بالوجود المطلق، واستخراج تلك الشرارة وإطلاق القدرات الكامنة وتحرير الإله الذي بداخل كل إنسان، وإدراك البشرية لحقيقتها الإلهية هي غاية ما يسعى إلى تحقيقها كل المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية التي تتخذ من الباطنية الغربية مسلكاً لها^(٣).

(١) انظر: مادة العقيدة الإسلامية: د. أبو زيد بن محمد مكي، الناشر: دار الخراز، جدة، ٢٠١٨، ص ٥٣.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٥٣.

(٣) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٢.

● الاستعانة بالقوة الغيبية.

من أهم المظاهر التي تدل على أن الإنسان الكوني ليس في حالة إيمانية مطمئنة هو الاستعانة بالقوة الغيبية؛ لأن المؤمن لا يحتاج إلى تلك الاستعانة، فهو متوكل على ربه، وأخذ بالأسباب، ومن زعم أن الاستعانة بالقوة الغيبية من قبيل الأخذ بالأسباب فقد أخطى من جهتين: من جهة أنه ظلم نفسه في حق ربه، فالله - ﷻ - حين أمره بأن يستعين به ويتوكل عليه في كل الأمور حاد عن المنهج الإلهي، وراح يخاطب الكائنات الغيبية كي تعينه وتستجيب له. وأما الجهة الثانية فقد أخطى في حق نفسه؛ فهو حين استعان بتلك الكائنات الغيبية وقع في شرك أسرهم، والحقيقة التي تقودنا إلى فهم تلك الحالة بينها ربنا - ﷻ - في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) (١).

وهذه نماذج أنقلها من كتب المختصين بفلسفة الطاقة الكونية تتضمن نداءات للقوة الغيبية منها: في كتاب معجزات الشفاء البراني للمعلم "تشواكوك سوي" يقرر المعلم أن طريقة سحب الـ "برانا" من الأشجار تتم من خلال التوجه إلى شجرة سليمة كبيرة، ومن ثم الطلب منها ذهنيًا أو لفظيًا الإذن منها لسحب الـ "برانا" الزائدة الموجودة فيها.

ومن الأدعية أو التراتيل التي أوردها المعلم "كوك سوي" في كتابه: ترتيلة العلاج الدعائي البراني؛ إذ يمكن توجيه الدعاء أو الترتيلة إلى الله، أو إلى الكائنات الإلهية، أو إلى المرشدين الروحيين، ومما ورد في هذه الترتيلة: "إلى الله الأعظم، شكرالك على جعلي أداة للشفاء الإلهي. ليتملى كامل كياني بالرحمة لأجل الذين يعانون. إلى الله الأعظم، أشكرك على الشفاء، وعلى طاقة التجدد، مع الشكر بإيمان صادق، إلى معلمي الروحيين، إلى وسطاء الشفاء، إلى الملائكة المقدسة، إلى المساعدين الروحيين، إلى جميع العظماء، أشكركم على الإرشاد الإلهي... " (٢).

ونلاحظ أنه يستخدم كلمة "الملائكة المقدسة" بجانب "المساعدين الروحيين" وكلمة "العظماء" و"المعلمين الروحيين"، وكل تلك المصطلحات تؤدي إلى الاستعانة بالقوى الغيبية والاستغاثة بهم، إلا أن ملائكة الرحمن الذين من خواصهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم لا يمكن لهم أن يستجيبوا لمشرك،

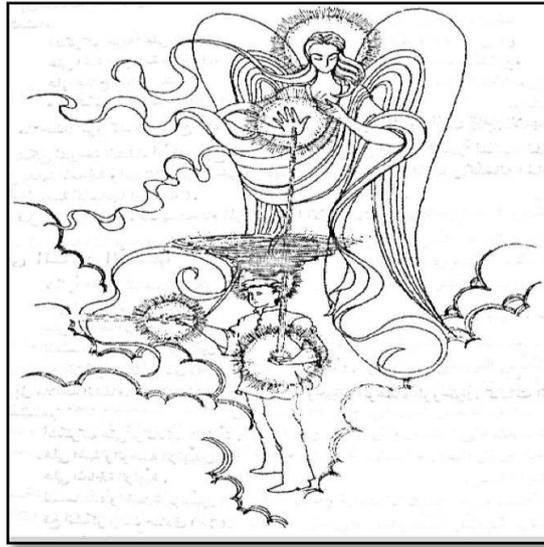
(١) سورة الجن: الآية ٦.

(٢) ص (٢٥١-٢٥٣).

بل حتى أنه ليس من وظائفهم الاستجابة للدعاء، لأن إجابة الدعاء حق من حقوق الله، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك، إلا أن الملاحظ أن المتأثرين بالطاقة الكونية إنما يستخدمون مصطلح الملائكة هنا من أجل الخير، وكأنهم يريدوا أن يقولوا لما اصطلحوا عليه "ملائكة" أنها قوى من قوى الخير.

ويواصل المعلم "سوي" في عرض تقاريره عن الاستعانة والاستغاثة بالكائنات الغيبية، ومن كتابه "العلاج البراني بالكريستال" يقول للإنسان الكوني الذي يمارس العلاج وعملية الاستشفاء بأن يخاطب الكريستال فيقول "امتصي الطاقة البرانية"، وستجدها تفعل، وقل: "سلطي الطاقة البرانية" وستجدها تسلط الطاقة البرانية^(١).

ومن الابتهالات التي ذكرها أيضاً في كتابه "العلاج البراني بالكريستال" يقول: "انظر إلى الكريستالة وابتهل: "إلى الكائن الأعظم، إلى الزعماء الروحيين، والملائكة المقدسة، شكراً على تنظيف هذه الكريستالة من الطاقة الملوثة...".^(٢)



صورة أوردها المعلم "كوك سوي" في كتابه العلاج البراني بالكريستال توضح القوة الإلهية التي تمنح الطاقة الكونية للمعالج (الإنسان الكوني).

والحاصل أن مثل تلك الكتب مليئة بالابتهالات ومخاطبات الكائنات العلوية والغيبية، وهي كلها من قبيل الاستعانة بالقوى الغيبية والاستغاثة بها، وهي من أهم المظاهر التي يتحلى بها الإنسان الكوني.

(١) ص ١٢.

(٢) ص ٢٨.

● المجاهدات النفسية وتعذيب الذات من أجل الحصول على المعرفة:

من المظاهر التي يتحلى بها الإنسان الكوني هي المجاهدات النفسية وتعذيب الذات من أجل الحصول على المعرفة، وهذه المظاهر وإن كانت متجذرة في الفكر الشرقي القديم، ونجد لها حضوراً في طقوس الهندوس؛ حين تتجلى تلك الطقوس في ممارسات اليوغا، والإنسان اليوغي يؤمن بأنه مخلوق روحي، فهو يطمح إلى أن يدرك كل ما هو صعب الإدراك^(١).

كما أن طقوس المجاهدات النفسية وتعذيب الذات لا تتوقف عند هذا الحد؛ فشعائر التطهر التي تظهر من خلال احتفالات الهندوس باليوم الأول من شهر "كانون الأول" وهو اليوم الذي تجلى فيه الإله "شيفا" لمريديه، تتسم أيضاً بالكثير من المجاهدات النفسية المفضية إلى الإيذاء البدني؛ إذ تؤدي مراسم هذا الاحتفال في يوم بارد شديد البرودة، ويتأتى على المريدين أن يغمروا أنفسهم في حوض كبير ممتلئ بالماء قد شيد على مسافة من المعبد، ومن ثم يذهبون حفاة القدمين، والمياه تتساقط منهم إلى المعبد الذي تجلى فيها "شيفا" لمريديه^(٢).

التأملات الكونية عند البوذيين لا تقل أهمية عن المجاهدات النفسية الهندوسية، فهي قد تأثرت بها كثيراً، وهي من الطقوس الدخيلة على المذهب؛ بدليل أن "بوذا" نفسه رفض الألم حين شارفت نفسه على الهلاك، ورفض المعرفة التي تأتي من وراء ذلك، فاستظل تحت شجرة منتظراً الحكمة^(٣).

ونجد رهبان النصرى أيضاً سلكوا نفس المسلك حين ألزموا أنفسهم بشعائر وطقوس قائمة على الرهبانية والتصوف وتعذيب الذات، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^(٤)، ولا شك أن تلك الرهبانية إنما تلقفتها النصرانية من الأقسام الذين سبقوهم، وتلك

(١) انظر: اليوغا تطيل عمرك: شري يوجندرا، تعريب: محمد روجي البعلبكي، منشورات: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٢=٥، ص ١٩.

(٢) انظر: رامانا ماهاريشي ودرب معرفة الذات: آرثر أوزبورن، تعريب: مجموعة من الطلاب العرب من مريدي الحكيم رامانا ماهاريشي، نشر الكتاب بنسخته الأصلية في راماناشرام - تيرو فانامالاي، الهند، ونشرت على موقع مؤسسة رامانا ماهاريشي بواسطة آلان جايكوبس رئيس الجمعية بالإنجلترا، وترجمت إلى لغات عديدة. ص (٥-٦).

(٣) انظر: الفلسفة البوذية: د. أسمهان طلحي، الناشر: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، ص ٣٨، وانظر أيضاً: بوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٩٤ م، ص ٧٧.

(٤) سورة الحديد: الآية (٢٧).

الرهبانية نجد معالمها حاضرة في الغنوصية الاستسرارية التي كانت رائجة في تلك الحقبة، وطورها المذهب الإشرافي الأفلاطوني.

إن تحصيل المعرفة عند هؤلاء القوم قد سلك مسلكاً آخر؛ فهو مسلك قائم على الاعتماد على الفكر الفلسفي القائم على التأمل وفناء الذات، والتعري والعيش في البراري والخلوات، والانعزال عن الناس في الكهوف والمغارات، والإيواء إلى المقابر والأودية النائية والحمامات. وفي هذا السياق يقرر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمته - أن تلك المظاهر ليست إلا علامة من علامات أولياء الشياطين، وتلك العلامات لا تظهر أمام أهل الإيمان، ولا يمكنهم فعل ذلك في المساجد المعمورة بذكر الله، وإنما يمكنهم فعل ذلك في الأماكن التي تأتيها الشياطين كالمساجد المهجورة، والمشاهد، والمقابر، والحمامات، والمواخير^(١).

وإذا كان أهل الباطل وأولياء الشياطين يفرحون بتلك العلامات حين يتظاهرون بها، ويزعمون أنها من وسائل الحصول على المعرفة؛ فإن تلك المظاهر ليست إلا بضاعة مزجاة، يتم الترويج لها على أنها ملكات عقلية، تم التوصل إليها بفضل اليقظة الروحية، والتدرب على استجلاب الإرادة، وفق أدوات الحاسة السادسة، من التخاطر والتنبؤ بالغيب والوعي الروحي ومخاطبة الأرواح والاستغاثة بها، وطلب العون منها. كل ذلك يحدث من خلال الترانيم الروحية ورفع الذبذبات الخاصة بالإنسان الكوني حتى تتوافق مع الذبذبات الروحية، وهي عملية لا تتم إلا من خلال ترديد المانترات أو التعاويذ الخاصة بها، وهي تملك طاقة خاصة بها، تُردد بواسطة العقل ولا يفهم معناها، وتؤثر بشكل سريع على الشاكرات السبع، والكتب التي يتم وصفها بالمقدسة وهي من إنتاج الفكر البشري، وتعتمد على الأساطير والخرافات والسحر والشعوذة مليئة بمثل تلك المانترات، ولا سيما كتب الهندوس المقدسة.

• الاستماع إلى الأغاني.

تعتبر الأغاني والموسيقى والمزامير من أهم الوسائل التي توصل الإنسان الكوني بالعالم الغيبي، وتجعله أسيراً للكائنات الشيطانية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمته - "وَيُؤَثِّرُ - أولياء الشيطان - سماع

(١) انظر: النبوات: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. عبد العزيز الطويان، منشورات دار أضواء السلف،

ط ١ = ٢٠٠٠، ١٤٢٠م، (٢/١٠٢٦).

مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن" (١)، وأهل الإيمان حين يرتلون القرآن فإن الشياطين تبتعد عنهم، وهذه حقيقة أثبتها القرآن الكريم، داعياً المؤمنين إلى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حين يبدوون في تلاوة القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ (٢)، وقد تضمنت الآيات الكريمة جملة من الحقائق منها:

الحقيقة الأولى: أن العوالم الغيبية تتأثر بالألحان، سواء كانت تلك الألحان من قبيل تلاوة القرآن الكريم، أو كانت من قبيل العزف والموسيقى والمزامير، وفي هذا السياق يمكن أن نستشهد بواقعة الصحابي الجليل أسيد بن حضير - رضي الله عنه - (٣)؛ إذ هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكتت، فقرأ؛ فجالت الفرس، فسكتت وسكتت الفرس، ثم قرأ؛ فجالت الفرس، فانصرف. وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجتزه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا ابن حضير"، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريباً، فرفعت رأسي، فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصاييح، فخرجت حتى لا أراها، قال: "وتدري ما ذاك"، قال: لا، قال: "تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم" (٤).

الحقيقة الثانية: أن عالم الشياطين لا يمكن لها أن تحضر مجالس الذكر، وأعظم الذكر هو تلاوة القرآن الكريم، والمؤمنون الذين على ربحهم يتوكلون لا يقرؤون القرآن الكريم إلا بعد أن يستعيذوا برحم من شر الشياطين ومن شر همزاتهم. وفي الآية لفتة يجب الانتباه لها وهي أن من يتخذ من مجالس

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٣٥.

(٢) سورة النحل: الآية (٩٨ - ١٠٠).

(٣) أسيد بن حضير: أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس الأنصاري الأشهلي، كان أسيد من السابقين إلى الإسلام، وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وتوفي سنة (٢٠هـ). انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٩٢)، أسد الغابة (١/ ١١١)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٣٤).

(٤) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، واللفظ له، حديث رقم (٤٧٣٠)، كتاب فضائل القرآن، باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، (٤/ ١٩١٦)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه، حديث رقم (٧٩٦)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب نزول السكينة لقراءة القرآن، (١/ ٥٤٨).

الذكر أو من قراءة القرآن الكريم وسيلة للوصول إلى ما يظنه في نفسه أنها معارف إلهية، وكانت منطلقاته لا تتوافق مع منطلقات أهل الإيمان الذين يتصفون بأنهم على ربهم يتوكلون، وبالتالي فإن تلك المنطلقات هي من قبيل الأحوال الشيطانية، وتلك الأحوال تتجلى في مجالس الذكر التي يعقدها المتصوفة من المنتسبين إلى الإسلام، فيرقصون على أنغام الذكر، ويطلبون على ألسنتها، ولا شك أن كل تلك الأحوال هي من الثقافات الوافدة من خارج البيئة الإسلامية، وهي من الأفكار الدخيلة على المجتمع الإسلامي وسلوكياته.

الحقيقة الثالثة: أن المكان الطبيعي للشياطين ومردة الجن هو مجالس الأغاني والموسيقى والمزامير، وأن من يقيم تلك المجالس هم المشركون بالله الذين تولوا وأعرضوا عن منهج الله ومنهج رسوله - ﷺ -، فالشياطين تتولاهم وترعاهم بعنايتهم، وتمدهم بالمعرفة، ولا شك فإن من أجل المظاهر التي يكون فيها الإنسان الكوني أسيراً لتلك الأحوال الشيطانية هي لحظة سماعه للأغاني، وفنائه فيها، والأغاني هي صوت الشيطان كما بين ذلك المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَسْفِزْزَمِنَ أَسْطَعَتَ مِنْهُم بِصَوْرِكَ﴾^(١) أي: بالغناء واللهو والمزامير^(٢)، قال ابن القيم في الغناء: "وهي أشد لهواً وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم، فإنه رقية الزنا، ومنبت النفاق، وشرك الشيطان، وخمرة العقل، وصدده عن القرآن أعظم من صد غيره من الكلام الباطل؛ لشدة ميل النفوس إليه ورغبتها فيه"^(٣).

وإن المتأمل في فلسفة الطاقة الكونية والدارس لها ليدرك هذه الحقائق حين يتتبع طرق استجلاب الطاقة الكونية، وسبل تغذية الشاكرات بالطاقة الكونية، فإن كل تلك العمليات قائمة على ترديد المانترات الخاصة بكل شاكرة، وتلك المانترات لا تردد إلا بطريقة الألحان، وموقع تحميلات الفيديو العالمي "يوتيوب - YouTube"^(٤) مليء بمثل تلك المقاطع التي تساعد الفرد المتأمل على فتح

(١) سورة الإسراء: الآية (٦٤).

(٢) ذكره الإمام مجاهد - رحمه الله -، انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، (٤٩٠/١٧)، وانظر: أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، (٢٠٧ / ٣)، وانظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير، المحقق: محمد حسين شمس الدين، (٨٦/٥).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، بتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، (١ / ٢٤٠).

(٤) انظر على سبيل المثال:

الشاكرات واستمداد الطاقة الكونية وتغذية البدن بتلك الطاقة، وهي في حقيقتها ليست إلا من خزعبلات الكهانة التي يؤمن بها أتباع الديانات الوضعية، وقد كانت من قبل سرًا من أسرار المعبد، لما تمتلكه من مقومات القوة التأثيرية على الإنسان، وقد افتتن بها ثلّة من المسلمين الذين أعجبوا بتلك الثقافات والمعتقدات الوافدة، وروجوا لتلك المانترات تحت ستار التنمية البشرية، وظنّوا أنّها تساعد المرء على الاسترخاء وتهدئة الأعصاب، والمتقدمين منهم يصرحون بأنّها تساعد في فتح الشاكرات والعين الثالثة، وأما الذين يحاولون أسلمة الثقافات والمعتقدات الوافدة فيحاولون فلسفتها في إطار البديل الشرعي، فيستبدلون الكلمات الوثنية بأسماء الله الحسنى، ولو أنّهم التفتوا للقرآن الكريم لوجدوا ما يشبع حاجتهم، ويشفي صدورهم، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

• خوارق عادات الإنسان الكوني ليست معجزة!، يمكن معارضتها والإتيان بمثلها.

خرق العادات هي الأداة المهمة التي يتميز بها الإنسان الكوني، فعملية الاستشفاء عن بعد، والعلاج باللمسة الشافية، وظاهرة الخروج من الجسد والسفر إلى العوالم الغيبية الأخرى، والمشى على الجمر، والطيران في الهواء، والانتقال من بلد لآخر، وغيرها من خوارق العادات هي في أصلها ليست معجزة؛ لأن المعجزة مما يتحدى بها البشر، وأما هذه الخوارق فإن كل المتأثرين بها تكاد تكون خوارقهم شيئاً واحداً، فهم يتشابهون فيما بينهم، وتلك الخوارق لها طرقها ووسائلها، وهي بتلك الحالة لا تعتبر من خوارق العادات؛ لأنه يمكن معارضتها والإتيان بمثلها.

❁ أثر الإنسان الكوني على واقع الحياة:

السؤال الأكثر أهمية هنا هل للإنسان دور حقيقي ومباشر في إحداث المعجزات وخوارق العادات؟ أم أن هنالك قوة غيبية وراء الأمر؟
الحقيقة التي أقرها القرآن الكريم بأن الإنسان مخلوق ضعيف لا يمكن تجاهلها في هذا الموضوع، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾^(١)، فهو لا يستطيع أن يجلب لنفسه نفعاً أو يدفع عنه ضرراً، فضلاً عن أن يمتلك الأدوات التي يظن أنه يستطيع من خلالها أن يؤثر في الأفراد، ويحدث المعجزات وخوارق العادات.

وفي نفس السياق فإن القرآن الكريم يضعنا أمام حقيقة أخرى وهي أن الإنسان لا يستطيع أن يحدث أمراً خارقاً للعادة إلا بسُلطان، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (١).

فالنتيجة إذاً أن الإنسان مخلوق ضعيف لا يستطيع أن يحدث أمراً خارقاً للعادة إلا بواسطة سلطان يتهيأ له، وقد يكون هذا السلطان إما من قبيل ما سخره الله - ﷻ - لبني آدم من قبيل العلم والتجربة كما هو الحال في عالم الشهادة، وإما أن يكون من قبيل الاستعانة بالكائنات الغيبية كما هو الحال في عالم الغيب، وتلك الكائنات الغيبية هي أيضاً مخلوقات ضعيفة عاجزة؛ لكن الإنسان الضعيف حين استطرق ذلك العالم تسلطت عليه تلك الكائنات، وما يحدثه ذلك الإنسان من خوارق العادات هو من باب الاستمتاع المتبادل بين العالمين، قال ربنا - ﷻ -: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرِ الْجِنِّ قَدْ أَسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلًا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَلِيدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (١١٨) وكذلك فَوَلِيَّ بَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١١٩) (٢)، وقال أيضاً حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) (٣)، مع ضرورة لفت الانتباه إلى أن هذه الخوارق والمعجزات التي يحدثها الإنسان الخارق إنما هي خوارق مكتسبة، لا يعني بالضرورة أن من أرسلهم الله - ﷻ - مؤيدين بالآيات المعجزة هي من نفس القبيل!، ولا يمكن أن تكون المسألة هكذا، لأن الفرق جوهرية؛ فأنبياء الله ورسوله لم يميزوا أنفسهم عن أقوامهم، ولم تكن لهم تلك الهالة التي تجعلهم أيقونات في مجتمعهم، وأنهم أناس يحملون حلولاً خارقة لمشكلات المجتمع، أو يملكون لمسات ساحرة يشفون من خلالها من أنحسهم المرض، ولم يستطرقوا تلك العوالم الغيبية، فضلاً عن أن تكون لديهم القدرة في أن يأتوا بآية أو سلطان من تلقاء أنفسهم، وفي هذا السياق يبين الله - ﷻ - لنا حكاية عنهم: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١١) (٤).

(١) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٢) سورة الأنعام: الآية (١٢٨ - ١٢٩).

(٣) سورة الجن: الآية (٦).

(٤) سورة إبراهيم: الآية (١١).

وبالتالي فإن تأثير الإنسان الكوني على الحياة هي ليست إلا محاولة بشرية عاجزة للوصول إلى مقام الأنبياء والرسل، ومحاولة للإتيان بمثل ما أتوا، والحق لا يمكن أن يتعدد، والأمم السابقة حين عصت أوامر الله - ﷻ - وتكبرت وحادت عن ما جاء به رسل الله وأنبيائه، عاقبهم الله - ﷻ - وأهلكهم بعذاب من عنده، عندها أيقنت البشرية أنها وقعت في شرك الهزيمة، فنمت محاولات بشرية لاستصلاح الحال؛ وظهرت المحاولات الفلسفية، وتلفقها الحكماء ورهبان المعبد، وأحيطوا بهالة من التعظيم والتقدیس، وأصبحوا أناساً استثنائيين على مستوى الفكر الإنساني، نتيجة ما قدموا لمجتمعاتهم من حلول خارقة وإن كانت على حساب العقيدة والسلوك الإنساني، وتسربت هذه الفكرة - أعني فكرة الوصول إلى خوارق العادات بالاكْتساب - إلى داخل المجتمع الإسلامي، وتأثر خلفاء الطريقة وأولياء التصوف الفلسفي بمثل هذه الأفكار، وظهرت العديد من التصورات، كالإنسان الكامل، والحقيقة المحمدية، والأقطاب، والغوث، وغيرها، وكلها تدور في فلك خوارق العادات، وأصبح الوصول إلى تلك الخوارق هوساً لا يكاد ينفك عنه مريدٌ متطعٌ لخلافة المذهب، ومن أجل ذلك الهوس تقام العديد من الفعاليات، فيما يسميه المفتتون بها "مناسبات دينية"، و"مجالس ذكر"، وفيها من التجاوزات ما الله به عليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

❁ مظاهر أثر الإنسان الكوني على الحياة:

ينسب المختصون بفلسفة الطاقة الكونية إلى الإنسان الكوني القدرة على إحداث الأفعال، وخرق العادات، والتأثير على الأشياء، وهذا التأثير لا يمكن أن يحصل إلا من خلال الاستعانة بمجموعة من القوى والأدوات؛ وبالتالي فإن تلك القوة ليست منحة ربانية، وإنما هي قوة مكتسبة بفضل الممارسة الذاتية وتدريب النفس على الرياضات الروحية والتعذيب النفسي، وترويض العقل على القيام بما يُدعى بأنه من خوارق العادات، ومن أبرز تلك القوى والأدوات:

- قوة التصور والخيال: وهي من أهم السمات التي يتحلى بها الإنسان الكوني، فمن خلال تصور الأمر الواقع يحصل التأثير، والإنسان الكوني حين يتخيل أمراً ما فإنه النتيجة المنطقية لذلك الخيال هو بناء جانب من الافتراض العلمي الخيالي، وهذا الافتراض يكون مؤثراً في حياة الناس.

- الممارسة التأملية: وهي نتيجة لقوة التصور والخيال؛ لأن التصور لا يمكن أن يحدث إلا من خلال الممارسة التأملية، والتخيل هو المرحلة المتقدمة من عملية التخلص من حالة الأفكار

المتشاحنة والتي تمثل الحالة الاعتيادية للعقل، والتأمل لا يمكن أن يحصل إلا من خلال اتباع طقوس معينة، واتباع طريقة متبعة، وترديد توكيدات^(١) وألفاظ ومانترات معتبرة، وقد سبقت الإشارة إليها في مواضع متفرقة من هذه الرسالة.

- **تدريب التحفيز الذاتي:** ويقصد بالتحفيز الذاتي هو إحداث القدرة على خلق القدر، فالإنسان الكوني حين يدرّب نفسه على التحفيز الذاتي بترديد عبارات التوكيد كأن يقول مثلاً: "سوف أشفي هذا المريض"، ويبدأ يردد العبارة عدة مرات من أجل تحفيز العقل الباطن على جذب الشفاء للمريض، وإحداث أمر الشفاء، ويلحق بألفاظ التوكيد ألفاظ المانترات الموجودة في الفكر الفلسفي الهندوسي، والهدف من ترداد هذه المانترات هو شحن الشاكرات بالطاقة الكونية.

- **الاستعانة بالقوة الغيبية:** وهي حجر الزاوية والركن الشديد الذي يؤدي إليه الإنسان الخارق أو الكوني، وهذه القوة الغيبية هي المصادر الخارجية التي يتم استمداد الطاقة منها، لتمر من خلالها إلى المرضى والأفراد، ويسود الاعتقاد عند أولئك الخارقون بأن مصدر هذه الطاقة تعود إلى كائنات غير بيولوجية عاقلة، وترجم على أنها "أرواح"، وفي هذا السياق تقول المعالجة الأميركية "أولغا وورال" بأنها "تسمع بالفعل أصواتاً يتصل بها، إلا أنه ليس من النوع الذي يسمعه الجميع؛ لأنها تحسه بأذنها الداخلية فقط، وفي أحيان أخرى ترى هيئة روح قرب الشخص المريض، وتستلم رسائل من هذه الروح"^(٢).

- **التأثير على الفرد:** وأدواته كثيرة؛ ومنها: التنويم المغناطيسي، والوخز بالإبر، وشحن الشاكرات بالطاقة الكونية، وغيرها من الأساليب التي تؤخذ في إطار تأثير الإنسان الكوني على الفرد، وتصنف ضمن ظواهر خرق العادات.

(١) التوكيدات: جمل إيجابية أو سلبية تحدث رغبة في نفس الإنسان تود تحقيقها، والهدف منها هو إعادة برمجة الذهن لتقبل تلك الرغبة، ولتكوين عادات ذهنية جديدة، ولتحقيق الأثر الناتج من التوكيدات؛ يمكن استعمالها لمدة تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، كما يمكن استعمالها لمواجهة المشاكل الصحية، والتدريب على تنشيط الملكات الميتافيزيقية، وهذه التوكيدات تتلى على نمط واحد مثل تلاوة الأوراد اليومية، وبذلك تدخل إلى السرية غير الواعية وعبر الأذن. انظر: التخاطر، ص (٩٤).

(٢) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، ص (٨٣ وما بعدها).

إن تأثير الإنسان الكوني على واقع الحياة من خلال إحداث الأمور الخارقة للعادة تتجلى من خلال العديد من المزاعم، وهي بعيدة كل البعد عن المجال العلمي، ويتشدد بها من يظن نفسه إنساناً كونياً خارقاً، ومن مظاهر تلك الادعاءات:

- الاعتقاد بوجود طاقة تنتقل من جسم الإنسان الخارق إلى الإنسان المريض أو الإنسان الذي يراد به التأثير، ويعزز هذا الاعتقاد شعور كثير من المتأثرين بجملة الطاقة وهي تسري إلى داخل أجسادهم، وأحياناً من أماكن مختلفة من أجسادهم، ويتركز هذا الشعور بكثرة في الموضع الذي يلمسه ذلك الإنسان الخارق.
- يؤمن المتأثرون بالأمور الخارقة بأنهم يملكون طاقة كونية نابعة من ذواتهم، وهم بذلك يمررون لفكرة أن أجسادهم وذواتهم ليست إلا ممرات للطاقة الكونية الآتية أصلاً من مصدر خارجي.
- ادعائهم القدرة على شفاء العديد من الحالات، وأنهم يبذلون جهداً ذهنياً وذاتياً من أجل نقل الطاقة من ذواتهم إلى ذوات الأفراد محل التأثير، وخارقيتهم تصل إلى معالجة العشرات من المرضى دون أي يصابوا بتعب أو إنهاك، وفي هذا السياق يصف المعالج "أيستباني" ممارسته العلاجية "فيشعر كما لو كان محاطاً بهالة مغناطيسية؛ ولديه القدرة في إشعاع الطاقة بشكل مباشر أو غير مباشر، لأنه قادر على شفاء عشرين مريضاً كأقل تقدير، ويصل به الحال إلى معالجة أربعين مريضاً في اليوم الواحد دون أن يشعر بالتعب والإنهاك، كما أن المريض الأخير الذي عالجته يترك أثراً في ذات الإحساس الذي يتركه المريض الأول!!!"^(١).
- بعض المعالجين الخارقين رؤية هالات ملونة حول الإنسان!، وهذه الهالات تحيط بجسم الإنسان، وأن هالة الإنسان الحي تتغير وفقاً لحالته الصحية والعقلية والشعورية، وكذلك بتفاعله مع محيطه الخارجي، ويصرح أولئك الخارقون بأن مصدر هذه الهالات وكذلك الطاقة الكونية هي كائنات غير بيولوجية عاقلة، يتم وصفها ودراستها ضمن الكائنات الروحية، وقد سبقت الإشارة إلى هذا النقطة^(٢).

(١) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، ص(٨٣ وما بعدها).

(٢) نفس المصدر السابق: ص(٨٣ وما بعدها).

● ومن المظاهر الخارقة للعادة ما يؤمن به الإنسان الكوني من إمكانية الخروج من الجسد، وتجربة الاقتراب من الموت، ومخاطبة الكائنات الإلهية المقدسة، وكثير ما يتم الاستشهاد بالقصص الخيالية التي تجسد هذه الظاهرة، وهي كثيرة في روايات المتصوفة، ونجدها أيضاً في روايات الشيعة الإمامية الذين ينسبون دائماً لأئمتهم الأمور الخارقة، ونجدها أيضاً في الكتابات الغربية الحديثة، ومن أشهرها تجربة "باتريك" أحد مرضى د. نيلسون المتخصص في معالجة الحالات النفسية، وكان "باتريك" يعالج لسنوات عديدة عند الطبيب الآنف ذكره، وذلك قبل أن يخبره بتجربة الخروج من الجسد التي حصلت له، فبينما كان يقود سيارة إسعاف بصفته خبير فني في حالات الإسعاف الطارئة، تعرض لنوبة قلبية نقل على إثرها إلى غرفة طوارئ محلية، حيث تم التعرف إليه مباشرة. وعندما بدأ قلبه يفشل في عمله أصبح في حالة شلل، فارتفع ببطء فوق السرير ذو العجلات. واستمر في الارتفاع، أعلى فأعلى إلى درجة مكنته من ملاحظة غرفة الطوارئ بأكملها، فيما كان جسده أدنى منه. ولم يمض وقت طويل حتى عاد باتريك بلطف مرة أخرى إلى سريره. وعندما سأله د. نيلسون عن شعوره خلال ارتفاعه ورؤية جسده الذي تركه خلف وعيه، أجاب أنه كان على وشك الالتقاء بخالقه!!!^(١)، وهناك العديد من القصص المبنية على مثل هذه الخيالات، ولا يسعنا في هذا المقام سردها، ولكن الأهم هو التعرف على رأس مال من يدعي أنه إنسان خارق، ويروج لمثل هذه الخيالات والافتراضات المبنية على الوهم، ويصدقها من سلم فكره وعقله لتجار الوهم.

● ومن مظاهر خرق العادات ما يدعيه الإنسان الخارق بأن التخاطر والتدريب الذاتي على الحاسة السادسة، وفتح العين الثالثة هي أولى الخطوات لخرق الأفعال والعادات، والطريق إلى الإبداع والقدرات الخارقة؛ وقد لوحظ على امتداد الوجود الإنساني قديماً وحديثاً أن الكثير من البشر من مختلف الأعمار تبرز لديهم قدرات غير عادية تمكنهم من القيام بأعمال يعجز عنها غيرهم، ومن مظاهر هذه الأعمال "القدرة على التواصل مع الآخرين، وهذا التواصل ليس

(١) انظر: الإسقاط النجمي بين العلم والدين: محمود أشرف محمود، الناشر: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر،

٢٠١٦م، ص(٣٨-٣٩).

شفهياً أو باللقى والمعاصرة؛ وإنما يحدث من خلال التخاطر الروحي، حيث يمكن الاتصال الروحي بين شخصين في مكانين مختلفين، بعيدين عن بعضهما البعض^(١).

● الإنسان الكوني حين يدرب نفسه على تنمية الملكات الميتافيزيقية؛ فيصل إلى الحاسة السادسة، وفتح العين الثالثة، فإن المهتمين بفلسفة الطاقة الكونية يوعزون إليه العديد من القدرات والمهارات الخارقة ومنها:

(١) القدرة على قراءة الأفكار، ونقلها من عقل لآخر، وهو على أنواع كثيرة، منها التخاطر بين الإنسان الكوني والكائنات الروحية، ومنها التخاطر بين شخصين بواسطة العقل، ومنها التخاطر بين الإنسان والحشرات والطيور، ومنها التخاطر مع النبات، وحديثاً ومع المكتشفات العلمية يمكن التخاطر عبر وسائل الاتصال الحديثة^(٢)، وكل ذلك يحدث بفضل التأمل وتقنية التنفس والتركيز على التخاطر مخاطبة الكائن المعني بقوة العقل الباطن، وشحن الشاكرات وصولاً إلى شاكرة العين الثالثة، والتدرب على فتحها، ومشاهدة المستقبل^(٣).

(٢) القدرة على استحضار الماضي من خلال خوض تجربة السفر إلى السجلات الأثرية أو ما يعرف بسجلات "آكاشا - Akashic records"، وتوقع المستقبل القريب، وهذه القدرة لا تحصل إلا من خلال التوجه إلى الذات الداخلية، والاستماع إلى حكمة الجسد، تقول الكاتبة "جاين بوندر" وهي من المهتمين بالتنمية الذاتية: "يبدأ الرجال والنساء في تحقيق عظمتهم حين يبدأون في الإنصات لأصواتهم الداخلية"^(٤).

(٣) معرفة ورؤية الحوادث التي تحدث في أماكن بعيدة، وهو ما يطلقون عليه بالجلء البصري، ويراد به رؤية كل ما هو وراء نطاق البصر، ورؤية الإنسان الخارق لأشخاص غير منظورين،

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص ١٩١.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٠٥.

(٣) انظر: التخاطر؛ خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، ص(٥٧) وما بعدها في مواضع متفرقة من الكتاب).

(٤) انظر: الحاسة السادسة؛ رحلة في عمق وعينا الكوني: د. أحمد توفيق حجازي، ص ٣٢.

سواء من الأحياء أو الأموات، ويؤمن المتأثرون بفلسفة الطاقة الكونية بأن الجلاء البصري موجود في الجسم الأثيري^(١).

(٤) القدرة على تحريك الأشياء دون لمسها، بفضل تأثير العقل على المادة، وله صور منها: تحريك الأشياء عن بعد، وتحريك الأشياء عن طريق القدرات العقلية، وتحريك الأشياء بواسطة العلم الإلهي^(٢)، وكل هذه التطبيقات سيتم دراستها وبيانها من خلال الفصل الثالث والخاص بالتطبيقات إن شاء الله.

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص ٢٢١.

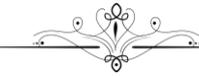
(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٣١.

المبحث الثالث

مدرسة الوعي الكوني

وفيه أربعة مطالب:

- * **المطلب الأول:** التعريف بمدرسة الوعي الكوني.
- * **المطلب الثاني:** التصورات الفكرية لفلسفة الوعي الكوني.
- * **المطلب الثالث:** الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية.
- * **المطلب الرابع:** دور الوعي الكوني في التأثير على حياة الإنسان.



المبحث الثالث

مدرسة الوعي الكوني

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التحريف بمدرسة الوعي الكوني:

الاعتقاد بالثنائية الكونية على النحو الموجود في الفكر الشرقي القديم، سواء كانت تلك الثنائيات قطبية أو ثنوية، فإن تلك الثنائية التي تصور لنا مبدأ الصراع أو التكامل من أجل ضمان استمرارية الحياة والعالم هي التي تفسر لنا حقيقة الوعي الكوني، وهو الوعي الذي يقود الفرد إلى الاعتقاد بوجود عالمين مختلفين؛ عالم المادة وعالم الروح، وموطئ قدم الإنسان من هذين العالمين وموقفه منهما هو تفسير لحقيقة الوعي.

بمعنى آخر، فإن الوعي هو الحالة الإدراكية التي يصل فيها المرء إلى النشوة الداخلية، وحين نقول "نشوة داخلية" فإن هذا يعني تغلب العالم الداخلي أو الذات أو الروح على العالم الخارجي أو الجسد أو المادة. وحين نقول "حالة إدراكية" فإن هذا يعني أن العقل البشري وصل إلى ما يسميه الفلاسفة القدماء أنه وجود لمبدأ معلوماتي أعلى يسري في كل شيء، وهو ما أطلقوا عليه "العقل الكلي" أو "الوعي الكوني"^(١)، و وافقهم في ذلك رواد الفلسفة الباطنية الحديثة من المنتسبين إلى حركة العصر الجديد وكذلك المهتمين بالطب البديل حين يتحدثون عن قوى العقل والوعي والروح كما لو كانت قوى مستقلة بعضها عن بعض، ويتعدى الأمر أكثر حين يكون الحديث عن تأثير العقل على الجسد، ليكون العقل منطقة الوعي في الذات الإنسانية^(٢)، وإذا كان الوعي كذلك؛ فما هو المقصود منه؟، وما مفهومه؟.

(١) انظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، الناشر: "NEW BOOK" نيوبوك للنشر والتوزيع، القاهرة،

مصر، ط ١ = ٢٠١٨، ص ٤٢٥ .

(٢) انظر: الوعي، سوزان بلاكمور، ترجمة مصطفى محمد فؤاد، الناشر: دار هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة،

مصر، ط ١ = ٢٠١٦، ص ٧.

أولاً: مفهوم الوعي في اللغة.

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾^(١)، أي يضمرون ويجمعون في صدورهم من التكذيب بالنبي - ﷺ -، وقال تعالى: ﴿وَتَعِبْنَا أُذُنًا وَعَيْبَةً﴾^(٢): أي تحفظها أذن حافظة^(٣)، فالوعي مصدر وَعَى، تقول: وعى العلم يعيه وعياً، إذا حفظه^(٤)، و وعى الشخصُ الأمرَ: بمعنى أدركه على حقيقته^(٥)، فهو "واعٍ بحقائق الأمور"^(٦)، فالوعي إذاً هو حفظ القلب الشيء^(٧).
وبالتالي يمكن القول أن مفهوم الوعي في اللغة يراد منه ما يجمع في الصدر، ويدرك بالعقل، ويكون المراد بالوعي هو الحفظ والتقدير والفهم وسلامة الإدراك، وهذا الإدراك هو ما يفسر بأنه شعور الكائن الحي بما في نفسه وما يحيط به^(٨).

ثانياً: مفهوم الوعي في الاصطلاح الفلسفي:

ليس هناك تعريف متفق عليه للوعي بشكل عام، ولا بد أن ندرك أن تعريف الوعي ليس أمراً محددًا قابلاً للتعريف الجامع، فلا يمكننا الحصول على وصف ثابت للوعي بشكل عام، وإنما نكون أمام نوع من أنواع الوعي المختلف تبعاً للثقافة التي ينتمي إليها^(٩). ولكن يمكن أن نتصور الوعي من جوانب معينة:

(١) سورة الانشقاق: الآية ٢٣.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٢.

(٣) انظر: مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة المرتضوي، طهران، إيران، ط ٢=١٣٦٥هـ، (م/١ص٤٤٣-٤٤٤).

(٤) انظر: المحيط في اللغة: صاحب بن عباد الطالقاني، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، (٢/١٨٥)، وتاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، (٢٠/٢٩٨).

(٥) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عمر، (٣/٢٤٦٨).

(٦) انظر: معجم الغني الإلكتروني: د. عبد الغني أبو العزم، فهرسة وتنسيق: فواز زكارنة، "حرف الواو: مادة "وعى"، نشر الكتروني: ربيع الثاني: ١٤٣٤هـ - مارس ٢٠١٣م.

(٧) انظر: لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، (١٥/٣٩٦).

(٨) انظر: المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ٤=١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، (م/٢ص١٠٤٤).

(٩) انظر: معضلة مفهوم الحدائثة في منظور مقارن: أ.د. جهاد عودة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٥، ص ٢٠٥.

أولاً: من جانب العلم بالشيء: فالعالم بجوهر الأشياء هو واع بتلك الأشياء بخلاف غيره، وتتضح الصورة أكثر حين نطرح سؤالاً فنقول: كيف يكون الحال لو كنت "عالماً"، فلو حصل لك جانباً من المعرفة العلمية أصبحت كائناً واعياً، وإلا فأنت لست واعياً^(١).

ثانياً: من خلال الذات؛ فالتجربة الذاتية تشكل أهم مصدر من مصادر الوعي لدى الفرد في الفكر الباطني مقابل الموضوعية^(٢)، والمعرفة الذاتية النابعة من ممارسة التأمل الكوني هي معرفة مصدرها التجربة الذاتية، ولا يمكن تذوق تلك المعرفة من خلال الموضوعية، ولذا يعتمد فلاسفة المعرفة الباطنية إلى إخفاء الجانب الموضوعي لدى المبتدئين من طلبة الإيزوتيرك والعلم الباطني، ويحثونهم على التضحية من أجل خوض التجربة الذاتية.

ثالثاً: التجارب الواعية الذاتية: وبمعنى آخر الأثر الناتج عن التجربة الذاتية، ومعناها السمات الذاتية التي يتعذر وصفها للتجربة، مثل حمرة اللون الأحمر، أو الرائحة مثلاً التي لا يمكن وصفها^(٣)، وهذه التجربة الواعية لا تؤدي إلى الوعي المؤسس للاستنارة!، لأن وظيفتها هي توليد دراية بالموضوعات المختلفة للحواس والذهن فقط، فالبصر المتولد بواسطة وعي العين، والسمع المتولد بواسطة وعي السمع، والرائحة المتولدة بواسطة وعي الأنف، والتذوق المتولد بواسطة وعي اللسان، واللمس المتولد بواسطة وعي اللمس، والتفكير المتولد بواسطة وعي الذهن، فهذه ستة أنواع من الوعي تعمل من خلال الذات والموضوعية، ويلحق بها النوع السابع من الوعي؛ وهو الوعي المدنس، وهو أرقى من الستة السابقة ويكاد أن يصل إلى الاستنارة لكن النظرة الخاطئة والضالة تحول دون ذلك؛ إذ يكون الوهم مسيطراً على الفرد في هذا المستوى.

ثم يأتي النوع الثامن من الوعي وهو ما يطلق عليه "الوعي المستودع" وهو وعي كامن تحت الأنواع والوظائف الأخرى من الوعي، وحين يظهر من الطمع والجهل يحصل على المعرفة مباشرة من دون ثنائية الذات والموضوع، فهو وعي مؤسس للاستنارة والتحصيل اللدني المباشر^(٤)،

(١) انظر: الوعي، سوزان بلاكمور، ترجمة مصطفى محمد فؤاد، ص ٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٧.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٧.

(٤) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م كولر، ترجمة: نصير فليح، ص ١٩٦.

ويتم التحصيل المعرفي من خلال القوة السارية في الكون، وينظر إلى هذه القوة بأنها صورة من صور تجليات الإله في الطبيعة والكون.

رابعاً: وهو السؤال الأصعب كيف تنشأ تجارب ذاتية؟ وهو السؤال الذي يقود نحو الاعتقاد بأن الوعي هو شكل من أشكال القوى التي قد تؤثر تأثيراً مباشراً في العالم، فتؤثر في الذات، وتؤثر في أمور أخرى كالعلاج الروحاني والتخاطر واستحضار الأرواح والتأثير على المريض وغيرها من الأمور التي يمكن أن تكون خاضعة لمفهوم "العقل فوق المادة"^(١)، وهو المفهوم الذي يعتقد بسيادة العقل والروح أمام المادة، واعتبار القوة العقلية هي القوة المحركة لجميع الأشياء والظواهر وللتاريخ كله^(٢). ومن خلال هذه المفهوم برزت العديد من التطبيقات التي توحى بسيطرة العقل على المادة، كتطبيق المشي على الجمر، وتحريك الأشياء عن بعد والتأثير عليها، وهي في الحقيقة تكريس لمفهوم فلسفة الطاقة الكونية، والمتضمن "الاعتقاد بوجود مبدأ معلوماتي أعلى يسري في كل شيء، وهو ما أطلقوا عليه "العقل الكلي" أو "الوعي الكوني"، وأن الجوهر المطلق الأعلى الذي يسري في كل شيء هو مصدر المعرفة، وأن الوعي الكوني هو الحقيقة الوجودية الأصلية التي تسبق الوجود، والتي تولدت منها كل الأكوان، والمصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون"^(٣).

ومن خلال ما سبق فإن مفهوم الوعي الكوني من المنظور الفلسفي هو مفهوم يتجاوز المفهوم اللغوي من الإحاطة والإدراك والحفظ، كما أنه مفهوم يتجاوز كل أنواع الوعي الذي يتضمن معنى الإدراك كوعي الحواس الخمس والشعور إلى معنى آخر يتضمن الشعور بحيوية المادة وتأثير العقل عليها، بمعنى أن العقل سابق على المادة، ومؤثر فيها، وأن الوعي الكوني هو نوع من أنواع الطاقة الحارقة التي باستطاعتها أن تخلق وتغير وتركب وتدمر المادة، وأن الإنسان من خلال الوعي الكوني يستطيع أن يسافر عبر الزمن إلى أي مكان في هذا الكوكب ويسترجع معلومات التاريخ الإنساني منذ فجر التاريخ، كما أنه من خلال هذا الوعي يستطيع أن يؤثر على وعي أي شخص آخر^(٤).

إن الوعي الكوني بمفهومه الفلسفي هو تقرير للحقيقة الوجودية الأصلية، تلك الحقيقة التي تسبق الوجود، والتي تولدت منها كل الأكوان، فالوعي الكوني هو وعي مدرك كل الاحتمالات الممكنة،

(١) انظر: الوعي، سوزان بلاكمور، ترجمة مصطفى محمد فؤاد، ص ٧.

(٢) انظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، ص ٤٢٥.

(٣) انظر: نفس المصدر السابق: ص (٤٢٥-٤٢٨).

(٤) انظر: الحاسة السادسة "رحلة في عمق وعينا الكوني": د. أحمد توفيق حجازي، ص ٨٩.

ومخرج بعضها إلى الوجود تبعاً للمبادئ التي يضعها في الاعتبار، فهو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون^(١).

وفي هذا السياق فإن المبادئ التي يضعها في الاعتبار يمكن تفسيرها من خلال الاعتقاد بوجود "الذاكرة الكونية"، تلك الذاكرة التي تتضمن جميع المعلومات المتعلقة بالأحداث والأفعال والمشاعر وغيرها من الانطباعات البشرية المختلفة التي حصلت منذ الوجود، ويؤكد المهتمون بالروحانيات والمتأثرون بالفلسفة الروحية والمذاهب الصوفية بحقيقة هذه الذاكرة الكونية، ويقررون أن هذه الذاكرة تحتوي على جميع ما قام به البشر منذ البداية وإلى آخر الزمان، وأن هذه المعلومات محفوظة في حقل معلوماتي عملاق، ضوء خفي يصفه بعض الروحانيين بأنه نوع من الأثير وراء حواس الإنسان ومادته مجهولة. وأن الكيان المعلوماتي الخفي هو المصدر الذي تخرج منه قوة الإرادة والتي تحت الإنسان على توجهات محددة في الأفعال والأفكار والمشاعر والخيال هو مخزون عملاق للقوى السحرية وبحر عظيم من الوعي يتواصل مع جميع العقول، هذا المخزون هو الوعي الكوني^(٢).

هذه الذاكرة الكونية هي ما تسميها الفلسفة الهندية بسجلات "آكاشا"، وهي كلمة "سنسكريتية" تعني السماء أو الفضاء أو الأثير، وهي مجموع السجلات التي تحوي معلومات الكون والكائنات البشرية، وهي مصطلح صوفي يصف خلاصة المعلومات الصوفية المستقاة والمرمزة في مستوى لا مادي من الوجود، يعرف بالمكتبة الكونية، والأرشيف الذي يجوي كل ما في هذا الكون من أصغر الأشياء حتى أكثرها تعقيداً، يطلق عليه المتصوفة اسم "اللوح المحفوظ"، فيها ما يسمى بالقدر، وفيها مفاتيح الغيب، وجميع ما في الكون يسير وفق مشيئتها، برغم من أنها غامضة وخفية، إلا أنه يمكن الوصول إليها بالبصيرة، من خلال الممارسة التأملية والإسقاط النجمي؛ إذ يمكن للمتنبئين والفلاسفة والمفكرين والوسطاء الروحيين الولوج إلى هذا الكيان المعلوماتي، والاطلاع على السجلات الكونية من خلال ذبذبات معينة؛ إذ أن لكل طاقة ذبذبة معينة، ولكل فكرة ذبذبة مرتبطة بها^(٣).

(١) انظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، ص ٤٢٨.

(٢) انظر: العقل الكوني: علاء حلي، الناشر: دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، ط ١ = ٢٠٠٦م، (١م/ص ٢٣٥)، وانظر: نعمة المعرفة، ما تبحث عنه يبحث عنك: كامي حنا، الناشر: دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠١٧م ص ١٧٣.

(٣) انظر: أساطير عالمية مخيفة: ياسر مصطفى الطبال، كتاب اليكتروني، رقم النشر: ISBN: 9786050304411، عام: ٢٠١٤م ص ٤٣٩، و نعمة المعرفة، ما تبحث عنه يبحث عنك: كامي حنا، ص ١٧٣.

ومما سبق يتضح أن مفهوم الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية مفهوم مرتبط بالقوة الإلهية السارية في الكون، وأن الوعي الكوني هو الوعي الذي يتم التوصل إليه من خلال العديد من تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية، وغاية ما يمكن أن يصل إليه الفرد الواعي؛ إذ يمكن من خلال الوعي الكوني أن يحس الإنسان بالوجود بعيداً عن الجسم الفيزيقي، ويتصل مع ما يمكن وصفه بالحضرة الإلهية أو الوعي بالله، ويتحصل على الهداية والإلهام الحقيقي^(١).

وهي عملية ليست سهله، ويتطلب من الفرد الواعي أن يمارس أنواعاً عدة من الرياضات الروحية والتمارين العقلية، ليصل في نهاية المطاف إلى امتلاك المعرفة من خلال الوعي الكوني، وقد كانت في السابق حكراً على الفلاسفة والحكماء وكهنة المعبد، لكونها سرّاً من الأسرار المقدسة، والتي لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال خوض التجربة الفعلية، وفي هذا السياق يذكرون أشخاصاً قلائل امتلكوا هذا الوعي، ووصلوا إلى معرفة أسرارها الخارقة والتي يتم وصفها بأنها قوة خارقة فوق الطبيعة، ومن هؤلاء "هرمس الحكيم، أو هرمس مثلث العظمة"^{(٢)(٣)}، والمتأمل في الرؤيا الهرمسية ليدرك حقيقة الوعي الكوني، ومصدر تلك الرؤيا، وأنها ليست إلا محاولة لتجميع النتاج الفلسفي تحت معتقد الباطنية وعقيدة الخواص من المفكرين وعلية المجتمع.

(١) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: د. كريم أمير أحمد، ص ١٥.

(٢) انظر: الحاسة السادسة "رحلة في عمق وعينا الكوني": د. أحمد توفيق حجازي، جامعة تكساس أوستن، الناشر: كنوز المعرفة، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، ص ٨٩.

(٣) للمزيد حول الرؤيا الكونية عند الهرمسية راجع الفصل الأول من هذه الرسالة: المبحث الثالث: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية، ص (١٤٥).

المطلب الثاني: التصورات الفكرية لفلسفة الوعي الكوني:

أولاً: الوعي الكوني في الفكر الشرقي القديم:

الوعي الكوني في الفكر الشرقي القديم مرتبط بالروح التي من خلالها يسمو الفرد ويرتقي بكل ما أوتي من سلطة وعظمة وحب وتأمل.

❁ الوعي الكوني عند "لاو-تزه" في الفلسفة الصينية:

جاء "لاو تزه" بنظرية الـ "ين يانغ"، وهذه النظرية ظهرت كمحاولة للإجابة عن سؤال كيفية نشوء الأشياء، وبحسب هذه الفكرة فإن الكون جاء نتيجة للتفاعلات بين القوتين الأوليتين، هذا التفاعل مطلوب للطبيعة لأجل أن تنشأ وتفعل وتوجد، فكل الأشياء تنشأ وتتفاعل وتتواجد نتيجة هاتين القوتين المتعارضتين، وبالتالي فإن نظرية الـ "ين يانغ" ترسيخ للصلة والتفاعل والترابط المتبادل بين السماء والطبيعة وعالم البشر الذين يحتاجون فقط إلى فهم حقيقة التغيرات والتفاعل بين القوى الكونية، ومن أجل هذا ظهرت فلسفة التغير؛ وهي فلسفة تشرح حقيقة التغيرات وفق نظرية "ين يانغ"؛ وقد وصلت هذه الشروحات إلى أربع وستين شكلاً رمزياً تسمى بالسداسيات، وهي في حقيقتها تستخدم لتوجيه الاختيارات البشرية، وتكمن أهمية السداسيات في محاولة تبين كيف تتغير الأشياء أولاً، ومحاولة لتبيين كيف يستطيع الشخص الاستجابة بأفضل السبل للتغير ثانياً^(١).

وموقف الفرد الصيني من هذه الفلسفة ونظرته للكون والطبيعة تحدد نتيجة حتمية مفادها أن العالم الطبيعي والعالم البشري مترابطان بقوة ومتغيران باستمرار، وأن كل شخص وكل شيء من بدايته إلى نهايته متغير باستمرار، وأن الطريق الطبيعي للكون يتمثل من خلال الوعي الكوني، وهو الوعي الذي يتمركز حول استحضر الفرد لفكرة الـ "ين يانغ"، وسبيل استحضر تلك الفكرة لا تتم إلا من خلال التوجه إلى الطبيعة لاستقطاب الطاقة الكونية "تشي"، والعيش ضمن الوعي الكوني الذي يوصل الفرد إلى فهم حقيقة التفاعل بين القوى الكونية وسبل تغييرها، ومن فهم تلك الحقيقة تغلب على الألم ومنغصات الحياة، وأدرك السعادة التي توصله إلى الاتحاد بالطاو، ذلك هو الهدف الأسمى من الفلسفة الصينية؛ إذ يعتبر المرء في الفكر الصيني عظيم لما يتضمن من عظمة داخلية وهي شموخ الروح، والعظمة

(١) انظر: الفلاسفة الآسيوية: جون م. كولر، ترجمة: نصير فليح، ص(٤٠٥ - ٤١٣).

الداخلية تظهر في القدرة على العيش بصورة جيدة على الصعيد العملي، والعيش من خلال الروح وليس الجسد على صعيد الارتقاء والسمو^(١).

❖ الوعي الكوني في الفلسفة الهندية:

تتمحور حقيقة الوعي الكوني في الفلسفة الهندية حول إدراك الإنسان للحقيقة الوجودية؛ تلك الحقيقة هي حقيقة "براهما"، ولأن الفلسفة الهندية تقرر أن لكل كائن حي روحاً، وأن الجسد الذي تتقمص فيه كل روح، فإنه يتقرر تبعاً للأعمال التي يؤديها المرء في أدوار حياته السابقة. وبالتالي، فإنهم يرون أن كل شخص يظل يولد من جديد إلى ما لا نهاية في حالة واعية مكيفة أو مشروطة من مادة حية^(٢). وبالتالي، فإن الدافع الأساسي الذي يعزز الروحانية الهندوسية هو الوعي بتحقيق التحرر الذاتي "موكشا"، من الوعي المشروط إلى حالة الوعي غير المشروط^(٣).

وبالتالي فإن الطريق إلى التحرر الذاتي وإدراك حقيقة "براهما" يمكن من خلال نظريتين: "الثنائية" و "اللاثنائية" للكون، فالثنائي يرى أن الكون موجود مثلما يوجد الله حقيقة، وانعدام الكون هو انعدام للحقيقة الإلهية.

أما النظرية اللاثنائية، فقد وجد علماءها أنه يجب التمييز بين ثلاثة أنماط من الوعي:

النمط الأول: حالة الهلوسة أي التوهم، فيرى المرء شيئاً ويتوهمه شيئاً آخر، ولكن هذه الأمور يتم تصحيحها من خلال التأمل والانتباه.

والنمط الثاني: وجود العالم كما يظهر لحواسنا وإدراكنا الطبيعي. أي استخدام الحواس لإدراك كل شيء^٤.

أما النمط الثالث: وجود العالم الذي يدركه الإنسان عندما يرتقي ويصل إلى مقام الوعي الخارق السامي، وهو مقام ليس سهل المنال؛ فقد واجه فلاسفة الهند أشد أنواع العذاب الجسدي والذهني

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة كامل يوسف حسين، الناشر: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، بإشراف: أحمد مشاري العدواني، يوليو ١٩٩٥م، ص ٣١٣.

(٢) حالة الوعي المكيفة أو المشروطة هي بحسب الفلسفة الهندية هي أن يجر المرء ذاته فيرفع نفسه عن الحالة البشرية، إلى حالة أعلى يمكن وصفها بأنها هي حقيقة التحرر والانعقاد والاتحاد بالبراهمة، وحتى وهو إن ولد من جديد فيجب أن تكون الولادة الجديدة في حالة مجردة، يكون فيها الوعي غير مكيف وغير مشروط، وهذا هو تفسير التحرر والخلود الروحي. ومن هنا ظهر الاعتقاد بأن الإنسان الذي لم يكمل رغباته في الدنيا أو الإنسان الشرير يعود بعد موته على هيئة حيوان شرير ونحوه.

(٣) انظر: تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة: سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص ٢٠٤.

والروحي، وسعوا لفهم مبرراته وأسبابه، وكل ذلك كان بحالة الوعي التي مكنتهم من السيطرة على الذات والسيطرة على النفس كشرط أساسي للسعادة والحياة والخير، وبالتالي فإن طريق الاستنارة الواعية والمفضية إلى القضاء على المعاناة هو الطريق الموصل إلى إدراك الحقيقة الوجودية الكاملة، وهي حقيقة "براهما"، وهذه الحالة هي حالة اليقظة والوعي التام، ومن وصل إلى تلك اللحظة الواعية يدرك الحقيقة الوجودية الواحدة، فتتوقف الحواس عن كسر نور الوجود النقي إلى طيف الكثرة التعددية، وستظهر الحقيقة أخيراً كما هي فعلاً: "واحدة لا ثاني لها، لا نهائية، محضة خالصة"^(١).

❁ الوعي الكوني عند "سيدهارتا غوتاما" - ❁ - بوذا:

يعد "بوذا" من أشهر المعلمين الذين نظروا لمسألة الوعي الكوني، ولا ريب في ذلك؛ فقد قضى نحواً من عمره في سبيل الوصول إلى الاستنارة الداخلية، وهي استنارة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال الوعي الكوني، وكان المعلم لبوذا هو "آلارا كالاما"، فقد علمه طريقة تأمل تضع المرء في حالة استغراق عميقة، ورغم أن بوذا أتقن هذه الطريقة إلا أنه لم يستمر بها لأنه كان يجب العودة إلى الوعي اليقظ العادي للعيش وحل مشكلاته الأساسية. ثم استمر بوذا في السعي وراء العلم فتعلم على يد معلم ثان اسمه "أوداكا رامابوتا"، وتعلم على يديه أسلوباً آخر وهو العمل على الدخول في عالم "لا هو واع ولا هو غير واع" وهي حالة ذهنية يكون فيها الوعي قد اختفي تقريباً^(٢).

حسناً؛ ولفهم هذه الحالة الخاصة ببوذا، فعلينا أن ندرك أنه عادة ما يتم التمييز بين أربع مراحل من التركيز.

في المرحلة الأولى يركز المرء على التخلص من الشهوة، وسوء النية، والكسل والهمل، والقلق، والشك، وهذه الأنشطة الذهنية القاصرة وغير الصحية، تحل محلها مشاعر البهجة والسعادة.

وفي المرحلة الثانية يركز المرء على النفاذ ببصيرته عبر الأنشطة الذهنية والوصول إلى ما وراءها، على الرغم من احتفاظه بالوعي بالبهجة والسعادة.

(١) انظر: أديان العالم دراسة روحية تحليلية معمقة لأديان العالم الكبرى، توضح فلسفة تعاليمها وجواهر حكماتها: د. هوستن سميث، تعريب سعد رستم، ص (١١٧ - ١١٩)، وانظر أيضاً: الفكر الشرقي القديم: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، ص ٢٥.

(٢) انظر: البوذية: مقدمة قصيرة جداً، داميان كيون، ترجمة: صفية مختار، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، ط ١ = ٢٠١٦، ص ٣٤.

وفي المرحلة الثالثة يمضي المرء إلى ما وراء النشاط الذهني المسؤول عن البهجة، ويحقق اتزاناً تتخلله السعادة .

وفي المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل التركيز هناك اتزان كامل ووعي كلي يتجاوز السعادة والتعاسة في آن معا.

وبناءً على ما سبق فإن البوذية تقرر أنه ليس من الممكن بلوغ الحكمة دون انضباط، وهذا الانضباط يتمثل في الانتباه العقلي، ويشمل الجسم، والحس والشعور، والإدراك، والتفكير والوعي.

وكون المرء واعياً ومنضبطاً بالانتباه العقلي فإن هذا يعني فهم طبيعة الأنشطة التي يمارسها الفرد البوذي المتأمل والناسك، وبالتالي يعرف كيف يراقبها من حيث نشأتها، واختفائها، وسبل تطويرها، والأهم هو كيفية السيطرة عليها، وقد ورد في "الدهمابادا"^(١) أن "العقل يسبق كل حالات القصور، وهو عمادها، فهي جميعها مفعمة بالعقل، وإذا ما تحدث شخص ما أو تصرف بعقل دنس؛ فإن الشقاء سيلاحقه، كما تلاحق عجلات العربة قدم الثور، والعقل يسبق حالات الكمال، وهو عمادها، فهي جميعها مفعمة بالعقل، وإذا ما تحدث شخص ما أو تصرف بعقل نقي؛ فإن السعادة ستنتبعه، كظله الذي لا يفارقه"^(٢).

وأخيراً فإن الوعي الكوني يعد من أهم سمات الفكر الشرقي القديم عموماً، وفي البوذية خصوصاً، وقد أثر مفهوم الوعي الكوني على المعتقدات الدينية في الفكر الشرقي القديم، وأصبح ذلك الوعي بمفهومه المتجاوز مؤدياً إلى طريق الخلود الروحي، والفناء بالروح عن الجسد للعيش في البعد الإلهي!، والتكريم بالحديث مع الكائنات الإلهية هو غاية الفرد في ذلك الفكر؛ فالاتحاد بالجواهر الكلي المطلق من خلال تحقيق التوازن بين الثنائيات الكونية على النحو الموجود في الفلسفة الصينية، أو من خلال التحرر والاعتناق من دوامة التناسخ وتكرار المولد في الفلسفة الهندية، أو عبر تحقيق الـ"نيرفانا" عند البوذية، كل ذلك لا يتم إلا من خلال الوعي الكوني.

❁ الوعي الكوني طريق الوصول إلى المعرفة الباطنية في الفكر الغنوصي:

وإذا كان الوعي الكوني هو السبيل الموصل إلى تحقيق الخلود الروحي؛ فإن ثمة مذهب آخر جعل من الوعي الكوني طريقاً للوصول إلى المعرفة، وهم أصحاب النزعة الباطنية الخالصة، أولئك الذين لا يعتمدون لا على الحواس ولا على العقل سبيلاً للوصول إلى المعرفة؛ وإنما ينتهجون منهجاً باطنياً يقوم

(١) دهمابادا: ويطلق أيضاً: "الدامابادا"، وهو كتاب يضم أقوال بوذا، وانظر إليها بصفة القداسة والتعظيم، وقد صدر عن دار

التكوين للطباعة والنشر بدمشق سوريا نسخة من هذا الكتاب مترجماً باللغة العربية، قام بترجمتها سعدي يوسف.

(٢) انظر: الفكر الشرقي القديم: جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، ص (١٨٩ - ١٩٣).

على الذوق والكشف والحدس، فيتخذونه سبيلاً للوصول إلى العرفان والمعرفة، معتمدين في ذلك على الرياضات الروحية، والمجاهدة الذاتية، يعرفون بالغنوصية.

وإذا كانت الغنوصية هي معرفة ما هو غير مرئي بأدوات معرفية، تهدف إلى معرفة نظام الوجود والأشياء من أجل السيطرة عليها والخلاص؛ فإن الطريق إلى ذلك يكمن من خلال التواصل مع البصيرة الداخلية، وإدراك الحقيقة الكاملة، وفي هذا الصدد يقول المعلم الغنوصي "مونومرس": "اترك التفتيش عن الله، والبحث في مسائل الخلق والتكوين وما إليها؛ لمعرفة "الله" ابدأ بنفسك، واهتد إلى من في داخلك يقول: إلهي، وعقلي، وأفكاري، وروحي، وجسدي. اهتد إلى مصدر الأحزان، والغبطة، والحب، والكراهية، فإذا استقصيت هذه الأمور، فإنك واجده "أي: الله" في ذاتك"^(١).

وإذا كان غاية الفرد الغنوصي هو الوصول إلى المعرفة الباطنية، فإن هذه المعرفة لا تتم إلا من خلال الوعي الموصل لتحقيق الاستنارة الداخلية؛ ولأن السعي نحو الاستنارة يتطلب الكفاح ضد مقاومة داخلية هي أشبه بالرغبة في البقاء على حال النوم أو اللاوعي، ووصول الفرد الغنوصي إلى هذه المرحلة الواعية هي بمثابة إعلان القيامة؛ ذلك لأنهم ينظرون إلى أن المسيح قد قام روحياً من بين الأموات!، وكذلك العارف الذي حقق الاستنارة، فإن قيامته تحدث هنا والآن، بمعنى "أن قيامته تحصل في اللحظة التي وصل إلى المعرفة الباطنية من خلال الوعي"، لا في المستقبل، "فالوجود الإنساني هو نوع من الموت الروحي، أما القيامة فهي لحظة الكشف والاستشارة التي تنقل العارف إلى عالم جديد، وإن من يصحو على هذه الحقيقة يغدو حياً من الناحية الروحية"^(٢).

ثانياً: الوعي الكوني في الفلسفة اليونانية:

قدس اليونانيون العقل؛ لأن الحقيقة الوجودية وطبيعتها عندهم تمثلت أمام العقل، والغاية التي يريد أن يصل إليها الفكر اليوناني هو معرفة العقل لطبيعة الموجودات، فالعقل هو الفكر والوعي، والإنسان هو "حيوان عاقل"، وبالتالي فإن المعرفة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال العقل. وكثيرة هي تلك النظريات التي أنتجتها الفلسفة اليونانية، ولكن يهمننا أن ندرك مفهوم الوعي الكوني من خلال دراسة تلك النظريات، وبالتالي يمكننا أن نصنف تلك النظريات إلى مدرستين:

(١) انظر: الوجه الآخر للمسيحية: فراس السواح، ص ٦٧، نقلاً عن:

Ibid, P. XiX

(٢) انظر: الوجه الآخر للمسيحية: فراس السواح، منشورات دار علاء الدين - دمشق، ط ١ = ٢٠٠٤، ص (٦٦ - ٦٩).

- **المدرسة الأولى:** مدرسة مبدأ الوحدة، ويمثلها "هيراقليطس"، ونظريته هي نظرية العقل الكوني الـ"لوغوس - Logos".
- **المدرسة الثانية:** مدرسة مبدأ الكثرة، ويمثلها "أناكسوغوراس (١)"، ونظريته هي نظرية العقل الكلي الـ"نوس - Nous".

❖ نظرية العقل الكوني الـ"لوغوس - Logos":

يعد "هيراقليطس" أول من تبني فكرة العقل الكوني في الفكر اليوناني؛ إذ بحث عن "العقل الكوني" ومنشأ الكون، فجاء بنظرية الـ"لوغوس - Logos"، وجعلها "القانون الكلي للكون"، وهو قانون محايد^(٢) للطبيعة، ومنظم لها من داخلها، فهو بالنسبة إلى العالم أشبه بالنفس بالنسبة إلى الإنسان، لا بوصفها جوهرًا مستقلًا متميزًا عن البدن، بل بوصفها مبدأ لحركته، منتشرًا في جميع أجزائه، فهو الذي يحكم الظواهر، ويتحكم في صيرورتها الأبدية، فكل شيء يسير وفقا للقانون الكلي، والعقول البشرية تستطيع الوصول إلى معرفة صحيحة عن ظواهر الطبيعة، إذا شاركت في العقل الكلي^(٣)، ومن هنا يتضح أن مفهوم الوعي الكوني عند "هيراقليطس" يتضمن المشاركة الفاعلة من العقل البشري مع القانون الكلي، فالمشاركة شرط أساسي للوصول إلى المعرفة، وسمة بارزة يتصف بها الإنسان اليوناني.

ولقد تأثرت الرواقية بالنتائج الفلسفية الذي خلفه فلاسفة اليونان، وتأثروا كثيرًا بفلسفة "هيراقليطس" حول الـ"لوغوس - Logos"، فأخذوا منه وأضافوا إليه إضافات خاصة، وبذلك كوّنوا نسقًا فلسفيًا متكاملًا يدور حول "لوغوس - Logos"، فأخذوا عن مذهب "هيراقليطس" القول بحيوية النار،

(١) أناكسوغوراس: فيلسوف يوناني، ولد سنة (٥٠٠ ق.م)، ذهب إلى أن الأشياء متباينة بالذات وأنه لا يخرج الوجود من اللاوجود وأن أي شيء يتولد من أي شيء، وتوفي سنة (٤٢٨ ق.م). انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ليوسف كرم ص: (٥٣)، معجم الفلاسفة، لطرايشي (ص: ١٤٩).

(٢) محايد: بمعنى محفز ومحرض، تقول: تحاثت، وتحاثت، وتحاثت، وتحاثت، فهو متحاث، والمفعول متحاث عليه، تقول: تحاثت الأصدقاء على المذاكرة: تحاضوا عليها، حرّض بعضهم بعضًا عليها، و"تحاثتوا على تنفيذ مشروع خيريّ". انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: (١م/٤٤٢).

(٣) انظر: نظرية العقل، نقد العقل العربي: جورج طرايشي، دار الساقي، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٤٩، وانظر: العقلانية العلمية، دراسة نقدية، د. خالد قطب، المكتبة الأكاديمية، ط ١ = ٢٠٠٥، ص ٢٤، وانظر: حصاد الفكر الفلسفي اليوناني: كامل محمد بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١ = ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص (٢٤٤ - ٢٤٦).

وباللوجوس أو العقل منبثًا في العلم، وينظرون إليه نظرة تأليه وتقديس، ومن ثمَّ رتبوا عليه الغائية والضرورة المطلقة، وبالتالي فقد استطاعوا أن يوظفوا نظرية الـ"لوغوس - Logos" في إطار فلسفي قائم على وعي الذات، محاولين إيجاد المعنى الكلي للكون^(١).

كيف يحدث ذلك؟ قالوا بضرورة وجود عقل كلي يحكم العالم، ويهيمن على سلوك جميع الكائنات، واعتبروه جسمًا، فكان العقل هو القوة التي يرى بها الإنسان النتائج والأسباب، ويفهم سيرها، ويربط المستقبل بالحاضر، وفهم تلك الوحدة المعقدة التي يعبر عنها بالنظام "لوغوس - Logos" هو بمثابة إخضاع كل شيء في الوجود لسلطانه. ولذلك فإن موقف الرواقيين يعتبر موقفًا أحاديًا ماديًا، يعني بالدرجة الأولى إرجاع جميع الأشياء إلى جوهر واحد مادي، فالوجود أو الطبيعة ما هو إلا مادة، وكل مادة هي جسم، «فكل ما هو موجود فهو جسمي حتى العقل وفعله»^(٢).

لقد نظر الرواقيون إلى "العقل" على أنه المبدأ الفعال، وهو المبدأ الذي ينساب في الكون، ويدخل إلى داخل المادة فيمنحها الحيوية، كما تنساب النطفة في أجسام الكائنات الحية، فالمبدأ الفعال هو علة فاعلة؛ لأنه متحرك في مادة تقبل هذه الحركة، فجعلوا الجواهر متداخلة بعضها في بعض حيث أن الواحد منهما ممتد عبر الآخر دون أن يفقدا شيئًا من خواصهما^(٣)؛ ذلك لأن المدرسة الرواقية تؤمن بمبدأ أن "الكل داخل في الكل"، وأن كل عناصر الوجود تتضمن بعضها بعضًا، ولا تؤلف إلا جوهرًا واحدًا وهو اللوجوس الذي يعطي للمادة صورتها وبذلك يكون خلقه للكون.

وكان من آثار هذه الفكرة أن صبغ الرواقيون كل شيء بالصبغة الحيوية، فكل شيء حي، لا فرق بين الجماد والنبات والحيوان، وآمنوا بأن القدر هو المتحكم في جميع الأحداث^(٤)، ووصفوا العالم «بأنه مدينة الإله، مواطنيها البشر، والآلهة يسود جوانبها المختلفة، ترابط وثيق يؤلف بين كل موجوداتها، وهذا الرباط

(١) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، رسالة دكتوراه في جامعة وهران ٢ -

الجزائر، بإشراف أ. د. أنور حمادي، عام (٢٠١٤ - ٢٠١٥م)، ص ١١٦.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، مراجعة وتنقيح: أمون هلا رشيد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص ٢٥١.

(٣) انظر: الفلسفة الرواقية: أمين عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، ط ٣، ١٩٧١م، ص ١٥٢.

(٤) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، رسالة دكتوراه في جامعة وهران ٢ -

الجزائر، بإشراف أ. د. أنور حمادي، عام (٢٠١٤ - ٢٠١٥م)، ص ١٢٨.

يجعل البعض يتأثر بالبعض الآخر، وهو الذي يجسّد عمل العناية الإلهية في أجزاء الكون. تلك العناية التي وضعت قانوناً عاماً عالمياً يحكم جزئيات الوجود ويسيرها»^(١).

ومن خلال ما سبق فإن مفهوم الوعي الكوني عند الرواقيين مفهوم يتضمن حث الإنسان على فهم القانون الكلي المنبثق من الـ"لوغوس - Logos"، والمسيطر على الوجود كله، بما في ذلك الإنسان، فلا وجود لفارق بينه وبين بقية الموجودات الأخرى، فالعالم كله خاضع لقانون واحد، سواء في المجال الطبيعي، أو في السلوك البشري، غايته هي سعادة البشر، والارتباط الموجود بين الأشياء هو الذي يؤدي إلى الوحدة والنظام، وللوصول إلى التناغم التام في الكون نقلوا الشمولية الكونية إلى الإنسان الذي يتألف من جسم ونفس، ونظروا إلى دور النفس كدور الإله في الكون؛ لأنها متّصلة بالبدن، وهي مبدأ حياته وحركاته وأفكاره ورغباته، ولكن هذا لا يجعله أن يعمل وفق إرادته؛ فهو وإن كان حرّاً إلا أنه خاضع للقانون الكلي، لا يستطيع قهر الطبيعة، ولا يملك ولا يقدر حتى على عصيان القوانين، ولو أراد ذلك، ولكنه ككائن يتصف بالعقل؛ فهو الوحيد الذي يطيع القانون عن وعي وتعمد، وهو قادر أن يشارك بوعيه في عملية التوافق مع الطبيعة، فوظيفته أن يعمل باختيار الوعي ما تفعله سائر الكائنات في طاعة عمياء للقانون دون أن تدرك ذلك.

وبذلك جعل الرواقيون العمل بموجب القانون هو الذي يحرّر الإنسان من الانفعالات والعواطف والرغبات والأهواء، لأن النزوات معارضة للقانون الكلي العام، وواجب على الإنسان أن يخضعها لحكم العقل والانفعالات أو اللذائذ. وهذا ما يبرّر حث الرواقيين العيش وفقاً للعقل "لوغوس - Logos" أو وفقاً للطبيعة، لأن العقل الذي يمتاز به الإنسان هو مشابه للعقل الكلي بل هو جزء منه، فالعقل هو الذي يسيّر الفرد طبقاً لقوانينه الخاصة المستمدة من القانون الكلي، وهذا هو أساس السعادة الرواقية، حين يتحد العقل الجزئي الإنساني بالعقل الكلي الـ"لوغوس - Logos"^(٢).

(١) انظر: الحرية في الفلسفة اليونانية، أ.د. محمود السيد مراد، الناشر: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، جمهورية

مصر العربية، ط ١=٢٠٠٠، ص (١١٤ - ١١٥).

(٢) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، رسالة دكتوراه في جامعة وهران ٢ -

الجزائر، بإشراف أ. د. أنور حمادي، عام (٢٠١٤ - ٢٠١٥م)، ص (١٢٨-١٣٤).

❖ نظرية العقل الكلي الـ "نوس - Nous" :

تصور "أناكسوغوراس" العقل الكلي، وجاء بفكرة الـ "نوس - Nous"، فالعقل الكلي من حيث المبدأ مفارق للطبيعة، وغير مندمج فيها ولا محايث لها، وهو بذلك قد خالف "هراقليطس"، ثم إن العقل الكلي هو الذي بث النظام في جميع الأشياء، التي وجدت، والتي توجد الآن، والتي سوف توجد، وبالتالي فإن العقل الكلي هو علة الأشياء، والنوس هي القوة المحركة، والتي فهمت على أنها "العقل أو الروح"، وهذه القوة هي التي بثت النظام في جميع الأشياء، فالنوس مفارق للأشياء، لكنه منظم لها، يعمل على إشاعة النظام داخل الطبيعة، وبالتالي دفع عجلة التكون والتطور، أما الإنسان فهو في جوهره قبس من العقل الكلي الـ "نوس - Nous"، فهو يكتشف نفسه ككائن عاقل في الطبيعة، ومن خلالها، والفعل العقلي الجدير بهذا الاسم هو "إدراك النظام والترتيب بين الأشياء"^(١).

ولقد أثرت فكرة الـ "نوس - Nous" بشكل كبير على فلاسفة اليونان، وقد تنبه "سقراط" إلى أهمية العقل، فالإنسان عند "سقراط" مكون من عقل وروح، وهذا العقل يسيطر على الحس ويديره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة، فمن يحترم القوانين، يحترم العقل والنظام الإلهي^(٢).

وبذلك نجد أن مفهوم العقل الكوني عند سقراط مفهوم مرتبط بضرورة الوصول إلى المعرفة من خلال الوعي الفردي المتيقظ؛ لأن الجوهر الحقيقي الأعمق للإنسان هو روحه أو نفسه، ومن هنا نجح "سقراط" في إغناء العقل الإغريقي بوعي جديد بالأهمية المركزية للروح^(٣)، ولعل منطلقه في ذلك أنه يرى أن الأصل في النفس أنها صافية، وأنها بطبيعتها قادرة على العلم بالأشياء، وعلى استكشاف الحقائق، ولكن ظروف الحياة العملية وأعراضها، وما ورث الناس من عادات وأخلاق، ومن أساطير وسخافات، كل ذلك قد تراكم على هذه النفس الصافية كما يتراكم الصدأ على المرآة، جعلها غير

(١) انظر: نظرية العقل، نقد نقد العقل العربي: جورج طرابيشي، دار الساقى، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٤٩، وانظر: العقلانية العلمية، دراسة نقدية، د. خالد قطب، المكتبة الأكاديمية، ط ١ = ٢٠٠٥، ص ٢٤، وانظر: المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات: د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ = ٢٠٠٣م، ص (٢٢٦ - ٢٢٧).

(٢) انظر: نظرية العقل، نقد نقد العقل العربي: جورج طرابيشي، دار الساقى، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٥٠.

(٣) انظر: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، ط ١ = ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الناشر: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة - كلمة، بالتعاون مع دار العبيكان للنشر، ص ٦٠.

قادرة في بعض الأحيان على كشف الحقائق، ومتى ما تم إزالة هذا الصدأ عن المرأة، وتم صقلها وتصفية جوهرها تجلت فيها الحقائق واضحة بينة^(١).

وبالتالي فإن مستقر الأخلاق والفكر عند "سقراط" هي الروح، وهي الركيزة الأساسية للوعي، وأن طريق الإنسان الوحيدة إلى السعادة الحقيقية تمر عبر معرفة الذات، عبر نوع من الفهم العميق لنفسه، والسعادة لا يتم بلوغها إلا من خلال عيش نوع من الحياة يوفر أفضل خدمة لطبيعة الروح، والإنسان السعيد هو الذي يستطيع أن يتصرف بشكل سليم ويعرف كل ما يريد معرفته^(٢).

ويتفق أفلاطون مع سقراط بضرورة أن تكون الروح الإنسانية قادرة على عبور سلوك الطرق الفلسفية، على امتلاك معرفة خلودها السماوي الخاص^(٣).

وفكرة الوعي الكوني عند "أفلاطون" هي فكرة أساسية؛ لأن مبدأه قائم على أن العقل هو المكون الأساسي للواقع النهائي، وهو سابق لكل الكائنات، والعقل الإنساني هو محط المعرفة الإنسانية، والعقل عندما يستقبل الخبرات الحسية يحولها إلى أفكار أو صور، وذلك عن طريق الحدس، فالعقل هو الذي يحتوي الاحتمالات بشكل غير مادي، وهو الذي يتعقل الوجود^(٤).

ومن هنا يتضح أن "أفلاطون" يتفق مع "سقراط" في مفهوم الوعي الكوني؛ وهو المفهوم الذي ينظر للعقل إلى أنه أساس المعرفة، والقوة المحركة للكون، والركيزة الأساسية للوعي الموصل إلى السعادة، ويختزها "سقراط" في المعرفة، ويصفها بالفضيلة، بينما نجد "أفلاطون" قد قسم المعرفة إلى ثلاث درجات: العلم بالمحسوسات وهي أحقر أنواع المعارف، ثم العلم بالأجناس والأنواع، وهذه أرقى من سابقتها، ثم المعرفة الحقة وأعلى درجاتها، وهي العلم بالحقائق الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل، فهي حقائق خالدة، ولا يمكن الوصول إليها إلا بعد مشقة وجهد عنيف، والسبب وراء ذلك أنه اعتبر الأشياء المادية ظلالاً للمثل الحقيقية، وأن المعرفة هي عملية تذكر واعية، فالإنسان بجسده المادي قد نسي المعارف السابقة، والتي هي مغروزة في نفسه وذاته، وكل المعارف التي يتحصل عليها هي معارف منعكسة من عالم المثل، والواصل إلى تلك المعرفة قد وصل إلى الخير كله، واستطاع أن

(١) انظر: قادة الفكر: طه حسين، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٣٢.

(٢) انظر: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، ص ٦٠.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٧٢.

(٤) انظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، ص ٤٢٩، وانظر أيضاً: العقلانية العلمية، دراسة

نقدية، د. خالد قطب، ص ٢٦.

يمنتزج بمصدر الكون أو بالإله، ذلك الإله الذي هو مصدر كل شيء، ومرجع كل شيء، وهو في نظره "الخير" التي وجدت بنفسها قبل أن يوجد الزمان، وهي موجودة مع الزمان، وستوجد بعده، لا علاقة لها به، ولا تأثير له فيها، وعنها صدرت كل الحقائق^(١).

ولم يختلف الحال كثيراً مع "أرسطو طاليس"، ففكره هو امتداد لفكر "سقراط" الذي تأثر كثيراً بنظرية "أناكسوغوراس" حول العقل الكلي الـ "نوس - Nous"، وعدَّ أرسطو العقل الجزء الإلهي في الإنسان، به يتأمل الإنسان "إلهه"، وبه يفكر في كل شيء لأنه عملية الفكر في النفس، وبه يتصور المعاني وعليه أن يصدر الحكم، فهو بمثابة آلة الفكر أو الأداة التي تفكر بها النفس، ويتفق "أرسطو" مع "أناكسوغوراس" بمفارقة "العقل" للطبيعة، مؤمناً بمبدأ استقلالية العقل، فالإنسان حين يتأمل في "إلهه" بواسطة العقل؛ فإنه يكون بذلك غير متحدٍ به ولا ممتزجٍ به، كما أنه ليس مختلطاً بالجسم^(٢).

ذلك لأن "أرسطو" يقسم العقل إلى مستويين وهما:

أولاً: **العقل بالقوة**، ويسميه العقل المنفعل، وهو العقل الأدنى، لأنه عقل مستفاد، ووظيفته أنه يقوم بتجريد الصورة الخيالية لتصبح موضوعاً للتفكير، وقد حكم عليه بأنه عقل فاسد؛ لأنه يتذكر، ولأنه متصل بالكائن المركب من نفس وجسم، ويتأثر تبعاً لذلك بظروف الحياة، وإذا فسد الجسم؛ فسدت معه قوة الخيال، وفسد بذلك العقل المنفعل.

ثانياً: **العقل بالفعل**، وهو العقل الفعال، وهو العقل الراقى، وأن الإنسان بدون هذا العقل لا يعقل، وهو حين يفارق الجسم يصبح مختلفاً عما كان بالجوهر، وهو عندئذ يكون متصفاً بالخلود والأزلية، وأنه لا يتذكر بعد المفارقة؛ لأنه لا يحتفظ بأي ذكرى للحياة قبل الموت^(٣).
لقد وضع العقل في خانتين تفصل بينهما فكرة المفارقة أو الامتزاج، فالأول هو العقل المنفعل، وهو غير مفارق ومرتبب بالبدن.

أما الثاني فهو العقل الفعال الذي يخرج الماهية من القوة إلى الفعل بعد تعقله لهذه الماهية، فالعقل الفعال الذي يفضله يشبه العلة الفاعلة، لأنه يحدثها جميعاً كأنه حال شبيه بالضوء، لأن الضوء أيضاً

(١) انظر: قادة الفكر: طه حسين، ص (٤٧ - ٤٨).

(٢) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي: د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج ٢، ص ١٥٥.

(٣) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي: د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج ٢، ص (١٥٦ - ١٥٨).

يوجه ما يحيل الألوان بالقوة إلى ألوان بالفعل...، وهو جوهر الفعل لأن الفاعل دائما أسمى من المنفعل^(١).

ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم الوعي الكوني عند "أرسطو" يتضمن إدراك الأسباب من خلال فهم قوانين الطبيعة، وهذه الخطوة تحدث من خلال إعطاء العقل وظيفة جوهرية، تتضمن معنى القوة، وهذه القوة هي المنظمة للطبيعة، وحتى تتم السيطرة على الكون أو الطبيعة؛ فلا بد للعقل أن يسير أغوارها^(٢)، والطبيعة أصبحت في نظر "أرسطو" قابلة لأن يتعقلها العقل على الرغم مما يكتنفها من فوضى، ويرافق حوادثها من غموض، ذلك لأن العقل - بمعنى النظام - هو أساسها، ولأن من ينظر إليها بعين العقل لا يرى فيها إلا العقل، ومن هنا كان العقل في التصور اليوناني الأرسطي هو "إدراك الأسباب"^(٣).

كيف يحدث ذلك؟ باعتبار أن العقل الإنساني يحتوي على مبادئ عقلية تمكنه من معرفة قوانين الطبيعة كالغائية والسببية والصورة والمادة، بما يستطيع الإنسان التحكم في مسار الموجودات، ومنه أصبح العقل ملكة التفكير، والفهم الميزة الأساسية للإنسان عند "أرسطو"، وعلى الإنسان الذي امتلك تلك الملكة أن يندهش لفك أسرار الكون حتى يدرك النظام والتناسق والترتيب الموجود بين الأشياء^(٤).

وإذا ما نظرنا إلى "أفلوطين" نجد أنه لم يخرج عن ما جاء به سلفه "أفلاطون"، وفلسفته في حقيقتها عرض لفكر "أفلاطون"^(٥)؛ إلا أن ما تميز به هو أنه جعل الغاية من فلسفته الإرشاد إلى الطريق الذي به يصل الإنسان إلى إفاء الذات في الوحدة الإلهية، وإلى إيجاد التجربة الروحية، تلك التجربة التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن يتحد بالواحد، والمزاج المكون لهذه التجربة تكمن في حالة الوجد، وفهم هذه الحالة هي التي تقودنا إلى فهم مفهوم الوعي الكوني عند "أفلوطين".

(١) انظر: الفلسفة اليونانية - تاريخها ومشكلاتها: د. أميرة حلمي مطر، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨م، ص (٣١٥-٣١٦).

(٢) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، ص ١١٥.

(٣) انظر: تكوين العقل العربي: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٢٠.

(٤) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، ص ١١٦.

(٥) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، عبد الرشيد صادق وجمال العشري وفؤاد كامل، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦، ص ٦٧.

وقبل أن أدخل في دراسة حالة الوجد عند "أفلوطين"، أجد أنه من المناسب أنه أنقل التصور الفلسفي للوجود عند "أفلوطين".

ينظر "أفلوطين" إلى الوجود على أنه ليس إلا نتاج فيض إلهي من الواحد الأعلى، الذي هو لانتهائي في كينونته وفوق كل وصف أو مقولة. فالواحد، ويدعي الخير أيضاً، يعكف عبر فيض من الكمال الخالص على إنتاج "الآخر"، وهو الكون المخلوق بكل تنوعه، في سلسلة هرمية، وهذا الوجود الذي ظهر نتيجة الفيض التدريجي للحياة الإلهية المنبثقة عن الأصل الواحد، يسميه البعض "فعل الإبداع الأول"، وهو الفعل المؤدي إلى إطلاق عملية الفيض للعقل، وهذا العقل الفائض عن فعل الإبداع الأول يسميه الـ "نوس"، وهي الحكمة الطاغية للكون، والمنطوي على جملة الأشكال أو الأفكار "المثل"، والتي تسبب العالم وتنظمه.

ثم تأتي عملية فيض النفس، فالنفس تفيض عن العقل أو وفق ما يسميه النوس، ومن النوس تخرج روح العالم التي تحتضن العالم وتنفخ فيه الحياة، فتشكل منبع سائر أرواح الكائنات الحية، وتؤسس للواقع الانتقالي المتوسط بين الذكاء الروحي وعالم المادة، وهي آخر مراتب الوجود نزولاً من الواحد، وبهذا يكون لدى أفلوطين "ثلاث درجات للوجود، وهي العقل والنفس والجسم، وفوقها الواحد"^(١).

ويبقى الإنسان الذي هو من طبيعة روح في جسد منطويًا على قدرة بلوغ أعلى المراتب الفكرية والروحية، ولكن بلوغ هذه المراتب متوقف على اعتناقه من أسر المادة، ومتى ما تحرر من أسر المادة أصبح بوسعه أن يرقى إلى وعي روح العالم، محولاً ما هو بالقوة إلى كائن بالفعل، ويرتفع من المراتب الدنيا إلى الذكاء الروحي، وتتمثل مهمة الفيلسوف بقهر عبودية الإنسان للعالم المادي عن طريق الانضباط الذاتي والتطهر على الصعيدين الأخلاقي والفكري، والالتفات إلى الداخل نحو نوع من العودة الصاعدة إلى المطلق، حينها تتجلى المعارف، وتظهر لحظة التنوير الأخيرة، وهي لحظة يصعب توصيفها، ويتعذر تحديدها؛ لأنها مستندة إلى نوع من التغلب على ثنائية "الذات" و"الموضوع"، لتصل إلى عملية تتويج لرغبة تأملية، توحد الفيلسوف مع الواحد^(٢)، وإذا فهمنا هذه النقطة أدركنا حينها معنى الوجد الذي تنشده الأفلاطونية المحدثة.

(١) انظر: خريف الفكر اليوناني: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط ١٩٧٠، ٤م، ص ١٢١ وما بعدها.

وانظر أيضاً: آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، ص ١٢١.

(٢) نفس المصدر السابق: (١٢١ - ١٢٢).

إن مفهوم الوعي الكوني عند "أفلوطين" مفهوم يتجاوز "الذات" و"الموضوع"، ليصل إلى نوع خاص من الوعي؛ إنه الوعي الكامن داخل النفس، والاتفات إليه يؤدي إلى تأسيس نوع جديد من الوعي، يضمن من -وجهة نظر الأفلاطونية المحدثة- تحصيل المعرفة الباطنية، وهذا لا يمكن تصوره إلا من خلال خوض التجربة الصوفية، وأن الوصول إلى المعرفة الباطنية تبدأ من الذات، وتنتهي إلى الله، وهذا ما تميزت به الفلسفة الأفلاطونية؛ فالفصل التام بين "الله" باعتباره الموجود الأسمى أو الخير الأسمى أو الواحد، وبين بقية الأشياء، هو ما عنيت به، ومن ثم الاعتناء بإيجاد الوسائط وتنظيمها في صورة محكمة الأجزاء، تقوم على تصاعد عقلي مرتب، مفاده أن على الإنسان أن يعيش في معزل عن الأنوار الخارجية، منطويًا على نفسه؛ فالمعرفة الصادرة عن الأنوار الخارجية ليست حقيقية، المعرفة الحقيقية هي تلك المعرفة الصادرة من النور الباطني، وهو النور الكامن والموجود في النفس، والوصول إلى ذلك النور تمثل اليقظة الموصلة إلى الاتحاد بالإله^(١).

ثالثًا: الوعي الكوني عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام:

لقد أثرت الأفكار اليونانية على بعض مفكري وعلماء الإسلام، وظهر ما يعرف بالفلاسفة المسلمين، ولئن كان هؤلاء الفلاسفة قد انتهجوا المنهج الفلسفي، وسلخوا مسلك اليونان في تقرير القضايا العقديّة؛ إلا أنهم قد تركوا من خلفهم نتاجًا فلسفيًا كان له الأثر البالغ في إحياء الفلسفة اليونانية القديمة.

وكثيرة هي القضايا العقديّة التي ناقشها "الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام"، ومن بين تلك القضايا: قضية العقل، ودوره في إحداث حالة الوعي المكتسبي بثوب الفلسفة لدى الفرد المسلم، والمحصلة من وراء ذلك هو تحقيق السعادة.

وحيث استعرض النتاج الفلسفي في قضية العقل، أجد أنه من المناسب أن أناقش مفهوم الوعي الكوني من خلال الوسيلة المؤدية إلى إحداث حالة الوعي؛ وإلا فمن حيث الأصل والمبدأ فإن "فلاسفة المسلمين" قد وافقوا فلاسفة اليونان في معالجتهم للقضية، ولا سيما "أرسطو" في مسألة المحرك الأول، و"أفلاطون" في مسألة المثل، و"أفلوطين" في مسألة الفيض والإشراق، ولذلك أجد أنه من المناسب أن أقسم مناقشة "الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام" لقضية العقل إلى اتجاهين اثنين:

(١) انظر: خريف الفكر اليوناني: د. عبد الرحمن بدوي، ص ١١٤.

أولاهما: الاتجاه الإشراقي الصوفي، والمتمثل في تحصيل المعرفة عن طريق الفيض والكشف، ويمثله الفارابي وابن سينا.

وثانيهما: الاتجاه المادي العقلي، والمتمثل في تحصيل المعرفة عن طريق التفكير النظري، ويمثله ابن رشد الحفيد.

✽ الاتجاه الإشراقي الصوفي:

يعتبر الفارابي وابن سينا من فلاسفة المسلمين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية في قضية العقل، وتوصلوا إلى أن تحصيل المعرفة قائم على التصوف، وإصلاح الجزء العملي من النفس بالأخلاق الفاضلة، والرياضات الصوفية، حتى يصير المرء كلما زاد نصيبه من الارتياض، زاد نصيبه من الإشراق الإلهي^(١)، ويجسّن بي في هذا المقام أن أنقل ملخص قول الفارابي وسلفه ابن سينا في تصورها للعقل^(٢).

ملخص قول الفارابي:

يرى أن الله -تعالى عن قوله-: عقل وعاقل ومعقول، وهو عنده واحد من كل وجه، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد.

فبناء على هذا فعنده أن الأول، وهو الله تعالى صدر عنه وفاض عنه العقل الثاني، أو المسمى الموجود الثاني.

وبسبب أن العقل الثاني يعقل الأول، ويعقل ذاته، أو بمعنى آخر فكر في الأول وهو الله تعالى وفكر في نفسه صدر عنه بسبب ذلك شيان:

أحدهما: العقل الثالث.

وثانيهما: الفلك الأقصى بمادته وصورته ونفسه.

ثم إن العقل الثالث بسبب عقله للأول صدر عنه عقل رابع، وبسبب عقله لذاته صدر عنه الكواكب الثابتة بمادتها وصورتها ونفسها.

(١) انظر: ابن رشد الفيلسوف، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٤٢.

(٢) انظر: قول فلاسفة المسلمين المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية: أ.د. سعود الخلف، ص (١٥ - ١٦).

وهذا الرابع صدر عنه بسبب عقله للأول، صدر عنه عقل خامس، وبسبب عقله لذاته صدر عنه زحل. وهكذا تصدر العقول والكواكب إلى آخرها العقل الحادي عشر، ويسمى العقل الفعال، وآخر الكواكب والأجرام السماوية القمر.

ثم عنده تتكون الموجودات الأخرى من مواد مشتركة للأجرام السماوية، وبسبب دوراتها واختلاطها تكونت العناصر الأربعة، وهي: الماء والهواء والتراب والنار، ثم من العناصر الأربعة تكون سائر الموجودات من حيوان ونبات ومعدن وغير ذلك.

وعنده أن العقل الفعال، وهو آخر العقول هو الذي يتولى تدبر الأمور المتعلقة بتكون المخلوقات التي تحت فلك القمر^(١).

ملخص قول ابن سينا:

قال ابن سينا بما قال به الفارابي على تفاوت في التعبير والترتيب حيث يقول: إن الواحد الأول: وهو عنده الله تبارك وتعالى لم يصدر عنه إلا واحد فاض عنه فيضاً مبايناً لذاته وهو: العقل الأول.

والعقل الأول الذي فاض عن "الله" - عز وجل - ليس مادة ولا صورة؛ بل هو عقل محض، وهذا العقل:

- يعقل الأول، وهو الله.
 - ويعقل ذاته، وهو العقل الأول.
 - ويعقل إمكان وجوده المندرج تحت تعقله لذاته.
- وبما أن العقل الأول يعقل هذه التعقلات الثلاث، يصدر عنه بسبب ذلك التعقل ثلاثة أشياء:
- فعقله الأول يصدر عنه عقل تحته.
 - وعقله لذاته: يصدر عنه صورة الفلك وهي النفس.
 - وعقله لإمكان وجوده المندرج تحت تعقله لذاته: يصدر عنه جرم الفلك الأقصى.

(١) انظر: نظرية العقل عند الفارابي: أ.د. سليمان الضاهر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العدد (٢+١)، ٢٠١٤م، ص (٤٥٣ وما بعدها)، وانظر: المسائل العقديّة عند الفلاسفة، دراسة تحليلية في ضوء الإسلام: أ.د. أحمد السيد علي رمضان، ص (٢٣٠ - ٢٣٤).

ثم يصدر عن كل واحدة من هذه: **عقل ونفس وفلك** بجرمه وصورته إلى تمام العشرة عقول وأنفس وأفلاك، يصدر كل واحد منها عن قلبه.
 فالعقل الثاني ومعه الفلك الأقصى ونفسه.
 ثم يصدر عنه العقل الثالث ومعه فلك الكواكب الثوابت ونفسها.
 ثم العقل الرابع ومعه فلك زحل ونفسه.
 ثم العقل الخامس ومعه فلك المشتري ونفسه.
 ثم العقل السادس ومعه فلك المريخ ونفسه.
 ثم العقل السابع ومعه فلك الشمس ونفسها.
 ثم العقل الثامن ومعه فلك الزهرة ونفسها.
 ثم العقل التاسع ومعه فلك عطارد ونفسه.
 ثم العاشر وهو **العقل الفعال**، ومعه فلك القمر ونفسه، وهو آخر الفيوض عنده وهو الذي يدبر أنفسنا.

ومن **العقل الفعال**: تفيض العناصر الأربعة، ومنها تتكون الأجسام وتتطور تلك الأجسام صعودًا من الجماد إلى النبات، فالحيوان البهيم، فالإنسان.
 وعنده أن علم الله بخلقه هو علمه بما صدر عنه وما عليه الوجود، وعنايته بالخلق هي ما جعل فيه من نظام الخير على الوجه الأبلغ وليس معنى العناية عنده إكرام شخص دون شخص ولا تبديل في القوانين الطبيعية حبًا بالبعض أو نصرة لبعض على بعض.
 هذا ملخص قول الفارابي وابن سينا في فلسفتهما حول العقل، وقد جعل الفارابي العقل على مستويين متباينين، في محاولة منه للتوفيق مع مبدأ "أرسطو" حول الوجود، ومبدأ "أفلوطين" المتمثلة في الفيض والصدور؛ إذ جعل الوجود منه ما هو مادي، ومنه ما هو روعي، ثم استند على نظرية الفيض في تقرير صدور العقول عن العقل الأول:

- المستوى الأول: وهو العقول المفارقة، وتقع في ثلاث مراتب على التوالي

من الأعلى إلى الأدنى، وهي:

- (١) المرتبة الأولى يحتلها الله أو العقل الأول.
- (٢) المرتبة الثانية تشغلها العقول الثواني التسعة.

(٣) المرتبة الثالثة هي "العقل الفعال"، ومرتبته من العقول المفارقة هي المرتبة العاشرة.

● المستوى الثاني: هو العقل النظري، ويميز فيه الفارابي بين ثلاثة أنواع من العقل الموجود في النفس الإنسانية، وتتوالى في ثلاث مراتب من الأدنى إلى الأعلى، هي:

(١) العقل بالقوة؛ وهي أولى المراتب، وفيه يتم إدراك صور الأجسام بواسطة الحواس.

(٢) العقل بالفعل، وفي هذه المرتبة تحصل المعقولات، وتعكس صور الأجسام على العقل الهولاني أو "العقل بالقوة"، متى شاء طالعها وعقلها.

(٣) العقل المستفاد. وهي درجة تعقل العقل لصور الموجودات المجردة^(١).

والفرق بين "العقل بالفعل" وبين "العقل المستفاد" أن العقل بالفعل يعلم المعقولات التي أحدثها التجريد مباشرة انطلاقاً من الإدراكات الحسية، وإن العقل المستفاد يستخرج من هذه المعقولات معقولات أعم وأرقى^(٢).

فهذه العقول الثلاثة عند الفارابي تمثل القوة الناطقة للنفس الإنسانية، وهي غير كافية لتحصيل المعرفة الحقيقية، ولذلك افترض بوجود عقل آخر أعلى يخرج العقل الإنساني من القوة إلى الفعل، هو "العقل الفعال"؛ وهو عقل كوني خارج النفس الإنسانية، وهو العقل العاشر في سلسلة الفيوضات المفارقة عن العقل الأول أو المحرك الأول، ووظيفته تدبير فلك القمر وعالم ما تحت فلك القمر.

فالعقول الثلاثة السابقة يمكن تسميتها بالعقول المنفعلة؛ لأنها تنفعل لأجل العقل الفعال. فهو الذي جعل العقل الذي بالقوة عقلاً بالفعل، ويصفه الفارابي بأنه "ذات ما، جوهره عقل ما بالفعل، ومفارق للمادة". وهو بذلك يجعل العقل الفعال جوهرًا روحانيًا

(١) انظر: نظرية العقل عند الفارابي: أ.د. سليمان الضاهر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العدد (٢+١)، ٢٠١٤م، ص (٤٥٣ وما بعدها)، وانظر: المسائل العقديّة عند الفلاسفة، دراسة تحليلية في ضوء الإسلام: أ.د. أحمد السيد علي رمضان، ص (٢٣٥ - ٢٣٧).

(٢) انظر: مصادر الفلسفة العربية: بيار دوهم، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ١٤٥.

مفارقاً للقوة الناطقة، ومهمته البلوغ بالإنسان مرتبة السعادة حتى يوصله إلى أعلى درجات الكمال بطريقة حدسية صوفية، دون أن يؤدي هذا المنزع الصوفي إلى حتمية "الاتحاد" بين العقل البشري والعقل الفعال^(١).

وإذا كان العقل الفعال مهمته هو البلوغ بالإنسان إلى مرتبة السعادة، وهذه المهمة لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال اتصال القوى النفسية الناطقة بالعقل الفعال، فإن "الفارابي" يميز بين وسيلتين في عملية اتصال العقل الإنساني بالعقل الفعال وهما:

أولاً: طريق "العقل" أو النظر العقلي والتأمل الفلسفي، وهو منهج الفيلسوف.

وهو طريق لا يمكن الوصول إليه دفعة واحدة، وإنما يحصل بالتدرج والترقي عبر التروي والتأمل النظري من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل. وقد حدد الفارابي هذا الطريق ضمن حدود ما يفاض على العقل الإنساني من العقل الفعال، فيصبح الإنسان حكيماً فيلسوفاً ومتعلقاً للأشياء.

ثانياً: طريق المخيلة أو "الإلهام"، وهو منهج النبي^(٢).

ووفقاً للفارابي: "فهو بما يفيض العقل الفعال إلى قوة المتخيلة فيكون نبياً منذراً"، ويوضح "الفارابي" مرتبة القوة المتخيلة من المعقولات، فيجعلها في مرتبة متوسطة بين القوة الحاسة والقوة الناطقة، ثم يؤكد أنه متى ما تحررت القوة المتخيلة من سلطان الحواس في حالة اليقظة، فإنها تنشط نفسياً في أثناء النوم، فتقوم بعملية خلق لصور جديدة، أو تقوم باسترجاع صور ذهنية قديمة على أشكال مختلفة، إذ تحاكي الجزئيات المحسوسة أو المدركات العقلية. فالمخيلة بهذا المعنى قوة قادرة على الخلق والإيجاد والتصور، وهي أيضاً قدرة عظيمة في المحاكاة والتقليد، وفيها استعداد كبير للانفعال والتأثير، وبالتالي فإن قوة المخيلة تسهم بدور مهم في النبوة من حيث اتصالها بالعقل الفعال، فكلما قويت المخيلة وتحررت من سلطان الحواس والنفس الناطقة ازدادت الرؤية، واتصلت بالعقل الفعال، وتلقت منه معقولات لا مثيل لها في عالم الحس، كان ذلك طريقاً لمحاكاة المعقولات، ويحصل هذا الاتصال بلا روية ولا نظر، بل بكشف وإشراق^(٣).

(١) انظر: نظرية العقل عند الفارابي: أ.د. سليمان الضاهر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العدد (٢+١)، ٢٠١٤م، ص(٤٥٣ وما بعدها).

(٢) انظر: نظرية العقل عند الفارابي: أ.د. سليمان الضاهر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العدد (٢+١)، ٢٠١٤م، ص(٤٥٣ وما بعدها).

(٣) نفس المصدر السابق: ص(٤٥٣ وما بعدها).

وعطفاً على ما سبق؛ فإن مفهوم الوعي الكوني عند الفارابي مفهوم ضيق، يحمل دلالات صوفية؛ كيف لا وهو قد تبنى منهج الإشراق، وتصوفه لا يميل إلى تبنى فلسفة الاتحاد مع الإله، بل هو تصوف عقلي لا يتضمن حتمية الاتحاد بين العقل البشري والعقل الفعال. وبالتالي فإن مفهوم الوعي الكوني عند الفارابي يضيف للعقل الفعال دوراً بارزاً في تمكين العقل الإنساني من الانتقال من القوة إلى الفعل، والمعرفة الإنسانية تصبح مرتبطة حينئذ بعامل كوني خارج عن النفس، وأن أول طرق المعرفة هي استعداد النفس لكي يشرق العقل الفعال عليها بالمعرفة. وهي مرحلة خاصة بالنفوس الخالدة التي وصلت إلى مرتبة الكمال في المعرفة، وسواء كانت تلك النفوس قد وصلت إلى المعرفة عن طريق الاتصال بالعقل الفعال عبر الطريق التأملي الفلسفي أو عبر طريق القوة المخيلة، فإن وصول تلك النفوس إلى المعرفة هي أبلغ درجات الكمال، وهو "الخير الأقصى" الذي هو غاية ما يمكن أن يصل إليه الإنسان لبلوغ السعادة، وتحقيق الخلود؛ لأن من وجهة نظر "الفارابي" فإن خلود النفس في الخير مرتبط بأولئك السالكين على طريق الفلسفة، والممارسين للعلم النظري، والعلم العملي.

أما "ابن سينا" فقد وافق أستاذه "الفارابي" في مسألة التوفيق بين مبدأ "أرسطو" في المحرك الأول، وبين مبدأ "أفلوطين" في مسألة الفيض وصدور العالم، ولم يأت بجديد في مسألة "المحرك الأول"؛ غير أنه تميز في تقسيم الوجود إلى واجب بذاته، وممكن بذاته ولكنه واجب لغيره، ويرى "ابن سينا" أن واجب الوجود شيء أولي يرتسم في النفس ارتساماً أولياً، لا ماهية له، ثم إنه يفيض على ذوات الماهيات "الوجود" فتصدر عنه، وهذا هو الممكن بذاته؛ لأنه يرى أن واجب الوجود هو سبب الإمكان وعلته^(١)، "واجب الوجود يجب أن يعقل ذاته بذاته، ويعقل ما بعده من حيث هو علة لما بعده، ومنه وجوده، ويعقل سائر الأشياء من حيث وجوبها في سلسلة الترتيب النازل من عنده طولاً وعرضاً"^(٢).

وفي هذا السياق فإن الفارابي وابن سينا قد أخطأ حين سلكا منهج فلاسفة اليونان في تفسير الوجود، وهو التفسير الذي يُحمل على الاتجاه المثالي، حيث أنكرا أن يكون لله وجوداً متعين، وأنكرا

(١) انظر: المسائل العقديّة عند الفلاسفة: أ.د. أحمد السيد علي رمضان، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ص (٢٩ - ٣٠).

(٢) انظر: الاشارات والتنبيهات: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، الناشر: بستان كتاب قم، ط ١ = ١٤٢٣هـ، ص ٣٢٨.

أن يكون إيجاد الله للكائنات عن إرادة واختيار، بل هو عندهم يحدث بطريق الفيض الضروري، فلا يكون الله على هذا خالقاً للكائنات، وإنما تكون صادرة عنه بطريق العلية الضرورية، لأن الخالق لا بد أن يكون فاعلاً بإرادة، وأما الفيض الذي قالوا به فلا يكون عن إرادة، وإنما من جنس علاقة العلل بمعلولاتها^(١)، وعليه فإن الفارابي وابن سينا قد وافقا "الأفلاطونية" في عملية صدور العقول عن العقل الأول وترتيبها، ولكنه تميز عن الأفلاطونية بأن جعل للكائنات العلوية إدراك وخيال، وهو بذلك ينفي صفة الخلود والأزلية عنها، وقد خالفهم في ذلك، فالأفلاطونية يتبنون مبدأ خلود الأفلاك، وافتقارهم إلى الإدراك والخيال يؤدي إلى العطب والفساد^(٢).

وعلى أية حال فإن نظرية العقول عند ابن سينا تبدأ من المحرك الأول، على نفس المنهج الذي اعتمده الأفلاطونية المحدثه، لإيجاد تفسير وجود الكثرة من الواحد الذي لا يتعدد: وهو "الله"، ويسمونه "المحرك الأول" الذي صدر عنه محرك الفلك الأعظم، وبالتالي يكون هذا المحرك هو "العقل الأول".

والعقل الأول صدر عنه الفلك الأعظم والعقل الثاني. وهكذا إلى العقل التاسع، ثم العقل الفعال وهو العقل العاشر الذي يسيطر على العالم الأرضي وما تحت فلك القمر، وعنه تصدر النفوس والأجسام في عالم الإنسان.

وكل عقل تصدر عنه نفس تناسبه في الشرف والتنزه عن المحسوسات، فالواجب الأول يوحى إلى العقول، والعقول توحى إلى النفوس، والنفوس تؤثر في الأجرام العلوية، وهذه تؤثر في الأرض أو فيما تحت فلك القمر.

وهكذا تكون حركة الفلك حركة عقل يشترك إلى مصدره الأول، بل تكون كل حركة شوقاً إلى مصدرها، وصعوداً إلى المصدر الأول وهو الله جل وعلا وتنزه عن الشركاء والأنداد^(٣).

إن اشتياق الحركة إلى مصدرها الأول يوضحها ابن سينا من خلال الإدراك العقلي، وهو إدراك يتم عبر قوى النفس الناطقة، وقد قسم "ابن سينا" قوى النفس الناطقة إلى قسمين:

(١) انظر: المعرفة في الإسلام، مصادرها ومجالاتها: أ. د. عبد الله بن محمد القرني، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والنشر،

جدة، السعودية، ط ٢=٤٢٩هـ-١٤٢٠م، ص ٢١.

(٢) انظر: ابن سينا: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص ٤٨.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٤٨.

■ **العقل العملي**، وهو مبدأ حركة الإنسان بعد الرؤية، وهو الذي يتسلط على البدن ويدبره، فتنشأ من ذلك هيئات فضائل أو رذائل.

■ **العقل النظري**: وهي قوة غير مادية، ينتزع المعقولات الكلية من المعاني الجزئية، وذلك بتجربتها من المادة ولواحقها تجريباً تاماً، ويكون ذلك عن طريق الخيال أو الوهم، أو من خلال العقل الذي يربط بين الصور العقلية سلباً وإيجاباً عن طريق الأحكام^(١).
ثم إنه يقسم العقل النظري إلى أربع مستويات:

(١) **العقل الهولاني**: وهو العقل بالقوة، موجود لدى كل شخص.

(٢) **العقل بالملكة**: وهو الذي تحصل فيه المعقولات الأولى التي هي مبادئ التصوير التي يقع بها التصديق لا بالاكْتساب.

(٣) **العقل بالفعل**: وهو الذي تحصل فيه المعقولات الثواني التي تستند في حصولها على المعقولات الأولى.

(٤) **العقل المستفاد**، وهو كمال العقل بالفعل، وتكون فيه المعقولات حاضرة بالفعل، يطالعها بالفعل، ويعقل أنه عقلها.

ثم يأتي "العقل الفعال"، وهو ليس عقلاً إنسانياً؛ بل هو عقل كوني، وهو العقل العاشر في سلسلة العقول الصادرة عن الأول، ولكنه يقوم بدور هام في المعرفة الإنسانية؛ إذ أنه هو الذي يخرج المعقولات من القوة إلى الفعل^(٢).

فالعقل قبل إدراكه للمعقولات يكون "عقلاً بالقوة"، ويخرج إلى الفعل بتأثير عقل آخر بالفعل، تكون عنده مبادئ الصور العقلية مجردة عن المادة، وتكون نسبة هذا العقل بالنسبة إلى النفس كنسبة الشمس إلى البصر، "فالقوة العقلية إذا اطلعت على الجزئيات التي في الخيال، وأشرق عليها

(١) انظر: الاشارات والتنبهات: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، الناشر: بستان كتاب قم، ط ١، ١٤٢٣هـ، ص(٢٤١- ٢٤٢)، وانظر أيضاً: ابن سينا: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص٤٨.

(٢) انظر: : الاشارات والتنبهات: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، ص(٢٤٢- ٢٤٦)، وانظر أيضاً: تاريخ الفكر الفلسفي: أ.د. محمد علي أبو ريان، ص(٣٩٧- ٣٩٨)، وانظر: العقل عند الفلاسفة المسلمين: د. تيسير أحمد عبل الركابي، بحث منشور في العدد الثاني عشر من "دراسات تاريخية" حزيران ٢٠١٢م، جامعة البصرة، كلية القانون والسياسة، ص١٢.

نور العقل الفعال، استحالت مجردة عن المادة وعلائقها، وانطبعت في النفس الناطقة... وهذا يعني أن مطالعتها تعد النفس لأن يفيض عليها مجرد من العقل الفعال"^(١).

ويرى ابن سينا أن عملية الإشراق التي تحصل من العقل الفعال إلى العقل المستفاد هي منتهى السعادة، ويصفها باللذة الباطنية العقلية، ويقول إنها أعظم من اللذة الحسية، "فقد بان بأن اللذات الباطنة مستعلية على اللذات الحسية"^(٢)، ولأن اللذة العقلية تقود الإنسان إلى إدراك الخير الذي يشتمل عليه المعقول"^(٣)، يقول: "فكمال الجوهر العاقل أن تتمثل فيه جلية الحق بقدر ما يمكنه أن ينال منه ببهائه الذي يخصه، ثم يتمثل فيه الوجود كله، على ما هو عليه مجرداً عن الشوائب، مبتدئاً فيه بعد الحق الأول بالجواهر العقلية العالية، ثم الروحانية السماوية والأجرام السماوية، ثم بعد ذلك تماثلاً لا يمايز الذات، فهذا هو الكمال الذي يصير به الجوهر العقلي بالفعل"^(٤).

ثم أنه يقرر أن النفس لا يتحقق كمالها إلا إذا فارقت البدن، وهذا ما يناله العارفون المتأملون لسنى قدسي الجبروت، وللعارفين مقامات ودرجات يختصون بها، يحصرها في أربعة أنواع وهي:

(١) **التمكن من الامتناع عن الغذاء مدة طويلة**، "إذا بلغك أن عارفاً أمسك عن القوت المرزوء مدة غير معتادة، فأسجح بالتصديق، واعتبر ذلك من مذاهب الطبيعة المشهورة"^(٥).

(٢) **التمكن من الأفعال الشاقة**، "إذا بلغك أن عارفاً أطاق بقوته فعلاً أو تحريكاً أو حركة يخرج عن وسع مثله، فلا تتلقه بكل ذلك الاستنكار، فلقد تجد إلى سببه سبيلاً في اعتبارك مذاهب الطبيعة"^(٦).

(٣) **التمكن من الإخبار عن الغيوب**، "إذا بلغك أن عارفاً حدث عن غيب؛ فأصاب متقدماً ببشرى، أو نذير، فصديق؛ ولا يتعسر عليك الإيمان به؛ فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسباباً معلومة"^(٧).

(١) انظر: **الإشارات والتنبيهات**: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، ص(٣٤٢-٣٤٣).

(٢) نفس المصدر السابق. ص ٣٤٤.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٣٤٦.

(٤) انظر: **تاريخ الفكر الفلسفي**: أ.د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠م، ص ٤١٤.

(٥) انظر: **الإشارات والتنبيهات**: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، ص ٣٧١.

(٦) نفس المصدر السابق: ص ٣٧٣.

(٧) نفس المصدر السابق: ص ٣٧٤.

٤) **التمكن من التصرف بالعناصر (الطبيعية)**، "فلا تستبعدن أن تكون لبعض النفوس ملكة يتعدى تأثيرها على بدنها، وتكون لقوتها كأنها نفس ما للعالم..، فلا تستنكرن أن يكون لبعض النفوس هذه القوة، حتى تفعل في أجرام آخر، تفعل عنها انفعال بدنه، ولا تستنكرن أن يتعدى عن قواها الخاصة إلى قوى نفوس أخرى تفعل فيها، لا سيما إذا كانت شحذت ملكتها بقهر قواها البدنية التي لها...^(١)."

وفي هذا السياق أيضاً نجد يفرق بين الزاهد والعابد والعارف، فالزاهد هو المعرض عن الدنيا، بينما العابد هو المواظب على العبادات، وأما العارف فهو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت، مستديماً لشروق نور الوحي في سره، وعباداته ليست عن رهبة أو معاملة ثمرتها الثواب؛ بل هي رياضة وإيثار للحق الأول في ذاته، وعشقاً له^(٢).

ويفصّل "ابن سينا" مراحل الطريق الصوفي، فيذكر أن العارف يصل إلى مقامه بعد اجتيازه لمراحل أولها: تطويع الإرادة، ويسمى في هذه الحالة "مريداً".

ثم مرحلة استعداد النفس للتخلص من العوائق الخارجية التي تمنع انطلاقها، وذلك بالرياضة النفسية، والصوم، وسماع الألحان الهادئة، ومن اعتاد على رياضة النفس استطاع أن يسلك الطريق، فتنقاد النفس الأمانة للمفسد المطمئنة، معرضة عما سوى الحق، ويتخلص الفكر من تأثير البدن، وتتجه النفس إلى الحب الإلهي.

ثم تأتي مرحلة ما يسميه بتلطيف السر للتنبية، ويحصل ذلك بعد مرحلة اتجاه النفس للحب الإلهي.

ثم تعن له جلسات من نور الحق كأنها بروق تومض إليه.

ثم تكثر عليه الغواشي إذا أمعن في الارتياض، فيرى الحق في كل شيء، ويحصل "للمريد" شروق الأنوار الإلهية، ويزداد حصول الإشراقات له، وتبلغ به الرياضة إلى السكينة.

ثم يرقى ليصل إلى أعلى الدرجات، وتحصل له ملكة مشاهدة الأنوار العليا، وتصبح ذاته مرآة للألوهية، فيكون حين مشاهدته لذاته مشاهداً لله، فيرى الله مع كل شيء.

(١) نفس المصدر السابق: ص ٣٨٨، وانظر أيضاً: تاريخ الفكر الفلسفي: أ.د. محمد علي أبو ريان، ص ٤١٥.

(٢) انظر: الإشارات والتنبيهات: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارع، ص (٣٥٥-٣٥٦).

فإذا عبر بالرياضة إلى النَّيل صار سره مرآة مجلوة محاذياً بها شطر الحق، ودرت عليه اللذات العلاء، وفرح بنفسه لما به من أثر الحق^(١).

وبهذا يتضح لنا أن مفهوم الوعي الكوني عند "ابن سينا" يركز على المفهوم الصوفي النظري القائم على أساس الرياضة التأملية للحصول على المعارف الإشرافية، وأن تطويع الإرادة الذاتية، وتحليلها من شوائب المادة، هي الطريقة الموصلة إلى تحقيق الممكنات الأربعة في سبيل الاتصال بالعقل الكوني "العقل الفعال"، وأن الإنسان حين يتمكن من ذاته عبر ممارسة الرياضات الشاقة، والامتناع عن الغذاء لمدة طويلة، يصل إلى أن يتمكن من الإخبار عن الغيبات، والتحكم في العناصر الطبيعية للكون، والطريقة الموصلة إلى المعرفة الإنسانية تكمن من خلال تحقيق الممكنات الأربعة، وهي بدورها تقوم بتهيئة النفس واستعدادها لكي تشرق عليها "العقل الفعال" بالفيوضات الإلهية، ويؤكد "ابن سينا" على ضرورة المبالغة في الرياضة النفسية، فكلما كانت الرياضة أبلغ كانت المعارف الإشرافية أقوى، وأسمى أنواع المعرفة حين تتجلى المعرفة الإلهية على النفس، وتنعكس في داخلها، ولا يمكن أن تتجلى تلك المعارف على النفس إلا بعد أن تتحد بالإله.

وبالتالي نجد أن "ابن سينا" على الرغم من عدم انتمائه إلى المسلك الصوفي، فقد بنى أساس فلسفته على التصوف النظري، بالإضافة إلى مراقبة العارفين، وتدوين ملاحظات أحوالهم، فهو لم يمارس التجربة الصوفية، ولم يكن صاحب مكاشفة أو تجربة ذوقية، والأمر الذي دفع "ابن سينا" إلى تبني منهج التصوف النظري يعد من ناحية أخرى تعبيراً عن الإشرافية الأفلاطونية، وقد تركت فلسفته صدئاً واسعاً لدى ثلة من علماء المسلمين ومفكرهم، فقد وجّه ما يسمى بالفلسفة الإسلامية توجيهها إشرافياً، اكتمل بناؤه عند "السهروردي المقتول"^(٢)^(٣).

(١) نفس المصدر السابق: ص (٣٥٩-٣٦٣)، وانظر أيضاً: تاريخ الفكر الفلسفي: أ.د. محمد علي أبو ريان، ص ٤١٥.
 (٢) السهروردي المقتول: عمر بن محمد بن عبد الله ابن عمويه، أبو حفص شهاب الدين القرشي التيمي البكري السهروردي، ولد سنة (٥٣٩هـ)، وكان من كبار الصوفية في وقته، ومن مؤلفاته: عوارف المعارف، وتوفي سنة (٦٣٢هـ). انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٤٦)، سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٣٧٣)، الأعلام للزركلي (٥/ ٦٢).
 (٣) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية: هنري كوربان، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، الناشر: دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط٢ = ١٩٨٨م، ص ٢٦٤.

✽ الاتجاه المادي العقلي:

من العلماء الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية هو "ابن رشد الحفيد"، فقد وافق "أرسطو" في مسألة العقل، إلا أنه نحا منحى آخر في تأصيله لنظريته ورؤيته؛ ذلك أنه سلك طريقاً مادياً في إدراك الوعي الكوني، وهو في ذات الوقت ينكر خوض التجربة الصوفية الموصلة إلى الوعي الكوني من خلال التأمل والتجرد.

يؤمن "ابن رشد" بمبدأ "المحرك الأول"؛ فهو مصدر القوة والفعل، فالحركة في العالم مستمرة، ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية والواجبة لخلق العالم، وكيف تحصل هذه الحركة؟. من خلال نظريته إلى المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها، فإن أصل الكائنات تعود إلى مسألة أن كل فعل يفضي إلى خلق شيء، إنما هو عبارة عن حركة، والحركة تقتضي شيئاً لتحركه، ويتم فيه بواسطة فعل الخلق، ثم إن المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها هي مادة أبدية لا تتلاشى، وبالتالي فإن الأجسام كذلك أبدية لا تتلاشى باعتبار أن مادتها كذلك. والمحصلة من وراء ذلك أن المحرك الأول "وهو الخالق سبحانه وتعالى" يكون غير مختار في فعله؛ لأنه إذا كان مختاراً في فعله للزم منه الحركة، والحركة يلزم من يحركها.

ولأجل ذلك أوجد العقل الذي هو المصدر التي تصدر عنه القوة للكواكب، والكون لا يتصل بالخالق مباشرة؛ وإنما يكون الاتصال للعقل الأول وحده، فهو مصدر كل هذه الحركات، وهو الذي يعلم بكل ما يحدث في العالم^(١).

ويصور "ابن رشد" علاقة الإنسان بالخالق من خلال عقلية الكون، ويقسم هذا العقل إلى قسمين:

■ العقل الفاعل: وهو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان، وغير قابل للامتزاج بالمادة.

■ العقل المنفعل: عقل خاص قابل للفناء والتلاشي.

والطريق إلى تحصيل المعرفة يكون بعمل العقل الإنساني "العقل المنفعل" الذي ينتزع الحقائق المختلفة من موادها ويدركها، إلا أنه لا بد له ليؤدي وظيفته من معين آخر خارج عنه، وهذا المعين هو العقل الفاعل، ولما كان هذا العقل غير قابل للامتزاج بالمادة كان الطريق لإعانة العقل المنفعل من خلال الإشراق، فالعقل الفاعل يشرق على العقل المنفعل ويلهمه الحقائق المختلفة^(٢).

(١) انظر: فلسفة ابن رشد: فرح أنطوان، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، مصر، ص(٨-١٠).

(٢) نفس المصدر السابق: ص(٨-١٠).

كيف يحصل ذلك؟.

يجيب "ابن رشد" عن ذلك ويلخصها في نقطتين:

■ النقطة الأولى: الطريق الذي يتم به اتصال العقل الإنساني بالعقل الفعال، ويكون من خلال الانتقال من القوة الى الفعل، فالإنسان بما فيه من عقل يكون متشوقاً إلى الاتصال بالعقل الفعال، فيعمل من ناحيته على جذب العقل الإنساني فيرتفع إليه، فيحصل الانتقال من القوة إلى الفعل، وإدراك ما يمكن إدراكه من الحقائق المختلفة، وبهذا التفكير يمرن العقل على الفهم، ويكون أكثر استعداداً وأهلية للاتصال، والأخذ مباشرة بطريق الفيض العلوي عن العقل الفعال.

■ النقطة الثانية: وسائل وصول العقل الإنساني إلى الدرجة العليا من الكمال، والاتحاد بالعقل الفعال والاتصال به ليست واحدة، وهي ليست للناس جميعاً. ولا بد من توفر ثلاثة أمور.

١- قوة العقل الأصلية.

٢- كمال العقل بالفكر أو التفكير السليم.

٣- عون وإلهام غير طبيعي من الله^(١).

إن مفهوم الوعي الكوني عند "ابن رشد" هو مفهوم يجعل طريقة التفكير لدى الإنسان سبباً للوصول إلى المعرفة وتحقيق السعادة، وأن السعادة الكاملة تكمن بالاتصال بالعقل الفعال، ويؤكد "ابن رشد" إلى ضرورة الممارسة الفكرية والمدارسة النظرية من أجل تقوية العقل، وتمرنه ليصل إلى الكمال، ومن ثم العيش في اللحظة الواعية، حين يتحد العقل المنفعل بالعقل الفعال، وتحصيل المعرفة منها.

رابعاً: الوعي الكوني في الفكر الحديث:

بحث الفلاسفة الغربيون عن قضية الوعي الكوني عبر مناهج مختلفة، إلا أنهم في المجمل العام انطلقوا من مبدأ أصالة العقل وقداسته، واهتموا بالأثر الناتج عن الوعي الكوني والمتضمن التفسير المادي للتاريخ والأحداث، وتحقيق التنمية البشرية من خلال إحلال الحرية الذاتية محل القيم والعقائد والمبادئ الأخلاقية، الأمر الذي جعل من أولئك الفلاسفة أن ينادوا بالحرية الذاتية؛ وهي حرية

(١) انظر: ابن رشد الفيلسوف، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص(٤١-٤٢).

تكفل للمرء بأن لا يتقيد بقيد أو فكر، أو يرتبط بدين أو معتقد. والفلاسفة الغربيون وإن اختلفت مناهجهم في تفسيرهم للوعي، واختلفت طرقهم الموصلة إلى إدراك المعرفة، إلا أننا نجد أنهم يتفقون في النتيجة والأثر، وهو تحقيق الحرية على حساب المعتقد، وتحقيق المعرفة النابعة من الذات على حساب المعرفة الغيبية.

إننا من خلال دراستنا لقضية الوعي الكوني في الفكر الحديث، نخرج على أهم النظريات الفلسفية التي اعتمدها فلاسفة الفكر الحديث في تفسيراتهم للوعي، وكثيرة هي النظريات، والفكر الحديث يزخر بكم هائل من الفلاسفة الذين عرجوا على قضية الوعي ودرسوها، وقد يطول بنا المقام لو تطرقنا لكل أولئك الفلاسفة، ولكن حسبنا أن نحاول أن نفهم قضية الوعي في الفكر الحديث، وكيف اختلفت المناهج في التأصيل لقضية مهمة في الفكر البشري الحديث، وهي قضية الوعي.

ولذلك نجد مفهوم الوعي عند "فرانسيس بيكون" قائم على قوة العلم والتجربة، وعند "ديكارت" قائم على نقض اليقينيات وسائر المعارف، اللهم إلا تلك المعارف النابعة من مبدأ الشك والمتمثل في مقولته "أنا أفكر؛ أنا موجود"، وأما "هيجل"؛ فإن مفهوم الوعي عنده نابع من الذات، بسبب اعتماده على دراسة الظاهرة الروحية أو "فينومينولوجيا الروح" كما يسميه، وقد تجلت فكرة الوعي أكثر عند "هنري برغسون"؛ إذ يقرر أن الوعي الفردي مستمر ومتواصل، وأنه لا سبيل إلى المعرفة إلا من خلال المعرفة الحدسية، فالحدس وعي مباشر وموسع، وهذا النوع من الوعي لا يأتي للفرد إلا ليبين مدى اطلاعه وسعة معلوماته.

ولقد أثرت تلك النظريات الفلسفية على كثير من الحركات الروحية الحديثة وأصحاب مذاهب المعرفة الباطنية، ونشأت العديد من النظريات الممتزجة بين الفلسفة وبين العلم والتجربة، وفي كثير منها تأصيل للمثالية الغربية، والعودة إلى البحث عن المطلق الكلي والجوهر الكامن وراء الوجود، ولعلنا نكتفي بدراسة مفهوم الوعي الكوني عند الفلاسفة المذكورين سلفاً، ونوضح العلاقة بين مفهوم الوعي عندهم وبين فلسفة الطاقة الكونية.

أولاً: فرانسيس بيكون.

جعل "فرانسيس بيكون" الهدف من العلم هو السيطرة على الطبيعة خدمة للمجتمع، والعلم بالنسبة إلى "بيكون" يعني القوة، ومن أجل ذلك قام بنقد العقل "القديم" من أجل تكوين العقل الجديد؛ فالعقل الجديد عنده يتميز بأنه عقل متحرر من جميع القيود ويسميتها بالأخيلة والأوهام،

وبعبارة أخرى "أصنام العقل"، والتحرر من تلك الأخيذة ضروري لكي يعود العقل "لوحًا مصقولاً" تنطبع عليه الأشياء، دون تشويش من الجانب البشري^(١).

وبالتالي فإن "يكون" يرى أنه في سبيل الوصول إلى رأي صحيح في طبيعة الأشياء؛ فعلى الإنسان أن يتحرر أولاً من كل الأحكام المسبقة التي تقف عائقاً دون المعرفة الموضوعية. وقد ذكر "يكون" القيود الحائلة دون التحرر العقلي، وقد جعلها على أربعة أنواع: النوع الأول: أوهام القبيلة.

وهي أوهام ناشئة عن الطبيعة البشرية؛ فالعقل يعقل معاني الطبيعة وفقاً لمقاييس البشر، وهو بذلك يصور العقل كمرآة غير مستوية، يعتمد إلى المزج بين المعقولات، فيمسخها في العقل، وبالتالي فإن المعارف النابعة من هذا النوع تحمل في صفتها نوعاً من التعميم دون الالتفات إلى الحالات المعارضة، وإلى التشبيه بين الفعل الإنساني وفعل الطبيعة، فيتوهم أن أفعال الطبيعة مثل أفعال البشر، ولها غايات وعلل.

النوع الثاني: أوهام الكهف.

وهي الأوهام الناشئة من الطبيعة الفردية، فالفردية بمثابة الكهف الأفلاطوني، منه ننظر إلى العالم، وعليه ينعكس نور الطبيعة، فالتربية والعادات والميول والاتجاهات تنشأ من خلال هذا الوهم.

النوع الثالث: أوهام السوق.

وهي الأوهام الناشئة من الألفاظ، فالألفاظ تتكون من خلال الحاجة العملية، ومن التصورات العامة، ويحدث من وراء ذلك أن تسيطر تلك التصورات اللفظية على الأشياء، يمكن أن تكون تلك الأشياء غير موجودة، أو غامضة، أو متناقضة، ومن هنا تنشأ الخلافات حول الكلمات والأسماء والألفاظ.

النوع الرابع: أوهام المسرح.

وهي أشد الأنواع؛ إذ يرى "يكون" أن النظريات المتوارثة من خلال المدارس الفلسفية استطاعت أن تكون لها مقاماً ونفوذاً، وبالتالي في كثير من الأحيان أصبحت تلك النظريات المتوارثة غير قابلة

(١) انظر: أطلس الفلسفة: بيتر كونزمان وفرانز - بيتر بوركارد، ترجمة: د. جورج كتورة، الناشر: المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان،

للتشكيك بفضل النفوذ التي اكتسبتها، وهنا يحمل "بيكون" على "أرسطو" و"أفلاطون" وغيرهما من الذين يفسرون الأشياء بألفاظ مجردة^(١).

وبالتالي فإن مفهوم الوعي عند "بيكون" مفهوم لا يمكن تفسيره إلا في إطار المنهج التجريبي، لأنه يرفض الوعي الموصل إلى المعرفة من خلال ما وصفها بالأوهام والأخيلة، ولا يقبل إلا الوعي الخاضع للتجربة، وهذا النوع من الوعي يمكن استسقائه من خلال الاستقراء العلمي؛ لأنه يجعل العلم مصدر القوة، وأن الاستقراء العلمي والتجرد عن الأحكام المسبقة والتخلص من الأخيلة تؤدي إلى إدراك المعرفة.

ومن هنا يمكن أن نفسر علاقة "بيكون" ومنهجه التجريبي بالوعي الكوني من خلال التجربة، والعقل هو القاسم المشترك بينهما؛ إذ أن كل منهما يطمح إلى التحرر العقلي من أجل تحصيل المعرفة، وكل بطريقته، فأصحاب المذاهب الروحية الذين يرفضون التجربة الحسية، ويستندون على الرياضات النفسية والممارسة التأملية هم على طرف، بينما أصحاب المنهج التجريبي الذين يرفضون المعرفة المستتقة من الأوهام والأخيلة على الطرف الآخر تماماً، ويلتقي الطرفان عند نقطة تحقيق الهدف، وهو تحصيل المعرفة عبر الوسائط العقلية، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار بأن تكون تلك المعرفة بعيدة عن المؤثرات النفسية البشرية.

ويبقى في الوسط أولئك العالقين بين المذهبين، حين يُخضعون الوهم والخيال للتجربة العلمية، فيوقفون بين الوهم والعلم، ويسوقون جملة من النظريات العلمية، والقوانين الفيزيائية، والتجارب المخبرية، من أجل الترويج لعلمية الوهم والخرافة.

ثانياً: رينيه ديكارت.

يبدو أن هوس نقد المعتقدات القديمة من أجل الوصول إلى معارف يقينية وثابتة كانت تمثل هاجساً لدى المهتمين بالفلسفة والثائرين على المسلمات الكنسية، ولا عجب في ذلك؛ فقد ظلت تلك المسلمات الكنسية عائقاً وحاجزاً صلباً أمام التقدم العلمي، ومن أجل ذلك فقد ظهرت العديد من المناهج الفلسفية التي تمحورت حول نقد العقل القديم، بل ونقضه، وما لبث أن سارع كثير من

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف بطرس كرم، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية

الفلاسفة الغربيين إلى تقديم نظريات جديدة لحل المشكلات التي كانت تتعارض مع المسلمات الكنسية.

من أبرز تلك المشكلات هي مشكلة العقل، ودوره في إثبات وجود الله، ومن ثم البحث عن النفس، وأخيراً فهم النظام الكوني، ويبقى دور الإنسان الواعي في إدراك المعرفة من خلال العقل. ولئن كانت المشكلة هي مشكلة عقل؛ فإن ثمة أمر خطير لازم هذه المشكلة، وأثر بشكل كبير على النتاج الفلسفي، والمقصد هنا هو قضية فداسة العقل، وأهم ما تميزت به النظريات الفلسفية وبالخصوص "المثالية الغربية" وأثرت بشكل كبير على المعتقدات الدينية هو في تقديسها للعقل. من بين أولئك الفلاسفة الذين نقدوا العقل القديم، يظهر لنا "رينيه ديكارت" الذي تبنى منهج الشك للاستدلال على الوجود، وأدت محاولاته الفلسفية إلى نقض المعارف القديمة القائمة على الحس والتلقي.

لقد رفض "ديكارت" التعامل مع كل المعارف الحسية، وهي في نظره معارف مكتسبة إما عن طريق الحس أو عن طريق التلقي، ويقصد بالتلقي تلك المعارف التي تلقاها الإنسان عن والديه أو في مراحل تعليمه، ويقرر أنه "ينبغي في سبيل إقامة العلوم على قواعد ثابتة فلا بد من رفض كل الآراء القديمة"^(١).

وحين رفض "ديكارت" الآراء القديمة، قرر في الوقت ذاته أن "الفكر سابق على الوجود"، فمن خلال منهج الشك وصل إلى حقيقة مفادها أنه "يفكر"، وأنه مهما شك في الحقائق؛ فإن الشك هو في حد ذاته تفكيراً، وما دام أنه يفكر فالنتيجة أن الفكر سابق على الوجود، وهذه هي القاعدة الثابتة التي أسسها لفلسفته، وعلى ضوءها انطلق ليقرر حقيقة وجود "الله"، وهي الحقيقة التي فاضت عنها كل الحقائق بما فيها الفكر والعالم الخارجي، ولا يمكن الاستغناء عنها لضمان أي معرفة يقينية^(٢)، والحاصل أن "ديكارت" قد أسس قاعدته المتمثلة في الشك للوصول إلى المعرفة، وهي تتألف من ثلاث مراحل: أولها الشك المطلق، فوضوح الفكرة، ثم الضمان الإلهي^(٣).

(١) انظر: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: رينيه ديكارت، ترجمة: د. كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط ٤=١٩٨٨م، ص ٢٦.

(٢) انظر: الفلسفة المثالية: د. يوسف حامد الشين، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط ١=١٩٩٨م، ص ٣٨٧.

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص ٨٠.

وإذا كانت القاعدة الأساسية التي انطلق من خلالها ديكارت للوصول إلى المعرفة هي الشك؛ فإن من أهم المعارف التي شك فيها "ديكارت" هي قضية وجود الله، وبمعنى الشك الديكارتي: "هل هناك إله بالفعل قد جاءت منه هذه السلسلة اللامتناهية من الوجود؟"، وينتهي به الأمر إلى الاعتقاد الجازم بوجود الله، وأنه "حُرٌّ صادق"، وأن المحسوسات إنما تصدر عن الله، وقد رتبها بمحض إرادته الحرة، ثم إنه يقرر أن الإله لا بد وأنه خلق أشياء مقابلة للأفكار، وماهية هذه الأشياء تكمن في الطبيعة، فالحيوان البهيم الذي لا يتكلم لأنه لا عقل له قد يفوق الإنسان في مهارة في بعض أفعاله، إلا أنه لا يبدي شيئاً من تلك المهارة في أفعال أخرى، فالجانب الذي يتفوق فيه ذلك الحيوان على الإنسان لا يدل على عقل؛ إلا لكان حظه منه أكبر من حظ الإنسان نفسه، ولأجاد سائر الأفعال، ولكنه يدل على أن لا عقل "الله"، وأن الطبيعة هي التي تعمل فيه.

وما سبق ذكره يعني أن ديكارت لا يؤمن بأن الفكر أو العقل صادر عن الإله؛ لأنه يقرر أن "الفكر سابق للوجود"، وهو بذلك ينصب الفكر حاكماً للتفريق بين إدراك المحسوسات، وتلاشي أخطاء الحواس وخيالات الأحلام، وهو في الوقت ذاته يفرق بين الوعي في حالة اليقظة، وحالة المنام، فاليقظة تتميز باتساق الإحساسات فيما بينها، ويتميز المنام باضطراب التصورات^(١).

وبالتالي فإن أفكار الإنسان ووعيه محكمة ومنساقة بالعقل فيما يُعقل، وأما فيما لا يُعقل فإن الطبيعة تلعب دورها في التأثير والتأثر، وليس للتدبير الإلهي أو العناية الإلهية أي دور في ذلك، لكونه ينطلق من مبدأ "حرية الإله وصدقه"، ويستحيل أن يكون مخادعاً، بينما المحسوسات وطرق إدراكها يتفاوت فيها الوعي، وهي إما أن تكون صادقة، وإما أن تكون مخادعة.

ثالثاً: هيغل.

على عكس الفلاسفة السابقين "بيكون، وديكارت" الذين انتهجوا منهجاً تجريبياً لتفسير الوعي، فإن تياراً آخر ظهر عكس ذلك، منطلقاً من المثالية كمنهج يؤصل لفلسفة الوعي، ومعتمداً على العقل بوصفه مدبراً للعالم.

ومن أبرز فلاسفة التيار المثالي يبرز لنا الفيلسوف الألماني "جورج فيلهلم فريدريش هيغل - Georg Wilhelm Friedrich Hegel"، الذي درس الظاهرة الروحية، وكرّس نظريته من خلال دراسته للتاريخ أولاً؛ فجعل التفسير التاريخي للأحداث "تجلياً لحركة الروح العاقلة في الزمان"، ومن ثمَّ

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص (٨٠ - ٨٨).

درس الطبيعة فأعلن أن "الروح المطلق يباين نفسه فتظهر الطبيعة"، ومن هنا ظهرت فكرة "هيجل" بأن العقل هو الطبيعة، وأن الفكر سابق للمادة.

كيف يحدث ذلك؟ أجاب هيجل عن هذا السؤال فقال: "إن الطبيعة تتبدى أمامنا في عدد لا حصر له من الظواهر والصور الفردية، ونحن نشعر بالحاجة إلى وحدة وسط هذا التنوع الهائل، وهذه الوحدة تتبدى في العنصر الكلي الكامن وراء التنوع، فالأنواع أو الكليات هي كل ما يشكل العقل في الطبيعة، وهذا الكلي هو الحقيقة وهو الماهية، ولا يمكن للحواس أن تدركه، فهو لا يرى ولا يسمع، لأن وجوده من أجل العقل فحسب. فالطبيعة بناء على هذا هي نوع من الفكر، لكن لا كالفكر الإنساني، بل هي نسق من الفكر اللاواعي"^(١).

وبالتالي فإن الوعي عند "هيجل" يمكن تفسيره من خلال نظرتة للعقل، فهو يفرق بين نوعين من العقل:

- النوع الأول: العقل الواعي، وهو العقل البشري الذي يحكم التاريخ.
- النوع الثاني: العقل اللاواعي، وهو عقل الطبيعة، فالظواهر الطبيعية لا تعي، ولا يمكن أن ينسب إليها أي نوع من ضروب الوعي، ولكنها خاضعة لقانون العقل الكلي الكامن داخل الطبيعة، وحين يظهر هذا العقل ويباين نفسه تظهر الطبيعة^(٢).

وبناء على ما سبق فإن "هيجل" اعتبر أن الميزة الأساسية للإنسان هي "الوعي بالذات"، وهذا النوع من الوعي تجعل الإنسان قادراً على الارتداد إلى ذاته - والتي يسميها "جوهر الفكر" - وإدراكها، غير أنه يعود فيربط حقيقة هذا الوعي بفكرة "الحرية"، فارتداد الإنسان إلى ذاته، وإدراكه لها تشكل منعطفاً مهماً للوعي الإنساني في فلسفة "هيجل"، لأنها تؤدي في نهاية المطاف إلى الحرية، وهي تعني في أبسط معانيها "ألا يحدك قيد، ولا يربطك شيء خارجي"، وإلغاء الحدود والقيود الخارجية لا يتحقق إلا مع فكرة "الوعي الذاتي"، وتلك هي الحرية الحقيقية التي تضمن "الخلو من كل ارتباط، سوى الارتباط بالذات"^(٣). وبالتالي فإن مصدر المعرفة بالنسبة لهذا الإنسان هو الذات،

(١) انظر: فلاسفة أيقظوا العالم: مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ٣=١٩٩٨م، ص(٣٠٢).

(٢) نفس المصدر السابق: ص(٣٠٣).

(٣) انظر: دراسات هيجلية: د. إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ١٩٨٤م، ص (٣٣ - ٣٧).

وتنعكس تلك المعرفة على أفعاله وسلوكه^(١)، وهذه المعرفة النابعة من الذات هي في أول صورها معرفة حسية مشتركة، وحققتها إدراك الجزئيات، ثم تتطور إلى معرفة علمية؛ فتلغى حقيقة الجزئيات، وتنتقل إلى إدراك القانون الكامن خلف تلك الجزئيات، وحققيقة هذه المعرفة هي إدراك القانون الكامن، ثم تأتي إلى أجل صور المعرفة وهي معرفة الوعي الذاتي، وإدراك هذه المعرفة يكون على هيتين:

○ الأولى: تصور العالم على أنه تجل للذات فحسب، دون انفصال بينهما، وهذه هي معرفة الصوفية والمثالية الذاتية.

○ الثانية: تصور العالم متفكراً ومختلفاً مع الذات في وقت واحد، وجوهره فكر، ولكنه ليس امتداد لفكر الذات، وهذه هي المعرفة الفلسفية معرفة العقل^(٢).

والإنسان بصفته موجوداً عاقلاً لا يمكن أن يصل إلى الوعي الذاتي من غير أن يكون هنالك تطوراً، لأنه لا يزال متردداً بين الوعي الذاتي والوعي الطبيعي^(٣)، كما أنه في الوقت ذاته يركز "هيجل" على أن الوعي الذاتي لا يمكن الوصول إليه من طريق النظر الصرف والتأمل المجرد، وإنما يصل إليه من طريق العمل والنشاط، والرغبة هي نقطة انطلاق الذات العاملة التي تمحو الوجود المعطى، وتأخذ على عاتقها تغيير الواقع^(٤).

(١) ولهذا فإن المتتبع لفلسفة "هيجل" يجد أنه من خلال قراءته لتاريخ الأمم الغابرة، فإنه نقدها لأنها كانت تحت سيادة الطبيعة ومنقادة لها، ولم تعرف حقيقة ذاتها، وهكذا يستقرأ التاريخ وينقد الحضارات السابقة، وبالأخص الشرقية منها كالهندية والفارسية والصينية والمصرية، ويصل به المطاف إلى الحكم عليها بأن هذا النوع من المجتمعات لم يتأتى لها الفرصة في أن تذوق حريتها؛ لأنها بكل بساطة كانت منقادة للحاكم، وفي بعض التصورات الشرقية انظر إلى هذا الحاكم على أنه نصف إله، وبالتالي فإنهم كانوا ينفذون مشيئته، بينما كان الحاكم وحده هو الحر المستقل؛ لأنه يجلب قوته من السماء، ولكن حريته أيضاً لم تكن إلا وفق أهوائه وشهوته، ومن ثم كان الحاكم طاغياً لا إنساناً حراً. وإذا سألنا "هيجل" فهل يا ترى من هي الشعوب التي تجردت من سيادة الطبيعة وأدركت الوعي الذاتي التي يضمن لها حريتها، من غير أن تكون منقادة لأحد، فيجب بكل بساطة؛ بأنهم الشعب الجرمانى الذي هو واحد من أفراد ذلك الشعب، ولا شك أن مثل هذه المثاليات المطلقة لن تجد لها مكاناً إلا في التنظير الفلسفي فقط.

(٢) انظر: دراسات هيجلية: د. إمام عبد الفتاح إمام، ص (٤٤ - ٤٥).

(٣) انظر: فلسفة هيجل المنطق وفلسفة الطبيعة: ولتر ستيس، تقديم: زكي نجيب محفوظ، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٣=٢٠٠٧م، ص (٤٨٨).

(٤) انظر: هيجل أو المثالية المطلقة: د. زكريا إبراهيم، الناشر: مكتبة مصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١=٢٠١٠م، ص (٢١٦).

ومن أجل أن تضمن النفس الوصول إلى الوعي الذاتي فإن "هيجل" قد وضع ثلاث خطوات أو مراحل يمر بها "الوعي الذاتي" إلى أن يصل إلى حقيقته، وهذه الخطوات أو المراحل هي:

(١) الميل الفطري أو الرغبة، وهي تعبير عن الحياة الحيوانية الخالصة.

(٢) الوعي الذاتي الذي ينتهي بالاعتراف بالذوات الأخرى.

(٣) الوعي الذاتي الكلي، وهو الموصل إلى العقل الذي يمثل القمة التي يبلغها تطور الوعي الذاتي^(١).

وأخيراً فإن "هيجل" ينطلق من إيمانه بأهمية الوعي الذاتي، وكونه سبيلاً موصلاً إلى الوعي الكلي، وهو حين درس الظاهرة الروحية أو كما يسميها "فينومولوجيا الروح" بدأ من الوعي الفردي بإحساسه وإدراكه وفهمه، وتدرج به شيئاً فشيئاً إلى أن يتحول إلى وعي كلي ينعكس على المجتمع، ويظهر ذلك الوعي على حكم الدولة وعلى مؤسساته ونظمه وقوانينه، وفي هذا الصدد يقرر "هيجل" أن صور إدراك الروح الإنسانية "العقل الإنساني" للوعي يمكن من خلال "الدين"؛ فعن طريقه نصل إلى صورة من الوحدة الواعية، حين يصل الإنسان المؤمن إلى الوعي بالروح المطلق.

أو من خلال "الفن"، وهو الجانب الذي تتحقق فيه الجانب الذاتي والموضوعي، أو من خلال "الفلسفة"، وهي بدورها تقدم لنا صورة من هذا الاتحاد بين الجانب الذاتي والموضوعي^(٢).

إن المتأمل لفلسفة "هيجل" المثالية ليدرك أن فلسفته التي نبعث من خلال دراسته للظاهرة الروحية تكاد تكون حجر الزاوية لكثير من التطبيقات والمبادئ التي تستند عليها فلسفة الطاقة الكونية، لكونها تتفق معها حول مبدأ حرية الذات، وأن الطريق إلى التنمية البشرية يكمن من خلال تبني مبدأ حرية الذات وأصالة العقل والفكر، وأنه سابق على المادة والوجود، وأن العقل قد دبر الكون، وهو مازال مدبراً للكون العظيم، وفلسفة "هيجل" المثالية وهي وإن كانت تتفق مع نظريات كثير من الفلاسفة سواء اليونانيين أو الغربيين في إيمانهم بأصالة العقل وقداسته، إلا أن ما يميز مثالية "هيجل" في تبنيه لمبدأ حرية الذات الإنسانية من غير قيد ولا معتقد، ولا ارتباط بقيم أو مبادئ خارجية، وإنما تستقي الذات البشرية معارفها من خلال ذاتها، وهذا تعد واضح على منهج الله - ﷻ - وما أَرَادَهُ اللهُ مِنَ الْإِنْسَانِ حِينَ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطَةِ، وَلَا نَجِدُ لِمَوْضُوعِ الدِّينِ حُضُورًا فِي مِثَالِيَةِ "هَيْجَل" إِلَّا أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّ الدِّينَ إِحْدَى الطَّرِيقِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى الْوَعْيِ الذَّاتِيِّ، وَإِلَى الْإِتِّصَالِ

(١) انظر: دراسات هيجلية: د. إمام عبد الفتاح إمام، ص(٤٦ - ٤٧).

(٢) انظر: فلاسفة أيقظوا العالم: مصطفى النشار، ص(٣١٠).

بالروح المطلق، ولعله يقصد بهذا الدين أفعال الإنسان الحميدة وسلوكه، وما يجب عليه من الفضائل والأخلاق، وبذل الخير والعمل من أجل الوصول إلى الروح المطلق، وهو العقل الذي يدبر الكون، وهو في الوقت ذاته العقل الذي يتجلى للطبيعة فتظهر الطبيعة بحقائقها، وهذا هو إطار التدين عنده، بدليل أنه نقد كل المعارف والحقائق التي توصلت إليها الحضارات السابقة من الأمم الغابرة، بدعوى أنها لم تهتد إلى الحرية الذاتية التي تكفل لها معارف حقة وأصيلة، وأنها إنما استقت معارفها ووعيتها من خلال أيقونات الحكام ورموز الكهنة الذين كانوا يستمدون معارفهم من خلال السماء، وليس من ذواتهم التي تحمل الحقائق الكامنة. وبمثل هذا التدين، - أعني التدين الأخلاقي - تقرر فلسفة الطاقة الكونية مبادئها التي ترسخ الوعي الذاتي كمصدر مهم للمعرفة الإنسانية، بعيداً عن أهمية الوعي الديني، بل وأحياناً تتم أدلجة الوعي الديني لكونها تتعارض مع دعوة التوحيد مع كل الأديان بشتى مللها ونحلها.

والحق أن الوعي الديني لا يتعارض مع الوعي الذاتي، بل إن الوعي الذاتي مكمل للوعي الديني، وبدون التدين لا يمكن أن يكون هنالك وعي منضبط، وما ينشده "هيجل" من الوصول إلى الحرية عبر الوعي الذاتي ليست إلا محاولة للتعدي على المبادئ والقيم الدينية، وأي حرية يمكن أن تكفل للبشرية سعادتها إذا لم تكن تلك الحرية خاضعة لنور الوحي الإلهي، ومنقادة لسنن الله الكونية.

رابعاً: هنري برغسون.

يعتبر "هنري برغسون - Henri Bergson" من الفلاسفة الذين اهتموا بموضوع الوعي الكوني من خلال اعترافه بالطاقات الروحية الكامنة في الوجود والموجودات، ويظهر ذلك من خلال أعماله الفلسفية؛ إذ يقرر أن حياة الروح لا يمكن أن تكون نتيجة لحياة الجسد، بل العكس؛ فكل شيء يجري هنا - أي في الحياة - كما لو كان الجسد موضوعاً تحت تصرف الروح، ولذلك فهو لا يستطيع أن يفرض أن الروح والجسد متحدان اتحاداً يتوقف وجود كل منهما على وجود الآخر^(١).

ولما كان الروح سابقاً على الجسد؛ فإن هذا يعني أن الفكر سابق على المادة، ومن الفكر ينشأ الوعي، والوعي الحقيقي لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الحدس، لأن العقل أداة للمعرفة العلمية التجريبية، بينما الحدس ملكة نفسية وقوة روحية به تدرك الحقائق بالبداهة. وهذه الملكة فوق العقل،

(١) انظر: هنري برغسون؛ في سبيل موسوعة فلسفية: د. مصطفى غالب، الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان،

وأسمى منه، وهو حين يقرر أن "الحدس" قوة روحية لإدراك الحقائق فهو يوصي باليقظة المستمرة لوقاية الحدس من العقل التجريبي، حتى لا يفقده بدهائه وصفاءه^(١)، فهو يضيف إلى المعرفة الحدسية رؤية وجدانية تتحقق بواسطة العقل، بعيداً عن زحمة التأملات، وتجعل من الفكر تجربة للروح تجر الإنسان إلى الإصغاء إلى لحن داخلي، بخلاف الحدس أو الوعي الديكارتي الذي هو في أصله رؤية عقلية مباشرة^(٢).

ولذلك فإن المعرفة الحدسية حين ارتبطت بالعقل بعيداً عن زحمة التأملات، فإن ذلك يعني نقد "برغسون" للنظريات الفلسفية السابقة، والتي تؤصل للمعرفة الحدسية بواسطة التأمل والنظر، وفي مقدمتها أسطورة الكهف الأفلاطونية، وإشراقية أفلوطين، والحب البوذي، ولذلك نجد أن "برغسون" يعود إلى مبدأه ويقرر أن العقل الإنساني لم يعد حاله مثل ذلك العقل الذي يعرضه "أفلاطون" في أسطورة الكهف، فلم تعد وظيفته تنحصر في رؤية الظلال العابرة التي لا طائل تحتها، ولا في تأمل النجم الباهر، بل هناك شيء آخر يشغله إذا التفت هذا العقل إلى الورا، ويوضح هذا الأمر فيقول "إن وظيفة العقل الإنساني هي العمل، والوعي بهذا العمل، والاتصال بالحقيقة الواقعية"^(٣).

كما أن تقارير "برغسون" أدت إلى نقد أفكار أفلوطين الإشراقية؛ لكونها لم تستطع أن تحول "التأمل" إلى "عمل"، الذي تحدد بفضله إرادة الإنسان بإرادة الله، كما أدت إلى نقد البوذية؛ لأنها وإن كانت لم تجهل المحبة، إلا أن قولها بالتشاؤم واستئصال إرادة الحياة قد منع معظم الفلاسفات الهندية من أن ترقى إلى التصوف الكامل والحقيقي، لأنها بكل بساطة كان تصوفها قائم على التأمل والنظر^(٤).

إن فلسفة "برغسون" الروحية قائمة على مبدأ "العمل لا التأمل والنظر"، ويوجب على أن تكون هنالك "أعمال" للإنسان، وهذه الأعمال لا بد وأن تكون متوافقة مع الفعل الإلهي، وهذا هو

(١) انظر: المعرفة والحدس عند برغسون: عبد المجيد ميزان، مقال منشور في مجلة دعوة الحق، العدد: ٢٢، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية.

(٢) انظر: المعرفة الحدسية بين باسكال وبرغسون، دراسة تحليلية مقارنة: م.د. فلاح عبد الزهرة لازم، كلية الآداب، جامعة واسط، الناشر: مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ١٨، السنة ٧، ٢٠١٥م.

(٣) انظر: التطور الخالق: هنري برغسون، ترجمة: محمد محمود قاسم، إصدار المركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر ٢٠١٥م، ص ١٧٦.

(٤) انظر: الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برغسون: إسماعيل الموساوي، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، متاح على موقع الناشر: <https://www.mominoun.com>.

الوعي بحد ذاته، يقول: "ومن أجل معرفة العلم الحق حول وعي الكائن، يتوجب الدخول إلى ذاته، والتوافق معه، والصيورة فيه"^(١). وهذا هو ما يعنيه بضرورة أن تكون أعمال الإنسان متوافقة مع الفعل الإلهي، وأن أعمال الإنسان متى ما كانت متوافقة مع الفعل الإلهي؛ فإن ذلك يجعل من أن تكون تلك الشخصية واعية، وبجانب ذلك فإن الإنسان يجب عليه أيضاً أن يعرف أكثر وأفضل في ما يقع في الوجود، بالمقارنة مع الكائنات الأخرى التي تتوفر على مفاهيم خارجية وسطحية. أما الإنسان، فيحتوي على مفاهيم داخلية وعميقة، وبفضل هذه المفاهيم العميقة، وبفضل اتصافه بثلاثة أوصاف مهمة وهي "الفعل، والحب، والخلق" يستطيع أن يسير أغوار جميع الموضوعات الموجودة في الكون^(٢).

وبالتالي فإن الإنسان من وجهة نظر "برغسون" حين تكون أعماله متوافقة مع الفعل الإلهي، وقد فهم النظام الطبيعي بما يملكه من مفاهيم داخلية وعميقة، عند ذلك ينشأ التدين الذي مصدره هو الإله، ويستمد الإنسان الواعي بذاته وكونه مبادئه من التصوف الذي يطمئن النفس، ومصدر هذا الجهد الخلاق يأتي من الإله. يقول: "نهاية التصوف اتصال جزئي بالجهد الخالق، تنكشف عنه الحياة"، وهذه هي المعرفة الحدسية التي نظر لها، وبجانب التدين الصوفي يقرر "برغسون" بأهمية الأخلاق، وهذه الأخلاق في نظره ليست تلك التي تصون الجماعة المعينة بما تقررها من مبادئ وقيم كي تصون نفسها، فالأخلاق من هذا الجانب يظل منكفئاً على جماعة معينة، ولكن الأخلاق هي التي تجاوز حدود الجماعة، وترمي إلى محبة الإنسانية قاطبة، بل الخليقة بأسرها، وهذه الأخلاق تظهر في بعض الأفراد الممتازين^(٣) الذين يسمعون في أنفسهم نداء الحياة الصاعدة، فيتملكهم انفعال خالص، يؤدي بهم إلى جذب الناس بالقدوة لا بالاستدلال، ومجرد وجودهم نداء، وأخلاقهم هي الأخلاق الكاملة المطلقة^(٤).

إذا نلاحظ أن "برغسون" يتخذ من المعرفة الحدسية سبيلاً للوصول إلى التدين والأخلاق، وقد جمعها في إطار واحد، وهو إطار المسلك الصوفي، مع ملاحظة رفضه لعملية التأمل والنظر، وفي

(١) انظر: الطاقة الروحية: هنري برغسون، ترجمة: د. علي مقلد، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت،

لبنان، ط ١ = ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م. ص ٩.

(٢) انظر: الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برغسون: إسماعيل الموساوي، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود

للدراستات والأبحاث، متاح على موقع الناشر: "<https://www.mominoun.com>".

(٣) اعتراف ضمني من "برغسون" بالإنسان الكوني، أو الإنسان الكامل على النحو الموجود في المذاهب الصوفية المختلفة.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف كرم، ص (٤٧٢-٤٧٣).

هذا لسياق يقرر بمبدأ العمل، وأنه لا بد وأن تكون أعمال الإنسان متوافقة مع الفعل الإلهي، وإذا سألنا "برغسون" كيف لنا أن نحدد موافقة أعمال الإنسان مع الفعل الإلهي؟. فيجيب بأن أعمال الإنسان متى ما كانت متحررة عن الدين الشعائري والذي يحمل في طياته أوامر ونواهي ويسميه بالدين السكوني، وانتقل إلى الدين الذي يبعث في النفس تجربة صوفية خالصة، من شأنها أن تتصل بما يسميه "الجهد الخالق" عندها تنكشف عنه أسرار هذه الحياة، وهذه هي المعرفة الحدسية^(١)، وهي في حقيقتها لا تختلف عن المعرفة الإشراقية التي جاء بها "أفلوطين" إلا أنها تتميز بعمق تصوفي فلسفي، وتفارقها بتقرير الجهد والعمل لا التأمل والنظر، وهذا العمل هو المؤدي إلى ظهور شخصيات تتصف بكونها متكاملة وواعية بذاتها وكونها، وسماها بالأشخاص الممتازين، وعليهم تنعكس الفلسفة الأخلاقية التي نظر لها، وهي فلسفة أخلاقية تتجاوز القيم والمبادئ الخاصة بكل جماعة معينة، وترتقي إلى المحبة الإنسانية، والاندماج مع الكون من خلال قبول جميع الكائنات البشرية وغير البشرية، والعيش معها ضمن الإطار الكوني، وتحت ستار المحبة والسلام، وإذا كانت هذه هي مخرجات فلسفة "برغسون" الروحية، فإن نفس هذه المخرجات نجدتها عند منظري فلسفة الطاقة الكونية، وهي الدعوة العالمية إلى التحرر من الدين الشعائري، والانتقال إلى ديانة عالمية تهدف إلى جمع البشرية تحت ستار الأخوة العالمية، وتحقيق الأخلاق الرامية إلى الارتقاء بالبشرية من الجمود الفكري والديني إلى الحرية الإنسانية، وتحرير الذات من جمود المادة إلى حيوية الروح، والله المستعان.

وقد انعكست آثار الفلسفة الروحية على كثير من متصوفة الغرب، وقد أجرى طبيب النفس الكندي "ريتشارد م. بوكيه" دراسة للعديد من حالات "اليقظة التامة"، شملت ستة وثلاثين حالة، ونشرها عام (١٩٠١م) في كتاب سماه "الوعي الكوني: دراسة في تطور التفكير البشري" وسمى أشخاصاً تاريخية مثل "بوذا"، و"موسى"، و"يسوع"، و"داني"، والفيلسوف السويدي "إيمانويل سويدنبورغ"، وغيرهم، وخلص إلى أن الخصائص الرئيسية للوعي الكوني تتمثل في سمات عدة منها: السرور، وكشف المعنى، والغرض، والتعايش مع الكون، وشعور الخلود، وعدم الخوف من الموت، وغياب مفهوم الخطيئة.

ويبرز "بوكيه" أهمية الوعي الكوني بكونها "تجربة الكينونة؛ مغمورة في لهب، أو سحابة بلون وردي، أو ربما هي شعور بأن الذهن في حد ذاته مليء بما يشبه تلك السحابة أو الضباب".

(١) انظر: التطور الخالق: هنري برغسون، ترجمة: محمد محمود قاسم، إصدار المركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر ٢٠١٥م،

كما أوضح في تعريفه وجود درجات مختلفة من الوعي الكوني، قائلاً: " وأيضاً اقترحي أنه هناك درجات مختلفة من اليقظة التامة". وهذا ما يوضح أن الشخص الواعي كونياً قد لا يكون مرتفعاً عن مستوى الإنسانية العادية، وقد نجد آخرين قد تجاوزوا حدود الوعي العادي ووصلوا عملياً إلى درجة منزلة "إله". كما أن اللافت في تعريفه أنه ذكر أن الوعي الكوني يحدث بين سن الثلاثين والأربعين، ويحدث للرجال بصورة أكثر من النساء، كما أن الوعي الكوني يُحدث تغييراً في المظهر أو الشكل الخارجي.

وخلص "بوكيه" في دراسته التي أجراها على ستة وثلاثين شخصاً إلى مثله الأعلى في الوعي الكوني، وجعلها في الشخصية الأمريكية الشاعر "والت ويتمان"، واعتبره بحق أعلى مثل للوعي الكوني، وجعله فوق "بوذا"، "موسى"، و"يسوع".

ولعل الفارق الذي استطاع أن يكون "ويتمان" مثلاً أعلى للوعي الكوني كما يصوره "بوكيه" أنه استطاع أن يدمج وعيه الصوفي في شخصيته العادية، دون السماح له أن يسيطر ويغطي على البقية من الأمور، وهذا الأمر مكنه من أن يعيش بطريقة عادية تماماً، ويتفاعل مع الناس العاديين في الحياة اليومية، بدلاً من أن يصبح زاهداً في الحياة، ومنفصلاً عنها، ويعيش كراهب أو ناسك!!!^(١).



(١) انظر: القفزة، علم نفس الاستيقاظ الروحي، ستيف تايلور، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي، هاني جرجيس، الناشر: دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١=٢٠١٨م، ص(٩٠-٩٣).

المطلب الثالث: الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية.

انعكست التصورات الفلسفية للوعي الكوني ولا سيما في الفكر الحديث بشكل كبير على فلسفة الطاقة الكونية، ونجد لها صدىً وأثراً كبيراً في قضية تطوير الذات، وفي هذا المطلب لن أناقش أثر الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية من خلال التصورات القديمة، لأنها لا تختلف عما أصّل لها فلاسفة الفكر الشرقي القديم، وكلها تدور حول الاستيقاظ الروحي، وتحقيق النرفانا، والعيش ضمن البعد الإلهي، وتقديس العقل، ولكن نناقش أثر الوعي الكوني في تطوير الذات.

لقد انعكس مفهوم الوعي الكوني على تطوير الذات، وأصبح هو القالب الأهم في الوقت الراهن، نظراً للمجالات الكثيرة التي عنيت بتطوير الذات، وبروز مصطلحات كثيرة مثل التحرر الذاتي، والسمو الروحي، وتنمية القدرات الخارقة، وتنمية الملكات الميتافيزيقية، والتي يقصد منها تنشيط الحاسة السادسة لدى الإنسان، وكلها تؤدي إلى تجسيد الوعي الكوني بمفهومه المتجاوز، والذي يقرر أن الوعي الكوني هو وعي مدرك كل الاحتمالات الممكنة، ومخرج بعضها إلى الوجود تبعاً للمبادئ التي يضعها في الاعتبار، فهو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون^(١)، والمتأمل في حقيقة تلك المصطلحات وانعكاسها على الدورات التدريبية وتطبيقاتها في الواقع يجد أن أصلها نابع من التصورات الفلسفية.

ولقد كثرت تلك التصورات، واختلفت طرق الفلاسفة في الوصول إلى المعرفة التي من شأنها أن تساهم في تحقيق الوعي الكوني وتطوير الذات، وأصبحنا في كل يوم أمام طريقة جديدة لتحقيق ذلك الوعي، وكثيرة هي تلك الطرق، فمنها ما يتحقق بها الوعي عن طريق الانتباه، ومنها عن طريق الاستيقاظ الروحي، ومنها عبر صناعة الواقع، ومنها عبر التوكيدات اللفظية، ويمكن أن نجمل تلك الطرق في أربع طرق مهمة، تبناها رواد تطوير الذات في العالم العربي، وهذه الطرق هي على النحو التالي:

- (١) طريقة "سيدونا"، وتعرف بمدرسة التحرر.
- (٢) طريقة الـ"ترانسيرفينغ" وهي مدرسة تعتمد على التوكيدات.
- (٣) طريقة صناعة الواقع، وهي مدرسة تعتمد على تقنية التخيل والتوكيدات.
- (٤) طريقة الوعي الكلي، وهي مدرسة تهدف إلى الاستيقاظ الروحي عن طريق الانتباه. ولعلنا من خلال هذا المطلب نتعرف على هذه الطرق الرامية إلى تحقيق الوعي الكوني.

(١) انظر: المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، ص ٤٢٨.

أولاً: طريقة سيدونا:

طريقة سيدونا طريقة ابتكرها "ليستر ليفنستون - Lester Levenson" إثر مرض ألم به في عام (١٩٥٢م)، وقد أمهله الأطباء ثلاثة أشهر لكي يعيش، ولكي يغادر هذا العالم مرتاحاً قرر التخلص من جميع مشاعره السلبية التي كان يحملها تجاه الآخرين، فعاش بعدها اثنين وأربعين عاماً، بعد أن قرر العودة إلى المختبر الكامن داخل نفسه، واكتشاف بعض الأجوبة، وكان قادراً بسبب تصميمه وتركيزه على النفاذ إلى ذهنه الواعي للعثور على طريقة للعلاج من الأمراض التي يعاني منها، وما وجده هو الوسيلة المطلقة للنمو الشخصي، بمعنى أنه وجد طريقة للتحرر من كل القيود الداخلية، وخلال استخدامه لطريقته التي اكتشفها لمدة ثلاثة شهور متوالية، أصبح جسده معافى تماماً، وعلاوةً على ذلك فقد دخل في حالة من السلام العميق لم تغادره حتى وفاته عام (١٩٩٤م) (١).

وتتميز طريقة "سيدونا" بأنها أداة فعالة للتخلص من عقلية "الضحية"، فبدلاً من هدر قوانا على الآخرين، فإن طريقة "سيدونا" تشجع على التفتيش داخل النفس، والسيطرة على التجارب الخاصة في الحياة.

وتعتمد على التأمل والاسترخاء النفسي، والتركيز على الجانب الداخلي للإنسان ومراقبته، ثم تأتي مرحلة التركيز على المسألة أو المشكلة المراد حلها، ومن خلال تقنية السماح بالمشاركة مع الشعور الناتج عن تلك المشكلة يكون الكبت قد تم تحريره.

ثم تأتي المرحلة الثانية: وفي هذه المرحلة تتم الإجابة على أحد الأسئلة الثلاثة التالية:

- هل بالوسع التخلي عن هذا الشعور؟
- هل بالوسع السماح لهذا الشعور أن يكون موجوداً؟.
- هل بالوسع الترحيب بهذا الشعور؟.

وسواء كانت الإجابة بـ "نعم" أو "لا" فهي مقبولة، لأن هذه الأسئلة إنما صممت لتوجيه المتدرب إلى تجربة التخلي وإلى ممارسة التوقف عن التمسك بالمشاعر.

ثم ينتقل المتدرب إلى المرحلة الثالثة: وهي الاستعداد للتخلي، وهذه المرحلة تتضمن الإجابة على السؤال الأهم، ونصيغته هنا على لسان المتدرب الذي يسأل نفسه "هل أنا على استعداد للتخلي؟"،

(١) انظر: طريقة سيدونا: هيل دوسكين، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، الناشر "دار الخيال، بيروت، لبنان،

إذا كان الجواب "لا"، فبم طرح سؤال آخر، وهو "إلى متى سأظل بهذا الشعور"، أو "متى سأكون حرّاً؟"، وحتى لو ظل الجواب "لا" فسيتم الانتقال إلى الخطوة الرابعة، وهذه الخطوة تتضمن الإجابة على السؤال الأبسط "متى؟".

و"متى" هذه دعوة من أجل التخلي عن الشعور السلبية، وتذكر دائماً "أن التخلي هو قرار يمكنك اتخاذه في أي وقت تختار".

وكلما شعر الإنسان بالشعور السيئة والسلبية، فكل ما عليه أن يعيد تلك الخطوات الأربع، حتى يشعر بالتححرر من ذلك الشعور الخاص^(١).

هذه هي طريقة "سيدونا" باختصار، والمتأمل فيها يجد أنها مجرد وسيلة أو أداة للتغلب على المشاعر السلبية، وإذا كان الأمر كذلك؛ فما الإشكال إذأ؟.

إن منشأ الوعي الكوني بمفهومه الفلسفي إنما ينشأ من خلال الانعكاس على الذات، والبحث عن المعرفة الباطنية، بغية تحقيق التحرر النفسي من القيود الدينية وتحرير المعتقدات، وإذا ألقينا نظرة بسيطة على مصطلح "الشعور" نجدها أن نابعة عن رؤية داخلية للإنسان، وهي رؤية لا تخلو من ارتباطها بعقيدة وسلوك، وليكن ذلك الشعور السلبي "حالة وفاة" مثلاً، فمن فقد عزيزاً له لا شك أنه يمر بحالة شعور سيئة، ولكن وفق التصور الإسلامي؛ فإن التسليم لله رب العالمين والاسترجاع واحتساب الأجر والمثوبة هو الحل الأمثل لتخطي ذلك الشعور السلبي، ولذلك شرعت التعزية، وخلال ثلاثة أيام يبدأ ذلك الإنسان في مرحلة تجاوز الشعور السيء، والدخول في الأمر الواقع. بينما نجد أن الحل وفق التصور الفلسفي إنما يرد الإنسان إلى نفسه، عبر وسائل تحرير الذات، وطريقة "سيدونا" أحد هذه الوسائل، وإن كان ثمة هنالك نجاح في النهاية، فهل هذا النجاح يمكن تطبيقه على الجميع؟، النتيجة النهائية هو إما الدخول في حالة من الصراع النفسي، أو الوصول إلى جوهر التنوير الكامن في النفس، وهل كل من دخل في عملية تحرر الذات هل سيجد التنوير؟، وأي تنوير هذا!، هل يستمد مصدره من نور الوحي الإلهي، أم من مصادر المعرفة الباطنية.

وفي النهاية نحن لسنا أعداءً للعلم، والتجربة خير برهان، وقد جربها أحد رهبان البوذية^(٢)، وقد أعلنها بصراحة: "بأنها - أي سيدونا - مساهمة رائعة في مجال قبول الذات والتحول، وهي شبيهة

(١) انظر: طريقة سيدونا: هيل دوسكين، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، ص ٢٠ وما بعدها.

(٢) وهو الراهب البوذي "سيريا داس - Lama Surya Das"، مؤلف كتاب صحوة بوذا داخلنا، والتخلي عن الشخص الذي اعتدت أن تكون.

بالأنموذج الغربي، سهل المنال لتعاليم بوذا التي يمكن أن تحرر قلوبنا وعقولنا من القيود الذاتية والقصص القديمة التي نرويها لأنفسنا^(١). وإذا كان هذا الراهب البوذي قد تعلم طريقة التحرر من القيود الذاتية والقصص القديمة والتي تمثل معتقداً ذات أهمية بالنسبة له، فكيف سيكون الحال مع أتباع الديانات السماوية؟، ولن نذهب بعيداً للبحث عن إجابة، ولنعد الإجابة لرئيس مركز الكابالا اليهودية في أمريكا "يهودا بيرغ - Yehuda Berg" فقد جعل أهمية "سيدونا" كأهمية "القبلائية، فالأخيرة طريقة أساسية لتعليم القوانين الروحية الأساسية للوجود، بينما "سيدونا" طريقة لتغيير الحياة نحو الحرية العاطفية والإبداع^(٢).

ثانياً: طريقة الـ"ترانسيرفينغ".

تنسب هذه الطريقة إلى العالم الفيزيائي الروسي "فاديم زيلاند - Vadim Zeland"، وهذه الطريقة تربط بين العلم والإيزوتيريك "المعرفة الباطنية"، فتنتقل بالمتدرب من الواقع المادي إلى ما وراء الطبيعة، من واقع فضاء الاحتمالات إلى تجلي القدر، فهي طريقة لتوجيه الواقع من خلال الانعكاسات الآتية من الوجود، وتمكّن ممارستها من حرية الاختيار الواعي لخط الحياة الذي يرتضيه، وتضمن له تجلي القدر في الواقع.

طريقة الترانسيرفينغ هي طريقة تشير لنظرية العوالم المتعددة، حيث الأحداث التي تحدث في الأرض هي نتيجة لانعكاسات قادمة من العوالم الأخرى^(٣)، تماماً كنظرية المعرفة عند "أفلاطون - Plato" والتي جسدها في رمزية الكهف، حين قرر أن الوجود الواقعي ليس سوى ظل لعالم مثالي آخر، غير أن طريقة "زيلاند" تتميز بكونها ترفض التجارب الصوفية، فليس ثمة مكان لأي رؤية صوفية في هذه الطريقة، والأمر واقعي تماماً، ويصل إلى اليقين^(٤).

ومن هنا تتقاطع فكرة الترانسيرفينغ مع فكرة الكهف؛ إذ يقرر "زيلاند" أن الإنسان بأفكاره وأحداثه إنما هو عبارة عن انعكاس للعوالم الأخرى، وتلك العوالم مليئة بالاحتمالات والبدائل،

(١) انظر: طريقة سيدونا: افتتاحية الكتاب.

(٢) انظر: طريقة سيدونا: افتتاحية الكتاب.

(٣) انظر: علوم الطاقة بين الحقيقة والدجل الجزء العاشر: الاحتمالات و الترانسيرفينغ: د. فادي الكيالي، متاح على الموقع الشخصي للكاتب: "<http://fadialkayyali.com>".

(٤) انظر: ترانسيرفينغ الواقع (٣) إلى الأمام نحو الماضي: فاديم زيلاند، نقله إلى العربية: د. إحسان مخائيل إسحق، الناشر:

دار الفرق، دمشق، سوريا، ط١ = ٢٠١٨م، ص٨.

والإنسان يستطيع أن يغير طريقة حياته ويرتفع لمستوى أعلى من الوعي من خلال الدخول إلى ما سماه بـ "فضاء الاحتمالات"، وأنه يمكنه تغيير مسار حياته في كل لحظة؛ لأن الأرض هي في حقيقتها انعكاس لما في الوجود، بعدد لا يحصى من الصور.

إن ما سماه "زيلاند" بـ "فضاء الاحتمالات" هي نفس الفكرة التي نجدتها في التصوف الفلسفي "اللوح المحفوظ"، ومسجل فيه كل ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأن الإنسان متى ما استطاع الدخول إلى ذلك الفضاء، فإن القدر سيتجلى بالنسبة له؛ لأن قوة الإنسان عند وصولها لمستوى معين تصبح قادرة على صياغة حيز من فضاء الاحتمالات، بمعنى أنها تختار الاحتمال الأفضل لحياتها الخاصة من بين بقية الاحتمالات بقوة الفكر^(١).

ولما كان الإنسان بفكره وأحداثه إنما هو عبارة عن انعكاس للعوامل الأخرى، وأنه بقوة فكره يستطيع أن يجلب الاحتمال الأوفر والأفضل لحياته من بين كل الاحتمالات المتواجدة في فضاء الاحتمالات، فإن الوعي الكوني يتجلى في هذه الطريقة من خلال عدم بث الأفكار الخاطئة، والعمل على خلق الواقع المناسب، وإسقاطه على الحياة، فالإنسان هو من ينشئ واقعه سواء بوعي أو بدون وعي.

ولكي يتجلى القدر في الواقع فإن "زيلاند" يبدأ طريقته بأهمية الالتفات إلى الطاقة الحيوية، وأن العمل على الترانسفيرينغ يتطلب صحة جيدة وطاقة حيوية قوية بما يكفي، وهو بهذه الالتفاتة قصر الطريقة على أولئك الذين لديهم المهارات من التدريب المتواصل والتأمل الكوني، ويستطيعون أن يمدوا أنفسهم بالطاقة الكونية^(٢).

بجانب التسليح بالطاقة الكونية، فإن "زيلاند" يدعوا إلى أهمية وجود النية، ويفسرهما بأنها عبارة عن "تصميم مطلق يقترن مع قدر عالٍ من الطاقة الكامنة"، وبمعنى آخر؛ فالنية هي التصميم الذهني في عقل المتأمل السابح في فضاء الاحتمالات، وحين تقترن النية مع الطاقة الكونية بقوة التخيل، يتحقق في الواقع ذلك التصميم الذي كان في صورة ذهنية، وهذا الاقتران لا يحصل إلا من خلال التوافق العقلي مع الترددات الكونية^(٣)، ولذلك فإنه يقرر بأن تحقيق الاستطاعة الكامنة تحقيقاً عملياً

(١) انظر: ترانسفيرينغ الواقع: فاديم زيلاند، النسخة العربية من إصدار الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية بإشراف صلاح الراشد، الكويت، ٢٠١٧م، الفصل الأول.

(٢) انظر: ترانسفيرينغ الواقع (3): فاديم زيلاند، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحق، ص ١٣.

(٣) الترددات الكونية هي نفس نظرية الاهتزاز والتردد والذبذبة، يمكنك مراجعة النظرية في مبحث مدرسة الوجود الكوني.

في فضاء الاحتمالات لا تحدث إلا بقوة النية، ولا تظهر إلا باتحاد الروح والعقل في مساعيها. حينها تتساوى قوة النية مع قوة الطاقة الحيوية^(١).

إن طريقة "زيلاند" المعروفة بالـ "ترانسيرفينغ" هي في حقيقتها ليست إلا محاولة للتوفيق بين عدد من النظريات الفلسفية، وفي مقدمتها فلسفة المعرفة عند أفلاطون، وفلسفة العوالم المتعددة على النحو الموجود في الفكر الباطني الفلسفي، وهي دعوة تؤصل للمعرفة الباطنية، وتأثير العوالم والأفلاك والأجرام على الكون والإنسان، كما أنها تبني فكرة خلق فرض الواقع الذي يختاره الإنسان لنفسه، وإسقاطه على الحياة، وهي في حقيقتها تأصيل لفكرة حرية الإنسان في اختيار أفعاله، وأنه هو من يصنع فعله، وفلسفة "زيلاند" لا تتضمن أي تصور للعناية الإلهية، وهي العناية التي تحيط بالإنسان قبل الفعل ومع الفعل، وكل ما هنالك أن الإنسان بواسطة الطاقة الكونية المنتشرة في الكون يستطيع أن يرتقي إلى العوالم المختلفة، ومن خلال قوة النية يتم إسقاط الواقع القادم من فضاء الاحتمالات، وبواسطة اتحاد العقل مع الروح.

ثالثاً: طريقة "صناعة الواقع".

صناعة الواقع طريقة من طرق الوعي الكوني، ابتكرها "فريدريك داودسون" -، وهي طريقة تعتمد على صناعة الواقع وخلق ما يريده الإنسان من خلال استخدام الأدوات النفسية الروحية، وتتمحور حول التركيز على النية، ويمكن تحقيق هذه الطريقة من خلال ما يلي:

أولاً: التصريح عن النية بشكل واضح، مع ضرورة لفت الانتباه إلى أن التصريح بالنية لا بد وأن يصاحبه شعور بعدم الحاجة إلى تحقيق النية إلى واقع عملي، والتطبيق العملي لهذه الخطوة هو أنه حين يقوم الشخص من خلال جلسة تحضير النية بالتوجه إلى الكون وعرض النية عليه أن ينسى بعد ذلك، ولا يجعل تلك النية ملازمة له في أفكاره وخطراته؛ لأن النية وقتمذ ستتحول إلى كونها مدفوعة بالـ "إيجو - Ego"، وهي الأنا حين تحجب صفاء الوعي الداخلي، ولذلك فإن النية يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن الإيجو، وتسمح للكون بتجسيد النية إلى واقع حقيقي.

ثانياً: التحرر من النوايا المعاكسة، يقصد بالنوايا المعاكسة الشكوك والمخاوف والاحتمالات التي تتناقض مع النية، وهي تأتي تباعاً بعد التصريح عن النية، وفي أثناء جلسة التأمل يراقب الفرد الأفكار المنعكسة على ذهنه، وهذه الأفكار هي ما يعبر عنها بالنوايا المعاكسة، وأما كيفية التحرر من تلك

(١) انظر: ترانسيرفينغ الواقع (3): فاديم زيلاند، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحق، ص ٣٦.

النوايا؛ فيمكن من خلال المراقبة الواعية لخطرات النفس المتجلية على الذهن، وإذا كانت تلك الخطرات نعد نوايا معاكسة؛ فإن الاعتراف بالمشكلة هو الحل المناسب الذي يسمح بخروج المشكلة من الواقع العملي، كما أن رفض تلك النوايا من أسباب تجلّي النية وتجسدها على الواقع^(١).

ولكي تتجسد النية على الواقع؛ فإن طريقة صناعة الواقع توصي بضرورة التخيل وقراءة التوكيدات، وفي هذا السياق فإن من أهم الوسائل للحصول على الطاقة هو الخيال، ويؤكد المختصون في هذا المجال بأن من لا يستعين بخياله لصناعة الواقع فإنه يجهل القدر الكبير من علوم تطوير الذات، هذا إذا لم يكن يجهلها كلها، ولكي يستفيد الفرد من طاقة الخيال الجبّارة يجب أن يكون جسده الحقيقي هو المتفاعل معه، وهو الذي يشعر به، وليس جسداً افتراضياً يزيد الحاجة، وهذا التفاعل لن يحدث إلا من خلال الحرية الشعورية، وهي الحرية التي يشعر فيها الفرد أنه ليس بحاجة إلى طرف آخر، من شأنها أن توصل بالفرد إلى سقف المشاعر الروحانية العالية^(٢).

كما أن قراءة التوكيدات تساهم في تجلّي النية، والتوكيدات هي المعتقدات الإيجابية والبناءة، ولها تأثيرها على العقل الباطني، حيث تحيّد المعتقدات السلبية^(٣).

والتوكيدات نوعان:

منها ما هو إيجابي، مثل قول نبي الله يعقوب -عليه السلام-: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾^(٤)، وقوله أيضاً لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي﴾^(٥) ومنها ما هو سلبي، والمثال على ذلك أيضاً قول يعقوب -عليه السلام- لبنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾^(٦).

(١) انظر: تقنية صناعة الواقع: فريدريك داودسون، ترجمة: جانبوت حافظ، إشراف: صلاح الراشد، الناشر: الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية (iAPD)، الكويت، بالتعاون مع دار الراية توب للنشر والتوزيع، ط ١ = ٢٠١٧ م.

(٢) انظر: العيش الطيب: عبد الله الهاشمي، الناشر: شركة اكتشاف ذاتك، الخبر، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ٢٠١٧ م، ص (٧ - ٩).

(٣) انظر: الفراسة وقوة الحدس، قوانين النجاح العقلية: فيليكس ايشباخر، ترجمة: كامل محمد إسماعيل، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢ = ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ص ١٠٠.

(٤) سورة يوسف: الآية (٨٣).

(٥) سورة يوسف: الآية (٩٨).

(٦) سورة يوسف: الآية (١٨).

والتوكيدات السلبية دائماً أقوى، وتأثيرها أكبر، لأن النفس تميل إلى تصديقها أكثر، والتوكيدات الإيجابية لا تصمد أمام التوكيدات السلبية، كما أن الشك والاستعجال عدم الصبر من أهم الأمور التي تبطل مفعول التوكيدات^(١)، ويجب قراءة هذه التوكيدات في جلسة تأملية مريحة، وبصوت عال، وتكرار التوكيدات في الجلسة الواحدة، حتى ترسخ بشكل مؤكد في الوعي الباطني^(٢).

أمثلة للتوكيدات:

توكيدات على توسيع القدرة الانفعالية:

- ◆ انفتح على مشاعري، فهي التعبير عن كينونتي الداخلية، ودائماً على الرحب والسعة.
- ◆ أواجه مشاعري دائماً بمزيد من الإخلاص والانتباه.
- ◆ إن عقلي الباطن هو منبع الرغبة والقوة عندي، ويزداد التزامي به دائماً.

توكيدات على توسيع القدرة الذهنية:

- ◆ إنني أثق بنفسي، ولدي وعي ذاتي قوي.
- ◆ أنا مخلص لنفسي، ومنفتح دائماً في تعاملتي مع الآخرين.

توكيدات على توسيع القدرة التواصلية:

- ◆ أنا قيّم ومهم واتولى المسؤولية لبلوغ الكمال.
- ◆ اعترف بكافة طاقاتك الكامنة فيك، وأقدم لها احترامي، بحيث يمكنها الكشف عن نفسها.

توكيدات على توسيع القدرة الروحانية:

- ◆ أنا مستعد للإصغاء إلى صوتي الداخلي، وأرحب به.
- ◆ أقوم بدور تكاملي وتوحيدي، أصل ما انقطع، وأوحد ما انقسم.

(١) انظر: ما لا تعرفه عن الحياة: د. هبة يس، الناشر: دار دون للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١ = ٢٠١٩م، ص ١٥٣.

(٢) انظر: الفراسة وقوة الحدس، قوانين النجاح العقلية: فيليكس ايشباخر، ترجمة: كامل محمد إسماعيل، الناشر: مكتبة

العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢ = ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٠٠.

◆ أعيش هنا والآن، دون ماضٍ، دون مستقبل، الآن ومع كل شهقة.

توكيدات على توسيع القدرة التخاطبية:

◆ أنا منفتح على الرسائل التخاطبية، ومستعد لتلقي الإشارات غير الحسية.

◆ أقوم بإرسال رسالتي عبر القنوات التخاطبية^(١).

رابعاً: طريقة الوعي الكلي.

الوعي الكلي هي طريقة تساعد على اليقظة الروحية بواسطة الانتباه، ولئن كان التحول إلى اليقظة التامة على مدار التاريخ قد حصل لأولئك الأشخاص الذين ارتبطوا بالتقاليد الدينية والروحية، حيث تم تفسير تلك اليقظة على ضوء تلك التقاليد، فهي إن حدثت لراهب بوذي وصف ذلك التحول بأنه "تنوير"، وإن حدثت لمعلم هندوسي وصف بأنه "تحرر"، وإن حدثت لصوفي فإنه يمكن وصفه بأنه "البقاء أو الدوام في الله"، وإن حدثت لمتنك مسيحي وصفت تلك اليقظة بأنها "اتحاد مع الإله"، فإن تلك اليقظة الروحية لم تعد حكراً على طائفة معينة، وأن الاستيقاظ لا يحدث فقط للحكماء الشرقيين، و"طريقة الوعي الكلي" تهدف إلى تفسير اليقظة الروحية خارج إطار الدين، وعبر أدوات ووسائل يتم من خلالها تحقيق اليقظة الروحية^(٢).

الوعي الكلي يعني إدراك ما يحدث بصدر رحب، والتعلم من المصادفات، يأتي ذلك نتيجة الانتباه إلى الحواس، بدلاً من التعلق في الأفكار، فهي طريقة تساعد الإنسان من التحول من حالة الفعل والتفكير إلى أسلوب الحياة، بواسطة الانتباه إلى الحواس، وهذه هي الخطوة الأولى^(٣).

ثم يتم الانتقال إلى مرحلة متقدمة أكثر، في هذه المرحلة يتم التدريب على غرس البذور العشرة للوعي الكلي، وهي: **الالتزام** بممارسة التأمل اليومي، و**التعاطف** مع الصوت القادم من داخل النفس، و**الفضول** لاستكشاف العالم الداخلي بواسطة السكون، و**الشجاعة** للبقاء في اللحظة الراهنة، و**التمركز** لإدراك المعرفة الحدسية، و**التعاون** مع المعطيات القادمة من وراء الحدس،

(١) انظر: الفراسة وقوة الحدس، قوانين النجاح العقلية: فيليكس ايشباخر، ترجمة: كامل محمد إسماعيل، ص (١٠١ - ١٠٣).

(٢) انظر: الففرة: ستيف تايلور، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي، وهاني جرجيس، الناشر: دارا لخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٨م، ص ٢٤.

(٣) انظر: الوعي الكلي: ادهاليويل، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي، وكارمن الشرباصي، ص ٣٧ وما بعدها.

والإتصال مع العالم الداخلي للذات، والثقة بنتائج الوعي الكلي، والابتهاج من خلال خلق اتصال حالة من الفرح مع الحياة، والمعاودة من أجل الوصول إلى الكمال، ويجب على المتدرب أن يساهم في المحافظة على هذه البذور، والاعتناء بها^(١).

بعد ذلك تأتي مرحلة التدرب على الانتباه، وهي بدورها تساهم في ترويض الذهن، واختبار الأشياء على نحو أكثر وضوحاً، ولأن الذهن معتاد على الشرود بشدة، فإن الطريقة المثلى من أجل الوصول إلى الوعي الكلي عن طريق الانتباه، هو التدرب على إيقاع التنفس، وضرورة تخيل التنفس وهو يدخل الجسد وينفذ إلى داخله، ويخرج منه، فالتنفس هو جوهر الوجود، ويرمز إلى نهم الحياة الواعي، وتساهم على الانفتاح والتحرر، ومراقبة الأفكار والتخلص منها، والوصول نحو الكمال، "والوعي الكلي هو المفتاح الرئيسي الثابت لمعرفة الذهن، وعليه فهو نقطة الانطلاق، والأداة المثالية لتشكيل الذهن، ومن ثمّ فهو حلقة الإتصال، والتجلي السامي لحرية الذهن المحققة، وبالتالي فهو نقطة الإكتمال"^(٢).

إن طريقة الوعي الكلي عن طريق الانتباه والإيقاع التنفسي هو أداة التنوير الذي يسمح بالانفتاح على العوالم الأخرى، وهو يصل بالفرد المتأمل إلى حالة اليقظة التامة، وهي حالة ينتقل فيها إلى ما هو أبعد من الانفصال، نحو الترابط والاتحاد، والأهم هنا؛ هو أن اليقظة التامة تعني التواصل بين الجوهر الروحي للكون، وبين أعرق أجزاء الذات الإنسانية^(٣).

وعطفاً على ما سبق؛ فإن طريقة الوعي الكلي عن طريق الانتباه لتحقيق اليقظة الروحية ليست إلا تجسيداً حقيقياً للتأمل البوذي المفضي إلى تحقيق النرفانا، وقد كانت في السابق حكراً على ثلة من الرهبان والمتنسكين أرباب التصوف، إلا أن النظرة اختلفت في الفكر الحديث، ولم يعد هنالك حاجة في أن تبقى أسرار المعبد ضمن إطار السرية؛ لأنها كانت عصابة عن التفسير، بينما اليوم وفي ظل الثورة العلمية، تتم بكل سهولة وضع تلك الأسرار في إطار العلم، في خلط واضح وتلفيق متعمد بين الحقيقة والخرافة، كل ذلك من أجل جني المال عبر إقامة الدورات التدريبية وبيع الكتب والمؤلفات ضمن إطار التنمية البشرية، ورفع مستوى الوعي لدى ما وصفوه بالشعوب المتخلفة.

(١) نفس المصدر السابق: ص ٤٨ وما بعدها.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٧٨ وما بعدها.

(٣) انظر: القفزة: ستيف تايلور، ص ٧٥.

المطلب الرابع: دور الوعي الكوني في التأثير على حياة الإنسان.

الوعي الكوني هو نوع من أنواع الطاقة الخارقة التي باستطاعتها أن تخلق وتغير وتركب وتدمر المادة، وإن مفهوم الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية مفهوم مرتبط بالقوة الإلهية السارية في الكون؛ إذ يتم التوصل إلى تلك القوة من خلال الوعي الكوني، ويمكن أن نحصر مظاهر هذا التأثير وفق فلسفة الطاقة الكونية من خلال تنمية الملكات الميتافيزيقية، والقوة الخارقة للعقل الباطن، والخلق الفعال، وتحقيق التحرر الذاتي عبر التنمية البشرية.

أولاً: تنمية الملكات الميتافيزيقية:

من أهم الأمور المرتبطة بمسألة الوعي الكوني ودوره في التأثير على الحياة هو قدرة الإنسان على تنمية ملكاته الميتافيزيقية، وهي بدورها لا تحصل إلا من خلال استقطاب الطاقة الكوني، وتنشيط "الشاكرات" وتغذيتها بالطاقة الكونية، وتلك القنوات الشاكرية هي المسؤولة عن تغذية الكائن الحي بالقوة الكونية والطاقة الحيوية، ومن أهم المراكز الشاكرية مركز العين الثالثة، وتقع في جبهة الإنسان بين الحاجبين، ومن خلفها تأتي الغدة الصنوبرية، وهي منبع الحكمة وطريق الإبداع وامتلاك القدرات الخارقة^(١).

إن تنشيط شاكرات العين الثالثة يؤدي بالإنسان إلى أن يمتلك حاسة تفوق الحواس الخمس في الإدراك، وهي الحاسة السادسة، وتشمل هذه الحاسة ملكات الإنسان الداخلية "الميتافيزيقية"، مثل التخاطر، والحدس، والجلاء، والطرح الروحي، والتنويم المغناطيسي، وتأثير العقل على المادة، والعلاج الروحي، وتنشيط هذه الشاكرة باستمرار تؤدي إلى تنمية هذه الملكات الميتافيزيقية.

إن تنمية الملكات الميتافيزيقية وتفعيل الحاسة السادسة، يتضمن الوصول إلى مستويات عميقة من الوعي الكوني، كما أن التعامل مع القوة الحيوية وإدراك العوامل الغيبية والتنبؤ للمستقبل لم يكن بالنسبة إلى من يملك الملكات الميتافيزيقية شيئاً من الأمور المعقدة أو من غوامض الأمور؛ ذلك لأنهم يبقون من خلال وعيهم الكوني على اتصال دائم مع القوة الكامنة والأزلية الموجودة وراء الوجود، والمهتمون بالطاقة الكونية يقررون أن العقول البشرية تحتوي على بذور الوعي المستقبلي، وهذه البذور وردت إلى العقل من عقول أخرى، وهي تنتظر أوانها كي تنمو وتتحول إلى تعبير واع، فهي فعلاً ليست إلا ينابيع، أو منافذ تصريف لعقل كبير واحد، وهم بذلك يتفقون مع الفلاسفة حول نظرية

(١) انظر: التخاطر، ص(٢٣).

"العقل الفعال"، وفكرة كون الكائنات الحية كافة جزءاً من عضوية واعية وحيدة قديمة العهد، نجد صداها في نظرية الذاكرة الكونية وسجلات "آكاشا" التي سبق أن وضحناها في الفكر الشرقي القديم، ونجد المهتمين بالطاقة الكونية أيضاً يستشهدون في سبيل إثبات نظرية العقول المتأثرة بالعقل الكلي بمعتقد وثني قديم قدم التاريخ؛ إذ يرجعون أصل ذلك إلى ما وجدوه في المعتقدات التي كانت سائدة في الحضارة البولينية المعقدة، وهي المعتقدات التي كانت سرّاً من الأسرار، وحفظت على أيدي ما سموه بـ "الكاهونات" أو حفظة الأسرار، ودونت للمرة الأولى على يد المعلم الأمريكي "ماكس فريدم لونغ"، ووفقاً لهذه العقيدة، فإن الإنسان هو ثلوث من نفس دنيا ووسطى وعلوية، تتطابق الأولى والثانية مع عقولنا الواعية واللاواعية، بينما الثالثة ويسميه "لونغ" بالعقل الواعي الأسمى، وهي الروح الأبوية الأقدم عهداً، وتتصف بكلية الجدارة. ومعها يتحد جميع الأفراد^(١).

ثانياً: القوة الخارقة للعقل الباطن.

إذا كان للوعي الكوني دوراً مهماً في عملية تفعيل الحاسة السادسة عند أولئك المتنورين، فإنهم من جانب آخر يقررون بأن السبيل إلى ذلك هو من خلال العقل الباطن؛ فهو العالم الداخلي للإنسان، والعقل الذي بواسطته يتلاقى كل إنسان بأخيه الإنسان، ومع خالق الإنسان^(٢)، وهو يمثل قوة خارقة لأعماقه، وهو ينقسم إلى: عقل ما دون الوعي، وعقل فوق الوعي.

فما دون الوعي يحوي على الذكريات الأرضية، وهو مجال مهم في الحياة الذهنية؛ إذ يتضمن العادات والميول والطباع والغرائز والإلهام والتخيل والذاكرة، ولمن يبحثون عن السمو والتقدم الروحي الحقيقي يجدون بغيتهم من خلال التأمل العميق، ويمكن ممارسة التأمل والتفكير من خلال حركات "اليوغا"، وتمارين التنفس التي يعقبها الهدوء والسكون والانسجام.

وأما العقل الذي هو فوق الوعي، فهو القانون الطبيعي، والنفس السامية، ومركز الشعلة المقدسة في الإنسان، وهو المركز الذي يطلق مستويات عميقة من العقل والروح، وباستطاعتها أن تعكس قوانين الجسم عند الضرورة، ويشفى غير القابل للشفاء، ويتم الحصول على الإنسان الصحيح الكامل، وهذا المستوى من العقل على اتصال مباشر مع العقل الكوني، والوصول إليها يتطلب بذل

(١) انظر: النخاطر عن بعد والاستبصار؛ قوة العقل والإرادة: غاي ليون بليفر، ترجمة: عيسى سمعان، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١=١٩٩٠م، ص(٣٥-٣٦).

(٢) انظر: العقل الباطن، قوة خارقة كامنة في أعماقك، د. أحمد توفيق حجازي، ص ١٩.

المزيد من التعلم والمثابرة، والتأمل والتفكير جزء من هذا التعلم. كما أن ظهور الكرامات وخوارق العادات مرتبط بهذا المستوى من الذكاء المقدس^(١).

إن العقل الباطن يمثل قوة خارقة في أعماق الإنسان، ومن صفاته أنه يتمتع بقدرات هائلة، تجعل من ذلك العقل منطلقاً للأوامر الروحية، فهو جوهر الحياة، وخارق للطبيعة، ذا قوة عظيمة، ومجاله كوني، ولا يحده زمان ولا مكان، ويحتوي كل المعارف والأسرار الكونية، فهو باختصار الأداة التي تحقق رغبة الإنسان، فهو يحقق كل ما تضمنته التخيلات المركزة والموجهة، وهو القادر على صنع المعجزات وخوارق الأفعال والعادات^(٢).

ثالثاً: الخلق الفعال - الخلق المتعمد.

يقصد بالخلق الفعال إحداث الأمر الخارق للعادة بعد أن لم يكن موجوداً، فمن خلال العقل الباطن يتم تحديد الهدف، وانطلاقاً من الوعي الكوني الذي يرسخ قاعدة "الشبيه يأتي بالشبيه" يحصل ما يريده الفرد الواعي، فإن التركيز عن قصد هو مثابة "خلق متعمد"، والمقصود هو أن الشخص الواعي هو الخالق لتجربته الفريدة، وتحقيق النتيجة النهائية هو تحقيق التجلي^(٣).

ولتحقيق هذا التجلي فإن هنالك قاعدة ينطلق منها المختصون في الطاقة الكونية وهي أن الأفكار تجلب للشخص أموراً من الخارج، هي من ذات النوع الذي يخزنه في نفسه، ومن هنا ظهرت فكرة "الإيحاء الذاتي"، وهو يعتمد على مبدأ أن ما يتخيله العقل الواعي الظاهر "العقل الخارجي" ويتمسك به، يميل إلى أن يصبح حقيقياً^(٤).

إن فكرة "الخلق المتعمد" هي مجموعة من العمليات المتسلسلة، تبدأ أولى خطواتها من تنمية الملكات الميتافيزيقية، مروراً بقوة العقل الباطن، وانتهاءً بفكرة العقل الإلهي أو العقل الفعال أو الروح الإلهية الكامنة داخل النفس، "في داخل كل إنسان تكمن البذرة للشخص الكامل البديع المتمتع بالصحة الكاملة والحيوية والشباب الدائم"، ويرى منظرو فلسفة الطاقة الكونية أن الإنسان هو

(١) انظر: النخاطر، ص(٤٢ - ٤٥)، والعقل الباطن، قوة خارقة كامنة في أعماقك، د. أحمد توفيق حجازي، ص ٤٩.

(٢) انظر: النخاطر، ص(٤٢ - ٤٥).

(٣) انظر: الطاقة المذهلة للنية المتعمدة، استر و جيري هيكس، ص(٣٢-٣٣).

(٤) انظر: العقل الباطن، قوة خارقة كامنة في أعماقك، د. أحمد توفيق حجازي، ص ٤٩.

المدخل للعقل الإلهي المقدس الأبدي، يقول إمرسون، وهو أحد أبرز أعلام الفلسفة المتعالية: "هنالك باب لا يغلق في كل عقل، من خلاله يمر الخالق"^(١).

وبالتالي فإن مرور الخالق أو بمعنى آخر؛ مرور القوة الإلهية السارية في الكون من خلال العقل الإنساني هو بمثابة بلوغ ذلك الإنسان إلى المستوى الإلهي، وهذا لا يمكن فهمه إلا من خلال نظرية الاهتزاز والذبذبة، فالإنسان يرفع من ذبذبته ليتصل بالعالم الروحي المقدس، بينما ذلك المقدس والذي ينظر إليه إلى أنه كائن إلهي يخفض من ذبذبته وينزل إلى المستوى الأرضي، حينها يتحد العقل مع الجوهر المطلق، وتسري القوة الإلهية إلى داخل العقل وتمر من خلاله مانحةً لذلك الإنسان الكامل أو الإنسان الكوني فرصة لعملية الخلق الفعال.

رابعاً: تحقيق التحرر الذاتي عبر التنمية البشرية.

إن تحقيق التحرر الذاتي ليست إلا أثراً من آثار الوعي الكوني، فالإنسان الخالق أو الإنسان الذي وصل إلى المرتبة الإلهية، كيف له أن يبقى مقيداً في إطار الدين المنغلق، وأخلاق المجتمع، وفي الفكر الشرقي القديم، وحتى في المجتمعات الوثنية اليونانية كانت عقيدة التوحيد خاصة بأولئك المتنورين الذين يملكون سلطة الكهنة ويحفظون أسرار المعبد، فالتوحيد عندهم هو تجسيد لفكرة التوحد مع الإله، بينما الجموع الغفيرة من الناس ينقادون لعقيدة المعبد، ويعبدون أصنافاً من المعبودات، فتلك الجموع الغفيرة لم تستطع أن تحقق التوحيد؛ إذ بقيت حبيسة المادة والجسد، ولم تهناً بالسمو الروحي، وخوض تجربة مخاطبة الكائنات الإلهية، والتعم بالجلوس ضمن البعد الإلهي.

ولئن كانت التصورات القديمة ءامنت بوجود كائنات إلهية وصفتها بالقداسة، وجعلت من التحرر الذاتي وسيلة للاتحاد بها، فإن القضية اختلفت في الفكر الحديث، ولم يعد هنالك حاجة لإله!، فالإنسان هو الذي يصنع ويدبر أمر نفسه، وجاء التفسير المادي للتاريخ وتحديداً عند "هيغل"، و"ماركس" لتحطم كل القيود الدينية والأخلاقية، من أجل تحقيق التنمية البشرية، فالإنسان في الفكر الحديث أصبح كائناً إلهياً، ولم يعد هنالك حاجة لأن يكون منقاداً لدين أو أخلاق، فالدين هو تمام الأخلاق، وليس طقوساً وشعائر يلتزم بها الفرد، ويكفيه في عملية التدين أن يحمل فكراً يؤدي لتحقيق المحبة الإنسانية، والأخوة العالمية، فالعالم من وجهة نظر فلاسفة الفكر الحديث والمهتمين

(١) انظر: الحاسة السادسة، رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، ص ١٤٨.

بفلسفة الطاقة الكونية بحاجة إلى ديانة عالمية تكفل لجميع أفرادها مبدأ الحرية، وقداسة العقل، وعدم التسلط الكهنوتي من رجال الدين لأفراد المجتمع.

ختاماً؛ فإن تصورات الفلاسفة الفكرية للوعي الكوني يدور حول فكرة أن العقل سابق على المادة ومؤثر فيها، ولما كان العقل أو الفكر سابق على المادة؛ فإن هذا يعني خضوع المادة للعقل، وأن العقل هو الذي يدبر الكون، وهو المصدر المعلوماتي الأعلى وراء نشأة الكون، فهذا العقل أشبه ما يكون بالذاكرة الكونية التي تجمع كل المعلومات المتعلقة بالكائنات الحية، ومن هنا ظهرت فكرة تأثير الكائنات غير البشرية على البشر، ومنها على سبيل المثال ما نجده في الفكر الشرقي القديم حين يتوجه الإنسان الكوني الذي يملك القدرات العلاجية إلى الأشجار أو الأحجار لاستجلاب الطاقة الحيوية منها، ومناداة تلك الكائنات بعبارات الابتهالات والتوسل.

وعليه فإن التصور الفلسفي لواقع الوعي الكوني لا يحمل في مضامينه أي تصور للعناية الإلهية، وقضية إعانة الله للعبد قبل الفعل ومع الفعل لن نجد لها أي صدى أو تأثير وفق هذا التصور، كما أنه يطلب من الإنسان الاندماج مع الكون، والمشاركة في خلق الكون من خلال الاتصال بالعقل الفعال، وبالتالي فإن المسلك الفلسفي للوعي الكوني مبدأ أزلية الروح، وأن الخلود الحقيقي للكائنات البشرية هو من خلال إدراكها للوعي الكوني، والفناء بالروح عن الجسد للعيش في البعد الإلهي!، والتكريم بالحديث مع الكائنات الإلهية، حينها يمكن لتلك الكائنات أن تنعم بالعيش مع الجوهر الكلي المطلق، والاتحاد به، والسبيل إلى ذلك يكمن من خلال استتراق العوالم الغيبية بما فيها المسلك الروحي، وخوض تجربة روحية من خلال ممارسة التطبيقات الروحية المعززة لمبدأ التحرر الذاتي من حالة الوعي المشروط إلى حالة الوعي غير المشروط، وبمعنى آخر؛ فإن التصور الفلسفي للوعي الكوني يكفل مبدأ حرية الذات، وتلك الحرية حين تكون مرتبطة بالدين والأخلاق النابع - بحسب ما يطلقون عليه - من "الأديان المغلقة" أو "الأديان الشعائرية" فإن تلك الحرية تظل جامدة، ولا تحقق المعنى الحقيقي من التحرر الذاتي، لأن المرء حين ينعكس على ذاته وينطلق منها حينها يجد التدين الصحيح وهو التدين الذي يمكن أن نختزله في إطار " المحبة الإنسانية"، والأخلاق الصحيحة بدورها تأتي تبعاً في إطار " النية المتعمدة"، أو بحسب ما يطلقون عليه "عملية الخلق الفعال"، والتي تسمح بقبول الأخوة الإنسانية، والمشاركة مع الكون في عملية التسامح وإرساء دعائم السلام والوئام مع كل الكائنات التي تتشارك مع الإنسان خلق هذا الكون الفسيح.

إن التصور الفلسفي للوعي الكوني يزعم أنه يعلّي من قيمة الإنسان حين يرده إلى ذاته، ليتلقى المعرفة منها، وإن قيمة الإنسان الحقيقية حين يدرك بوعيه أنه كائن مكرم، وأن الكون مسخر له، فهو لا يحتاج إلى عملية الاندماج مع الكون، والمشاركة فيه للخلق والتدبير، وإذا كانت كل الكائنات البشرية وصلت إلى تلك المرحلة، فمن يدبر من؟!، بل الأدهى والأمر أن وصلت بعض التصورات الفلسفية في الجانب الروحي أن الكائنات الروحية هي من تدبر الكون، وترشد الإنسان إلى التنوير والمعرفة!، ويظل الجانب الأدنى من التصور الفلسفي للوعي الكوني أن تظل الجموع الغفيرة من الكائنات البشرية التي لم تصل إلى مرحلة الاندماج والتدبر والخلق تحت رحمة ذلك الإنسان المدبر، يدبر أمرها بعقله القاصر؛ ذلك لأنه ضل عن نور الوحي الإلهي، والمعرفة أي معرفة كانت إذا لم تكن مستنيرة بنور الوحي الإلهي فهي معرفة لن تقدم للبشرية إلا التيه في مسالك الوهم، والضياع في دهاليز الظلام.

الفصل الثالث

تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية

وفيه تمهيد ، وخمسة مباحث:

- ❖ المبحث الأول: تطبيقات التأمل الكوني.
- ❖ المبحث الثاني: تطبيقات التواصل مع الأرواح والعوالم الغيبية.
- ❖ المبحث الثالث: تطبيقات تطوير الذات.
- ❖ المبحث الرابع: تطبيقات الاستشفاء والعلاج.
- ❖ المبحث الخامس: تطبيقات الوعي الكوني.



تمهيداً

تعتبر تطبيقات الطاقة الكونية هي الجانب الفعلي والممارسة العملية لمفاهيم تلك الفلسفة والتي تتمحور حول الاعتقاد بوجود قوة غيبية سارية في الكون، والوصول إلى هذه القوة مهم في نظر الممارسين لها؛ كونها تعتبر مصدراً مهماً للمعرفة الباطنية، كما أن الوصول إلى تلك المعرفة تتطلب تأهيلاً شاملاً للوعي الإنساني، وتكريس العقل الباطن للخروج من رتبة الإنسان العادي إلى رتبة الإنسان الكوني، وهي مرتبة يبذل فيها طالب المعرفة الباطنية جهداً مضمياً يصل إلى الفناء بالروح بعيداً عن الجسد المادي، وكل تلك المراحل مليئة بالتطبيقات والممارسات العملية التي من شأنها أن تروض الإنسان الكوني، وتأخذ به إلى نهاية الاتحاد بالقوة الغيبية السارية في الكون.

وإن المتأمل في تلك التطبيقات ليدرك أنها ليست على وتيرة واحدة، أو نمط معين، وإنما هي مناهج مختلفة وطرق شتى، كلها تؤدي إلى هدف واحد، وهو الاتحاد بالجواهر الكلي. والذي يبحث عن الطاقة الكونية، ويريد أن يصل إلى المعرفة الباطنية عليه أن يخوض جملة من التطبيقات والممارسات الفعلية، بدءاً من تطبيقات التطهر الروحي وممارسة الطقوس التأملية، وهناك تطبيقات أخرى يقصد من الممارسة عليها الوصول إلى الظواهر الخارقة، سواء كانت تلك الظواهر علاجية أو قتالية. كما أن هنالك تطبيقات أخرى متعلقة بالوعي الإنساني، ويقصد منها أن يكون الإنسان على اتصال مباشر بالمدير الكوني، أو ما يعرف عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام بالعقل الفعال.

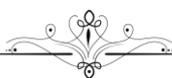
هذه التطبيقات هي في حقيقتها ليست إلا طقوساً وشعائر قامت على أنقاض النتاج الفكري الفلسفي، وهو نتاج قائم ليسد الحالة الدينية في المجتمعات البدائية حين نأت بنفسها عن سلوك طريق الوحي الإلهي والفترة السليمة، وقد كانت في فترة سابقة سراً من أسرار المعبد؛ لفقدانها الأهلية العلمية والبراهين القطعية على صحتها، وحين ظهرت الثورة العلمية بدأت تنفشى تلك التطبيقات، وتنتشر تحت ستار العلم وبمسميات مختلفة؛ إلا أنها لا تكاد تخرج عن جوهرها وتأصيلها لمبدأ قداسة العوالم الغيبية وتأليهاها، وأن المعرفة لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال استطراق ذلك العالم، وأن الإنسان جزء من العالم الإلهي، وقليل من يصل إلى ذلك العالم، بفضل الوعي الكوني والاستنارة الداخلية للذات الإنسانية، نشاهد ذلك بوضوح من خلال دراستنا لتطبيقات الطاقة الكونية.

المبحث الأول

تطبيقات التأمل الكوني

وفيه مطلبان:

- * **المطلب الأول:** تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الشرقي القديم
 - التأمل الكوني المفضي إلى التحرر الروحاني وفق الفلسفة الهندوسية.
 - التأمل الكوني المفضي إلى التحرر النفسي وفق الطريقة البوذية.
- * **المطلب الثاني:** تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الباطني الحديث.
 - التأمل التجاوزي عند مهاريشي يوجي.
 - تأمل القلبين المفتوحين عند "تشوا كوك سوي".
 - التأمل عند أوشو.



المبحث الأول

تطبيقات التأمل الكوني



وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الشرقي القديم.

في كل الفلسفات والديانات الوضعية التي ظهرت في الهند خصوصاً، وفي الفكر الشرقي القديم عموماً؛ فإن التأمل الكوني ظل هو التطبيق الأهم لتفسير مكونات الدين والفلسفة على الأمر الواقع، ولئن كانت الفلسفة الهندية القديمة قد جاءت لتؤصل قضية جوهر النفس وطهارتها، كي تتحد مع الروح الجوهرية "الأتمن"، وطهارة النفس هذه مرتبطة بفلسفة الشاكرات، وفلسفة الشاكرات هي تفسير عملي لتصور الطاقة الكونية وانعكاسها على الجسد، وبالتالي فإن تلك الشاكرات لا يمكن تغذيتها بالطاقة الكونية إلا من خلال ممارسة التأمل الكوني المفضي إلى التحرر الروحاني.

ومن هنا ظهرت أهمية التأمل في أغلب التصورات الفلسفية الهندية القديمة، وفي مقدمتها طرق التحرر الروحاني الأربعة وفق الديانة الهندوسية، وطريقة التأمل البوذي الذي أضحى علامة فارقة لدى الممارسين للتأمل، كونها تساعد المتأمل على التحرر النفسي، وانعكست تلك المناهج في الفكر الحديث، وظهرت مناهج أخرى لدى المهتمين بتطوير الذات، والمعالجين الروحانيين، حتى أصبح التأمل الكوني بكافة مناهجه أسلوب حياة، ورسالة سلام لدى المهتمين بفلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها، وهي في حقيقتها ليست إلا محاولة لإعادة إحياء التراث الفلسفي القديم.

وإن من تطبيقات التأمل الكوني المهمة والتي تجسد فلسفة الطاقة الكونية في تطبيق عملي هو تطبيقات التأمل وفق الفلسفات القديمة، ومنها:

أولاً: التأمل الكوني المفضي إلى التحرر الروحاني وفق الفلسفة الهندية:

بحسب الفلسفة الهندية؛ فإن للتأمل الكوني دور مهم في التحرر الروحاني، بل يكاد يكون التأمل الوسيلة الأنجح، والطريقة العملية لتفسير مبادئ الفلسفة الهندية، والتي تنص على ضرورة الهروب من الحياة، والتحرر والانعقاد من المادة، إلى الاتحاد مع الـ"براهما"، خشية تكرار المولد، وتناسخ الأرواح،

وانطلاقاً من هذه المبادئ فإن طرق التحرر الروحاني في الفلسفة الهندية يمكن فهمها من خلال المناهج المعتبرة لديهم، وهذه المناهج ليست إلا تكريس لتطبيق التأمل، وتتجلى في التأمل اليوغي، والتأمل وفق منهج الـ"نانترا"، وهذين المنهجين يقدمان صورة متكاملة للممارسة الروحانية الهندوسية.

• أولاً: تطبيق التأمل اليوغي.

تعتبر اليوغا من أهم مكونات الدين الهندوسي، فهي تقدم بحسب المعتقد الهندوسي نظرة شمولية تتضمن تحقيق طريق الكمال، وفلسفة شاملة للحياة، وتجسيد للطقوس والشعائر الدينية، وقاعدة مهمة للاستشفاء والمعالجة، وبالتالي فهي وسيلة وليست غاية في الفكر الفلسفي الهندي.

وبحسب فلاسفة اليوغا فإن الإنسان يصل إلى المعرفة عبر طريقين:

الطريقة الأولى: معرفة الكون والبشر والكائنات والتاريخ والأفكار، ومصدرها خارجي، تأتي عن طريق العلم والدراسة.

الطريقة الثانية: معرفة الذات والنفس، ومصدرها داخلي، وهي معرفة تنبع من التأمل والتفكير^(١).

والمنهج اليوغي يهدف إلى إحداث معجزة في الذات، من أجل الوصول إلى المعرفة الذاتية، وتحقيق التحول، أو التجديد، أو الولادة الثانية، يحدث ذلك من خلال ربط الجسد مع الروح، وإخضاع الذات لقانون التناغم والانسجام، وإيجاد حل للصراع الأبدي بين الثنائيات الكونية، فاليوغا وجدت لتلغي البعد الفاصل بين تلك الثنائيات، فلا نور ولا ظلمة، ولا قوة ولا ضعف، ولا روح ولا جسد، والتأمل اليوغي يضمن إلغاء ذلك البعد، وتحقيقه في قوة واحدة متجسدة، هي القوة الكونية المقدسة^(٢).

إن التأمل اليوغي هو طريق التحرر الروحاني المعترف بها على نحو شامل، وتقدم صورة متكاملة للممارسة الروحانية تنحصر في أربعة صور، وهي:

- (١) طريق العمل الإيثاري غير الأناني، كخدمة الإله، وتسمى "كارما يوغا".
- (٢) طريق بلوغ المعرفة الماورائية "الغيبية" من خلال التأمل الفلسفي، وتسمى "جنانا يوغا".
- (٣) طريق العبادة والانقطاع للرب من خلال المحبة الربانية، وتسمى "بهاكتي يوغا".

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية، غطاس الحكيم، ص(٢٩٦).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص(٣-١١).

٤) طريق كلي شمولي يجمع الطرق الثلاث السابقة، ويسمى "راجا يوغا"^(١). ولليوغا تطبيقات كثيرة جداً، وهي على أنواع مختلفة، والمتدرب بحسب المنهج اليوغي يبدأ أولاً بتحسين الصعيد الخلقى لنفسه، ثم يرتقي إلى تحسين الصعيد الجسدي والنفسي، ثم يرتقي إلى الصعيد الفكري والنفسي، وفي كل مرحلة يمر بمجموعة من التطبيقات التي تساهم على التحسين، وكلها تهدف إلى الوصول إلى التأمل، وسر التقدم الروحي، فيرتقي المتدرب من المستوى الأول إلى أن يصل إلى المستوى الثامن، وكل مستوى مترابط بالمستوى الذي قبله، ويشكل جزء منه، لتشكل جميع المستويات في نهاية الأمر درجات اليوغا الثمانية التي تؤلف معبد اليوغا المقدس^(٢).

- تطبيق عملي لليوغا.

هنالك العديد من التطبيقات، وتلك التطبيقات تؤدي من خلال عملية التأمل، وبالرغم من كثرة التطبيقات، فقد اخترت تطبيق الـ "براناياما" لتعلقه المباشر بفلسفة الطاقة الكونية، بل هو تجسيد للطاقة الكونية، وتغذية القنوات الشاكرية بتلك الطاقة المقدسة.

يعتمد تطبيق الـ "براناياما" على التنفس، ومن خلال التنفس الواعي، والتنفس العميق يصل المتدرب إلى حالة التنفس الموزون، ليحقق بذلك الإيقاع التنفسي، مستخدماً التعويذة الأشهر في الفلسفة الهندية "أوم_Om_ ॐ"، وترديدها يمنح قوة وارتياحاً عظيمين، فالتعويذة ترمز إلى "الله". في البداية يجلس المتأمل جلسة اللوتس، وهي جلسة خاصة بالتأمل، تضمن أن يكون العامود الفقري الذي تنشط حوله القنوات الشاكرية أن يكون مستقيماً، وبالتالي فإن تلك القنوات تكون على هيئة الاستعداد، لأن الهدف من التطبيق هو الوصول إلى القوة الحياتية المحركة، والتحكم فيها يعطي المتدرب القدرة على السيطرة على جميع موجودات الكون.

يأخذ المتدرب شهيقاً لمدة (٢ - ٣) ثوان، مردداً نصف التعويذة "أو - O"، ويتخيل أن القوة الحياتية المحركة قد دخلت إلى القناة القطبية الإيجابية "بنغالاً+".

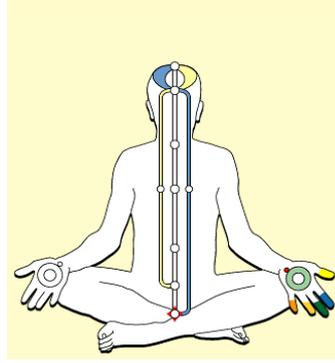
يحتفظ بالنفس لمدة (٨ - ١٢) ثانية.

ثم يخرج النفس عبر الزفير من (٤ - ٦) ثوان مردداً النصف الآخر من التعويذة "م - M"، ويتخيل أن خروج الطاقة السلبية من القناة القطبية السلبية "إدأ-".

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي، ومرداد مسعودي، ص(٢٠٩-٢١٠).

(٢) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية، غطاس الحكيم، ص(٣٦-٣٧).

ثم يتوقف من (٤ - ٦) ثوان، ثم يعيد التجربة مرة أخرى^(١).



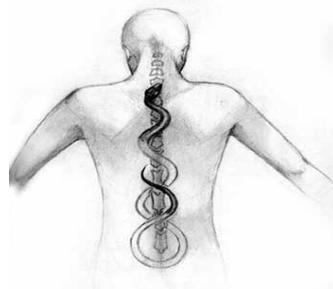
وضعية اللوتس الخاصة بالتأمل، ويظهر القناة القلبية المنثفة حول العمود الفقري

● ثانياً: تطبيق التأمل التان تري.

بجانب ما سبق؛ فإن ثمة سبيل هام آخر إلى الحقيقة في الديانة الهندوسية، وهي فلسفة "تانترا"، وتعنى "ذلك الذي تنشر به المعرفة"، وتميل فلسفة "تانترا" إلى التشديد على علاقة المعلم بالتلميذ، ليكرس حياته ضمن السلالة الروحانية، وتلاوة المانترات، وهي الصيغ أو التعويذات المقدسة، ويوحد ممارسو الـ"تانترا" بصفة عامة بين أساليب التأمل، وينتمون إلى آلهة معينة كجانب من إيمانهم بالحقيقة المطلقة النهائية، وفي الغالب يتم التوحد مع آلهة الدمار "شيفا"، وذلك من أجل اكتساب القوة الكونية التي يمثلها الإله.

وقد تطورت أشكال مختلفة من اليوغا استناداً إلى مبادئ الـ"تانترا"، بهدف إيقاظ الطاقات النفسية الراكدة وتسخيرها، ومن أهم هذه الطاقات التي يتم إيقاظها؛ "طاقة الكونداليني"، وهي طاقة بحسب فلسفة الشاكرات يعتقد أنها كامنة وملتفة حول أسفل العمود الفقري، وهدف هذه الممارسات اليوغية الباطنية هو تحويل الطاقة الساكنة الداخلية لتكون وسيلة للتطور الروحاني^(٢).

- تطبيق عملي للتأمل التان تري - تطبيق إيقاظ الأفعى الكوندالينية.



رسم تخيلي لأفعى الكونداليني

(١) انظر: نفس المصدر السابق، ص(١٩٨ وما بعدها، ٢١٤ وما بعدها).

(٢) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروني، ومرداد مسعودي، ص(٢٠٩-٢١٠).

يتم هذا التطبيق عبر التأمل الكوني، ويهدف إلى أمرين:

أولاً: إيقاظ القوى النفسية والجسدية الكامنة أسفل العامود الفقري، وهي موجودة في كل جسد، وإيقاظ هذه الطاقة يعني القدرة على السيطرة على قوى الطبيعة.

ثانياً: الوصول إلى مرحلة تأليه الإنسان، وتجسيد الإله، والنقطة الأخيرة مبنية من معتقد أن "الآلهة تسكن بين البشر، وتعيش معهم، وتقتات الخبز والزيت والنبيد!!!"^(١).

ولتطبيق إيقاظ الأفعى الكوندالينية لا بد من توفر ثلاثة عناصر رئيسية وهي:

أولاً: الرؤية الداخلية للفرد حول الكون والوجود وحقيقة الإله.

ثانياً: التجربة الصوفية التي مر بها الفرد.

ثالثاً: المعرفة التي تستند على التجارب التي مر بها الفيلسوف أو كبار المتنسكين.

هذه العناصر الثلاثة تمثل ثلاثة محاور أساسية لإيقاظ الأفعى الكوندالينية وهي: المعتقد والسلوك والمعرفة الباطنية، وللوصول إلى هذه المحاور الرئيسية يتطلب من الفرد أن يمارس الرياضات التأملية، وتلاوة التعويذات والصيغ المقدسة "المانترا" ومنها صيغة: "اهام - ساه. سو - اهام"، وتعني "أنا هو، وهو أنا"^(٢)، وهذه الصيغ المقدسة تقرأ من خلال ممارسة نوع معين من أنواع اليوجا، وهي "يوجا الكوندالينية"، تشبه هيئة سجود المسلم في صلاته، وهي بدورها تساهم في دخول الفرد في حالة من حالات الخلو الروحية والتحرر من الجسد والسفر نحو عالم الأرواح لتحصيل المعرفة وفيضاتها على النفس، لأن النفس كلما اقتربت من الأرض، كلما كان ذلك مفيداً لتنشيط الأفعى الكوندالينية الراكدة أسفل العامود الفقري، فهي مركز الاتصال مع الأرض، وتتغذى من الأرض!^(٣).

(١) انظر: أعمدة اليوغا الثمانية، غطاس الحكيم، ص(٢٨).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص(٣٠).

(٣) انظر: شفرة الكون، تقنيات وإرشادات في مجال الطاقة الكونية والاستشفاء الذاتي: أمل الشريف، الناشر: دار يسيطرون

للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، جمهورية مصر العربية، ط ١ = ٢٠١٥م، ص (٥٧-٥٨).

ثانياً: التأمل الكوني المفضي إلى التحرر النفسي وفق الطريقة البوذية^(١):

كلمة "بوذا" تعني المستيقظ أو المستنير، وهذا يعني أن البوذية هي في جوهرها قائمة على تحقيق اليقظة، وهذه اليقظة لن تأتي إلا من خلال سلوك الطريق ذو الشعب الثمانية، وهي تمثل جوهر البوذية، ويمكن النظر إليها من خلال المبادئ الثلاث الرئيسية للبوذية، وهي: الإصرار على التحرر أولاً، ووجود رغبة صادقة لبلوغ الاستنارة من أجل نفع الجميع ثانياً، وإدراك حكمة الواقع ثالثاً^(٢). هذه المبادئ الثلاث تشكل خطوة أولى لإدراك الإشراق الروحي، والإيمان بهذه المبادئ الثلاث تعتبر واجباً بوذاً تؤدي ضمن الطقوس الدينية وتسمى "تيسارانانا"، وتعني اللجوء إلى الملاذات الثلاثة، وهي:

(١) "بوذا" والاعتراف به كمنبع للحكمة والإشراق الروحاني،

(٢) القانون الطبيعي "دهارما" بصفته المرشد إلى تعاليم "بوذا" الموصلة إلى الـ"نيرفانا".

(٣) الملتزمون بتعاليم "بوذا" من الرهبان^(٣).

وعطفاً على ما سبق فإن جوهر البوذية قائمة على تحقيق التحرر، وبلوغ الاستنارة، وإدراك حكمة الواقع، وهي بدورها لا يمكن أن تأتي هكذا وبدون مقدمات، بل لابد وأن يبذل الفرد البوذي جهده من أجل الوصول إلى الجوهر، والطريقة العملية التي يمكن أن تحقق بلوغ الجوهر تكمن من خلال ممارسة التأمل، فالتأمل تحتل مكانة محورية وأساسية في الممارسة البوذية، وهي استراتيجية أساسية تجعل المرء قادر على تنفيذ ما يريده لنفسه^(٤).

وإذا كان إدراك الجوهر الأساسي للبوذية تكمن من خلال التأمل، فما هي طبيعة هذا التأمل؟ أدرك "بوذا" أن التأمل الذي كان سائداً في عهده لا يساهم في إدراك الحقائق، بل هو مجرد نوع من تعذيب الذات من خلال الصيام، وكبت الشهوات، والاقتراب إلى إماتة الجسد، فقرر ترك هذا

(١) في الفصل الثاني من هذه الرسالة، وتحديداً في مبحث مدرسة الوعي الكوني، تحدثنا عن الوعي الكلي، وهو الوعي الذي يتم من خلال الانتباه، وقد ذكرنا أنه تجسيد للتأمل البوذي، وهذا التطبيق يعزز من ذلك الوعي.

(٢) انظر: البوذية للمبتدئين: للمعلمة توبتين تشودرون، ترجمة: يشي بالدرون، المبادرة العربية للترجمة، ص(١٤).

(٣) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروني ومرداد مسعودي، ص٢٤٤.

(٤) انظر: البوذية: داميان كيون، ترجمة: صافية مختار، مراجعة: هاني فتحي سليمان، الناشر مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة،

ط١=٢٠١٦، ص١٤.

النوع من التأمل، وأوجد طريقاً وسطياً يساهم في تحقيق التوازن بين التقشف والانغماس في الشهوات^(١).

إذاً فالتأمل البوذي يفترق عن التأمل الهندي بكونه يجانب طريق تعذيب الذات ونكرانه، ويتميز بكونه "باعثاً على الهدوء والتأمل"، فالتأمل البوذي هو تأمل صامت، يعتمد كلياً على الانتباه ومراقبة الوعي.

وإذا كان التأمل البوذي مؤسساً على الانتباه ومراقبة الوعي، فإن هذا التأمل يرسخ على مراقبة الجسد، والمشاعر، والذهن، وموضوعات الذهن، وهذا يتطلب من المتأمل أن يتخلى عن كل توق للحياة، أو النفور منها، كما يتطلب منه التخلي عن الأناية والمصلحة الشخصية والكراهية؛ إذ لا بد للذهن أن يكون هادئاً في سلام، ليرى موضوعات الذهن بصفاء وعمق^(٢).

- تطبيق عملي للتأمل البوذي.



رسم تخيلي لـ"سيدهارتا غوتاما - بوذا" وهو مستغرق في التأمل الصامت

تبدأ جلسة التأمل من منطلق مراقبة الجسد، فيبدأ المتأمل بتوسيع نطاق الوعي حيث صعود وهبوط التنفس ثم كل أجزاء الجسم، فيلاحظ المتأمل كل إحساس في الجسم مثل الوخز، والآلام، والوجع، والحك، والنبض، والرغبة في التحرك، وفعل أي حركة، وحك الجلد. يجب ألا يستجيب المتأمل لأي من هذه المثيرات؛ لأن الهدف ملاحظة كيف تظهر الأحاسيس ثم تزول من الجسم بمنتهى الانتباه بدون ردّ فعل بالطريقة العادية شبه التلقائية مثل التحرك.

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ترجمة: نصير فليح، ص ١٤٩.

والنتيجة من خلال المراقبة السابقة تظهر بشكل تدريجيّ، من شأنها أن يدرك المتأمل أن الإنسان حرٌّ في الاختيار، وفي رد فعله تجاه أي موقف من المواقف، بصرف النظر عن طرق استثارته. وبهذه الطريقة يفهم أن سيطرة العادات المتأصلة في حياته منذ وقتٍ طويلٍ والدوافع القهرية زائلة وغير حقيقية، ويمكن أن تحل محلها الإحساس بالحرية. وهذا التحليل تدريجيّاً يمتد ويشمل كلّ الجسم، وسيحمل المتأمل عقله مثل المشروط الذي يحمله الجراح ليُشرح الجسم. ومن هذا الوعي يدرك أن الجسم فقط مجرد تركيبة مؤقتة تتكون من مجموعة من العظام ومجموعة من الأعصاب والأنسجة، وليس هناك بالتأكيد شيئاً يستحق التعلق المفرط أو التمسك به بشكل جنوني.

بعد ذلك ينتقل إلى مراقبة المشاعر، التي تراود المرء، ولا يهم إن كانت تلك المشاعر جميلة أو بغیضة عند ظهورها وذهاها. وهذا الأمر يقوي من إدراك عدم الديمومة، ويؤدّي إلى معرفة أن الأمور التي تبدو لصيقةً مثل عواطفنا عبارة عن حالات عابرة تأتي ولا تلبث أن ترحل.

ثم ينتقل إلى مرحلة مراقبة الذهن، يلاحظ المتأمل أن حالته المزاجية لا تختلف عن الحالة السائدة، وأن التقلبات مستمرة، وهذا النوع من الوعي يؤدي إلى عدم التسرع في اتخاذ القرارات، لأن الذهن إن كان في حالة استجابة فإنه سيقدر ذلك من تلقاء نفسه، ويمضي الإنسان قدماً في تحقيق تلك الاستجابة، بينما إن كان في حالة عكسية، فالنتيجة ستكون عكسية، ولن يفرض الإنسان على ذهنه شيئاً لم يستجب له.

وفي النهاية يذهب المتأمل إلى مراقبة موضوعات الذهن، فيتأمل فيض الأفكار الذي يجول في خاطره. ويقاوم المتأمل الرغبة في الاستغراق في التخيل، وفي بناء أحلام اليقظة، لأنه أمرٌ حتمي الحدوث. وبدلاً من ذلك لابد من التجرد التام من الأفكار والصور، فهي لا تخلو من كونها مثل الشُحْب التي تمر بين السماء والزمراء، فتتركها صافية، أو مثل الفقاقيع التي تطفو في الماء عند الشرب من سطح الكوب^(١).

هذا هو التأمل الكوني البوذي الصامت، والذي يعتمد على الانتباه والمراقبة، وهو تأمل يبعث على الهدوء سكون النفس، بعيداً عن التأمل المتبع في الفلسفة الفيديّة الهنديّة الذي يركز على ضرورة التخلي عن الجسد والمادة من خلال تعذيب الجسد ونكرانه، ولقد تم تطوير التأمل البوذي، واستحداث وسائل تساهم على أداء التأمل الصامت منها ما يعرف بالتأمل على تمثال بوذا، وهو الشائع والمنتشر في المجتمعات البوذية، ومشاهدة تمثال بوذا على جانب الطريق من السمات التي

(١) انظر: البوذية: داميان كيون، ترجمة: صفية مختار، ص ١٤٤.

تتميز بها تلك المجتمعات، لأن البوذية هي في حقيقتها دعوة لممارسة التأمل، وأما المبتدئين فيمكنهم ممارسة التأمل عبر ما يعرف بالماندالا، وهي صورة لتصميم هندسي، الهدف منها مساعدة الفرد المتأمل على قوة التخيل والتركيز، وتساعد على إيجاد التوازن الداخلي للنفس، وبشكل عام فإن تلك التصاميم الهندسية هي تخیلات تصور أيقونات دينية إلهية، أو تجسيد لشخصيات أسطورية تتصف بصفات إلهية، وكل منها يرمز لقوة معينة في حياة الفرد المتأمل، كما أن الأطفال الصغار يمكنهم تطبيق التأمل من خلال الماندالات، ويظهر ذلك من خلال كراريس الرسم والتلوين^(١).



نماذج للماندالات التي تساهم على التأمل الصامت



(١) أفادني بذلك أحد الرهبان الهندوس أثناء رحلتي إلى الهند.

المطلب الثاني: تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الفلسفي الحديث.

لقد كان التأمل الكوني في الفلسفات الشرقية ركيزة أساسية، ومدخلاً مهماً لفهم العالم الروحي والعالم الميتافيزيقي، ومن هنا كان التأمل هو التفسير العملي لمبادئ الفلسفات الشرقية، وتعاليمها الدينية، ويظل التأمل بطقوسه وتعاليمه الشعيرة الأهم التي تدل على اتحاد الجسد بالروح، واتحاد الذات بالجوهر السامي.

ولقد انعكس التأمل الكوني بما فيه من تعاليم دينية ومبادئ فلسفية على الفكر الفلسفي الحديث، وأضحى تطبيق التأمل الكوني تطبيقاً مهماً عند منظري التنمية البشرية، والمهتمين بتطوير الذات. وأصبح التأمل القديم الذي كان يؤدي ضمن الإطار الطقوسي الشعائري علماً تجريبياً، تبنته جامعات عالمية مرموقة، وأجريت العديد من الأبحاث والدراسات في سبيل تطير التأمل القديم ضمن الإطار العلمي، وبمسميات مختلفة، وتقنيات يتم الترويج له ضمن الدورات التدريبية، وبرامج تطوير الذات.

ومن هذه التقنيات:

• أولاً: تقنية التأمل التجاوزي.

ظهرت تقنية التأمل التجاوزي على يد الراهب الهندوسي "ماهيش يوغني مهاريشي"، وهو راهب عاش في الهند أولاً، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية في سبيل نشر مذهبه الجديد، والذي يهدف إلى تحقيق حلم الفلاسفة في إيجاد المجتمع المثالي، وأن زعيمها يمكنه التحكم في الظواهر الطبيعية حسب ما يريد، بجانب عمله على تذليل العقبات أمام التحرر من المعتقدات والأخلاق، حتى أضحت فلسفته قائمة على الذات، وتأليه الإنسان ليحل محل الإله، وأن ذلك الإنسان إنما يستمد المعرفة من خلال ذاته، ولتحل المعرفة الذاتية محل المعرفة الآتية من الوحي وعن طريق الأنبياء والرسول. فكانت فلسفته إنما هي إعادة لإحياء الفكر الباطني الغنوصي، واعتماد على الأساطير، وكانت النتيجة أنه قدم تصوراً فلسفياً هو في حقيقته عبارة عن شذرات من علم النفس ومبادئ اليوجا، والنظم الأكاديمية، وشطحات التصوف الهندي^(١).

وجاءت تقنية التأمل التجاوزي كأهم منتج من منتجات فلسفته؛ وهي تقنية تهدف إلى تهدئة الحركة الفكرية، وإخراج العقل من دوامة الضغوطات اليومية، تبدأ بتركيز التفكير والانتباه بطريقة

(١) انظر: أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة: أنور الجندي، الناشر: دار الاعتصام، ص(٣٦-٣٧).

محايدة، ودون إصدار أحكام، وبطريقة إيجابية على نقطة معينة أو موضوع محايد، وتنتهي إلى تخلص الجهاز العصبي من الضغوطات العميقة، والمتجذرة في النفس.

هكذا إذاً؛ وقد يظن الإنسان من الوهلة الأولى أن تقنية التأمل التجاوزي تقنية لا علاقة لها بالأديان الشرقية، وإنما هي وسيلة استشفائية، فهي تقنية تساعد الإنسان على التهدئة، ومن لا يبحث عن هذه التهدئة وسط دوامة الحياة وضغوطاتها!.

ولكن حين نتعمق بشكل أكبر في حيثيات تلك التقنية، نجد أنها إعادة لإحياء التراث الفلسفي الهندي القديم في ثوب العلم؛ ذلك لأن التقنية تقرر بمبدأ الطاقة الكونية، وتؤمن بنظرية الشاكرات، وأن متاعب الحياة ومنغصاتها تساهم في سد القنوات الشاكرية، والإنسان يظل في حالة مزاجية سيئة وحالة نفسية صعبة إذا لم يستطع أن يستمد بتلك الطاقة الحيوية.

ومن هنا ظهرت فكرة تأدية التمرين الذي يساهم في مد تلك القنوات بالطاقة الكونية، ويحرص منظرو التقنية بممارستها مرتين في اليوم، مرة في الصباح عند الشروق، ومرة في المساء عند الغروب، ولمدة عشرين دقيقة؛ من أجل أن الروح الإلهي يستيقظ لدى الممارس، وهذه الفكرة نجدها بخدافيرها في الشعيرة الهندوسية "سوريانمسكار"، وتعنى "السلام على الشمس".

كما أن التقنية تعتمد على ترديد "مانترات" أو الصيغ المقدسة، وتختلف في هذه التقنية بأنه لا يهم لغة تلك المانترات، بمعنى أن كل شخص يردد الصيغ المقدسة التي يؤمن بها، وهي بدورها تختلف من ملة لأخرى.

كما أنها تتفق مع التأمل البوذي من ناحية التشديد على الانتباه ومراقبة الذهن، والولوج إلى داخل الذات عبر الوعي.

بجانب ما سبق؛ فإن الهدف من تقنية التأمل التجاوزي هو جعل الإنسان قادراً على العمل مع قانون الطبيعة، والإنسان حين يكون قادراً على العمل مع ذلك القانون فإنه يكون منكفئاً على نفسه، ومستقلاً بذاته، وأن ذاته هي مصدر المعرفة، ومن الآثار المترتبة من تجربة التقنية هو الشعور بالقوة الخارقة، ومن الأبحاث التي أجروها في هذا السياق هو قدرة الفرد الذي يمارس التأمل التجاوزي على الطيران، ويتم عقد جلسات تأملية من أجل الطيران.

كل ذلك يحدث من خلال ما يسمونه "علم الذكاء الخلاق"، فهو علم من حيث دعوتهم إلى البحث المنهجي التجريبي، وهم في هذا السياق أجروا عشرات الأبحاث والدراسات، وقد تبنتها جامعات أمريكية، كما أنهم أنشعوا جامعة متخصصة في إجراء الدراسات البحثية على تأملاتهم،

والدعوة إلى تطبيقها على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، وضمن كل الأطر المتاحة، وفي مختلف البيئات.

وهو "ذكاء" من حيث الصفة الأساسية للوجود، والمتمثل في وجود هدف ونظام للتغيير. وهو "خلاق" من حيث الوسائل القوية القادرة على إحداث التغييرات في كل زمان ومكان^(١).



تجربة تأملية تحفز على قدرة التأمل على الطيران!!!

- تطبيق عملي لتقنية التأمل التجاوزي.

في البداية يقوم المتدرب على الاختلاء بنفسه في مكان هادئ، ويجلس جلسة متوازنة، يتحقق من خلالها على أمرين: أولاً: التحقق من بقاء العمود الفقري في وضعية مستقيمة، وثانياً: عدم الركون إلى النوم، والبقاء ضمن الحالة الواعية.

بعد ذلك يقوم المتدرب بإغماض عينيه بهدوء ودون تشنج، ومن ثم يبدأ في التنفس طبيعياً، ومع البدء في التنفس يبدأ في ترديد المانترات أو الصيغ المقدسة، وينتقي لنفسه صيغة واحدة يرددها فكراً وليس قولية، مع ضرورة الابتعاد عن الدخول في التصورات الذهنية المفضية إلى تفسير تلك الصيغ، أو إلى ما يجول في الذهن من أفكار أو مشاهدات عقلية.

يظل الممارس للتأمل التجاوزي مردداً للصيغة المقدسة إلى أن يستكشف أن الصيغة قد ذابت فيه، حينها يشعر أنه قد اقترب من منبع الفكر الصافي، فيستعد للدخول إلى عالم المعرفة، وفضاءات الروح الواسعة، وفيضان المعرفة على النفس^(٢).

(١) انظر: الموسوعة الميسرة، بإشراف: مانع الجهني، ص(٧٧١-٧٧٦).

(٢) انظر: تعلم كيف تعالج نفسك بنفسك عبر البرنامج الأول في العالم العربي: إعداد وتقديم: الاختصاصي محمد رضى عمرو، برنامج تعلم طرق التأمل، متاح على الموقع الرسمي للمدرب المختص:

<https://mohammadmr.wordpress.com>

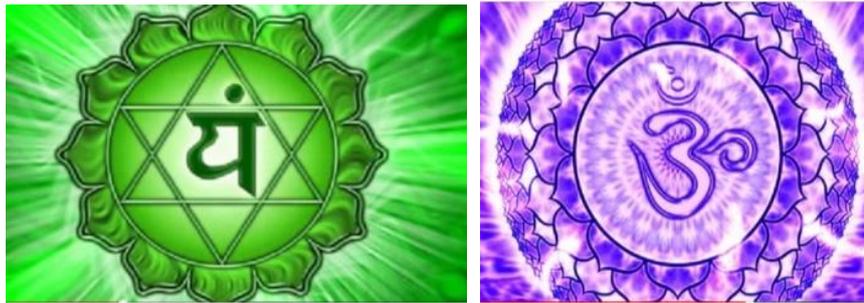
هذه هي باختصار التطبيق العملي لتقنية التأمل التجاوزي، وهي في بدايتها دعوة للتخلص من الضغوطات العصبية، وفي نهايتها تجسيد للفلسفة الفيديوية الهندية القديمة، من خلال فكرة الصيغ المقدسة، وفكرة أدائها مرتين في اليوم، ولمدة عشرين دقيقة، يؤديها المتأمل مرة عند الشروق، ومرة عند الغروب، كما يظهر فيها آثار الفكر الإشراقي الأفلاطوني من خلال فكرة اتصال العقل بالمدبر الكوني أو العقل الفعال، وفيضان المعرفة على النفس، وبالتالي فإن تقنية التأمل التجاوزي هي تقنية تهدف إلى الوصول إلى المعرفة عن طريق التأمل الذاتي، وتصل في نهاية المشهد إلى تأليه الإنسان ليحل محل الإله!.

● ثانياً: تقنية تأمل القلبين التوأمين:

تقول التقنية: "عندما يقوم الشخص بإجراء تأمل القلبين التوأمين، فإن الطاقة الإلهية تهبط نحو الممارس فتملأه بالنور الإلهي، والقوة والمحبة، فيصبح ممراً لهذه القوة الإلهية".
إذا تأمل القلبين التوأمين هو تأمل يجمع بين جنباته كل المدارس الفلسفية للطاقة الكونية، بدءاً من مدرسة الوجود الكوني، ومروراً بنظرية الإنسان الكوني، وانتهاءً بفلسفة الوعي الكلي، فهو تطبيق شامل لكل مضامين فلسفة الطاقة الكونية، بما فيها فلسفة الشاكرات، وفلسفة العناصر الطبيعية، والأجسام السبعة.

يعرف الماستر "تشو كوك سوي" التأمل على القلبين التوأمين بأنها تقنية تهدف إلى بلوغ الوعي الكوني والاستنارة، ويعتمد على مبدأ كون بعض الشاكرات الرئيسية تمثل نقاطاً أو عبوراً لمستويات معينة أو آفاق محددة من الوعي.

والوصول إلى هذا النوع من الاستنارة أو الوعي يتطلب تنشيط مركزين مهمين من مراكز الشاكرات في وقت واحد، وهي تقنية يمكن بلوغها وفهمها من خلال التطبيق العملي، وهذه الشاكرات هي **شاكرتا مركز التاج**، وهي متمركزة في أعلى قمة الرأس وأعلى، وهي **مركز القلب الإلهي**، و**شاكرتا مركز القلب**، والمتمركزة وسط القفص الصدري، وهي **مركز القلب العاطفي**.



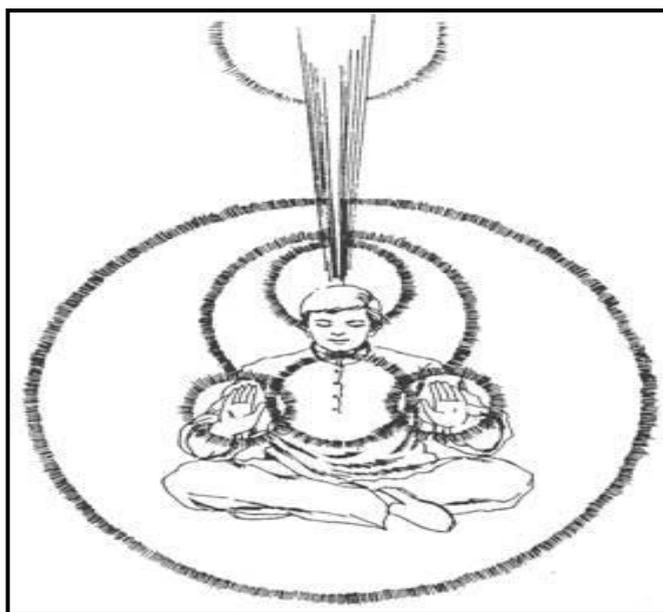
صورة رمزية تساعد على تنشيط الشاكرات، شاكرتا التاج الرأسية، وهي تظهر في يمين الصفحة باللون البنفسجي بينما شاكرتا القلب تظهر على يسار الصفحة باللون الأخضر.

وتنشيط المركزين بحسب التقنية تساهم في تلقي الطاقة الروحية، والتي هي بدورها تنعكس على باقي أعضاء الجسد، وتتسبب في ظهور الهالة النورانية حول الرأس، وهذا ما يفسّر سبب وجود هالة حول رؤوس قديسي مختلف الأديان!.

وتقرر تقنية التأمل على القلبين التوأمين بسيلان الطاقة الإلهية نحو المتأمل، وأنه يصبح ممراً للطاقة الإلهية، والطاقة الإلهية الهابطة من السماء تسمى "عمود النور"، والمصطلح يشير إلى ما يشاهده ذوو الجلاء البصري مثل العمود من النور، ولا يمكن مشاهدة ذلك العمود النوراني إلا الأشخاص الروحيين الذين مارسوا هذا النوع من التأمل لمدة، ويشعروا بأنهم قد أحيطوا بنور يخيّر الأبصار من شدة الضياء، وأحياناً يشعرون بحالة فقدان الحسّ. أو يشعرون أنّ رؤوسهم بها نور باهر، هذا الشعور يوجد عند معظم ممارسي اليوغا من المتطورين والقديسين والصالحين في جميع الأديان.

وهناك عدة وسائل لممارسة هذا النوع من التأمل، ويمكن استخدام بعض التمارين الرياضية اليوغية، مثل: الـ"هاثا يوغا"، أو الاعتماد على أسلوب التنفس اليوغية، أو ترديد المانترات والصياغ المقدسة، والتي تبعث الطاقة، أو يمكن ممارسة التأمل من خلال اتباع أساليب التخيل. وهذه الطرق فعّالة لكنها غير سريعة. ومن إحدى أعظم الطرق الفعالة السريعة لتنشيط "شاكرات القلبين التوأمين" هو إجراء التأمل على الحنان والحب، ويقصد به "التعود على مباركة الأرض كلها بإحساس الحنان والحب".

- تطبيق عملي للتأمل على القلبين التوأمين:



يظهر استناد الرجل على الأرض لمباركتها، ومن جوانبه تظهر الهالات المحيطة به، وفي أعلى الرأس يظهر عمود النور والذي يرمز إلى الطاقة الإلهية الهابطة.

اهتم المعلم "تشو كوك سوي" بهذه التقنية كثيراً، ومن خلال كتابه "معجزات الشفاء البراني" ننقل هذا التطبيق، وبشكل إجمالي^(١).

في البداية يجري التأمل عملية تنظيف الجسم الأثيري عبر التمارين الرياضية، ومن ثم يقوم بشحنها، وهذه العملية تساهم في طرد المادة الرمادية الفاتحة أو البرانا المستهلكة من الجسم الأثيري، كذلك يقلل من إمكانية الاحتقان البراني، لأن تأمل القلبين التوأمين يولد الكثير من الطاقات الشفافة في الجسم الأثيري.

بعد العملية السابقة ينتقل التأمل إلى مرحلة الدعاء من أجل البركة الإلهية، ويمكن تأليف دعاء خاص، والأمثلة كثيرة؛ نأخذ منها هذا الورد:

"إلى الله الأعظم، شكراً لك على البركات الإلهية!
على الإرشاد، المساعدة، الحماية والاستنارة!
مع الشكر بإيمان صادق!
إلى معلمي الروحيين،
إلى الملائكة المقدسة، والمساعدين الروحيين،
وإلى جميع العظماء،
نشكركم على البركات الإلهية!
على الإرشاد الإلهي، المساعدة الإلهية، الحماية الإلهية والاستنارة!
مع الشكر بإيمان صادق!"

وبحسب التقنية؛ فإنه من المهم جداً مناشدة البركة الإلهية، أو مناشدة أحد المرشدين الروحيين، فلكل مرید روحي مرشد روحي، سواء كان يعرفه بصورة واعية أم لا، كما أن الدعاء مطلوب للإرشاد والمساعدة والحماية؛ لأن التأمل يتعامل مع قوة هائلة، وبدون هذا الدعاء يكون من الخطر جداً إجراء هذا التأمل!!!.

ثم يبدأ في تنشيط شاكرا القلب عبر مباركة الأرض كلها بالحب والحنان، يضغط على موضع الشاكرا القلبية بإصبعه لثوان، مركزاً عليها، ويديه مرتفعة كأنه يمسك براحتي يديه كرة صغيرة، وهذه الكرة هي الكرة الأرضية، ومن خلال هذا التركيز يشعر بهذه المباركة، فيردد التعويذة الخاصة بها، وهي:

"إلى الله الأعظم، اجعلني أداة لسلامك، أشعر بالسلام الداخلي، وبارك الأرض بالسلام، حيث الكراهية؛ دعني أبذر المحبة.
أشعر بالمحبة الإلهية. اسمح لنفسك بأن تكون ممراً للمحبة الإلهية، وبارك الأرض المحبة؛ حيث الجرح، التسامح
أشعر بروح المصالحة، وبارك الأرض بروح التسامح، التفاهم، الانسجام والسلام؛ حيث اليأس، الأمل، الشك، الإيمان
أشعر بالأمل والإيمان الإلهيين وبارك الأرض بهما. بارك الأشخاص الذين يمرّون بظروف صعبة بالأمل والإيمان؛ حيث الظلمة، النور، الحزن، الفرح
اسمح لنفسك بأن تكون ممراً للنور والفرح الإلهيين. بارك بهما الأرض، بارك الأشخاص الحزنان والمتألمين النور والفرح الإلهيين".

(١) انظر: ص (٣٣٣-٣٤٠)، والصورة المرفقة مستتلة من نفس الكتاب.

وعند الانتهاء من تنشيط شاكر القلب، ويتم التأكد منها من خلال تخيل هالة الأرض المحيطة براحتي يد المتأمل وقد تحولت إلى لون ذهبي براق، ينتقل إلى تنشيط شاكر التاج، عبر مباركة الأرض بالحنان والمحبة، ومن خلال الضغط على الرأس بأصابع المتأمل، وترديد نفس التعويذة السابقة والتي تمت تلاوتها عند فتح شاكر القلب، يكون شاكر التاج قد نشطت، ويمكن ملاحظة وجود شيء ما يفتح فوق قمة الرأس، أو الشعور بثقل ما على التاج.

بلوغ المتأمل لهذه الشعور تسمح له ممارسة التأمل على القلبين التوأمين في آن واحد، ومن خلال تخيل الأرض الصغيرة أمام المتأمل يبدأ في تلاوة التعويذة الخاصة بهذه المرحلة، وهي:

"من قلب الله، لتتبارك الأرض كلها، كل شخص، وكل كائن بالمحبة الإلهية والحنان الإلهي

اشعر بالمحبة الإلهية والحنان الإلهي، وشارك بهما الأرض كلها، كل شخص وكل كائن.

لتتبارك الأرض كلها، وكل شخص، وكل كائن بالدفاء والعناية والرقعة.

انعر بالعدوية، ومشاعر الحب، وشارك بهما الأرض كلها

من قلب الله

لتتبارك الأرض كلها، كل شخص، وكل كائن بالشفاء الداخلي، الجمال الداخلي، النشوة الإلهية والاتحاد الإلهي.

اشعر بالنشوة الإلهية والاتحاد الإلهي، وشارك بهما كل شخص وكل كائن".

بعدها يتخيل عمود النور البراق فوق رأسه، ويشعر بنوع الطاقة المنبعثة من خلال النور، والشعور بالسلام الداخلي، ويجب على المتأمل أن يكون واعياً للنور، والسكون الداخلي، والنشوة لدقاق معدودة، يردد برقة وبصمت المانترا الأشهر "أوم Om"، وفي الوقت نفسه يتأمل بالنور وبالمانترا، ولا ينبغي عليه أن يشعر بالقلق والخوف من انفجار داخلي للنور عند منطقة الرأس، لأن الوعي بنقطة النور ونقطة المسافة الفاصلة بين مقطوعي "أوم Om" تعني امتلاء الرأس بالطاقة الإلهية الهابطة، وامتلاء الكيان الداخلي كله بالنور، وهذا يعني نجاح عملية التأمل.

بعدها يقوم المتأمل بالتخلص من الطاقة الزائدة عبر المباركة، ويمكن أن يوجهها إلى الأطفال وكبار السن الذين لا يستطيعون مقاومة الطاقة في أول تجلياتها.

الخطوة الأخيرة هي تقديم الشكر للعناية الإلهية، وللمرشدين الروحيين، وللبركات الإلهية، وتتم هذه الخطوة من خلال تحرير إضافي للطاقة الزائدة عبر المزيد من التمارين الرياضية والتدليك، أو من خلال الاستمتاع بحالة النشوة، وبعد التمارين الرياضية أو الخروج من حالة النشوة، يقف المتأمل على رجليه، مثبتاً أخمص قدميه نحو الأرض، ويردد بصمت هذه التعويذة:

"لتتبارك الأرض الأم بالنور الإلهي، بالمحبة والقوة

لتجدد الأرض الأم

أنا متصل ومتجذر مع الأرض الأم".

هذا باختصار تطبيق عملي لتقنية التأمل على القلبين التوأمين، ومن خلال التقرير والتطبيق يتضح أن هذه التقنية تتضمن أموراً مخالفة للعقيدة الإسلامية، فهي في بدايتها تقر بوجود الطاقة الكونية، وتفسرها لهذه الطاقة يتضمن خطورة التعامل معها، وأن الطريقة السليمة للتعامل هو من خلال التوجه إلى الإله، والمرشدين الروحيين، والوعي الإلهي، والاستغاثة بالكائنات الغيبية، وترديد المانترات والصيغ المقدسة، وهي تضمن تحقيق الاستعانة بتلك الكائنات، فسرعان ما تتجلى في العالم المادي وتتشكل على هيئات مختلفة، ومن تلك الهيئات أنها تتشكل على شكل عمود النور، وكأنها تمد الإنسان بالطاقة، وهذا كله من قبيل ما يفعله الكهنة والمشعوذين الذي يخدعون الناس المنقادين روحياً لهم، فيمارسون سلطاتهم الكهنوتية عليهم، وهذا هو أحد مظاهر الدين في المجتمع الوثني القديم، وهي نفس ما كانت تفعله الجاهلية العربية قبل بزوغ فجر الإسلام؛ حين كانت تستجير بالجن أو بسيد الوادي حين كانت ترحل من مكان إلى مكان، ولقد صور لنا القرآن الكريم شيئاً من ذلك التأمل الذي يجعل من الفرد خاضعاً بجسده وروحه إلى تلك القوى الغيبية الخفية، قال الله تعالى حكاية على لسان الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١)، فكان الجن يرون أن لهم فضلاً على الإنس؛ لأنهم كانوا يعوذون بهم، فإذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البراري وغيرها كانوا يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن من أن يصيبهم بشيء يسوؤهم، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم، زادوهم رهقا وخوفا وإرهابا وذعرا، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم^(٢).

ثم إن تقنية التأمل على القلبين التوأمين تركز لفكرة الإنسان الكوني، فمرور الطاقة الكونية من خلال الجسد، يسهم في توجيه تلك الطاقة إلى المحرومين منها، فيصبح ذلك الشخص المتأمل هو المدبر، والشافي، ورسول المحبة والسلام، وهي فكرة قديمة وجدت في المجتمعات الوثنية القديمة التي كانت خاضعة لسلطة الكاهن والطوطم، وكانت تلك الكائنات الروحية ينظر لها بهالة من التقديس والتعظيم، وقد شقت الفكرة طريقها إلى العديد من الفلاسفة الذي ظلوا يفلسفون القضية، حتى أصبح أولئك المتفلسفين من الكهنة الخارقين بملكاتهم الميتافيزيقة يشاهدون تلك الأنوار المضيئة وقد هبطت إلى رؤوسهم، وأصبحت علامة فارقة من دلائل النبوة!، وصدق السلطة الكهنوتية!

(١) سورة الجن: الآية (٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: الإمام الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، (٨م/ ٢٣٩ص).

إن تأمل القلبين التوأمين هو في حقيقته إعادة لإحياء التراث الفلسفي الهندي القديم، ونجد آثار تلك الفلسفة ظاهرة في التقنية، ومنها:

✓ الإقرار بوجود قوة غيبية كامنة، والتعامل مع هذه القوة يتطلب مزيداً من التدريبات التأملية.

✓ الإيمان بأثر تلك القوة على الإنسان، وأن تلك القوة تتسلل إلى أعماق الإنسان من خلال القنوات الشاكرية.

✓ تصديقها للأثر الناتج من الصيغ المقدسة، وهي صيغ تكمن حقيقتها أنها وسيلة من وسائل استدعاء القوة الغيبية الكامنة.

✓ تأمل القلبين التوأمين تبرز الأثر الفلسفي من نظرية العناصر الطبيعية، وأنها تؤثر في الإنسان، وتتأثر به، وأن تلك العناصر الطبيعية مصدر من مصادر الطاقة الكونية، ومظهراً من مظاهر تجليات الآلهة؛ ولهذا يجب على المتأمل أن يستخدم الطريقة المناسبة في التعامل معها.

● ثالثاً: تقنية التأمل عن طريق الاسترخاء.

كل تقنيات التأمل السابقة تقوم على فكرة التخيل والتركيز، وهي قد تسبب متاعب ذهنية وعصبية، ولذا شرع الراهب الهندوسي والخبير في التنمية البشرية وتطوير الذات "أوشو" في تقديم أساليب جديدة في التأمل، فجاءت فكرة التأمل بواسطة الاسترخاء، لأن التأمل عن طريق التفكير في الإله لا يعد ممارسة تأملية بحسب "أوشو"^(١)، وتردد الصلوات وممارسة التأمل الغامض لن يفيد المتأمل شيئاً، كما أن التأمل لا يعني الانخراط في عملية التركيز والانتباه^(٢).

إذاً ما هو التأمل؟، هو "وعيّ ويقظة"^(٣)، ويعرفها فيقول بحسب معتقده: "التأمل يعني ألا يكون لديك أي هدف، وألا يكون هناك اتصال بين عقلك وأي شيء آخر، التأمل يعني إفراغ الذات من أي محتوى، وحين لا تتزاحم الأفكار داخل الذهن يحدث السكون، السكون هو التأمل"^(٤).

(١) انظر: ألف باء التنوير: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، ص(٣٩-٤٠).

(٢) انظر: التسامح - رؤية جديدة تزهو الحياة-: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١=٢٠١١م، ص٢٥.

(٣) انظر: نفس المصدر السابق: ص٢٦.

(٤) انظر: ألف باء التنوير. ص٤٠.

وبالتالي فإن هذا النوع من التأمل يعني الانخراط في التهدئة الذهنية والنفسية، وهذا هو ما يسميه "استرخاء الجسد والروح"^(١).

وتقوم فكرة التأمل عبر الاسترخاء على مبادئ أساسية، منها:

(١) الانفتاح على العالم؛ فالاسترخاء يساعد المرء على ذلك الانفتاح، وبالتالي يكون أقل جموداً، وأكثر مرونة في موضوع التشبث بالأفكار والمعتقدات الدينية، وتسهم في التحرر الديني والأخلاقي.

(٢) قبول الأثر المترتب من الانفتاح على العالم. ومن خلال "حالة اللا عمل" المنبثقة من استرخاء الروح والجسد يصغي المتأمل إلى ما يحدث داخلياً في نفسه، ومن ثمَّ يسمح لنفسه بقبول تلك الأشياء، وهذا هو التناغم الحقيقي مع الكون.

(٣) التناغم الحقيقي مع الكون هو الشعور بأن الكون هو من يتنفس من خلال ذاتك، وعملية الشهيق والزفير إنما تحدث دون إرادة بشرية، وإنما تحدث وفق الإيقاع الكوني، وذلك الإيقاع متناغم بقوة، ومنسجم مع الذات، وكل لحظة من لحظات الاسترخاء تتجدد الذات، وتصبح متناغمة مع الوجود، والنتيجة المتوقعة من هذا التناغم هو العيش بروح المحبة والحنان^(٢).

- تطبيق عملي للتأمل من خلال الاسترخاء:

التطبيق العملي لهذه التقنية التأملية هو الاسترخاء، ومحاولة التهدئة النفسية، وتفريغ الذهن ليكون في حالة سكون وصمت، ويمكن ممارسة هذا النوع من التأمل في أي مكان هادئ. ومن خلال ما سبق يتضح بأن تقنية التأمل عبر الاسترخاء من وجهة نظر "أوشو" هي تقنية من أشد التقنيات المؤصلة للإلحاد المعاصر، ولئن كانت التقنيات التأملية السابقة تحمل في مضامينها صبغة دينية؛ فإن تأمل "أوشو" هي دعوة للتحرر من فكرة الإله أولاً، ومن ثمَّ التحرر من الدين والأفكار والمعتقدات، والرجوع إلى الذات ليكون المصدر الأول والأهم للمعرفة، ورجوع الإنسان إلى ذاته من أجل الاسترخاء والتهدئة هل ستكون على حساب الدين والمعتقد؟.

(١) انظر: التسامح: ص(٢٦-٢٧).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق: ص(٢٧-٣٠).

وحين يقرر "أوشو" أن التأمل "وعي ويقظة"، فماذا سيعي، وعلى ماذا يستيقظ!، إنها تكريس لمبدأ "حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله"، فلا دين معترف، ولا شريعة محكمة، والمصلحة المنعكسة على النفس تظل هي المبدأ والغاية، والنظم الإنسانية لا يمكن أن تبقى شامخة إذا هي رجعت إلى ذاتها وكيانها لتستقي منها عقيدتها ومبادئها، وقبل كل ذلك تصورها عن الخالق، وموقفها من قضية المعبود.

وقد يقول قائل إن تأمل "أوشو" من خلال الوعي واليقظة يمكن قبولها؛ لأنها تتم من خلال الاسترخاء، وهذا يعني خلو الذهن والنفس من الشوائب والحجب التي تؤول دون الوصول إلى اليقظة، فهي تمثل أرقى أنواع الصفاء الذهني.

والجواب عليه بأنه لا يمكن قبول الفكرة إلا من خلال وجود تصور واضح للعقيدة، والإنسان بلا عقيدة هو إنسان بلا روح، والعقيدة الصحيحة التي تتوافق مع الفطرة هي التي تقود الإنسان إلى مراجعة نفسه وضميره كي يرجع إلى ربه ويتوب ويستغفر من ذنوبه؛ لأن النفس أمارة بالسوء، والنفس حين تكون خالية من العقيدة، ولا تعرف ربها، وقد انسلخت من فطرتها حين أوعزت إلى النفس أن تنشئ لها عقيدتها، ويستمد الفرد المتأمل تصوره عن المعبود من تلك النفس!، وهل يمكن ذلك!.

إن دعوى صفاء النفس وسموها، وانعكاس التجليات الإلهية عليها فتفيض بالمعرفة لهي دعوة لا يمكن قبولها إلا في أذهان الفلاسفة ومدنهم الفاضلة، وأما في الواقع فيستحيل ذلك؛ لأن حالة الإنسان النفسية وموقفه من القضايا الإلهية هي التي تنعكس على عقله الباطن، ولك أن تتصور إنساناً في حالة نفسية سيئة، نفسه تخالجه على الإلحاد وعدم الاعتراف بالإله، أو لتكن الحالة أقل من سابقتها، حالة تتجاهل فكرة الإله، ولا تلقي لها بالاً، كل اهتماماتها بالأخلاق النبيلة والقيم الفاضلة، ولن تجد لقضايا الإلهيات أي ذكر في قواميسه الفلسفية، ولكي يخرج من تلك الحالة النفسية السيئة يذهب ويمارس التأمل عبر الاسترخاء، ثم يجد أن المعارف فاضت على نفسه، أي معرفة تلك فاضت!، وأي قيم وأخلاق قد انعكست!، لا يمكن أن يكون ذلك الشيء الذي فاض على نفسه إلا ترهات آتية من عقله الباطن، انعكست على النفس فظنها المسكين أنها معارف حقيقية، بدعوى أنها "وعي ويقظة"، ووعي على التناغم الكوني، ويقظة نفسية مستمدة من الاتحاد بالوجود. والحقيقة أنها تكريس لمبدأ ألوهية الإنسان، والكون يستمد قواه من قوة الإنسان، في ثوب جديد من ثياب الإلحاد المكتسي بأبهة الروحانية.

المبحث الثاني

تطبيقات التواصل مع الأرواح والعالم الغيبي

وفيه مطلبان:

* **المطلب الأول:** تطبيق الظواهر العقلية "الإسقاط النجمي".

- تجربة الخروج من الجسد.
- تجربة الأحلام الجلية.
- تجربة التخاطر.
- تجربة الرؤية عن بعد.

* **المطلب الثاني:** تطبيق الظواهر الفيزيقية "التأثير على الماديات".

- التأثير في المادة عن بعد.
- التأثير في المادة عن طريق القدرات العقلية.
- التأثير في المادة بواسطة العلم الإلهي.



المبحث الثاني

تطبيقات التواصل مع الأرواح والعالم الخبيبي



وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تطبيق الظواهر العقلية "الإسقاط النجمي".

تقرر فلسفة الطاقة الكونية بفكرة الملكات الميتافيزيقية، وأن الإنسان من خلال تنمية هذه الملكات يصل إلى تنشيط ما يعرف بالحاسة السادسة، وهي حاسة من شأنها أن تغذي الإنسان بمزيد من الخوارق الاستثنائية، وتجعله متميزاً عن الإنسان العادي.

وحقيقة هذا التميز يتجلى حين يتحول ذلك الإنسان الخارق إلى أن يكون وسيطاً روحياً، فتتجسد الأرواح من خلاله، وهذا التجسد يقسمه فلاسفة المدرسة الروحية إلى قسمين:

- ظواهر عقلية، وسميت كذلك لأنها تتخذ مظهراً مادياً، ولأنها مرتبطة بعقل الوسيط، ويمكن تجربتها في ما يعرف بالإسقاط النجمي.
- ظواهر فيزيقية، لأنها تحدث أثراً مادياً ملحوظاً، ويمكن تجربتها ضمن ما يعرف بعلم التأثير على الأشياء^(١).

والوصول إلى الظواهر العقلية لا يمكن إلا من خلال فلسفة الشاكرات، وتنمية الملكات الميتافيزيقية الموصلة إلى الحاسة السادسة، وتنشيط تلك الحاسة تكمن من خلال تغذية القنوات الشاكرية المنتشرة في جسم الإنسان بالطاقة الكونية الحيوية، وبالأخص شاكر العين الثالثة المتمركزة بين الحاجبين في جبين الإنسان، عندها يتمكن ذلك الإنسان من تنمية ملكاته الميتافيزيقية كالحسد والتخاطر والجلاء ورفع الترددات الخاصة به لكي تتوافق مع الترددات الكونية، والوصول إلى خوارق العقل الباطن.

وينسب المهتمون بالطاقة الكونية إلى تلك الحاسة جملة من القدرات الخارقة كالعيش مع المتوفين ضمن تجربة الأحلام الجلية، وخوض تجربة الاقتراب من الموت، والخروج من الجسد والسفر بالروح إلى عوالم أخرى، وكل تلك القدرات الخارقة تتجلى عبر ما يعرف بالإسقاط النجمي.

(١) انظر: تحضير الأرواح، الاتصال بالموتى أو تجسيد الأرواح: أحمد حسن الشيخ، ص ٤٧.

ما هو الإسقاط النجمي؟.

تقول نظرية التسجيل الأثيري أنه أصبح اليوم من المسلمات بأن جميع أعمالنا سواء باشرناها في الضوء أم في الظلام فرادى أم جماعات موجودة في الفضاء، في حالة صور في صورة ذبذبات أثيرية، تشبه تماماً الذبذبات التي يستطيع الراديو أو اللاسلكي أو التلفزيون التقاطها بالصوت والصورة، ومن الممكن إذا تطور العلم بجميع هذه الصور في لحظات حتى نتعرف على كل ما جاء به إنسان ما من أعمال الخير والشر طيلة حياته^(١).

وبالتالي فإن الإسقاط النجمي هو مقدرة الإنسان على مغادرة جسده، من خلال رفع الذبذبات الذاتية، وحتى تتوافق مع الذبذبات الكونية المنتشرة في عالم الأثير، فهي مغادرة واعية، ويقصد منها اختبار الجسد لأحاسيس ومؤثرات لا يمكن اختبارها في الحياة المادية^(٢).

وأصل المسألة هو ما يدور في اعتقاد المتأثرين بإمكانية التواصل مع الأرواح والعالم الغيبي، بأن هنالك جسد يسمى بالجسد النجمي، وهو جسد نوراني يتوسط ما بين النفس العاقلة والجسد المادي؛ حيث يصل بينهما. كما أن الفضاء النجمي هو عالم وسيط من النور، يقع ما بين الفردوس والأرض، ويتكون من عالم من الكواكب والنجوم التي تسكنها الملائكة والشياطين والأرواح^(٣).

ونظرية الإسقاط النجمي نظرية قديمة مبنية على فرضية تعتقد بوجود مادة الأثير، وهي مادة تملأ الكون، وتتصف بكونها مطلقة قوية، لا يمكن مشاهدتها إلا أولئك الأشخاص المتنورين الاستثنائيين الذين يتمتعون بقوة هائلة من الطاقة الكونية، وهذه المادة سماها "أرسطو" العنصر الخامس، وعدّها عنصراً سامياً، شريفاً، ثابتاً، غير قابل للتغيير والفساد، وقد أثبت العلم الحديث عدم صحة تلك الفرضية، ولكن الفلسفات القديمة المتعلقة بالأثير بقيت كما في الفلسفات المتعلقة بالعناصر الخمسة،

(١) انظر: الاستبصار والمناعة ضد النيران بين الحقيقة والخيال : يوسف أبو الحجاج، الناشر: دار الوليد للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سوريا، ط ١ = ٢٠٠٨، ص ١٠.

(٢) انظر: الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: علي محمد عبد الله، الناشر: الناشر: ص ٢٧، وانظر أيضاً: الإسقاط النجمي: محمد العمصي، ص ١٠.

(٣) انظر: الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: د. علي محمد عبد الله، كتاب الكتروني، من إصدار دار المنهل، ونشرته وكالة الصحافة العربية، ص ٢٦.

أو العناصر الأربعة، كما أنها تجسيد لفلسفة الأجساد السبعة المعروفة في الأديان الشرقية، والاعتقاد بتأثير الهياكل والأفلاك والمجرات الكونية على حياة الإنسان^(١).

وعطفاً على ما سبق؛ فإن عملية الإسقاط النجمي هي التوجيه الصحيح للطاقة المخزنة في القنوات الشاكرية، والارتقاء بها إلى العالم الروحاني، ولذا من المهم المحافظة على العقل الواعي والإيجابي، وهناك بعض الشروط التي ينبغي الإحاطة بها قبل الشروع في العملية، وهذه الشروط هي:

أولاً: لا يسمح بممارسة تطبيق الإسقاط النجمي تحت تأثير العقاقير المخدرة والكحول. ثانياً: القدرة على الاسترخاء والبقاء في وضع الوعي بما نسبته ١٠٠٪، ولا يمكن للشك أو الخروج عن دائرة التركيز أن يتطرق إلى العملية، لأنها ستتحول إلى عملية لا واعية، ويمكن أن تتحول إلى طاقة سلبية.

ثالثاً: على الشخص أن يكون قادراً على تحريك نقطة الوعي إلى خارج الجسم. رابعاً: يجب أن يكون لدى الشخص طاقة ذهنية كافية؛ كي يكون قادراً على التحكم بالرحلة النجمية، وبأحداثها^(٢).

هذا ويعزى للإسقاط النجمي أربع صور تتجلى فيها تجربة الإنسان الواعي بملكاته الميتافيزيقية، وهذه الصور هي:

- تجربة الخروج من الجسد.
- الأحلام الجلية.
- التخاطر.
- الرؤية عن بعد.

• أولاً: تجربة الخروج من الجسد، والاقتراب من الموت:

كان أول من تحدث عن تجربة الخروج من الجسد هو العالم "رايموند مودي" عام (١٩٦٥م) في كتاب ألفه بعنوان "الحياة بعد الحياة"، حكى فيها جملة من الشهادات والدراسات التي أجراها لعشرات الأشخاص من الذين مرّوا بتجربة الاقتراب من الموت، وكيف أنهم وفي لحظة ما كانوا

(١) انظر: الأصول الفلسفية لتطوير الذات في التنمية البشرية: د. ثريا بنت إبراهيم السيف، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤٤٠هـ، ص ٤٠٠.

(٢) انظر: الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: علي محمد عبد الله، الناشر: الناشر: ص ٢٦.

ينظرون إلى أجسادهم وهي تهوى أو تتعرض للأذى، أو تتمدد على سرير الموتى، والمهم هو تجربة انتقالهم إلى البعد الآخر.

وقد أكد "مودي" في دراسته تلك بأن الإنسان عندما يخرج من جسده؛ فإنه يحل في جسم آخر، أسماه بالجسد النجمي، غير أنه أشار إلى أن أولئك الأشخاص يصبحوا عاجزين على التعرف على صفات ذلك الجسد، غير أنهم يدركون أن الجسد النجمي يتمتع بمواصفات وقدرات غير عادية^(١).

في إحدى المنشورات التي تروج لدورة الإسقاط النجمي، ذكر العديد من مميزات وخصائص الجانب العملي للإسقاط النجمي وأثره على الحياة اليومية، ومن تلك المميزات والخصائص أنهم ذكروا أن الجانب العملي لظاهرة تجربة الخروج من الجسد يحمل فرصة عظيمة!. حيث سيتمكن المتدرب من السفر في أنحاء الأرض والكون، وحتى في الزمن نفسه. ويمكنه ملاقاتة أي شخص يريد، على سبيل المثال: "الأصدقاء، والعائلة، والمتوفين، والمشاهير". والمثير في الأمر أنه يمكن الحصول على المعلومات، ويمكن تطبيق تلك المعلومات لتحسين الحياة اليومية. ويمكن التأثير على الوظائف العضوية الخاصة بالمتدرب، وعلاج العديد من الأمراض. كما يمكنه تحقيق الرغبات السرية، وتطوير الإبداعات الداخلية، وفي نفس الوقت سوف يتمكن الأشخاص من ذوي الإعاقة الجسدية من إطلاق سراح أنفسهم وفك أغلالهم، والحصول على أي شيء يفتقرون إليه في العالم المادي. وكل هذا هو مجرد غيض من فيض من طرق تطبيق هذه الظاهرة في الحياة اليومية!^(٢).

ولأن تطبيق تجربة الخروج من الجسد يتفق مع تجربة الأحلام الجلية، ويمكن ممارسة التطبيق معاً، فقد فضلت تأخير الحديث عن التطبيق العملي إلى بعد التطرق لموضوع الأحلام الجلية، ولاسيما أن التجريبتين هما الأكثر استعمالاً لدى الأوساط التي تؤمن بفكرة الإسقاط النجمي.

(١) انظر: الإسقاط النجمي بين العلم والدين: محمود أشرف محمود، الناشر: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ص ٢٦.

(٢) انظر: الأحلام الجلية وتجربة الخروج من الجسد خلال ثلاثة أيام: ميشيل رادوغا، ترجمة: سامح النقلي، كتيب عبارة عن تطبيق عملي لتجربة الخروج من الجسد وتجربة معايشة الأحلام الجلية، الناشر: مركز أبحاث "OOBE" المتخصص في دراسة أبحاث الإسقاط النجمي، ص(٤-٥).

● ثانياً: الأحلام الجلية.

يقصد بالأحلام الجلية رؤية المتوفين في الأحلام والتفاعل معهم، فهي تمثل أعلى وأصفي نسبة تخيل يمكن للعقل البشري أن يصل إليها، فهي باختصار رحلة العقل البشري الواعي إلى العالم الماورائي بقوة التخيل، وهي رحلة لا تتقيد بحدود الزمان والمكان.

ويؤمن المتأثرون بتجربة الأحلام الجلية بأن الإدراك الحسي للظاهر حقيقية وليست خيالية، لأنهم ينطلقون من فلسفة العوالم المتوازية، فالعالم المادي هو العالم الواقعي الذي نعيش فيه، بينما العالم الذي يرحل إليه الفكر من أجل العيش ضمن الأحلام الجلية ليس إلا عالماً موازياً للعالم المادي، ويذهبون إلى أكثر من ذلك فيعتقدون بأن عالم الأحلام هو العالم الحقيقي، وتنعكس تجلياتها وأحداثها على العالم المادي.

يقول "ابن سينا": "وكلما كنت أتخبر في مسألة، أو لم أظفر بالحد الأوسط في قياس، ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلث إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق منه، وتيسر المتعسر، وكنت أرجع بالليل إلى داري، وأشتغل بالكتابة والقراءة، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شرب قده من الشراب ريثما تعود إليّ قوتي، ثم أرجع إلى القراءة، ومهما غلبني أدنى نوم، أحلم بتلك المسائل بأعيانها، حتى إن كثيراً من المسائل اتضح لي وجوهها في المنام"^(١).

وهكذا يتضح أن طريقة الأحلام الجلية طريقة كان يستخدمها الفلاسفة للوصول إلى المعرفة الباطنية، والمعرفة التي لا يمكن الوصول إليها عن طريق الحواس، وهي طريقة نمت لدى أتباع المذاهب الغنوصية، والتصوف الفلسفي، حتى غدت الأحلام مصدراً من مصادر المعرفة المعتمدة لديهم. ولها طرقها منها ما يكون عن طريق إشغال الذهن بمسألة ما، وتكون قد تركزت في منطقة "اللاشعور"، وتنعكس على الشخص في منامه، فيشاهد بعضاً من الحلول التي قد استعصت عليه في حال اليقظة، ومنها الدخول إلى حالة التجلي دون الخلود إلى النوم، ورؤية أحلام جلية متعددة في تجربة واحدة، وإدخال بعض الصفات الموجودة في عالم الأحلام إلى العالم المادي.

(١) انظر: منطق المشركين: الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ص ٩.

- تطبيق عملي لتجربة الخروج من الجسد، وتجربة الأحلام الجلية:

اختيار المكان المناسب هو أول خطوة من خطوات التجربة، وفي الغالب يتم اختيار غرفة هادئة جداً، بحيث لا يمكن لأي أحد أن يسبب للشخص المدرب تشتيت ذهني وشروود عن التأمل والتركيز.

قبل الدخول إلى مرحلة الحلم الجلي والخروج من الجسد يجب على المدرب أن يحدد ما يجب عليه القيام به حال الانفصال عن الجسد مباشرة، بمعنى أنه يحدد في عقله الباطن، ويضمّر في نفسه ما يجب عليه القيام به حال خروجه من الجسد، أو دخول مرحلة الأحلام المتجلية، وهناك أنشطة كثيرة يتم تحديدها من أجل القيام بالتجربة، مثل النظر إلى المرأة من أجل التخاطر، أو الطيران فوق الكرة الأرضية، أو في جميع أنحاء الكون، أو مقابلة أحد المتوفين، أو أحد المشاهير، أو حتى الشعور بالاهتزازات، أو السكون في جسدين مرة واحدة، أو السكون في جسد شخص آخر، أو التحول إلى هيئة حيوانية، أو غيرها من الأنشطة الكثيرة.

بعد ذلك تأتي مرحلة الاستعداد لخوض التجربة، وعبر التأمل والتركيز وممارسة تمارين الاسترخاء، وتمرين استجلاب الطاقة الكونية، يحس المدرب بتثاقل في جسمه، والوصول إلى هذه المرحلة هي حالة السمو، عندها يوقف المدرب التمارين السابقة، ويبدأ بالتركيز على التنفس العميق والمنضبط بإيقاع الشهيق والزفير، وهذا التمرين يساعد المدرب على التركيز أكثر في الأمر الذي يريد تحصيله، ويساعده في طرد الأفكار السلبية.

بعد ذلك سيشعر المدرب بحالة من خفقان القلب، وهذه الحالة هي تنشيط لشاركا القلب، وهي أول الطريق الموصل إلى الاتصال بالجسد النجمي، وبعدها يكون الجسم قد خرج من قانون الجاذبية، ولكن يتوجب على المدرب أن يفعل بعض الأمور التي تخالف قانون الجاذبية، منها ممارسة المشي في الغرفة، أو ممارسة السباحة، أو رصد الصور، أو تخيل اليد، وغيرها من الأفعال، يفعلها من غير التفكير في الحركة، لكن عليه أن يفعل وحسب!!!، والأهم في هذه المرحلة هو المحافظة على السيطرة العقلية من أجل الوصول إلى الشاكرات الأخرى، والشعور بالترددات الكونية^(١).

(١) انظر: الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: د. علي محمد عبد الله، ص(٢٩-٣٠)، وانظر أيضاً: الأحلام الجلية وتجربة الخروج من الجسد خلال ثلاثة أيام: ميشيل رادوغا، ترجمة: سامح النقلي، ص(٥).

ثالثاً: التخاطر.

التخاطر هو قدرة الإنسان التأثير بعقله على عقل شخص آخر، وبعبارة أخرى؛ تبادل الأفكار والخواطر بدون وسائل مادية، فهو "إدراك من غير طريق الحواس"^(١)، وليس مقتصرًا على البشر فقط؛ بل هنالك إمكانية للتخاطر بين الكائنات غير البشرية كالحشرات والطيور والنباتات^(٢). وهي باختصار؛ "عبارة عن حدوث حركات ذرية في عقل شخص ما مطابقة لمثيلاتها في عقل شخص آخر"^(٣).

والتخاطر يطلق بحسب المصطلح اليوناني "Tele patheia - تلباثي"، وهو مصطلح مكون من مقطعين، ويعني التواصل مع الآخرين من مسافة جغرافية بعيدة، لا يحكمها الزمان أو المكان، ومصطلح التخاطر ظهر لأول مرة عند "فريدريك مايرز" -Frederic W. H. Myers عام (١٨٨٢م) في كتابه "الهلوسات التخاطرية"، مشيراً به إلى المقدرة التي يتم بها إدراك رسائل ذهنية، وموجات فكرية، بانتقال الأفكار والصور العقلية وتبادل المشاعر، على مستوى اللاوعي، فيشعر الإنسان فجأة بوجود معلومات في عقله، يكتشف فيما بعد أنها صدرت من عقل شخص آخر في ذلك الوقت^(٤).

وتعني بلغة التصوف الإسلامي الإلهام، وهي قدرة بعض الأشخاص على نقل الأفكار وقراءتها على مسافات دون استخدام الوسائل المادية في الكلام^(٥). والتخاطر معتقد هندي قديم على وجه الخصوص، وفي الفكر الشرقي القديم عموماً، وتعني بقدرة رجال المعبد الذين يملكون سلطة كهنوتية على التأثير بعقولهم على عقول الآخرين، ولا بد أن يكون بين طرفين استعداد نفسي وروحي لتحقيق التخاطر، ومن هنا كانت الجموع الغفيرة تنقاد لهم روحياً؛ لأنها ترتبط معهم برباط ديني وثيق ومبني على الاعتقاد بالوهية من يملك السلطة الكهنوتية.

(١) انظر: القدرات العقلية والجسدية الخارقة: حمزة الجبالي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ١=٢٠١٦م، ص (٨٢-٨٣).

(٢) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص(٢١٢-٢١٤).

(٣) انظر: الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجي والقرآن: عبد الله زريق، الناشر: مؤسسة النوري، سوريا، ١٩٩٥، ص ٥٥.

(٤) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص(٢٠٥).

(٥) انظر: الباراسيكولوجي، القوى الخفية: ماهر يسري، ج ٣، دار مشارق، مصر، ٢٠٠٨، ص ٢٤.

ولم يكن هنالك حاجة للتفسير عن حالة التخاطر، إلا أن التصورات الفلسفية الهندية القديمة ترجع الأمر إلى علاقة الإنسان بقنواته الشاكرية المنتشرة في جسده، وأن الإنسان متى ما استطاع أن يغذي تلك القنوات بالطاقة الكونية، حينها يستطيع تنمية ملكاته الميتافيزيقية، ولذا فإن التخاطر يعتبر حالة من حالات الحاسة السادسة، وصورة من صور الإسقاط النجمي.

هناك معتقد سائد يدور حول قدرة الإنسان على التخاطر عبر تنشيط الملكات الميتافيزيقية، والمتمثلة في تنشيط شاكر العين الثالثة، والمتمركزة أمام الغدة الصنوبرية "Pineal gland" التي تقع في نهاية القسم الأوسط من الدماغ. فهي تعتبر بمثابة جهاز اتصال لاسلكي يعمل على إصدار الموجات الدماغية "Brainwave Therapy" والرسائل الذهنية واستقبالها. من خلال الهالة "Auro" التي توقظ اللاشعور في الشخص المستقبل. ولها نشاطات بيولوجية كالتحكم بالجوع والعطش، ونشاطات روحية أخرى، وهذه الأنشطة متعلقة حول ما يُعرف بمجال الطاقة المحيط بالكائن الحي، قوامها حزم شعاعية ضوئية، يُولدها الجسد ذات أشكال واللوان مختلفة، وهي موجودة على طول العمود الفقري على هيئة قنوات تعرف بالقنوات الشاكرية^(١).

هذا وبحسب نظرية الإسقاط الروحي فإن للتخاطر شروطاً يجب توفرها لتحقيق الأثر الناتج من وراء عملية التخاطر، وهذه الشروط هي:

- (١) أن تكون الإشعاعات التي تتفاعل مع بعضها صادرة من محبين وبنفس اللحظة.
 - (٢) أن يكون التردد الحاصل بين المرسل والمسترسل واحد في الطول والتردد.
 - (٣) أن تكون التخاطر واحدة في الشعاع والارتفاع.
 - (٤) أن يكون لدى الطرفين علاقة وراثية أو تشابه في التكوين البيولوجي لكلا الدماغين وتشابه في الحالة النفسية بحيث يسهل نقل المعلومات على موجات ترددية واحدة بين الطرفين^(٢).
- ولقد حاول العلماء في العصر الحديث إيجاد تفسير لظاهرة التخاطر، فخلصوا إلى ثلاثة تصورات، قالوا:

إن التخاطر يحدث بسبب تأثير روح في روح أخرى بطريقة مباشرة وغير مادية، ولا يوجد ما يؤيد هذه النظرية علمياً.

(١) انظر: التنويم المغناطيسي من أمحوتب إلى أوياما: ضاحي عثمان، ص ١٨٧.

(٢) انظر: الحاسة السادسة بين منظاري البارسيكولوجي والقرآن: عبد الله زريق، ص ٥٥.

أو يحدث بسبب تأثير دماغ على دماغ آخر بحركة غير مباشرة، بسبب مادي مثل اهتزاز الموجات، وهي نظرية لا تفسر جميع حالات التخاطر المتقدم (تلقي المتلقي الرسالة قبل إرسالها)، والتخاطر المتأخر (تلقي المتلقي الرسالة بعد فترة من إرسالها).

أو من خلال تأثير روح على دماغ آخر بواسطة إشارات غير مادية كما في تأثير الروح على دماغ صاحبها^(١).

غير أن الأبحاث التي أجريت حول التخاطر انقسمت إلى ثلاثة رؤى:

العلماء الروس بحثوا عن الأساس المادي لكل الظواهر الخارقة ومنها ظاهرة التخاطر، وكان تفسيرهم ينحو منحىً فيزيائياً وكيميائياً، فكان تفسيرهم تفسيراً مادياً.

بينما اتجه العلماء الأوروبيين والأمريكان إلى التفسير الروحي والنفسي، باعتبار أن الظواهر الأولى للاهتمام هي الـ"باراسايكولوجي"، وكانت ذات جانب روحي.

بينما جسدت الفلسفة الهندية تفسيرها في فلسفة اليوغا، فاهتمت بفكرة الرياضة في العصور السحيقة وهي ذات طابع ديني وصحي ورياضي^(٢).

وأياً كانت تلك التفسيرات؛ فإن المشكلة الأساسية تكمن حين يتم الاستشهاد ببعض المعجزات، وكرامات الصحابة الذين اختصوا بها كرامة لهم من عند الله، ويتم فهمها في إطار الفلسفة، وتأصيلها علمياً، وتعميمها للاستدلال بها على صحة عملية التخاطر، ومن ذلك ما يجازف به كثير من الكتاب العرب من الذين ألفوا في فلسفة الطاقة الكونية، أو الفلسفة الروحية حين يؤمنون بصحة فرضية التخاطر^(٣)، وفي هذا السياق غالباً ما يتم الاستشهاد بأن نبي الله سليمان -عليه السلام- كان يتخاطر مع الحشرات والطيور، وكيف أن النملة تبادلت الأفكار معه، وكيف كان يتخاطب مع الهدهد، وتطويع هذه الأحداث لصحة فرضية التخاطر هو في حد ذاته خطأ، ونفس الآيات التي حكمت تلك الأحداث وضحت بما لا يدع مجالاً للشك، بأن الله -عز وجل- قد علم نبيه سليمان -عليه السلام- منطلق الطير، فالكائنات غير البشرية كانت تتخاطب معه، وهذه المعجزات إنما هي زيادة تأييد وصدق من عند الله -عز وجل- وكرامة لنبيه سليمان -عليه السلام- بأن وهبه ملكاً تميز به عن سائر الملوك.

(١) انظر: القدرات العقلية والجسدية الخارقة: حمزة الجبالي، ص (٨٢-٨٣).

(٢) انظر: الباراسايكولوجي ظواهر وتفسيرات، سامي أحمد الموصلي ط ١، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩٥، ص ٢٥ وما بعدها.

(٣) انظر على سبيل المثال: دراسات في عالم الروح، السفير عزت البحيري.

ومن الأدلة التي يتم الاستشهاد بها في إثبات صحة الفرضية، بعض الأحداث والوقائع المذكورة في التاريخ الإسلامي، والتي لا يمكن تفسيرها إلا في إطار "الكرامة الإلهية" للشخص المكرّم، ومن تلك الأحداث قصة "يا سارية الجبل"، وهي حادثة حدثت للخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو قائم يخطب الجمعة، فكُشف له شيء من معارك الفتح الإسلامي، وحدث أنه في ذلك اليوم كاد المسلمون أن يهزموا، فصاح الخليفة من منبره وهو في المدينة النبوية "يا سارية الجبل"، فأنحاز القائد "سارية" إلى الجبل وتحصنوا به، وأتم الله عليهم الفتح المبين^(١).

يقول الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين في معرض تعقيبه عن القصة السابقة: "ومثل هذه الحادثة تعد من كرامات الأولياء، فإن للأولياء كرامات يجريها الله تعالى على أيديهم تثبتاً لهم، ونصرة للحق، وهي موجودة فيما سلف من الأمم، وفي هذه الأمة، ولا تزال باقية إلى يوم القيامة، وهي أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد الولي تثبتاً له وتأييداً للحق، ولكن يجب علينا الحذر من أن يلتبس علينا ذلك بالأحوال الشيطانية من السحر والشعوذة وما أشبهها، لأن هذه الكرامات لا تكون إلا على يد أولياء الله، وأولياء الله -رضي الله عنهم- هم المؤمنون المتقون، قال الله -رضي الله عنهم-: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون"، ثم قال معقّباً على الآية: "ولا نعلم أحداً من أولياء الله المؤمنين المتقين قال للناس إني أنا ولي فاجتمعوا إلي وخذوا من بركاتي ودعواتي وما أشبه ذلك، لا نعلم هذا إلا عن الدجالين الكذابين الذين يموهون على عباد الله، ويستخدمون شياطين الجن للوصول إلى مآربهم، وإن نصيحتي لأمثال هؤلاء أن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم وفي عباد الله، ونصيحتي لعباد الله أن لا يغتروا بهؤلاء وأمثالهم"^(٢).

- تطبيق عملي للتخاطر:

في البداية يقوم الشخص الذي يريد الاتصال ذهنياً بشخص آخر عن طريق التخاطر بالبحث عن مكان هادئ، والجلوس على كرسي ظهره مستقيم، ويكون قد أرسل إلى عقله الباطن الرسالة المراد التخاطر بها، ويجب أن تكون قصيرة!

(١) انظر: فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر، مؤسسة

الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١ = ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م، ج ١، ص ٢٦٩.

(٢) انظر: الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين: فتاوى نور على الدرب، شريط رقم (٣٥٣)، بعنوان:

"المستفاد من قول عمر -رضي الله عنه-: "يا سارية الجبل".

يجلس المتخاطر على الكرسي، ويغمض عينيه، ويسترخي، ويتنفس بطريقة "الها"، وهي طريقة التنفس الإيقاعي، يتم عبر الشهيق والزفير، بينما يصدر "الها" من الصدر، وبعد خمس مرات من تكرار التنفس الإيقاعي، يتوقف المتخاطر عن التنفس، ويبدأ في التركيز، مع مراعاة عدم الشرود الذهني، وضمان التركيز العميق.

بعدها يقوم التخاطر بوضع يده الأيمن على جبينه، بينما يكون قد وضع يده الأيسر على مؤخرة رأسه، مركزاً ومنتبهاً على فتح العين الثالثة وتنشيطها، مستشعراً الهالة المحيطة به، ومتخياً للشخص الذي يريد الاتصال به، يقترب منه أكثر فأكثر، وينظر إلى هالة الشخص المرسل له، وكأنه ينظر إليه حقيقة، كل ذلك يحدث من خلال التأمل والتركيز، محاولاً إدخال الشخص المرسل إليه إلى هالة المتخاطر، كي يتحد الشخصان في هالة واحدة، عندها يمسك المتخاطر بيد المرسل إليه ويبلغه بالرسالة التي يجب أن تكون قصيرة وواضحة!!!.

الإجابة قد تكون لحظية، وقد تكون عند الانتهاء، وقد تأتي على صورة حلم، وفي النهاية يسمح للشخص المرسل إليه بالخروج من هالة المتخاطر، ولا ينهي جلسة التأمل إلا حين يتأكد أن المرسل إليه قد خرج من هالته واختفى، وللرجوع إلى الحالة المادية يتنفس المتخاطر مرة أخرى بطريقة "الها"، وبعمق، ويفتح عينيه بهدوء، مع التوقع بأن تكون الرسالة قد وصلت إلى عقل الشخص المرسل إليه^(١).

هذا باختصار التطبيق العملي للتخاطر الروحي، ويظهر والله أعلم أن المتخاطرين وقفت إمكانياتهم على إرسال الرسائل القصيرة فقط، ولعلمهم يطوروا طريقتهم في المستقبل كي يتمكنوا من الاتصال المباشر الطويل، والاتصال المرئي!!!، وفي نهاية هذا التمرين لا يسعنا إلا إن نقول أن محاولة الفلاسفة لحوض تجربة الأنبياء وتطبيق معجزاتهم على حياتهم ليست إلا محاولة عبثية تستند على التخريصات الظنية، وتعتمد على التلبس بالأحوال الشيطانية، والحقائق لا يمكن حجبها أمام ترهات الوهم والخرافة، ودين الله حق ظاهر، والله تحدى البشر بأن يأتوا بمثل ما أعطى الأنبياء والرسول، وقد عجزوا عن الإتيان بمثل تلك المعجزات، والتي لا يمكن تفسيرها في إطار الفلسفة والعقل البشري.

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص(٢١٧-٢١٨).

• رابعاً: الرؤية عن بعد.

الرؤية عن بعد هي الصورة الرابعة والأخيرة من صور الإسقاط النجمي، ويقصد بها إمكانية رؤية كل ما هو وراء نطاق البصر، ومنها رؤية الشخص الذي يملك الحاسة السادسة للأشخاص غير المنظورين من الأحياء والأموات، ومنها رؤية الأشخاص البعيدين^(١).

وهي تفترق عن الأحلام الجلية، من حيث أن مجالها حال اليقظة، بينما الأحلام الجلية مجالها الأحلام والمنامات، كما أنها تفترق عن حالة التخاطر بكونها ذاتية التجربة، بعكس التخاطر الذي يحتاج لطرفين يحدث بينهما الاتصال خارج نطاق الحواس والإدراك^(٢).

في الجلاء البصري أو الرؤية عن بعد يكون الاتصال من خلال المادة، فالتفاعل بين العقل والشيء المدرك كان لا بد من افتراضه، حتى تصبح الظاهرة مفهومة^(٣)، وقد تجلت هذه الرؤية أو القدرة الخارقة على ما يسمى بالوسطاء الروحيين، الذين يتخذون من المادة وسيلة لتجسيد الأرواح، ولكونها ترتبط بعقل الوسيط^(٤).

ولذلك فإن الرؤية عن بعد أو الجلاء البصري أو الاستبصار كلها مسميات لشيء واحد، وهو الإدراك البصري خارج نطاق الحواس، ويتضمن قدرتين:

➤ الأولى: الرؤية بدون استخدام حاسة البصر، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها قدرة الأطفال الذين يستطيعون قراءة الكتب وأعينهم مغمضة!.

➤ الثانية: الرؤية بالعين المجردة مع اختراق حاجز المكان، ويسمى حديثاً "الاستشعار عن بعد"، والمثال على ذلك قصة زرقاء اليمامة التي كانت تستطيع الرؤية على بعد مسيرة ثلاثة أيام.

والأهم أن هنالك من يجمع بين القدرتين، فيستطيع الرؤية عن بعد بعينين مغمضتين^(٥)!

(١) انظر: نفس المصدر السابق: ص(٢٢١).

(٢) انظر: العقل وسطوته: جوزيف بانكس راين، ترجمة: د. محمد الحلوجي، وكالة الصحافة العربية، الجزيرة، مصر، ص (طبعة مصفوفة غير مرقمة)، راجع الفصل الثالث: "الإدراك الخارج عن الحواس والمادة".

(٣) انظر: العقل وسطوته: راجع الفصل الثالث: "الإدراك الخارج عن الحواس والمادة".

(٤) انظر: تحضير الأرواح، الاتصال بالهوتى أو تجسيد الأرواح: أحمد حسن الشيخ، ص ٤٨.

(٥) انظر: نظرية الكتاب الأول -دراسة عقائدية في علم الباراسايكولوجي-: د. عبد الستار الحاج أسمير الرجوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٣٤، وقد احتوى هذه الكتاب على جملة كبيرة من الكرامات التي يدعيها أرباب المتصوفة، ولا سيما الطريقة الرفاعية، وقد نقل قصصاً وأحداثاً لشيخ الطريقة، لا يمكن للعقل أن يصدقها، وقد تعمدت

وقد شرح الدكتور علي عبد الجليل راضي في كتابه "العالم غير المنظور" حالة الرؤية عن بعد، وقد أشار إلى أن لكل حاسة من الحواس الجسمانية الخمس، لها ما يماثلها في عالم الأثير، وتمتاز تلك التي في عالم الأثير بأنها لا تتقيد لا بحدود الزمان ولا المكان، فالعين الأثيرية ترى على مسافات بعيدة، ولا يعوقها حائط، وهكذا كل الحواس. "أ.ه"، ومن هنا تظهر القدرات الخارقة للإنسان الكوني الذي لا يملك قدرة الجلاء البصري فحسب؛ بل يملك القدرة على الجلاء السمعي، والجلاء الشمسي، وجلاء التدوق، كما أن تلك القدرة تختلف من شخص لآخر بحسب التعمق الروحي^(١).

- تطبيق عملي لتجربة الرؤية عن بعد:

هذا التطبيق يأتي بعد ممارسة عدد من التمارين التي تساهم في تخفيف الضغط على العين، وتقويتها.

في البداية يمكن تأدية التطبيق في غرفة مظلمة، وبواسطة كرسي مريح، وبواسطة التخيل والتصوير يمكن للمتدرب أن يشاهد أمامه أنبوبة مجوفة مفتوحة الطرفين؛ طرف أمام العين، والطرف الآخر يمتد إلى الفضاء.

يتخيل المتدرب ذهنياً بأنه انتقل إلى ما يريد مشاهدته، وما أضمره في عقله الباطن في بداية التمرين، وليكن مثلاً؛ رغبة المتدرب في رؤية صديقه في منزله، فيتصور ذهنياً بأنه انتقل إلى منزل صديقه، ويشاهده ويراه ويتحدث معه.

ويمكن ممارسة التطبيق عبر الرسم؛ من خلال رسم حلزوني يشبه الثعبان، كلما ارتفع المتأمل بنظراته نحو الثعبان قل لقاته، حتى ينتهي إلى رأسه إلى أعلى، يقوم المتدرب بوضع الرسم أمامه، ومصباحاً ضعيفاً خلفه، ويقوم بالنظر إليه مع ممارسة التنفس الإيقاعي، والصعود ببطء على مسار الرسم، والتصوير بأن قوة روحية تنظر عند رأس الثعبان، في النهاية سيجد المتدرب أنه رأى أشياء غير موجودة مادياً^(٢).

عدم ذكرها إمامةً للباطل، وعدم الالتفات إليها، ولكن الأدهى والأمر أنه يذكر أحداثاً وقعت للنبي -ﷺ-، ويستدل بها على صحة الفرضية، منها حديث: "إن الله زوى أو قال إن ربى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها..." الحديث. يرى مؤلف الكتاب أن هذه القصة حدثت للنبي -ﷺ- في جلسة جلاء بصري، وهذا هو ديدنهم، يطوعون أحاديث المصطفى -ﷺ- ويلوون أعناق النصوص لإثبات فرضيتهم. وقد تطرقت للرد على هذه النقطة في الفقرة السابقة.

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص(٢٢٤-٢٢٥).

(٢) انظر: نفس المصدر السابق، ص(٢٢٧-٢٢٨).

المطلب الثاني: تطبيقات الظواهر الفيزيائية، "التأثير على الماديات".

من الظواهر المنتشرة لدى الروحانيين هو زعمهم القدرة على التأثير على الماديات بغير وسيلة، فتجد الواحد منهم يزعم أن لديه القدرة على الطيران، والآخر يمشي على الجمر، وثالثهم يحرك المواد الصلبة من أماكنها، ومحضر الأرواح في غرفته يطير إلى أماكن مرتفعة، والمتأمل يصل بتأمله إلى أبعاد مختلفة، وقلم الوسيط الروحي يكتب شعور معلمه كتابة مباشرة من غير لمس، كل ذلك يحدث من خلال قوة تأثير العقل والروح على المادة.

وتتجلى هذه الظاهرة من خلال ثلاثة عناصر مهمة وهي:

- ✓ التأثير على المادة عن بعد، وتتمثل في ظاهرة التحريك الخارق.
- ✓ التأثير على المادة بواسطة العقل تأثيراً ذاتياً، تتمثل في ظاهرة المشي على الجمر، وتأثيراً متعدياً، وتتمثل في ظاهرة التنويم المغناطيسي.
- ✓ التأثير على المادة بواسطة العلم الإلهي، وتتمثل من خلال التكوين.

• أولاً: التأثير على المادة عن بعد، "التحريك الخارق":

تشير ظاهرة التحريك الخارق إلى وجود أشخاص يملكون القدرة على تحريك الأجسام عن بعد، وهي تعني القدرة التي يمتلكها عقل الفرد فيغير الأشياء المادية، أو يحولها من حالة إلى حالة أخرى، دون حدوث وسيط بين العقل والمادة، كما هو الحال في ظاهرة لي المعادن، وظاهرة التصوير الروحي التي يقوم فيها الفرد بنقل الصورة العقلية في الذهن إلى شريط آلة التصوير، أو ظاهرة العلاج الروحي والجراحة الروحية التي يتم فيها علاج المريض دون استخدام وسائل علاجية مادية^(١).

وهي قدرة غير مألوفة لأي شخص يتمكن من خلالها تحريك أو التأثير على جسم ما عن بعد، دون استخدام أي جهد عضلي، أو نشاط حركي للجسم، أو ملامسة بشكل مباشر باليد أو بأجزاء أخرى من جسمه، أو بشكل غير مباشر باستخدام أي شيء من الوسائط الفيزيائية^(٢).

(١) انظر: خارقية الإنسان - البارسيكولوجي من المنظور العلمي - د. صلاح الجابري، الناشر: دار الأوائل للنشر والتوزيع، ص(٦٦).

(٢) انظر: الباراسيكولوجي ظواهر وتفسيرات، سامي أحمد الموصللي، الناشر: دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ١٩٨٨م، ص(٥٩-٦٠)، وانظر: العاطفة والعقل بين القلب والدماغ: سالم مجيد الشماع، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط١=٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، ص١٠٦.

والطريقة تتم من خلال قوة الملاحظة، وقد لوحظ أن الأجسام لا تتأثر بالمسافة التي بينها وبين المؤثر، بل وجد أشخاص يملكون قدرة التحريك الخارق على أجسام بعيدة جداً أو حتى معزولة عنهم بحاجز^(١).

وقد استخدم عالم الروحانيات والتخاطر "هنري هولت" - هذه الظاهرة للإشارة إلى القدرة المطلوبة للاتصال مع الأرواح بواسطة وسيط، وقد شاع عند علماء (الباراسايكولوجي) أنهم يفسرون الظاهرة على أنها قدرة الشخص إحداث تأثير على جسم ما عن بعد^(٢).

ولقد عرف الإنسان هذه الظاهرة منذ القدم، فبعض كتب التاريخ تشير إلى أن قطع أحجار الأهرام الضخمة نقلت بواسطة التحريك الخارق^(٣)، وبعض المؤلفين من الكتّاب العرب^(٤) يستشهد بواقعة نقل عرش "بلقيس" ملكة سبأ من اليمن إلى القدس، ويجعلها دليلاً على صحة الفرضية، بيد أنه ينكر أن يكون ذلك عن طريق تسخير الجن، ويقول بأن هذا التسخير ليس مجال بحثه في هذا النطاق، فالرجل الذي كان عنده علم الكتاب نجح في الإتيان بعرش ملكة سبأ في الحال، وهو قمة استخدام القدرات مع بعد المسافة، والزمن الذي قطعه للقيام بذلك، هو اللازم^(٥).

(١) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، ص(٢٩-٣٠).

(٢) نفس المصدر السابق. ص ٢٩.

(٣) نفس المصدر السابق. ص ٢٩.

(٤) انظر على سبيل المثال: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص ٢٣٢، والحاسة السادسة - رحلة في عمق وعينا الكوني -: د. أحمد توفيق حجازي، ص ٤٢، إلا أنه يختلف عن سابقه بأنه يقرر بإمكانية تسخير الجن، أو أن تكون تلك القدرات الخارقة هبة من الله لمن عندهم علم من الكتاب، أو من قبيل المعجزات التي يمنحها الله لأنبيائه ورسله، أو كرامة لأوليائه، بينما البحيري يفسر تلك القدرة الخارقة في إطار الفلسفة الروحية.

(٥) هنا مشكلة!، قول هؤلاء الكتاب يمثل هذه المقولة أعني "اللازم" مشكلة؛ لأن مقولة "اللازم" يستلزم منها أن الرجل الذي كان عنده علم الكتاب ونجح في الإتيان بعرش بلقيس إنما كان ذلك في عالم الأثير، ولم يكن في عالم المادة، لأن عالم المادة محكومة بالزمن، والإنسان يتحرر من هذا الزمن من خلال السفر إلى عالم الأثير، إلا أن يكون المراد هو أنه نجح في الإتيان بالعرش أثرياً، ثم انعكس ذلك العرش الموجود في الصورة الذهنية على الواقع، ويكون ذلك الرجل هو من صنع ذلك العرش وأوجده في الواقع، وهذه أيضاً مشكلة أخرى؛ لأن العرش إنما جاء به على وجه الحقيقة، وليس على وجه الخيال. وهذه الإلزامات العقلية تجعل أولئك الكتاب في حيرة من أمرهم، فهم إما أن يسلموا للأمر الواقع الذي يفرض أن واقعة نقل عرش بلقيس إنما حصلت معجزة من عند الله، ولا دخل للعقل البشري في ذلك، أو أن يختاروا التفسير الذي ارتضوه وفق منهجهم، فيلزم عليهم إيجاد أجوبة منطقية لهذه الإشكاليات، وخاصة وأن الرجل الذي عنده علم الكتاب لم يشاهد العرش من قبل، فأني له أن يتصور ذلك العرش، ويجلبه عبر عالم الأثير، ومن ثم يعكسه على الأمر الواقع.

● ثانياً: التأثير على المادة بواسطة العقل:

في دراسته لعالم الروح؛ يقرر السفير عزت علي البحيري بإمكانية تأثير العقل على المادة، ويمكن القول بأن تأثير العقل على المادة عقيدة قديمة ملازمة للاعتقاد بوجود الروح وخلودها في عالم تخضع فيه المادة خضوعاً مباشراً للعقل، ويواصل تقريره فيقول بأن هذا التأثير أصبح اليوم حقيقة علمية!، حيث تبين أن طبيعة المادة الصلبة ليست إلا أثر في رتبة اهتزاز، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له وهو العقل.

وينتهي البحيري تقريره مؤكداً أن هذا الاكتشاف الحديث لهذه الطاقة المنبعثة من جسد الإنسان، يعود بنا إلى ظواهر أخرى قديمة، يعرفها البشر ويستعملونها، وتعرف باسم ظاهرة الحسد والعين. وعلماء المسلمين أرجعوا هذه الظاهرة إلى طاقة عظيمة مصدرها جسم الإنسان، وأنه من خلال هذه الطاقة العظيمة يؤثر على الأشخاص الآخرين، حيث يمكن للبعض التحكم بها عن طريق العقل، وتوجيهها إلى الآخرين، أو الأشياء فتغير من حالها، وقد تصيبها إصابة شديدة تؤدي إلى تلفها، أو تؤدي إلى وفاة الإنسان، وهذه الطاقة الداخلية كامنة، تخرج وتوجه عن طريق العين^(١).

وهناك العديد من الظواهر النابعة من فكرة تأثير العقل المباشر على المادة، وهي منتشرة في أوساط المتصوفة وأصحاب المذهب الباطني، ويتم الترويج لها على أنها كرامة، وقديماً كانت بعض الأفكار مثل القدرة على الطيران، والمشي على الجمر، ومخاطبة الأرواح وغيرها، وقد نوقشت تلك الأفكار، وردتها العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية - - إلى أنها من باب خدمة الشياطين لهم، وإعانتهم على الباطل، وفي هذا السياق يقول - -: "ونحن نعرف من هؤلاء عدداً كثيراً، وليسوا صالحين، بل فيهم كفار، ومنافقون، وفُساق، وجُهَّال، لا يعرفون الشريعة، والشياطين تحملهم، وتطير بهم من مكان إلى مكان، وتحملهم إلى عرفات؛ فيشاهدون عرفات من غير إحرام، ولا تلبية، ولا طواف بالبيت. وهذا الفعل حرام. والجُهَّال يحسبون أنه من كرامات الصالحين، فتفعله الجن بمن يجب ذلك مكرراً به، وخديعة، أو خدمة لمن يستخدمهم من هؤلاء الجهَّال بالشريعة، وإن كان له زهد وعبادة^(٢)."

ويمكن تقسيم ظواهر التأثير على المادة بواسطة العقل إلى ثلاثة أصناف:

➤ الصنف الأول: التأثير الذاتي، وناقشه من خلال تطبيق "المشي على الجمر".

(١) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص(٣٤، ٢٣٣).

(٢) انظر: النبوات: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، (١م/ص ٥٢٤).

➤ الصنف الثاني: التأثير المتعدي، وناقشه من خلال تطبيق "التنويم المغناطيسي".

➤ الصنف الثالث: التأثير على المادة، وناقشه من خلال تطبيق "الكتابة من غير لمس".

وأما الصنف الأول، فهو قدرة إجراء الظاهرة على الشخص نفسه، وهناك العديد من التطبيقات مثل الطيران في الهواء، والمشي على الجمر، وإدخال الآلات الحادة داخل الجسم، وغيرها من القدرات التي يُظن أنها من الظواهر الخارقة، ويتم الترويج لها على أنها كرامة، وكتب الصوفية والروحانيين مليئة بمثل هذه التفاهات، ولا يصدقها إلا أولئك الذين سلموا عقولهم وأرواحهم إلى من يظنون أنهم أشخاص خارقين.

• المشي على الجمر.

عرفت هذه الظاهرة قديماً، ومورست في العديد من المجتمعات القديمة، وقدمت العديد من الآراء والدراسات البحثية حولها، إلا أنها علمياً ليس لها تفسير مقنع لحد الآن، وقد ارتبطت الظاهرة عقائدياً بطقوس الهندوس والبوذية، وبالحرركات الصوفية القديمة، وتبنتها طرق التصوف الفلسفي، وأصبحت علامة فارقة من دلائل كرامة الأولياء أصحاب المشيخة والخلوة^(١).

وتعني ظاهرة المشي على الجمر هي قدرة الشخص على المشي بأقدام عارية على حفرة تملأ غالباً بفحم أو خشب محترق، بحيث تكون الرجل في تماس مباشر مع السطح الساخن، وعنصر الغرابة والظاهرة الخارقة في هذه الحالة هي عدم احتراق أقدام السائرين على حفرة النار، وعلى الرغم من وجود العديد من الآراء حول الظاهرة؛ إلا أنها لا تختلف عن قدة الإنسان على التأثير بعقله على المادة، إلا أن الملفت للانتباه في التفاسير المقدمة تختلف بحسب اختلاف التوجه، فكل يفسر على حسب معتقده ومبدئه، فعالم الانثروبولوجيا الذي يعتقد بوجود المجتمعات البدائية فسر الظاهرة على أنها تعود بسبب من تعود منذ صغره على السير عراة الأقدام، وفي هذا السياق يزعم "جيمس فريزر - James George Frazer" أن القرويين البدائيين يستطيعون أن يسيروا بسلامة على الفحم النباتي المتوهج، بشرط أن يضعوا أقدامهم بتوازن ولا يتعثرون، ويرجع السبب في ذلك أن أخامص أقدامهم قد قست، وأنها تحولت إلى جلد مدبوغ، أو مادة صلبة غير حساسة للنار^(٢)، ولا شك أن هذا التفسير لا يمكن قبوله عقلاً، لأن المشي على الجمر لا يمارسه القرويون

(١) ناقشت د. هيفاء الرشيد هذه المسألة في كتابها "المشي على الجمر"، وذكرت أصول المسألة، ولا حاجة لذكرها هنا رغبة في الاختصار وخشية عدم الإطالة، وسأذكر المسألة هنا فيما يتعلق بتفسير بعض العلماء لهذه الظاهرة.

(٢) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، ص ٢٣٨.

وأصحاب المجتمعات البدائية فقط، بل تعدت من كونها ممارسة طقوسية لتصبح من أهم الدورات التدريبية التي تقدم في مجال التنمية البشرية وتطوير الذات.

بينما يفسر المدرب الأمريكي "تولي بركان" هذه الظاهرة تفسيراً مادياً؛ فيزعم أن "العقل الوائق" سبب في سريان الدم في الجسد، وعبر الأقدام الحافية، مما يسهم في خفض حرارتها، ومن ثم عدم احتراقها^(١)، وهذا التفسير المادي الذي يضع أسباب عدم احتراق الأرجل إلى خفض حرارة الجسم لا يتوافق علمياً، لأن المسلم -عقلاً- أن الخائف المضطرب هو من تتزايد ضربات قلبه دافعة الدماء في عروق جسده، مما يجعل الوائق مطمئن خلافاً لنظرة "تولي بركان" أكثر عرضة للاحتراق!^(٢).

يقابلها تفسير آخر، وهو تفسير على عكس التفسير الماضي، ويناقضه تماماً؛ إذ يجعل السبب هو قدرة الإنسان على رفع درجة حرارة جسمه المادي إلى درجات متفاوتة، حتى تصل إلى درجة حرارة النار!، بمعنى آخر؛ فإن المقصود من هذا الارتفاع هو بلوغ الإنسان إلى درجة حرارة المارج الذي خلق منه النار^(٣)، وهذا تكريس لنظرية الذبذبة والاهتزاز، والموقف الذي يفسر العوالم الغيبية على أنها ذبذبات، والإنسان يظل في ذبذبة منخفضة جداً نتيجة جسمه المادي، وإذا ما أراد الإنسان أن يرتقي إلى تلك العوالم فعليه أن يرفع من ذبذبته، وأصحاب هذا الاتجاه يفسرون قول الله تعالى: ﴿يَمَعْتَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(٤) بأن الإنسان بجسده المادي لا يمكن له أن ينفذ من أقطار السموات والأرض إلا من خلال اكتساب خصوصية الجان؛ فهو إن استطاع أن يصل بجسده المخلوق من مادة الصلصال في مواصفاتها إلى صفات جسد الجان المخلوق بطاقة حرارية، فإنه حينها يستطيع النفاذ من تلك الأقطار، وهذا لا يمكن إلا من خلال رفع درجة حرارة الجسد المادي لتتوافق مع درجة حرارة الجسد الناري^(٥)، واستدلواهم بهذه الآية على إمكانية نفاذ الإنسان من أقطار السموات والأرض من خلال اكتسابه

(١) انظر: المشي على الجمر أصله وحقيقته: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ١ = ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م، ص ٣٣.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٣٣.

(٣) انظر: السر الأعظم أو سر الأسرار -دراسة في أسرار وخفايا سورة الرحمن-: محمد محمد سليم الكاظمي، الناشر: دار المعتز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١ = ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، ص ١٧٩.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(٥) انظر: السر الأعظم: محمد محمد سليم الكاظمي: ص ١٧٩.

خصوصية الجان مردود عليهم، إذ كيف يمكن أن ينفذ وقد دلت الآية على أن الجن أيضاً مخاطبون بنفس ما خوطب به الإنسان، وهذا هو منهجهم؛ إذ يتصفون بالانتقائية، ويتشبهوا بكل ما يمكن للاستدلال على خرافة الوهم، وليثبتوا صحة فرضياتهم، وهل يعقل (على صحة فرضيتهم) أن الإنسان إذا استطاع رفع ذبذبته واكتسب بعض خصائص الجن بإمكانه أن ينفذ من أقطار السموات والأرض!، والله سبحانه وتعالى قد بين ذلك على لسان مؤمني الجن حين أخبروا عن حالهم: ﴿ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَابًا ۝٨ وَأَنَا كُنَّا نَقَعُدُّ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ ۖ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَحْدِثُهُ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ ﴾، فالآية دالة على أنه ليس بإمكانهم النفاذ من أقطار السموات والأرض، وإنما كانوا يقعدون في مقاعد بين السموات والأرض يسترقون الوحي، ويلقونه على الكهنة، فهذا هو حدهم، وذلك هو مبلغهم من العلم، أما أنهم يعلمون الغيب وينبئون للمستقبل فهذا كله من الافتراء والقول على الله بغير علم، وبالرجوع إلى -صحة الفرضية- فإن الإنسان لن يستطيع النفاذ بأكثر مما نفذت إليه الجن.

هذا ما يتعلق بالصنف الأول، وهو القدرة على التأثير الذاتي، وقد اخترنا للتمثيل على ذلك التأثير تطبيق المشي على الجمر، وأما الصنف الثاني فهو قدرة الإنسان على التأثير بعقله على شخص آخر، فيكون تأثيره تأثيراً متعدداً، ومن أهم الظواهر التي تدل على ذلك هي ظاهرة "التنويم المغناطيسي".

• التنويم المغناطيسي والإحياء.

تعتبر هذه الظاهرة قديمة جداً، وعرفت منذ القدم، فقد مارسه المصريون القدماء، وعرف لدى اليونانيين مصطلح "هبنوس - Hypnosis" أي إله النوم، كما وجدت في الفلسفات الشرقية القديمة، وامتزجت العقائد الدينية بالطقوس العلاجية البدائية، فكانوا يمارسون العلاج من خلال إخضاع المريض لقدراتهم، ويتمثل هذا الإخضاع من خلال التمكن من جسد المريض والعلاج بالمسح بالأيدي، والتفوه بكلمات غامضة ومبهمة، والإتيان ببعض الحركات الغريبة التي اشتهر بها الكهنة والأطباء في الفكر الشرقي القديم، ولا سيما المصريون القدماء^(١).

والظاهرة كانت في طريقها للاختفاء نظراً لعدم تقبل الناس لفكرة التنويم المغناطيسي، وما كان يفعل الأطباء الكهنة من ممارسات مخيفة جعلت الناس تنفر منه، ولكن جرت محاولات لإحياء

(١) انظر: التنويم بالإحياء: د. إبراهيم الفقي، الناشر، مؤسسة بداية، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ص(١٢-١٣).

"التنويم المغناطيسي" في الفكر الحديث، ولكن بصورة أكثر علمية من كونها تمارس من قبل الكهنة؛ وأول من أشهر فعالية التنويم المغناطيسي وأثر الإيحاء النفسي على المريض في الطب الحديث هو "فريدريك أنطون مسمر - Franz Anton Mesmer"، حين نظر في أطروحته الطبية بأن الشمس والقمر والنجوم والكواكب تؤثر على الجهاز البشري من خلال سائل غير مرئي يشمل الكون، وأطلق عليه اسم "المغناطيس الحيواني"، ولعل أهم نقطة تحول في تاريخ التنويم المغناطيسي قد جاءت عن طريق "فرويد-Freud" ليس لكونه لم يكن بارعاً في إحداث حالة التنويم، بل لمنطوقاته الفلسفية التي بحثت في أعراض المرضى والمنومين مغناطيسياً عن القوة المغمورة والمنسية والمكبوتة من الحياة العاطفية لديهم، فراح يبحث عن محاولة التوصل إلى هذه القوة العقلية الخفية وراء الوعي^(١).

والتنويم المغناطيسي هي "حالة من الاتصال بين العقول"^(٢)، والظاهرة تكون بين اثنين، أحدهما منوم، والآخر المنوم أو الوسيط، ويتم خلالها السيطرة على النائم لإقناعه بفكرة معينة، أو توجيه قواه الروحية إلى جهة معينة لكشف معلومات مهمة، وقد يكون النائم هو وسيط دائم يعمل المنوم على تكليفه بتلك المهام، وتتدخل رغبة الشخص في النوم الإيمائي من عدمه في إتمام العملية^(٣).

وبالتالي فإن "التنويم المغناطيسي" هي حالة متصاعدة من الوعي، وتفتح أكثر لقبول اقتراحات، مثل أحلام اليقظة، ويمكن تحفيزه بحالة من التركيز المركز^(٤).

ويعمل التنويم المغناطيسي أو التنويم بالإيحاء على الوصول إلى إحدى مراحل النوم الطبيعية التي تحدث لكل إنسان، ولكن ليس النوم العميق، بل النوم في أول مراحلها، وهي تتميز بالسكون التام، وفيها يتم برمجة العقل اللاواعي باستقبال الرسائل الموحى إلى العقل عن طريق المعالج أو المنوم^(٥). وهناك عوامل مهمة في عملية التنويم، ويجب توفر هذه العوامل، وهي استعداد وتصميم المنوم الوسيط، ووصوله ذاتياً إلى حالة الغشبية، نتيجة لدوافعه القوية، والاستجابة لإيحاءات المنوم^(٦).

(١) نفس المصدر السابق، ص(١٨-٢٤).

(٢) انظر: أسرار التنويم المغناطيسي الذاتي: د. آدم إيسون، الناشر، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١=٢٠١٠م، ص٢٧.

(٣) انظر: الحاسة السادسة - رحلة في عمق وعينا الكوني-: د. أحمد توفيق حجازي، ص٤٣.

(٤) انظر: أسرار التنويم المغناطيسي الذاتي: د. آدم إيسون، ص٣٣.

(٥) انظر: التنويم بالإيحاء: د. إبراهيم الفقي، ص٢٩.

(٦) انظر: التنويم بالإيحاء: د. إبراهيم الفقي، ص١٥.

- تطبيق عملي للتنويم المغناطيسي:

هنالك طرق كثيرة لعملية التنويم المغناطيسي؛ إلا أن جميعها تتلخص في ثلاثة عناصر مهمة،

وهي:

(١) تركيز النظر على نقطة ما، ويفضل أن يكون لا معاً أو مضيئاً.

(٢) الإيحاء.

(٣) التمليس، وهو إمرار اليد على جسد المنوّم "الوسيط".

في البداية يجلس الشخص المنوّم "الوسيط" جلسة مستريحة، ويعمل المعالج على إيهامه بالنوم مع تركيز نظره على لامع، ويبدأ المعالج في عملية الإيحاء على النوم أولاً، مثلاً يقول له: "جفونك ثقيلة، نم"، وثانياً: يمرر يده على رأس المنوّم "الوسيط" نزولاً فقط، ولا يلامسه صعوداً. ويستمر في عملية الإيحاء ونقل الأفكار المراد إيصالها إلى العقل، وبجانب ذلك يتم تكرار التمليس نزولاً إلى أن يشعر بأن الشخص قد نام فعلاً، ولإلغاء عملية التنويم يبدأ في الإيحاء بالاستيقاظ، ومعاودة التمليس صعوداً^(١).

• ثالثاً: القدرة على التأثير بواسطة العلم الإلهي.

القدرة على التأثير على الماديات بواسطة العلم الإلهي هي أعلى مراتب التأثير، ويقصد بها بلوغ الإنسان إلى درجة إيجاد الكائنات، وحين نقول "إنسان" فإننا نقصد بذلك الإنسان الذي بلغ أعلى درجات الكمال، الإنسان المندمج مع الكون، والمتناغم مع الإيقاعات الكونية، والمتحد مع ما يسميه الفلاسفة بالعقل الفعال أو مبدع الكل أو الجوهر المطلق الذي هو من وجهة نظر الفلاسفة "مبتوث داخل الكون"، والوصول إلى هذه المرتبة يتطلب مجهوداً بالغاً لا يمكن لأي أحد أن يصل إليه إلا من أفنى عمره في الممارسة الفعلية.

وهؤلاء الذين يستطيعون التأثير بواسطة العلم الإلهي يظنون أنهم بلغوا المراتب النورانية العليا، وأنهم يتلقون المعارف الإلهية مباشرة من السجلات الأثرية حسب التصور الفلسفي الشرقي القديم، أو من خلال اللوح المحفوظ بحسب تصور التصوف الفلسفي، وبالتالي فإن هؤلاء ينعنون بكونهم مشاركين مع الآلهة في الخلق أو الإيجاد، وينظر إليهم على أنهم أنصاف آلهة، بينما هم في التصوف الفلسفي ينعنون بكونهم مدبرين وأقطاباً وأناساً كاملين، وتكمن وظيفتهم في كونهم يجرون القلم على

(١) انظر: التنويم المغناطيسي: نبيل إبراهيم غالي، الناشر، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط ١=١٧٤هـ، ١٩٩٦م،

السجل فيكتب من غير لمس، وما يكتبه إنما هو انعكاس لما في القدر، كما أنهم يقولون للشيء "كن" فيكون.

وهذه الأفكار ولئن كانت متعلقة بالدين، وتصدر من رجال الدين، وكانت سرا من أسرار الكهنة، إلا أن الوضع في العصر الحديث اختلف تماماً، ولم يعد هنالك أسرار، وأصبح هذا النوع من التأثير علماً من علوم التنمية البشرية وتطوير الذات.

• ظاهرة الكتابة التلقائية.

وهي ظاهرة تحدث من خلال الخروج عن حالة الوعي والرشد إلى حالة النوم واللاإرادة، فيحصل أن تحدث هيمنة مباشرة من كائن غير منظور على عقل الوسيط، تمكنه من الكتابة بخط ليس خطه، وأفكاراً ليست أفكاره، وقد تكون أعمق منها بكثير، وقد تكون بلغة لا يعرفها، وقد تكون في موضوعات شائكة، وليس له أي إلمام عنها، وقد تكون شعراً راقياً أو أدباً عميقاً، وهو ليس بشاعر ولا أديب، وحين يستيقظ من الحالة اللاإرادة، ويعود إلى رشده ووعيه يتمكن من قراءة ما كتب^(١).

وهي ظاهرة قديمة، وكان ينظر إليها على أنها نوع من محاولة الاتصال بالعالم الآخر، وعرفت عند العرب منذ آلاف السنين، وبمسميات مختلفة من بينها "المساعد الشيطاني" أو "القرين الجني" الذي يملي إملاءاته على الوسطاء الروحانيين، وبالتالي فإنها ليست إلا شكلاً من أشكال "تحضير الأرواح"^(٢).

والحاصل أن الناس يظنون أن الكتابة تحدث حقيقة ومن غير لمس، وقد يعتقد البعض أنها من كرامات الأولياء، وهي من أوجه خداع الناس، وأصل المسألة أن الكائن غير المنظور قد تسلط على الوسيط بشكل مباشر، وقد تحصل أيضاً من خلال التنويم المغناطيسي والإيحاء، فيملي عليه أشياء يظن أنها من الغيبات، وبهذا يتضح أن الكتابة التلقائية هي من بعض الأساليب التي يلجأ إليها في التخاطب مع الأرواح، فالكتابة التلقائية أن تستولي روح ما على ذراع الوسيط، فتبدأ يده تتحرك بالكتابة السريعة^(٣).

(١) انظر: تحضير الأرواح -الاتصال بالموتى أو تجسد الأرواح-: أحمد حسن الشيخ، ص ٤٩.

(٢) انظر: في ظلال الحروف: المختار سالم أحمد سالم، الناشر: e-Kutub.Ltd، إنجلترا، ط ١٩=٢٠١٩م، ص ٨٠.

(٣) انظر: العقل وسطوته: جوزيف بانكس راين، ترجمة: د. محمد الحلوجي، ص (طبعة غير مرقمة).

• التكوين.

تشير ظاهرة التكوين على قدرة بعض الأشخاص على إيجاد أشياء في عالم المادة لم تكن موجودة من قبل، فهي قد تشكلت في نفس وقت ظهورها.

وهذه الظاهرة قوبلت بالرفض لدى المجتمع العلمي، وهي تشبه بعض ما يقوم به سحرة المسارح الذين يعتمدون في فعاليتهم على خفة اليد ومهاراتهم، واستخدام معدات كانوا قد أعدوها بشكل خاص لإخفاء ما يريدون أن يظهره فيما بعد^(١).

إلا أن ظاهرة التكوين وإيجاد الكائنات المادية بعد أن لم تكن ظهرت بقوة لدة المجتمع الباطني الإشرافي الصوفي، ووجدت في رسائل إخوان الصفا^(٢)، حتى أصبحت دلالة من دلالات "الإنسان الكامل"، و"العبد الرباني"، و"الإنسان الخلاق".

وأصل المسألة ترجع إلى المدرسة الإلهية اليونانية التي ءامتت بضرورة وجود إله مفارق للكون، وبحسب نظرية "المثل العليا" عند أفلاطون، فإن "الباري أبداع العقل الأول، وتوسطه النفس الكلية، وقد انبعث عن العقل انبعث الصورة في المرآة، وتوسطهما أي: "توسط العقل والنفس" أبداع العنصر"^(٣)، ومن منطلق هذه الفلسفة الأفلاطونية فإن أصحاب الاتجاه الباطني الإشرافي يؤمنون بفكرة أنه يمكن للعبد أن يتحلى ببعض الصفات الإلهية التي تمكنه من ظاهرة التكوين وإيجاد الأشياء من العدم، فهم يرون أن الله هو منشئ القيم وواهبها، وهذه القيم المطلقة والسامية هي صنيعه الله، تمثلت صورها الإيجابية في صفات الله الإيجابية^(٤)؛ والعبد لا يمكنه محاكاة تلك الصفات إلا إذا ارتقى إلى مقام المحبة، ليكون من المجتبيين، وهو ما يطلق عليه اسم "العبد الرباني".

والعبد الرباني هو العبد الذي امتلاء قلبه بحب الله؛ فصار يبحث عن الله في كل شيء، حتى تحلّق بقبس من صفات الخالق، ولا يمكنه ذلك إلا حين التجرد من الأهواء التي تحول بينه وبين ربه،

(١) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، ص ٣٩.

(٢) انظر: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: إخوان الصفا، مراجعة: خير الدين الزركلي، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م، ص ٢٤٧.

(٣) انظر: منهج الارتقاء بالقيم من المعرفة إلى العمل: زينب قهوجي، الناشر: دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٣م، ص ١١٠.

(٤) انظر: نفس المصدر السابق، ص ١١١.

فيرتقي إلى درجة المحبة، والاصطفاء والاختيار، ويتخطى العالم المادي، ويعلو فوق نفسه وشهواتها، ويترقى بروحه وقلبه، حتى يصير عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون^(١).

وهذه الأفكار لم تكن موجودة في البيئة الإسلامية، وهي وإن كانت قد ظهرت قديماً لدى السحرة والكهنة، وظهرت ضمن الروايات الإسرائيلية، الأمر الذي يشجع على القول بأن فكرة التكوين وإيجاد الأشياء بعد أن لم تكن موجودة في فكرة نمت في الأوساط الصوفية الباطنية، والغنوصية الصوفية القديمة، وقد تأثر بها كثير من طوائف اليهود والنصارى، ووجدت الفكرة طريقها إلى الفلسفة اليونانية من خلال المدرسة الإلهية الأفلاطونية، وتسلفت إلى المعتقدات الإسلامية من خلال رسائل إخوان الصفا، وهم أول من نسبوا المقولة القائلة: "عبدني أطعني تكن عبداً ربانياً - وفي رواية "تكن مثلي" - تقول للشيء كن فيكون"، وصبغوا المقولة بصبغة الأحاديث القدسية، وانتشرت هذه المقولة بكثرة في القرن الثامن الهجري، وذكرت ضمن العديد من المصنفات، حتى جاء صدر الدين الشيرازي ونشرها في كتابه "الحكمة المتعالية"، وذكر أيضاً: "أنه ورد في بعض الصحف المنزلة من الكتب السماوية، أنه قال سبحانه: يا بن آدم خلقتك للبقاء، وأنا حي لا أموت، أطعني فيما أمرتك، واتبع عمتا نهيته، أجعلك مثلي حياً لا تموت"^(٢).

والتفسير الفلسفي الذي عمد إليه كثير من أتباع التصوف الفلسفي والمعرفة الباطنية هو أن العبد الرباني هو الذي أُعطي مقام الـ"كن"، فكل عبد وصل إلى هذا المقام أصبح منزهاً عن التشابه مع الخالق، وبهذا يرتفع التعارض مع مبدأ عدم مماثلة المخلوق بالخالق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣)، ويكون المعنى أن هنالك من هو حامل لأوصاف الربوبية، بعد أن تخلّى من أوصاف البشرية، وعلى الخلق أن يقصدوه لأنه بمثابة وجه الحق تعالى للخلق، وهو بصره وسمعه^(٤)!!!.

(١) انظر: الطريق إلى النور: جيهان مأمون، الناشر: دار تحفة مصر للنشر، ٢٠١٦، ص ٥٨.

(٢) انظر: حديث "عبدني أطعني تكن مثلي" قيمته ودلالاته في التصوف والولاية التكوينية: حيدر حب الله، الناشر: الموقع الرسمي لحيدر حب الله، ٢٠١٥م، طالع: <http://hobbollah.com>.

(٣) سورة الشورى: الآية رقم (١١).

(٤) انظر: الروح الصوفي: أ.د. ضاري مظهر صالح، الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ١-٢٠١٢، ج ٢، ص ٣٠٤.

المبحث الثالث

تطبيقات تطوير الذات

وفيه ثلاثة مطالب:

- * **المطلب الأول:** تطبيق قانون الجذب.
- * **المطلب الثاني:** تطبيق البرمجة اللغوية العصبية (NLP).
- * **المطلب الثالث:** تطبيقات الفنون القتالية.



المبحث الثالث

تطبيقات تطوير الذات



قبل الخوض في تفاصيل هذا المبحث المتعلق بمناقشة التطبيقات المتعلقة بتطوير الذات، والسمة البارزة فيها أنها تطبيقات خارقة للعادة الإنسانية؛ قد نجد تداخلاً مع تطبيقات المبحث السابق، والمتعلقة بالتواصل مع الأرواح والعوالم الغيبية الأخرى، والناظر لتلك التطبيقات يجد أنها أيضاً خارقة للعادة، ولكن الفارق بين تطبيقات هذا المبحث والمبحث السابق هو أنهما يجتمعان من حيث الخارقة، ويختلفان في الطريقة والمنهج، فتطبيقات التواصل مع الأرواح خارقة، وطريقها قديم قدم التاريخ، ومنهجها يعتمد على أساطير الأولين وتجارب السابقين، بينما تطبيقات تطوير الذات تتصف بكونها خارقة، وطريقها يعتمد على توظيف العلم لإخراج ما كان من قبيل الأسرار في السابق في ثوب العلم، وإيجاد البراهين المنطقية على صحة الأسرار، والاستدلال لها، ومنهجها يتسم بالعلم أكثر من كونها أساطير وخرافات.

ولعلنا نناقش هذه التطبيقات المتعلقة بتطوير الذات من ثلاثة جوانب، تمثل مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: تطبيق قانون الجذب.

قانون الجذب هو قانون كوني يُمكن الإنسان من اجتذاب كل ما يريده من الحياة كالصحة، والسعادة، والثروة، والحب... إلى نفسه، بل ويعتمد هذا القانون على الاعتقاد بأن التركيز على شيء ما يبعث إليه ذبذبات من طاقة الإنسان، ومن ثم فهو الذي يحصل عليه، بغض النظر عن إرادته له، ولذلك يتم التدريب على كيفية التركيز على ما يريده الإنسان فتوجه إليها الطاقة والذبذبات فتجذبها^(١).

(١) انظر: السر وقانون الجذب: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، متاح على الموقع الكتروني <http://alfowz.com>

تاريخ النشر: ٢٠١٢م.

وهو قائم على مبدأ توصل إليه المهتمون بتطوير الذات، وهو "أن الشبيه يجذب إليه شبيهه"^(١)، استناداً على التصور الفلسفي القائم على أن الحياة المادية الظاهرة هي ليست إلا انعكاساً لعالم المثل، وأن كل شيء يحصل في هذا العالم له ما يشابهه في عالم المثل، وأصلاً هو في حقيقته ليس إلا انعكاساً لذلك العالم.

فقانون الجذب هو قانون "يجذب المرء إلى حياته كل ما يكرس له انتباهه وطاقته وتركيزه، سواء كان سلبياً أم إيجابياً"، فهو قانون الطبيعة الذي ينص على أن كل ذرة من كيان الإنسان إنما هي في حالة استجابة دائمة، سواء عرف ذلك أم لا، فهو يستجيب للموجة التي تظهرها الطاقة الكونية التي تنساب حول الإنسان، وبالتالي فإن الإنسان يصبح كائناً مغناطيسياً، يجذب إلى حياته الأشخاص والمواقف والظروف التي تتناغم مع الأفكار المسيطرة على عقله، وكل ما يدور في خلدته يتحقق في واقعه"^(٢).

كيف يحصل ذلك؟.

أولاً: من خلال الفرضية العلمية التي يؤمن بها المهتمون بتطوير الذات بأن هنالك أمواجاً وترددات وذبذبات كونية وذاتية.

ثانياً: تقرر هذه الفرضية بأن الذات الإنسانية لا تخلو من أن تصدر موجات ترددية، فهي تصدر إما موجة ترددية إيجابية أو موجة ترددية سلبية.

ثالثاً: الطاقة الكونية تستجيب للموجة الترددية التي تظهرها الذات الإنسانية، وهي في حالة استجابة دائمة لتلك الموجات الترددية.

رابعاً: يصبح الإنسان بفضل هذه الموجات الترددية كائناً مغناطيسياً يجذب إلى نفسه ما يريد، وفق قانون العطاء الكوني، وهو القانون الذي ينص على أن الدنيا مليئة بالعطايا، فمن يعطي يعطي^(٣)، فهو في حالة استجابة دائمة.

(١) انظر: كتاب السر: روندا بايرن، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٨م، ص ٧، وانظر أيضاً:

أسأل تعط: استر وجيري هيكس، ص ٦٦.

(٢) انظر: قانون الجذب: مايكل جيه. لوسبير، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠١٥، ص (١٥-٢٤).

(٣) انظر: قانون الجذب، د. صلاح الراشد، "طبعة قرطبة الرابعة"، الناشر: مركز الراشد، الكويت، حولي، ط ٤=١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص ٣٢.

وأخيراً فإن هذا القانون لا يفرق بين ما هو سلبي وإيجابي، كل شيء يحدث وفق إرادة الإنسان ومعتقد، والأهم فيه أنه يتصل اتصالاً قوياً بممارسات ومناهج؛ وهي -بحسب المهتمين بتطوير الذات- تم قبولها والاعتراف بها على نطاق واسع، وأخضعت للبحث والدراسة بصورة طيبة، تلك الممارسات والمناهج تنتمي إلى مجموعة متنوعة من حقول العلوم والمعارف. ويبرهن هذا الكم من الأبحاث على أن تغيير الإنسان لمنظوره، ولممارسته، واتخاذ خطوات فعالة نحو ما يؤمن به حقاً من شأنه أن يقوده إلى تغيير مستديم للأفضل في حياته^(١).

علم قانون الجذب:

لا يقتصر الأمر في قانون الجذب على مجرد تمني ما هو أفضل أو توقع ما هو أفضل!، أو حتى استحضار ما هو أفضل، على الرغم من أن جميع ما سبق لا يؤدي ولا يسبب ضرراً. كما أن قانون الجذب يتعلق أيضاً بالمعرفة التي لا يتسرب إليها الشك؛ فعندما لا تتحقق الفكرة عما هو "أفضل" وفقاً لخطة محددة أو في موعد محدد، فإنه مازال بالوسع أن يتم التعامل مع الأمر، ليس هذا وحسب؛ بل أن يعايش اللحظة، فتزدهر الفكرة، وتنتعش في ظل تلك الظروف نفسها. ويتأتى هذا عن المعرفة الجوهرية والافتناع التام بأن الإنسان يستطيع أن يتعلم، وأن يتطور، وأن يسمو، انطلاقاً من هذه التجربة الصعبة بحيث يدرك شيئاً أفضل بكثير أو ذا مغزى أكبر وفائدة أشمل^(٢).

وبالتالي فإن قانون الجذب ليس مجرد مصطلح تخيلي، ولكنه مبني على علم وأسس واضحة!!!، حسناً؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن ما يتم الاستدلال به على صحة العلم هو أن هنالك أسس في علم النفس تدعم التفكير الإيجابي وتأثيره في تشكيل قانون الجذب، وهذا أولاً. وأما ثانياً فإن هنالك العديد من أشكال الطاقة، منها الطاقة الذرية، والحرارية، والكهربائية، والحركية، والطاقة لا يمكن تدميرها أبداً. كما أن كل مادة تتكون من ذرات، بما فيها الذات الإنسانية، والذرة بها نواة تحتوي على بروتونات ونيوترونات، تدور حولها إلكترونات. وتدور الإلكترونات في الذرة حول النواة في مدارات "أوربيتالات"، أو مستويات طاقة محددة تضمن استقرار الذرة، وقد يجبر الإلكترون على احتلال "أوربيتالات" أعلى عن طريق إضافة الطاقة إلى الذرة، أو قد

(١) انظر: تطبيق قانون الجذب، مرشد واقعي نحو تغيير حياتك، د. دينا دافيز، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض،

السعودية، ط ٢=٢٠٠٩م، ص ٢٨.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص ٢٧.

يولد طاقة عندما يهبط إلى "أوربيتال" أدنى، وكما يحدث في "الحالة الانفعالية؛ فإنه إذا تم شحن الذرات بطاقة معينة، فإنها تولد قوة حافزة بحيث تشد بعضها بعضاً في اتجاه واحد، بنفس الطريقة التي تتجاذب بها المعادن عند وضع جزئياتها في نفس الاتجاه، وتكوين أقطاب إيجابية (+) وسلبية (-) على هذا النحو إنما هو حقيقة تقرها الطبيعة والعلم^(١).

وهكذا يتم الاستدلال على صحة قانون الجذب بمكتشفات العلم الحديث، وإخضاع العلوم للقوانين الفيزيائية، ومن الزاوية الفيزيائية يتم اقحام متغيرات النفس الإنسانية وتفسيرها وفق تلك القوانين، وعلى صحة تلك الفرضية فإن المهتمين بقانون الجذب لا يكادون أن يجزموا جزماً قاطعاً على سلامة هذا العلم، وصحة الفرضية، وإنما هي أشباه ملاحظات، وقياسات مادية يتم تطبيقها على شعور الإنسان ومتغيراته النفسية، وهي قوانين أثبتها العلم في الجانب الفيزيائي، وعجز عن إثباتها في الجانب الإنساني النفسي، ومن ثمَّ يقررون بأن تلك القوانين حتى ولو لم يكن اثباتها ممكناً في الوقت الحالي على الذات الإنسانية؛ إلا أنه يمكن تجربتها على الجانب النفسي، وبالتالي يظل هذا القانون هو قانون الطبيعة الذي ينص على أن كل ذرة من ذرات الكيان الإنساني إنما هو في حالة استجابة دائمة، عرف من عرف، وجهل من جهل.

ويمكن تلخيص الجانب العلمي لقانون الجذب في النقاط التالية^(٢):



(١) انظر: قانون الجذب: مايكل جيه. لوسبير، ص ١٧.

(٢) انظر: قانون الجذب: د. صلاح الراشد، ص ٥٨.

وتكمن مسؤولية الإنسان في التأثير الإيجابي في الكون وبالذات، وقانون الجذب الكوني بخطوات ثلاثة:

- الخطوة الأولى: هي الطلب، فيتوجه الإنسان إلى الكون ليطلب منه وفق قانون العطاء والوفرة، "وجه طلبك للكون، ودع الكون يعرف ما يريد، وسوف يستجيب لأفكارك".
- الخطوة الثانية: الإيمان، وبجانب الطلب من الكون؛ يجب أن يكون هنالك إيمان بأن الكون سوف يستجيب لطلبات الإنسان، "أمن بأن الأمر صار ملك يديك فعلاً"، وهنا يتدخل قانون العدل "الكارما"، وسواء كانت تلك الأفكار سلبية أو إيجابية؛ فإن الجذب يحصل وفق مشيئة الإنسان.
- الخطوة الثالثة: العملية الإبداعية، وهي أن يتلقى الإنسان ما ينشده من خلال التفكير والتركيز، وفق قاعدة الطاقة التي تنص على أن "الطاقة حيث التركيز"، فجذب الأحداث التي حول الإنسان إنما تحصل من خلال التركيز والاهتمام والطاقة^(١).

وهنالك نوعين من أنواع الجذب:

النوع الأول: الجذب غير الانتقائي، وهو يحصل نتيجة الحالة السلبية التي يصدرها الإنسان، وعلى الرغم من أنه لم يفعل ذلك عن عمد؛ إلا أن قانون الجذب يستجيب لحالته، فيُعطيهِ نفس الحالة، أو المزيد منها. إنه لا يعرف ما هو الإجراء الذي يتخذه حتى يتسبب في توليده لهذه الحالة السلبية^(٢).

(الجذب غير الانتقائي)



(١) انظر: كتاب السر، رواندا بايرن، ص(٤٧-٦٩)، وانظر أيضاً: قانون الجذب: صلاح الراشد، ص ٣٠.

(٢) انظر: قانون الجذب: مايكل جيه. لوسير، ص(٢٥-٣٣).

ولنفادي الوقوع في تلك الحالة؛ فعليه أن يعي أولاً أن الملاحظة تصنع موجة ترددية، وهو حين يلاحظ لا بد أن يكون إيجابياً لكي تكون الموجة إيجابية. ثم عليه أن يختار الكلمات التي يرددها، فالأفكار تتألف من كلمات، والمشاعر ناتجة عن تلك الكلمات، فلا يستحسن بالإنسان أن يستخدم الكلمات السلبية "لا تفعل"، "هذا واجب"، "إن فعلت كذا سوف أحكم عليك"^(١).

النوع الثاني: الجذب الانتقائي، وهو التطبيق العملي لقانون الجذب، وهو عكس السابق، ويحصل من خلال التركيز على الكلمات، وتظل الكلمات المستخدمة في عملية الجذب هي القاسم المشترك بين كل التدريبات في عملية الجذب الانتقائي.

في البداية يتم تحديد الرغبات، ولجعل قانون الجذب يعمل لصالح المتدرب فعليه أن يكو واضحاً تجاه ما يريد.

ثم ينتقل المتدرب إلى الخطوة الثانية، وهي أن يعطي لرغبته كل انتباهه، فإعطاء الانتباه يزيد من قوة الموجة الترددية، ويعني المزيد من الطاقة والتركيز الإيجابي، وهذا الانتباه يسمح للمتدرب أن يختار الكلمات الإيجابية المضمنة بالتوكيدات المهمة، لأن المتدرب قد يستخدم كلمات إيجابية، ولكنها تصادم مع الواقع، فالمتدرب الباحث عن الصحة لا يستحسن له أن يقول "إني أملك جسداً مثالياً"، لأنه في الواقع هو شخص مريض، فتتحول تلك الكلمات إلى موجات سلبية، بينما يستحسن له أن يقول "أنا في طريقي نحو امتلاك صحة مثالية".

ثم ينتقل إلى الخطوة الثالثة وهي تحرير الرغبة هي غياب الموجة الترددية السلبية، بمعنى أنه لا يتطرق الشك إلى فكر المتدرب، وباختصار فإن حالة المتدرب مع الجذب الانتقائي لا تخلو من ثلاث حالات، وهي:

لديه رغبة قوية مع وجود شك قوي، وهذا يعني أن رغبته لن تتحقق.

لديه رغبة قوية، مع القليل من الشك، يعني ان رغبته سوف تتحقق، وإن كان ببطء.

لديه رغبة قوية، مع عدم وجود شك، يعني تحقق الرغبة بسرعة^(٢).

هذا هو قانون الجذب، وهو علم لا يمكن الوثوق به، لأنه قائم على الفرضيات العلمية، ولا أساس علمي له يستند عليه سوى قياس الجانب النفسي للإنسان على النظريات الفيزيائية، ويتعارض

(١) انظر: نفس المرجع السابق.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص(٣٧-٨٦)، وانظر أيضاً: أسأل تعط: استر وجيري هيكس، ص(٦٧-٦٨).

مع المعتقد الإسلامي، فقانون العطاء والوفرة يمنح الكون صفة إلهية، بينما يكمن دور الإنسان في التوجه إلى الكون لتحقيق الرغبات، وإذا ما نظرنا إلى التطبيق العملي للجذب الانتقائي ثم عملنا مفارقة بسيطة مع قصة إسلام الصحابي الجليل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، نجد أن كل تلك الخطوات ليست إلا تخريصات ظنية، ولا يمكن الوثوق بها.

خرج عمر بن الخطاب من بيته حاملاً سيفه، مستهدفاً رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كي يتخلص منه، ويريح كفار قريش مما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، وما أحدثه في المجتمع المكّي الجاهلي من ناحية العقيدة والسلوك، ولم تمض اللحظات حتى تحول ذلك الشخص المندفع بعقيدته التي يؤمن بها، وبقناعته بسلوكة وتصرفاته إلى شخص مغاير تماماً، فقد أسلم -رضي الله عنه-!، وانتشر خبر إسلامه انتشار النار في الهشيم.

أي تردد، وأي ذبذبة كونية حولت ذلك الشخص العظيم!، وأي كلمات وأي تأكيدات حولت تلك الشخصية من السلبية إلى الإيجابية، وبلغة المهتمين بتطوير الذات ورواد قانون الجذب الكوني وعزّابها فلم يحتاج ذلك الإنسان العظيم إلى رغبة تحدد شعوره تجاه موقفه من عقيدته السابقة، وماذا سيفعله تجاه عقيدته الجديدة، وإذا كان الجذب الانتقائي لن يحصل بوجود مجرد شك، فأأي شك تطرق إلى قلب الشخصية العمرية لتحقيق له إسلامه.

إنها الإرادة النفسية الصادقة حين تتغلب على الأنانية وحب الذات، وتتوافق مع الفطرة السليمة، حينها يحدث التغيير، إنها لحظة صادقة نابعة من النفس توافقت مع إعانة الله للعبد قبل الفعل ومع الفعل؛ لأن سنة الله الكونية اقتضت أن التغيير لن يحصل إلا بإرادة الإنسان، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، والإرادة الصادقة حين تتوافق مع إعانة الله للعبد قبل الفعل ومع الفعل، حينها يجد المرء نفسه أمام كون سخره الله له ليعمرها بالعمارة المعنوية والعمارة الحسية.

وإن كان هنالك قانون للجذب يعتمد على الصحة والسلامة فهو القانون الإلهي الذي فطر الناس عليها، ولا يمكن أن يكون ذلك القانون خاضع لترددات وذبذبات كونية، تضيي للكون صفة إلهية، وتجعل الكون مدبراً للإنسان، في تجسيد واضح لفلسفة الثنائيات الكونية القطبية أو الثنوية من أجل ضمان استمرار الكون في العطاء والوفرة، وترسيخ لعقيدة الحلول والاتحاد حين يتوجه الإنسان إلى الكون معتقداً أن الكون ليس إلا تجلياً من تجليات الإله!!!.

(١) سورة الرعد: الآية رقم (١١).

المطلب الثاني: تطبيق البرمجة اللغوية العصبية.

تطبيق يعنى بدراسة التفوق الإنساني، ودراسة الخبرات الشخصية، وهى دليل المستخدم للعقل، والطريقة العلمية التي تؤدي إلى التغيير، وهى القدوة، وهى الاقتداء^(١).

وإذا ما فكنا المصطلحات الواردة في عنوان التطبيق نجد أن:

البرمجة: هي عملية ترجمة الأفكار والمشاعر والقيم والمعتقدات والملاحم والتعبير والتصرفات، وهي تشبه الكيفية التي يعمل بها نظام الكمبيوتر، حيث يمكننا تغيير أو استبدال البرامج السلبية بأخرى جديدة وإيجابية، مما ينعكس بالنهاية على الطريقة التي نتصرف بها.

اللغوية: هي اللغة الملفوظة (الكلام) التي يتحدث بها جميع البشر، واللغة غير الملفوظة (الصمت) لغة التعبير والملاحم والحركات والعادات، والتي تكشف عن الأساليب الفكرية للفرد ومعتقداته، وتواصله الداخلي والخارجي مع العالم الذي يعيش فيه.

العصبية: وتتعلق بالجهاز العصبي الذي هو السبيل إلى الحواس الخمس، والذي يتحكم في وظائف الجسم وأدائه وفعالياته كالشعور والسلوك والتفكير.

وعند ربط الكلمات بعضها ببعض سوف تشكل المعنى للبرمجة اللغوية العصبية، والتي تنصب بالأساس على العمليات التي يستطيع الأشخاص من خلالها خلق التعبير الداخلي -تجارهم- للعالم الخارجي، الذي يمثل الواقع من خلال اللغة وعلم الأعصاب.

إذاً فالبرمجة اللغوية العصبية هي فن وعلم، فهي فن لأن الطريقة التي نفكر ونتصرف فيها هي طريقة فردية خاصة بكل فرد، أي: أن لكل فرد طريقته الخاصة في التفكير والتصرف، إذا هي فن وعلم التفوق الفردي^(٢).

يمارس معظم الناس البرمجة اللغوية العصبية (NLP) في حياتهم اليومية؛ حيث أن لها جذورًا في سلوكهم الواقعي أكثر من وجودها في عالم البحث والنظريات، فهي تتعلق بكيف يؤدي الناس أعمالهم بنجاح، وكيف يمكنهم أن يطوروا حياتهم حتى يستطيعوا أن يحصلوا على ما يطمحون إليه،

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية NLP الآن أكثر سهولة: كارول هاريس، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٤م، ص ٥١.

(٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: علم وفن، هاري ألد، مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ١=٢٠٠٦، ص ٢٢.

ويمكن للبرمجة اللغوية العصبية أن تقدم الكثير بشرط أن يكون الشخص مستعداً وقابلاً للتغير وراغباً فيه (١).

الخلفية التاريخية:

ظهرت البرمجة اللغوية العصبية Neuro- Linguistic Programming أو الـ NLP في منتصف السبعينيات من القرن العشرين على يد كل من العالمين الأمريكيين "ريتشارد باندلر - Richard Bandler"، الذي كان مولعاً بدراسة أسس علم الكمبيوتر والفيزياء، و"جون جريندر - John Grinder"، أستاذ اللغويات في جامعة "كاليفورنيا" وهو بدوره كان موهوباً في الاستيعاب السريع للغات، وتقليد اللهجات، ومحاكاة أي سلوك ثقافي بسرعة وبراعة، حيث شرع الاثنان في ضم مهارتهما إلى قدراتهما الخارقة في محاكاة السلوك غير الملفوظ (٢). وقد قام كل من "جريندر" و"باندلر" بنمذجة مهارة كل من "ملتون إركسون - Milton Ericsson" طبيب التنويم المغناطيسي، و"فرجينيا ساتير - Virginia Sater" مؤسسة علاج الأسرة، و"فريتز برلز - Frederick Perls" مؤسس العلاج بالـ "جشتالت" (٣)، حيث قاما بدراسة دقيقة ومفصلة لأنماط سلوكهم، واستراتيجياتهم الفردية، إذ أمكنهما من تفكيك الخبرات والمهارات التي يتمتع بها كل منهم، والتي جعلت من هؤلاء أناساً متميزين، ومن ثم نقلها وتعليمها للآخرين، ليصلوا لنفس التميز أو قريباً

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: عبد الناصر عبد الرحمن الزهراني، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م، ص ١٠.
(٢) انظر: مدرب البرمجة اللغوية العصبية NLP - الدليل الشامل لتحقيق السعادة الشخصية والنجاح المهني - إيان ماكديرموت، ويندي جاجو، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ١=٢٠٠٤م، ص ١٥. وانظر: البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود: د. إبراهيم الفقي، الناشر: إبداع للإعلام والنشر، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، ص ١١.

(٣) العلاج الجشتالي: علاج نفسي قائم على الوعي، ابتكره "فريتز بيرلز"، وملخصه أنه يهدف إلى معايشة الحاضر، وتخليص المريض من آلية تفسير الأحداث، وعدم التفكير في الماضي أو المستقبل، فهو نوع من العلاج يهدف إلى ترسيخ مفهوم اللحظة الآنية، "هنا والآن"، والتوقف نهائياً عن التفكير والتخيل عن الاحتمالات. انظر: العلاج الجشطلي، تيار متميز في العلاج الحديث: د. نبيل حافظ، د. نعيمة جمال، د. أيمن زهران، تقديم: د. طلعت منصور، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١=٢٠١٢م، ص ١٣.

منه، وهى النماذج التي سميت فيما بعد بالنماذج اللغوية العصبية، والتي تكون منها هذا العلم^(١).

أركان البرمجة اللغوية العصبية:

تقوم البرمجة اللغوية العصبية على أربعة أركان رئيسية:

١ - **الخصيلة أو الهدف:** معرفة ما تريد: إحدى المهارات الأساسية في البرمجة اللغوية العصبية، ولذلك فإن التفكير بالنتيجة له ثلاثة عناصر أساسية هي:

✓ اعرف وضعك الراهن - أين أنت الآن.

✓ اعرف حالتك المطلوبة - أين تريد أن تكون.

✓ خطط لاستراتيجيتك - كيف تصبح شخصاً آخر مستخدماً ما لديك من مصادر داخلية من خبرات وتجارب .

٢ - **المرونة:** فالشخص الذى يمتلك مرونة عالية في التفكير والسلوك هو الذى يكون لديه سيطرة وتحكم أفضل في أوضاع الحياة المختلفة، فإن كل ما يقوم به الشخص لا يعمل عندها عليه أن يقوم بشيء آخر.

٣ - **الحواس:** وهى منافذ الإدراك، وكل ما يدركه الإنسان أو يتعلمه إنما نفذ عن طريق الحواس، لذلك تعمل البرمجة اللغوية العصبية على تنمية الحواس وشحذ طاقاتها وقدراتها، لتكون أكثر كفاءة وأفضل أداء في دقة الملاحظة وموضوعيتها.

٤ - **العمل والمبادرة:** فالشخص ما لم يصنع شيئاً فإنه لن يحقق شيئاً.

وهذه الأركان الأربعة لا بد منها مجتمعة، فالبرمجة اللغوية العصبية تعمل على هذه الجوانب جميعاً بطريقة تكاملية متوازنة^(٢).

هذا ويتوجب في عملية البرمجة اللغوية العصبية وجود تصورات ذهنية مسبقة، تعتمد بشكل كبير على **قانون النية**، والتي يصفها "واين والتر داير - Wayne W. Dyer" بأنها أهم إحدى القوى الكونية الهائلة التي لا يمكن قياسها أو وصفها، وكل شيء كائن في الوجود يرتبط بهذه العزيمة أو

(١) انظر: علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية: ستيف بافيستر، وفيكتور أماندا، الناشر: مكتبة جرير، جدة، ط ١=٢٠٠٦، ص ٢٩.

(٢) انظر: التخطيط اللغوي العصبي، مرشد علمي وتدريب عملي: جوزيف أوكونر، ترجمة: محمد الواكد، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط ١=٢٠٠٦، ص .

النية، وهي قوة موجودة في الكون!، وليست شيئاً يقوم به الإنسان، وليس هناك مكان لا يوجد فيه مجال العزيمة أو النية، وبالتالي فإن "قوة النية هي القوة الكونية التي لا تقهر"^(١).

وإذا كانت النية هي القوة الكونية التي يجب أن تكون حاضرة في الذهن قبل عملية البرمجة اللغوية العصبية؛ فإن تمارين إرسال النية لا تتحقق إلا من خلال أمور يجب توفرها، كاختيار مكان النية، والتي يوصي المهتمون بالبرمجة بأن تكون بالقرب من الأماكن الطبيعية التي تتجلى فيها الطاقة الكونية كالمياه الجارية، وتحت أشعة الشمس^(٢).

ومن الأمور المهمة التي يجب توفرها أيضاً شحذ الطاقة عن طريق التأمل والتنفس، مع ضرورة ترديد المانترات مع وجود خلفية موسيقية هادئة، أو ترانيم وألحان تهيج النفس على بلوغ المراد، وتساعد في الوصول لحالة الحضور في اللحظة!^(٣).

ومن الأمور المهمة أيضاً ضرورة توفرها في عملية البرمجة اللغوية العصبية تفاعل العقل والجسم في آن واحد، يعملان وكأنهما كتلة واحدة، ويؤثران في بعضهما بطريقة لا انفصال فيها، وأي شيء يحدث في جزء من هذا النظام المتكامل -أي الإنسان- يؤثر في باقي أجزاء النظام، وهذا يعني أن الكيفية التي يفكر بها الإنسان تؤثر في كيفية إحساسه وأن حالة جسده تؤثر في كيفية تفكيره، وهذا الأمر يقود الشخص نفسه إلى عملية التواصل مع ذاته، وبذلك يتم الاتصال الإنساني على المستويين الواعي واللاواعي، فالعقل اللاواعي غير قادر على إصدار أحكام أخلاقية، أو إقرار الفرق بين الصواب والخطأ، أو الخير والشر، فهذه مسؤولية الوعي، ومسؤولية اللاواعي تنحصر فقط في تحقيق الأهداف التي يحددها العقل الواعي^(٤).

وعطفاً على ما سبق فإن القدرة على الاتصال هي التي تطلق الطاقات الكامنة داخل الفرد، وتحول الأفكار إلى أفعال، وتجعل كل الإنجازات ممكنة، وكل ذلك يحصل بفضل القوة الكونية

(١) انظر: قوة العزيمة والإرادة: واين والتر داير، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ٢=٢٠٠٨م، ص(٥-١١).

(٢) انظر: تجربة النية: لين ماكتا غريت، ترجمة: جانبوت حافظ، وإشراف د. صلاح الراشد، الناشر: دار الراجحة، ومركز الراشد للتنمية الذاتية، الكويت، ٢٠١٣م، ص(٢٨-٢٨٢).

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) انظر: البرمجة اللغوية العصبية: علم وفن - حيث يمكنك من تحقيق ما تريد: هاري آلد، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ١=٢٠٠٦م، ص ٢٢ وما بعدها. وانظر: البرمجة اللغوية العصبية: أندرو براديري، الناشر والترجمة: دار الفاروق، جدة، السعودية، ط ٢=٢٠٠٠م، ص ١٣، وانظر: البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود: د. إبراهيم الفقي، ص ٢٤ وما بعدها.

المتجسدة في النية، وهي حجر الزاوية في موضوع البرمجة اللغوية العصبية، والمدخل الذي نزل فيه الأقدام، حين يتم تطويع البرمجة اللغوية العصبية لتحقيق الهدف المرجو من فلسفة الطاقة الكونية وفلسفة تطوير الذات، والأمر لا يعدو كون الإنسان يرمج عقله لتحقيق أمر ما، وإذا ما رجعنا إلى الخلفية التاريخية نجد أن العالمين "جريندر" و"باندلر" حين اكتشفا حقيقة البرمجة؛ فإنهما لم يكتشفا شيئاً جديداً، وإنما قاما بفلسفة أمر فطري يحدث لكل الناس، ألا وهو برمجة العقل لتحقيق الإرادة، وأي أمر لا يمكن تحقيقه إذا لم يكن هنالك إرادة وعزيمة، ولكن حين يتم فهم تلك البرمجة في إطار فلسفي يتجاوز حدود الفطرة الإنسانية، وأن الأمور حين تتحقق إنما تحصل بإرادة الله - -، ودور الإنسان يكمن في اتخاذه الأسباب الشرعية، لتصل إلى حد الإيمان بأن القوة الكامنة في النفس الإنسانية هي من تحقق الإرادة!، وأن الإرادة لا سبيل إليها إلا بفضل القوة الكونية المتجسدة في النية، وأن تلك النية لا تنعقد إلا من خلال التوجه إلى الطبيعة، وشحذ النفس بالطاقة الكونية الكافية لتتجلى تلك النية إلى واقع حقيقي يعيشها ذلك الفرد المتأمل والمتواجد في حالة الحضور في اللحظة.

إن التطبيق الفعلي للبرمجة اللغوية العصبية تتطلب من الفرد أن يجيد المهارات التي تساعده على الاتصال بذاته، ومن ثم القدرة على الاتصال بالآخرين، وتتمحور تلك المهارات من خلال:

- **حسن التفكير؛** فكل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال هو في الحقيقة ترجمة لما في ذهنه من قناعات وأفكار عن ذاته وعن حوله، ولذلك تؤثر طريقة التفكير على الشخص وعلى الآخرين إما سلبياً أو إيجابياً^(١).
- **فهم الإدراك؛** وتتجلى من خلال إدراك الفرد لعالمه الداخلي، وهي بدورها تنعكس على الواقع الذي يعيشه الفرد، وهذا الواقع يؤثر بدرجة كبيرة على حياة الفرد ومجتمع^(٢).
- **وجوب الاعتقاد** بأن كل ما يؤمن به الإنسان لا بد وأنها ستتحول إلى حقيقة، الأمر فقط يحتاج إلى إيقاظ الانتباه والتركيز على المشاعر، ولا يعني هذا بالضرورة أن الإيمان يقتصر على ما

(١) انظر: البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: د. سلمان عبيد الشمراي، الناشر: شركة القلم الرقمية، جدة،

السعودي، ط ٢=٢٠٠٤م، ص ٣٠.

(٢) انظر: القيادة التربوية في القرن الجديد: محمد صالح الحناوي، الناشر: دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، ط ١=١٩٩٩م،

هو كائن وموجود فعلاً؛ فالإيمان لا يتطلب أن يكون الشيء حقيقة واقعية، بل يتطلب تقبل العقل لحقيقة ما، وأنها قائمة فعلاً^(١)، عندها تتجلى تلك الحقيقة، وتنعكس على النفس، ويعيش الإنسان حالة الحضور في اللحظة، والتنعم بملامسة تلك الحقيقة وإدراكها ضمن الأبعاد الذاتية للكيان الإنساني.

وهكذا يتضح بأن البرمجة اللغوية العصبية هو في أصله برنامج انتقائي؛ وكثير من تطبيقاته يعتمد على المبادئ والعلوم الإدارية والنفسية، وهو من حيث أصله لا إشكال فيه، ولا يمكن لأحد أن ينكر أثر الإيحاء على النفس، وحين ينوي الإنسان فعل أمر ما؛ فإن التوجيه الشرعي لغرس علو الهمة وإذكاء مشاعر العزة إنما تكمن في تحقيق العبودية لله -عز وجل-، وهي في أجل صورها حينها يجد العبد أن الله -عز وجل- قد أعانه ووفقه لتحقيق ما نواه، ومعالم هذا التوفيق وأثره تجد صداها حين يوفق العبد قبل الفعل ومع الفعل.

ولكن حين يتم تطويع تلك النية في إطار البرمجة اللغوية العصبية، ويتم تطبيقها ضمن الإطار الفلسفي لتحقيق الأهداف المرجوة من فلسفة الطاقة الكونية وفلسفة تطوير الذات حينها يمكن القول بأن حقيقة البرمجة إنما هي نابعة من أصول الفكر الباطني الحديث الذي يهدف إلى الاستغناء عن فكرة الإله، وإضفاء القداسة إلى الذات الإنسانية، لتحل محل الإله، ولكي تستغني النفس عن أي مصدر خارجي، لتصل به في نهاية المطاف إلى إنسان مغرور مصاب بداء العظمة، ليس لديه أي مقومات النجاح^(٢).

(١) انظر: غير تفكيرك غير حياتك: برايان تراسي، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٧م، ص ١١٠.
 (٢) انظر: البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة الكونية فكر دخيل أم دين بديل؟: لقاء صحفي مع د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، متاح على موقع طريق الإسلام، "https://akhawat.islamway.net".

المطلب الثالث: تطبيق الفنون القتالية.

يقصد بالفنون القتالية تلك الرياضات التقليدية التي لا يخلو مجتمع من المجتمعات إلا ويوجد فيها، ولكن وجودها في المجتمعات التي تستند على التصورات الفلسفية ونظرتها لقضية المعبود لها طابع خاص؛ إذ أصبحت تلك الفنون القتالية جزءاً من التراث العقائدي القائم على فكرة وجود قوة إلهية مقدسة سارية في الكون، وصورتها الأساطير المتناقلة عبر الأجيال، وأبطالها يصنفون على أنهم أرباب الآلهة الذين يملكون حق المخاطبة مع القوة الإلهية العلوية المقدسة.

ولهذا فإن أبطال تلك الأساطير يحترفون تلك الفنون القتالية، وهي تعتمد بشكل كبير على القوة الجسدية؛ ذلك لأنهم يستمدون تلك القوة من الطاقة الكونية، حتى أصبحت ممارسة تلك الفنون القتالية جزءاً من الشعائر التي تجسد اتحاد الإنسان بالجوهر المطلق، وفي كثير منها أصبحت تؤدي داخل المعابد المخصصة لها.

ولما كانت تلك الفنون القتالية جزءاً من الموروث العقائدي، وعلى الرغم من وجود العشرات من أساليب الفنون القتالية؛ إلا أن من أهم تلك الفنون تلك التي اتصفت بمعايير مهمة منها:

أولاً: أن تكون تلك الفنون القتالية مرتبطة بالجانب الروحي، وهذا يعني وجود عقيدة مبني على التصورات الفلسفية للكون، والمتمثلة في الاعتقاد بالثنائيات الكونية القطبية أو الثنوية لضمان استمرارية الحياة.

ثانياً: اعتماد تلك الفنون القتالية على الطاقة الكونية، والمتمثلة في الفكر الصيني من خلال طاقة "تشي"، وفي الفكر الهندي من خلال طاقة الـ"برانا".

ثالثاً: لا بد وأن تمارس تلك الفنون القتالية ضمن ما يعرف بـ"فلسفة الحياة"، لكونها متضمنة لجملة من الأخلاقيات والفلسفات والطاقات المختلفة.

رابعاً: يجب أن تكون تلك الفنون القتالية متماشية مع فلسفة العقل المتعالي؛ أي أن تلك الفنون القتالية لا تعني شيئاً من دون تركيز عقلي بمستوى معين. وبالتالي؛ فإن الفنون القتالية تحتاج إلى أن يكون هناك ترابطاً فيما بين الجسم والعقل والروح^(١).

(١) انظر:

Tizi-,Hadj-Said Mohand; Hadj-Said Meziane (2004): Les arts Martiaux chinois, El-Amal Ouzou, Algérie;

نقلاً عن: القيم التربوية السائدة في أوساط ممارسي الرياضيات والفنون القتالية الصينية في ضوء بعض المتغيرات: إبراهيم بوترة، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد العاشر، عام "٢٠١٧م"، ص٧٦، وانظر: رياضات الدفاع عن النفس والأمن

وعلى الرغم من وجود العديد من الفنون القتالية التي تجمع المعايير السابقة؛ إلا أن من أشهر تلك الفنون القتالية هي طريقة "الشاولين" الصينية.

ماهي طريقة "الشاولين"؟.

"الشاولين" اسم لمعبد شهير في الصين، ويعد أول معبد بوذي بني في الصين؛ إذ بني بأمر من أحد أباطرة الصين، في القرن الخامس الميلادي، وقد قدمه هدية لأحد رهبان الهند من اتباع الديانة البوذية الذي قدم إلى الصين لنشر البوذية فيها^(١).

وتعتمد هذه المعابد على ممارسة الفنون القتالية بشكل خاص، وتعتمد على إيقاظ الانتباه من خلال التأمل السكوني الصامت، وتهدف إلى إيجاد التوازن بين الثنائيات الكونية القطبية، وتميز تلك الفنون بجانب من السرية والكتمان، ولا يمكن لأحد اتقانها إلا لمن بلغ المستويات العالية من التعلم الباطني، فهي محصورة على الرهبان، ولا تمارس إلا في المعابد، وقد كانت تلك الفنون القتالية محرمة على غير الصينيين، حتى صورتها الأفلام السنمائية، وأظهرتها للعالم كجزء من برنامج الترويج للثقافة الصينية.

ويتدرب الرهبان في "الشاولين" على أساليب عدة من أساليب الفنون القتالية، وهي تشبه أساليب الحيوانات في القتال، كأسلوب النمر، وأسلوب الأفعى، وأسلوب طائر الكركي في القتال، وكذلك أسلوب الفهد والتنين، أو أسلوب النسر، وهناك أساليب أخرى مختلفة تسمى أساليب الشاولين، إلا أن أشهر أسلوبين من أساليب "الشاولين" هما:

❖ طريقة الـ"كونغ فو".

❖ طريقة الـ"تشي كونغ".

الفردى: عمر عسوس، المجلة العربية للتدريب، المعهد العالي للعلوم الأمنية بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ص(٤٨-٤٩).

(١) انظر: طريق الصين؛ رحلة في مستقبل قوة صاعدة: روب غيفورد، ترجمة: محمد محمود التوبة، الناشر: شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، الرياض، السعودية، ط١=١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص١٢٧.

تطبيقات الفنون القتالية:

أولاً: طريقة الـ"كونغ فو".

بجانب كونها تعتمد على الحركات القتالية الشرسة؛ إلا أن الـ"كونغ فوي" تعتمد في جوهرها على مبادئ أساسية في التأمل والراحة النفسية، وتركز على صفاء الذهن إلى أن يصبح الفرد في حالة من الاسترخاء الجسدي والذهني.

ولذلك يشرع قبل خوض التمارين القتالية الاعتماد على التأمل بشكل كبير، ومن الأمور المهمة التي تساعد على التأمل هو التفكير في الحكم التي يرددها الحكماء الصينيون، وهذه الحكم من شأنها أن تطهر النفس وتوحيدها مع الفكر، بواسطة التدريبات القاسية، وبذلك تتيح للإنسان إمكانية القتال الشرس بدون سلاح^(١).

وإن من أهم أساليب مهارات "شاولين" القتالية، والتي تبرز من خلال طريقة الـ"كونغ فو"؛ إذ تجعل من المقاتل جامعاً للمهارات الحركية، والقوة المركزة، والإيقاعات الروحانية، وكل مهارة من تلك المهارات تتميز بخصائص تجعل من تطبيق الـ"كونغ فو" وسيلة لاستمداد الطاقة الكونية، والاتحاد بها، ومن ثم توجيهها للعدو.

أولى هذه المهارات: مهارة الحركات.

ويقصد بها قدرة المقاتل على جعل حركات جسمه والتمرينات التي يقوم بها قائمة على أساس فتح القنوات التي تجعل الطاقة الكونية قادرة على المرور من خلالها، ولذلك يجب على المقاتل أن يجعل عنقه في وضعية مرتفعة ومستقيمة، وكتفاه على مستوى أفقي، يستطيع من خلالها أن يجعل عموده الفقري مستقيماً، وهذه النقطة هي الأهم في العملية؛ لأنه متى ما كان بمقدور المقاتل أن يجعل عموده الفقري مستقيماً كان بإمكان الطاقة الكونية أن تمر من خلال قنوات الطاقة المتمركزة حول العمود الفقري، وهذا الأمر يجعل المقاتل في لحظة انتباه صامت، ووعي سكوني يتحد من خلاله العقل مع الجسم.

وأما ثاني هذه المهارات فهي: مهارة التركيز في القوة.

(١) انظر: موسوعة الألعاب الرياضية المفصلة: جميل ناصيف، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٢م،

وتهتم أساليب الـ "كونغ فو" بمهارة استخدام القوة، ومن خلال دخول المقاتل في لحظة الانتباه الصامت والوعي السكوني، تظهر مهارة التركيز من خلال ضبط الإيقاع التنفسي، ويجب أن تكون القوة مفاجئة، كما يجب إظهار سرعتها وتركيزها ومرونتها.

وأما المهارة الأخيرة والأهم فهي: مهارة الإيقاعات الروحانية:

ومتى ما استطاع المقاتل ضبط الإيقاع التنفسي؛ فإنه سينتقل إلى الجمع بين المتناقضات، من حيث تغيير حركاتها كالسرعة والبطء، والسكون والتحرك، والصلابة والمرونة، والزيغ والحقيقة، والنهوض والهبوط، مما يحدث إيقاعات متموجة نشيطة، تبرز القوة الروحانية بشكل متناسق الكمال بين المظهر والروح المعنوية، ومما يجب الحفاظ عليه هو التمتع بالهدوء التام، والثقة بالنفس، وإظهار قوة لا تقاوم^(١).

وبهذا يتضح لنا أن الـ "كونغ فو" ليست إلا مظهراً من مظاهر التعاليم البوذية، تسربت إلى المجتمع الصيني، فوجدت أرضية خصبة لإظهار لون جديد من ألوان البوذية، وحين كان الصينيون مولعون بالفنون القتالية، لم يجد ذلك الراهب البوذي الوافد إلى المجتمع الصيني حلاً إلا بأن يدمج التعاليم التاوية مع التعاليم البوذية، وكانت أساليب الـ "شاولين" وطرائقها في الفنون القتالية إحدى معالم البوذية الجديدة، والتي تهدف إلى تحقيق التأمل من خلال الانتباه الصامت والوعي السكوني، وإن كان ذلك ممكناً من خلال الفنون القتالية.

ثانياً: تطبيق "تشي كونغ".

يتكون مصطلح "تشي كونغ" من مقطعين صينيين: الأول هو تشي، ويعني الطاقة، التنفس، الهواء، الحيوية؛ والثاني هو كونغ، ويعني العمل، الجهد، التمرين. وبالتالي فإن الكلمة تدل على تمارين التنفس أو أعمال الطاقة. وهي تساعد على التحكم في حياة الإنسان الداخلية، والتنفس والقدرة الماهرة على ضبطه، وعلى التحكم بسيلان الطاقة وتوازنها داخل الجسم، وعلى إحداث انسجام بين طاقة الإنسان والطاقة الطبيعية والكونية^(٢).

(١) انظر: مهارات الكونغ فو لفنون شاولين القتالية: أسامة سعيد، الناشر: دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط "بدون"، ص(٨-٩).

(٢) انظر: الانسجام مع الطاقة الكونية من أجل حياة أفضل: قيصر زحكا، متاح على موقع معابر: <http://www.maaber.org>.

ومصطلح "تشي كونغ" هو اسم جماعي يُطلق على طرق ممارسة تقليدية صينية تعتمد على "الطاقة الحيوية"، وهي ما يطلق عليها في الصينية لفظة "تشي"^(١).

وهذا التطبيق هو منهج قديم جداً من أجل تطوير النفس، وله تاريخ طويل، فقد شهد عملية نقل وتوارث لمدة آلاف السنين، ويعتمد - بعكس الكونفوشية - على الإمكانية والمسؤولية الفرديتين للحفاظ على الصحة وتطوير الحيوية وإطالة الحياة، في الوقت نفسه الذي يقوم به الفرد بتطوير الوعي الروحي والبصيرة، لذلك يمكن اعتباره نظاماً قائماً بذاته، لكونه يتماهى مع الصفات العليا في الكون^(٢).

ويعتمد الـ"تشي كونغ" في هذا على: تمارين بدنية سكونية وحركية بالوضعيات المختلفة للاستلقاء والجلوس والوقوف والمشي، وضبط التنفس والقيام بحركات تنفسية متناغمة مع الحركات البدنية، وبعد تهيئة البدن وإعطائه الاسترخاء المطلوب عن طريق التمارين والتنفس، يُعمد إلى اتخاذ وضعيات معينة، تأملية وروحية، مستقاة من مراقبة الطبيعة وحركات الحيوانات والأجرام السماوية.

ويدخل في بعض الممارسات استعمال الأصوات والروائح، وترداد مقاطع صوتية معينة، وخاصة في الـ"تشي كونغ" البوذي.

ويركّز الـ"تشي كونغ" على الخيمياء (الكيمياء القديمة) الداخلية، والغاية منها أن يصل الإنسان إلى وحدة تامة مع الطبيعة في كل عمل يقوم به وبمارسه، وأن يُحدث تغييراً كاملاً في سيلان الطاقة داخل الجسم لتصير أكثر انسجاماً مع الطبيعة، الأمر الذي يغير التفاعلات الكيميائية داخل الجسم لتصبح أكثر عطاء للطاقة واستفادة منها^(٣).

إن ممارسة الـ"تشي كونغ" تُركز اهتمامها على نقل الـ"تشي - الطاقة الروحية"، وهي عملية ليست سهلة، ويتوجب على الممارس لها أن يتدرب على تمارين استمداد الطاقة ونقلها من خلال رفع حساسية الأيدي وجوانب الجسد، الأقدام، السيقان، الأذرع والسواعد، الرأس، كلها يجب أن تخضع للتمرين. وفي النهاية يكون الممارس قادراً بفضل ذلك التدريب على الصمود تحت وقع

(١) انظر: جوهان فالون: موسوعة أسسها "لي هونغ جي" معلم الطريقة، وساهم بنقلها إلى العربية ممارسون من الوطن العربي، ط ١=٢٠٠٦م، راجع نسخة إلكترونية منشورة على موقع: www.falundafa.org، ص ٢٧٠.

(٢) انظر: نفس المرجع السابق، ص ١٨١.

(٣) انظر: الانسجام مع الطاقة الكونية من أجل حياة أفضل: قيصر زحكا، متاح على موقع معابر: <http://www.maaber.org>.

الضربات أثناء المعارك أو التمارين الرياضية أو المنافسات. ومع ذلك فإن الـ"تشي" هو الشيء الأكثر بساطة وبدائية في الفترة الأولى، ومع ممارسته باستمرار يمكن أن يتحول هذا الـ"تشي" إلى مادة طاقة عليا، وعندما يصير مادة طاقة عليا، يكون تدريجياً قطعة من الطاقة كثيفة جداً^(١).

وعطفاً على ما سبق فإن ممارسي الـ"تشي كونغ" يقررون بأن التطبيق لا يتوقف عند حد شفاء الأمراض وتقوية الصحة، بل يتضمن أشياء ذات مستوى أرفع ودلالة أعمق، لا ترتقي إلى مستوى الناس العاديين، ولا يمكن اتقانها بشكل كامل إلا أولئك الذين أفنوا حياتهم في ممارسة التأمل الباطني، ووصلوا إلى مستوى خوارق الأمور، لتتجلى حينها الـ"تشي كونغ" بكامل وظائفها، وبأشكالها المختلفة لتتجاوز من كونها متعلقة بالرياضات البدنية إلى الوصول إلى حالة تأملية يتحد فيها العقل والجسم والروح في بوتقة واحدة، وخاضعة لمراقبة الكون وحركة الطبيعة من أجل الاتحاد بالقوة الإلهية السارية في الكون.

(١) انظر: جوهان فالون: ص (١٨١-١٨٣).

المبحث الرابع

تطبيقات الاستشفاء والعلاج

وفيه خمسة مطالب:

- * **المطلب الأول:** تطبيق العلاج بالشاكرات.
- * **المطلب الثاني:** تطبيق العلاج بالوخز بالإبر الصينية.
- * **المطلب الثالث:** تطبيق العلاج بالبرانا □ البرانيك هيلينغ.
- * **المطلب الرابع:** تطبيق العلاج بالريكي.
- * **المطلب الخامس:** تطبيق العلاج بالألوان.



المبحث الرابع

تطبيقات الاستشفاء والعلاج



وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تطبيق العلاج بالشاكرات.

سبق وأن تحدثنا عن فلسفة الشاكرات، وذكرنا أنه مفهوم هندي سنسكريتي قديم، مفاده أنه جسم الإنسان يحتوي على قنوات شاكزية وظيفتها إمداد الإنسان بالطاقة الكونية السيارة في الكون، وهذه "الشاكرات" كل منها لها دور معين، وهي مسؤولة عن أمر عضوي بجسم الإنسان، فهي المسؤولة عن المزاج وعن الروح وعن الإداء الوظيفي والجسدي والروحاني، وتؤثر على نفسية الإنسان. والذي يهمننا في هذا المقام هو معرفة التطبيق العملي للعلاج بفلسفة الشاكرات، وبحسب المفهوم الفلسفي فإن المهتمين يرجعون الأسباب التي تؤدي إلى ظهور حالة من القلق والاكتئاب أو حتى الشعور بالطاقة السلبية إلى انسداد في القنوات الشاكرية، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور تلك الحالة النفسية السيئة، وهي بدورها تنعكس على الجانب الروحي والوجداني والجسدي، فتؤثر بشكل كبير على أداء الإنسان.

في البداية فإن القنوات الشاكرية تعمل داخل الجسد بشكل غير مستقيم، متشكلة على هيئة لولبية، ومنتظمة على شكل دائري اهتزازي، تلتف حول العמוד الفقري للإنسان، وتصل به إلى أعلى رأسه، يشبه عملها مثل عمل الدوامات المتناسقة على نظام عقارب الساعة في اتجاه واحد. وإذا اختل عمل أي من تلك القنوات اختل عمل تلك القنوات، وتسرب المرض إلى داخل جسم الإنسان.

يعمل المعالج على فتح الشاكرات، وإخراج الطاقات السلبية أولاً قبل كل شيء، وفي البداية يستلقي المريض على السرير في جو من الراحة والاسترخاء، وينصح المهتمين بهذه الفلسفة ومن أجل تهييج المريض روحياً ووجدانياً تفعيل حواسه الخمسة المثيرة للانتباه، فحاسة السمع يمكن تفعيلها من خلال السماع للموسيقى الهادئة التي تعين المريض على الاسترخاء، وحاسة البصر من خلال تهيئة المكان المخصص للعلاج بأنوار الشموع، أو رسم الرموز والماندالات، وحاسة الشم من خلال إشعال

البخور، وحاسة الذوق من خلال إخضاع الفرد لرفع مستواه من الطاقة عن طريق لصق اللسان إلى سقف الحلق.

ثم يدخل المعالج في مرحلة العلاج، وهذه الخطوة تحصل من خلال الدخول إلى الجسم الأثيري الخاص بالشخص المريض؛ وتتم عملية الدخول من خلال فحص الهالة المحيطة بالجسم، ويحدث ذلك من خلال تحسس الهالة؛ إذ تعتمد الفكرة على أن المعالج قد تدرب على تنمية الملكات الميتافيزيقية لديه، وبالتالي فإنه من خلال التحسس يكون بإمكانه الوصول إلى الجسم الأثيري، ومعاينة الخلل، وتشخيص القنوات المغلقة أو تلك التي تعاني من الطاقات السلبية، أو حتى تلك التي تعاني من نزيف طاقي!.

يعمد المعالج على تخليص الجسم من الطاقات السلبية، وبعدها يبدأ في استقطاب الطاقة الكونية، وتسليطها على موضع الخلل، الأمر الذي يؤدي إلى شحن القنوات الشاكرية بالطاقة الكونية الحيوية، وينتهي الأمر بشعور المريض بحالة من السعادة والغبطة، والتحسن في الأداء الوظيفية للجسم.

وهناك أساليب أخرى في عملية العلاج بالشاكرات، والطريقة السابقة تعتمد على وجود معالج روحاني، بينما هنالك أسلوب آخر وهو العلاج الذاتي، ويعتمد هذا الأسلوب على قدرة الشخص على معالجة نفسه عن طريق تفعيل الشاكرات، وأياً كان المعالج فإن تفعيل الحواس عن طريق المهيجات المثيرة للانتباه هو أمر حتمي في قضية العلاج بالشاكرات.

وعطفاً على ما سبق فإن شاكرات الجذر أو القاعدة يمكن تفعيلها من خلال تثبيت الأقدام الحافية على الأرض، وتهدف هذه الطريقة على استمداد الطاقة من الأرض، ويظهر هذا الأسلوب ضمن الفنون القتالية أيضاً من خلال تثبيت المقاتل قدميه على الأرض؛ إذ يسود اعتقاد لدى المهتمين بمثل هذه الأساليب العلاجية بقدرة الأرض على امداد الإنسان بالطاقة الكونية الحيوية، الأمر الذي يؤدي إلى تفعيل شاكرات الجذر أو القاعدة.

وأما شاكرات العجز فإن طريقة تفعيلها تعتمد على ممارسة الحركات الترددية لمنطقة الحوض، كما يمكن ممارسة تمارين اليوغا وبالأخص تمارين وضعية الكوبرا، وهذه التمارين تساهم بحسب الاعتقاد السائد في الثقافة الهندية على تفعيل هذه الشاكرة.

وهنالك أيضاً شاكرات الضفيرة الشمسية، ويمكن تفعيلها من خلال الرقص!، كما يمكن تفعيلها من خلال ممارسة تمارين اليوغا.

وأما ما يتعلق بتفعيل شاكر القلب، فإنه يمكن تفعيل هذه الشاكرة ذاتياً من خلال ممارسة تمارين اليوغا، ولكن أفضل طريقة للعلاج هو حب الذات وحب الآخرين، والسعي قدماً في بذل الخير للناس.

وينصح المهتمون بالعلاج بالشاكرات لمن يرغب في تفعيل شاكر الحنجرة أن يتمرن على الألحان والغناء، وترديد التراتيل والأناشيد بصوت عذب.

وأما شاكرة الحجاب أو العين الثالثة فيمكن تفعيلها من خلال أداء التمارين التي تتطلب الانحناء إلى الأمام.

وأخيراً فإن الشاكرة الأهم وهي شاكر التاج فيمكن تفعيلها من خلال ممارسة التأمل والتنفس بطريقة الإيقاع.

هذا باختصار ما يتعلق بتقنية العلاج بالشاكرات، وهي أساليب علاجية قديمة، تعتمد على تسخير جسم الإنسان وجعله عرضة للقوى الغيبية لكي تتسلط عليه، ولا يمكن الوثوق بمثل هذا النوع من الأساليب العلاجية، كونها لا تعتمد إلا على التجارب الإنسانية القديمة والبعيدة كل البعد عن نور الوحي الإلهي.

المطلب الثاني: تطبيق العلاج عبر الوخز بالإبر الصينية.

من طرق الاستشفاء والمعالجة بالطاقة الكونية تظهر لنا طريقة الوخز بالإبر الصينية، وهي من أقدم التطبيقات العلاجية؛ إذ يرجع تاريخها إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، وهي فكرة قائمة على الاعتقاد بأن هنالك مسارات للطاقة داخل جسم الإنسان، وهي مسؤولة عن الصحة والمرض. وتعتمد فكرة الوخز بالإبر الصينية على فكرة فلسفية قائمة على نظرية الـ "ين يانغ" المتناقضتين، وكل منهما يكمل دور الآخر من أجل ضمان استمرارية الحياة، فالحياة قائمة على التوازن، والأمراض إنما تظهر نتيجة لزيادة أحد القطبين على الآخر، ومن خلال ملاحظات حكماء الصين ومراقبتهم لجسم الإنسان توصلوا إلى أنّ هذه النقاط تصاب بالحرارة، وأخرى تصاب بالبرودة أو بالخدر أو بالتصلب، أو تصبح مؤلمة ورطبة، بينما الأخرى تكون ناشفة ويتغير لونها أو تبدو مبرقعة؛ الأمر الذي يستدعي تدخلاً بشرياً تتمثل في الوخز بالإبر الصينية على نقاط معينة في الجسم من أجل إعادة التوازن، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تفسير اختفاء الأمراض.

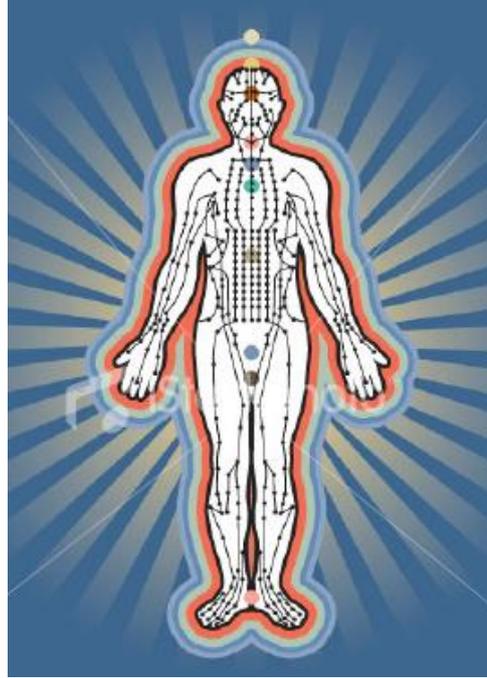
كما لاحظ حكماء الصين أن هذه النقاط تبدو متصلة مع بعضها البعض، فقاموا برسم خرائط طبية لهذه النقاط، وتوصلوا إلى تحديد خط وهمي سموه خط (ميرديان - Meridian)، هذا الخط يقسم الجسم إلى خطين متماثلين، ويقطع الجسم في وسطه، وهناك خط ينطلق من وسط الجسم وتحديداً في مركز قاعدة الجذع صعوداً إلى مركز البطن، ومروراً بمركز الصدر، وانتهاءً بالمركز الأمامي للفق الأعلّى، عرف بخط (الحمل).

وخط آخر في مركز اللثة العليا، ويرتسم صعوداً فوق مركز الجمجمة (مركز شاكرة التاج)، ونزولاً عبر النخاع الشوكي حتى العظمة السفلى من العمود الفقري، عرف بالخط الحاكم.

خط (الحمل) سمي بهذا الاسم لأنه يحمل الطاقة السالبة "ين" بصورة رئيسية، ويتحكم بها. كما أنّه يحمل على طول خطه جميع الأعضاء التناسلية.

بينما سمي الخط الحاكم بهذا الاسم من حقيقة كون العمود الفقري هو عمود الجسد الرئيسي، وهو يتحكم بالطاقة الموجبة (يانغ).

فالخطان القاطعان يتحكمان بالطاقة المتدفقة باستمرار من خلال اثني عشر زوجاً من الزوايا، ويقومان بحفظ وصيانة الجسد وحمايته من العوارض والعلل والآفات، والحفاظ على توازن كل مناطق الجسم بحد ذاته، وكذلك توازن الجسد مع المحيط الخارجي^(١).



صورة توضح مواضع نقاط الوخز بالإبر في جسم الإنسان

هذا وقد استخدمت الإبر المصنوعة من عظام الحيوانات للوخز في البداية، ولكن مع مرور السنين تطورت هذه الطريقة و اكتُشِف المزيد من النقاط الحساسة التي رتبت في مساحات مختلفة من أنحاء الجسم، وهي في مجموعها أربع عشرة قناة، اثنتا عشرة قناة مزدوجة من اليمين واليسار، ست منها لها قطبية (يانغ)، تتصل بالأعضاء الجوفاء، مثل: المعدة، وست أخرى لها قطبية (ين)، تتصل بشكل رئيسي بالأعضاء، مثل: الكبد.

وقناتان أمامية وخلفية في منتصف الجسم، وفي كل تلك القنوات عدد من نقاط الوخز؛ منها ما هي رئيسية، وأخرى فرعية، لتصل إلى ما مجموعه (٣٦٥) نقطة موزعة على قنوات الرئة والأمعاء الغليظة والمعدة والبنكرياس والقلب والأمعاء الدقيقة، إلى جانب المثانة والكلية وغلاف القلب وقناة الحرارة الثلاثية وقناة المرارة والكبد والقناة الخلفية والأمامية المنتصفة، ومهمتها إدخال الطاقة الكونية إلى داخل الجسم، وإخراجها من الجسم^(٢).

(١) انظر: الضغط بالأصابع: يوكيو اروين و جيمس واد جنفورد، تعريب: د. محمد أحمد النابلسي، ط(١٤١١هـ-١٩٩١م)،

الناشر: دار النهضة العربية: ص(١٨-٢٢).

(٢) انظر: طاقة الحياة: د. أحمد توفيق حجازي، ص(٤٥).

خلال غرس إبرة في مناطق بعيدة عن موضع الخلل!، وبمعنى آخر؛ فليس بمستغرب أن يقف الطب الغربي الحديث موقف شك ومعارض من علاج ألم في الأسنان بغرس إبرة في اليد!!!^(١).

المطلب الثالث: تطبيق العلاج بالبرانا "برانيك هيلينغ".

العلاج بالبرانا أو البرانيك هيلينغ هي إحدى الأساليب القديمة للاستشفاء بالطاقة الكونية، ومفهوم هذا العلاج يعتمد على تسليط الطاقة الكونية على المريض، والمصطلح في أصله هندي يراد به الطاقة، وقد ورد هذا المصطلح ضمن النصوص المقدسة أو ما يعرف بـ "منهج السوترا" في المعتقدات الهندوسية، واصفة إياه بالأكمل والأشمل^(٢).

ولا يختلف العلاج بالبرانا كثيراً عن العلاج بالشاكرات، كون الأسلوبين يتفقان على المعالجة عن طريق تحسس الهالة الأثيرية المحيطة بالجسم البشري، ويعتمد المعالج على تنظيف القنوات الشاكرية من الطاقات السلبية، ومن ثم شحنها بالطاقة الإيجابية، إلا أن العلاج بالبرانا تميز بكونه أكثر تطوراً؛ إذ أدت مساهمات المعلم "تشو كوك سوي" إلى تطوير هذا الأسلوب العلاجي، وتركز مساهماته على تدريب المعالجين وتأهيلهم لأن يكونوا ممارسين لعملية الاستشفاء بالطاقة، وبالتالي فإن هذا الأسلوب العلاجي يعتمد على تهيئة المعالجين عبر ستة مستويات وهي:

• العلاج البراني الابتدائي: وهو أول المستويات وأسهلها، يتدرب المعالج في هذا المستوى

على طريقة تحسس الهالة المحيطة بالجسم، وتنظيفها أو بعبارة المعلم "كنس" المكان وتخليصها من الطاقة السلبية، وامتصاص الطاقة، وتسليطها على الموضع.

• العلاج البراني المتوسط: وتعتمد هذه الطريقة على ضبط الإيقاع التنفسي من أجل

سحب البرانا أو الطاقة من العناصر الطبيعية كالأرض والهواء ومن الأشجار، وتمرن المعالج في هذه المرحلة على رفع حساسية اليدين والأصابع عبر التنفس البراني، والفحص بواسطة الأصابع، ومن ثم الوصول إلى عملية الكنس أولاً، والشحن لاحقاً.

• العلاج الذاتي البراني: ويتدرب فيها المعالج على طريقة العلاج عن بعد من أجل العلاج

الذاتي، وتعتمد هذه الطريقة على قوة التخيل والتأمل على النور الأبيض، وتلاوة الابتهالات

(١) انظر: خوارق العادات بين العلم والدين: جمال نصار حسين، ص ٨٩.

(٢) انظر: أسرار الطاقة: حكم الزمان، ص ١٥٧.

المقدسة؛ إذ يلجأ الممارس إلى وضع صورة لنفسه أمامه، ويتخيل كما لو أنه يعالج شخصاً آخر، وهذه العملية تساهم في الشفاء الذاتي، وأما بالنسبة للتطبيق الفعلي لها فلا تختلف عن التطبيقات السابقة؛ الكنس أولاً، والشحن لاحقاً.

● **العلاج البراني عن بعد:** وتعتمد على مبدئين: مبدأ الترابط، فالإنسان قادر على الاتصال بالشخص الآخر أثرياً، ومبدأ قابلية التوجيه، فالطاقة تتبع الفكر، ويمكن للمعالج عندما يركز انتباهه على المريض إزالة الطاقة المريضة، وتسليط الطاقة البرانية إليه، وطالما أن العملية قائمة على هذين المبدئين؛ فلا عجب من أن تتم العملية الاستشفائية حتى ولو كان المعالج في شرق الكرة الأرضية، والمريض في غربها!!!.

● **العلاج البراني المتقدم:** وتعتمد على الاستشفاء من خلال "برانات الألوان"، وتعتبر أكثر تخصصاً وقوة من "برانا الأبيض" العادي، وكل لون له خصائص معينة^(١) لتصل في نهاية المطاف إلى "الطاقة البرانية البنفسجية الكهربائية" وهي حجر الزاوية في العملية الاستشفائية، والمعالج يتدرب على كل الطرق السابقة من أجل الوصول إلى هذه المرحلة، ومشاهدة الطاقة الإلهية المقدسة لحظة تجليها من الذات العليا أو الروح العليا لتدخل إلى جسم المريض عن طريق "شاكرات التاج"، وهي أقوى البرانات، وتملك تأثيراً على جسم الإنسان من شأنها أن تقوم بتجديد الأعضاء، وانعاشها بالطاقة الحيوية، وتتميز البرانا البنفسجية بكونها قوة مطهرة، ولها تأثير قوي جداً في المعالجة السريعة للأمراض الخطيرة.

● **العلاج البراني بالكريستال:** وهي خطوة تهدف إلى مساعدة المعالج على استخدام الكريستال لكونه يتميز بأنه مكثف طاقي شفاف، وله القدرة على امتصاص واختزان الطاقة الكونية، ومن ثم تسليطها على العضو المصاب، وبقدرة محدودة، كما يتميز الكريستال بتأثير فعال على القنوات الشاكرية، ويعتقد المهتمون بعلم الإيزوتيريك الباطني بأن الكريستال هو الشكل الأولي للوعي، فهو يحمل في طياته شرارة النور التي تمثل أولى شرارات الوعي الكوني،

(١) لمعرفة المزيد حول خصائص الألوان؛ راجع المطلب السادس: تطبيق العلاج بالألوان من هذا المبحث.

ولذلك يمكن تسخيرها وتسليطها على الإنسان المريض، فهو يتبع التعليمات بلا مقاومة، يتوجه إليها المعالج ويخاطبها بقوله "امتصّي الطاقة البرانية"، ومن ثم مخاطبتها مرة أخرى بقول: "سلطي الطاقة البرانية"!!!.

هذه هي مستويات العلاج بالبرانا أو البرانيك هيلينغ، ويتضح من خلال ما سبق أن هذا الأسلوب العلاجي لا يخرج عن الأساليب السابقة، وهي ليست إلا دعوات من أجل تسخير القوى الغيبية للتسلط على جسم الإنسان، والتمكن منه، وهذا يظهر جلياً وواضحاً في هذا التطبيق العلاجي؛ إذ الاستغاثة بالكائنات العلوية والكائنات الغيبية سمة بارزة وعلامة فارقة تميزت بها، وإنك حين تقرأ في كتب المعلم "تشو كوك سوي" ستجد العديد من الأدعية والابتهالات التي تحتوي على الاستغاثة، وقد سبق أن أشرنا إلى نماذج من هذه الأدعية والابتهالات، وكل ذلك لا يمكن للمسلم أن يستسيغه ويتقبله، لأنها صورة واضحة من صور الشرك الأكبر والعياذ بالله، ولا يجوز للمسلم أن يؤمن بمثل هذه الخرافات المبنية على الإيمان بتأثير القوى الغيبية على الإنسان، والغريب أن المتأثرين بمثل هذه التطبيقات العلاجية يبررون أفعالهم بأنها من قبيل تسخير الطاقة الكونية من أجل الخير والمحبة والسلام، وهذا التبرير ليس في محله، فلا يمكن لا شرعاً ولا عقلاً أن يكون الشرك بالله وسيلة من وسائل بذل الخير للناس، الخير كل الخير في التوحيد بالله -عز وجل- وتحقيق العبودية له، واتباع سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، والالتجاء إلى الله والاعتصام به، والتوكل عليه مع وجوب اتخاذ الأسباب الشرعية في العملية الاستشفائية، وإذا كان التداوي بالمحرّمات لا يجوز؛ فكيف هو الحال مع التداوي بالشرك بالله.



المطلب الرابع: تطبيق العلاج بالريكي.

تعتبر "الريكي" إحدى أهم الأساليب العلاجية التي تعتمد على الممارسة الروحانية في فلسفة الطاقة الكونية، والمصطلح في أصله ياباني مؤلف من شقين: "ري" ومعناها "الروح الكونية"، و"كي" ومعناها: "الطاقة الحياتية"، ومفهومه يعتمد على الاعتقاد بوجود الطاقة أو الروح الكونية، فهي "طاقة الحياة التي توجهها الروح الكونية".

ولما كانت هذه الطريقة تعتمد على الممارسة الروحانية فإن هذا يعني أنها تتصف بكونها طاقة إلهية مقدسة، وموقف الإنسان من تلك الطاقة هو امتلاكه القدرة على السيطرة على تلك الروح المقدسة، ومن ثم توجيهها إلى الشخص المريض من أجل الشفاء والعلاج.

ولا يختلف الحال في الريكي عن الأساليب والطرق العلاجية السابقة؛ فكلها تتمحور حول قدرة الشخص المعالج على تحسس الهالة المحيطة بالجسم البشري، ومن ثم معالجة الخلل في القنوات الشاكرية، إلا أن "الريكي" تميز بكونه أسلوباً علاجياً حاول فيه المعلم "ميكائو أوسوي" إسقاط التجربة العلاجية الإعجازية التي اختص بها نبي الله عيسى -عليه السلام- على تجربته التي استقاها من الأصول الباطنية الشرقية القديمة، معتقداً في الوقت ذاته أنه بمقدور أي شخص اكتساب مهارة معجزة الشفاء.

وحول معجزة الشفاء تدور محاور تعاليم الريكي؛ إذ الادعاء بأن معلمي ومعالجي الريكي لديهم طاقة لا تنتهي أبداً هو أول محاور تلك التعاليم، يأتي بعدها الادعاء بأن السر في معجزة الشفاء يكمن من خلال رفع حساسية اليدين، ويمكن استخدام هذه الطاقة للشفاء، ويسود الاعتقاد لدى المهتمين بالريكي بأن المعالج كلما وضع يديه على موضع تتدفق من يديه طاقة تساعد على الشفاء، وتؤكد بعض التعاليم على أهمية وجود الممارس أو نيته في العملية، وهناك البعض الآخر يرى أن الجزء المصاب الذي يحتاج للعلاج يقوم بسحب الطاقة لتعزيز وتنشيط عملية الشفاء، وهذا المفهوم يوضح أن طاقة الريكي طاقة ذكية حيث أنها تحدد موضع الشفاء، حتى وإن كان الممارس ليس بالقرب من المكان الذي يحتاج للشفاء، وأهم محور في تلك التعاليم هو تحقيق طريق التناغم، وأن معلمي الريكي يمتلكون هذا التناغم، وهو السبب الذي يجعلهم يحتزنون الطاقة، وأن جميع الناس يستطيعوا أن يحصلوا على هذه الطاقة متى ما حققوا طريق التناغم^(١).

(١) انظر:

Reiki is inexhaustible. McKenzie (1998). Page 18; Boräng (1997). Page 9

إذاً تحقيق طريق التناغم هو المحور الأهم في تعاليم الريكي، وهذا التناغم لا يتحقق إلا من خلال الإيمان بالمبادئ الخمسة التي وضعها "ميكافو أوسوي"، وتتلخص فيما يلي:

أولاً: اليوم فقط لا تقلق.

ثانياً: اليوم فقط لا تغضب.

ثالثاً: احترم والديك ومعلمك الأكبر منك سناً.

رابعاً: اعمل بجد؛ اكسب وقتك بنزاهة.

خامساً: اعطف على الآخرين، وأظهر عرفانك بالجميل لكل الكائنات الحية.

تقول د. هيفاء الرشيد معقبة على هذه المبادئ: "ورغم صلاح ظاهر هذه المبادئ، وقربها من الأخلاق القويمة، إلا أنها لا تخلو من معان باطنية باطلة، حيث يوكل تفسيرها إلى معلم "الريكي". فالعمل الجاد مقرون بالتدري بالروحاني، وتحقيق الاستنارة والإشراق، بينما يقترن العطف على الآخرين بعقيدة الكارما وتناسخ الأرواح ونفي الـ"أنا".

هذا ويمكن تقسيم الريكي إلى فرعين أساسيين:

- الريكي التقليدي.

- الريكي الغربي.

ويتفرع من كل منهما ثلاث أنماط مختلفة: وهي: "الدرجة الأولى"، و"الدرجة الثانية"، و"درجة المعلم".

أما بالنسبة للدرجة الأولى فيكون المعلم قادراً على شفاء نفسه والآخرين، يتلقى فيها المتدرب عدداً من التمارين التي تهيب الجسد لاستقبال "الطاقة الكونية"، وإيجاد رابط أبدي بين الجسد والطاقة، ويتم ذلك بإشراف مباشر من المدرب "المعلم"، وعند نهاية هذه المرحلة تكون طاقة الريكي قد استقرت في جسد المتدرب، ويمكنه استخدامها متى شاء.

وأما بالنسبة للدرجة الثانية فيكون المعلم قادراً على شفاء الآخرين عن بعد، وذلك عن طريق استخدام الرموز الخاصة بالريكي، وهذه الرموز اقتضت الحفاظ عليها ضرورة، ولا يمكن فهمها ومعايشتها إلا من خلال الدورات المخصصة والمتقدمة لهذا الغرض، ولا يمكن الحصول على طاقة الرموز إلا بالاتصال مباشرة، وعن طريق اليد من ماستر بالريكي^(١)، إلا أن المهتمين

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٤٢٠٠٤م، ص ٥٧.

بدراسة الفكر العقدي الوافد ونقده قد نشروا في أبحاثهم بعضاً من تلك الرموز^(١)، والمتأمل فيها ليجد أن تلك الرموز السرية ليست إلا من قبيل أعمال السحرة والكهنة، وهي تقوم مقام المانترا أو التعاويذ المقدسة عند الهندوس.

<p>الرمز الأول من رموز الريكي: ويسمى "شوكو ري" ويعني: القوة، أو القوة الفعالة، ويطلق عليه الرمز المفتاح؛ إذ أن وظيفته تتمثل في نقل الطاقة من العالم غير المرئي إلى العالم المادي _ كما يزعمون_ و يتخيل المعالج بأنه يرسم الرمز على المنطقة التي يرغب بمعالجتها من جسم المريض مع ترديد اسم الرمز أكثر من مرة، وهو يتصور بأن الطاقة تجري لتأخذ شكل الرمز وتستقر في العضو المراد معالجته!</p>	 <p>الشكل (١) الرمز الأول</p>
<p>الرمز الثاني من رموز الريكي: ويسمى "سي هي كي"، ويستعمل بغرض تحقيق الشفاء النفسي من الأفكار أو العادات السيئة، كما يستخدم بغرض الحماية، كما وصفه البعض بأنه الرمز الذي يستخدم لطلب حلول الرب على أي دين كان المستخدم - عياداً بالله- وكسابقه يرسم المعالج الرمز بخياله، بقصد طلب تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.</p>	 <p>الشكل (٢) الرمز الثاني</p>
<p>الرمز الثالث من رموز الريكي: ويسمى "أون شاذي شونن"، ويعني دمج الزمن، أو التوقف في الزمن المناسب! ويستخدم لشفاء العقل من الأمراض الماضية والحاضرة والمستقبلية، ويستخدمه المعالج لإرسال طاقة الريكي إلى المكان "العلاج عن بعد"، والزمان المرغوب فيه.</p>	 <p>الشكل (٣) الرمز الثالث</p>
<p>الرمز الرابع من رموز الريكي: ويسمى "داي كوميو"، ويعني النور والكشف العظيم، وهو من أهم الرموز، وقد يعد الرمز الرئيس، واستخدامه يعني أن المعالج يطلب الإعانة من طاقة "بوذا" والتي يظن أن جزءاً منها بداخله.</p>	 <p>الشكل (٤) الرمز الرابع</p>

وأما بالنسبة لدرجة المعلم، فهذه المرحلة موجهة لمن يرغب في تعليم الريكي للآخرين، بحيث يكون المعلم لديه القدرة على تكييف وتعليم الآخرين أنماط الريكي، وهو بدوره سيتمكن من اكتشاف معاني وأسرار الرموز، واستخدامه بوضوح، وبحسب مدرسة "ريكي زن" فإن تلك الاكتشافات

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص(٣١٦-٣١٧)، وانظر أيضاً: الريكي والعلاج البراني: أ. عائشة بنت محمد الشمسان، ص٢٧، والجدول منقول من كتابها.

تسمى "دوزنة الطاقة"، يتم زرعها وإرسالها داخل الطالب "Attunem"، وتقدم بأشكال متنوعة؛ منها ما يكون مباشراً، ومنها ما يكون عن بعد، ومنها ما تتم عبر طقوس محددة يتم فيها التوسل بأرواح الأموات أو الملائكة، وما إن يجتاز المتدرب هذه المرحلة حتى يمنح لقب "ماستر ريكي" وسلسلة بإسناد متصل إلى مؤسس الريكي الياباني "د. ميكاو أوسوي"^(١).

الريكي التقليدي:

ويراد بها الريكي التقليدي الأصيل، والمنبثقة من تعاليم "ميكاو"، وهذه التعاليم لم تخرج خارج نطاق اليابان، وفي عام ١٩٩٠م قام بعض الماسترز الغربيين بزيارة اليابان حتى يبحثوا عن تقاليد الريكي الخاصة، ولكنهم فشلوا في العثور على أي شيء، لذلك بدأوا في إنشاء مدارس للريكي خاصة بهم، وبدأوا في تعليم اليابانيين المستوي الأول والثاني من الريكي. وبدأ ماستر الريكي الألماني (فرانك أريافا) بتدريس اليابانيين مرحلة الريكي ماسترز الخاصة بالمعلمين، ونتيجة لذلك بدأ اليابانيون في تدريس الريكي التقليدي. ومن ثم تم إنشاء الكثير من معاهد ومدارس الريكي الياباني، ومن أهم هذه المدارس:

- مدرسة الريكي الغربي "سي يو ريكي":

وهذا الاسم يطلق على الريكي الغربي في المجتمع الياباني، وقد تم اعتماد هذا النظام من قبل "هاوايو تاكاتا"، وهذه المدرسة تعتمد على استخدام اليد في العلاج، وذلك بدلاً من "ريجي-هو"، وهو عبارة عن أداة حدسية يتم عن طريقها معرفة المكان الذي يتم وضع فيه اليدين، ويركز هذا الشكل من الريكي على الشفاء من الكثير من الأمراض، ويصنع التناغم والصعود إلى درجات أعلى^(٢).

(١) انظر: الريكي سؤال وجواب: شريف هزاع، الناشر: أكاديمية زن - الإصدار الثاني، ص ٣، وانظر: التناغم "أوقمت": سحر خريس، الناشر: أكاديمية زن، ص ٧، والريكي للمبتدئين: ديفيد إف فينلس: الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ٢=٢٠٠٧م، ص. جميعهم عن: الريكي والعلاج البراني: عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، أ. عائشة بنت محمد الشمسان، الناشر: مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية - نشر الكتروني برقم ٣٨٠٥٠٤١١٥، جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز، ص(٢٢-٢٣)، وانظر أيضاً:

Stein, Diane (1998). Essential Reiki: A Complete Guide to an Ancient Healing Art: Crossing Press.

(٢) انظر:

Usui, Dr. Mikao (31). The Original Reiki Handbook of Dr. Mikao Usui: The Traditional Usui Reiki Ryōhō Treatment Positions and Numerous Reiki Techniques for Health and Well-being. Lotus Press, p7.

–مدرسة "ريكي أوسوي"، أو "ريكي تيبث":

ويطلق هذا الاسم علي النظام الذي قام بتطويره المعلم "أرثر روبرتسون"، وقام بتعميمه المعلم "وليام لي راند وديان"، وقد استمد هذا النظام من "ريكي أوسوي"، وقد درست هذا النظام واعتمده "هاوايو تاكاتا" ولا يختلف هذا النظام عن سابقه اللهم إلا تقنيات يسيرة تمت إضافتها إلى الطريقة، كي تتوافق مع البيئة التي صدرت إليها، وهي البيئة التبتية التي تميزت بالطريقة البوذية اللامية، وتعاليمها التي لا تؤخذ إلا مشافهة من قبل "الدلاي لامات" الذين وجدوا في هذه الحياة من أجل فائدة الجنس البشري، فهم كائنات مستنيرة يجسدون الإله الأعظم!، وهذه التقنيات إنما وجدت بعد رحلة من التأمل تجلت في التناغم التي تمزج بين التنفس البنفسجي واستخدام أيقونات النار!، كحرق البخور، وأخيراً القدرة على الجراحة النفسية "كاهونا ريكي" (١)(٢).

التطبيق العملي للعلاج بالريكي:

هنالك طريقتان في العلاج بالريكي، وكل منهما تعتمد على قدرة المعالج الوصول إلى الجسم الأثيري من خلال رفع حساسية اليدين، والوصول إلى حالة ملامسة الجسم الأثيري!:

الطريقة الأولى: طريقة العلاج الذاتي، وهذه الطريقة أوجدها "سيجي تكاموري" بعد عدة سنوات من التأمل والريكي، والمعالجة تعتمد على الجسم الأثيري والجسم الفيزيائي، وتمثل بوضع اليدين على بعد "سم" فوق الجسم، وتحريكهما بشكل دائري، ومن ثم تحريك اليدين إلى أعلى وأسفل، ومن الواجب بداهة أن يعير الممارس انتباهه ويلاحظ باهتمام أي شعور في الكفين، ويحاول التركيز وذلك بوضع اليدين أمام الصدر متباعدين بمسافة "١٠-٢٠ سم"، وإبعاد الكفين إحداها عن الأخرى، ثم تقريبهما حتى الوصول إلى الإحساس بالطاقة المغناطيسية في الكفين!!!.

يستمر الممارس في هذه العملية، ويمرر كفه على مواضع القنوات الشاكرية، ويستمر في كل قناة من بضع دقائق، وفي كل مرة يلاحظ تتدفق الطاقة مثل النهر أو الضوء الفضوي من الكون أو الروح العليا إلى المركز التاجي، ومن ثم إلى كل مركز طاقي في الجسم (٣).

(١) انظر:

Streich، Marianne، William، Rand L. (2007). How Hawayo Takata Practised and Taught Reiki (PDF). Reiki News Magazine, p1.

(٢) سوف نتحدث بشيء من التفصيل حول الجراحة النفسية "كاهونا ريكي".

(٣) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، ص(٣١-٣٧).

الطريقة الثانية: معالجة الآخرين، وهي على نوعين:

- المعالجة المباشرة في مكان واحد، وهي لا تختلف عن ما ذكرناه في العلاج بالبرانا، من كس القنوت أولاً ومن ثم شحنها بالطاقة. في البداية يتحسس المعالج الجسم الأثيري من أجل اكتشاف المناطق التي تعاني من خلل، فيتم شحنها بالطاقة الكونية الحيوية، ويمكن استخدام الـ "مانترات"، وتردد باللسان أو من خلال الذهن. وقد يطرأ على الشخص المعني بالعلاج حالة من الوعي تسمى "نوم الريكي" يكون فيه النوم العميق والسمو فوق الوعي الطبيعي، ويعتبر العقل تجاوز حدود الوقت والمكان، في إشارة إلى توحيده بالمطلق الذي لا يحده زمان ولا مكان^(١).

- المعالجة عن بعد، ولا يمكن إلا من خلال معرفة المعاني السرية لرموز الريكي، حينها يُمكن للمعالج من استخدام تلك الرموز في استقطاب الطاقة الكونية، وتوجيهها إلى أهداف بعيدة، ويمكن للمعالج أن يستعين بما يمكنه من تحديد الهدف، كالصور الشخصية، والآثار الجسدية، أو الممتلكات الخاصة، وهذه السلوكيات تشبه تماماً سلوكيات السحرة والمشعوذين، وربما تم الاستعانة بدمية يمثل كل جزء منها ما يقابله في المريض البعيد^(٢).

هذا وفي عام "٢٠٠٨م" تم إجراء تجارب سريرية على مجموعة مختلفة من العينات العشوائية وأشارت هذه التجارب إلي أنه لا يوجد أدلة كافية تؤكد فاعلية الريكي الشفائية، وأنه قادر على علاج أي حالة^(٣).

ونحنم بتطبيق الجراحة النفسية في الريكي، حيث يتم تجهيز التحضير أولاً من خلال حرق البخور، وإضاءة الشموع، وتشغيل موسيقى هادئة، مع ضرورة خلع المقتنيات التي تحتوي على معادن. يبدأ المعالج في توجيه النداءات الكونية لحضور الطاقة، وكذلك حضور روح "د. ميكاو أوسوي"، وكذلك حضور أنوار الملائكة.

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، ص(٣١-٣٧)، وانظر أيضاً: الريكي للمبتدئين: فينلس ديفيد إف، ص(١٧٨-١٧٩)، وانظر: طاقة الكون بين يديك: مهي نور، ص١٤٩، جميعهم عن: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص(٣٠٧-٣٠٨).

(٢) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص(٣٠٩-٣١٠).

(٣) انظر:

Stein, Diane (1998). Essential Reiki: A Complete Guide to an Ancient Healing Art: Crossing Press.

يقوم المعالج برسم رموز الريكي باليد، وتصور حضورها بالمكان بشكل دائري، يصاحبها حالة من التأمل لمدة دقائق معدودة، يختار فيها المعالج وضعية التأمل التي تناسبه.

عملية رسم الرموز تظل مستمرة في حالة التأمل، يرسم الرمز الأول ثلاث مرات، ويتخيل دخول الرمز في كل أنحاء الجسد.

بعدها يعيد رسم الرمز مرة ثانية، ولكن هذه المرة يكرر الرسم على كل موضع من مواضع الشاكرات ثلاث مرات، ثم يرسم الرمز الأول في كل يد، ويظل ينتقل من رمز إلى آخر حتى يصل إلى الرمز الرابع، متبعاً نفس الخطوات السابقة، والصورة المرفقة تمثل طريقة إدخال طاقة الريكي في مراكز التقاط الطاقة "القنوات الشاكرية".



بعد الانتهاء من عملية التحضير يكون المعالج في أهبة الاستعداد، وقد شحن نفسه بالطاقة الكونية اللازمة، وحين يريد اجراء الجراحة يطلب المعالج من المريض أن يفكر في الألم، ويقوم المعالج برسم الرمز الأول على مكان الألم، مستشعراً الإحساس بالطاقة المحيطة حول الأصابع وكأنها أداة جراحية، فيبدأ بإدخال أصابعه إلى جسم المريض، ويبحث عن المكان المحدد، ثم يأخذ كرة الألم بأصابعه الأثرية ويخرجها من الجسم، ثم يطلقها أجزاء ممزقة إلى الكون، أو يعطيها للملائكة الذين يعملون معه!!!، ويكرر نفس العملية على الأقل خمس مرات، ثم ينفذ ريكي على المنطقة لمدة خمس دقائق^(١).

(١) انظر: الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاة وجمان السيد، ص(٤٩-٥١).

المطلب الخامس: تطبيق العلاج بالألوان.

منذ القدم اهتم الإنسان بالألوان، واكتشف بأن للألوان دور في التأثير الإيجابي على الجانب الذهني والنفسي، وأنه بالإمكان استخدام الألوان ضمن الأساليب العلاجية، ومن هنا ظهر الاهتمام بالألوان في ثقافة الإنسان الشرقي القديم، فالمجتمعات البدائية عرفت تأثير الألوان من خلال تحضيرها للأرواح، بينما ظهرت الألوان كوسيلة مؤثرة في الفكر الشاماني؛ فالشامان هو عبارة عن لوحة تشكيلية من الألوان المختلطة، وينعكس ذلك على تهذيبه ومنظره وسلوكه. بينما ارتبطت الألوان بفلسفة الشاكرات في الفكر العقائدي الهندوسي، فكل قناة من القنوات الشاكرية تتميز بلون خاص لها، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فقد أصبحت الألوان معلماً من معالم الديانة الهندوسية ويوماً من أيامها؛ حين ارتبطت فلسفتها بالأساطير الخيالية؛ فعمد الإنسان الهندوسي إلى الاحتفال بالـ "هولي - Holi" إرضاءً للآلهة "لاكسمي - Laxmi" الأنيقة التي يصعب إرضاؤها؛ فهي تكره القذارة والفساد، كما أن للألوان حضوراً ملفتاً للانتباه في الطقوس الشعائرية الكهنوتية، ولا سيما في الهند والتبت، الأمر الذي أصبح ظاهرة دينية يتميز من خلالها رهبان المعبد بلباسهم البرتقالي من أجل اكتساب المزيد من الطاقة الروحانية^(١).

بينما ارتبط الإنسان المصري القديم باللون من خلال اعتقاده بأن الألوان وسيلة لتجديد الطاقة الروحية، وعلى إثرها شيدت المعابد المطلية بالألوان اعتقاداً بأن الألوان لها تأثير على الذهن والروح والجسد^(٢).

فلسفة العلاج بالألوان:

يرتبط العلاج بالألوان من خلال الاعتقاد بوجود الهالة، وهذه الهالة بحسب فلسفة الطاقة الكونية لها ألوان متعددة، ويتأثر الإنسان المريض نتيجة الخلل في تلك الهالة، وتتغير ألوان الهالة محدثة إشعاعات عكسية ضارة، ونتيجة لذلك فإن ألوان الهالة تتغير حسب الاستقرار النفسي والذهني، فهي في أكمل درجاتها حين يسبح الفكر في عالم التأمل والخيال، وتنعكس الطاقات الإلهية عليه، وبحسب فلسفة الشاكرات والعلاج البراني الملون فإن "شاكر التاج" تتميز باللون البنفسجي وهي

(١) انظر: من عادات الشعوب: الطقوس الهندوسية عجائب وغرائب، مجلة الفيصل: العدد ١٣٧، السنة الثانية عشرة:

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٢٢.

(٢) انظر: العلاج بالحب: ص ١٢٠.

أرقى أنواع البرانات وأقواها، ولها من الخصائص ما يجعلها قادرة على تحقيق العملية الاستشفائية في الحال^(١).

وعطفاً على ما سبق فإن نظرية العلاج بالألوان تتمثل في أن لكل لون له تردد ذبذبي اهتزازي مختلف، ويعتقد العلماء المهتمين بالأساليب العلاجية بالطاقة الكونية بأن لكل خلية من خلايا الجسم تملك أيضاً تردداً ينبعث بقوة وإيجابية عندما يكون الإنسان موفور الصحة والعافية، بينما يصبح الجسم في حالة غير متوازنة حين يحدث الخلل في نظام الترددات، فيكون محتاجاً للبحث عن الألوان التي يحتاجها^(٢).

ومن هنا ظهرت فكرة الاعتماد على الألوان كأسلوب شفائي!، ومن أجل مقاومة المرض، وإعادة التوازن الطبيعي بين طاقات اللون في الجسم، وبحسب فلسفة الطاقة الكونية فإن الجسم الأثيري أو الهالة المحيطة بالجسم المادي وظيفته هو امتصاص الطاقة التي تظهر باللون الأبيض، وتقسيمها إلى طاقات لونية أساسية تتدفق إلى أجسام مختلفة لتبعث فيها الحيوية والنشاط، وعن طريق العلاج بالألوان يتم تطبيق ذبذبات اللون الصحيحة على أجزاء مختلفة من الجسم^(٣).

ومن خلال الجدول المرفق يتضح لنا تفسير المهتمين بالطاقة الكونية للحالات النفسية والعقلية للإنسان، وانعكاسها على الهالة، وتصنيفها بحسب فلسفة الألوان.

الحالة	اللون
حالة العقل الهادئ	تصدر عنه هالة ذات لون أحمر غامق، وهي دلالة على العقل الفطري الغريزي في حالة النوم، حيث يكون الإنسان بعيداً عن المؤثرات العقلية التي تنتابه في حال اليقظة.
حالة الغضب والانفعال	تشير الهالة إلى شعلة حمراء فوق أرضية سوداء، بحيث تعطي غيرها من الألوان، فتستمر الحالة حسب قوة الانفعال.
حالة الرقي الأخلاقي	تكون الهالة ذات ألوان ثقيلة قاتمة، تغطي عليها ألوان أخرى.
حالة الانحطاط الأخلاقي	تكون الهالة ذات ألوان فاتحة، وأعلى تردداً، وبذلك فإن الهالة تفضح صاحبها!!!.
حالة الحب	الهالة أصبحت قرمزي اللون.
حالة التدين	يصبح الإنسان ذا هالة زرقاء، نتيجة للتعرض للطاقات الإلهية العليا، والتي دائماً ما تظهر باللون البنفسجي.
حالة الذكاء	إذا كانت نسبة الذكاء كبيرة فتكون الهالة صفراء ذهبية، وتكون هذه الهالة قريبة من رأس الإنسان وكتفيه، والألوان الأخرى تصبح في الجزء الأسفل من الهالة.
حالة الرغبة في فعل الخير.	تظهر الهالة باللون الأصفر البسيط، ويصاحبه وميض يراه الأشخاص العاديون!، ويكون محاطاً عند حافته بإطار من ظل خفيف مضيء ذي لون أزرق عريض في الإطار.

(١) انظر: المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة: المعلم "تشوكوك سوي"، ص ٢٧

(٢) انظر: الطب البديل الحديث: حمزة الجبالي، ص ٣

(٣) انظر: العلاج بالألوان: حسين جمعة، ص ٩٠.

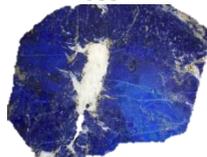
ولما كانت هذه هي حالة الجسم الأثيري أو الهالة المحيطة بالجسم المادي مع ألوانها اقتضى أن تكون تلك الألوان دالة على معرفة حقائق الإنسان، ومن خلال الجدول المرفق نتعرف على الألوان ودورها في معرفة الحقائق النفسية للذات الكامنة.

اللون	الدلالة
الأسود	الكرهية والحقد والثأر
الأشهب الفاتح	الأنانية من ناحية، ومن ناحية أخرى يدل على الفزع والخوف.
الأشهب القاتم	يدل على الانقباض، ومرض في الجهاز العصبي.
الأخضر الرديء	الغيرة
الأخضر الرديء الممتزج بالأحمر	الغيرة + الغضب.
الأخضر الرصاصي	الخدیعة.
الأخضر الفاتح	التسامح والمرونة والأدب.
الأحمر الدامي المدخن	الشهوات الحيوانية
الأحمر القاني	الغضب
الأحمر القرمزي	الحب
الأحمر الفاتح	الحب في الدرجة العليا
الأحمر الأسمر	البخل والجشع.
البرتقالي	الكبرياء والطمع
الأصفر	بكافة درجاته يدل على القوة العقلية
الأزرق القاتم	الشعور الديني.
الأزرق الفاتح	الروحانية.
البنفسجي	أرقى درجات المشاعر الدينية وأسمائها.

خصائص الألوان بحسب فلسفة الشاكرات:

لطالما حرص المهتمين بالعلاج بفلسفة الشاكرات ربط تلك الشاكرات بالألوان، وجعل لكل قناة شاكرية لون خاص يميزها عن غيرها، ومن ثم يعتمدون إلى معالجة تلك القناة بما يتوافق معها من الألوان، سواء كان ذلك اللون ظاهراً على الأنظمة الغذائية، أو اللباس والمظهر، أو انعكاس اللون على المكان المهياً للإقامة عبر طلاء ذلك المكان باللون المراد، أو إشعال الشموع والمصايح الملونة، أو من خلال اقتناء الأحجار الكريمة المرتبطة فلسفياً بالشاكرات، ومن خلال الجدول المرفق نتعرف على خصائص الألوان بحسب فلسفة الشاكرات.

الشاكرة	اللون	الخصائص	التطبيقات العلاجية
القاعدة أو الجذر	الأحمر	مقوية، مدفئة، موسعة، ممددة، موزعة، بناءة تسرع في إصلاح الأنسجة والخلايا، تقوي الجسم المادي المرئي، وتزيد القدرة الحيوية والتحفيز والتنشيط.	ينسب إليه العديد من التطبيقات العلاجية نذكر منها: تقوية الأعضاء، وتوسيع الأوعية الدموية. علاج الوهن والضعف والشلل. إعادة الحيوية للمرضى فاقد الوعي، أو الذين على وشك الموت من أجل إطالة حياتهم!
	الحجر		
	الأماتيست		

	اللون	البرتقالي	الحجر	الأوبال الناري		العجز		
							قاذفة، طاردة، مزيلة للاحتقان، منظفة، محررة، مذيبة، منتزعة وممزقة.	
								لقذف الطاقات السلبية من الجسم، ولطرد الفضلات والسموم، ولها تأثير قوي، فهي تعتبر مطهر للجسم الأثيري والمادي.
	اللون	الأصفر	الحجر	الزبرجد الأصفر		الصفيرة الشمسية		
							الربط، والتكثُر والنمو، والتحريض على الأعصاب.	
								تستخدم لعلاج حالات كسر العظام، وإصلاح الخلايا من أجل تنمية أنسجة وأعضاء وعظام قوية.
	اللون	الأخضر	الحجر	الياقوت الوردي		القلب		
							مفككة، وهاضمة، ومزيلة للاحتقان، ومطهرة تساعد على الانحلال وحل المادة البيوبلازمية المريضة.	
								تستخدم للكنس الموضعي لنزع احتقان الطاقة، ولحل الطاقة المريضة والمزمنة.
	اللون	الأزرق	الحجر	الأمازونيت		الحنجرة		
							مبيدة للجراثيم، ومخدر لطيف ومسكن، ومبردة.	
								لوقف النزيف الطاقوي، وكبح الشاكرات، وإزالة الألم.
	اللون	البنفسجي	الحجر	اللازورد		العين الثالثة		
							القوة، ولها جميع خصائص الشاكرات السابقة، كما أن لديها القدرة على التأثير على جميع الألوان.	
								المعالجة الفورية، والمعالجة عن بعد من خلال العين الثالثة أو الحاسة السادسة "الملكات الميتافيزيقية".

مقتبسة من الذات العليا أو الروح العليا، وهي تدخل للجسم عبر شاكرا التاج لتجدد الجسم الأثيري والجسم المادي، فهي تتميز بكونها قوة مطهرة، ولها تأثير قوي جداً في المعالجة السريعة للأمراض الخطيرة.	الطاقة الإلهية المقدسة، وتأثيرها هدام على معظم البشر، وهي أقوى من الطاقة البنفسجية العادية بمرات، وهي تملك تأثيراً تجديدياً على الأعضاء والأعضاء المتأذية.	اللون	اللون الأبيض المختلط مع البنفسجي الحجر العقيق الأحمر	اللون الأبيض المختلط مع البنفسجي الحجر العقيق الأحمر
		الأبيض المختلط مع البنفسجي		
		الحجر		
		العقيق الأحمر		

طريقة اكتشاف الخلل في الهالة المحيطة بالجسم المادي من خلال الألوان:

الهالة الصحية للجسم البشري هي أكثر الهالات بذبذباتها، وهي تظهر بوضوح الشكل، ولونها أبيض مع ميل إلى الزرقة، وهذه هي أول تشكيلات الطاقة، وتتميز بخطوط ضوئية مستقيمة رفيعة وكثيرة، وهذا يدل على سلامة الجسم الأثيري، بينما إذا كانت تلك الخطوط الضوئية منحنية أو مقوسة فهذا يدل على وجود مرض ما في جسم الإنسان بسبب نقص القوة الحيوية، ويمكن لممارسي العلاج بالطاقة الكونية ممن يتميزون بتنمية الملكات الميتافيزيقية مشاهدة جزئيات الهالة وتشخيص الجسم الأثيري، كما أنهم يمكنهم مشاهدة الهالة وهي تتصبب من أصابع الشخص الذي يقوم بمهمة العلاج بالطاقة على هيئة هواء ساخن يرتفع في تموجات أو اهتزازات.

وحاصل القول: فإن كل ما سبق ليس إلا تخريف بالظن، وليس قائماً على منهج علمي مؤيد بالحجة ومعتمد بالدليل والبرهان، ولا يمكن أن ننفي أثر الألوان على النفس، ولكن ليست بهذه الطريقة التي تتضمن تفسيراً مجحفاً لتأثير الألوان على النفس، تؤدي إلى الاعتقاد بأن اللون البنفسجي هو أرقى ألوان الهالة، والوصول إلى ذلك اللون يعني الاندماج مع الطاقة الإلهية المقدسة، ولو كانت هذه التأثيرات صحيحة لدلنا عليها ديننا الحنيف، الذي لم يترك شيئاً إلا ودلنا عليه، فأين نجد من ديننا هذه التفسيرات المجحفة للألوان، وتظل تلك الألوان مخلوقة من مخلوقات الله لا تضر ولا تنفع، إنما خلقت لتسر الناظرين، فالمنظر الطبيعية الخلابة والكون الفسيح بما يحتويه من ألوان كلها من الوسائل التي تعين العبد على التفكير والتدبر في مخلوقات الله، وليست لفلسفتها وتفسيرها بالشكل الذي نراه، وإذا كان الأمر كذلك وبناء على قول المهتمين بالطاقة الكونية بأن اللون البنفسجي هو أرقى ألوان المشاعر الدينية وأسمائها، وهم أنفسهم يقولون بأن الأنبياء والقديسين محاطين بهالة مقدسة، وأنهم على نسبة عالية من الوعي واليقظة، وهذا يعني أنهم موجودين ضمن الهالة البنفسجية، وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فلماذا يعمد الرهبان ورجال المعبد إلى الظهور بلباس

برتقالي، لماذا لا يرتدون لباساً بنفسجياً، هل لأن اللون البرتقالي يتميز بخصائص روحانية!، فلماذا يتميز به طائفة دون أخرى، فالرهبان البوذيون يتميزون بهذا المظهر، بينما الرهبان في طائفة أخرى يتميزون بمظهر آخر!، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى فإن موقع اللون البرتقالي من اللون البنفسجي بحسب فلسفة الشاكرات كموقع الأرض من السماء، فاللون البرتقالي يظهر في أسفل القنوات الشاكرية، بينما يظهر اللون البنفسجي في أعلى السلم، وبينهما تظهر العديد من الألوان التي تختص كل منها بخصيصة تجعلها تفترق عن اللون البرتقالي المتصف بالروحانية، وعن اللون البنفسجي المتصف بكونه أرقى المشاعر الدينية، وعليه فإن العلاج بالألوان هو علاج وهمي لا يمكن الوثوق به في عملية الاستشفاء والعلاج، وهو أمر نسبي يتفاوت فيه الناس على اختلاف امزجتهم، فاللون المحبب لشخص ما، قد يكون مثيراً للجانب النفسي لشخص آخر، باعثاً على اضطراب المزاج وضيق النفس، ولا يمكن الاعتماد على التفسيرات الفلسفية لحقيقة الألوان، بينما يقف جانب الطب الحديث موقف الرفض في تبني مثل هذه التفسيرات التي تدعي وجود الأجسام الأثيرية، وتفسيرات الألوان لها، والله أعلم.

المبحث الخامس

تطبيقات الوعي الكوني

وفيه ثلاثة مطالب:

- * **المطلب الأول:** تطبيق الطاقة الكونية على الأنظمة الغذائية.
- * **المطلب الثاني:** تطبيق الطاقة الكونية على الأنظمة الهندسية.
- * **المطلب الثالث:** تطبيق الطاقة الكونية على البيئة المحيطة.



المبحث الخامس

تطبيقات الوعي الكوني



لم تكن التعاليم المنبثقة من فلسفة الطاقة الكونية مقتصرة على الجانب الشعائري المتمثل في التأمل، وانعكاسها على الجانب الروحي فقط، ولم تكن أيضاً مقتصرة على الجانب الاستشفائي والعلاجي يظل فيها المريض تحت رحمة المعالج الذي يملك الأسرار المقدسة ومفاتيح الرموز المشفرة من أجل تحقيق العملية الشفائية، بل تعدت أكثر من ذلك لتصبح فلسفة شاملة للحياة، فلسفة من شأنها أن تجعل حياة الفرد بفضل وعيه الكوني أكثر شمولية لتحقيق السعادة، والتي تجسدها نظرة فلاسفة الشرق نحو الكون، وأن سر الحياة يكمن من خلال تحقيق التوازن بين القوتين القطبيتين "ين يانغ"، لتصبح التعاليم المنبثقة من تلك النظرة منهجاً حياتياً يسير عليها الفرد طوال حياته، ليصبح في الأخير إنساناً كونياً عظيماً مشاركاً مع الكون.

ومن هنا ظهرت فكرة وجود تطبيقات يمارسها الفرد، لتجسد حقيقة وعي الإنسان بالطاقة الكونية، وقد تجلت تلك الحقيقة في المشاركات الإنسانية الغريزية والمتمثلة في ضرورة وجود أنظمة غذائية تتمحور حول إيجاد التوازن في المأكولات والمشروبات، وتهدف إلى تحقيق الاتحاد مع الجوهر المطلق أو الروح العليا أو العقل الكوني من خلال تلك الأنظمة الغذائية.

حالة الإنسان نحو الوعي الكوني ونظرته للكون لم تقتصر على المشاركة الغريزية فقط؛ بل تعدت أكثر من ذلك لتحلق في سماء المشاركة المجتمعية، ليصبح الوعي الكوني متجسداً في الأنظمة الهندسية، وأصبحت الفنون المعمارية شاهدة على التعاليم الفلسفية المنبثقة من علوم الطاقة الكونية.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق؛ ولم تعد تلك التعاليم تمارس بين جدران المعابد، وجلسات التأمل في فضاء الطبيعة، وحجرات تحضير الأرواح، بل تعدت كل ذلك لتصبح جزءاً من الثقافة اليومية، ولكي ينعم الفرد في البيئة المحيطة به بنسمات الطاقة الكونية.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن وعي الإنسان في الفكر الشرقي القديم تمثلت في اتباعه لفلسفة الطاقة الكونية لتصبح فلسفة شاملة لجميع شؤون الحياة، وتفسيراً منطقياً للقضايا العقدية التي عجز

الفكر البشري عن إدراكها، ولتحل تلك الفلسفة بمخرجاتها ومضامينها لتحل محل الدين الفطري الذي يبعث على التوحيد لا التوحد، وعلى التدبر لا التأمل!.

وعطفاً ما سبق؛ فقد حرصت أن تكون دراسة تطبيقات الوعي الكوني هي تطبيقات شاملة لفلسفة الطاقة الكونية، ومن أجل ذلك فقد ظهرت مطالب هذا المبحث في ثلاث مسائل رئيسية، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: تطبيق الطاقة الكونية على الأنظمة الغذائية □ الماكروبايوتك.

يعد الجانب الغذائي من أهم الجوانب الشمولية التي حرص عليها فلاسفة الشرق وحكمائها لتجنيب الإنسان من المشاكل الصحية الغذائية، والسمو نحو طريق الوصول إلى مرحلة الإنسان الكوني.

ومن أبرز هذه الأنظمة نظام "الماكروبايوتك"، وهو نظام غذائي مستمد من مزيج من التعاليم الروحانية الشرقية والغربية، ابتكرها "جورج أوشاو" في أربعينيات القرن الماضي، حيث كان حريصاً على تطوير التعاليم التراثية الصينية، وإعادة نشرها في أوروبا والغرب، والنظام يمثل في ظاهره دعوة للعودة إلى الأطعمة الطبيعية ذات المكونات البسيطة والمعدة بطريقة صحية!^(١)، ولكن حين التأمل في جوهر النظام نجد أنه يمثل "التطبيق العملي لقوانين الطبيعة الخاصة بالتغير".

وأصل كلمة "الماكروبايوتك" يوناني، مكون من "ماكرو" ويعني ضخمة، و"بايوس" وتعني الحياة، ومفهومه يدل على "أداة تساعد من يستخدمها على تعلم كيفية العيش في ظل النظام الطبيعي للحياة؛ حيث التغير المستمر لطبيعة الأشياء"^(٢).

ويقوم الفكر الخاص بالنظام الغذائي الشمولي "الماكروبايوتك" على أن جميع الأشياء بما فيها الأجسام والطعام وكل شيء آخر إنما هو في حقيقته مكون من القوتين القطبيتين "ين يانغ" والتي انبثقتا عن المبدأ الأوحده "التاو".

قوة "الين" قوة خارجية متحركة، بينما قوة "اليانغ" قوة داخلية، وهذه القوة توجد في كل شيء مع زيادة أحدهما على الآخر، وفي النظام الغذائي توجد أيضاً هاتين القوتين، ولا بد للإنسان أن يتعامل

(١) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص ٣٣٧.

(٢) انظر: دليل الماكروبيوتيك: كارل فيريه، ترجمة: د. يوسف البدر، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ٢=٢٠٠٣م،

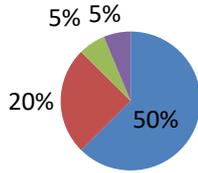
معهما من أجل تحقيق التوازن بين القوتين، وحين تغلب قوة أحدهما على الآخر تظهر المشاكل الصحية.

ومن أجل تحقيق التوازن، والسمو نحو طريق الوصول إلى الكمال الإنساني فإن النظام الغذائي الشمولي "الماكروبايوتك" يؤكد على ضرورة استهلاك نوعين من الأغذية فقط، وهما:

١- الحبوب. ٢- الخضروات.

مع ضرورة تجنب أكل اللحوم والدواجن والبيض، والألبان بجميع مشتقاتها، والسكريات المضرة، لتشكيل النظام الغذائي وفق التصور التالي^(١):

رسم بياني يوضح النسب المعتمدة في النظام الغذائي "الماكروبايوتك".



النسبة	الوصف
٥٠ - ٦٠ %	حبوب كاملة
٢٠ - ٣٠ %	منتجات مصنوعة من الحبوب الكاملة
٥ - ١٠ %	خضروات مزروعة محلياً
٥ - ١٠ %	بقوليات ونباتات بحرية
٥ %	نوع من أنواع الحساء المختلفة
	بالإضافة إلى المشروبات كالماء وشاهي البانشا وقهوة الحبوب.

هذا باختصار ما يتعلق بالنظام الغذائي الماكروبايوتك، وهو نظام كان يعتمد عليه في السابق رهبان المعابد ورجال الدين من النساك والمتصوفة الذين كانوا يقتاتون على الأطعمة الطبيعية وثمار الأشجار ونحوها، وفكرة الاعتماد على الأطعمة النباتية وتجنب أكل اللحوم والدواجن هي فكرة قديمة وجدت عند الهندوس الذين يرمون على أتباع طائفة البراهما ورجال الدين جميع المأكولات باستثناء الأطعمة النباتية.

ولهذا فإن "جورج أوشاو" حين عمد إلى إيجاد هذا النظام الغذائي؛ فإنه كان يستهدف إلى إصلاح النظام الغذائي العالمي، لأن الأغذية الأمريكية كانت إما كلها "ين"، أو كلها "يانغ"، وهي بدورها كانت سبباً في ظهور أمراض السكري أو تكوين الأحماض، وظهور أمراض السمنة، وهو من خلال تبنيه لفكرة إصلاح النظام الغذائي العالمي جعل من أهدافه أنه سيدل الناس على طريقة اغتذاء واختيار أطعمة ستقودهم في آخر الأمر إلى الحقيقة والسعادة الأبدية^(٢).

(١) انظر: أسلوب الماكروبايوتك: ميشيو كوشي، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٢م، ص (١٠-١٢).

(٢) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوشاو، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠٣م، ص ١٤، عن التطبيقات المعاصرة، ص ٣٣٩.

ولا شك أن الحقيقة التي يريد أن يقدمها للناس هو ما يؤمن به، وما يؤمن به هو مفهوم فلسفي يتجاوز أن يكون محصوراً في نظام غذائي!، إنه المفهوم الذي تبناه واستمد جذوره من الفكر الشرقي القديم، معتمداً على النظرة التاوية لمبدأ الوجود، ويهدف إلى تحقيق التناغم مع الكون من خلال إيجاد التوازن بين القوتين القطبيتين "ين يانغ".

وهذه الأمور تظهر جلياً من خلال دعوته التي تبناها والتي تهدف إلى تحقيق السعادة الأبدية، وهذه السعادة لا تتحقق إلا من خلال طريق الاستقامة، وهي "إدراك ما يسمى بالحقيقة المطلقة أو الوحدة الكونية"، وفي هذا السياق يقول: "الإنسان الذي يعيش حياته في البحث عن الحقيقة الأبدية، متغلباً على الخرافات والتفكير النظري، والذي يحاول إظهار الحقيقة الرائعة والأبدية في العالم النسبي والسريع الزوال، هو إنسان مستقيم"^(١).

هذا ومما يلفت الانتباه هنا أن طريق الاستقامة التي رسمها "جورج أوشاو" هي آخر مرحلة من سبع مراحل للصحة، رسمها من أجل بلوغ الحقيقة وتحقيق السعادة الأبدية^(٢).

وأول هذه المراحل تكمن في التخلص من التعب والإرهاق، وهو تعبير يراد منه ضرورة التخلص من الطاقات السلبية، والتخلص عن الإجهاد المزمّن الناتج عن النقص في الطاقة الكونية. تأتي بعدها مرحلة المحافظة على الشهية الجيدة، وذلك يكون بعدم الإفراط في الشبع. وأما المرحلة الثالثة فهي الحصول على نوم جيد، ويحتل مقداره بحسب تفاوت الأحوال والظروف من حيث الـ"ين يانغ".

وهذه المراحل الثلاث فيمكن تحقيقها خلال شهر واحد تقريباً، وأما المستويات اللاحقة فهي تستغرق وقتاً أطول يصل إلى العامين في بعض الحالات؛ حيث لا يقتصر تأثير الأطعمة على الجسد فقط، بل يتعدى ذلك إلى الوعي، ومن هذه المستويات:

(١) انظر: دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوشاو، ص ٢٥، عن التطبيقات المعاصرة، ص ٣٥٠

(٢) انظر: زن ماكروبايوتك: جورج أوشاو، إعداد: يوسف البدر، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ط ٣=٢٠٠٣م، ص(٢٧-٣٥)، وانظر أيضاً: المايكروبايوتك للمبتدئين، جون سانديفر، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٤م، ص(١٧-٢٥)، وانظر: موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي بين الطب النبوي والماكروبايوتك: د. أسامة صديق مأمون، الناشر: الدار العربية للعلوم، القاهرة، مصر، ط ١=٢٣٣هـ، ص ٣٤، جميعهم عن التطبيقات المعاصرة: ص ٣٤٨.

الحصول على ذاكرة قوية، والمراد بها الذاكرة الحيوية، والإدراك الروحاني، فالذاكرة الحيوية هي المتعلقة بالأفعال اللاإرادية للجسم، أما الإدراك الروحاني فهو الإحساس بالوحدة التامة مع النفس والعالم.

تأتي بعدها مرحلة التخلص من الغضب، ويعتبر الحقد أعظم سبب للمرض، فهو يؤثر على الحيوية الذاتية والقدرة على التعبير والتعامل مع الآخرين، والإنسان الذي يتمتع بصحة جيدة لا يتعرض للغضب أبداً.

سادس هذه المراحل هو السرعة والحزم في التفكير والإنجاز، وهو دليل على الصحة الجيدة. وآخر المراحل هو الاستقامة^(١).

وبهذا يتضح أن النظام الغذائي الماكروبايوتك هو في حقيقته تحديث لأنظمة قديمة كان يراد منها تحصيل الخلود والحياة المديدة، كما تعتبر إحدى الطرائق الثماني للوصول إلى الـ "نيرفانا"، والاتحاد بالكون، وفي المجمل العام يجب الحذر منه لأنه يتضمن عقائد إلحادية، تهدف إلى الاتحاد، وإدراك وحدة الوجود^(٢)، والله أعلم.



(١) انظر: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد، ص(٣٤٨-٣٥٠).

(٢) انظر: نفس المرجع السابق: ص ٣٤٢.

المطلب الثاني: تطبيق الطاقة الكونية على الهندسة الكونية المقدسة.

يرتبط فهم الهندسة المقدسة أو الهندسة الكونية بالوعي الشخصي، ومدى ارتباطه بالوعي الكلي أو العقل الكوني، فهو يمثل منتهى الوعي الإنساني نحو الكون، وخلاصة الإدراك الحقيقي للغة الكون وعقله، وقوانينه التي تضبط التنغم والإيقاع، وفهم تلك القوانين التي بنيت عليها منظومة الطاقة ونشأة الخلق، فهي تربط الإنسان بكافة الموجودات، وكل شيء في الكون إلا ويخضع لها^(١). وبالتالي فإن الهندسة المقدسة يعتمد على فهم الوعي الكوني والوعي الشخصي، وكيفية التواصل مع الأبعاد والأكوان، وكيفية التعامل مع الكائنات غير المرئية، واستجلاب العلوم منها لتطوير البشرية.

ويمكن اعتباره علم شمولي مرتبط بالكثير من العلوم الأخرى؛ أهمها الهندسة، فهو يقوم على الوصول إلى أفضل الأشكال لمسارات الطاقات المحيطة بنا في هذا الكون، وإعادة التوازن والتوافق للوظائف الحيوية، على النحو الموجود تماماً في فلسفة الاستشفاء والعلاج بالطاقة الكونية^(٢). إن تاريخ الهندسة المقدسة تاريخ قديم، وجد في أغلب الحضارات القديمة، إلا أن وجوده دائماً ما كان مرتبطاً بالعقائد السرية، ووسيلة من وسائل الوصول إلى المعرفة الباطنية من خلال فهم جميع أشكال الحياة الهندسية، وظلت تلك العلوم الهندسية المقدسة هي حجر الزاوية في جميع المدارس السرية التي تناولت دراسة النظام الخفي للكون.

ومن أهم هذه المدارس "مدارس العلوم الباطنية" التي ظهرت في اليونان منذ حوالي "٢٥٠٠" سنة، وهي مدارس عنيت بتدريس علوم ما وراء الطبيعة التي نقلها اليونانيون أمثال "فيثاغورث" و "أفلاطون" من مصر القديمة؛ إذ المعابد الفرعونية القديمة والأهرامات كلها شاهدة على تلك الرموز الهندسية المقدسة، والتي تحوي في مضامينها العديد من المعارف الباطنية، وقد انعكست تلك الآثار

(١) انظر: نعمة المعرفة - ما تبحث عنه يبحث عنك: كامي حنا، الناشر: شمس للنشر والإعلام، القاهرة، مصر، ط ١ =

٢٠١٧م، ص ١٥٧.

(٢) انظر:

Maharishi, M. 2009. Celebrating perfection in education Vlodrop; Maharishi Vedic University Press.

على الفلسفة اليونانية، فالأشكال الأفلاطونية ومجسماتها تمثل رمزاً من رموز العلم الباطني الكامن في الإنسان^(١).

وفي العصر الحديث تبنت حركة العصر الجديد إعادة إحياء التراث الفلسفي القديم، وزعمت بأن لتلك الأشكال الهندسية قدرات روحية تمثل أساس الزمان والمكان، وبعض المؤيدين «للعصر الجديد» يعتبرون أن تلك الزهرة ليست عبارة عن نقش هندسي أو رمز ديني عادي، بل هي ترمز عن العدد الذهبي، وهو المقدار العددي المبتوث في كل الموجودات، بداية من الذرة وصولاً للمجرة. فهي شكل محيّر يشمل الكثير من الرسائل المرتبطة بتكوين الكون، وبالبعد الداخلي للوجود. إنها الشكل الذي يثبت أن كل شيء مرتبط في الكون، من المتناهي في الصغر حتى المتناهي في الكبر. وبمقصد آخر؛ فالكون والخلق بما فيها الإنسان وإدراكه، كل هذا يمثل شيئاً واحداً فقط، وحقيقة واحدة فقط إنها الكمال واللانهاية والمطلق^(٢).

نماذج عن الأشكال الهندسية المقدسة:

➤ زهرة الحياة:

تمثل أحد أهم الرموز السرية، والأكثر قدسية في العالم، والرمز يتشكل من خلال رسم مجموعة من الدوائر المتداخلة، ويقصد منه "أنه مصدر كل ما هو موجود، وكل ما هو متجسد مادياً" وكان الفلاسفة القدماء يعتقدون أن "زهرة الحياة" تحتوي على كافة نماذج الخلق عندما تجلت منبتقة من الفراغ الكوني الكبير، فكل شيء تجلّى انطلاقاً من فكر الخالق، و"زهرة الحياة" تمثل النموذج الهندسي الأسمى والأول الذي تجلت عنه كافة أشكال الحياة.

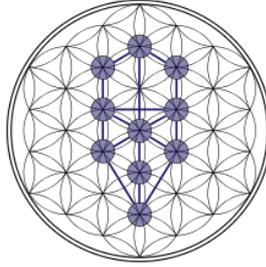
ووفقاً للتعاليم السرية المتعلقة بزهرة الحياة؛ فإن جسم الإنسان محاط بقاعة بيضوية الشكل تسمى "البيضة الهالية"، وهذه الهالة هي المجال السببي للإنسان، وبمعنى آخر؛ فإن الإرادة الكونية التي لا بد وأن تتحقق هي ما تمثله هذه البيضة الهالية المحيطة بجسم الإنسان، وهي نفس نظرية "أفلاطون" حول

(١) انظر: أسرار الهندسة المقدسة: الجزء الأول، مقال للكاتبة: نيللي الشافعي، منشور على مدونة علوم وأسرار، تاريخ النشر: ٢٠١٧م، راجع: "<https://olomwasrar.blogspot.com>".

(٢) انظر:

Melchizedek, Drunvalo (1999). The Ancient Secret of the Flower of Life Volume 1. Light Technology Publishing.

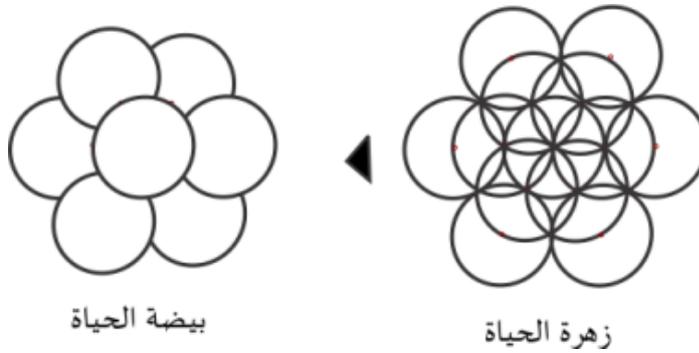
عالم المثل، وكل ذرة في الكون محاط بتلك الهالة الأثيرية، وهي مركز كل المعلومات الخاصة بكيونتها^(١).



صورة تمثل زهرة الحياة

➤ بيضة الحياة:

تتكون بيضة الحياة من سبع دوائر استخرجت من تصميم زهرة الحياة، يعتبر الروحانيون أن الدائرة الأولى خلقتها "الروح العظمى" لتحيط نفسها بها، وهي دائرة الوعي، كان في البدء الدائرة التي مثلت الشكل الأول للخلق، ثم أخذت هذه الدوائر في الازدياد إلى أن بلغت سبع دوائر، تمثل أيام الخلق والتكوين، في اليوم الثاني خلق دائرتان هما "قطبا العالم"، ثم مثلت الحياة التي ترمز إلى الأرض والسما والبحر، وهكذا، تضاف دائرة في كل يوم ليكتمل عدد الدوائر بسبعة وتشكل بذرة الحياة. واليوم السابع هو يوم الراحة المعروف بيوم السبت حسب المعتقد اليهودي^(٢).



صورة تمثل بيضة الحياة.

➤ مكعب ميتاترون:

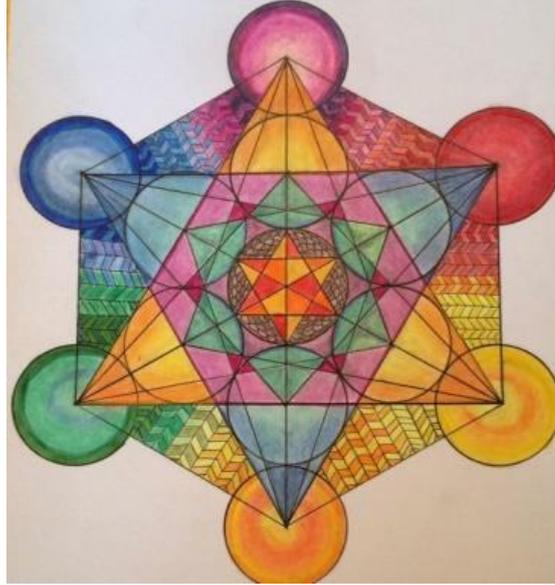
أحد الأشكال الهندسية المقدسة، والتي اهتمت بها الفلسفة الأفلاطونية، وهي تتكون من ثلاث عشرة منظومة معلوماتية، تمثل المعارف التي تفسر المظاهر المختلفة للواقع الذي نعيش فيه، وهذه

(١) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: م. كريم أمير أحمد، الناشر: دار أهل الحكمة، القاهرة، مصر،

ط"بدون"=٢٠١٢م، ص(١٠٨-١١١).

(٢) انظر: نعمة المعرفة: كامى حنا، ص ١٥٣.

الأنظمة تستطيع توفير مدخل إلى كل شيء مخلوق، ابتداءً من أصغر عضو في الجسم، وانتهاءً إلى أكبر المجرات في الكون.



صورة لمكعب الميتاترون

داخل هذا النموذج الهندسي يكمن خمسة أشكال ثلاثية، ومن امتلك سرها؛ امتلك جميع أسرار المعارف، وهذه المجسمات الخمسة مع كافة صيغ تركيبها ببعضها، تخلق كافة الهيئات الممكنة في الكون، سواء كانت تلك الكائنات حية أو جامدة، وهي تفسر أنماط الطاقة التي تخلق وتوحد كل شيء، ويكشف عن الطريقة الدقيقة التي تسير بها الطبيعة في تناغم طاقي، فكل نمط طبيعي للحركة يأخذ أحد الأشكال الهندسية^(١).

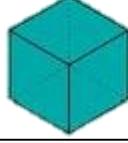
نتعرف على هذه الأشكال الهندسية من خلال الجدول، وارتباطها بالعناصر الطبيعية^(٢):

الشكل الهندسي (١)	العنصر	الخصائص
هرمين ثلاثي السطوح 	الماء	هذا الشكل يحتوي على أشكال هرمية متعكسة، تفسر القوتين اللتان تحكمان الكون، ولهذا تم ربطه بعنصر الماء؛ فالماء في الكرة الأرضية يمثل ٧٥٪، وكذلك الماء في السماء حين يتمثل على هيئة غيوم وأمطار وأبخرة، وكذلك جسم الإنسان يحتوي على كمية كبيرة من الماء. ويكمن السر في قوة الماء من حيث اللهب الطاقى الموجود فوق المياه، فهو الذي يبرمج ويتحول إلى قوة خارقة يستطيع بها المبرمج أن يدخل ما يريد من برامج إلى الوعي البشري.

(١) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: م. كريم أمير أحمد، ص(١١٨-١٢٠).

(٢) انظر: أسرار الهندسة المقدسة: مقال يشرح فيه الأشكال الأفلاطونية، منشور على مدونة علوم وأسرار، بتاريخ ٢٠١٧م،

راجع: "<https://olomwasrar.blogspot.com>".

الخصائص	العنصر	الشكل الهندسي (٢)
هذا الشكل يحتوي على هرمين متقابلين، ويكمن السر فيه أنه قوة شفائية، وسر العلاج من الأمراض.	الهواء	مجسم ثماني السطوح 
الخصائص	العنصر	الشكل الهندسي (٣)
قوة التأمل الهندسية التي يستطيع من خلالها المتأمل خلق الواقع الذي يريده، وحمل الناس عليه "العقل الجمعي".	النار	
الخصائص	العنصر	الشكل الهندسي (٤)
أقل العناصر حركة، يجعل الطاقة تتحرك ببطء، ومن يستطيع برمجة الحجارة أو التراب فإنه سوف يحصل على قوة عظمى ثابتة.	التراب	
الخصائص	العنصر	الشكل الهندسي (٥)
الأثير هي ذرات الطاقة، والموجودة في الهواء، والقوة التي يتمتع بها الرجال الكونيين، عندما يستخدمون هذه القوة ويسلطونها على الناس ليكونوا مسخرين لهم، ومن هنا ظهرت فكرة التراتيل الدينية في كل الأديان من أجل برمجة الناس على الإيقاع النغمي الكوني.	الأثير	

التطبيق العملي للهندسة المقدسة:

من خلال ما سبق؛ فإن مفهوم الهندسة المقدسة لم يعد مقتصرًا على الأشكال الهندسية الإبداعية، وليست العملية في ضم الأضلاع جنباً إلى جنب لتتشكل أضلاعاً هندسية، وحين يتم تناول الموضوع بالشكل الصحيح، فلا يعني هذا هو الإمام بالجانب الرياضي والهندسي فحسب؛ بل هنالك جانب آخر وجب الإمام به، وهو الجانب الروحي "الماورائي"، ومهما بلغ الإنسان إدراك العلوم من الجانب النظري فسيبقى علمه ناقصاً^(١)، ولهذا السبب فإن المدارس السرية الباطنية اهتمت بهذا الجانب، ولذلك فهي تفسر كل شيء في الوجود تفسيراً باطنياً يخالف عن ما هو موجود في الظاهر؛ ذلك لأنها تؤمن بالجوانب الباطنية، وتراها جواهر حقيقية انعكست من عالم المثل إلى عالم المادة.

ولذلك تجد من المتأثرين بمثل هذه المعارف يدعون إلى ضرورة التأمل في النظام الخفي للكون، عبر النماذج المختلفة من الأشكال الهندسية المختلفة، وهذا الأمر يحفز الفرد على التحديق مباشرة إلى

(١) انظر: أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: م. كريم أمير أحمد، ص ٧٦.

الخطوط الظاهرة على وجه الحكمة العميقة، وتزوده بلمحة عن الأعمال الداخلية الباطنية للعقل الكوني^(١).

وبحسب هذه الفلسفة فإن اللحظة الواعية للإنسان تجاه الكون تنشأ من هذه المحطات التأملية، ويدرك حينها حقيقة المعارف الباطنية، وسبل الوصول إليها، ولا يسمح بالوصول إلى تلك المعارف الباطنية إلا من خلال استطراق الكون الداخلي للذات الإنسانية، فالكون الصغير الكامن في داخل الذات ليست إلا انعكاس للكون الكبير، ولفهم ذلك الكون فإن القدماء اعتقدوا أن ممارسة الهندسة المقدسة كانت جوهرية لتهديب النفس وتثقيفها، وأن هذه النماذج والنظم المقدسة ترمز إلى العالم الداخلي^(٢).

هذه الممارسات تبنتها الحركات الروحية الحديثة، مرجعة المشاكل والعوائق اليومية التي تحصل للفرد هي نتيجة عدم فهمه للغة الكون، والتي تتمثل في الحركة واللون والشكل والصوت، وكل ما يترتب عليهم من تغيير، فتنوع الشكل والنوع للكائن الواحد يؤثر على أدائه^(٣)، ومن هذا المنطلق فقد دعت تلك الحركات الروحية والمهتمين بالطاقة الكونية إلى تطبيق مفهوم الهندسة المقدسة على شتى مجالات الحياة، حين ربطت الهندسة المقدسة بالطاقة الكونية، وزعمت أنها تحدث توافقاً بين جميع مكونات الكون.

وقد تأثر فئام من الناس بمثل هذه الدعوات، وأجريت العديد من الأبحاث والدراسات الجامعية، ومن أشهر من نظروا لعلم الهندسة المقدسة "الدكتور إبراهيم كريم" الذي أكد في دراساته التي أجراها طيلة ثلاثين عاماً على تأثير الشكل الهندسي على مستوى الوعي الخاص بكل إنسان، وتأثيره على حياته في أبسط الأشياء المتواجدة بشكل هندسي بالمنزل، لتمثل الوحدة والكمال والتناغم الكوني من خلال الهندسة المقدسة، ويمكن اكتشاف نسبة التوازن والانسجام القائم، والعلاقة بين الإنسان وبين الكون، هي كينونة النفس والروح.

(١) انظر: نفس المصدر السابق: ص ٧٣.

(٢) انظر:

Melchizedek, Drunvalo (1999). The Ancient Secret of the Flower of Life Volume 1. Light Technology Publishing.

(٣) انظر:

Travis, F., and Pearson, C. 2000. Pure consciousness: Distinct phenomenological and physiological correlates of "consciousness itself." The International Journal Neuroscience, 100, 77-98.

وإذا كانت المحاولة السابقة مقتصرة على الجانب الهندسي فقط، فإن المهتمين بالهندسة المقدسة يؤكدون على أنه ليس هنالك حدود للتطبيقات التي يمكن من خلالها اجراء وتطبيق الأسرار السحرية للهندسة المقدسة عليها، فكل شيء في هذا الكون خاضع للهندسة المقدسة، ومن هنا ربطوا كل آيات الجمال والإبداع في الكون والتي تدل على عظمة الله -عز وجل-، وكل الإبداعات الجميلة التي سطرها الأنامل البشرية بالهندسة المقدسة، وظلوا يتفلسفون حولها، ليبرهنوا على صحة تلك الأسرار المقدسة.



المطلب الثالث: تطبيق الطاقة الكونية على البيئة المحيطة.

البيئة المحيطة هي كل ما يحيط بجسم الإنسان، فالمكان الذي يعيش فيه هي بيئته المحيطة به، وعلماء الطاقة الكونية لطالما يبرهنون أن لكل شيء في الوجود روح، وأن كل ذرات الكون لديها طاقة، ووعي الإنسان بهذه النقطة، وإدراكه طريقة التخاطب مع الكائنات تجعله قادراً على التعرف على لغة الكون.

فعلم طاقة المكان هو نظام يعتمد على تدفق الطاقة السماوية والنور عبر المنزل والبيئة المحيطة بالإنسان، ويصور علاقة الكون بالإنسان من خلال النور والطاقة السماوية السيالة مثل الطوفان^(١). وهو علم صيني قديم نشأ منذ آلاف السنين، ويعتني بالمحيط سواء كان البيت أم العمل، وبحسب هذا العلم الذي يعرف بالـ "فونغ شوي - Feng Shui" فإن الأشخاص الذين يعملون في أماكن مدروسة بشكل جيد من ناحية الطاقة الكونية، فإنهم يشعرون بطاقة وحيوية أكثر، وقوة وإبداع وحظ ونجاح من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، بينما الأشخاص البعيدون عن "الفونغ شوي" هم في مجاهدة مع ضيق آفاق الحياة وصعوبتها^(٢).

تعريف الـ "فونغ شوي":

أصل الكلمة صيني، مكون من كلمتين هما: "فونغ" وتعني الريح أو الهواء، و"شوي" وتعني الماء، والطاقة الإيجابية لـ "تشي" تسافر مع الريح، وتتناثر، لكنها تجتمع مجدداً عند التقائها بالماء. مفهوم الـ "فونغ شوي" يدل على فن التناغم مع الفضاء المحيط، وتدفقات الطاقة من خلال البيئة، والتصالح مع النفس، ومع الطبيعة المحيطة بالإنسان^(٣). فهو "طريقة هندسة المكان، بهدف تحسين ورفع مستوى الطاقة الكونية فيه، وهذا ما يؤدي بساكني المنزل إلى حياة فضلى!"^(٤).

وبالتالي فإن الـ "فونغ شوي" هو فن صيني قديم يستمد شرعيته من التعاليم النאוوية القائمة على الملاحظة الكونية، وإيجاد التوازن والتناغم بين قوتي الـ "ين يانغ"، عبر التحكم بالعناصر الطبيعية وفق الفلسفة الصينية.

(١) انظر: طاقة المكان: فائزة صادق حيدر، بدون بيانات النشر، ص (١).

(٢) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص ٨٧.

(٣) انظر: طاقة المكان: فائزة حيدر، ص ١.

(٤) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: رفاة وجمان السيد، ص ٩٣.

المبادئ الأساسية:

في البداية حين يفكر الفرد الصيني في بناء منزل له فإن أول خطوة يخطوها هو التوجه إلى كهنة المعبد الذين يملكون أسرار الطاقة الكونية، من أجل أن يفيدوه بالطريقة الصحيحة لاختيار المكان المناسب لإقامة ذلك المسكن، وبما تتوافق مع فلسفة التغييرات "يي جنغ"، المعروف بكتاب التنجيم ومعرفة تأثير الكواكب والنجوم والأبراج السماوية، ومع الجهات الأربع للطاقة^(١).
وعطفاً على ما سبق فإن الخطوة السابقة تتضمن العديد من المبادئ نستخلصها في ما يلي:

أولاً: ارتباط الـ"فونغ شوي" بالتعاليم الطاوية:

فهي تمثل خلاصة تجارب رجال الدين الطاوي، وكهنة المعبد الذين يقضون أوقاتهم في الملاحظة والتأمل من إيجاد التناغم مع الـ"تاو" في كل شيء، ومن أجل أن تكون كل مظاهر الطبيعة هي تجسيد للقانون الكوني الـ"تاو"، ومن ثم سهولة الاتحاد مع ذلك القانون عبر الموازنة بين الـ"ين" و"يانغ"^(٢).

ثانياً: السماح بإدخال الطاقة أو ما يعرف بالـ"تشي":

وذلك من خلال تهيئة المكان المناسب، وهذه لها مجموعة من القواعد كلها قائمة على فكرة إدخال الطاقة الـ"تشي" إلى الموقع، وهي المهمة الرئيسية في العملية كلها، بحيث يسهل إدخال الطاقة من جانب، وإخراجها من الجانب الآخر، من غير أن يكون هنالك احتقان أو نزيف طاقي!^(٣).
من هذه القواعد:

● معرفة أسرار الطاقة الكونية عبر الجهات الأربع:

ترتبط "الفونغ شوي" بالجهات الأربع ارتباطاً وثيقاً، وهذا الارتباط إنما هو نتيجة الملاحظة والمتابعة منذ مئات السنين، وعبر تجارب عديدة وجد متبعو الطريقة -من أصحاب التأمل الباطني- أن ثمة تشكيلات جغرافية تجعل الطبيعة المحيطة بالإنسان لها تأثير سلبي وإيجابي على حياة سكان المنطقة، الأمر الذي أدى إلى الاعتقاد بأن لكل جهة من الجهات الأربع لها أسرار وخصائص تجعلها

(١) انظر: طاقة المكان: فائزة حيدر، ص ٤.

(٢) انظر:

Feng Shui: Geddes & Grosset, Scotland -1999, P (15 – 18)

A Little Book of Feng Shui: Vijaya Kumar, Sterling publishers, New Delhi. India, 2003, P 10.

نقلاً عن كتاب: التطبيقات المعاصرة: د. هيفار الرشيد، ص ٣٩٢.

(٣) نفس المصادر السابقة.

متميزة عن غيرها؛ "فكل جهة تمثل طاقة معينة"، وهذه الجهات تم تفسيرها من خلال الملاحظة والتأمل بين الهواء والماء، فالهواء يرمز إلى السماء، وقوته الهابطة تنعكس على الماء فتسبب تموجات في الماء، بينما الماء يرمز إلى الأرض، وقوته الصاعدة تنعكس على الهواء فتؤثر فيه من حيث السخونة والبرودة، والاثنان في تحرك وتداخل مستمرين، وهو ما يعبر عنه "بالنفخ الكوني"، والإنسان هو مختصر الكون، والكون في حركة دائمة، وهذه الحركة دائرية.

البرودة: تأتي من جهة الشمال، وتتميز بكونها جافة وباردة، تساعد على الهدوء والسكون، والتجفيف، وتكوين المادة.

الحرارة: وتأتي من جهة الجنوب، تتصف بكونها نارية، تجلب الحرارة، وتساعد على التوالد.

اليبوسة: وتأتي من رياح الشرق، وتتصف بكونها تساعد على الحركة، وتمد بالقوة.

الرطوبة: وتأتي من رياح الغرب، رطبة ومبللة، تتصف بكونها تحمل طاقة ثقيلة وحارة، تساعد على الحمل وثقل الحركة^(١).

● معرفة العناصر الطبيعية المتولدة من الجهات الأربعة، والأبراج السماوية التي تنتمي

إليها:

النار تتولد من الحرارة واليبوسة، والأبراج التي تتوافق معها هي: "الحمل، الأسد، القوس".

التراب يتولد من البرودة واليبوسة، والأبراج التي تتوافق معها هي: "الثور، السنبلة، الجدي".

الهواء يتولد من الحرارة والرطوبة، والأبراج التي تتوافق معها هي: "الجوزاء، الميزان، الدلو".

الماء يتولد البرودة والرطوبة، والأبراج التي تتوافق معها هي: "السرطان، العقرب، الحوت"^(٢).

● معرفة خصائص الجهات:

لما كانت حركة الكون دائرية؛ فإن كل جهة تلك الجهات تميزت بخصائص:

الشمال: ترتبط بالحياة الغريزية والجانب الروحي، ترتبط كذلك بالوحدة والتأمل والهدوء والترويح والسكون والسلام، وبكل شيء مرتبط بالخفاء عن الآخرين، وبالتالي فإن المنطقة الشمالية من البيت أو المسكن يجب أن تكون مهياة بحيث أنها لا تكون عرضة للآخرين، فالطاقة هنا طاقة مخبأة سرية.

(١) انظر: الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه و جمان السيد، ص ٩٤، والوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه و جمان السيد، ص ٨٩،

وطاقة المكان: فائزة حيدر، ص ٢٠.

(٢) انظر: نفس المصادر السابقة.

الشمال الشرقي: يطلق عليها باب الروح، والطاقة التي تأتي منها هي طاقة قوية ونافذة، تنعش روح المنافسة والنشاط والطموح، إنها طاقة حية ومباشرة، تتصل هذه المنطقة بعنصر التراب، وفيها تكون الطاقة كامنة في الأسفل، وتبدأ بالصعود، ومنها تغير اتجاهها، فلا تكون ثابتة، وتحصل في هذا المكان أمور غير متوقعة!.

الشرق: الطاق التي تصل إلى هذه المنطقة تتصف بكونها طاقة حيوية ومكرزة، تساعد على الطموح والنهوض بالمشاريع الجديدة بسرعة، وتعطي نتائج مباشرة، وهي منبع الحيوية والعفوية، وتتميز بأنها في حالة ارتفاع، ترفع كل شيء بسرعة، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها.

الجنوب الشرقي: تتصف بأن الطاقة الآتية منها ضعيفة وأقل تركيزاً، وتخلو من العنف، وهي طاقة تساعد على الاتصال بالآخرين، وتساعد على التروي والحكمة.

الجنوب: تمثل الطاقة هنا النار والحرارة، والشغف واللمعان والشدة، وتساعد على وضع الأشياء في مكانها اللائق بها، وهي طاقة تقوي الذكاء والفكر، غير أنها تفجر الأشياء من حولها، وقد تؤدي إلى الفراق أو الدخول في نقاشات عقيمة.

الجنوب الغربي: الطاقة في هذه الجهة ثابتة، وأكثر هدوءاً، وأقل قوة، تتميز بكونها بطيئة السرعة، مما تساهم في تثبيت الأمور.

الغرب: الطاقة في هذه الجهة تتصف بكونها طاقة حب، فهو المكان الذي يعبر فيه الإنسان عن مشاعره النفسية، والعاطفية، والفرح واللعب مع الأولاد، وهي طاقة إذا وصلت إلى عمر الحكمة تتصف بكونها متوازنة، ثابتة، دائمة، منتجة، مريحة.

الشمال الغربي: الطاقة في هذه الجهة تمثل الحكم، وهو المكان المناسب لإدارة شؤون الحياة، ومن هذه المنطقة تُستمد الرئاسة والشرف، وتحمل المسؤولية، ترتبط الطاقة هنا بالعنصر السماوي.

الوسط، ومركز البيت: تتصف بكونها طاقة البناء والتعمير، كما أنها في نفس الوقت تتصف بكونها طاقة الهرم والتخريب، وهي منطقة تحتاج إلى محيط ثابت، ويفضل تركها فارغة!؛ حتى يتسنى للطاقة أن تدور في كل الاتجاهات، وتؤثر في كل الاتجاهات بشكل إيجابي^(١).

(١) انظر: نفس المصادر السابقة.

● معرفة أسرار الحيوانات الخمسة، ومركزها في اتجاهات الطاقة.

بتطبيق مبدأ الرموز، ومعرفة أسرارها، يمكن معرفة التأثيرات المحيطة على المنزل، وهنالك خمس حيوانات يعتقد أنها حاملة لنوع من أنواع الطاقة التي تتغير بحسب التواجد في المكان، ومعرفة أسرار هذه الحيوانات تجعل الإنسان قادراً على التعامل مع الطاقة الدائمة التغيير، وهذه الحيوانات الخمسة هي:

الثعبان الحية: مكانه الوسط!، وتأثيره: توليد التأهب، والانتباه، والحذر، والوعي الذي يمثل الإنسان وهو بانتباه دائم لما يجري حوله، وتتداخل طاقته مع طاقة المحيط، وتؤثر فيه وتتأثر منه. **السلحفاة السوداء:** مكانها إلى الورا!، وتأثيرها: توليد الشعور بالحفظ، والأمان، وعدم الخوف، وهي ترمز إلى صلابة الطاقة ورسوخها، والالتجاء إليها تجعل الإنسان في أمان!، لأن مكانها خلف طاقة الثعبان، فهي تحميه وتقويه.

الطائر الأحمر: مكانه إلى الأمام، وتأثيره: رؤية المستقبل بوضوح، واستغلال الفرص، وتقوية البصيرة، ويرمز إلى طاقة البصيرة ورؤية المستقبل والأمل، فتكون الطاقة موجودة أمام الثعبان لتفتح له الطريق، وترية ما أمكن من الأحداث المستقبلية!.

التنين: مكانه إلى اليسار، وتأثيره: بلوغ الحكمة، والدفع إلى اتخاذ القرار، تقع طاقة التنين إلى اليسار من طاقة الثعبان، وهي الطاقة التي تحمل الحكمة والبصيرة والتأمل.

النمر: مكانه إلى اليمين: وتأثيره: تعزيز القوة الجسدية، والمنطق، والعمل، وتقع إلى اليمين من طاقة الثعبان، وتحمل في طياتها التفكير المنطقي والقوة الجسدية^(١).

● معرفة أسرار التحولات الخمسة:

إن معرفة أسرار التحولات الخمسة من أهم الأشياء، لأن الطاقة بتحولاتها الدائمة تجعل الإنسان قادراً على الانتباه الدائم للوعي الكوني، وقاعدة التحولات الخمسة تقول: "كل شيء في الطبيعة يدور ويتحول من تقلص إلى انبساط"، فالزمن يتحول إلى ساعات ودقائق، وفصول السنة تنعكس على الطاقة، وتتغير الخصائص من طول في عدد ساعات النهار أو قصرها، إلى انخفاض عدد ساعات الليل أو طولها، وهذا الأمر يجعل من الطاقة التي في منتصف الليل تتصف بكونها ساكنة، ثم

(١) انظر: نفس المصادر السابقة.

تبدأ بالنهوض والانبساط في بداية النهار، لتصل إلى قممتها في منتصف النهار، ثم تبدأ بالانحدار بعد العصر، حتى تصل إلى التقلص في منتصف الليل.

من الوهلة الأولى لا يظهر أي إشكالات على ما سبق ذكره؛ فهذه هي سنة الله في كونه، وهذا هو النظام الطبيعي الذي فرضه الله على هذا الكون، ولا يستطيع البشر بما أوتوا من قوة وعلم أن يتدخلوا في هذا النظام الكوني البديع، ولكن حين يتم فلسفة هذا النظام وفق الطاقة الكونية، الأمر الذي يؤدي إلى الاعتقاد بأن الطاق الكونية أو القوة السارية في الكون هي من تدبر هذا النظام، وبالتالي لا يكون هنالك أي دور للخالق - -، هنا يجب أن نقف ونبين الحذر من إهمال هذه القضية، - أعني قضية نسبة الخلق إلى الخالق -، وبحسب الفلسفة الشرقية فإننا نجد أنهم يوعزون تفسير التحولات الطبيعية إلى العناصر الطبيعية الخمسة، وهي على النحو التالي:

الشجر (الخشب): ويمثل الطاقة في بداية نضجها، أو في شبابها، وهي طاقة صاعدة.

النار: وفيه تصل الطاقة إلى أوجها، وتكون في عمر القوة والعزيمة، كما تكون متأججة.

الأرض (التراب): عندما تبدأ الطاقة بالهبوط، وتبدأ بالتجمع.

الحديد (المعدن): وفيه تتجمع الطاقة وتتركز بقوة متقلصة إلى أقصى الحدود.

الماء: وفيه تنفج الطاقة مندلعة سائلة مائعة خفيفة لتروي من جديد (الشجر) وتدور الحلقة من جديد، وهكذا كل يوم، لتصبح العناصر الخمسة قوة كونية خالقة، تتحكم في النظام الطبيعي للكون!، وكل عنصر من العناصر إما يقوي أو يتغذى على العنصر الآخر، أو يضعف ويسيطر على العنصر الآخر.

دورة التغذية: المياه تغذي الخشب ← الخشب يغذي النار ← النار يغذي تكون الأرض ←

الأرض تخلق المعادن ← المعادن تحمل الماء.

دورة السيطرة: الخشب يستهلك الأرض ← الأرض تسد الماء ← الماء يطفئ النار ← النار

تذيب المعادن ← المعادن تقطع الخشب^(١).

● الإمام بتأثير العناصر الخمسة على الإنسان:

ترتبط فكرة الـ "فونغ شوي" بفلسفة العناصر الطبيعية الخمسة، وتشكل منها خمسة عناصر

رئيسية تؤثر بشكل مباشر على المكان والإنسان، وهذه العناصر هي:

(١) انظر: نفس المصادر السابقة.

العنصر الأول: "تشي"، وهي تشير إلى الأرض، وهي قاعدة هذه العناصر كلها، فعندما يكون الإنسان في حالة "تشي" يشعر بالثبات، ومقاومة التغيير والحركة. وتتمركز "تشي" في قاعدة العمود الفقري، ويرتبط باللون الأحمر.

العنصر الثاني: "سوي"، وهي ثاني أعلى مستوى تأثيراً على الإنسان، وهي ترمز إلى الماء، يتميز بردود الأفعال الخاصة بالشعور، والتكيف مع البيئة المحيطة، ويتمركز أسفل البطن، ويرتبط باللون البرتقالي.

العنصر الثالث: "كا"، وهو ثالث أعلى عنصر، ويشير إلى "النار"، والوقوع تحته يجعل الإنسان متصفاً بالعنف، والطاقة عنده تكون متأججة، ويتمركز العنصر "كا" أسفل الصدر، ويرتبط باللون الأصفر.

العنصر الرابع: "فو"، ويرمز إلى "الرياح"، وهو مركز الحكمة والتأمل والحب، ويتمركز وسط الصدر، ويرتبط باللون الأخضر.

العنصر الخامس: "كو"، أعلى العناصر و أقواها، ومصدر كل العناصر، يولد لدى الشخص القدرات الإبداعية، والقدرة على التركيز، ويتمركز في "الحنجرة"، ويرتبط باللون الأزرق^(١).

ثالثاً: التنبؤ بالمستقبل من خلال كتاب التغيرات "بي جنغ":

يستعمل كهنة الصين ورجال الدين الطاوي كتاب التغيرات من أجل التنبؤ بالمستقبل، ومن هنا ارتبط "الفونغ شوي" بالعرافة والتنجيم، وتتكون نصوص كتاب التغير من أربع وستين سداسية، كل منها يمثل نزعة معينة في التغير، يصحبها نصوص مرتبطة بها، الغرض منها المساعدة في تأويل السداسيات، والمتكونة من تركيبية من ستة خطوط، ثلاثة منها متقطعة ترمز إلى "ين"، وثلاثة أخرى متصلة ترمز إلى "يانغ"^(٢).

وجميع القواعد السابقة يتم إخضاعها لفلسفة التغيرات من أجل تنزيلها على المكان المناسب، وبما تتوافق مع المتغيرات البيئية، فكل شيء خاضع للاختبار، ولا يوجد في الكون شيء ساكن، بل كل شيء متحرك ومتغير، فثلاثيات الـ"يانغ" تمثل الكينونة، بينما ثلاثيات الـ"ين" تمثل الافتقار للكينونة،

(١) انظر: نفس المصادر السابقة.

(٢) انظر: الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ص ٣٨٤.

وعملية التكوين إنما تحدث نتيجة للتفاعلات بين المتغيرات^(١)، وهكذا الإنسان لا بد وأن ينتبه للمتغيرات، والتوازن بين الـ "ين" و"يانغ" والتفاعل بينهما مطلوب من أجل أن يحظى بطاقة البيئة والمكان، ويمكن فهم فلسفة التغيرات، والتنبؤ بالمستقبل من خلال:

١- طريقة "باغو - Bagua"، وهي معروفة بطموحات باغو.

٢- طريقة النجوم التسعة.

وأما طريقة المربع السحري فهي سهلة التعلم، وهو رمز مثنى الزوايا، ويمثل كل من هذه زوايا هذا الرمز اتجاهها معيناً، ورقماً معيناً، وعنصراً بحسب كتاب التغيرات "يي جنغ"، وكل ذلك يمثل جانباً مهماً من جوانب الحياة، ولا بد أن يكون الناتج من كل جانب يمثل العدد (١٥)، ولا أعلم السر وراء هذه النتيجة.

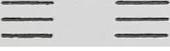
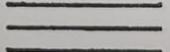
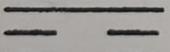
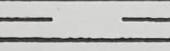
مربع الباكوا

ماء مرأة زرع مستدير الأوراق أحجار كريمة	ضوء زرع مرأة أحجار كريمة	مرأة أحجار كريمة أشياء ثقيلة
طاقة الهواء الثروة السعادة الرفاهية 4	طاقة النار الشهرة/الهدف الوضوح التعبير عن النفس 9	طاقة التراب العلاقات مع الآخرين الزواج الأخذ والعطاء 2
شجر صوت شمس	طاقة الرعد الأجداد/الآباء العائلة القانون 3	طاقة البحيرة الآباء الإختراع/المشاريع 7
طاقة الجبل المعرفة الحكمة التأمل 8	طاقة الماء المهنة، الفرص طريق الحياة 1	طاقة المعدن أشخاص مساعدون أصدقاء سفر 6
	(ضوء) محرك الطاقة ماء (مرأة)	أحجار كريمة ماء مرأة

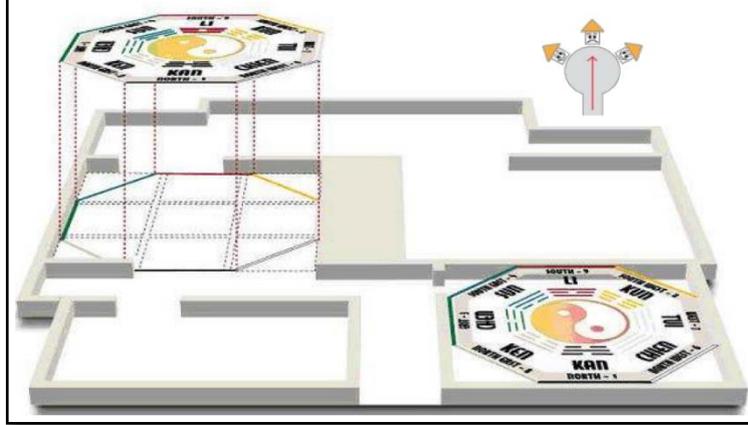
صورة مأخوذة من كتاب الاستشفاء بالطاقة الحيوية، توضح تفاصيل استخدام مربع باغو، ص ١١٨.

ومن خلال الجدول المرفق نستطرق شرح رموز التغيرات، وهي تمثل مختصرات للكون.

(١) انظر: الفلاسفة الآسيوية: جون م. كولر، ص(٣٨٤-٣٨٦)، وانظر أيضاً: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد

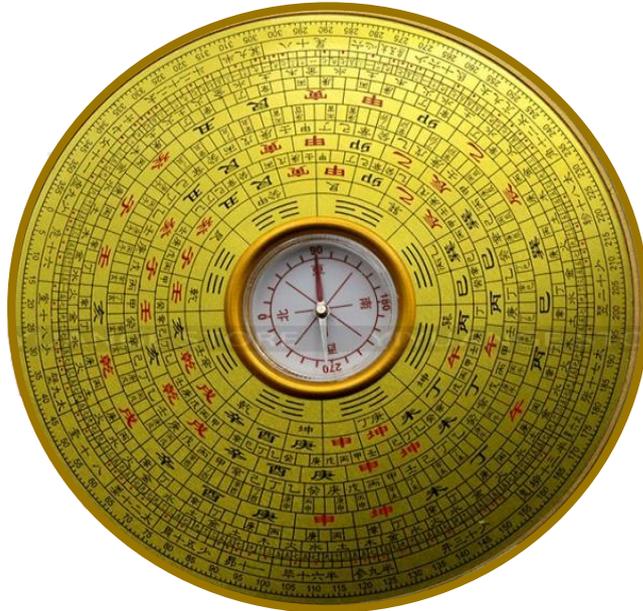
<p>يمثل الماء طريق الحياة، ولذلك يجب أن يكون جارياً دائماً وبسهولة، ويجتاز الصعوبات بالتفاهة من حوله من دون توقف، وإذا توقف يصبح عكراً.</p>	<p>(١) رمز الماء يجلب المال</p> 
<p>رمز الأرض بخطوطه المتقطعة الثلاث دلالة على استقباله كل شيء وعطائه بسخاء وكرم، والأرض تمثل رمز العطاء</p>	<p>(٢) الأرض يحسن العلاقات مع الآخرين والزواج</p> 
<p>يرمز إلى أساس السعادة، ورضى الرؤساء والقادة حين يخضع الجميع للقانون، والشعور بالأمن والأمان.</p>	<p>(٣) الرعد يرمز إلى صوت الأب، والعائلة، والقانون.</p> 
<p>الإحساس بالثقة، والرضى بالقدر في كل لحظة، بدون هذا الشعور تحل الحوادث والكوارث، والاتكال على الآخرين!</p>	<p>(٤) الهواء، الثروة، والنماء</p> 
<p>مركز الطاقة، وهي ممثلة لجميع وجوهها، وفي كل الأمكنة، يجب أن يكون المكان طاهراً دائماً ونظيفاً.</p>	<p>(٥) وحدة الوجود - الطاقة الكامنة- التاي شي، وترمز إلى الصحة</p> 
<p>كما أن السماء تمد البشرية بالعون، سواء عن طريق الملائكة وقوتها الروحية، أم عن طريق أشخاص ساعدوا البشرية في مواجهة الصعوبات.</p>	<p>(٦) السماء، وتعني مساعدة الآخرين</p> 
<p>مكان الاتصال والتعبير عن النفس بالكلام، بالكتابة، بالرسم، بالاختراع، بالخلق المتمثل بالأبناء.</p>	<p>(٧) البحيرة، ترمز إلى الاختراع، كثرة الأبناء.</p> 
<p>مكان التأمل واللقاء مع الكمال النفسي، أشبه ما يكون بالمغارات في الجبال، يجب أن يكون فارغاً من الأثاث.</p>	<p>(٨) الجبل، التأمل، الحكمة.</p> 
<p>تأدية العمل بإتقان، من خلال النار تُرى الأشياء بوضوح، وبالسلام الداخلي يتم جذب الآخرين.</p>	<p>(٩) النار، الشهرة، الوضوح، الكشف</p> 

هذا ما يتعلق بالطريقة الأولى، وهي طريقة "باغو"، وتستعمل هذه الطريقة عن طريق مدخل البيت، ويتم معالجة المكان بالألوان والأشكال، بناء على الجهات الموضحة في الشكل المثلثي^(١).



صورة من كتاب: طاقة المكان عن مخطط بناء هندسي، يوضح كيفية العمل بالشكل المثلثي "باغو".

وأما طريقة النجوم التسعة فهي أكثر تعقيداً، وأكثر دقة من الطريقة السابقة، ولتفعيلها يحتاج الممارس إلى بوصلة، وتستعمل عن طريق معرفة الاتجاهات، انطلاقاً من مركز المكان، ومن خلال البوصلة التي كتب فيها كل شيء، بدءاً من الاتجاهات، ومروراً بكل القواعد التي سبق ذكرها، وانتهاء بعلم العرافة والتنجيم الصيني المذكور في كتاب التغيرات، يبدأ الممارس بتفعيل الطاقة الإيجابية حسب الخريطة، وحسب كل ركن من الأركان التسعة، يتوجه فيها حسب ما توجه البوصلة^(٢).



بوصلة يتم استخدامها في توجيه الطاقة الإيجابية في المكان.

(١) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتو و ستيفن بيرش، ترجمة: د. أحمد حربا، ص ٢٧٩.

(٢) انظر: طاقة المكان: فائزة حيدر، ص (١٩ - ٢٠).

الفصل الرابع

موقف الإسلام من فلسفة الطاقة الكونية

وفيه ثلاثة مباحث:

✽ المبحث الأول:

موقف الإسلام من القضايا الاعتقادية الناتجة عن فلسفة الطاقة الكونية.

✽ المبحث الثاني:

موقف الإسلام من قضايا التأثير بحسب فلسفة الطاقة الكونية.

✽ المبحث الثالث:

موقف الإسلام من قضية الوعي الكوني.

المبحث الأول

موقف الإسلام من قضايا الاعتقاد

الناجمة عن فلسفة الطاقة الكونية

وفيه خمسة مطالب:

- * المطلب الأول: قواعد في التعامل مع القضايا العقديّة.
- * المطلب الثاني: الموقف من قضية الاعتقاد بالله.
- * المطلب الثالث: الموقف من قضية الخلق والتكوين.
- * المطلب الرابع: الموقف من قضية تأليه الطبيعة.
- * المطلب الخامس: الموقف من قضية تسخير الإنسان الكوني للكون.



المبحث الأول

الموقف من قضايا الاعتقاد

النتيجة عن فلسفة الطاقة الكونية



وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: قواعد في التعامل مع القضايا العقدية الناتجة عن فلسفة الطاقة الكونية.

لقد كانت للمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية دور كبير في إحياء الوثنية القديمة، وأثر تلك المفاهيم قد ظهرت على من تأثروا بها من المسلمين من الناحية الاعتقادية والسلوكية، ومعرفة مصادر التلقي في فلسفة الطاقة الكونية مهمة، وخاصة إذا ما أدركنا أن مفاهيم تلك الفلسفة مرتبطة بالديانات التي هي من وضع البشر، وهي ديانات لها طقوسها وشعائرها الخاصة بها، ولذلك فإن من الضروري جداً أن يعرف المرء مصدر الدين لديه، وما هو منهج التلقي بالنسبة إليه.

إن الشخصية المسلمة وطريقة تعاملها مع القضايا العقدية تظهر لنا مجموعة من القواعد، منها:

أولاً: أن الميزان الصحيح لكلام البشر هو الوحي الإلهي.

فالأصل في معالجة القضايا الفكرية والانحرافات السلوكية والقضايا الوافدة من خارج البيئة الإسلامية أن توزن بميزان الوحي الإلهي، فالوحي الإلهي يوزن به ولا يكون موزوناً، والشخصية المسلمة حين تنظر للقضايا العقدية تحتكم إلى الوحي الإلهي، وتعتمد عليه في تلقي العقائد، وتجعله هو الميزان، فلا تزن وحي الله بميزان الفلسفة ولا بالتصورات العقلية القاصرة، ولا بمصادر المعرفة الباطنية من الكشف والمنامات والدوق، فهي لا تطوع الميزان من أجل أن تظفر بما في عقلها من تصورات، وقتها يكون العقل هو الحكم، وهذا هو فعل الفلاسفة، والعقل أمام الوحي الإلهي لا يساوي شيئاً، بل إن الوحي الإلهي شامل للدلائل العقلية^(١)، وهذا الأمر لن تجده في التصورات الفلسفية، لأنها لا تعتمد على الوحي، بل تحرب منه، وتمجد العقل، وتدعي أن عقل الفيلسوف هو أنقى العقول وأصفهاها، لأنها تحررت من الخلفية الدينية، وحين نشاهد النتائج نجد أنها فشلت في

(١) انظر: دلائل الربوبية: د. أبو زيد بن محمد مكي، ص ٨٨.

معالجة قضايا الاعتقاد والوجود والغاية والمصير، وحتى المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية لا تتضمن رؤية متكاملة تكفل للبشرية سعادتها، وتضمن لها النجاة، ورؤيتها حول الوجود يتعارض مع مفهوم التوحيد، ويتضمن إثبات إله آخر، وحقيقة الوجود عبارة عن قوتين متناقضتين، وكل منهما يكمل دور الآخر، لضمان استمرار الوجود وبقائه، وغاية ما في تلك المفاهيم هو بلوغ الإنسان للكمال، وتحقيق الاستنارة!، وتلك الاستنارة محصورة على التعاليم السرية للكهنة ورجال المعبد، وبلوغ الإنسان لدرجة الكمال إنما يتم من خلال ملازمة أولئك الكهنة، والتضحية في سبيل تعلم العلوم الباطنية الإيزوتريكية^(١)، وكم من الناس الذين سيصلون إلى تحقيق ذلك الكمال!، وكم هو نسبتهم بالنسبة إلى سكان المعمورة، والنتيجة أن مصير البشرية ومآلها إلى الهلاك والخسران، لأنها فشلت في معرفة الإله، وعجزت عن الاتحاد به، اللهم إلا من أدركته رحمة التناسخ ونجا من دوامة المولد!، هذا على فرض صحة النظرية، وإلا فإن المصير هو الحرمان من الخلود الروحي والتنعم بالحديث مع الكائنات الإلهية العلوية!!.

ومن هنا يتضح أن تلك المفاهيم إنما ظهرت أولاً نتيجة تحكيم العقل وجعله ميزاناً لتفسير القضايا الغيبية "الميتافيزيقية"، وثانياً: تفسير عالم الغيب بناءً على قياسها بعالم الشهادة، والحق أن كل تلك التفسيرات لم تقدم للبشرية أي شيء، بدليل عجز الجموع الغفيرة من الناس عن إدراك المفهوم الفلسفي للتوحيد، ومن ثم عجزها وفشلها في تحقيق الاستنارة والكمال.

هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإن الوحي الإلهي ليس موضع بحث الفلاسفة، لأنهم لا ينطلقون في تقريراتهم من الوحي الإلهي، وإنما يستقون معارفهم من العقل المتحرر!، وقد قصدت إيراد هذه القاعدة من أجل إقامة الحجة على المتأثرين بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، من إخواننا المسلمين، وهي مفاهيم تتعارض مع الوحي الإلهي، ولا يمكن أن تجتمع التقريرات العقدية النابعة من الوحي الإلهي مع التقريرات الفلسفية المستقاة من العقول المتحررة!، هذا إن كان هنالك عقل متحرر.

والفلاسفة ومن وافقهم من أهل الكلام يرون أن العقل حاكم، ومستقل بإدراك كثير من أمور العقيدة، ويعتقدون أن تقريراتهم قواطع عقلية، ويجعلونها قواعد وأصول، فالفلاسفة لا يعترفون بالوحي

(١) الإيزوتريك: مصطلح مشتق من الأصل اليوناني "إيسوتيركوس"، وهي تعني "باطني" أو "داخلي"، مرتبط بمفهوم الروحانية والتصوف، ويدل على المعرفة الذاتية، وتقصي الباطن الخفي في الإنسان. انظر: حوار في الإيزوتريك: جوزيف مجدلاني،

الإلهي، وعلماء الكلام من المسلمين يردون منها ما كان من قبيل خبر الآحاد، وأما المتواتر منها فيؤولونها أو يفوضون معناها^(١).

والحقيقة هو استحالة التعارض بين الوحي الإلهي وبين القواطع العقلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته-: "ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع ألبته، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط"^(٢).

والفلاسفة حين اعتمدوا على العقل كمصدر حاكم ومستقل في القرارات العقدية، فهم بذلك قد ردوا نصوص الوحي الإلهي، وشبهتهم في ذلك أن الالتزام بتلك النصوص تؤدي إلى تجميد العقل!، مع أن مفهوم العقل عندهم لا يزال غامضاً، وهم أكثر الناس حيرة واضطراباً في تعريفه، حتى مع كثرة الاتجاهات العقلية عندهم، وهو عند طائفة منهم إله^(٣)، وبناءً على ذلك فقد أصبحت تلك القواطع العقلية ميزاناً للمعرفة الإنسانية، وأصبح الرأي والهوى وكلام البشر ومصادر المعرفة الباطنية من الحدس والكشف والذوق والرؤى والمنامات وخوارق العقل الباطن كل تلك الأمور أصبحت توزن بتلك القواطع العقلية، ومن ثم أصبحت مسلمات لا يتطرق إليها الشك، وأما المعرفة الغيبية النابعة من الوحي الإلهي فهي أدلة سمعية، والالتزام بها يؤدي إلى تجميد العقل، والحقيقة أن تلك المعارف الغيبية لا يمكن نقضها بالقواطع العقلية، وقد علم بداهة أن شريعة الله لا تأتي بمحالات العقول، وقد تأتي بمحارات العقول^(٤)، كما علم مشاهدة بأن قرارات الفلاسفة تضمنت بما هو من محالات العقول، والمطلع على تقاريرهم حول إثبات واجب الوجود لا يمكن للإنسان العامي أن يفهمه، وطريقة إثباتهم تتضمن مسلكاً صعباً وطريقاً وعراً لا تتناسب مع الفطر السليمة، وإذا كان

(١) انظر: مقالات الفرق الإسلامية: د. أبو زيد محمد مكي، الناشر: دار الخراز، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٧١.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢ = ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (١م/١ص ١٤٧).

(٣) انظر: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية، والرد على الشبهات حوله: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣ = ١٤٣٧هـ، ص ١٩٦.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط "بدون" = ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (٢م/٣ص ٣١٢).

الرسائل يخبرون بمحارات العقول، إلا أنهم لا يخبرون بمحالات العقول، فإنهم لا يُخبرون بما يعلمُ العقل انتفاءً، بل يُخبرون بما يعجز العقل عن معرفته^(١)، بينما الفلاسفة تخبر بما هو من محالات العقول، والدليل على ذلك أنهم لا يصفون الله -عز وجل- إلا بالصفات السلبية، ومعتقدهم حول الوجود لا يمكن للعقل أن يتقبله، بينما نظريتهم حول الخلود لا يمكن قبوله ولا تبريره.

وهكذا يتضح لنا أن الوحي الإلهي يوزن به، ولا يكون موزوناً، وإذا علم هذا المبدأ، فإنه ليس من المعقول أن ينساق المتأثرون بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية من المسلمين بتلك التقارير التي تزعم بحقيقة الطاقة الكونية، ومن ثم وصفها بالصفات الإلهية، وجعلها الخالقة والمدبرة للكون، وليس من المنطق أن يتأثر أولئك المتأثرون بالأفكار التي تدعي بوجود الأجسام الأثرية، وادعاء صحة فرضيتها، وتصديق فكرة الشاكرات وشحنها بالطاقة، وتأثير العناصر الطبيعية على الإنسان، وأن هنالك ثلة من الناس يملكون قدرات عالية يستطيعون النفاذ إلى تلك الأجسام الأثرية، وشحن الشاكرات المنتشرة حول الجسم، وأنهم يستطيعون مشاهدة الهالات الملونة لتلك الأجسام، ومن ثم يستطيعون تشخيص الأمراض والعلل، أو حتى التنبؤ بالمستقبل، أو يصدقون الادعاءات التي تسوق لفكرة مادية الأرواح، والقدرة على السيطرة الروحية، وأنه يمكن وزن تلك الأرواح، ويمكن السفر إلى عالم الأرواح ومخاطبة الكائنات العلوية، وغيرها من المفاهيم التي إذا ما وضعت أمام ميزان الوحي الإلهي، فإنها لا تعادل شيئاً، والعجيب أن بعض المتأثرين بتلك المفاهيم الفلسفية من المسلمين يعمدون إلى لي أعناق النصوص الشرعية، وينزلونها أمام تلك المفاهيم الفلسفية، ومن ذلك استدلال بعضهم على شرعية قانون جذب القدر بمقولة "القدر موكل بالمنطق"^(٢)، وأن الإنسان يخلق قدره بما يضره في عقله الباطن من النوايا، ومن خوارق العقل الباطن "أن ما تنويه سيبهرك في تجليه".

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢ = ١٤١١هـ - ١٩٩١م، (١م/١ص ١٤٧).

(٢) يظن بعض الناس أن هذه المقولة حديث نبوي، وهذا ليس بصحيح، إنما هو من قبيل الأمثال التي كانت تقال عند العرب، وقد روي في ما معناه عن بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود - - أنه قال: "البلاء موكل بالقول"، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠/١٣)، وصححه الألباني في السلسلة الضعيفة، (٣٩٥/٧)، وأخرج القاضي أبو يوسف في الآثار بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها، أنها قالت: "إن البلاء موكل بالكلام"، انظر: الآثار: ص ١٩٦، قال ابن الجوزي - -: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله - -، انظر: الموضوعات: (٣م/٨٣).

ثانياً: الموقف من الوحي الإلهي يكون بامثال صحيح، وفهم صحيح، ونظر صحيح، بلا اعتراض ولا شرك ولا ابتداع^(١):

فالله سبحانه وتعالى حين أمرنا بالعبادة له وحده، قال الله تعالى: ﴿لَا يَجْعَلْ مَعَهُ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ﴾^(٣)، اتضح أن الامتثال لهذه الأوامر الربانية فرض لا مجال لتأويله أو التحول عنه، والفكر البشري حين ابتعد عن هذا الامتثال، تاه في الظلمات، لأنه ابتعد عن نور الوحي الإلهي، وحين اتخذ معبودات أخرى غير الله وقع في الخذلان، وإنك لتعجب من تسلط الكهنة ورجال المعبد على الجموع الغفيرة من السذج الذين سلموا عقولهم لتلك السلطة الكهنوتية تمارس عليها طغياناً روحياً تجعلها أسيرة للمعتقدات الوثنية، ومن وكل إلى شيء وكله الله إليه، ومن وحد الله وامتنل لأوامره ونواهيها، وأخلص دينه لله، وتعلق به دون غيره، فإنه محمود مُعانٌ في جميع أحواله^(٤).

والامتثال الصحيح يستلزم منه الفهم الصحيح، وهذا الفهم نوعان:

فهم ذهني معرفي، وهو المعنى الذي يفهمه المخاطب، وتقوم عليه به الحجة، ويترتب عليه استنباط الأحكام، وأنواع الدلالات^(٥)، وموقف الإنسان أمام المعرفة ينقسم إلى أربعة أقسام، ذكرها ابن عباس - رضي الله عنهما -، وهذه المعارف منها ما يعرفه الناس بحسب كلامهم ولغتهم، وهي معرفة أولية، ومنها معارف لا يعذر الناس بجهلها، وهي معارف فطرية، ومنها معارف لا يفسرها إلا العلماء، لأنهم المعنيون بمعرفة مقاصد الدين، وهذه المعارف مقاصدية، ومنها معارف لا يعلمها إلا الله، وهذه معارف غيبية^(٦)، وإذا ما نظرنا إلى المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية نجد أن المعرفة الذهنية التي تُكوّن نظرة المتأثرين بها لا تستند على أي نوع من المعارف السابقة، وإنما تستند على الإرهافات الظنية، لأنها تركز على عقل الفيلسوف خاصة، وذلك الفيلسوف من أين يأتي بمعارفه!، فهو لا يخرج عن المزاج العام لبيئته التي نشأ فيها، ولا أدل على هذا من الثورة التي أقامها "سيدهارتا غوتاما - بوذا"،

(١) انظر: دلائل الربوبية: د. أبو زيد بن محمد مكي، ص ٩٠.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢٢.

(٣) سورة البينة، الآية: ٥.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٤٥٦.

(٥) انظر: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، ص ٢٤.

(٦) اثر ابن عباس - رضي الله عنهما - أخرجه الإمام ابن جرير الطبري - رحمته الله - في تفسيره برقم: (٧١)، انظر: (٧٥/١م).

حين ثار على التعاليم الهندوسية، وهل أتى بجديداً!، كل ما فعله هو محاربة الطبقة الهندوسية، ومعالجة النظام الأخلاقي، وأما الحديث عن القضايا العقدية المصيرية فإنه تجنب الحديث عنها، لأن البيئة التي نشأ فيها لم تكن تهتم بقضية المعبود، وغاية الناس في تلك البيئة هو الهروب من تكرار المولد وتحقيق الكارما، ومن هنا ظهرت نظرية "بوذا" حول الـ"نرفانا".

وكذلك الحال في فلسفة الطاقة الكونية، فإن المتأمل في المفاهيم المنبثقة منها، والناظر في تطبيقاتها يدرك أن مصدر المعرفة لديها يعتمد على الأساطير والخرافات الشعبية، أوصلهم إلى وضع تصور عام حول نشأة الكون وأصل الخلق، مع وضع هالة من التقديس والتعظيم عليها حتى أصبحت نصوصاً مقدسة، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإن مصدر التلقي عند فلاسفة الطاقة الكونية هو اعتمادهم على السحر والكهانة والتنجيم لتفسير الظواهر الطبيعية، والتعرف على الأسرار الكونية، بجانب الاعتقاد بتأثيرها على الإنسان، وتقديم القرابين لاستلطاف رحمة الطبيعة، الأمر الذي أدى إلى ظهور سلطة كهنوتية يملكها رجال الدين، فهم يعرفون الأسرار الكونية، ويملكون القوة الخفية والسلطة الكهنوتية، يقومون بممارستها ونشرها وتعليمها للأجيال، حتى تكون هذه الفلسفة سرّاً من الأسرار المقدسة، ولم تكن تلك الأسرار التي يملكها رجال الدين بصفتهم يعرفون أسرار الكون مقصداً من مقاصد الدين، فهي ليست معرفة قائمة على مقاصد الدين، لأن الدين الذي وضعه عجز أولاً عن إدراك مفهوم التوحيد، ولم يقدم لمعتقيه رؤية واضحة تكفل لهم سعادتهم، وتضمن لهم النجاة في الحياة الأخروية، ثم إن المعرفة فيها قائمة على الأساطير والخرافات الشعبية والتعاويد التي تجعل من الإنسان أسيراً للقوى الغيبية، ويتم النظر إلى تلك المصادر على أنها نصوص مقدسة.

وأما النوع الثاني من الفهم الصحيح فهو **فهم قلبي إيماني**، وهو ثمرة للفهم الأول، وينتج عن تأمل وتدبر وتفكير، والشخصية المسلمة تدرك من منطلق مفهومها للتوحيد بأنها مخاطبة بالأمر بالتدبر في مخلوقات الله، والتفكير في صنع الله، وهنا يأتي ثمرة الفهم الصحيح^(١)، فمن أسس بنيان فكره على الإيمان بالله، وبما أعده الله للمؤمنين به مما هو دائر في علم الغيبات، يدرك ثمرة هذا الفهم بالعمل الصالح، وتحقيق الهدف من استخلاف الإنسان في هذه المعمورة، وأما من أسس بنيان فكره على تصديق الأساطير والاعتقاد بقداسة الأشخاص، والإيمان بأن هنالك أناس كاملون منحهم الرب صفات استثنائية يملكون القدرة على تنمية الملكات الميتافيزيقية، وأن لديهم حاسة سادسة ليست

(١) انظر: فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، ص ٢٤.

موجودة عند غيرهم من بني البشر، وأنهم يملكون القدرات التي تجعلهم يشفون الناس، ويقضون لهم حاجاتهم، فهذا تعد على الله -عز وجل- وافتراء عليه، ولو أنهم كانوا يملكون فعلاً تلك الخصائص لنفعوا أنفسهم أولاً، ولردوا عنهم الشر، وهذا محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو أرحم الخلق وأحرصهم على الخير، وقد شهد له أعداؤه بهذه الخصيصة قبل أن تكون حقيقة كونية وشرعية، يحكي القرآن الكريم على لسانه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(١)، فإذا كان هذا هو حال النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-، فكيف بغيره من البشر، ادعاء فعل الخير والتسلق على أكتاف الناس أمر يدعيه أي أحد!، لكن دفع الشر عن النفس من يقدر عليه!، هل أولئك الذين يدعون أنهم يملكون حاسة سادسة يستطيعون ذلك، وهل حاستهم السادسة تتبعهم بما هو حاصل لهم في المستقبل!.

ثم إن ثمرة الفهم الصحيح عند أصحاب الحاسة السادسة، من الذين يدعون أن لديهم القدرة على مشاهدة الأجسام الأثرية، واستجلاب الطاقة الكونية وتسليطها على من يشاؤون تكاد تكون معدومة، لأنها مبنية كما ذكرنا على التجارب البشرية، دون الامتثال للأوامر الربانية، فضلاً عن أين يكون لديها فهم صحيح، ولذلك فقد انحصر الفهم الإيماني القلبي لها في الممارسة التأملية حين تعقد جماعاتهم جلسات تأمل في الطبيعة، وإرسال النوايا الخيرة للبشرية، والمشاركة في خلق عملية السلام والوئام، والتشارك مع الكون لإرساء دعائم الحب والإخاء، وحين تتوجه إلى الظواهر الكونية ومخاطبتها من أجل حماية البشرية من غضب الطبيعة، وحين يسافر المتأمل بعقله إلى عالم الأرواح مستقصداً مخاطبتها والتنبؤ للمستقبل، تلك هي أمانيتهم، وتلك هي عباداتهم.

ثم نأتي إلى النظر الصحيح، وهذا النظر الصحيح نستخلصها من الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه بسنده من حديث علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: "بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي -صلى الله عليه وسلم- أن تطيعوني، قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطباً، فجمعوا، فقال: أوقدوا ناراً، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا؛ وجعل بعضهم يمسك بعضها ويقولون: فررنا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-".

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (١٨٨).

من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي - ﷺ -، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة، الطاعة في المعروف" (١).

فالحديث يوضح أن الشخصية المسلمة متى ما تميزت بالامتثال الصحيح والفهم الصحيح، فإنها بحول الله لن تخطأ في نظرها للقضايا العقديّة، وهامهم الصحابة الكرام رضوان الله عليهم حين امتثلوا للأوامر الربانية، وحين عرفوا بمقاصد الدين، وكان الهدف واضح لديهم وهو الفرار من النار، اتضحت لديهم النظرة الصحيحة، فنجوا منها، ولكن لو نظرنا في الطرف الآخر، ورأينا فلاسفة الطاقة الكونية نجد أنهم يدعون بأنهم يملكون نظراً صحيحاً في معالجتهم للقضايا العقديّة، وهل النظر الصحيح يكون نابعاً من العقل المجرد أم من معرفة مقاصد الوحي الإلهي؟، وهم في الأصل لا يعترفون بالوحي الإلهي كمصدر من مصادر المعرفة، وإنما يستقون معارفهم من الحدس والرؤى والمنامات وخيالات الفيلسوف والتخاطر والجلاء البصري، ثم ينظرون إلى تلك المعارف على أنها معصومة من الوقوع في الخطأ، ومن هنا تنشأ نظرة القداسة والتعظيم تجاه مصادر المعرفة الباطنية.

ثالثاً: أن الأصل في التعامل مع الكتب المقدسة أن تكون متوافقة مع حقائق العلم، ولا تتناقض مع العقل (٢).

ومعرفة هذه القاعدة مهمة؛ لأن الإنسان حين يتعاطى النصوص المقدسة، فإن تلك النصوص لا بد وأن تكون متوافقة مع الحقائق العلمية، ولا تتناقض مع العقل، ثم إنها لا تحمل صفة القداسة إلا بعد التأكد من نسبتها إلى رسول مرسل من عند الله، ومؤيداً بما يدل على صدقه من آيات ومعجزات، وإلا فلن يكون ذلك الكتاب مقدساً، والمتأمل في كتب حكماء الصين وفلاسفة الهند يدرك أن تلك الكتب هي عبارة عن منبع للأساطير والخرافات، وقد اشتملت على تجارب الحياة، وتفسيرات الفلاسفة حول الظواهر الطبيعية، وتلك الكتب متناقضة في محتواها، ومضطربة يهدم بعضها بعضاً، فهي في الوقت الذي تدعوا إلى التوحد مع الإله الأعظم!، فإنها لا تمنع من تعدد الآلهة، بل وتوظف لكل مظهر من مظاهر الطبيعة إله، وظيفته القيام بتدبير أمور الكون، كل فيما يخصه. ولا يخفى على أحد ما تحويه تلك الكتب المقدسة من تعاويد ورقى مبنية على السحر

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (٦٧٢٣)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، انظر: (٩٣/ص٦٢).

(٢) انظر: المنهجية في دراسة الأديان: أ.د. عبد الله بن علي سمك، الناشر: دار طبية الخضراء، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، ص ١٧٠.

والكهانة، وأمور أخرى مشتملة على التنبؤ بالمستقبل قائمة على التنجيم وتأثير الأبراج السماوية على الإنسان، وأصبحت تعاليم تلك الكتب المقدسة حكراً على رجال المعبد، ولا يتعاطاها أحد من عامة الناس، وإنما رجال المعبد هم الذين يملكون أسرارها وحقائقها.

وفي النهاية فإن تعاليم تلك الكتب المقدسة إنما وضعت من أجل دعامة الأخلاق، وقد تحققت بوسيلتين أساسيتين هما الأساطير والمحرمات.

ومن هاتين الوسيلتين نشأت العقيدة فيما وراء الطبيعة، فالأساطير هي التي خلقت العقيدة، ومن شأن هذه العقيدة أن تضمن بقاء أنواع من السلوك يريد الكهنة ورجال الدين بقاءها؛ فما يريه الفرد في السماء من ثواب، وما يخشاه من عقاب، يضطره اضطراراً أن يذعن للقيود التي فرضها أولئك الكهنة، فالإنسان ليس من طبعه أن يكون مطيعاً رقيقاً طاهراً، وليس شيء كالخوف من الآلهة - وذلك بعد القهر الذي خضع له الفرد قديماً فأنشأ في نفسه الضمير - أخضع الإنسان لهذه الفضائل التي لا تتفق مع طبيعته، فأخضع لها خضوعاً مطرداً صامتاً.

بينما تقدمت المجتمعات البدائية بعض الشيء حين اصططعت المحرمات، وكانت صيغة التحريم عادة سالبة، "لا تطعم"، "لا تفعل"، "لا تعتدي"، وبعض الأفعال أعلن عنها أنها "مقدسة" وعرفت بالـ"طوتم"، أو "نجسة ومحرمة" وعرفت بالـ"تابو"، وكان اللفظان في الواقع يعينان نذيراً واحداً، وهو أن تلك الأفعال لا يجوز لمسها، وهكذا أخضع الإنسان في تلك المجتمعات البدائية لسلطة الـ"طوتم" والـ"تابو"، وهو خضوع لا يتوافق مع الغريزة النفسية التي تأبه الانقياد والخضوع لسلطة كائنات عاجزة عن نفع نفسها أو دفع الضرر عنها، فضلاً عن أن يكون لديها القوة التي تستطيع من خلالها أن تحمي بني البشر^(١).

وهكذا يتضح أن تعاليم تلك الكتب المقدسة عبارة عن أراجيف فلسفية وضعها ثلة من الكهنة ورجال الدين ممن يوصفون بأنهم فلاسفة الإنسانية وحكماء البشر، وغايتهم من ذلك هو التسلط الروحي والمادي على من سلموا عقولهم وأهواءهم لهم، وتلك التعاليم لا تتفق مع الحقائق العلمية، ولا تتوافق مع العقل، وهي قائمة على مبدأ "ءامن ثم فكر"، وقد تأثر بهم أولئك الذين لا يجدون حرجاً في الاستدلال على صحة المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية بأي شيء في سبيل الترويج للخرافة والوهم، وفي سبيل إثبات الخرافة يوردون الحقائق العلمية ويطوعونها لتتوافق مع مبادئ فلسفتهم، ولترسيخ المفهوم الديني في الفكر الشرقي القديم والمتمثل في ربط العلاقة الإنسانية بجوهر الحياة، وهي

(١) انظر: المنهجية في دراسة الأديان: أ.د. عبد الله بن علي سمك، ص ١٥٨.

غاية ما يسمو إليه ذلك الفكر، حين يتخطى الإنسان عالمه بحثاً عن العوالم الأخرى لتحقيق النشوة الروحية ومنتعة الاتصال بالجوهر الكلي، وما لم يتخط الإنسان إنسانيته لن يكون بمقدوره إيجاد الجوهر الأساسي للحياة، وسيبقى في دوامة التناسخ، ومصيره أن يكون في عالم الحيوانات، فيعيش حياة بهيمية لا طائل منها سوى إشباع الغرائز وتحقيق الشهوة النفسية.



المطلب الثاني: موقف الإسلام من قضية الاعتقاد بالله بحسب المفهوم الفلسفي:

تعتبر فلسفة الطاقة الكونية من أهم الفلسفات التي تبنتها الفكر الشرقي القديم، بناءً على نظريته القائمة على السلبية لقضية الخالق والوجود؛ إذ لا يعد للخالق أي دور في خلق العالم، وتديير الكون، الأمر الذي أدى إلى تفسير العالم الغيبي غير المنظور تفسيراً ظاهرياً، وربطها بواقع الحياة، لتكون منهجاً شاملاً لكافة مناحي الحياة، ومحاولة إيجاد أجوبة منطقية تفسر العلاقة بين الخالق والكون والإنسان.

هذه الفلسفة التي هي من أهم معالم الفكر الشرقي القديم استندت على أساطير وخرافات شعبية، بناءً على تلك الأجوبة التي فسرت العلاقة بين الخالق والكون والإنسان، وهي أجوبة لم تكن مستندة على نور الوحي الإلهي، وإنما كانت مستندة على تفسيرات رجال الدين وتصورات الإنسان الكوني حول الظواهر الطبيعية، ومحاولة استكشافها بواسطة السحر والكهانة والتنجيم.

ولقد تناقل الناس هذه التفاسير أجيالاً بعد أجيال، وأضيفت إليها هالة من التعظيم والتقدیس، حتى أصبحت مسلمّات لا يعتریها الشك، وتحولت مع مرور الزمن إلى نصوص مقدسة، ذات أثرٍ بالغ على روح الإنسان!، وأصبح لهذه النصوص رجال دين يملكون سلطة روحية وكهنوتية يمارسونها على اتباعهم.

كل ذلك كان بسبب أن الفكر الشرقي القديم حين ابتعد عن نور الوحي، ولم يكن تدينه نابعاً من الهدي الإلهي، أوجد أنماطاً من التدين البدائي القائم على الوثنية والتعددية وعبادة أنواع وأشكال من العبادات، تارة بالتوجه إلى الطبيعة ومناجاتها، لظنه أنها أقوى منه، وأنها ذات أثر كبير على حياته، فهي جديرة بالتعظيم والعبادة!، ولجهله بعالم الطبيعة راح يسترضيها ويتقرب إليها خوفاً من غضبها!، وتارة بالتوجه إلى الأرواح لجهله بعالم الغيب فعبدها بدعوى أنها أرواح معظمة ومقدسة، وتارة بالتوجه إلى النصب الذي اتخذها وصنعها بيديه وظن أن تلك المعبودات التي اتخذها من الطبيعة والأرواح حلت في هذه النصب، ولهذا كان النصب يختلف من مكان إلى آخر فقد يكون طلسماً سحرياً، وقد يكون صنماً^(١).

ونتيجة لذلك فقد كان من الطبيعي جداً أن ينساق الفكر الشرقي نحو الاهتمام بالروحانيات، بجانب الاهتمام بسلوك الفرد وتعزيز القيم والفضائل لديه، مع إهماله وتقصيره الشديد نحو قضايا

(١) انظر: آلهة في الأسواق: د. رعوف شليبي، ص ٢٩.

الربوبية والخلق والتكوين، وكانت فلسفة الطاقة الكونية هي المنهج والأداة التي من خلالها استطاع أتباع الديانات الشرقية أن يبينوا تصوراتهم نحو معتقداتهم وعباداتهم وشعائرهم.

ومن هنا ظهرت مشكلة الانحراف في مفهوم التوحيد، وهي مشكلة طرأ عنها العديد من التصورات الفكرية نحو قضية المعبود، وأصبح مفهوم التوحيد مفهوماً صعباً وشائكاً، لا يستطيع أي فرد أن يصل إليه لصعوبته، ولذلك كان التوحيد خاصاً بمن أفنوا حياتهم في ممارسة النسك التأملي المدرك للتناغم مع الكون، ومن ثم الاتحاد بما يعتقد أنها قوة غيبية مقدسة، وللأسف الشديد لم يكن هذا توحيداً نحو الإله، وإنما توحيداً مع الإله، ولهذا اختلفت التسمية من كونه "إله" إلى "جوهر مطلق"، "الروح الكونية"، "الجوهر الكلي"، "العقل الكوني"، "المبدأ الأسمى"... الخ التسميات التي يتضح أنها تسميات فلسفية شائكة، ولا تتناسب مع الفطر السليمة.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نستعرض أبرز القضايا الاعتقادية الإلهية، وهل يمكن أن يكون "الإله" الحق الذي هو مبين عن خلقه، مستو على عرشه، على نفس التصور الفلسفي!.

● مفهوم التوحيد في الفكر الشرقي القديم:

لا تكاد تجد تصوراً واضحاً حول "الذات الإلهية" في الفكر الشرقي القديم، ولا يتحرج حكماء الشرق في بناء تصوراتهم على أدلة عقلية قاصرة تستند على الظاهرة الكونية!، فكل شيء يتخطى المعقول، ولا يمكن تفسيره بالملكات العقلية، ولا بالأدوات الحسية المادية يعتبر إله مقدس!، ويكمن دور البشر في قدرتهم على الاستفادة من ذلك الشيء الذي يتخطى حدود العقل، وتطويعه من أجل خدمة الإنسانية، ثم إنه يجعل من تقديس كل الكائنات الإلهية وسيلة للاتحاد بالإله الأعلى!، فهو في النهاية يؤمن بفكرة وجود إله أعلى، إلا أن المحاولات الفكرية لإدراك حقيقة ذلك الإله جعلته في مشكلة كبرى، دفعه إلى الإيمان بوجود قوة عليية خفية ومسيطرة على الكون تارة، وإلى الإلحاد المتدين تارة أخرى، وانحصرت تصوراتها التي بناها على النظرة السلبية لمعبوده بين التجسيد والوثنية والتعددية، وأصبح ذلك الفكر حائراً بين من يعبد؟، وأمام هذا العجز الذي طرأ لهذا الفكر؛ فإنه لم يجد لعجزه حلاً إلا أن يتخذ من الشرك وسيلة لتحقيق التوحيد، فاتخذ من وراء ذلك أنواعاً وأشكالاً من المعبودات.

إن الغريزة الدينية والفطرة النفسية نحو نزعة التدين والمعتقد هي ظاهرة لدى الفكر الشرقي القديم، وإن الدافع لهذا التدين قد اختلف من مجتمع لآخر:

✓ فتارة يكون الخوف من المجهول والفرع الذي يحيط بالإنسان.

✓ وتارة يكون لاحترام الأسلاف والكبار بحكم الأعراف والعادات.

✓ وتارة يكون الدافع للتدين هو الاعتقاد بالمؤثرات الطبيعية الكونية في حياة الإنسان.

وفي كل الأحوال؛ فإن النظرة نحو المعبود تختلف، فهي في حال الخوف والفرع تتخذ من الروح معبوداً وتقدم لها القرابين لاسترضائها، وهي في حالة احترام الأسلاف والكبار تتجه نحو التقديس والتعظيم، كما أنها في حالة الاعتقاد بالمؤثرات الطبيعية الكونية تتخذ من المظاهر الطبيعية في الكون معبودة لها؛ فالكواكب السيارة والأنهار الجارية والنيرون التي لا تنطفئ والكوارث الطبيعية المدمرة والحيوانات المفترسة وغيرها كلها معبودات لاستلطاف رحمة الطبيعة!

ولهذا لن تجد في قواميس الفكر الشرقي القديم فكرة وجود إله خالق للكون، ومباين لها وللخلق أجمع، ومستغن عنهم، وكل المخلوقات مفتقرة إليه، هذه الأفكار لن تجدها في ذلك الفكر، بل تجد إلهاً معطلاً عن الصفات، انبثقت عنه قوتان متضادتان، وتضادها هو ضمان لبقاء الكون، ثم إن ذلك الإله تجده يسري داخل الكون، وينساب إلى داخل جسم الإنسان، فهو إله مفتقر إلى الخلق!، ويبحث عن ملجأ يؤويه!، ولا يجد ذلك الملجأ إلا في النفس الكامنة، أو في القوة الكونية، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ومن الشواهد على ما ذكرت: عجز الحكيم الصيني "لاوتزه - Laozi" عن إدراك مفهوم التوحيد، حين جعل من الـ "ين يانغ" وسيلة للاتحاد بما سماه الـ "تاو"، فالتوحيد عنده هو توجيه الفكر نحو الـ "تاو" وإحداث الموازنة والتناغم بين الـ "ين يانغ".

بينما نظرت الفلسفة الهندية لمفهوم التوحيد عبر نافذة "وحدة الوجود"، فالإله "برهمن" هو الحقيقة الكلية وجوهر الكون، وكل مظاهر الوجود ليست إلا أعراض وظواهر لحقيقة "برهمن"، ولذلك فإن الفلسفة الهندوسية تعتبر الـ "برهمن" إله غير شخصي!، ومفهوم التوحيد يكمن من خلال التصور الذهني عندما تقترن النفس البشرية "أتمن" مع الذات السامية الموجودة في الذهن "برهمن"، والفكرة معقدة، ولا يمكن تصوها إلا في الصورة الذهنية، ومتى ما تحقق هذا الاقتران تحقق التوحيد!^(١)، ولذلك فإن غاية ما يصبوا إليه الفرد الهندوسي هو تحقيق هذا المبدأ.

هذا هو مفهوم التوحيد في الفكر الشرقي القديم، ولقد أثرت تلك الأفكار على كل الفلسفات والأديان الوضعية التي ظهرت على فترات متلاحقة، ومنها على سبيل المثال "البوذية" حين اختلطت بالبيئات المجاورة لها، فكان مفهوم التوحيد بالنسبة إلى المتحررين من تعاليمها هو تأليه "بوذا"،

(١) انظر: أديان العالم: حبيب سعيد، الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، مصر، ص ٧٢.

وأصبح مفهوم التوحيد عندهم مفهوم ينطلق من عقيدة الحلول والاتحاد، والاعتقاد بأن الإله الأعلى قد حل في شخصية "بوذا" وتمثاله، ولذلك فإن العيش ضمن الشخصيات الإلهية ومنها "بوذا"، هي غاية ما يسعى إليه البوذيون المتحررون من تعاليم "بوذا" الأخلاقية، ومن مظاهر هذا التوحيد الذي يعيشون أبعاده، الإكثار من الحمد والثناء على "بوذا" لحسنه وجماله وكماله، كما أنهم يتلذذون بذكره، ويتمتعون بتصوره في الخلوة والمجتمع، كما أن تذكر اسم "بوذا" وتصوره يعد من أعلى مراتب العبادة عند الرهبان البوذيين^(١).

كما أنها أثرت على الفكر "الغنوصي" الباطني، وأصبح مفهوم التوحيد عند الغنوصية مفهوم باطني يشير إلى وجود إله متعال بعيد واحد، لا تدركه الأبصار في عالم النور، وهو الذي يجب عبادته، وهو إله الخير، بينما هنالك إله آخر!؛ وهو إله شرير!، انفصل عن الإله الأول وعصاه، غير أنه يتميز بكونه خلق العالم المادي الشرير، وهو بدوره قد حبس الروح وسجنها في مادة جسدية عندما خلق الإنسان، ثم تأتي فكرة الخلاص وتكون بتحرر الروح من سجنها الجسدي، وعودتها إلى أصلها الإلهي الذي هو الرب الأعلى الأسمى^(٢)، وبهذا يتضح أن مفهوم التوحيد عند الغنوصية يتمحور حول الاعتقاد بوجود إلهين، إله النور والخير، وإله الظلام والشر، وأن الإنسان بجسده المادي وكيانه الروحي قد جمع بين الإلهين، وحقيقة التوحيد في الفكر الغنوصي هو الفناء بالكيان الروحي عن الجسد المادي، وتخليص الروح من سجن المادة إلى الحرية النفسية، والسفر إلى عالم الأنوار لتحقيق الخلود الروحي دون الجسدي.

ولقد جسدت الفلسفة اليونانية كل تلك التصورات ضمن فلسفة العقل الأول، أو المحرك الأول، فنظرت لفلسفة الفيض والصدور والإشراق، وجاءت النزعة التوحيدية الهلنستية من الفلسفة، ونتيجة للتلاقح الفكري بين الشرق والغرب إبان فتوحات "الإسكندر المقدوني"، وظهرت مدرسة الاتجاه اللاهوتي، وكانت تلك النزعة ظاهرة على الأفكار الفلسفية عند فلاسفة اليونان "سقراط"، و"أفلاطون"، و"أرسطو"، وبلغت أوجها في المدرسة الإسكندرية، ولاسيما عند "أفلوطين"، وقد تميز

(١) انظر: فصول في أديان الهند: د. ضياء الرحمن الأعظمي، ص ١٤٧.

(٢) انظر: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد: د. خزعل الماجدي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،

المملكة المغربية، ط ١=٢٠١٤م، ص ٨٠.

مفهوم التوحيد النابع من الفلسفة بأنه لم يكن ديناً شاملاً؛ وإنما كان مختصاً بطبقة معينة من الناس، هم النخبة الفكرية وأساطين الفلسفة^(١).

ولعل من أهم العوامل التي أدت إلى عجز الفكر عن إدراك مفهوم التوحيد هو أن مصدر التلقي لديه قائم على "التجربة الشخصية" للفلاسفة وتفسيراتهم للوجود، وهذه التجارب والتفسيرات مصدرها إما "العقل" وإما "الأساطير والخرافات" المتوارثة عبر الأجيال، وقد تم تدوين تلك التجارب في كتب وصفت فيما بعد بأنها "كتب مقدسة"!

ولذلك نجد أن كل تلك الكتب المقدسة قد سلكت في طريق إثبات الإله مسلكاً فلسفياً شائكاً، جعلت الجموع الغفيرة من الناس حائرة عن إدراك مفهوم التوحيد، ولأجل ذلك أصبح التوحيد حكراً على كهنة المعبد ورجال الدين، وهذا كله لا يتوافق مع الفطرة السليمة حين تتحرر من كل تلك المفاهيم الفلسفية، وحين ترجع إلى نفسها لتبحث عن الإله الحق، ذلك الإله الذي خلق الإنسان، وزوده بالقوى العلمية والإرادية الموجبة للإقرار بوجوده ووحدانيته^(٢)، والنفس مفطورة على التوجه لله - ﷻ -، والأمر بسيط وليس معقد بتعقيدات الفلاسفة الذين يقررون أن على الإنسان أن يبحث عن الإله!، "عندما يُعرف "برهمن" يعرف كل شيء"^(٣)، ومعرفة الإله شيء موجود في النفس أصلاً، ولا يحتاج الإنسان في ذلك إلى طلب معرفة الخالق، والاستدلال على معرفته؛ لأن القلوب تعرفه وتقر به^(٤)، وهي مفطورة على التوحيد الذي هدى الله النفس إليها، وكملها غاية الكمال، وكل ما طرأ على الناس مما هو مخالف للفطرة السليمة هو بسبب مخالفتهم للأمر الرباني "لا تبدل خلق الله"، فلا يحق لأي كائن من كان أن يبدل خلق الله، فيغير الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله

(١) انظر: كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد: د. خزعل الماجدي، ص ٧٨.

(٢) انظر: المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها: أ.د. عبد الله بن محمد القرني، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٩٤١هـ، ص(٢١٣-٢٤٢)، نقلاً عن: دلائل الربوبية: د. أبو زيد بن محمد مكي، ص ٣٣.

(٣) انظر: الهندوسية؛ تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيالانادا، ترجمة: د. نبيل محسن، الناشر: ورد للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط ١=٢٠٠٠م، ص ٢٩.

(٤) انظر: مادة العقيدة الإسلامية: د. أبو زيد بن محمد مكي، الناشر: دار الأوراق الثقافية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ٥=١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ص ٢٧.

عليها^(١)، وفي مقدمة هذا التغيير والتبديل تلك التصورات الفلسفية حول الإله، وتجعل من ذلك الإله جوهرًا مطلقاً وروحاً كونياً وعقلاً فاض عن الإله الأول!.

ومن هنا ندرك أن كل تلك التصورات الفلسفية لا تتوافق مع التصور الإسلامي حول مفهوم التوحيد؛ لأن التوحيد وفق التصور الإسلامي يتضمن نفي كل المعبودات أولاً، ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾^(٢)، ثم إثبات الإله الحق، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٣)، فلا إله إلا الله معناه: أنه لا معبود بحق إلا الله،^(٤) وهذا المفهوم ينعدم تماماً في التصور الفلسفي لمفهوم التوحيد؛ لأنه مفهوم قائم على الشرك في الربوبية أولاً، وهذا واضح من خلال التصورات الفلسفية لمقام الربوبية، والتي انحصرت في الاعتقاد بوجود إله أعلى انبثقت عنه قوة إلهية هي المدبرة للكون، ثم إنه قائم على الشرك في الأسماء والصفات، فذلك الإله الأعلى كائن مجرد عن الصفات، ولا يوصف إلا بالنعوت السلبية، وأخيراً فإن مفهوم التوحيد بحسب التصور الفلسفي لا يعترف بالعبودية لذلك الإله الأعلى، ولا يتوجه إليه في العبادة، وكل الطقوس والشعائر التعبدية في الفكر الشرقي القديم إنما هو عبارة عن الممارسة التأملية في الكون، والتوجه إلى الطبيعة من أجل الاتحاد بالقوة الإلهية المدبرة للكون، ويتم النظر إلى تلك الطبيعة على أنها من التجليات الإلهية، والهدف من ذلك الاتحاد هو الشعور بالجانب التكاملي، والمشاركة مع القوة الإلهية في تدبير الكون، وهذا ما نشاهده عند من يُعرفون بالإنسان الكوني أو الإنسان الكامل.

والحاصل أن مفهوم التوحيد في الفكر الشرقي القديم لا يتضمن معنى التوحيد وإنما يتضمن معنى التوحد من خلال البحث عن الإله الذي هو الجوهر المطلق والروح العليا والعقل الأول، ومن ثم الاتحاد معه، وهو مفهوم يتضمن عجز الإله الأعلى!، وتعطيله عن الصفات والحركة، لأن الإله المنبثق عنه هو المدبر للكون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٥)، ولو قدر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متنسق، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط ببعضه ببعض، في غاية الكمال، ﴿مَا تَرَى

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، بتحقيق: سامي بن محمد سلامة، (٦م/ ص ٣١٣).

(٢) سورة الإسراء، الآية: (٢٢).

(٣) سورة محمد، الآية: (١٩).

(٤) انظر: مادة العقيدة الإسلامية: د. أبو زيد بن محمد مكّي، ص ٥٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: (٩١).

فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ ﴿١﴾، ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض^(٢)، ولو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما، مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته، فإما أن يحصل مرادهما معاً، وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر، وإما أن لا يحصل مراد أي واحد منهما، والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع لأنه يلزم خلو الجسم من الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضاً عجز كل منهما والعاجز لا يكون إلهاً، وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية^(٣)، ومن هنا نستدل على انفراد الله بخلق الكون وملكه وتديره، فإنه يمتنع عقلاً أن يكون له شريك في ذلك، بدلالة انتظام الكون؛ فلو كان معه شريك لا نفرده بما خلق، ولفسد الكون، أو لحصل التغالب بينهما على التدبير، ولما كان أمر العالم منتظماً دل على نفاذ إرادة واحد أحد، وهو الله - ﷻ - المستحق للعبودية وحده لا شريك له^(٤).

وقد انعكس المفهوم الفلسفي للتوحيد على المفاهيم المنبثقة من فلسفة الطاقة الكونية، ومن تطبيقاتها؛ إذ تنص تلك المفاهيم على ضرورة البحث عن القوة الإلهية المقدسة، وهي قوة يتم النظر إليها على أنها قوة سارية في الكون، ومنبثة فيها، بما فيها كيان الإنسان، وعالمه الداخلي، ومن ثم الشعور بالتوحد مع تلك القوة المقدسة، والاستفادة منها على الجانب الشخصي أولاً، وتوجيهها إلى من يحتاجها للعلاج أو لإظهار القدرات الخارقة، والحاصل أن كل تلك التعاليم ليست إلا محاولة لإحياء الوثنية القديمة، ومشاهدة قول الذين كفروا من أصحاب الاتجاهات الفلسفية الشرقية القديمة، حين ابتعدوا عن نور الوحي الإلهي، واخترعوا لأنفسهم ديناً من بنات أفكارهم القاصرة، وقد ذم الله أهل الكتاب حين شابهوهم في مقولتهم التي يدعون فيها نسبة الولد إلى الله، وهو نفس التصور الفلسفي الذي يزعم بأن هنالك قوة إلهية انبثقت عن الإله الأعلى!، تشابحت قلوبهم، وقد وصف الله ذلك المنهج الوثني القديم بأنه "إفك"، وادعاء على الله بما لا يليق بكماله وجلاله، وقد حكم عليهم

(١) سورة الملك، الآية: (٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: سامي محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢ = ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (٥م/ص ٤٩١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية: العلامة علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٩ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص (٨٠-٨١).

(٤) انظر: دلائل الربوبية: د. أبو زيد بن محمد مكي، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، ص ١٠٢.

بالكفر، ومن كانت مُنْطَلَقَاتُهُ نحو مفهوم التوحيد قائمة على نفى كل المعبودات، وإثبات إله واحد هو رب الأرباب يستحيل أن تنزلق أقدامه في قضية جوهرية كقضية التوحيد، ومن زلت قدمه في هذا الجانب، فلا تستغرب بعد ذلك من إقدامه على تبني قضايا أكثر جرأة على الله. ومعرفة مفهوم التوحيد عند المتأثرين بفلسفة الطاقة الكونية من الذين يحاولون أسلمة تلك المفاهيم الفلسفية وتطبيقاتها الشائكة مهمة، وهي تقودنا إلى معرفة حقيقة التوحيد لديهم، وإلى أي فريق سينضمون، هل إلى فريق الموحدين أم إلى فريق المتوحدين!.

● إدراك حقيقة "الذات الإلهية".

من أهم القضايا الاعتقادية المتعلقة بالله - ﷻ - هي قضية إدراك حقيقة الذات الإلهية، وعطفاً على ما سبق فإن هذه القضية تأتي نتيجة لمفهوم الإنسان حول التوحيد، وهو المفهوم الذي يبرهن على أصالة التوحيد وأسبقيته على الشرك، بدليل الفطرة، وأن البشرية كانت في سابق عهدها متمسكة بالتوحيد، إلى أن طرأ عليها الشرك، قال الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَنُكْرِمَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، والله سبحانه وتعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره^(٢)، وفي الحديث: "وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً"^(٣).

والم تأمل في مواقف الناس من مفهوم التوحيد يدرك أنهم إزاء موقفهم من حقيقة الذات الإلهية قد انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

قسم هم الأصل، فهم أهل التوحيد، وهم يعرفون الله - ﷻ - بأسمائه وصفاته، ومعرفتهم له نابع من إيمانهم بالغيب، ومصدر المعرفة لديهم في ذلك هو تصديقهم لكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وساء فهمه وعقله أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، ومن ذلك الإيمان بجميع ما أخبر الله به من حقائق وأوصاف عن نفسه وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها.

(١) سورة الروم: الآية (٣٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، (٣١٣/٦م).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (٢٨٦٥)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، انظر: (٤م/ص ٢١٩٧).

وقسم هم على النقيض تماماً من أهل التوحيد، فهم أهل الشرك، وإدراكهم لحقيقة الذات الإلهية نابع من النظرة التجسيدية، فهم يقيسون الغائب على الشاهد، فيتصورون الإله كسائر الموجودات المجسدة، ونظرتهم محدودة بالمادة، وأهل هذا القسم هم الذين قال الله عنهم: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُحْبَابَهُمْ أَزْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)، وليس لهم كثير كلام في هذا الباب، لأنهم في الأخير لا يعتبرون لا من أهل التوحيد، ولا من أهل التوحد، وهم بحسب أهل التوحد مطالبين بالوصول إلى الاتحاد من خلال تجاوز المعبودات الوثنية، وأصلاً هم إنما يتخذون من الأوثان معبودات لهم من أجل تحقيق غاية الاتحاد بالجواهر الكلي.

وأما القسم الثالث فهم الذين أخبر الله عنهم في القرآن الكريم، فقال حكاية عن اليهود والنصارى حين افتروا على الله - ﷻ - ونسبوا إليه الولد بأنهم ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾^(٢)، وهؤلاء الذين كفروا من قبل من الذين يُصَنَّفُونَ على أنهم فلاسفة الفكر الشرقي القديم، وهم حين تكلموا في حقيقة الذات الإلهية كان كلامهم نابع من التصورات العقلية القاصرة، وإدراكهم لمقام الألوهية مقتصر على المفهوم المعنوي المجرد، وهو المفهوم الذي يجعل من الإله "فكرة مطلقة" لا يدل عليه وصف، ولا يُدرك له واقع^(٣)، ومن ذلك أنهم أجازوا ظهور الإله في البشر، وزعموا أن الطبيعة بكل تجلياتها ليست إلا مظاهر من مظاهر الإله، وفوق كل ذلك جاءوا بفكرة "ابن الإله"، وفكرة "العقل الذي فاض عن الإله"، وفكرة "الإله المطلق" و"الإله المقيد"، وفكرة الصراع بين "آلهة الخير" و"آلهة الشر"، وفكرة التكامل القطبي بين "السالب" و"الموجب" أو ما يعرف بالـ"ين يانغ"، وتعددت الأفكار وتشابحت الرؤى، والمدلول واحد؛ وهو إثبات إله آخر منبثق عن الإله الأعلى، وسموه بالجواهر الكلي والمطلق الأسمى، بينما يكمن دور الإله الأدنى في تدبير الكون، وموقف الإنسان من الإله الأدنى إنما هو وسيلة للاتحاد بالإله الأعلى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٤)، فحكم عليهم بالكفر؛ لأن مصدر المعرفة لديهم لم يكن نابعاً من الوحي الإلهي، وإنما كان مقتصراً على التفسيرات العقلية

(١) سورة التوبة: الآية (٣١).

(٢) سورة التوبة: الآية (٣٠).

(٣) انظر: عقيدة المسلم: الشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ٢ = ١٤٢١هـ - ١٩٩٩م،

ص (٤٨-٤٩).

(٤) سورة الزمر: الآية (٣).

للظواهر الكونية، حين كانوا ينظرون إلى قوة الطبيعة على أنها قوة إلهية مقدسة، فراحوا يستلطفون رحمتها عبر جلسات التأمل في الطبيعة، ومحاطبتها من أجل أن تحفظ لهم مصدر قوتهم ودخلهم. وبعد بيان أقسام الناس حول إدراكهم لحقيقة الذات الإلهية، يتضح لنا أن أهل التوحيد الذين ينفون سائر المعبودات، ولا يثبتون إلا معبوداً واحداً، فهم يؤمنون بأن الله واحد لا شريك له، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُرْسِلُ الْغَلَّغَلِ فِي النَّهَارِ فِي السَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)﴾ (١).

فلا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبديد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، ممت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً كذلك لا يزال عليها أبدياً، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداث البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محيي الموتى بعدما أحياهم استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم. ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء إليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، (ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير). خلق العالم بعضه فوق بعض، ولم يجعل أعلاه مفتقراً إلى أسفله، ولا أسفله مفتقراً إلى أعلاه، بل جعل الجميع مفتقراً إليه وحده لا شريك له (٢).

وقد جاءت نظرة الفلاسفة على العكس من ذلك تماماً، والفرق بينهم وبين أهل التوحيد أن أهل التوحيد اتخذوا من العقل وسيلة لتحقيق الربوبية، بينما اتخذ الفلاسفة من العقل وسيلة لإدراك المعبود، "ومن شغل ما أعطي لإقامة العبودية بإدراك الربوبية، فاتته العبودية، ولم يدرك الربوبية"، والفلاسفة لم يشغلوا أنفسهم فضلاً عن أن يشغلوا غيرهم بالالتفات إلى تحقيق العبودية، وإنما خاضوا بعقولهم القاصرة فيما لا يحق لهم أن يخوضوا فيه، بل ولا يمكن للعقل البشري أن يدرك حقيقة الذات الإلهية، وكانت

(١) سورة الحديد: الآية (٢-٦).

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح وتعليق: الشيخ محمد ناصر الدين

الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٢=١٤١٤هـ، ص (٢-٣٥).

النتيجة من وراء ذلك أنهم لم يصلوا إلى حق تطمئن إليه نفوسهم، بل تحببوا أشد التخبط في درك الاعتقاد الباطل، فمنهم من أسرته تصورات العقل القاصرة، التي لا تبعد عن الحياة المادية التي يعيشها الإنسان، ويستمد منها تفكيره، فظل أسيراً لمعبوداته التي حصرها في الأشجار والأحجار والحيوانات، وما سموه "قوى الطبيعة" ظناً منهم أنه آلهة هذا الكون المؤثرة فيه، ومنهم من بقي واجماً يائساً من الوصول إلى الحق، ومنهم من انقلب حائراً قلقاً بعد تفكيره الطويل، ولم يهتد إلى الطريق الصحيح^(١)، نشاهد ذلك في تعريفات الفلاسفة وتصوراتهم للذات الإلهية، فهذا "لاوتزه - Laozi" يعرف الـ"تاو" الذي يعد إلهاً أعظم لديه، بأنه مبدأ كل الأشياء ومنتهاها، ثم يدّعي أنه لا يعرف اسمه!، ولهذا سماه بالـ"تاو"، ولا يستطيع وصفه سوى القول بأنه "عظيم"، إلا أنه سرعان ما ينقض قوله، فيصف الـ"تاو" بقوله: "مظلم، محير، عسير الوصف"^(٢)، ويقول في موضع آخر: "التاو لا سبيل إلى تعريفه قط، وهو من الصغر في حالة اللا تشكل؛ بحيث يتعذر الإمساك بـ، ولا يجد هذا الحكيم الصيني في أن يثبت أن الـ"تاو" موجود داخل الوجود، وليس مفارقاً للكون، ومستغن عن خلقه، فيقول: "عظمته امتداد في المكان"^(٣)، وقد سبقت الإشارة إلى توضيح هذه النقطة ونقدها، والحاصل أن "لاوتزه - Laozi" عجز عن إدراك حقيقة الذات الإلهية نظراً لأن مفهوم التوحيد عنده لم يكن نابعاً من الإيمان بالغيب، وإنما كانت نابعة من نظرته إلى الوجود، وهي نظرة مادية تجعل كل مظاهر الوجود محصورة ضمن قوتين متنافرتين، وكل منهما يكمل دور الآخر، وتلك القوتين منبثقتين من إله أعلى سماه بالـ"تاو"، وكانت نظرتة لذلك الإله نظرة قاصرة؛ فقد كانت نظرتة أولاً محصورة داخل الوجود فقط، وثانياً من أجل ضمان استمرارية الحياة وبقاء الكون، وهي نظرة مادية، تفسر الوجود بحسب متطلبات الحياة، بينما يغيب عنها أهم عنصر من عناصر الإيمان بالله وهو الإيمان بالغيب وبما أعده الله للمؤمنين في الدار الآخرة، وبما سيلاقيه المخالفون من العذاب، ولا ريب أن غياب هذه المعاني تجعل من المعتقد الناوي معتقداً بلا أثر.

وقد جاءت النظرة الفلسفية الهندية أكثر تعقيداً حين جعلت مفهوم إدراك حقيقة الذات الإلهية مفهوماً ذهنياً خالصاً مرتبط بوعي الفرد الهندوسي، فلا يوجد إله متصف بصفات الكمال، ومتعال عن خلقه، ومباين لهم إلا في الصورة الذهنية فقط، صورة مجردة من المعاني، ولا يوجد لها أي واقع،

(١) انظر: أصول الإيمان بالغيب: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، ص ٢٣١.

(٢) انظر: كتاب التاو: لاو- تسو، ترجمة: هادي العلوي: ص(١٥-١٦).

(٣) انظر: كتاب التاو: لاو- تسو، صياغة عربية: فراس سواح، ص ٦٠.

وأكثر من ذلك فقد عمدوا إلى الـ"برهمن" وجعلوا منه إلهين!!!، أحدهما "برهمن مطلق"، والآخر "برهمن مقيد"، وهذا الأخير هو الذي يدبر الكون، وإليه يتوجه الحكماء في صلواتهم من أجل أن يمدهم بالقوة الخفية الكونية "البرانا"^(١)، بينما يظل هاجس الفرد الهندوسي هو الهروب من دوامة التناسخ وتكرار المولد عبر تحقيق الكارما والاتحاد مع الـ"برهمن المطلق"، وهذه النظرة الفلسفية وهي وإن كانت روحية أكثر من كونها مادية؛ إلا أنها لا تتضمن معنى الخلود الحقيقي، وإمكانية بعث الأجساد بعد الموت في الحياة الآخرة، وإنما تتضمن معنى الخلود الروحي، ووصول الفرد إلى تحقيق الاتحاد بالـ"برهمن المطلق" هو الخلود الحقيقي، ولا معنى للموت بعد ذلك، اللهم إلا جسداً مادياً لا قيمة له، مآله إلى الحرق بالنار، والتخلص منه آثار ذلك الجسد عبر إلقائه في نهر الغانج، بينما تنعم الروح باتحادها مع برهمنها المطلق بأسمى درجات الخلود، وتظفر بنعمة التحدث مع الكائن الإلهي.

لا تكاد تخرج عن كل الفلسفات التي أطرت قضية الإله ضمن إطار القوة الكونية السارية في الوجود، نجدتها في الفكر "الأوبانيشادي" الفلسفي الهندي الذي نظر إلى ذات القضية فقرر أن الـ"برهمن" هو كل الوجود، ومصدر الموجودات، ويتخلل في كل شيء، وهو منزه عن الصفات والعلامات الدالة، ولا يوصف إلا بالسلب، وهو "أرشق من العقل رغم أنه لا يتحرك أبداً، يرتحل بعيداً رغم أنه يقبع ساكناً، تراه في كل مكان مع أنه مستلق في مكانه!"^(٢). ومفهوم التوحيد بالنسبة للفرد الهندوسي وتحقيقه للـ"برهمن" تتم من خلال "الاختبار الصامت"، وقبل أن يستطيع لفظ كلمة "أوم" - أحد الرموز المقدسة لـ"برهمن" يجب أن يدرك أن الـ"برهمن" ليس ذاك الوعي للعالم الخارجي الموضوعي، ولا ذاك الوعي للعالم الداخلي الذاتي، ولا ذاك الوعي لكليهما، ولا تلك الكتلة من الإحساس، ولا ذاك الوعي البسيط، ولا ذاك العديم الحس، لا يمكن إدراكه بالحواس، غير مرتبط بأي شيء، غير قابل للفهم بالعقل، وغير قابل للاستنتاج، أو للتفكير فيه، أو للوصف"^(٣).

وفي هذا السياق تقرر "الأوبانيشاد" أن تحقيق الـ"برهمن" هو الهدف الأسمى للحياة، لأنه يؤمن الخلود، كما أنه مصدر المعرفة الباطنية "عندما يُعرف "برهمن" يعرف كل شيء"^(٤)، ويحاول ذلك الفكر تقريب الصورة أكثر فيقرر -والعياذ بالله- بأن الـ"برهمن" المطلق والأسمى تولد عنه "برهمن"

(١) انظر: الهندوسية؛ تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلائاندا، ترجمة: د. نبيل محسن، ص ٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٩.

(٣) انظر: الهندوسية؛ تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلائاندا، ترجمة: د. نبيل محسن، ص ٣٧.

(٤) نفس المصدر السابق: ص ٣٧.

مقيد هو القانون الكلي للكون، والإله المنبث في كل مكان، عرفته "الأوبانيشاد" بأنه "المولود الأول!، وهو الرحم!، لقد ولد سابقاً وسيولد، يقف خلف الأشخاص، وينظر إلى كل الأمكنة، إنه -الإله- الذي يوجد في العار، و-الإله- الذي يوجد في الماء، و-الإله- الذي دخل في العالم، و-الإله- الذي يوجد في النباتات، و-الإله- الذي يوجد في الأشجار، تمجد ذلك -الإله-، تمجد!"^(١).

ولقد صاغ الفلاسفة الهندوسيون عقيدة الأدوار لتفسير عملية الخلق والفناء المستمرة، وقد وصفت تلك العملية بأنها تنفس "برهمان"؛ فعندما يزفر يظهر عالم الأسماء والأشكال، وعندما يشهق يختفي ذلك العالم، وبالتالي فإن "برهمان" يعد هو المخلص، وعندما تتجلى قوته الخفية يبلغ الإنسان تحرره، ومن أجل ذلك يصليّ حكماء الأوبانيشاد باستمرار من أجل الوصول من اللاحقية إلى الحقيقة، ومن الظلام إلى النور، ومن الموت إلى الخلود^(٢).



(١) نفس المصدر السابق: ص ٣٧.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٣٧.

المطلب الثالث: موقف الإسلام من قضية الخلق والتكوين بحسب المفهوم الفلسفي.

عندما أخفق الفكر الشرقي القديم في تحقيق معنى التوحيد، وتوجه إلى نزعة تجسيد الآلهة وتصويرها وملاستها، وإلى تعددها وتعدد أشكالها وهياكلها؛ كان لزاماً على الفكر الإنساني أن يسأل عن ماهية هذه المعبودات التي يشاهدها وعن حقيقتها، وهنا ظهرت فكرة الأساطير، وبدأ الفكر الإنساني المحدود يفسر ويبرهن عن ماهية هذا المعبود وحقيقته، ولكونه يفتقر إلى المدلول النصي القاطع عن تلك الحقائق ذهب إلى ترجمة ما يسود في خاطره وفكره إلى قصص مستنبطة من خياله الواسع، واستطاع أن يوظف العناصر المحورية على أنها عناصر خارقة للعادة، فخرج بتفسيرات وتأويلات تشرح وتوضح أسرار العالم الإلهي^(١).

من هذه التفسيرات قصة الخلق والتكوين في أساطير الفكر الشرقي القديم، وهذه القصة التي تكاد تكون واحدة في جميع ديانات الشرق؛ اللهم إلا أن مسميات العناصر المحورية مختلفة، إلا أن الفكرة واحدة، انطلقت من تصور الإله المبني على النزعة الفطرية والموجودة في النفس البشرية على أنه إله واحد، لا مرئي ولا شكل له، وليس له بداية ولا نهاية، ثم تروي الأسطورة عن الحدث الكبير الذي حصل عندما أراد هذا الإله الواحد أن يظهر الوجود الذي كان في حالة من الفوضى والعماء، في حالة سكون وجمود، لا متمايز ولا متناهي، فأراد هذا الإله أن يوجد الكون؛ ولكن هذا الوجود لا يمكن أن يكون إلا من خلال وجود قوتين، وتحكي الأسطورة أن هاتين القوتين تولدتا من الإله الواحد، واختلفت التصورات حول هاتين القوتين، فبعض الأساطير تبنت فكرة قيام مبدئين أو أصليين متناقضين متعارضين وراء مظاهر الوجود، يهدف كل واحد منهما إلى إلغاء دور الآخر، وهو ما يسمى بـ(الثنوية الكونية)^(٢)، في حين تبنت أساطير الأخرى فكرة قيام مبدئين متعاونين متكاملين

(١) هذه التفسيرات لا تعني بالضرورة أنها تفسيرات خاطئة، ولا تعني بالضرورة أيضاً أنها تفسيرات صادقة، والعمل الصحيح أن نعرض تلك الأساطير على ميزان الكتاب والسنة، فما وافقها نقبلها ونعتقد بها، ليست على أنها أساطير من وحي البشر، وإنما لكونها من عند رب البشر، وجانب الصواب في هذه الأساطير يدفعنا إلى القول بأن الفكر الشرقي القديم لم يكن أبداً فكراً مستقلاً بنفسه، وإنما كان متأثراً بتراث الوحي المنزل على الأنبياء والرسل السابقين، ولذلك نجد أنه فكر دعا إلى احترام القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة، وحذر من الانغماس في الماديات والشهوات والملذات، وهذا كله لا يدفعنا إلى أن نعظم هذا الفكر أو أن نرفع من شأنه؛ ذلك لأنه تحبط في باب العبودية وأوقع بنفسه في أدنى درجات الانحطاط، والنفس البشرية المفرغة من هذا المبدأ الفطري لن ينفعها أي شيء مهما بلغت في حضارتها وتقدمها العلمي.

(٢) انظر: المبحث الثاني من هذه الرسالة.

ولا قيام لأحدهما بدون الآخر، وهو ما يسمى بـ(القطبية الكونية)^(١)، وسواءً كانت هذه الثنائيات متصارعة أو متعاونة، فإنها ستصل في نهاية المطاف إلى نتيجة حتمية وهي استمرارية الحياة والكون والعالم لضمان استمرارية (الكل الواحد)؛، واستمرارية الحياة لن يكون إلا بمعاونة البشر ومشاركتهم فيه!، عن طريق الطقوس التي من شأنها شد أزر الآلهة ومعاضدتها ضد قوى الشر التي تحاول استعادة الكون إلى حالته العدمية والفوضوية.

باختصار شديد هذه هي فكرة أسطورة الخلق والتكوين التي نشأت في الفكر الشرقي القديم عندما أراد أن يفسر حقيقة معبوده وماهيته وكيف أنشأ الكون، وإنه مما لا شك فيه أن تلك الأساطير إنما نشأت لأسباب دينية، فقد احتاج رجال الدين وكهنة المعبد من الذين يملكون أسرار الكون إلى صناعة تلك الأساطير والخرافة من أجل تمرير المعتقدات وتفسير الأشياء التي لا يمكن تفسيرها.

ومنها أسباب اجتماعية، فقد كانت عملية الاستشفاء والمعالجة وكذلك المشاكل الاجتماعية التي كانت تظهر سواء في حالة السلم والحرب إنما تفسر من خلال الأساطير. ومنها أسباب معرفية، فحين ضل الفكر البشري عن إدراك الحقائق العلمية، ذهب إلى تفسير تلك الحقائق في إطار الأسطورة.

وأياً كانت تلك الأسباب؛ فإن مما يجب معرفته أن تلك الأساطير لا بد وأن تعرض على ميزان الوحي والعقل، أما الوحي فلكونه معصوماً من الخطأ، فالمعرفة الآتية من الوحي هي معرفة حقيقية لا يمكن أن يتطرق إليها الشك. وأما العقل فلكونه تابعاً للوحي، والوحي لا يأتي بمحارات العقول، وكل تلك الأساطير ما كان منها متوافقاً للوحي فنقبله؛ ليس لكونه مما تناقله البشر من أساطير الأولين؛، وإنما لأن القرآن أخبر عنه، وقد تكون تلك الموافقات مما أخبر الله عنها في كتب الأنبياء والمرسلين السابقين، وقد تكون تلك الأساطير مبنية على حقائق غيبية، ولكن حين يتم تطويع الأسطورة والخرافة من أجل تمرير المعتقدات الدينية ولأجل إيجاد تفسير للأشياء التي لا يمكن للعقل أن يحيط بمعانيها أو يدرك كنهها، فهنا نقول يجب أن يتوقف العقل في التفكير مما لا طائل من ورائه، لا أن يذهب ويخترع أساطير من أجل أن يبرهن على صحة معتقده، وفي هذا السياق نجد أن الفكر الشرقي القديم حين ضل سبيله وتخبط في مسلك العبودية، وحرار في فهمها بعيداً عن نور الوحي الإلهي كان طبيعياً أن يبرر لمعتقده ويبرهن لسلوكه بما اكتسبه من خبرات الأيام والأزمان، وما تناقلته

(١) انظر: المبحث الثاني من هذه الرسالة.

فهومهم وألستهم من أساطير وخرافات شعبية أصبحت لاحقاً نصوصاً مقدسة، فحلّت محل الوحي، وأصبحت مسلّمات فيها من الأدلة القاطعة والبراهين الصادقة ما يبرر لصحة المعتقد الجديد!. إن الإنسان في الفكر الشرق القديم حين ألف أساطيره؛ فإنه لم يكن يبحث عن الآلهة ذاتها، ولكنه كان يبحث عن القوى الغيبية التي تسيطر على الظواهر الكونية وتنظيمها، ولذلك نجد أن أسطورة الخلق والتكوين اختصت بالإله وأفعاله ومغامراته في خلق الكون^(١)، وإذا كان الأمر كذلك فما علاقة الأسطورة بفلسفة الطاقة الكونية؟.

إن الإنسان حين يستمد الطاقة الكونية ويوازن بين الثنائيات الكونية أو القطبية فإن هذا الاستمداد هو التطبيق العملي لتفسير مبدأ الوجود، ذلك التفسير القائم على أن الوجود تشكل من العدم، هذا التشكل لم يكن بمحض الصدفة؛ وإنما كان مصدره طاقة إلهية تولدت منها قوتان، ومن خلال تفاعل هاتين القوتين انبثق الكون وأصبح متكثلاً شاهداً للعيان، وكل الثنائيات المتواجدة في العالم هي عبارة عن تفاعل هاتين القوتين واللتين من خلالهما يسير النظام الكوني، فهناك خير وشر، وروح وجسد، وأب وأم، الخير والروح والأب يمثلون القوة الإيجابية والذكورية والسيطرة والحركة النابذة، بينما الشر والجسد والأم يمثلون القوة السلبية والأنوثة والسكون والاستقبال والحركة الجاذبة، وبالتالي فإن هذا الكون يسير وفق هذا النظام، وهو في جوهره ليس إلا تجلياً من تجليات الإله الواحد الكلي المطلق.

وإذا كان الأمر كما أسلفنا فما قصة هذه القوة وما حقيقتها؟.

إذا رجعنا إلى أسطورة الخلق والتكوين في الفكر الشرقي القديم، وخاصة في الفلسفة الهندية نجد أنها تركزت على عناصر جوهرية^(٢)؛ وإذا ما حللناها نجد أن الأسطورة تضمنت ما يلي:

أولاً: أن الكون كان كتلة واحدة كالبيضة، وفي حالة فوضى وعماء وظلام دامس، غير متميز ولا متناهي.

ثانياً: داخل هذه البيضة كان يتواجد الماء؛ فالماء هو أصل الكائنات، وهو سر الحياة.

ثالثاً: عندما شاء الإله الواحد الكلي المطلق أن يحدث هذا الكون فإنه قد شعر بحرارة شديدة؛

هذه الحرارة أحدثت ناراً، وبالتالي فإن النار عنصر أساسي ومكون من مكونات هذا الكون.

(١) انظر: في أدب الأطفال: علي الحديدي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط٤=١٩٨٨م، ص١٥١.

(٢) راجع الفصل الأول من هذه الرسالة، مبحث الجذور الفكرية، ص٨٧.

رابعاً: عندما أحدث هذا الإله الواحد الكلي المطلق هذا الكون فإنه يكون قد قسّم البيضة إلى نصفين: نصف اعتلت إلى الأعلى لختها وصفاتها فتشكلت السماء، والنصف الآخر هبطت إلى الأسفل لثقلها وعكارتها فتشكل الأرض، وهذا الانقسام الذي حصل بين السماء والأرض أحدث فجوة بينهما، وهذه الفجوة التي حصلت أحدثت هواءً، وبالتالي فإن الهواء عنصر أساسي ومكون من مكونات هذا الكون.

خامساً: ارتفعت السماء إلى الأعلى لختها، وهبطت الأرض إلى الأسفل لثقلها؛ هذا الثقل كان نتيجة وجود التراب في الأرض، وبالتالي فإن التراب عنصر أساسي ومكون من مكونات هذا الكون^(١).

نخلص إلى أن أسطورة الخلق والتكوين تعتمد على فكرة أن الكون مكون من أربعة عناصر أساسية وهي: الماء والهواء والتراب والنار، وهذه العناصر الأربعة هي لب فلسفة الطاقة الكونية وجوهرها، وجميع الفلاسفة القديمة سواء الشرقية منها أو اليونانية ركزت على مبدأ أن الكون مكون من هذه العناصر الأربعة، مع اختلاف بسيط في التفاصيل؛ إذ أننا نجد أن الفلسفة الصينية تعتمد على عناصر خمسة وهي: (الماء والنار والتراب والمعدن والشجر).

والحقيقة أننا إذا تأملنا فلسفة العناصر الطبيعية الخمسة في الفلسفة الصينية نجد أنها لا تخرج عن العناصر الأربعة الطبيعية المكونة للكون في سائر الفلاسفات، فلا يوجد اختلاف كبير في الفكرة، وإنما هو اختلاف تنوع لا تضاد، اختلاف في الوصف الخارجي واللفظ المستخدم؛ فالشجر والمعدن هي من خصائص التراب وهي من الأرض، والهواء يتكون من خلال الماء والحرارة. وسواء كانت هذه العناصر أربعة أو خمسة فإن هذا لا يهمنا بقدر ما يهمنا تأثيرها وتطبيقها في فلسفة الطاقة الكونية بنظريتي (الفاعل والمنفعل)^(٢) و(التوليد والتحكم)^(٣).

(١) انظر: قوانين منو: الباب الأول (٥١-٥٢) نقلاً عن: فصول في أديان الهند: د. ضياء الرحمن الأعظمي: ص(١٠٠-١٠٣)، وانظر أيضاً: أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي، ص: ٤٩-٥١، وانظر أيضاً: مجلة ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، سبتمبر (١٩٥٦م)، بعنوان "الأساطير الهندوسية عن الكون وخلقها": ص٣٧، (بدون مؤلف).

(٢) أول من تكلم عن العناصر الأربعة هو أمبيدوقليس، ونظر لها أرسطو بنظرية الفاعل والمنفعل، انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، ص٢٠٦.

(٣) انظر: العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتو و ستيفن برش، ترجمة: د. أحمد حربا: ص(٥٤-٥٥، ٧٢ و ما بعدها)، وقد مر معنا نظرية العناصر الخمسة، ولا سيما في تطبيقات الطاقة الكونية، راجع: ص

الكون في فلسفة العناصر الأربعة يستمد استمراريته من خلال نظرية (الفاعل - المنفعل) وهي عبارة عن مزج ما هو من طباع الفاعل مع ما هو من طباع المنفعل على مادة موحدة تؤدي إلى ظهور أحد العناصر الأربعة:

الفاعل: بارد وحرار، المنفعل: رطب ويابس.

التراب: بارد ويابس، الماء: بارد ورطب.

الهواء: حار ورطب، النار: حار ويابس.

وفي فلسفة العناصر الخمسة يستمد الكون نظامه عبر دورتي (التوليد والتحكم):

الخشب له نزعة في توليد النار، والنار لها نزعة في توليد التراب، والتراب له نزعة في توليد المعدن، والمعدن له نزعة لتوليد الماء، والماء له نزعة لتوليد الشجر.

الشجر يتحكم في التراب، والتراب يتحكم في الماء، والماء يتحكم في النار، والنار يتحكم في المعدن، والمعدن يتحكم في الشجر.

فلاسفة الطاقة الكونية جعلوا لهذه العناصر خواص تميزها، وربطوها بالتنجيم، وجعلوها مؤثرة في الإنسان، وجعلوا لكل عنصر خصيصة من الخصائص:

خصائص العنصر الترابي: ويمثل العالم الفيزيولوجي لدى الإنسان، أي التواصل بين الإنسان والأرض، وتشمل البيت والمسكن، المال والأموال، المأكل والمشرب، الأمن الشخصي والذاتي، العمل بلا كلل والصحة والصبر وغيرهم.

خصائص العنصر المائي: يمثل كل ما يختص بالإحساس ويمثل العاطفة، والمحبة، والحزن، والغضب، والكراهية، والفرح، والسرور، والإصرار، والعزيمة، وغيرهم من هذه الصفات التي تختص بالأحاسيس.

خصائص العنصر الهوائي: يمثل كل ما يختص بالتواصل والاتصال مع الغير، الكلام والنقاش، الثقافة والتربية، الذكاء، وقوة الإقناع، والتفكير، والحس الروحاني، والرؤية الفوق حسية، وغيرها.

خصائص العنصر الناري: ويمثل كل ما بالطاقة والقوة الدافعة للحياة وقوة الخليقة، الإصرار والعزيمة بالغوص في التجارب، والبحث المستمر، حب الحياة والكرم وغيرهم^(١).

والحاصل فإن قضية الخلق والتكوين بمفهومها الفلسفي، وبما احتوته من مضامين أسطورية لم تنجح في توجيه الإنسان نحو عبادة الإله الحق، بل ساهمت بفاعلية في ظهور الوثنية وتجسيد الإله،

(١) تصفح: مركز العلاج البديل: بإشراف الدكتور ماستر: إميل سمعان إخصائي الطب البديل بالمركز:

(<http://www.emile4u.com>).

فاتخذت تلك الأساطير مكان المركز والبؤرة؛ لأنها تحدثت عن أصل الكون وعن أصل الآلهة، وأنسابها ومراتبها^(١)، وهي بتلك الصورة فقد أخفقت في فهم التوحيد، وقد صاغت تلك الأساطير بما يتواءم مع طبيعة معتقداتها وتصوراتها حول المعبود، تلك التصورات التي تجسدت في عبادة العناصر الطبيعية بمختلف أشكالها وألوانها، وهي بعيدة كل البعد عن التصور الإسلامي الذي يدعو الفرد إلى التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، وأن الكون بما فيه من موجودات إنما خلقها الله - - وسخرها لأجل الإنسان، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢)، فأمر عباده مؤمنهم وكافرهم بأن يسيروا في الأرض بأبدانهم وقلوبهم فينظروا كيف بدأ الخلق، وكيف فتق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقاً، إذ كان الجميع متصللاً بعضه ببعض متلاصق متراكم، بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق هذه من هذه، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً، وفصل بين السماء والأرض بالهواء، فأمرت السماء، وأنبتت الأرض، وفي كل آية من آيات الكون دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد^(٣)، فهلاً نظر هؤلاء الذين كفروا برهم، وجحدوا الإخلاص له في العبودية ما يدلهم دلالة مشاهدة على أنه الرب الكريم المحمود المعبود^(٤)، وهذه الدلالات التي تدل على أن الله على كل شيء قدير هي ما تميزت بها قصة الخلق والتكوين في التصور الإسلامي، وإلا فإن التأمل في أساطير الفكر الشرقي القديم ليدرك أنها تميزت بأمور منها:

أولاً: غياب تسمية المكان الذي جرت فيها أحداث الخلق والتكوين، لترسخ عقيدة الفناء ووحدانية الوجود، ولا يمكن إدراك ذلك المكان إلا في الخيال العقلي والتأمل الكوني، وهو بدوره مفض إلى الاعتقاد بأن كل مظاهر الوجود إنما هو تجل لذلك الإله، بينما جاء التصور الإسلامي واضحاً وفاضلاً في هذا الشأن، وفي الحديث عن عمران بن حصين -رضي الله عنه-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

(١) انظر: مدخل إلى نصوص الشرق القديم: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٢٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء محمد بن إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي سلامة، (ج ٥/ص ٣٣٩).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٦٢٨.

"كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض"^(١)، والتصور الإسلامي يقطع التسلسل في الأفكار، فقد أخبر عن بداية الخلق، وأن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض، وما كان قبل خلق السموات والأرض لا يمكن التفكير فيه لأن العقول لا تتحملة، ولذلك فإن الشرع قد وضع العلاج المناسب حين ينساب الفكر في قضية تسلسل الأفكار المفضية إلى التفكير فيما لا يتحملة العقل، وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: "يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟، حتى يقول له من خلق ربك؟، فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته"^(٢)، ودل على أن المؤمن حين يجد ذلك في نفسه، وينته مستعيذاً بالله، فإن ذلك من صريح الإيمان، وفي الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: "جاء ناس من أصحاب رسول الله -ﷺ- فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: "وقد وجدتموه؟"، قالوا: نعم، قال: "ذاك صريح الإيمان"^(٣)، وكل هذه المعاني والدلالات لن تجدها في التصور الفلسفي لقضية الخلق والتكوين في الفكر الشرقي القديم.

ثانياً: جاءت تلك الأساطير لتؤكد افتقار الخالق إلى مخلوقه وافتقار المخلوق إلى خالقه، في عملية تكاملية مفادها أن كل واحد يؤدي ما أوكل إليه من أعمال.

ثالثاً: تلك الأساطير لا تصور بأن الخالق له القدرة المطلقة، وأنه قادر على كل شيء، بل أوعزت دورة الخلق المتجددة والمتكررة إلى عملية التبادل القطبي بين الذكورة والأنوثة، أو إلى عملية الصراع بين الخير والشر، وفي كلا الأمرين؛ فإن استمرار العملية هو استمرار للحياة.

رابعاً: تبنت تلك الأساطير فكرة الخلود الروحي، وأن الأجساد ستفنى، والأبدان ستبلى، ولا قيمة لها أمام القيمة الجوهرية للروح، وهي من ذلك المنطلق قررت أن الخلود الأبدي هو الخلود الروحي، وهي بذلك تجعل الإله عاجزاً عن القدرة ببعث الأجساد وإعادة النشأة الآخرة، و"هي النشأة التي لا

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه برقم: (١٣٩١)، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، (ج ٣/ص ١١٦٦).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٣٤)، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (ج ١/ص ١١٩).

(٣) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٣١٠٢): كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (ج ٣/ص ١١٩٤)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٣٢): كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (ج ١/ص ١١٩).

تقبل موتاً ولا نومًا، وإنما هو الخلود والدوام في إحدى الدارين، وقدرة الله سبحانه وتعالى لا يعجزها شيء، وكما قدر بها على ابتداء الخلق، فقد برهنته على الإعادة من باب أولى وأحرى^(١). وبهذا يمكن القول بأن قضية الخلق والتكوين بمفهومها الفلسفي ساهمت بفاعلية في ظهور فلسفة الطاقة الكونية بما احتوته من محاور رئيسية تركزت حول العناصر الطبيعية المكونة للكون، والفكر الشرقي القديم كان هو من تبنى هذه الفلسفة، ولاحقاً فقد تأثرت الفلسفة اليونانية بهذه الفكرة. وفي العصر الحالي نجد أن هنالك محاولات لإحياء تجربة الاستشفاء بالعناصر المكونة للكون^(٢)، وجعلها في قوالب تدريبية وأنشطة تطبيقية كلها تدخل ضمن فلسفة الطاقة الكونية المنبثقة من تلك الأساطير والتي هي من نتاج الفكر البشري والذي يدعوا الإنسان إلى تأليه الطبيعة، وأن الإله يسري داخل الكون، والإنسان لا بد له أن يسعى لإيجاد موازنة متعادلة بين العناصر الطبيعية في حياته وفي جسده، يساهم بفاعلية في هذه الحياة، وعلى أن يكون دوره إيجابياً وليس سلبياً، يشارك في ضمان استمرارية الحياة، ويعضد ويشد من أزر الآلهة ويساندها في تكرار الخلق، والتطبيق الأمثل لهذه العملية هي من خلال ممارسة طقوس رأس السنة، وهي أيام مناسبة للتكفير والتطهر والتوبة، فيكون الإنسان قد جدد نفسه وساهم بفاعلية في إعادة تجديد العالم، وشعر بالتطهر ودفن الخطايا مع العالم الذي انقضى دون رجعة^(٣)، وهو بذلك يكون قد حقق التوازن بين الثنائيات (الكونية أو القطبية) والتي انبثقت من الإله الواحد الكلي المطلق، ذلك التوازن الذي بواسطته يحقق الإنسان في حياته

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٦٢٨.

(٢) من هذه المحاولات الفلم الكرتوني عن العناصر الأربعة، فقد قامت قناة نكلودين الأمريكية والمتخصصة في تصوير وعرض الأفلام الكرتونية في نشر سلسلة من مغامرات الأكشن حول أسطورة أنج من عام (٢٠٠٥ - ٢٠٠٨م)، ثم أتبعته بسلسلة أخرى تتعلق حول أسطورة كورا من عام (٢٠١٢ - ٢٠١٤م)، وملخص هذه السلسلة تدور حول أربعة قبائل كانوا يعيشون في سلام ووثام، وهذا القبائل الأربعة هي: الماء والنار والتراب والهواء، وكان سيد هذه القبائل الأربعة هو (الأفاتار) القادر على حفظ التوازن بينهم، ولكن حدثت مشكلة ما فقررت عشيرة النار بغزو القبائل الأخرى، فاختمت (الأفاتار أنج) مائة عام في جبل جليدي، وهو آخر أفطار كان قد ظهر، ثم عاد بعدما اكتشفه إخوته، وعودته تترتب عليه أن يوجد التوازن بين هذه العناصر الأربعة، ولكنه غير قادر لأن قبيلة النار أصبحت متمردة، ويتوجب عليه أن يتعلم كيف يسخر القبائل الأخرى للسيطرة على النار، في أسطورة أنج تم تصوير وعرض العناصر الثلاثة (الماء والنار والتراب)، وفي أسطورة كورا تم تصوير وعرض الهواء بالإضافة إلى الأرواح والتغيير والتوازن، وقد عرضت هذه السلسلة على قناة نكلودين بنسختها العربية بعد أن تمت دبلجتها، و(الأفاتار) لقب لا يمنح لأحد إلا من استطاع أن يوجد التناغم والتوازن بين العناصر الأربعة ليكون في حالة الاستعداد للدفاع عن النفس والقتال، وآخر أفطار ظهر هو أنج، ومن بعده ظهرت كورا وكلاهما من قبيلة الهواء، و(الأفاتار) في العقيدة الهندوسية هي حالة من حالات تجسد الإله ونزوله في صورة إنسان.

(٣) انظر: مغامرة العقل الأولى: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط "بدون" = ٢٠٠٢م، ص ٢٨.

السعادة الأبدية والراحة النفسية، ويصل في النهاية إلى مرحلة الاتحاد بالكل الواحد المطلق، فكان مصير هذا الإنسان وحياته ومماته ومآله محكوماً بهذه الأسطورة ومرتبطةً بفلسفة الطاقة الكونية وبتطبيقاتها التي تساعد في تأملاته ورياضاته الروحية، وتدفعه إلى اتخاذ أنظمة حمية غذائية خاصة، تساعد في استمداد الطاقة الكونية.



المطلب الرابع: الموقف من قضية تأليه الطبيعة.

إن فلسفة الطاقة الكونية فلسفة قائمة على توجيه الإنسان نحو تأليه الطبيعة وعبادة هذه العناصر المكونة للكون، وقديماً عبد الإنسان الماء وجعلها مقدسة وطاهرة؛ والماء رمز مقدس في كل الديانات سواء السماوية منها أو الوضعية، وفي فلسفة الطاقة الكونية فإن للماء دور كبير في مد الإنسان بالطاقة الإيجابية ودفع الشر عنه بإزالة الطاقة السلبية والملوثة، ومن الأمثلة على ذلك الاستشفاء بنظرية الكريستال، والتي تتركز حول مد الإنسان بالطاقة الإيجابية.

وعبد الإنسان النار وتوجه إليها بالعبادة، وقد كانت في شرع من قبلنا علامة فارقة ودلالة قاطعة على صحة قبول العمل؛ وقد ذكر المفسرون أن قابيل لما قتل أخاه هايل وهرب من أبيه واتجه إلى اليمن، أتاه إبليس وقال له: إن هايل إنما قُبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها، فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار^(١)، وفي فلسفة الطاقة الكونية فإن للنار أهمية بالغة في تحرير الإنسان من الطاقة السلبية إذ تدفعه نحو السيطرة على عقله الباطن، وتجعله متحكماً في قراراته وانفعالاته، وذلك من خلال التحكم في شاكرا الضفيرة الشمسية، كما أن الإنسان يستمد طاقته من خلال الشمس، والشمس عنصر كوني ناري، كما أن النار تمد الإنسان بالطاقة الإيجابية وذلك من خلال نظرية الاستشفاء بالكريستال بواسطة البخور، وتتم هذه العملية من خلال إشعال النار ووضع كمية من البخور عليها، وفلاسفة الطاقة يستطيعون استبصار الهالات البشرية وما يصدر عنها من ألوان مختلفة لكل منها خواص معينة^(٢).

كما أن الإنسان اتجه نحو التراب واتخذ منها صوراً وأشكالاً، وجعلها أصناماً وأوثاناً، وصرف لها أنواعاً من العبادة، وفي فلسفة الطاقة الكونية نجد أن الإنسان يستطيع أن يجلب الطاقة الأرضية لنفسه من خلال ممارسة بعض التمارين، وتستخدم هذه الطاقة غالباً في فنون الدفاع عن النفس والفنون القتالية كالإيزوتيرك والكي كونغ^(٣).

(١) انظر: اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١=١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (٧م/ص ٢٩٢)، وانظر أيضاً: تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة للنشر، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص ٥٧.

(٢) انظر: العلاج البراني بالكريستال: المعلم تشوا كوك سوي، ص: ٢٤.

(٣) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم تشوا كوك سوي، ص: ١٦٩.

لم يكتف الإنسان بعبادة هذا العناصر المحسوسة فقط، فقد توجه إلى تأليه الهواء معتقداً أن الهواء ليس إلا تجلياً من تجليات الإله الواحد، وأن في استنشاق الإنسان للهواء تدفعه إلى التحرر من نجاسة المادة إلى طهارة الروح، والاتصال بالخالق الأعلى ومن ثم الاتحاد به، وهذا لن يحصل إلا من خلال اتباع بعض التقنيات كتقنية الشاكرات والتي تستند على نظرية (اليوجا)، وتقنية الزوايات التي تستند على نظرية (الين - يانغ).

أيضاً توجه الإنسان إلى عبادة الشجر معتقداً بأنها ستنفعه وتدفع الضر عنه، وأن لها طاقة علاجية، وفي فلسفة الطاقة الكونية يدعي فلاسفتها بأن هناك أشجاراً معينة من خصائصها أنها تضح كميات كبيرة من الطاقة الكونية كأشجار الصنوبر وغيرها من الأشجار الكبيرة والعملاقة، ويمكن للشخص المريض أن يقصدها ويطلب الإذن منها ذهنياً أو شفهيّاً بأن تمدّه بالطاقة الإيجابية والشفائية، يمد يديه إلى جذع الشجرة محاولاً احتضانها، ويدور حولها عشر دورات، وأثناء الدورة تقوم راحة يديه بامتصاص الطاقة الحيوية، ويركز فلاسفة الطاقة على نقطة جوهرية هنا وهي أنك حين تستمد الطاقة من الشجرة عليك أن تتوجه بالشكر لها^(١).

واتجه الإنسان إلى الاعتقاد حول تأثير المعادن على نفسه وحياته، فاتخذ من المعادن أصنافاً وأشكالاً من الجواهر والمصوغات، واعتقد أن هنالك أحجاراً كريمة تؤهله لأن يعيش حياة كريمة، وعند فلاسفة الطاقة فإن للمعادن قدرة كبيرة في إيجاد التوازن بين الإنسان والكون، كما أنها تساعد في تنشيط الشاكرات وجلب الطاقة الإيجابية، وإزالة الطاقات السلبية المتعلقة بها، وتحويلها إلى طاقات إيجابية شفاوية، والشاهد الأمثل لهذه العملية تظهر من خلال نظرية الأورغون وهي عبارة عن مزيج من جزيئات معدنية محمولة ضمن مواد عضوية وغير عضوية بنسبة متساوية في وعاء مخصص، مع مراعاة تثبيت معدن نفيس أعلى الوعاء، لها قدرة كبيرة في امتصاص الطاقات السلبية من عين أو حسد أو سحر وغير ذلك وتحويلها إلى طاقات إيجابية.

وأما بالنسبة للأحجار الكريمة فتكمن أهميتها في كونها تساهم في إيجاد التناغم والتوازن بين الجسد والروح، ويدعي فلاسفة الطاقة بأن لكل (شاكر) حجراً معيناً مختص به^(٢):

(١) انظر: معجزات الشفاء بطاقة الحياة - الأرهاتيك يوغا - المعلم تشوكوك سوي، ص ١٨، وانظر أيضاً: معجزات الشفاء البراني للمؤلف نفسه: ص ١٧٠.

(٢) انظر: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: زكريا هيمي: ص ٨١-٨٢، وانظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: حسان جعفر: ص ١٤، وانظر أيضاً: التطبيقات المعاصرة: د. هيفاء الرشيد: ص ٤٣٥.

كما أن المعادن تساعد الإنسان على الاتصال بالواحد الكلي من خلال التأمل، ولا سيما التأمل اليوغي الذي يمكن من خلال النظر فيه والتركيز عليه التنبؤ بالأحداث الماضية والمستقبلية، وأن لها فوائد علاجية نفسية وجسدية، ولديها القدرة على مقاومة الأمراض وحفظ الإنسان من السحر والعين ولدغة الثعابين^(١).

وفي فلسفة الطاقة الكونية تظهر أيضاً تقنية العلاج بالكريستال، ويعتقد أن للكريستال قدرة على امتصاص واختزان وتسليط وتركيز الطاقات الشفافة^(٢).

هذه العناصر الطبيعية المكونة للكون والتي هي محور أسطورة الخلق والتكوين في الفلسفات القديمة ظنها الإنسان بأنها هي الخالقة والمدبرة للكون، بينما نسي أن هناك خالقاً أعظم من هذه المخلوقات تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

إن قضية تأليه الطبيعة قائمة على الخرافة والوهم، وقد ظهرت الخرافة في مجتمعات الشرق بشكل واضح، وأصبحت وسيلة لتمير المعتقدات وغطاء لها؛ طالما أنها لا تقوم على منهج علمي أو عقلي ولا مجال لتبريرها، وكثيراً ما يُلجأ إليها لتفسير المواقف التي لا يوجد لها تفسير علمي كمن يصاب بمرض عضال ولا يجد لها علاجاً فيربطها بسيطرة القوى الشيطانية عليها.

انتشرت الخرافة بين المجتمعات البدائية، وكانت هي الوسيلة المتبعة للاستدلال للمعتقدات ومحاولة تفسير عالم ما وراء الطبيعة تفسيراً مقبولاً في ذلك المجتمع؛ وإن كان لا يستند إلى منهج علمي أو عقلي، والإنسان في الفكر الشرقي القديم حاول أن يبحث عن مصدر الأمراض والأوجاع وعن الاكتئاب والأمراض النفسية، وبحث أيضاً عن مصدر الخير والشر، وعلاقتهم بالقوى الروحية والعالم الخفية، كما أنه حاول أن يجد تفسيرات منطقية حول الظواهر الكونية الطبيعية كفيضان الأنهار وحدوث الزلازل وانفجار البراكين، وحالة الخسوف والكسوف والمد والجزر وغيرها.

كما أننا نجد أن الإنسان البدائي حاول أن يربط بين ما توصل إليها من أبحاث وعلم ومعرفة، فاستطاع أن يوجد علاقات تبادلية بين الإنسان والكون، بين الحالة النفسية الروحية والحالة الجسدية المادية وبين الظواهر الطبيعية فخرج بنتائج هي في نظره حقيقة علمية، ولكنها في الحقيقة هي خرافة لا تستند على دليل علمي قاطع، ومن هذه الخرافات التي أثرت على فلسفة الطاقة الكونية:

(١) انظر: العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: د. حسان جعفر: ص ١٣، وانظر أيضاً: علاج الأمراض بالأحجار الكريمة:

زكريا هيمي: ص ٢٣، وانظر أيضاً: التطبيقات المعاصرة: ص ٤٣٧.

(٢) انظر: العلاج البراني بالكريستال: المعلم "تشو كوك سوي": ص ١٢.

اعتقد الإنسان بأن هناك أشخاصاً نورانيين لديهم طاقات هائلة يستطيعون من خلالها السيطرة على موجودات الكون، وفي الطاقة الكونية فإن فلاسفتها يعتقدون بأن لهم هالات نورانية يستطيعون استبصارها وتجليها، كما أنهم يستطيعون رؤية الهالات البشرية الأخرى بألوانها المختلفة، وتمييزها، ومعرفة مواطن الخلل والعلل.

ظن الإنسان قديماً بأن هناك قوى خفية تستطيع أن تتحكم فيه وتلحق به الأذى، وكان الطريق الأمثل لتخليص الإنسان من هذه القوى الشريرة الاستعانة بالرقى الحارة والطقوس السحرية أو رش المريض بالماء المحمول من أحد الأنهار المقدسة، كما أن هناك اعتقاد سائد بأن التمام التي تصنع من خيوط عنزة لم يقربها تيس هي من أشد أنواع التمام^(١).

من الخرافة اعتقاد الإنسان البدائي بأنه إذا حمل معه صورة الإله فإن ذلك كافٍ لإبعاد الشيطان وتخفيفه، وفي الطاقة الكونية إذا حملت معك مكثف طاقي فإن ذلك كافٍ لرد الطاقات السلبية عنك وتحويلها لطاقة إيجابية.

من الخرافة الاعتقاد بأن الأحجار الكريمة لها القدرة على دفع الضرر عن النفس، ومن هذا المنطلق ظن فلاسفة الطاقة الكونية بأن للأحجار الكريمة قدرات خارقة في استمداد الطاقة وحفظها في جسم الإنسان، والحصول على التوازن المثالي والتناغم بين العناصر الكونية فقرروا بأن لكل شِكراً من شاكرات الطاقة لها ما يناسبها من حجر، وأوجدوا علاقة متبادلة بينها وبين عضو من أعضاء الجسم.

من الخرافة الاعتقاد بأن الإنسان المريض يتأثر بالأصوات والترانيم، ومن هنا ظهرت فكرة العلاج بالطاقة الحيوية عن بعد؛ يستطيع المعالج أن يرسل طاقته لمريضه الذي يعالجه وهو في مكان آخر، وفلاسفة الطاقة الكونية خصصوا لعلاج كل مركز حيوي في جسم الإنسان صوتاً معيناً مختصاً به.

من الخرافة الاعتقاد بأن الألوان تملك قدرات علاجية ومن ذلك تخصيص كل مركز حيوي في جسم الإنسان بلون معين، وتخصيص حجر مناسب له ومقارب له في اللون، كما أن هناك تقنية العلاج باللون وهي مرحلة متقدمة في فلسفة الطاقة الكونية لا يصل إليها إلا من أفنى حياته في تعلم العلاج بالطاقة، ولها وسائل منها العلاج باستخدام النور البنفسجي الكهربائي، وهذا النور لا يستطيع أحد أن يراه إلا من يتمتع بقدرات تخيلية وجلاء بصري حاد، وهذه خاصية من خصوصيات فلاسفة الطاقة الكونية والمعالجين بها.

(١) انظر: قصة الحضارة: وليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون: (٢/٢٢٦-٢٢٧).

ومن الخرافات المتعلقة بالألوان الاعتقاد بأن الخرزة الزرقاء تدفع العين والسحر، وهذا منتشر بكثير في البلاد العربية، ويتم تعليق مسبحة زرقاء في المنزل أو في المحل لهذا الغرض، وهناك أنواعاً من الخواتم الزرقاء، وفي بعضها طلاس سحرية يعتقد أصحابها بأنها تدفع السحر والطاقات السلبية.



خاتم أزرق منقوش بطلسم سحري، يعتقد أنها تجلب السعادة وتدفع النحس

من الخرافة الاعتقاد بأن للإنسان هالة تحيط بجسمه المادي، وأن لها ألواناً معينة، وأن المختصين بفلسفة الطاقة الكونية استطاعوا أن يتحسسوا هذه الطاقة وأن يلامسوها، كما استطاعوا أن يصوروا تلك الهالة بجهاز اسمه جهاز (كيرليان)، وسواء كان هذا الاكتشاف صحيحاً أو لا فإن مما يجب معرفته هو أن المختصين بالطاقة الكونية استطاعوا أن يوظفوا هذا الاكتشاف لصالحهم، واستدلوا به على صحة دعواهم، وهذا الاكتشاف لا علاقة له بالهالة ولا بالطاقة الكونية.

من الخرافة اعتقاد الإنسان بأن الكون تؤثر في حياة الناس، فراح يفكر في الظواهر الكونية ويراقبها، وربط الكوارث الطبيعية بأفعال الإنسان الشريرة، وفسرها على أنها من غضب الآلهة، كما أنه راقب النجوم ودرسها وأوجد علاقة متبادلة بين الإنسان والنجوم وأنها تؤثر في حياته فظهر علم التنجيم وعلم الأبراج، وفي فلسفة الطاقة الكونية نجد أن هناك بعض التطبيقات تستند على علم التنجيم وعلم الأبراج ومن ذلك الفونغ شوي أو ما يعرف بطاقة المكان.

هذه جملة من الخرافات التي لا تستند لدليل علمي أو منهج عقلي، آمن بها الإنسان واعتقد بأن لها قوة في الطبيعة، وتأثيراً على حياته ومآله وعاقبة أمره، وأنها تجلب له السعادة والخير، وتدفع عنه النحس والشر.



المطلب الخامس: موقف الإسلام من قضية تسخير الإنسان الكوني للكون.

منذ القدم اعتقد الانسان بفكرة الإنسان الكوني؛ ذلك الإنسان الذي يملك نوعاً من الطاقة الخارقة، تتمثل في الوعي الإنساني نحو الكون، وهذه الطاقة باستطاعتها أن تخلق وتغير وتركب وتدمر المادة، كما أن هنالك اعتقاد بأن الإنسان الكوني يستطيع أن يذهب إلى أي مكان في هذا الكوكب ويسترجع المعلومات، وأنه يؤثر بما يمتلكه من طاقة على وعي شخص آخر، وليمكن الإنسان من تحقيق تلك المعجزات عليه أن يستجمع طاقته ويركز عليها ويوجهها بصورة خاصة^(١)، مما يجعله إنساناً متفرداً عن طبيعة الإنسان العادي، وإنساناً فوق الجبل البشرية؛ ذلك لأنه يملك الأدوات والمعارف التي تجعله قادراً على فهم أسرار الحياة، والتناغم مع الكون والتعايش مع العناصر الطبيعية، فهو إنسان متنور في داخله، ويشع نوراً على العالم بأسره!، إنه ليس ملكوتاً ولا كائناً آخر، بل هو بتنوره وتجاربه وتعايشه مع الكون والطبيعة استطاع أن يفهم معنى الحياة وأسرارها^(٢).

إن وصول الإنسان لهذه الدرجة التي جعلته إنساناً فوق العادة البشرية أو إنساناً كونياً أو إنساناً كاملاً أو شاماناً هي في الحقيقة ليس إلا تجلياً للواحد الكلي، وهي وإن اختلفت في المسميات إلا أن معناها واحداً وهو الوصول إلى فكرة أن العالم صورة ظاهرة ومنعكسة للواحد الكلي، والنور الإلهي متسلسلاً في جداول من الفيوضات يغمر الكون، وكل ذرة فيه يعكس صفة من صفات الحق تعالى، فالصفات الجميلة مثل الحب والرحمة تنعكس في شكل السماء والملائكة، والصفات المخيفة من غضب وعقاب تنعكس في النار والشياطين، والإنسان يعكس جميع هذه الصفات فهو جماعها^(٣).

(١) انظر: الحاسة السادسة، رحلة في عمق وعينا الكوني: د. أحمد توفيق حجازي: ص ٨٩.

(٢) انظر: حل شيفرة دافنشي "إكتشف الأسرار الروحية لقواعد ليوناردو السبع": مايكل غلب، ترجمة: سعاد وماجد مفتي: ص (١٧)، وليوناردو دافنشي هو مثال للإنسان الكوني الذي هو في نظر "غلب" استطاع أن يقدم للعالم صورة نموذجية عن المقدرة البشرية، فأعماله وحياته غير خاضعة للزمن، وعظمة دافنشي الروحية تتمثل في كونه استطاع أن يخلق بالقوة الموجودة في كل المعتقدات من المسيحية إلى اليهودية والإسلام والهندوسية والبوذية والطاوية ليعطي صوتاً للقيم والمثل العالية، فما هو إلا جسم من الحقائق التي تجتمع البشرية عليها بدلا من أن تفرق.

(٣) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة: ص ٢٣١.

إن تمرير فكرة الإنسان الكوني، والتسويق لفكرة وصول الإنسان العادي إلى هذه المرتبة وتحقيقه للمعجزات لم يكن من السهولة بمكان؛ ولعبت الحالة الدينية والمكانة الاجتماعية دورها في وصول الفرد لهذه المرحلة، ولفهم هذه الحقيقة علينا أن ندرك حالة المجتمع الذي يعاني من كل ما قرناه سابقاً من مشكلة كبرى نحو معبوده في فهم حقيقته وتصوره، ومروراً بالاعتماد على الأساطير لتمرير المعتقدات الدينية، واستناداً على الخرافات الشعبية والوهم لتبرير الظواهر الطبيعية، كل ذلك يحدث بعيداً عن المنهج الرباني ونور الوحي الإلهي، كما أن الاعتقاد الذي كان سائداً بتأثير القوة الغيبية وتأثيرها على الفرد والمجتمع، فكان من الطبيعي جداً أن تظهر فكرة الإنسانيّة الكونية، والإنسان الذي استطاع أن يفسر حالة الكون وأسرارها وطبيعة الوجود البشري في هذا الكون الفسيح من خلال ما هو مقرر لديه من تصورات حول الإله الواحد الكلي يستطيع أن يصل من خلال هذا التصور إلى فهم الطبيعة وتناغمها وبالتالي فإنه سيصل إلى مرحلة توظيف هذا التناغم مع متطلبات الحياة، فيعيش حالة نفسية رائعة تسودها الراحة والاطمئنان، ويغلب عليها التحكم في العناصر الطبيعية وتسخير الكون بما فيها من قوة غيبية كامنة لخدمة البشرية، ويعيش ذلك الفرد حالة من حالات تناغم الإنسان مع الطبيعة والكون، والإنسان الذي يعيش هذه الحالة هو إنسان كوني يستطيع أن يوظف الكون والطبيعة لحالته النفسية ويواكبها بمختلف تطوراتها ومستجداتها.

وإن من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية بما فيها من تطبيقات وتدرجات تؤصل لهذا المنهج وتروج لعبودية الطبيعة والكون في إطار واحد وشامل تحت مسمى الإنسانيّة الكونية أو الوعي الكوني هو أن الحالة الدينية والاجتماعية لأي فرد أو مجتمع يتبنى فلسفة الطاقة الكونية تنحصر في أمرين:

أولها: في الحالة الدينية التي سلّم فيها ذلك الفرد أو ذلك المجتمع فكره وعقله لمجموعة من الناس يوصفون بأنهم رجال دين!، فلا شعائر تعبدية ولا طقوس دينية تؤدي إلا بحضرتهم ولا تتم إلا من خلال وساطتهم، ولا تفسر الظواهر الحياتية والاشكالات الدينية إلا من خلال تصوراتهم ومعتقداتهم، فظهرت قاعدة (اعتقد ولا تنتقد) إذ لا مجال للفكر أن يبحث عن ماهية وحقائق تفسيرات سلطة رجال الدين، وإلا لاستحق اللعن والخلود في الجحيم.

ثانيها: في الحالة الاجتماعية التي سلّم فيها ذلك الفرد أو ذلك المجتمع جسده لمجموعة من الناس الذين يوصفون بأنهم (شامانات) فهم الناطقون باسم الآلهة والمتصلين بالعالم الآخر، هم الذين

يملكون أسرار الحياة من خلال نظرتهم الثاقبة، فالأمراض النفسية الروحية والأمراض الجسدية لا تعرف حقيقتها ولا تفسر ما هيبتها ولا تعالج إلا من خلالهم، وظهرت قاعدة (سليم ولا تشكك) إذ لا مجال للإنسان أن يعرف حقيقة مرضه وطرق علاجه إلا من خلال تفسيرات الوسيط الروحي (الشامان).

ولعبت الحالة الدينية بما احتوته من سلطة كهنوتية، والحالة الاجتماعية بما احتوته من سلطة روحية دورها في ظهور وتبني فكرة الإنسان الكوني، سواء في المجتمع الزراعي القديم، أو بعد الثورة الصناعية الحديثة.

وإذا ما تأملنا في واقع المجتمع الزراعي القديم نجد أنه مجتمع متدين يتحكم فيه رجال المعبد وكل الناس خاضعون لسلطتهم، هذا من ناحية وأما من الناحية الأخرى فنجد أن ذلك المجتمع بجانب كونه متديناً؛ فهو مجتمع أخضع نفسه لسلطة روحية ظل يبحث عن حقيقة عالم الأرواح وعن مصير أسلافه وكيفية التواصل معهم، وعن مآله إذا هو ما انتقل إلى ذلك العالم، ولذلك نجد أن الفكر الشرقي القديم اهتم كثيراً ببناء القبور والأهرامات، وكانت القبور وطريقة بناءها هي من تحكم على سعة واقتدار الفرد من غيره.

وأصبحت السلطة الروحية نمطاً وحدثاً اجتماعياً يهم كل أفراد المجتمع ومؤسساته، وأضحت الشامانية واحدة من أكبر الأنساق التي تخيلها العقل البشري في مختلف أنحاء العالم؛ إذ تمخضت من تصور الإنسان في ذلك المجتمع عن الكون الذي حصره في ثنائيات قطبية - بعيداً عن خالقها ومنشئها-، فما العالم إلا كائن مكون من مرئي ولا مرئي وكلاهما يكمل دور الآخر، وما الإنسان إلا روح أو نفس وجسد وكلاهما يكمل دور الآخر في حركة جاذبية رائعة تضمن استمرار الحياة في الكون، ولتمنح معنى للأحداث ولكي تؤثر فيها، ولكي تتدخل لمعالجة وإصلاح أمر ما، أو لإبعاد مصيبة أو حدث كارثي خطير^(١).

وإذا كانت الشامانية حدثاً مهماً يهم كل أفراد المجتمع ومؤسساته؛ فإنها نجحت في تقديم صورة نموذجية عن وعي الإنسان للكون، وأصبح الشامانيون هم الذين يمثلون الإنسانية الكونية لما يملكون من وعي نحو الكون، وبفضل ما يملكونه من قدرات منحتها إياها إيمانهم بتأثير القوة الغيبية الكامنة، فاستطاعوا أن يكونوا الناطقين باسم الآلهة والذين يملكون حق التواصل مع العالم الآخر عالم ما وراء الطبيعة فكانوا وسطاء روحيين يسافرون فيما بين الحدود بالقدر الذي يمكنهم من أداء وظائفهم، كم

(١) انظر: الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ترجمة: إدريس كثير، ص(٧-١٣).

أنهم ينتمون إلى العالم الآخر والعالم المادي، فكانوا عناصر نشطة وفعالة في سلسلة تربط هذا القطب بذلك^(١).

باختصار شديد فإن الشامان أو الإنسان الكوني هو المدير لشؤون الكون العارف بأسراره وخباياه، هو الذي يؤثر في العلاج، وهو الذي يرزق الناس ويخلصهم من الجفاف أو قلة الموارد، وهو الذي بواسطته تحفظ المحاصيل من شر الكوارث، وهو الذي يضعف قوات العدو إذا ما قررت الجماعة خوض حرب ما، وإذا كان الأمر كذلك فإن من المهم معرفته هو أنه كيف يمكن للفرد أن يصل إلى درجة الإنسانية الكونية؟ هل هو من خلال الاصطفاء الإلهي أم من خلال البحث والاكتماب المفضي إلى تحمل الصعاب بمحض إرادته وعزمته، فيواجه قسوة المناخ والصوم والاستعداد للتضحية ونكران الذات، والانعزال في الكهوف لأسابيع، أو في قمة الجبال المعتبرة قمماً مقدسة إلى أن يتلقى علامات وإشارات من اللامرئي، أم من خلال الوراثة والاستخلاف العائلي، إذ تُبذل كل الجهود لتبقى الشامانية وسط العائلة، يساعدهم في ذلك أجدادهم الذين قضوا نجبتهم والمتمنين سلفاً إلى العالم الآخر؟.

كل الطريق موصلة إلى ذلك، ذلك لأن المنطق الشاماني يقضي بأن يمنح العالم الآخر الشخص الذي يرغب في الوصول إلى الوعي الكوني أرواحاً مساعدين له؛ وهذا يعني أن الشخص تم اختياره من قبل العالم الآخر، مع ضرورة الأخذ في الاعتبار بأهمية العلامات التي تظهر في مرحلة الاختيار وبلوغ مرحلة الوعي الكوني كالأحلام والرؤى، أو ظهور حالات مرضية أو نفسية^(٢)، أو نفور من

(١) انظر: الشامانية: ص ١٥-١٦).

(٢) يقر المختصين والمهتمين بالدراسات الإنسانية بأن هؤلاء الشامان يعانون من أمراض نفسية وعصبية، وهذه الأمراض هي بسبب تعاطيهم الشديد لمادة "التبغ"، وقد ذكر ميشال بيران في كتابه: "الشامانية فلسفة للحياة" في افتتاحية الفصل الثاني: تجربة تعميديّة لشامان ينصح بتعاطي التبغ، ويقول: (بأنه طريق الأرواح وغذاء العقول..، وعلى التبغ أن يدخل جسدك، وعليك أن تجعل منه حليفك وهو سيقودك حيث تريد ويجعلك ترى) أ ه، كما يذكر أن شعب الـ "هويتشول" وهم قوم من المكسيك يحجون سنوياً إلى ويريكوتا" وفق مسيرات مقدسة ينتظم فيها كل الجماعات لقطف حشائش الهلوسة، ويرى "بيران" بأنه لا مانع من الشامان بأن يتعاطى الأعشاب المهلوسة أو حتى الحبوب المخدرة لكي يصل إلى اللامرئي، بل ويؤكد على أن النتائج المترتبة عن المخدر غالباً ما تكون مقبولة لأنها تؤدي إلى مسارات عجيبة وعوالم ثقافية محددة بشكل جيد، وتسمح لهم بأن يصلوا إلى حالة من الاندماج المرتبطة بقوة الأصول، فتمنح القدرة على تشخيص الأمراض وتحرير الأرواح المسجونة، وعليه أن يتعاطى أكثر حتى يصل إلى قدرة جيدة لمعيشة الأسطورة!!.

بعض المأكولات أو اللقاءات الغريبة، أو حتى تلك العلامات التي تبدو مع الولادة وتظهر على أنها من خوارق العادات^(١).

هذا هو حال الإنسان في المجتمع الزراعي القديم، اختزل نظرته للكون في ثنائية قطبية، وجعل الوصول إلى التعايش مع هذه القطبيات هدفه الأسمى، فأخرج للعالم صورة واقعية تفسر حالة الإنسان مع الكون، إنها صورة الشامانية التي مثل فيها أفرادها حالة من الوعي الكوني المنبثق من إيمانهم بالقوة الغيبية الكامنة وتأثيرها على حياة الفرد والمجتمع، فكانوا أناساً كونيين.

وبعد ظهور الإسلام وبعثة سيد الأنام - ﷺ - وفي ظل الفتوحات الإسلامية الكبيرة وسقوط الامبراطوريات وزوال الحضارات التي كانت تعاني من مشكلة كبرى نحو معبودها وخالقها، دخل الناس في دين الله أفواجا، وعانت الأمة الإسلامية من لوثة الأفكار الوثنية الوافدة، والتي كانت ولا زالت عالقة في أذهان كثير من الناس، وظهرت موجة التصوف والدعوة إلى تبني الرهبانية فظهر التصوف الفلسفي الذي اختلط بتلك الفلسفات التي كانت موجودة في المجتمعات الوثنية القديمة، وظهرت فكرة الإنسان والكون بالنحو الذي كان موجوداً في الفكر الشرقي القديم؛ تلك الفكرة التي تدور حول التجلي الإلهي في الصور الكونية، ويكمن دور الإنسان في التشبه بالإله، أو التخلق بأخلاق الله؛ وبصورة أخرى وأعمق: الفناء عن الصفات البشرية والذات، والبقاء بالصفات الإلهية والذات^(٢)، والإنسان الذي يصل إلى هذه المرحلة هو إنسان كامل جامع للحقائق الإلهية والحقيقة المحمدية التي هي مصدر العلم الإلهي الباطني، والقطب الأعظم الذي يتحكم في الكون، هو العقل الأول والقوة الإلهية العاقلة غير المتصلة بالكون، والعقل الكلي والقوة العاقلة التي تسري في الكون، هو الكتاب والقلم الذي سُجِّل فيه كل شيء، هو المادة الأولى أو الهيولى فهو أصل كل موجود^(٣)، وكلها مصطلحات لها اعتباراتها في التصوف الفلسفي تصادف تلك المعاني الموجودة في الإنسان الكوني الذي روجت له الشامانية القديمة، نشاهد ذلك بوضوح إذا ما أدركنا خصائص ومميزات الإنسان الكامل في التصوف الفلسفي فقد ذكروا أن الإنسان الكامل هو روح العالم، ونسبته إليه كنسبة الروح الإنساني إلى البدن من حيث العدم والوجود، وأنه موجود على الصورة الإلهية أزلاً وأبداً، وهو مرآة الحق، ومتى ما انطبع الإنسان بالصفات الإلهية يكون هو هو، مثل الله تعالى!، كما

(١) انظر: الشامانية، ص (٣٥-٤١).

(٢) انظر: الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله خوجة: ص ١٣٥.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ١٦٠.

أن له جانبان: إلهي وخلقى؛ فله جميع الصفات الإلهية والكونية، وهو برزخ وواسطة بين الحق الخلق، فالفيض الإلهي يصل الخلق من خلاله، ووصول الخلق إلى الحق والفناء فيه يكون من خلاله، وأنه يظهر في كل زمان ومكان، وهو واحد وأكمل ظهور للإنسان الكامل تجلى في صورة نبينا محمد ﷺ - ثم الأنبياء ثم الأولياء، كما أن له التصرف والتمكين في الكون والكشف^(١)، وأن الطرق الموصلة إلى الإنسان الكامل هي نفس الطرق التي ذكرناها في الشامانية القديمة من الاصطفاء الإلهي والاستعداد والتضحية أو الاستخلاف والوراثة.

ولم يختلف الحال كثيراً حتى مع وصول الإنسان إلى عصر الثورة الصناعية، وأصبحت محاولات إحياء فكرة الإنسان الكوني والشامانية القديمة هاجساً لدى المتأثرين بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية وتطبيقاتها، وتطور الأمر من قضية ارتقاء الإنسان العادي ليصبح إنساناً كونياً إلى قضية أشد منها خطورة على الفرد والمجتمع، وتجرت الإنسانية على المعتقد والسلوك حين أعلنت بأن الإنسان لم يعد بحاجة إلى إله!، فهو في حد ذاته إله، وأصبحت قضية تأليه الإنسان من أشد القضايا فتكاً للقيم والمبادئ، إذ ساهمت في نشر التحرر النفسي والعقلي من كل القيم الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية، والمعتقدات الدينية، وحتى الإنسان في المجتمع الزراعي حين أخضع للمعتقدات الوضعية، كان محافظاً عليها، لأن تلك المعتقدات أنشأت في نفسه "الضمير"، فظل خاضعاً لما يمليه عليه ضميره.

بيد أن ذلك "الضمير" وجد نفسه في مقتل حين تبنت الباطنية الحديثة من المهاريشية وحركة العصر الجديد وغيرهما من الحركات الباطنية قضية تأليه الإنسان، وسعت المهاريشية عن طريق برنامجها "التأمل التجاوزي" إلى إطلاق عنان الفكر والضمير والوجدان، حتى يشعر الإنسان براحة عميقة تناسب داخله، وتعتمد على تحرير النفس من كل أنواع الكبت، وتحقيق السعادة عبر تشريع الإباحية، وتحرير العقل عبر الترويج للعقاقير المخدرة، ومن ثم عدم الالتزام بأي قيد يحول بين النفس وبين ممارسة نوازعها الحيوانية الطبيعية^(٢).

بينما كان لحركة العصر الجديد دور كبير في نشر فكرة "الإنسان الإله"، ولئن كانت منطلقات المهاريشية "شهوانية" إلا أن حركة العصر الجديد قد انطلقت في طرحها من "الشبهات"، فانطلقت

(١) نفس المصدر السابق: ص ١٤٨.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة: د. مانع الجهني، ص (٧٧١-٧٧٥).

من قضية أصل الوجود، فإن أصل الوجود عندهم "واحد"، ويعبر عنه كثير منهم بـ"الإله"، والذي هو ليس إلا وجودًا مطلقًا، ثم إن ذلك الإله تشكل في المادة، وتجسد في المحسوس، ومع طول المدة ابتعد عن طبيعته، ونسي أصله!، وهو في أبسط أشكال المادة، ثم أخذت هذه الكائنات البدائية بالتطور والنشوء والارتقاء إلى أن تشكلت في أرقى أشكال الوجود المادي المتجسد في الإنسان الذي يحمل بداخله "شرارة الإله"، ولذلك فإن أسمى غايات حركة العصر الجديد هي استخراج تلك الشرارة، وإطلاق القدرات الكامنة، وتحرير الإله الذي بداخل كل إنسان، ومن ثم تدرك البشرية حقيقتها الإلهية^(١).

(١) انظر: حركة العصر الجديد، مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ص ٢٩٢.

المبحث الثاني

الموقف من قضايا التأثير

وفيه مطلبان:

- * المطلب الأول: قواعد مهمة في التعامل مع قضايا التأثير.
 - * المطلب الثاني: الموقف من المؤثرات الغيبية على النفس.
- السحر.
 - الكهانة.
 - التنجيم.
 - تحضير الأرواح.
 - التعاويذ والصيغ المقدسة.
 - التأمل والتركيز الفكري.



المبحث الثاني

الموقف من قضايا التأثير



وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قواعد مهمة في التعامل مع قضايا التأثير.

تعتبر فلسفة الطاقة الكونية من أهم الفلسفات التي عنيت بقضايا التأثير، فهي قائمة أساساً على مبدأ التأثير على الناس، والهدف من إيجاد هذا التأثير هو خدمة البشرية ونفعها، وقد تنوعت معالم هذا التأثير، وبعضها قائم على جلب الطاقة الكونية من خلال استتراق العوالم الغيبية، ودفعها إلى داخل الجسم الإنساني من خلال الدخول إلى الجسم الأثيري، وهذا الجسم لا وجود له في عالم المادة، وإنما هو من قبيل أجسام العالم الغيبي الخفي، ويعتقد المؤمنون بمثل هذه الأجسام أن الجسم البشري يقابله جسم مماثل له في عالم الأرواح والغيبيات، في تجسيد واضح لفلسفة أفلاطون المثالية.

وقبل الخوض في معرفة حقائق قضايا التأثير، نتعرف على بعض القواعد المهمة التي تساعد على فهم حقيقة تلك المؤثرات، وحرى بالشخصية المسلمة حين تتأثر بالأفكار العقدية الوافدة أن تعرف هذه القواعد، وتحيط بها علماً ووعياً، وتدرك طريقة التعامل مع المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية.

من هذه القواعد:

أولاً: أن الأصل في ألفاظ التأثير أنها من الأمور الإلهية والمعارف الدينية، ومردّها إلى مصدر

صحيح.

والمقصود أن تلك الألفاظ التي يتم تداولها على أنها من قبيل التأثير على النفس الإنسانية أنها من الأمور الإلهية، فلا يقبل فيها اجتهاد البشر، وخصوصاً إذا كانت تلك النصوص فيها ما يشبه فعل السحرة فيما لا نفع فيه، وهي دائرة ضمن الأوهام والخرافات، كالمعالجة بالإيحاء النفسي، والسيطرة على المريض، وإرسال الطاقة الكونية من مسافات قصيرة أو بعيدة.

والتأمل في تطبيقات الطاقة الكونية يجد أن أغلب تلك التطبيقات تعتمد على تردد المانترات الهندوسية، وهي صيغ مقدسة وتعاويد ورقى مصدرها السحر والكهانة والتنجيم، وقد وضعها فلاسفتهم من أجل معالجة أتباعهم الذين يعانون من المشاكل النفسية.

كما أن من ضمن التطبيقات المعالجة باللمس "الريكي"، وقد مر معنا أن ذلك التطبيق يحتوي على جملة من الرموز السحرية التي تستخدم في معالجة المريض، كما أن البرانا تتضمن مخاطبة الكائنات الغيبية والتوسل إليهم من أجل تحقيق الإرادة الشخصية.

وقد تأثر كثير من المسلمين بمثل تلك التطبيقات، وأصبح الأمر متعلقاً بضابط يضبط المسألة، والشخصية المسلمة حين تجد نفسها أمام مثل هذه المعتقدات، فإن من المستغرب أن ينساق الفكر إلى تصديق مثل تلك الأوهام والخرافات، وأول أمر يُبحث عنه في مثل هذه القضايا هو مصدر التشريع، فالشخصية المسلمة واجب عليها أن تبحث عن مصدر تلك الألفاظ المؤثرة، لأن هذا دين؛ والدين لا يؤخذ إلا من خلال المصادر المعتبرة، وهذه المصادر تتجلى معالمها في القرآن والسنة، بفهم سلف الأمة، وإذا كانت الأمور الإلهية والمعارف الدينية إنما تؤخذ من ذلك المصدر، فإن ألفاظ التأثير من باب أولى، لأنها من أبواب النفع، ولا يوجد في هذه الدنيا من هو أحرص على الخلق من محمد - ﷺ -، فهو أعلم الخلق بما ينفعهم ويضرهم، ولا يوجد خير إلا وقد دل الأمة عليه، ولا يوجد شر إلا وقد حذر الأمة منه، وفي هذا السياق يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: " فالرسول أعلم الخلق بها - أي بالأمور الإلهية والمعارف الدينية -، وأرغبهم في تعريف الخلق بها، وأقدرهم على بيانها وتعريفها، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والإرادة، وهذه الثلاثة بما يتم المقصود، ومن سوى الرسول إما أن يكون في علمه بها نقص أو فساد، وإما أن لا يكون له إرادة فيما علمه من ذلك فلم يبينه إما لرغبة وإما لرهبة وإما لغرض آخر، وإما أن يكون بيانه ناقصاً ليس بيانه البيان عما عرفه الجنان" (١).

وإذا كان الرسول - ﷺ - هو أعلم الخلق وأحرصهم عليهم بما ينفعهم ولا يضرهم؛ فإنه هو القائل: "اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقية ما لم يكن فيه شرك" (٢)، ويأتي هذا الأمر النبوي لبيان خطورة التعامل مع النصوص المؤثرة، والتي يُجهل معناها، ولا يعرف مصدرها، اللهم إلا من همهمات الكهنة وأساليبهم في التأثير على الناس، واستغفالمهم والسيطرة على عقولهم ونفوسهم. ومن هنا ندرك أن حقيقة التأثير إنما هو عبارة عن نوعين:

(١) انظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٣-١٣٦-١٣٧).

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عوف بن مالك الأشجعي - رحمه الله -، رقم (٢٢٠٠)، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، انظر: (م/٤ ص ١٧٢٧).

النوع الأول: تأثير إلهي، مصدره الوحي الإلهي، ويقصد منه الالتجاء بالله، والاعتصام به من شر ما يؤذي الإنسان من أمراض وعلل، ولا يتم إلا من خلال تلاوة النصوص المخصصة لذلك من القرآن والسنة.

النوع الثاني: تأثير شيطاني، مصدره العوالم الغيبية غير الحسية، ويقصد منه استجلاب القوة، ثم معرفة الغرض من ذلك الاستجلاب؛ فإذا كان للخير فهو طاقة كونية، وإذا كان للشر فهو سحر أسود. وكلا النوعين لا تتم إلا بمساعدة الشياطين، وإعداد الطلاس، ومعرفة الرموز السحرية المخصصة لذلك.

والمهتمون بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية يرفضون استخدام كلمة "سحر" للدلالة على أفعالهم، ويرون أنها من العلوم الإلهية، وهذا من الافتراء على الله، والمتتبع لأحوالهم يجد أنها لا تخرج عن أفعال وتصرفات فلاسفة الفكر الشرقي القديم وحكمائهم الذين كانوا يتعاطون السحر والكهانة، ويدعون أن لديهم القدرة في التواصل مع الكائنات الإلهية، وهي كائنات من العالم الغيبي غير الحسي، اتخذوهم معبودات من دون الله، وكانت تلك الكائنات الغيبية تستمتع بهم، وتتلذذ بإيذائهم عبر التسلط عليهم، ولذلك كانوا ينقطعون عن الناس، ويعيشون في المغارات والكهوف، ويمتنعون عن الزواج وأكل اللحوم، ويقضون أيامهم في ممارسة التأمل وترديد التعاويذ التي تستجلب تلك الكائنات الغيبية، وكان الناس البسطاء يظنون أنهم رجال صالحون، وكانوا يسموهم برجال الغيب^(١)، وحققتهم يصورها الإمام الذهبي -رحمته- فيقول: "والعابد العري من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدقة والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابا يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب -والله- في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارزقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه^(٢)."

وهذا السلوك الذي يتنافى مع الطبيعة البشرية عاجلها الرسول -ﷺ-، وقد حذر من تلك الانحرافات السلوكية، وعالجها على الفور، الأمر الذي أدى إلى قطع طريق الرهبانية في الإسلام، فعن

(١) انظر: مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٣-١٣٦-١٣٧).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ

شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣=١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (١٢م/ص٩٠).

أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها وقالوا: أين نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم، فقال: "أنتم الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني" (١).

فلا وجود لهذه الانحرافات السلوكية في الشريعة الإسلامية، يقول الإمام الذهبي - رحمته الله -: "والسلوك الكامل هو الورع في القوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المر برفق وتؤدة، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحيان، وكثرة الاستغفار في السحر، فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمدين - أماتنا الله على محبتهم - (٢). وبهذا يتضح أن الأصل في ألفاظ التأثير يجب أن تكون من مصدر صحيح، وهو الكتاب والسنة، والالتزام بهذا المصدر يجعل المسلم في موقف المعظم لنصوص الكتاب والسنة؛ لأنه يعتقد أن كل ما تضمنته هو الحق والصواب، وفي خلافهما الباطل والضلال (٣)، وأن ما سواهما من المصادر هي من قبيل الأوهام والخرافات، والابتعاد عنها واجب لما في خطورة التعامل معها من أثر سيء على النفس، وجناية على التوحيد والمعتقد، وانحراف على السلوك والجملة البشرية.

(١) متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٧٧٦)، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، انظر: (م/٥٠ ص ١٩٤٩)، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٤٠١)، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، انظر: (م/٢٠ ص ١٠٢٠).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء. (م/١٢ ص ٩٠).

(٣) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: أ.د. عثمان بن علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٧ = ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، (م/٢٠ ص ٧٣٢).

ثانياً: أن الأصل في النصوص التي يظن أنها من قبيل التأثير؛ أن تكون محفوظة ألفاظها، مفهومة معانيها.

وهذه من القواعد المهمة التي يجب على الإنسان معرفته، وهي موقفه من النصوص التي يعتقد أنها مؤثرة، وما هي مصدر هذه النصوص، فالإنسان لا يتعاطى التعامل مع النصوص التي لا يدرك معناها، فضلاً على أن يعتقد أنها مؤثرة على النفس، وفي هذا السياق فإن الموقف من النصوص التي هي من قبيل التأثير تتجلى في كونها نصوصاً صحيحة المعنى، سليمة المبنى، وهذه القاعدة لن تتحقق إلا بشروط اعتبارية، وهي:

١. أن يكون النص الذي يراد به التأثير وحيماً إلهياً، فلا بد أن يكون من كلام الله - ﷻ - متضمناً أسمائه وصفاته، وبهذا فلا عبرة بالنصوص العبرية والسريانية والهندية؛ فإنه لا يحل اعتقاده^(١)، وخاصة إذا ما أدركنا أن الدين في الفكر الشرقي القديم ولا سيما في الهند كان مختلطاً بعلوم السحر، وتلك هي ديانتهم، ويقصد منها التسلط على الآلهة بالرياضات والتكشف والتضحية، ولما جاءت البوذية التي هي إصلاح للبرهمية لم تحذف السحر؛ بل أقرته، ولا يزال عظيم الاعتبار في التبت والصين^(٢).

ثم إن النصوص التي يقصد منها التأثير على الإنسان، وهي تلك النصوص الوافدة من خارج البيئة الإسلامية لا تتوافق مع الشرع، لأن تلك النصوص هي في حقيقتها كلام السحرة المتضمن الاستعاذة بالشياطين والاستغاثة بهم، والغاية منها إيجاد القوة المؤثرة بواسطة الشياطين، والتعامل معها محرم، وهي داخلة في الأعمال الموبقة، وهي من أعظم الكبائر بعد الشرك بالله، والحقيقة أن تأثيرهم خيال وليس له في الواقع شيء، ولذلك فإن تأثير الإنسان الكوني مهما أعطي من قوة وسلطة؛ فإن تأثيره لا يمكن أن يرتقي إلى درجة التحدي والإعجاز؛ ذلك لأن أفعالهم مقتصرة على الخداع والتأثير بالإيجاء، فهم يوهون على الناس، ويلبسون الباطل، ويخيلون أنهم على الحق^(٣)، وبهذا ندرك أن كل النصوص التي يراد بها التأثير مردودة إلا ما كان مستنداً على وحي إلهي.

(١) انظر: روح البيان في تفسير القرآن: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوئي الحنفي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، (م/١٠ ص ٥٤٣).

(٢) انظر: دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٢= ١٩٧١م، (٥م/٦٥)، نقلًا عن: عالم السحر والشعوذة: د. عمر بن سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ٤= ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٣٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٥٠٩.

٢. أن تكون تلك النصوص المؤثرة واضحة المعنى، وليس من قبيل همهمات السحرة والكهنة، ولخطورة هذا الأمر فقد جاء الأمر النبوي معضداً لذلك، فعن عن عوف بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: "كنا نرقى في الجاهلية فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ قال: "اعرضوا علي رقاكم"، فكان مقصده - رضي الله عنه - من ذلك العرض أن يعلم ما يريدون قوله في التأثير على المريض، لأن العرب كانت تعرف الرقية، وكانوا يقصدون طلب البركة بأهل الصلاح والدعاء إلى الله، وأصلها وارد من الأديان السماوية، ثم طرأ عليها سوء الوضع عند أهل الضلالة فألحقوها بالسحر أو بالطب، ولذلك يخلطونها من أقوال ربما كانت غير مفهومة، ومن أشياء كأحجار أو أجزاء من عظم الحيوان أو شعره، فاختلط أمرها في الأمم الجاهلة^(١)، ولذلك قال الرسول - رضي الله عنه -: "لابأس بالرقية ما لم يكن فيه شرك".

يقول الشيخ حافظ الحكمي - رحمته الله -: "أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ، ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة، ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤْخُونَ إِلَيْكُمْ﴾^(٢)، وعليه يحمل قول النبي - رضي الله عنه - في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه -: "إن الرقى والتائم والتولة شرك"^(٣)؛ وذلك لأن المتكلم به لا يدري أهو من أسماء الله تعالى، أو من أسماء الملائكة، أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفر أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضرر، أو رقية أو سحر"^(٤).

ولما كان الأصل في النصوص التي هي من قبيل التأثير أن تكون محفوظة ألفاظها، مفهومة معانيها، عرف بعد ذلك أن محاولات الوصول إلى المعرفة الباطنية عبر استطراد العوالم الغيبية غير المحسوسة عبر الوسائط المؤثرة من المانترات والتعاويد الموصوفة بالقداسة كلها من تزيين الشياطين، وإيحاءاتهم إلى أوليائهم، وهي ليست إلا وسواس شيطانية زخرفوها، وخرافات مضلة ألفوها، وأكاذيب مختلقة

(١) انظر: التحرير والتنوير: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط "بدون"

= ١٩٨٤م، (م/٢٩٩/ص٣٥٩).

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم (٣٨٨٣)، كتاب الطب، باب في تعليق التائم، انظر: (م/٤٩/ص٩)، قال الألباني:

صحيح.

(٤) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول: العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر،

الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، (م/٢٠/ص٥٠٨).

لفقوها، لم ينزل الله بها من سلطان، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان، إن هؤلاء إلا كاذبون أفاكون مفترون، وسيجزون على ما كانوا يعملون^(١).

٣. الإيمان الجازم بأن ما دلت عليه النصوص الشرعية هو الحق من عند الله تعالى، وكل ما خالفه فهو باطل^(٢)، ومن هذه النصوص الشرعية ما عرف منها أنها سبب من أسباب التأثير، دل على ذلك الفهم الصحيح لمقاصد الكتاب والسنة، كما دل عليها فعل النبي ﷺ -، وصحابته الكرام، وسلف هذه الأمة من بعدهم، والله -ﷻ- أخبرنا في غير موضع بأن القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، وقال أيضاً، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤)، وقال أيضاً ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾^(٥).

فإيماننا بالله -ﷻ- يستلزم منه الإيمان الصادق الجازم الذي لا يعتريه الشك بأن كلام الله -ﷻ- الذي بين أيدينا يتضمن التأثير على النفس، فهو الأساس الذي يبنى عليه طمأنينة القلب، وبالتالي فهو زاجر للنفس عن الفواحش، وشفاء لما في الصدور من الشبه والشكوك المستلزم إزالة ما فيها من رجس وذنس، ومحصل لها الهداية والرحمة من الله تعالى، وكل ما سبق هو خاص للمؤمنين به، والمصدقين الموقنين بما فيه، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك، فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعدا وتكديبا وكفرا، والآفة من الكافر لا من القرآن، وقد أخبر الله -ﷻ- بأن الذين لا يؤمنون به في آذانهم وقر؛ فهم لا يفهمون ما فيه، ولا يهتدون إلى ما فيه من البيان^(٦).

والشخصية المسلمة حين تهتدي إلى معرفة هذه الحقائق، فإنها لن تلتفت إلى غيرها، ومسكين من يصرف النظر عن ما لديه من كنوز المعرفة ليهتد بها في أساطير الخرافة وقراطيس الفلسفة، وحين أخاطب أولئك المساكين الذين اغتروا بالفلسفة، وتأثروا بتلك المفاهيم، وظنوا أنهم يحسنون صنعا، حين اعتقدوا بتأثير الكائنات الغيبية على الإنسان، واتخذوا من الوسائط السحرية المؤثرة سلماً

(١) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول: العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، (٢م/ص ٥٠٩).

(٢) انظر: أصول أهل السنة والجماعة في التعامل مع النصوص الشرعية: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: مركز

تأصيل للدراسات والبحوث، ط ١=١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص ٢٢.

(٣) سورة يونس، الآية رقم (٥٧).

(٤) سورة الإسراء، الآية رقم (٨٢).

(٥) سورة فصلت، الآية رقم (٤٤).

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، (٧م/ص ١٦٨).

للوصول إلى المعرفة الباطنية، فإني أضرب لهم مثلاً من واقع الحياة المادية، وأترك لهم التعليق، ونحن نعيش ثورة صناعية غير مسبوقة في عالم التقنية، فإن أحدهم لو نظر إلى هاتفه الذي في يده بما فيها من نظام ذكي سهل للبشرية نمط معيشتها، فلو قيل لأحدهم اترك هذا الهاتف الذكي الذي في يدك، وارجع إلى استخدام هاتف لا يعتمد على ذلك النظام الذكي، هل تراه يفعل!، فإذا كان هذا واقع الحياة المادية، أو ليس واقع الحياة الروحية تتطلب مثل ذلك، والحق أحق أن يتبع.

٤. الاعتقاد الجازم بأن تلك الألفاظ المؤثرة لا تنفع مخلوقاً ولا تضر، وأنها مجرد أسباب، لا تأثير لها إلا بإذن الله - ﷻ -، فلا يعتقد النفع فيها لذاتها؛ بل فعل الراقي السبب، والله هو المسبب إذا شاء^(١).

قال الإمام القرطبي - رحمه الله -: "فيجب على كل مكلف أن يعتقد أن لا شافي على الإطلاق إلا الله تعالى وحده وقد بين ذلك رسول الله - ﷺ - بقوله: "لا شافي إلا أنت"^(٢)، فيعتقد الشفاء له وبه ومنه، وأن الأدوية المستعملة لا توجب شفاء، وإنما هي أسباب ووسائط يخلق الله عندها فعله، وهي الصحة التي لا يخلقها أحد سواه، فكيف ينسبها عاقل إلى جماد من الأدوية أو سواها، ولو شاء ربك لخلق الشفاء بدون سبب؛ ولكن لما كانت الدنيا دار أسباب جرت السنة فيها بمقتضى الحكمة على تعلق الأحكام بالأسباب. وإلى هذا المعنى أشار جبريل - عليه السلام - وأوضحه بقوله لرسول الله - ﷺ - «بسم الله أرقيك والله يشفيك»^(٣)، فبين أن الرقية منه وهي سبب لفعل الله وهو الشفاء"^(٤).

والمتأمل في حال المتأثرين بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية يشاهد نماذج من معتقداتهم حول تأثير المظاهر الطبيعية والكونية على الإنسان، وكيف أنهم يتوجهون إلى العناصر الطبيعية ويخاطبونها بالتوسل والدعاء، ويعتقدون أنها مؤثرة بذاتها، وتلك هي عبادتهم وطقوسهم الدينية، قائمة

(١) انظر: معارج القبول: الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، (٢م/ص٥٠٩).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه -، برقم (٥٧٤٢)، كتاب الطب، باب رقية النبي - ﷺ -، انظر: (٧م/ص١٣٢).

(٣) الحديث بهذا اللفظ أخرجه ابن ماجه في سننه بإسناده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - برقم (٣٥٢٤)، وقال عنه الشيخ الألباني: ضعيف، وروي بلفظ آخر من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - برقم (٣٥٢٣)، قال عنه الشيخ الألباني: صحيح.

(٤) انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق: أ.د. محمد حسن جبل، الناشر: ، طنطا، جمهورية مصر العربية، (١م/ص٥٢٥)، وانظر: المدخل: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار التراث، (٤م/ص١٢١).

في أصلها على الشرك بالله، والعلوم الباطنية في الفكر الشرقي القديم عموماً وعند البوذية بكافة أطيافها ومذاهبها المختلفة خصوصاً قائمة على الاستشفاء بالسحر والكهانة والتنجيم وتحضير الأرواح، ويعمدون من وراء ذلك إلى استجلاب القوة الغيبية، ومن ثم يسخرونها للتأثير على أتباعهم، وهم يعترفون بذلك؛ ويرون أنها من قبيل نفع الناس، ولا عجب في ذلك؛ فذلك هو دينهم، ولكن العجيب حين يتأثر بتلك المفاهيم الدينية فقام من المسلمين، فيتلقفونها، ويطبّقونها بحذافيرها على أنها تجارب الحكماء الأقدمين الذين ضحوا بحياتهم وأنفسهم من أجل نفع البشرية، وقد مر معنا شواهد من تلك المفاهيم الدينية على مواضع متفرقة من هذه الرسالة، وتتلخص تلك المفاهيم في فلسفة الأجسام، وفلسفة العناصر الطبيعية، وفلسفة الشاكرات، وتطبيق العلاج والاستشفاء بالبرانا والريكي والوخز بالإبر الصينية، والعلاج بالألوان وفق الفلسفة الهندية القديمة.

رابعاً: أنه لا عصمة ولا قداسة لآراء الرجال.

إذا عرف أن تلك النصوص المؤثرة هي مجرد أسباب، وأن المؤثر هو الله - ﷻ -، عرف بعد ذلك أنه لا عصمة ولا قداسة لآراء الرجال، فالعصمة والقداسة إنما تكون لنصوص الوحي الإلهي. ولكن الحال في الفكر الشرقي القديم لم يكن كذلك؛ فقد حول ذلك الفكر دين الله الموجود أصالة في الفطرة البشرية إلى دين غايته الوصول إلى التحرر الروحي، ومن ثم كانت النتيجة هو عدم معرفتهم لله رب العالمين، ومفهومها الديني ليس هو المفهوم الصحيح، وأصبحت القداسة فيها ليست وفقاً على الله وحده كما ينبغي في الدين الحق، كما أنها من جانب آخر؛ فقد اتكأت بشكل أساسي على الجانب الروحي، وأهملت الجانب العقلي، وكانت المحصلة من وراء ذلك أن أصبح ارتباط الناس موجهاً إلى رجال الدين وكهنة المعبد، وتجلى معالم ذلك الارتباط في الجانب الروحي والوجداني، وخالياً من الوعي، ومن هنا ظهرت فكرة قداسة رجال الدين وكهنة المعبد وعصمتهم، وأصبح أولئك الرجال يمارسون سلطناً روحياً هائلاً على الجماهير، وتحيط بهم هالة من الغموض والأسرار، وأصبحوا هم الذين يملكون حق الوساطة بين الناس وبين الآلهة!

وليت أن كانت تلك السلطة مقتصرة على الجانب الروحي فحسب؛ بل تعدت أكثر من ذلك، وأصبحت آراء أولئك الرجال نظريات علمية مقدسة وإن خالفت الدليل العقلي، وأضحت أسرار المعبد تفرض على الأتباع فرضاً، ولا يجوز مناقشتها، ولقد كانت تلك الأسرار منافية للعقل والمنطق، حين تعمدت البحث في الذات الإلهية، فتحبطت في الظلمات، ووصلت الفلسفة في القديم

والحديث إلى العضلات الذهنية التي لا تؤدي إلى شيء سوى إجهاد الذهن، وتبديد طاقته فيما لا طائل من ورائه^(١).

إن تقديس آراء الرجال مقابل نبذ الوحي الإلهي وعدم الالتزام به جريمة على المعرفة الإنسانية، حين يكون حق البشر في المعرفة مقتصر على آراء كهنة المعبد، الذين اتخذوا من الرهبانية منهجاً لتحقيق غاياتهم والوصول إلى مصادر المعرفة الباطنية، فأثروا الانقطاع عن الناس، والعمل عكس الجبلية البشرية حين وقعوا في الانحرافات السلوكية معتقدين أن الصيام والتبتل والاعتكاف في المغارات والكهوف، وممارسة التأمل والرياضات الروحية توصلهم إلى معرفة حقيقية، وليت الأمر كان كذلك؛ فإن ما توصل إليه أولئك الكهنة إنما هو من وساوس الشياطين، وخطرات النفس الناتجة عن شدة الجوع والتعب والنصب، ويظنون أنها معارف!، والحقيقة أنها خرافة وهرطقة، ومن هذا المدخل ظنوا أنهم وسطاء بين الخلق والآلهة، ثم إنهم من خلال منهج الرهبانية التي ابتدعوها وقعوا في مخالفتين: الأولى: أنهم ابتدعوا في دين الله مما لم يأمر به، بل هو مخالف للجبلية البشرية.

الثانية: أنهم حين سلكوا طريق الرهبانية في الوصول إلى المعرفة الإلهية؛ فإنهم لم يلتزموا بما اعتقدوه من أنها قرينة لهم عند الله^(٢).

وبهذا يتضح أن الشخصية المسلمة لا يمكن لها أن تكون أسيرة لآراء أناس اتخذوا من الكهانة وسيلة للوصول إلى المعرفة، ومن الرهبانية منهجاً لتحقيق الغاية من الوصول إلى المعرفة، وتلك الشخصية المسلمة تعرف من أين تأخذ حقها من المعرفة، فلا يوجد في الدين الإسلامي من يطلق عليهم "رجال دين"، ولا سلطة كهنوتية فيها، ولا رهبانية مبتدعة، وإنما يوجد "رجال صالحون" من جهة، وعلماء وفقهاء من جهة أخرى، وليس هؤلاء ولا هؤلاء على الناس سلطان إلا سلطان المحبة والتقدير، ومكان القدوة الصالحة في النفوس^(٣)، والشخصية المسلمة تدرك أن الإسلام بتطبيقاته وتعاليمه لم يأت بمحالات العقول، فالعقل قد يحار في قضايا معينة، ولكنه لا ينساق خلف البحث فيما هو من محالات العقول مما لا طائل من ورائه سوى إجهاد الذهن، وتعاليم الإسلام متوافقة مع

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: د. محمد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط ١=١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ص ٣٦.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير، (٨م/٨١ص).

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: د. محمد قطب، ص ٢٦.

العقل والمنطق، ويستحيل أن يكون هنالك وحي يخالف العقل والعلم، ومن ثم فلا عصمة ولا قداسة لبشر، وإنما العصمة والقداسة للوحي الإلهي المقدس.

وإذا عرف هذا الأصل؛ عرف أن ما يحدثه أولئك الكهنة من خوارق العادات، وما يتوصلون إليه من المعارف الباطنية إنما هو خرافة ووهم، ومن الخطأ أن يحاطوا بهالة من التعظيم والتقديس، ومن هنا ندرك أنه لا عصمة أيضاً للمكاشفات والمخاطبات ونحوها مما هو حاصل لأولئك الكهنة والمتأثرين بهم من أرباب التصوف الفلسفي، وأن المكاشف الحق هو من يزن مكاشفاته بالكتاب والسنة^(١)، وفي هذا السياق لا بد أن تتضافر الجهود لوأد تلك الأفكار والانحرافات السلوكية، والحل الأمثل هو في التزام المرء بتعاليم الإسلام المنبثقة من الوحي الإلهي في الكتاب والسنة، فهي لا تخالف عقلاً، ولا تحارب علماً، بل هي صالحة لكل زمان ومكان.

رابعاً: أن التأثير بخوارق العادات ليست كرامة، وإنما ذلة وإهانة.

حين تدرك البشرية حقيقة الطغيان الروحي الذي يمارسه رجال الدين وكهنة المعبد، وحين تتحرر من ذلك الطغيان، وحين تنظر في مآلات الأمور وعواقب أمرها، تدرك أن ما يمارسه من يملكون حق الوساطة بين الخلق والآلهة من الذين يظنون أنهم ارتقوا بإنسانيتهم ليصلوا إلى "الإنسان الكامل" أو "الإنسان الكوني" ليست كرامة، وإنما هي ذلة وإهانة، فهم لم يصلوا إلى الكمال، وإنما وصلوا إلى الحضيض والخسة، حين انسلخوا من الفطرة الإنسانية والجلبة البشرية ليهينوا كرامة الذات الإنسانية وإذلالها.

وإن من معالم هذا الإذلال حين يعمد حكماء الفكر الشرقي القديم ومن وافقهم من الفلاسفة، ومن تأثر بهم من أقطاب التصوف الفلسفي إلى مجانبة الفطرة، والوقوع في الانحراف الفكري والسلوكي.

وأما ما يتعلق بجانب الانحراف الفكري؛ فإن من معالم ذلك الانحراف حين يكون الاتجاه الفكري مستنداً على إخفاء معالم التوحيد المترتب عليه طمس الآثار النبوية، والاعتماد على الأساطير والخرافات من جانب النظر إليها على أنها تراث عقائدي مقدس، وتقديس النتاج العقلي من جانب النظر إليه على أنه حرية فكرية، هذا من جانب؛ وأما من جانب آخر فإن الاستغاثة بكائنات العوالم الغيبية والاستعانة بها، والانقطاع إلى المغارات والكهوف، وتقديم القرابين والنذر لتلك الكائنات من أشد

(١) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: أ.د. عثمان بن علي حسن، ص (٦٧٣-٦٨٠).

الانحرافات الفكرية التي تجعل الإنسان أسيراً لتلك الكائنات، تتسلط عليه وفق إرادتها، وتوجهه حسب رغباتها، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْرَمْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(١)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- معلقاً على هذه الآية الكريمة: "فالجن والإنس قد استمتع بعضهم ببعض، فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمور كثيرة، كلٌّ منهم فعل للآخر ما هو غرضه، ليعينه على غرضه. والسحر والكهانة من هذا الباب"^(٢).

وأما ما يتعلق بجانب الانحراف السلوكي، فإن من معالم ذلك الانحراف حين يكون الاتجاه النفسي مستنداً على الغلو في الجانب العملي، وتبني مبدأ نبذ الانغماس في الحياة، والهروب منها إلى التقشف والتبتل، والسقوط في دائرة العدمية بإسقاط التكاليف، وتجاوز الأمور الشرعية، والاكتفاء بممارسة التأمل الكوني من أجل الاتحاد بالجوهر المطلق، وقد جاء على لسان البراهمة المنتسكين: "حيث أكون متحداً مع برهما لا أكون مكلفاً بعمل أو فريضة"^(٣). وعلى هذا المبدأ فإن المنتسك المتأمل يعيش فقيراً متسولاً عالة على الأسرة والمجتمع، ودوره في الحياة معدومة، ومستندة على هامش الفقر. ولا شك أن الانحراف الفكري والسلوكي من أهم الأسباب المؤدية إلى ظهور الأحوال الشيطانية التي يظن أنها من قبيل الكرامات، ومن الشواهد الدالة على إذلال النفس الإنسانية في هذا المقام حين يؤصل الفكر الشرقي القديم هذا المبدأ، أعني -مبدأ إذلال الذات-، فنجد أن التاوية في الفلسفة الصينية دعت إلى الالتزام بالـ "طي"، وهي القوة التركيبية الفاعلة في الأشياء^(٤)، وهي في نفس الحكيم "الإرادة القوية الواعية الكامنة التي ترشده إلى الابتعاد عن الأناية والانغماس في عالم

(١) سورة الأنعام: الآية ١٢٨.

(٢) انظر: النبوات: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١= ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (م/٢م/٨٣١).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف د. مانع بن حماد الجهني، ط ٥= ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، (م/١ص/٢٧١).

(٤) انظر: التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ط ١= ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م،

الشهوات، كما تدله على العودة إلى أصالة الحياة الطبيعية الأولى التي يعيش فيها الإنسان في حالة توحيد مع الطبيعة في كل موجوداتها وظواهرها المتحركة بفعل الـ"تاو" وقوانينه^(١).

يقول "لاوتزو -Laozi": "هذا يدعى -طى- اللاجهد، يدعى قدرة التعاطي مع الناس، ولقد كان هذا معروفاً منذ القدم بأنه الاتحاد التام مع السماء"^(٢)، وكان من آثار هذا الانحراف الفكري ظهور مبدأ التخلي عن الفعل وعدم العمل، وهي التي يعبر عنها بـ"وو وي"، وتمثل الفكرة في عدم التدخل بالمجرى الأبدي للطبيعة، فهي تقوم بكل ما يلزم، أما الإنسان فليس عليه إلا ترك العمل^(٣).

بينما جاءت قوانين "منو سمري" الهندية أشد صرامة وأكثر إذلالاً للنفس الإنسانية حين اتخذت من الرهبانية المتنافية للفطرة البشرية منهجاً للوصول إلى التربية الروحية، يقول "منو -": "إذا بلغ الإنسان من العمر عتياً، وأبيض رأسه، وتغضن وجهه....، وجب عليه أن يترك الحياة الدنيوية، ويتوجه إلى الغابة!، ويصطحب معه زوجته إذا رغبت في ذلك...، ويعيش على الثمار والغلات التي تنبتها الأرض، ويلبس جلود الغزال، ويستحم كل يوم، ويربي شعر رأسه، ويوفر لحيته وشواربه!، ولا يقلم أظفاره!"، ويقول أيضاً: "ولا يبالي بالراحة الجسدية، ويعيش حياة برمجارية، يعني لا يقترب من زوجته وإن كانت معه، وينام على الأرض، ويتخذ من أصول الشجرة بيتاً ويستظل بها"، ويقول: "كما يعيش على الخضروات والزهور والثمار التي تنبتها الأرض، وتثمرها الأشجار، ويتجنب أكل اللحم وشرب الخمر"، "ويحرم عليه أكل الغلات التي زرعت في الحقول، وإن كان جائعاً"، "ويأكل يوماً ويصوم يوماً، أو يأكل يوماً ويصوم يومين، أو يأكل يوماً ويصوم ثلاثة أيام"، "ويكون مستلقياً على الأرض، أو يقف طول اليوم على مقدم رجليه"، "يتحمل شدة الحر، فيجلس تحت أشعة الشمس المحرقة، ويعيش أيام المطر تحت السماء، ويرتدي اللباس المبلل في الشتاء، هكذا يقهر جسمه ويعذبه"^(٤).

(١) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر عبد الحي، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،

بيروت، لبنان، ط ١=١٩٤١هـ، ص ٨٧.

(٢) انظر: كتاب التاو: لاو-تزو/ تشوانغ تسه، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، ص ٥٨.

(٣) انظر: الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر محمد صبحي عبد الحي، ص ٧٤.

(٤) انظر: قوانين منو سمري: الباب السادس، نقلاً عن: فصول في أديان الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٨٠ وما بعدها.

فإذا وصل إلى خمس وسبعين سنة من عمره انتقل إلى الحياة الرهبانية، ويظهر أمام الناس كالشيخ الكامل المطاع، مرفوع التكليف، ويصير عقلاً بلا شهوة، وتحل ناسوتيته في لا هوتيته، فهو معبود كما يعبد الله! (١).

وقد جاء في قوانين "منو" أيضاً: "في هذا الدور يخلق رأسه ولحيته وشواربه، ويقلم أظافره، ويحمل معه الكشكول، وعليه أن يتسول في اليوم مرة واحدة فقط" (٢).

ومن الشواهد على إذلال النفس أن الراهب المتنسك يقطع حبه من المخلوقين، ويختار حياة المتسولين، ويستغرق في معرفة الأسرار، ويمضي وقته في المراقبة والغيوبة، حتى يحصل له الـ "نرفانا"، والنجاة من تكرار المولد (٣).

هذا ما يتعلق بالفكر الشرقي القديم، ويلاحظ أن ما يحصل لأولئك الرهبان من خوارق العادات إنما هو نتيجة لإذلال النفس، وعليه فإن الناس حين يظنون أنها كرامات لهم ويفتنون بهم، فإن تلك الحالة المزرية التي وصلوا إليها ليست كرامة، وإنما هي ذلة وإهانة، وقد أثرت تلك الأفكار الرهبانية وادعاء حصول الكرامات والوصول إلى المقامات العالية على أصناف شتى من الناس، منهم السحرة، والكهان، ومنهم من مدعو النبوة، ومنهم عبّاد الأصنام، وفريق من أهل الكتاب، وأهل البدع والشرك والنفاق، وجهلة العباد، وأهل الفسق والفجور، وأصحاب الطلاسم والعزائم، وأصحاب الأحوال الغريبة من أكلة المستقذرات والمحرمات، وأهل السماع المحرم، وذوو الظهور بهيئات غير مألوفة، كل أولئك يحصل لهم بواسطة استعانتهم بالكائنات الغيبية خوارق العادات، فتخدمهم الشياطين، ويفتن الناس بهم حين يتمكنون من قضاء حوائجهم، وتطير بهم الشياطين، ويخبرونهم بالمغيبات، ويدافعون عنهم، ويحمونهم من الظواهر الطبيعية، فتجد الواحد منهم يدخل النار دون أن يحترق، أو يمشي على سطح الماء دون أن يغرق، كما أنهم يرون الشياطين يقظة ومناماً، ويظن الظان أنهم إنما يخاطبون معبوداتهم، كل هذا إنما هو من قبيل إعانة الشياطين لهم، وليس هذا كله من قبيل الكرامات، لأن

(١) انظر: فصول في أديان الهند: ٨٢.

(٢) انظر: قوانين منو سمرقي: الباب السادس، نقلاً عن: فصول في أديان الهند: ص ٨٢.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٨٢.

الكرامة لا تحصل إلا لأهل الكرامة والتقوى، بينما أولئك الذين يعيشون هذا الذل والإهانة لكرامتهم وذاتهم فإن الكرامة عنهم أبعد، وعن الكمال أعجز، وهم إلى النقص أقرب، وإلى الخسة أحوج^(١).

خامساً: أن تأثير الإنسان الكوني لا يمكن أن يكون في إطار الإعجاز والتحدي.

ومعنى هذه القاعدة أن ما يحدثه أولئك المتأثرون بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية من ادعائهم بأنهم أصحاب حاسة سادسة، وأنهم يملكون ملكات ميتافيزيقية تمكنهم من جذب القدر، كما أن لديهم القدرة على رؤية الأجسام الأثيرية، والدخول إليها من أجل معالجتها، وشحن قنوات الجسم المادي بالطاقة الكونية، والقدرة على تجسيد الأرواح عبر الظواهر العقلية الخارقة للعادة البشرية والمتمثلة في تجربة الأحلام الجلية، وتجربة الاقتراب من الموت، والخروج من الجسد، والسفر بالروح إلى عوالم أخرى، وإحداث عملية التخاطر، والرؤية عن بعد، أو من خلال تجسيد الأرواح عبر الظواهر الفيزيقية، والمتمثلة في القدرة على التأثير على الماديات، سواء كان ذلك التأثير عن بعد، أو بواسطة العقل، أو من خلال التنويم المغناطيسي والإيحاء، أو القدرة على التأثير من خلال الادعاء بالعلم الإلهي، والترويج لظاهرة الكتابة التلقائية، وأنها من اللوح المحفوظ، والترويج لفكرة التكوين، وأن الإنسان الكوني قادر على إيجاد أشياء في عالم المادة لم تكن موجودة من قبل، كل ذلك لا يمكن أن يكون في إطار التحدي والإعجاز، وهذه الأفكار ظهرت قديماً لدى كهنة المعابد الذين كانوا يمارسون طغياناً روحياً على أتباعهم.

والسبب وراء أن تلك الخوارق لا يمكن أن تكون في إطار التحدي والإعجاز هو أنه لا يوجد من أصحاب الخوارق العجيبة التي تكون لغير الأنبياء - كالسحرة والكهنة وأهل الطبائع والصناعات - إلا من يخالف بعضهم بعضاً فيما يدعو إليه، ويأمر به، ويعادي بعضهم بعضاً^(٢).

ثم إن تلك الذي يسمونه خوارق العادات ليست هي مما يتميز به شخص دون آخر، فكل واحد من فلاسفة الطاقة الكونية ومن وافقهم من المتأثرين بأفكارهم تجده يدندن حول استمداد الطاقة، وشحن الشاكرات بتلك الطاقة المزعومة، ويدعى القدرة على التأثير بواسطة الملكات الميتافيزيقية أو ما يعرف بالحاسة السادسة، وهي في حقيقتها استعانات بأرواح مقارنة لهم^(٣)، ومن ثم أصبحت

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (١١م/١١٦ص ٢٨٦)، وانظر: موقف ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها: د. محمد بن

إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٤٠هـ، ص ٥٤٤ وما بعدها.

(٢) انظر: النبوات: شيخ الإسلام ابن تيمية، (١م/١١٦ص ٥١٨).

(٣) انظر: الرسالة الصفدية: شيخ الإسلام ابن تيمية، (١م/١٧١ - ١٧٣).

تلك المفاهيم علوماً متوارثة يتناقلونها فيما بينهم، ويتعلمونها بالاكتساب، وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- على هذا الأمر، وذكر أن أهل المعرفة بالسحر متفقون على أن السحرة يستعينون بأرواح مقارنة لهم، وكتب السحر الموروثة عن الكُشْدَانِيِّين^(١)، والهند، واليونان، والقبط^(٢)، وغيرهم من الأمم مملوءة بذكر ذلك... وهؤلاء يعبدون الكواكب بأنواع العبادات والقرابين، وتنزل عليهم الشياطين التي يسمونها روحانيات الكواكب، وهي أشخاص منفصلة عنهم، وإن لم يروها؛ سمعوا كلامها، فتخبرهم، وتخطبهم، بأمور كثيرة، وتقضي لهم أنواعاً من الحوائج، وهذا موجود اليوم كثيراً في بلاد الترك، والخطا^(٣)، والعجم، والهند، بل وفي بلاد مصر، واليمن، والعراق، والشام، وغير ذلك، وأعرف من هؤلاء عدداً^(٤).

وبمثل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- نشاهده اليوم ملفقاً بالعلم، ومختلطاً بالعلوم الفيزيائية، والنظريات الفلسفية الحديثة، ولذلك هم يرفضون إطلاق كلمة السحر على علوم الطاقة الكونية ومفاهيمها الفلسفية، وإنما يطلقون عليها "طاقة كونية"، تشابهت الأسماء، والمضمون واحد، يقول ابن سينا: "والذي يقع له هذا في جلبة النفس، ويكون رشيداً مركزياً لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء، وكرامة من الأولياء، والذي يقع له هذا ويكون شريكاً، ويستعمله في الشر فهو الساحر الخبيث"^(٥).

ومدخلهم إلى تلك العلوم واحد، وقد حصرها "ابن سينا" في أربعة أشياء، وهي:
أولاً: التمكن من ترك الغداء مدة، وحاصله أن النفس تشتغل بما يعرض لها من معرفة، أو محبة، أو خوف، ونحو ذلك حتى لا تجوع، بسبب أن القوى الهاضمة مشغولة عن تحليل الغداء.

(١) الكُشْدَانِيِّين: هم أهل حران الذين اشتهروا بعبادة الكواكب السبعة، وهم الذين حاججهم إبراهيم الخليل -عليه السلام-، حين أقام فيهم، تعرف حالياً بالجزيرة الفراتية في الشام، والذين عمروا مدينة دمشق كانوا على هذا الدين، يستقبلون القطب الشمالي، ويعبدون الكواكب السبعة بأنواع من الفعال والمقال. ولهذا كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة هيكل بكوكب منها، ويعملون لها أعياداً وقرابين، انظر: تاج العروس: (٢٣٥/٥)، والبداية والنهاية: ابن كثير، (١/٣٢٥).
(٢) القبط: أهل مصر القدماء، ويطلق حالياً على نصارى مصر، والقبط معناه الجمع والخلط، كانوا يصنعون الثياب البيض من الكتان، وإليه نسبوا، وقيل أصل نسبتهم إلى قبط بن قوط بن حام، انظر: الصحاح وتاج اللغة: (١١٥٠/٣)، وأساس البلاغة: (٤٨/٢)، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: (٥٣٤٤/٨)، ومعجم الرائد: ص(١٠٧٦).
(٣) الخطا: هم جنس من الترك، بلادهم متاخمة للصين، تعرف حالياً باسم "تركستان"، انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي، (م/٤٨١ ص٤٨١).

(٤) انظر: الرسالة الصفدية: شيخ الإسلام ابن تيمية، (م/١ ص١٧١ - ١٧٣).

(٥) انظر: الإشارات والتنبيهات: علي الحسين بن عبد الله ابن سينا، (م/٤٨٨ - ٨٩٩).

ثانياً: التمكّن من الأفعال الشاقة: ويعني ذلك؛ قوة البدن، مثل أن يطيق العارف فعلاً، أو حركة، تخرج عن وسع مثله، وهذا كما أن النفس إذا حصل لها غضب، وفرح، أو انتشاء ما؛ بسكر معتدل وأمثاله، حصل لها قوة لم تكن من قبل ذلك، وكذلك إذا حصل لها من أحوال العارفين ما يقويها.

ثالثاً: التمكّن من الإخبار عن الغيوب: ومضمونه أنه قد يعلم الغيب في اليقظة كما يعلمه في النوم.

رابعاً: ضعف التعلق بالبدن: وهو السبب الموجب لاتصال النفس، والضعف تارة يكون لجنون أو مرض كما يصيب أهل المرة السوداء وتارة يكون لفرط الجوع أو التعب أو غير ذلك من الأحوال وتارة يكون لرياضة النفس^(١).

وإذا عرف هذا الأصل؛ عرف أنه لا كرامة للمنشغلين بالطاقة الكونية، وهم لم يأتوا بجديد، وأن ما ينشغلون به هو من قبيل العلوم المتوارثة من السحر والكهانة والتنجيم، وهي عبارة عن أساطير الأولين التي كتبوها، مليئة بالخرافة والوهم، وليست فيها مزية لأحد دون آخر، ولا هي من قبيل التحدي والإعجاز، ومن ادّعى الكرامة وأنه ذو علم إلهي فقد خدع نفسه أولاً قبل أن يخدع المتأثرين به، ويا عجبي من "ابن آدم" الذي رأى الحق والمعجزة الواضحة البينة على صدق الرسول، وأنه مرسل من عند الله رب العالمين من أجل أن يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الوحي والعلم فقال عن ذلك الرسول: "ساحر"، و"مجنون"، و"كذاب"، و"شاعر"، و"أساطير الأولين اكتتبها"، وهو حين يشاهد من يتشبه بذلك الرسول ويدعى كذباً وبهتاناً أنه صاحب علم إلهي، وأنه مؤيد بالأسرار الغامضة، ويفعل من الخوارق الدالة على كذبه وبهتانه، يقول عنه "ولي من أولياء الله"، و"صاحب كرامة"، و"إنسان كامل"، و"صفوة الخلق".

سادساً: أن ولاية الله وحفظه لخلقه ثابتة لأهل التوحيد، منتفية عن سواهم.

وهذه القاعدة تدل على تأثير الإنسان الكوني حين لم يكن محمولا على التحدي، وحين ثبت فشله في الإعجاز، فإن الحقيقة التي تظهر هنا أن ولاية الله وحفظه لخلقه ثابتة لأهل التوحيد، فهم أولياء الله حقاً، وهم لم يستحقوا أن يكونوا من أهل التوحيد إلا حين حققوا الشروط الواجبة عليهم

(١) انظر: الإشارات والتنبيهات: (٤م/٨٩٨ - ٨٩٩)، والرسالة الصفدية: (١م/١٧١ - ١٧٣).

جراء التزامهم بكلمة التوحيد، وأما غيرهم من الذين تخطوا في الظلمات وتاهوا في دهاليز الفلسفات فإن ولاية الله وحفظهم لهم منتفية في حقهم.

وكان من حقهم أن تنتفي عنهم ولاية الله وحفظه لهم بسبب أنهم خالفوا منهج الله في معرفته، وانسلخوا من الفطرة المغروزة في نفوسهم، فسلكوا طريق الفلسفة، وهم حين أثبتوا لأنفسهم شيئاً مما ظنوه أنه من خوارق العادات؛ فإن تلك الخوارق لم تكن متوافقة مع سنن الله الكونية، وأوامره الشرعية، فإن سنة الله في خلقه اقتضت أن ينساق الخلق جميعاً إلى توحيده وحده لا شريك له، لا وساطة بينه وبين خلقه، ولا فضل في ذلك على أحد، اللهم إلا أن رسل الله تأتي لتبلغ شرع الله، وهم حتى على أنفسهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً، فكيف بمن يدعي بأنه يملك القدرة على التأثير على البشر، ويظن نفسه أنه مشارك مع الكون في الخلق والتدبير، وهو من هذا المدخل يظن أنه قد وصل إلى مرحلة خرق العادات، ثم ينسب تلك الخوارق إلى ذاته بما يمتلكه من طاقة إلهية مقدسة كامنة في نفسه، ويعتقد أنه قد حصلت له الاستنارة الداخلية، ومن ثم فلا عقيدة يرتبط بها، ولا شريعة يتمسك بها، فهو في حالة من الحرية النفسية والفكرية، وهو إله نفسه، يتصرف في الوجود كيفما شاء، وكان الوجود ملك له!.

والسؤال الذي يرد هنا حين يفتتن به العوام من الناس، هل تصرفات ذلك الإنسان الكوني متوافقة مع الفطرة السليمة، ومتوافقة مع الشرع؟!.

إن أول ملاحظة تبديها الشخصية المسلمة حين تنظر إلى تلك الخوارق والمؤثرات النفسية الصادرة من فلاسفة الطاقة الكونية ومن وافقهم من المتأثرين بمفاهيمها الفلسفية هو موافقة تلك الخوارق والمؤثرات لسنن الله الكونية، وهل متوافقة مع شريعة الله، فإن الله -عز وجل- لم يجعل شريعته حكراً على ثلة من البشر، يمارسون طغياناً روحياً على أتباعهم، ويملكون حق سعادتهم وشقائهم، بفضل ما يملكونه من أسرار غامضة مصدرها العوالم الغيبية، وشريعتها أساطير الأولين وتجارب الفلاسفة، وعلى الجانب الآخر فإن من لوازم توحيد الله -عز وجل- الاستقامة، ومن آثار تلك الاستقامة هو خضوع العبد لربه وخالقه، وقد جاء في وصف أهل الاستقامة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَآئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ (١)، فوصفهم بأنهم أهل تقوى، وهم إذا مسهم الشيطان فأصابهم الطيف الذي هو من الخيال واللهم والمس، أو

(١) سورة الأعراف: الآية (٢٠١ - ٢٠٢).

أصابهم الطائف الذي هو وسوسة الشيطان^(١)، تذكروا عقاب الله وجزيل ثوابه، ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا، واستعاذوا بالله ورجعوا إليه من قريب، وكان عاقبة أمرهم أنهم قد استقاموا وصحوا مما كانوا فيه، وأما إخوان الشياطين من الإنس؛ المتبعون لأوامر أسيادهم من شياطين الجن، والمستمعون لهم، القابلون لأوامرهم، فإن الشياطين تساعدهم في الغي، وتسهلها عليهم، وتحسنها لهم^(٢)، تلك هي شياطين الجن توحى إلى أوليائهم من الإنس، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ سُبُلًا وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٣)، فمن أطاعهم فقد انتفت عنه ولاية الله وحفظه له، وأصبح من عداد المشركين.

وهكذا يتضح أن الآية فصلت بين صنفين من الناس؛ صنف هم أهل التقوى، والاستقامة ثابتة في حقهم، ومن آثارها حفظ الله لهم، بينما الصنف الآخر، وهم إخوان الشياطين من الإنس، فإن مصدر التلقي عندهم هو إيجاء الشياطين لهم، وتتجلى تلك الإيجاءات في استعانتهم بالقوى الغيبية والكائنات الروحية، الأمر الذي يؤدي إلى تسخير الشياطين لخدمة مآربهم وضلالاتهم، فاستحقوا أن تكون تلك الشياطين وتلك القوى الغيبية والكائنات الروحية هي من تحميهم وتؤمن لهم ما يطلبونه، وغاية ما فيه أن تحصل لذلك الشيطان الإنسي شيء من خوارق العادات، فتحمله الشياطين من موضع لآخر وتطير به من بلد لآخر، ويمشي فوق الماء ولا يغرق، ويدخل النار ويمشي في وسطها ولا يحترق، ويؤثر على المادة فيحركها عن بعد، أو بواسطة عقله، أو يوجه الطاقة الغيبية المخفية لعلاج مريض، وغيرها من خوارق العادات، وهي في حقيقتها ليس فيها ما يدل على حصول الإكرام، لأن الله - ﷻ - حين يؤيد عباده المؤمنين بكرمهم ولا يخذلهم، وهؤلاء العباد لا يطلبون حصول تلك الخوارق، بل هم من أبعاد الناس عنها، وإذا حصل لهم شيء من ذلك الإكرام، فإنهم يستخفون عن الناس خشية الوقوع في الفتنة، وأما غيرهم من الفلاسفة المتأثرين بالطاقة الكونية فإن المشاهد أنهم يستعرضون تلك الوقائع على الناس، ويفتنونهم في دينهم، ويدعون أن لديهم ملكات ميتافيزيقية تمكنهم من الحصول على خوارق العادات.

والشخصية المسلمة حين تتنبه لمثل هذه الأمور؛ فإنها تتأمل في السبب والغاية التي من أجلها دفعهم إلى تبني مثل هذه الأفكار.

(١) انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (١٣م/ ص ٣٣٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣١٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢١.

وأهل التوحيد الذين ثبتت في حقهم ولاية الله وحفظه لهم فإن السبب الذي يحصل لهم ذلك الإكرام هو أنهم يسمون الله -عز وجل-، ويذكرونه، ويفعلون ما يحبه الله من توحيده، وطاعته؛ فييسر لهم بذلك ما ييسره، وأما غايتهم ومقصودهم به هو نصره دين الله، والإحسان إلى المحتاجين، ويندر أن تكون غايتهم من أجل تحقيق أمور شخصية، تتجلى في استعراض القوى المؤثرة أمام الناس، وافتتاحهم به.

بينما يظهر السبب والدافع الذي يجعل أولئك الفلاسفة من أرباب الفكر الشرقي القديم ومن تأثر بأفكارهم هو وقوعهم في الشرك، والكذب، والفجور، وتقديم القرابين لشياطين الجن من أجل أن يخدموهم ويعينوهم، وغايتهم من ذلك: هو الإعانة على تحقيق الشرك، والبعد عن توحيد الله، والاستمتاع بالحاصل بين الجن والإنس، ومن آثار ذلك الاستمتاع الوقوع تحت سلطة القوى الغيبية من الشياطين والجن، يأتمرون بأوامرهم، وينتهون بنواهيهم.

وأخيراً؛ فإن المتأمل في تلك الخوارق يجد أنها لا تمت إلى الواقع بأي صلة، ولا تتحقق في الوجود، إنما هي عبارة عن خيالات وإيحاءات أثبت العلم التجريبي الحديث عدم صحتها، كما هو الحاصل مع التنويم المغناطيسي، والعلاج بالإيحاءات، وحتى مسألة تنظيف الشاكرات وشحنها والتأثير على المريض كل ذلك ليس له في الواقع أي حقيقة ولا وجود، وإنما هي خيالات ذهنية يستغرق في تأملها ذلك الشخص المعالج الذي كان في سابق عهده كاهن المعبد وحكيمها، ومن ثم كانت تلك الجموع الغفيرة تصدق تلك الإيحاءات النفسية، وتتهم أنها فعلاً حصل لها الشفاء، والحقيقة تقول: "أن الكائنات الغيبية لا تنشئ مرضاً عضوياً؛ وإنما تستفيد من المرض العضوي في التسلط والإيذاء"^(١)، وبمفهوم المخالفة؛ فإن الإيحاءات النفسية من قبل المعالج تساهم في خفض الأثر النفسي على المريض، لكنه لا يعالج المرض حقيقة إلا من خلال الأعشاب المستخدمة، أو الأدوية المتاحة، والحقيقة الأخرى هو أن الإنسان قد يصاب بعلّة وقد لا يعالج نفسه، وبعد فترة من الزمن تجده قد تعافى من تلقاء نفسه؛ ذلك لأنه خاضع لقانون الشفاء الذاتي، وهو قانون أزي طبيعى لا يتغير، كامن في نفس كل حي، وداخل كل خلية تتحرك وتعيش، وأي شيء يحرك تلك الخلية؟، القوة الحية الخالقة الكائنة في تلك الخلية!^(٢)، وهي قوة الروح "وكلما سمح للروح أن تتولى القيادة، حدث

(١) انظر: قواعد الرقية الشرعية: عبد الله محمد السدحان، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، نسخة الكترونية (Pdf) "بدون معلومات النشر"، ص(٢٢).

(٢) انظر: اليوجا - علاج وشفاء: د. عباس المسيري، ص ١٥.

الشفاء، فالروح تشفي الجسد من الظواهر المرضية، وتشفي العقل من الشعور غير الصادقة، والأحكام المسبقة والتفكير السلبي"^(١).

وبعد أن عرجنا على هذه القواعد، فإن ثمة قضايا مهمة توضح معالم ذلك التأثير، وتنحصر تلك القضايا في التأثير بالسحر، والتأثير عبر الكهانة، والتأثير بواسطة التنجيم بالأبراج السماوية، والتأثير من خلال تحضير الأرواح والتخاطب معها، والتأثير عبر استخدام التعاويذ والرقى والتمايم، والتأثير عبر التأمل وقوة التركيز.

إن المؤثرات الغيبية على النفس منها ما هو صحيح أثبت القرآن الكريم تأثيرها، كالسحر وما هو من قبيل السحر كالكهانة والتنجيم، ومنها ما ليس بصحيح، بل هي من قبيل الخرافات والأوهام؛ كتحضير الأرواح والسفر الأثيري، والارتقاء في عالم البرزخ وغيرها مما سبق بيانه وتوضيحه. وتعامل الإنسان قديماً مع هذه القوة التي كانت تمثل رابطة قوية من خلالها تُنظَّم أساليب الحياة وأنماط المعيشة، وكانت من أهم أسباب السعادة لذلك الإنسان؛ ولكي نفهم مدى قوة هذه الرابطة وتفاعل الإنسان معها علينا أن ندرك أن مجتمع الفكر الشرقي القديم حين أقر بتأثير هذه القوة حصراً في أمرين:

أولاً: دور العبادة: فالطقوس والشعائر الدينية كلها مرتبطة بهذه القوة، ولا مجال لرجال الدين في ذلك المجتمع أن يواجهوا مشكلات الناس حول الأمور الدينية والعقدية والظواهر الكونية، أو حتى ما يتعلق بأسلوب الحياة ونمط المعيشة، وتفسيرها تفسيراً مقبولاً إلا من خلال الاستعانة بهذه القوة، فظهرت حالة من حالات السلطة على الناس بجانب السلطة الدينية هي السلطة الكهنوتية.

ثانياً: دور الشفاء: فتفسير الأمراض سواء البدنية منها أو النفسية وعلاجها كلها مرتبطة بهذه القوة، وهذه القوة يمتلكها (الشامان) الذين يوصفون بأنهم أصحاب الوحي ويشار إليهم بأنهم الأطباء السحرة، لقدرتهم على تحقيق الشفاء، وهؤلاء يمكن أن يكونوا مدبرين للموارد، وأن يكونوا معالجين وناطقين باسم الآلهة، وملاحظين ثاقبي النظر عالمين بالأنفس ومتصلين بالعالم الآخر،

(١) انظر: الفراسة وقوة الحدس قوانين النجاح العقلية: فيليكس ايشباخر، ترجمة: كامل محمد إسماعيل، الناشر: مكتبة

العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢=٢٧٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ص ٢٥٣.

وبالتالي فهم يقدمون خدمة اجتماعية لأفراد مجتمعهم، وهذا الخدمة لا يمكن أن تتوفر إلا من خلال الاستعانة بالقوة الغيبية^(١)، فظهرت حالة من حالات السلطة على الناس هي السلطة الروحية.

ولما كانت فلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها تركز على تلك المؤثرات الغيبية الكامنة، كان من المناسب أن نذكر تلك المؤثرات، ونعرج عليها بشيء من التفصيل.



(١) انظر: الشامانية "فلسفة الحياة": ميشال بيران، ترجمة: إدريس كثير، ص(٧،٨)، وتراثنا الروحي—: سهيل بشروئي ومرداد مسعود بالتعاون مع "مايكل درافيس وجيمس ماديو ومايكل روسو"، ترجمة: محمد غنيم: ص(٩٦-٩٨)

المطلب الثاني: المؤثرات الخيبيية على النفس:

• أولاً: السحر.

لكي نفهم علاقة السحر بفلسفة الطاقة الكونية وارتباطه به، علينا أولاً أن ندرك مكانة السحر في الفكر الشرقي القديم، ذلك الفكر المتأثر بعبادة أشكال وأنواع من المعبودات فهو فكر وثني، والسحر لا يتوصل إليه إلا بالكفر بالرب -جل جلاله-، وهذه مقدمة أولى. وأما المقدمة الثانية وهي في كون الفكر متأثر بالوثنية فالطريق إلى السحر وإلى تقديم القرابين إلى الشياطين متاحة وسهلة.

النتيجة وجود عدد كبير من التعويذات والتمايم والطلاسم السحرية، وفي كثير منها يستنجد بها لاستحضار الآلهة، أو الابتهاال لصورته أو تمثاله، كما استخدم السحر قديماً لتحقيق الطهر والخصوبة وشفاء المرضى، وكانت هناك تعاويد ورقى متنوعة يستخدمها الطبيب (الشامان) للشفاء من الأمراض والعلل، فكانت قوة السحر هي بمثابة نوع من الطاقة الكونية في تناول ومقدور أولئك الذين برعوا في استخدامها^(١)، وفي فلسفة الطاقة الكونية نجد أن هناك تطبيقات كثيرة وممارسات غريبة لا تخرج عن ما ذكرنا، فرموز الريكي واستخدامها في العلاج، وترانيم تنشيط الشاكرات وتنظيفها من خلال التركيز على أصوات المانترا النابضة، كلها شواهد تدل على تأثير السحر بفلسفة الطاقة الكونية.

كما أننا نجد أن ممارسي هذه الفلسفة لديهم تقنية لعلاج المريض من خلال حرق البخور، ويعتقدون بأن حرق البخور تنتج أنواعاً معينة من الطاقة، ونقاط النور المنتجة عبر البخور هي "كائنات صغيرة من النور ولها وعي وإرادة؛ وبالتالي تتبع أوامرك في الحال"، وهذه العملية تتطلب الدخول بنية صامتة وعزيمة مصحوبة بالابتهاال والعزائم والاستدفاء بالبخور المحترق فترة معينة من الزمن، حتى إذا استغرق الممارس في العملية تقدم بطلب ذهني من تلك الكائنات النورانية بأن تساعد وتعاون معه لعلاج المريض، ومن صيغ الابتهاالات التي يقرؤها: "إلى الكائن الأعظم، إلى الزعماء الروحيين والملائكة المقدسة، شكراً على تنظيف هذه الكريستالة من الطاقة الملوثة، الانطباعات النفسية السابقة. بإيمان صادق ليكن كذلك" ثلاث مرات^(٢)، والطاقة الملوثة التي يقصدونها هي العين أو الحسد

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروئي ومرداد مسعود بالتعاون مع "مايكل درافيس وجيمس ماديو ومايكل روسو"، ترجمة: محمد غنيم: ص(٩٦-٩٨).

(٢) انظر: العلاج البراني بالكريستال: المعلم "تشواكوك سوي": ص(٢٤-٢٨).

أو السحر مما يقصد به الإضرار بالشخص المصاب، وهذه العملية المستخدمة في علاج المريض من الطاقات الملوثة هي نفس ما يستخدمه السحرة من التعاويذ التي يقصدون بها جلب المحبة بين المحبوبين أو ما يسمى بسحر العطف أو التولية أو التدبير؛ وهي عبارة عن عزائم وتمايم؛ المقصد منها أنه يجب المرأة إلى زوجها، والزوج إلى زوجته^(١)، وهذه العزائم يفعلها السحرة بدعوى انها تجلب المحبة وتهيج المحبوبين، وكلها -والعياذ بالله- استغاثات شركية وكلام غير مفهوم تخلط ببعض أنواع البخور، ولها مقادير معينة، ويربطها الساحر على أوراق الشجر حتى تحركها الرياح، وكلما حركتها الرياح كلما تهيج المحبوب^(٢).

وكذلك نجد في فلسفة الطاقة الكونية تقنية العلاج عن بعد، ويدّعي ممارسي العلاج بالطاقة الكونية بأنهم يملكون القدرات التي تمكّنهم من معالجة المرضى عن بعد؛ ويقولون بأن طاقاتهم لا تحدها زمان ولا مكان^(٣)، كما أننا نجد أن من يمارس التأمل اليوغي، ويخوض بتأمله في أعماق الكون، ويظن أنه يسري فيها وينتقل من مكان لمكان، وما يشاهده الجميع من المتأمل اليوغي أثناء جلسته في التأمل والاستنارة من أنه يرتفع عن الأرض ويظل جالساً على هيئته وهو مرتفع عن الأرض مما لا تقبله العقول السليمة ابتداءً، ولكن الحاصل أن هذا هو من جنس ما يعرف بـ"السيمياء"، وهو علم يمكن من خلاله تسخير الجن^(٤)، وهو من جنس السحر، ولم يكن معروفاً في القرون الأولى من التاريخ الإسلامي؛ بل إن دعاة التصوف الفلسفي هم من صدروها إلى العالم الإسلامي، وزعموا أنها من العلوم الباطنية التي انفرد بمعرفتها أئمتهم وأولياؤهم من الذين جنحوا إلى كشف حجاب المس، وإظهار الخوارق على أيديهم، والتصرف في عالم العناصر^(٥)، وهذه الخوارق التي تحصل لهؤلاء درج ممارسو علم الطاقة الكونية كعادتهم إلى تلبيسها وتزيينها وتسويقها للناس عبر ما يروجون له حول الإدراك الوعي للإنسان أو ما يعرف بالحاسة السادسة، والقوة النفسية ما فوق الحسية، وينظر دعاة هذا العلم بأن الإنسان يملك في أعماق عقله الباطن قوى نقّادة تخرق حجب

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، تحقيق:

محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧=١٣٧٧هـ-١٩٥٧م، ص٢١١.

(٢) انظر: السحر العجيب في جلب الحبيب: عبد الفتاح الطوخي، الناشر: المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص(٣٦-٣٧).

(٣) انظر: الحاسة السادسة: د.أحمد توفيق حجازي: ص٩.

(٤) انظر: مقدمة ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الناشر: دار

يعرب، دمشق، سوريا، ط١=١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٣٠٧.

(٥) انظر: نفس المصدر السابق.

الزمان والمكان^(١)، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- شيئاً من حقائق هؤلاء الذين يملكون القوة النفاذة التي تخترق حجب الزمان والمكان، وبين ألاعبهم وحيلهم في مخادعة الناس والتلبس عليهم، وأنهم أصحاب سحر وسيمياء، يظهرون الصلاح والتقوى والزهد، وأن لهم مكاشفات وتأثيرات كمخاطبتهم للأشجار والنباتات، وأنهم يطيرون في الهواء، وينتقلون من مكان لآخر، بل إن الشخص الواحد يمكن أن يكون في وقت واحد في مواضع مختلفة، وهذا كله لا يكون إلا ممن جعل نفسه خادماً للجن والشياطين وعابداً لهم، وحين ذلك يستطيع تسخيرهم وفق ما يريد^(٢)، وكل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية نشأه بوضوح عند ممارسي فلسفة الطاقة الكونية.

وإذا تأملنا أكثر من ذلك ونظرنا في مرحلة العلاج المتقدم بالطاقة الكونية كالعلاج بتقنية التنفس المسامي أو المعالجة بالأصوات العلاجية الطاوية الست فإننا نجد أنها لا تتحقق إلا من ممارس أفنى عمره في الاستطباب بالطاقة وتخصص فيها كطلبة الـ"كي كونغ" و"الإيزوتيرك" وطلبة العلم الباطني!، وهذا يجعلنا أن نشك في حقيقة المعالجة المتقدمة بالطاقة الكونية ويدفعنا إلى القول بأنها مبنية على مبادئ السحر^(٣)، ولذلك يرفض ممارسو هذه المرحلة من وضع تصور حقيقي لها ويكتفون بوضع التمارين التطبيقية لها، ويقولون بأنها لا يمكن تصورها إلا من خلال الممارسة الفعلية لها، فحصرها في رموز وطلاسم وعلوم باطنية، ويصرّحون بأن مصدرها علوم شامانية^(٤).

(١) انظر: الحاسة السادسة: د. أحمد توفيق حجازي: ص ٩.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٠٠/١١، ١١٢/٣٥، ٣٥/١٩).

(٣) انظر: حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن ٢: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، "مقال"، تصفح (<http://www.al-> <http://www.alfowz.com/>) و (<http://www.forqan.net/>).

(٤) انظر: معجزات الشفاء البراني: المعلم "تشو كوك سوي": ص ٢٣١-٢٣٣، وانظر أيضاً: مقال عن رموز الريكي منشور في مجلة الابتسامة الإلكترونية (غير منسوب): (<http://www.ibtesamh.com/>)، ويرى موقع "سبيلي" والمتخصص في نقد الفكر العقدي الوافد بسحرية هذه الرموز والطلاسم: (<http://www.sabeily.com/>)، وقد نشر موقع الخير للرقية الشرعية قصة حقيقية لامرأة تائبة كرّست حياتها في تعلم العلاج بالطاقة الكونية ومعالجة الناس بها: (<http://www.rouqyah.com/>)، والشاهد من القصة أن معلمها طلب منها أن تقرأ بعض التعويذات وهي باللغة اللاتينية، ولا يوجد أدنى شك في كونها تعاويذ وطلاسم سحرية، وفيها من الشواهد أيضاً أن المعلم أخذ منها عهدودا ومواتيقي لأجل خدمة الناس؛ وقد صرح الشيخ الذي عالج المرأة بالرقية الشرعية بأن حقيقة هذه العهدود أنها من قبل السحرة وهي من وسائل الخداع والتلبس على الناس بدعوى خدمتهم، والحاصل أن فلسفة الطاقة الكونية متأثرة بشكل كبير بالعلوم السحرية وهذا واضح ولا يشك فيه أحد، وكثير من المعتقدات الوافدة هي في أصلها تعاليم دينية وشعائر وطقوس وثنية مبنية على مبادئ السحر، وقد فطن فلاسفة الشرق من الذين يروجون فلسفة الطاقة الكونية إلى بلاد المسلمين إلى هذه النقطة فسعوا إلى إخفائها ووضعها في الإطار الباطني.

• ثانياً: التأثير بواسطة الكهانة.

نظر الإنسان قديماً إلى الكاهن نظرة تقديس وتبجيل، وكان بمثابة رجل الدين العارف والمستنير، فهو الذي يعرف أسرار الديانة، وهو الذي يحل المشاكل ويفسر الاشكالات التي تواجه أفراد المجتمع؛ ذلك لأنه يعلم الغيب ويتنبأ للمستقبل ويعلم الماضي، وهو القائم على المعبد والمشرف على تأدية الناس للطقوس والشعائر، فلا تؤدى القرابين إلا بحضورهم، ولا تنشد التراتيل والأناشيد المقدسة إلا بوجودهم^(١).

هذه النظرة المقدسة والمبجلة للكاهن كانت بسبب ادعائهم معرفة الغيب، وتنبؤاتهم وإن كانت تصيب احياناً جانب الصواب فهي بسبب استعانتهم بالقوة الغيبية، ولذلك كان الناس يذهبون إليهم لمعرفة الأمور المغيبة في حياتهم ومآلهم لمعرفة عواقب الأمور.

إن استعانة الكاهن بالقوة الغيبية يوضحها القرآن الكريم في سورة الجن إذ يقول الله -عز وجل-: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٢)، فالعلاقة القائمة بين الكاهن وبين تلك القوة الغيبية هي علاقة استعانة واستعاذة يتقرب الكاهن إلى الجن ومردتهم من الشياطين فيذبح قرباناً تقرباً إليهم، فيرتكب المحرمات، ويستغيث بهم من أجل أن يعينوه على تلقي الأخبار والتنبؤ للمستقبل ومعرفة طرق علاج المرضى وغيرها كقراءة الكف والنظر في الفنجان والخط على الرمل، وهؤلاء الشياطين مهمتهم استراق السمع من السماء وفي هذا يخبرنا الله -عز وجل- بأنهم كانوا يسترقون السمع من السماء وكانوا كثرة قبل مبعث النبي -ﷺ-، كانوا يقعدون لاستراق السمع من السماء، وكانت لهم مقاعد مخصصة بين السماء والأرض يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، وأما بعد مبعثه -ﷺ- فقلوا بسبب أن السماء قد ملئت حرساً شديداً وشهباً^(٣)، وقد وضع لنا النبي -ﷺ- عملية تلقي الشياطين الأخبار والتنبؤات من السماء إذ يقول: (إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقىها على لسان الساحر أو الكاهن، فرمما أدرك الشهاب

(١) انظر: تراثنا الروحي: سهيل بشروني ومرداد مسعود، ص ١١٥.

(٢) سورة الجن: الآية ٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير: (٢٤٠/٨).

قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا: يوم كذا، كذا وكذا! فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء^(١)، وقد ورد في حديث عائشة -رضي الله عنها-: "أن الملائكة تنزل في العنان -وهو السحاب- فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع فتوحيه إلى الكهان"^(٢).

وقد أثرت الكهانة وبما احتوته من سلطة ومرجعية عليا تتسم بالسمّة الدينية، وتمارس الوصايا على الشعب بشكل كبير على فلسفة الطاقة الكونية، ومن الشواهد على ذلك:

- كثير من أولئك الذين ينظرون ويروجون لفلسفة الطاقة الكونية يدعون بأنهم يستطيعون رؤية الهالة البشرية وفحصها ومعالجة مواضع الخلل فيها، ويدعي بعض المعالجين والمهتمين بطرق العلاج الشرقية أنهم من خلال فحص الهالة يستطيعون التنبؤ بالأمراض قبل ظهورها.
- يدعون أنهم يمتلكون قدرات خارقة يستطيعون رؤية ما لا يراه الآخرون، ويعتقدون بأن هذا من خصائصهم، فالاستبصاريون يرون الطاقة كنقاط من النور لها ألوان معينة، وكل لون لها خصائص مقابلة^(٣).
- يزعمون أنهم يستطيعون إرسال الطاقة من أجسادهم إلى أجساد أخرى ويزعمون أن قدراتهم لا تحدّها زمان ولا مكان.
- ما نشاهده من تمارين رياضية يفعلها أصحاب منهج (اليوغا) وحاصلها أنهم يستطيعون أن يرتفعوا عن الأرض مقداراً معيناً ويزعمون أنها تحصل بواسطة التأمل ورياضة النفس.

كل ذلك من قبيل الكهانة وما يزينه الشياطين لأوليائهم من الإنس، ويظنه الجاهل أنه كشف وكرامة، وقد اغتر بذلك كثير من الناس، يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله، وهو من أولياء الشيطان، وهو من باب استمتاع الإنسي بالجنّي والعكس كما يجبرنا بذلك رب العزة والجلال فيقول:

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه برقم (٤٤٢٤)، كتاب التفسير، باب قوله { إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين }، انظر: (٤م / ص ١٧٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٨)، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، انظر: (٣م / ص ١١٧٥).

(٣) انظر: العلاج البراني بالكريستال: المعلم تشوكوك سوي، ص ٢٤.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَنْمَعَشِرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْرَثْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا﴾^(١)، والمعنى أن الله - ﷻ - يحشر الجن وأولياءهم من الإنس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا، ويعودون بهم ويطيعونهم، ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، ويخاطب معشر الجن بأنهم قد استكثروا في إضلال وإغواء الإنس، فيجيب أولياءهم من الإنس بأنهم استمتعوا بعضهم ببعض، ومن هذا الاستمتاع "أن الجن أمرت وعملت الإنس"^(٢)، وظن الجهال أنها كشافاً وكرامة فانخدعوا بها وضلوا وأحاطوا بالكهان هالة من التقديس والتبجيل، وكان حكم الله - ﷻ - فيهم بأن قال لهم: ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

• ثالثاً: التأثير عبر التنجيم بالأبراج السماوية.

من القوة الغيبية التي آمن بها الإنسان قديماً واعتقد بتأثيرها على الكون وعلى نفسه، اعتقاده بقوة الكواكب والنجوم، وأنها مؤثرة على الأرض وعلى الحياة البشرية فيها، فهي في نظره قديمة أزلية، فاعلة ناطقة مختارة، واجبة الوجود لذواتها، هي الموجدة لهذا الكون والمدبرة لها، منها يصدر الخير والشر، وحركاتها تحدث جميع حوادث الكون والفساد^(٤)، وكل ما يحصل في العالم العلوي ينعكس على العالم السفلي، فذهب يستدل على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، وحاول التمزيج بين ما يعتقد حول القوة الفلكية وما يواجهه من مستجدات وحوادث أرضية وظواهر كونية^(٥).

واختلفت نظرة الإنسان حول هذه الكواكب في كونها آلهة وأرباباً معبودة؛ فالصابئة الدهرية اعتقدت بأزليتها وقدمها، وأنها أوجدت نفسها بنفسها فهي ليست لها مبدأ أولي^(٦).

والفلاسفة وبعض الصابئة من أهل حران من قوم إبراهيم الخليل - عليه السلام - قالوا بنفس ما قالته الصابئة الدهرية غير أنهم قالوا بأن لها مبدأ أولي، فهي واجبة الوجود بإيجاب المؤثر الأول لها، وهو رب الأرباب، فالتقرب إلى هذه الكواكب تقرباً إلى الروحانيات، والتقرب إلى الروحانيات تقرباً إلى

(١) سورة الأنعام: الآية (١٢٨).

(٢) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: ص ٤١٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير: (٣/٣٣٩)، وما بين علامة التنصيص مقولة للإمام الزاهد الحسن البصري.

(٤) انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام: عبد المجيد سالم المشعبي: ص ٣٨.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٣٥/١٩٢).

(٦) انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام: عبد المجيد سالم المشعبي: ص ٣٦.

الله تعالى^(١)، وتأثر بهم بعض فلاسفة المسلمين ومن انتسب إلى الإسلام فقالوا بأنها مخلوقة خلقها الإله الأعظم، وأودع فيها قوة مخصوصة^(٢)، وكلهم متفقون على تدبير الكواكب لهذا العالم^(٣).
وأما أولئك الذين توجهوا إلى الطبيعة وعبدوها، واعتقدوا بأن الإله يسري داخل الكون، وأنه مبعوث فيه، وكل ما في الوجود ما هو إلا تجليات للإله المطلق، ومن تلك التجليات ظهوره في هذه الكواكب، والتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته. فجعلوا هذه الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي، فالكواكب آباء أحياء ناطقة، والعناصر أمهات، وما تؤديه الآباء إلى الأمهات تقبلها بأرحامها فتحمل من ذلك المواليد وهي المركبات.

فالنظرة التي تجعل من الكواكب قوة مدبرة للكون والإنسان، وأنها مؤثرة في العالم السفلي، جعلت ذلك الإنسان أسيراً لتلك القوة، فراح يستكشف ذلك العالم بما تحويه من أبراج وأفلاك ونجوم سيارة، وقعد لها قواعد وأنظمة تتوافق مع أنماط شخصيته وسلوكياته وتصرفاته، وربطها مع بعضها البعض في عملية غير مطردة عند أهل الصنعة، مما يدل على قيامه على أصل فاسد وهو الظن والتخمين.

ثم إن هذه الكواكب والنجوم لما كانت لا تظهر إلا في المساء، وأحياناً تحتجب عن النظر بسبب الغيوم والضباب ونحو ذلك، ظهرت فكرة اتخاذ الهياكل والتمائيل المصنوعة والتي ترمز إلى نجم معين أو كوكب محدد، تظهر في أيام معدودة وأوقات معينة، فيتوجه الإنسان إلى هذه التماثيل والهياكل وفي تلك الأوقات المحمودة للكوكب، فيلبس اللباس الخاص بهذا الكوكب ويتختم بخاتمه، ويتبخر ببخوره الخاص به، ويتضرع بالدعاء عندها، ويسأل حاجاته منها^(٤)، وترتب على ذلك تعلق القلب بهذه الكواكب والنجوم، والاعتقاد بأن لها تأثيراً مباشراً على الأيام من حيث السعادة والشؤم، وأن طرق باب التنجيم هو الحل الوحيد الذي يوضح ويفسر حالة الإنسان وطبيعة مهنته ومستقبله في هذه الدنيا؛ ويتبين ذلك من دراسة وضع الكواكب وقت ولادة الإنسان، وبالترابط بينهما يسهل الوصول إلى التنبؤ حول مستقبل الوليد، وخصائص طبعه ومعرفة سلوكه.

كل ذلك كان له أثر بالغ في ظهور فلسفة الطاقة الكونية، واستندت هذه الفلسفة على الإيمان بقوة الكواكب والنجوم، وتأثيرها على الإنسان في صحته وسقمه وفي أنماط حياته وسلوكه، من

(١) انظر: الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (٢م / ص ١٠٧).

(٢) انظر: رسائل إخوان الصفا: ص ١٢٨ وما بعدها.

(٣) انظر: التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام: عبد المجيد سالم المشعي: ص ٣٩.

(٤) انظر: التنجيم والمنجمون: عبد المجيد المشعي: ص ٤٩.

خلال مبدأ الاعتقاد بتأثير العالم العلوي على العالم السفلي؛ فتغير أوضاع الكواكب والأفلاك إلى المقابلة والمقارنة والتثليث والتربيع والتسديس تحدث أثراً في عالم الكون، ويسمى هذا التأثير بقوة الجاذبية، فالإنسان والحيوان والنبات كلهم يتأثرون بالأجرام السماوية القريبة من الأرض وأشعتها والانفجارات الشمسية وطاقة الرياح المنعكسة عليهم، ولذلك يزعم المنجمون بأنهم يعرفون الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية والشخصية^(١)، وهذا ما نجده لدى فلاسفة الطاقة الكونية؛ إذ أنهم يدعون بأنهم يعرفون بما هو حاصل في عالم العناصر قبل حدوثه في عالم الكواكب، ويستدلون بتغير الأوضاع الفلكية على الأحوال الإنسانية وآثارها النفسية.

إن دعوى الترابط بين الكواكب والأجرام السماوية وبين الكون، والإيمان بتأثير العالم العلوي على العالم السفلي أدى إلى ظهور العديد من التطبيقات والممارسات التي تستند على فلسفة الطاقة الكونية، وهي مبنية على التنجيم ومن ذلك:

العلاج بالأحجار الكريمة والألوان من خلال الأبراج السماوية، والتنبؤ بالمستقبل من خلال الكرة البلورية وقراءة الطوالع، وكذلك تظهر جلياً في تطبيقات طاقة المكان، أو ما يعرف بالـ"فونغ شوي"، وغيرها من التطبيقات.

كما أن علم التنجيم بحسب المتأثرين بها من المؤلفين والكتّاب العرب "فقد أصبحت أكثر مصداقية!، منذ الشروع بالتحليل الإحصائي بالكمبيوتر، وقد أصبح ثابتاً الآن ودون شك أن الكواكب تمارس تأثيراً ما على الحوادث البشرية، فهناك بعض التزامن بين حركاتها وحوادث معينة على الأرض"^(٢).

• رابعاً: التأثير بواسطة الأرواح.

من القوى التي آمن بها الإنسان قديماً، واعتقد بتأثيرها وفعاليتها إيمانه بأن لكل شيء في هذا الكون له روح؛ ذلك لأنه اعتقد أن كل الموجودات في هذا الكون حية بجوهر روحي، فهي تمثل قوة وطاقة روحية متأصلة في كل شيء، والإنسان عليه أن يبذل جهده في امتلاك هذه القوة وتسخيرها لما فيه مصلحته ومنفعته.

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون: ص(٥١٩-٥٢٠).

(٢) انظر: الحاسة السادسة، رحلة في عمق وعينا الكوني، د. أحمد توفيق حجازي، ص(٢٣-٢٤).

وكانت نظرة الإنسان نحو هذه القوة الروحية التي آمن بها بأنها خالدة فهي لا تفنى، وأنها ليست ثابتة أو مستقرة في أي شيء، ويمكن انتقالها بواسطة أي شيء، كما أن الأرواح سواء كانت غير متجسدة أو كانت كائنات فوق الطبيعة تستطيع أن تمتلكها أو تهبها لمن شئت^(١).

ولذلك ظل هذا الإنسان يفسر من خلال هذه النظرة تلك الظواهر الطبيعية التي تحصل في الكون، فالنجوم المتناهية والمنتشرة في هذا الكون الفسيح ما هي إلا أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء بجانب الآلهة^(٢)، والقوة الكامنة في داخل النفس والوجود العميق الصامت بداخلها والتي لا تُرى هي القوة الحقيقية التي تمثل قوة الإله الواحد المطلق، وبالتالي فهي قوة روحانية مسيطرة على العالم^(٣)، أو تلك الأمور التي تحدث وهي في حد ذاتها خارقة للعادة على أن الأرواح تقمصت فيها؛ وبالتالي فإن هذه الظواهر الطبيعية وخوارق العادات ما هي إلا تحقيق لإرادة الروح.

كما أن هذه الروح حلت في هذه الظاهرة الكونية وحققت إرادتها؛ كذلك يستطيع الإنسان أن يستجلبها ويستحضرها ومن ثم يتخاطب معها ويحقق لها إرادتها!، ذلك لأن النفس إذا ما حققت غايتها في هذه الحياة فهي لن تصل إلى عالم السعادة والاتحاد بالإله الواحد الكلي المطلق، والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما حقيقة هذا الاستحضر وما حقيقة هذا التملك؟.

إن فكرة تملك الإنسان للقوة الروحية واستحضرها هي فكرة قديمة بقدم الإنسان، وظل الإنسان في الفكر الشرقي القديم يحاول أن يسبر غور هذا العالم الروحي، ويستكشف أسرارها، وقد كانت هذه الدراسات الروحية هي محور الأديان الشرقية، واستطاعت أن تقدم لمعتنقيها جملة من النظريات الروحية التي تركز على مبدأ إمكانية التواصل مع أرواح الموتى والاتصال بهم والتواصل معهم من العالم الآخر؛ ذلك العالم الغيبي الذي لا يمكن مشاهدته، ولكن يمكن إدراكه من خلال الوعي الروحي والمتمثل في العقل الذي يمكنه إنجاز غير الممكن، ومن خلال تفاعل الإنسان مع أحاسيسه وحركاته دون الارتباط بقوة آلية فيزيائية يصل إلى شيئين:

أولاً: يصل إلى (الحاسة السادسة) وهو الإدراك فوق الحس، يدرك ما هو أعلى من الحواس الخمس، ويطلق علماء الباراسيكولوجي على هذه النقطة مصطلح (ساي جاما - ESP).

(١) انظر: تراثنا الروحي: ص ٨٦.

(٢) انظر: التواصل مع العالم والأرواح الأخرى: ص ٥، وهذه نظرة الفراعنة نحو الروح.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ١٢، وهذه نظرة الهندوس نحو الروح.

ثانياً: تتولد لديه طاقة نفسية مؤثرة ومحركة (ساي كايا- PK)^(١).

ويتفوق محضرو الأرواح بأنهم من خلال الوعي الروحي يستطيعون أن يرتقوا بأنفسهم وذواتهم إلى ما هو أعلى من الحواس الخمسة، إنها رحلة لا نهائية في عمق الوعي الكوني، يصلون إلى مرحلة الاتصال الفكري بين عقليين لا تحدهما زمان ولا مكان، وإلى استبصار الأشياء دون التقيد بالحدود والمسافات، وإلى سماع الأصوات الصادرة من العالم الروحي التي لا تحدها اللغات، وإلى معرفة حوادث الزمان ومستقبل الأيام.

كما أنهم من خلال هذا الوعي الروحي يستطيعون التأثير على النفس فيعالجون الروح ويقومون بعمليات جراحية روحية!، كما أنهم يؤثرون على النفس كذلك لديهم الإمكانيات لتحريك الأشياء وفق إرادتهم ومقتضياتهم فيستطيع الواحد منهم أن يوقف زهر الطاولة على الرقم الذي يريده!

وشيئاً فشيئاً ومع التطور والتقدم العلمي، وما يعانيه الإنسان اليوم من الطغيان المادي الذي طغى على الجانب الروحي ظهرت حركة روحية حديثة أعادت نشر هذه النظريات وفي قوالب جديدة، ودخلت هذه القوالب والتطبيقات ضمن فلسفة الطاقة الكونية مع الأخذ في الاعتبار بأن هذه الحركة التي ظهرت ما هي إلا ردة فعل للمنهج التجريبي المادي الغربي، وما هي إلا محاولة للتوفيق بين ما توصل إليه العلم الحديث وبين النظريات الروحية، وبين التوفيق والتطبيق هناك خلط بين المصطلحات وبين توظيفها.

إن تفسير الظواهر الخارقة للعادة من منظور التجربة العلمية وربطها بعالم الأرواح تفسير مبالغ فيه ومتكلف عليه وما هو إلا قول مزخرف يحاول فيه من يروج لفلسفة الطاقة الكونية بما فيها من نظريات قائمة على الدجل والخرافة على أن لها جانب علمي تجريبي يمكن الاستناد عليه، ولعل من أجل الشواهد على ذلك الاستناد على نظرية الترددات والذبذبات والاهتزازات، تلك النظرية التي تولدت منها نظريات شتى في عالم الروح؛ كنظرية الأثير والطرح الروحي والاتصال بعالم الأرواح وغيرها مما سبق توضيحه وبيانه.

• خامساً: التأثير عبر التعاويذ والصيغ المقدسة.

تعتبر التعاويذ والصيغ المقدسة من أهم المؤثرات التي تستند عليها فلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها من أجل تحقيق التأثير على النحو المراد، ولقد اهتم الفكر الشرقي القديم بتلك التعاويذ والصيغ، حتى

(١) انظر: الباراسيكولوجي: د. ماهر يسري: ص ٢٣.

أصبحت الكتب المقدسة عند أصحاب الديانات الشرقية معتمدة على تلك التعاويذ والصيغ، ومن هنا أصبحت تلك الصيغ مقدسة؛ كونها تلي احتياجات الناس وتشبعهم من الناحية الاعتقادية، ولذلك كانوا يلجؤون إلى كهنة المعابد وقساوستهم من أجل أن يعملون لهم تعاويذ مختلفة من أجل حمايتهم من قوى الشر، أو لدفع ضرر كما هو الحال حين كانوا يعملون التعاويذ من أجل إزالة النباتات والحشرات الضارة من حقولهم، أو لتهدئة الأعاصير في البحر، أو تطهير المباني من الأرواح الشريرة...، وكان ينظر إلى تلك التعاويذ على أنها طقوس شافية معافية^(١).

ولكي تؤدي تلك التعاويذ بكامل تأثيراتها؛ فإنه لا يمكن نطق اسمها فقط، فالاسم لا يعني شيئاً بقدر ما يعني أن التعويذة يجب أن تتوافق مع القدرة النفسية والجسدية، وبالتالي يجب على المتعوذ أن يدرّب نفسه وجسده على تحمل آثارها وتبعاتها، ومن ثم يستطيع التأثير بها على الآخرين، وحقيقة ذلك التدريب ينعكس على المتعوذ نفسه وموطئ قدمه من العائلة الإلهية، فوجوده فيها يُمنح القدرة على أداء كافة أنواع التعاويذ العادية والمختلطة، وكلما عرف المرء كيف يصنع الكثير من الطلاسم، كلما استطاع أداء الكثير من التعاويذ^(٢).

وفكرة التأثير بالتعاويذ والصيغ المقدسة والتأثر بها هي فكرة قديمة قدم الإنسان، وقد ظهرت في مختلف الحضارات القديمة، إلا أن الصدارة والتخصص في هذا المجال ينسب إلى أهل بابل؛ إذ يعتبرون من أنبغ الأمم في السحر والتنجيم، فكانت صناعة مناجاة الأرواح، واستخراجهم من الأجساد من الصنائع التي لها المقام الأول لديهم^(٣)، وكانت مكتبة "آشور بانبيال" تعج بالكثير من تلك الترانيم والرقى والتعاويذ، وهي كانت تستخدم لدرء شرور السحر الأسود، وطرح الأرواح الخبيثة التي تحل بالأبدان، وإليها يرجع السبب من وراء الأضرار والأمراض؛ إذ كان الاعتقاد أن السبب في المرض يرجع بوجه عام إلى تسلط الشياطين والأرواح الخبيثة، ولإبراء الشخص من مرضه يجب طرد هذه الأرواح من البدن عبر تلك التعاويذ والصيغ المقدسة^(٤).

(١) انظر: قصة الحضارة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرون، (٣٠٠/ص ٢٢٤).

(٢) انظر: جيكا مينالي ولغة ست: د. أحمد خشبة، الناشر: دار فانتازيون للنشر، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط ٢=٢٠١٨م، ص ١٠٠ وما بعدها.

(٣) انظر: دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، (٥٠/ص ٦٥).

(٤) انظر: عالم السحر والشعوذة: د. عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ٤=١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ص ١٨.

ولم يختلف الحال في التوجه الفكري لفلاسفة الهند؛ إذ تعتبر التعاويذ والصيغ المقدسة التي يتم ترتيلها في جلسات التأمل سمة أساسية لذلك التوجه، حتى أضحت نصوص الفيذا وهي جوهر طقوس الهند المقدسة حين يتم ترتيلها والتغني بها، فإن من آثار تلك التراتيل المشاركة في حكمة الواقع الإلهي وطاقته، وينظر إليها على أنها نوع من المعرفة المرتبطة بالعمل القادر على قهر التجزئة، والاعتراب في إطار عملية توحيد كل الكائنات، وملء الحياة بطاقة مقدسة^(١).

وقد جاءت نصوص الفيذا مشتملة على التعاويذ والصيغ المقدسة عبر إطار المانترا، وهي عبارة عن صيغ مقدسة ذات قوة سحرية تستعمل في الصلوات والتعاويذ، وهي بدورها قد تم التوصل إليها عن طريق حكماء الهند القدامى الذين كانوا ينقطعون إلى تأملهم في الكهوف والغابات، ويجرزون بلوغ الحقائق الأزلية، وقد نظمت تلاوة تلك التراتيل والصيغ المقدسة وفق نغم إيقاعي، وجرى الاعتقاد بأن منشد التراتيل يصبح قادراً على بلوغ قوى روحانية من خلال ترتيله إذا امتلك موهبة الصوت ذي النغم الرنان^(٢).

ومن أهم التعويذات والمانترات المهمة في الفكر الفيدي الهندي، وقد انتشر بكثرة في تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية ترنيمه "أوم -Om- ॐ"، وهي إحدى سبع ترنيمات مختصة بالشاكرات السبعة الرئيسية لشحن الجسم بالطاقة الكونية^(٣)، وتظل هذه الترنيمة إحدى أهم هذه الترنيمات، ومعناها: الصوت البدائي الذي يعتقد أن الكون خلق بواسطته^(٤)، والمتأمل في الفلسفة الهندية لا يكاد ينقطع لسانه عن ترديد هذا الصوت الذي يختص بفتح العين الثالثة، أو ما يعرف بشاكرة التاج، وهي تسبب للمتأمل أثر اهتزازي، تجلب له تجربة أعمق وأكثر فهماً^(٥).

(١) انظر: الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي، ص ٢١٧.

(٢) انظر: تراثنا الروحي: ص ٢١١.

(٣) راجع الفصل الأول من هذه الرسالة، المبحث الثاني: الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان، المطلب الثاني: مراكز الطاقة الحيوية في جسم الإنسان، ص ٦٠.

(٤) انظر: التطبيقات المعاصرة: ص (٨٢-٨٣).

(٥) انظر: المورثات الحارقة: د. ديباك شوبرا: ص ٢٠٧.

فكرة التأثير بالتعاويد والصيغ المقدسة وجدت عند قدماء الصينيين أيضاً، وقد ظهرت في قدرة الكهنة والسحرة التاويين الذين تبنا مبدءاً أن ما لم يدرك بالعقل يدرك بالسحر، ومن هذا المبدأ ظهر المزيج التاوي المختلط بين الدين والفلسفة، فجمعت بين القواعد السحرية والتعاليم الصوفية^(١).

وإن من أهم التطبيقات التي تستند على التأثير بالتعاويد السحرية على الشخص المريض تطبيق الـ"ريكي"، أو العلاج باللمسة، وهو تطبيق مهم في فلسفة الطاقة الكونية، ويعتمد على العلاج عبر الرموز السرية الخاصة بالـ"ريكي"، وتتم عبر تلك الرموز التوسل بأرواح الأموات أو الملائكة من أجل تحقيق الشفاء، وهي تعتمد من جانب آخر على ترداد المانترات والتعاويد السحرية التي اكتشفها "دلای لامات" التبت، بعد رحلة من التأمل تجلت في التناغم التي تمزج بين التنفس البنفسجي واستخدام أيقونات النار، كحرق البخور وغيرها.

وقد ظهر التأثير بالتعاويد عند قدماء المصريين أيضاً، واهتموا به كثيراً، وأصبحت تلك التعاويد علامة بارزة عندهم، وقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالطقوس الجنائزية للموتى، فالتعاويد المصرية القديمة هي عبارة عن تعاويد يكتبها الأحياء لترشد الموتى إلى طريق الخلاص، وتتضمن محاورات للشخصيات والأحداث والأماكن التي يمر فيها المتوفى في مملكة الموت، وما يجب أن يقال لحرس الأبواب، وتعاويد إبطال الشر وأعداء النور، ومنها أوراد وتراتيل يتلوها المتوفى ليتقمص دور الإله الحامي المكتسب لصفاته، خوفاً من الأرواح الشريرة أن تسرق فمه فيعجز عن الحديث مع الآلهة!، أو تحطف قلبه، أو تقطع رأسه، أو تجعله يضل الطريق، ومن خلال تلك التعاويد يتخلص المتوفى من كل الشرور، ويصل إلى الأبواب التي تفصله عن العودة للحياة مرة أخرى، ولكن عبر العالم الآخر^(٢).

وقد ظهرت آثار الفكر الشرقي القديم على الفلسفة الأفلاطونية الإشرافية، وأصبح الاعتقاد بالتعاويد والسحر والقوة الخارقة التي تقام لها الشعائر والطقوس الدينية من معالم تلك الفلسفة، وظهر أصحاب الطلاسمة والتعاويد الذين يدعون معرفة الطقوس العملية التي تمكنهم من توجيه التأثير الإلهي متى يريدون؟، وأين يريدون؟، وعلى الرغم من معارضة الفلسفة اليونانية القائمة على العقل لمثل هذه

(١) انظر: الفلسفة الشرقية: د. محمد غلاب، ص ٢٤٠، وانظر: الأديان الحية، أديب صعب، الناشر: دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط ٣ = ٢٠٠٥م، ص (٧٨-٧٩).

(٢) انظر: تاريخ الأفكار، دوائر الفكر الأولى: ماجد الحمدان، الناشر: سيبويه للطباعة والنشر الرقمي، الإصدار الأول، ص ١٦.

النزعات والأفكار الوافدة من الفكر الشرقي القديم؛ إلا أنها صبت جميعاً في تاسوعات أفلوطين الذي ارتضى وجود الخصائص السحرية في العالم المحسوس جنباً إلى جنب مع النظر العقلي الخالص^(١). وهكذا يتضح أن التأثير بالتعاويد والصيغ المقدسة من أهم الوسائل التي يستند عليها أولئك المتأثرون بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وهي تعاويد نمت من خلاصة أفكار الفلاسفة الذين كانوا يقضون أوقاتهم في التأمل الكوني داخل الكهوف والمغارات والأماكن التي تؤوي إليها الشياطين، ولن تجد لتلك التعاويد تأثيراً في الأماكن التي يظهر فيها الإيمان بالله، وذكره وتلاوة كتابه العزيز، حتى أصبح حضور تلك الأمكنة والإيواء إليها علامة فارقة بين أهل التوحيد وأصحاب الأحوال الشيطانية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته-: "ولما كان الانقطاع إلى المغارات، والبوادي من البدع التي لم يشرعها الله، ولا رسوله، صارت الشياطين كثيراً ما تأوي إلى المغارات والجبال"^(٢)، والحقيقة أن تأثيراتهم لا تظهر أمام أهل الإيمان، ولا يمكنهم ذلك في المساجد المعمورة بذكر الله، إنما يمكنهم ذلك في الأماكن التي يأتيها الشياطين كالمساجد المهجورة، والمشاهد، والمقابر، والمواخير"^(٣).

• سادساً: التأثير بواسطة التأمل والتركيز الفكري.

من وسائل التأثير على الإنسان في فلسفة الطاقة الكونية التأثير بالقوة العقلية!، وهذا التأثير يأتي من خلال قوة التخيل والتركيز، والاستغراق في التأمل، ويدعي المتأثرين بهذه الوسيلة أن الأمر يحدث عن طريق التخاطر، والإيحاء الذاتي، والجلاء البصري، والسر الذي يكمن وراء ذلك هو قدرة المؤثر على استجلاب الطاقة الكونية، ومن ثم تسخيرها على الشخص المراد له التأثير.

وأصل المسألة هو أن الفلاسفة في الفكر الشرقي القديم بحثوا عن طرق فصل العقل عن الجسد، وإزالة كل العوائق المادية عن الروح، حتى يتسنى للشخص المستغرق بعقله وذهنه في التأمل الكوني اكتساب الإدراك والقدرة الخارقتين للطبيعة^(٤).

(١) انظر: أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان: كامل محمد محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط ١ = ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص (١١٤-١١٥).

(٢) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي

الدمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة البيان، دمشق، سوريا، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٨٠.

(٣) انظر: النبوات: شيخ الإسلام ابن تيمية، (م ٢/ص ١٠٢٦).

(٤) انظر: قصة الحضارة: وليام جيمس ديورانت، (م ٣/ص ٢٦٦).

وهذا النوع من التأثير ظاهر عند ممارسي التأمل الكوني، ويستخدمه أصحاب الـ "يوجا"؛ إذ يعتقد "اليوجي" أنه بوساطة "اليوجا" يستطيع أن يخدر أي جزء من أجزاء جسده بتركيز فكري فيه، وبذلك يجعله تحت سلطانه، فيمكنه إن أراد أن يخفى عن الأبصار، أو أن يحول بين جسده وبين الحركة مهما كان الدافع إليها، أو أن يمر في أية لحظة شاء، أو من أي جزء شاء من أجزاء الأرض جميعاً، أو أن يحيي من العمر ما شاء أن يحيا، أو أن يعرف الماضي أو المستقبل، كما يعرف أبعد النجوم^(١).

وقد تأثر فلاسفة الطاقة الكونية والمتأثرين بمفاهيمها الفلسفية بهذه الأفكار، وأصبح بقدره الذين يمارسون رياضة التأمل والسكينة الوصول إلى حالة التأثير الذهني، ومعظم رجال الدين من البوذيين يمارسون ويتدربون على السكينة، والتركيز، والتأمل^(٢).

وأصبح التأثير عبر التركيز والقوة الذهنية من أهم ما يتميز به الإنسان الكوني، وخاصة حين يتم الترويج على حقيقة ذلك التأثير على أنه حقيقة علمية، وأن طبيعة المادة الصلبة ليست إلا أثراً في رتبة اهتزاز، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له، وهو العقل^(٣)، ومن ثم فإن الرغبات الإنسانية وأمانيتها ومرادها حين ترتبط بالمعتقدات، حينها يكون صانعاً متعمداً لواقعه^(٤)، وهو الواقع الذي يفرض على المتأمل نفسه تحقيق ما يصبوا إليه من خلال التركيز القوي والتخيل وتحقيق الصورة الذهنية على الوقع.

وبحسب المهتمين بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية؛ فإن عملية تحقيق الصورة الذهنية على الوقع تتطلب توافق الذبذبات العقلية مع الذبذبات الكونية!، وما أن يصبح الفرد على دراية بمعرفة قوانين الكون، وفهم سبب استجابة الأشياء على ذلك النحو، فإن كل الغموض والحيرة سوف تستبدل بالصفاء والإدراك، والشك باليقين، والخوف بالطمأنينة، والجهل بالمعرفة، وحتماً هذا لن يحصل إلا من خلال موافقة الرغبات والمعتقدات ترددياً، وعبر ثلاث خطوات:

- الخطوة الأولى: السؤال، فرغبات المتأمل وأسئلته نابعة عن انفتاحه على الطبيعة ذا التنوع والتناقض الهائلين.

- الخطوة الثانية: تلقي الجواب، والجواب لا يأتي إلا عبر الكون، فالمتأمل حين يسأل، فإن الكون هو من يجيب، وهي مهمة العالم اللامادي، فكل سؤال يتم الإجابة عليه، وكل رغبة يستجاب

(١) نفس المصدر السابق: (م/٣ص/٢٦٦).

(٢) انظر: الحاسة السادسة، قوة تأثير العقل على الأشياء المادية: د. ماهر يسري، ص ٧٦.

(٣) انظر: دراسات في عالم الروح: السفير عزت علي البحيري، ص ٣٤.

(٤) انظر: أسأل تعظ: استر وجيري هيكس، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، ص ٥٨.

لها، وكل دعاء يستجاب له، وكل أمنية يتم تحقيقها، وعندما يتم السؤال؛ يتحقق الجواب، وفي كل الأوقات.

- الخطوة الثالثة: السماح بدخول الجواب إلى الوعي، وهي الخطوة التي تؤلف فيها الترددات الاهتزازية للتوافق مع التردد الاهتزازي للرجبة!، وعدم فهم هذه الخطوة هي السبب في عدم تحقيق تلك الرغبات، السماح بدخول ما سُئل عنه إلى الوعي هي الخطوة الأهم، وحتى لو أجاب الكون على سؤال المتأمل؛ فإنه إن لم يسمح بدخول تلك الإجابة فلن تتحقق الرغبة، لأنها لم تُسمع، ولأن الترددات لم تتوافق لأنه لم يسمح لها بالدخول^(١).

وأخيراً؛ فإن التأثير بواسطة التأمل والتركيز الفكري وتطبيقها على النحو الذي ذكرنا يتضمن جملة من المخالفات العقدية، تجعل من الإنسان عنصراً إلهياً خالقاً ومدبراً للكون، وحين يتم ربط المعرفة من خلال الواقع التأملي المتضمن التوجه إلى الكون ومخاطبته، والتوسل إليه من أجل تحقيق الغايات، هي ليست إلا تمكين للقوى الغيبية بالتسلط على الإنسان، وتسخير شياطين الإنس لتحقيق تلك الغايات، وقد كانت تلك الأفكار منتشرة في القدم بين أوساط المتصوفة ورواد المذهب الباطني، ومع التطور العلمي وفي ظل المكتشفات الحديثة؛ فإن تلك الخرافات قد أصبحت علماً متعلقاً بتطوير الذات، تدون من أجلها المجلدات، وينشئ لها مراكز بحث وندوات، وقد كانت قديماً يتم الترويج لها على أنها كرامة، وأما في العصر الحديث فقد أصبحت من معالم الإنسان الإلهي!، وكل ذلك من خدمة الشياطين لهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته- "ونحن نعرف من هؤلاء عدداً كثيراً، وليسوا صالحين، بل فيهم كفّارٌ، ومنافقون، وفُسّاق، وجُهّال، لا يعرفون الشريعة، والشياطين تحملهم، وتطير بهم من مكان إلى مكان، وتحملهم إلى عرفات؛ فيشهدون عرفات من غير إحرام، ولا تلبية، ولا طواف بالبيت. وهذا الفعل حرام. والجُهّال يحسبون أنه من كرامات الصالحين، فتفعله الجن بمن يحب ذلك مكرماً به، وخديعةً، أو خدمةً لمن يستخدمهم من هؤلاء الجهّال بالشريعة، وإن كان له زهد وعبادة^(٢)."

(١) انظر: أسأل تعط: استر وجيري هيكس، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، ص ٨٩.

(٢) انظر: النبوات: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، (م/١ ص ٥٢٤).

المبحث الثالث

الموقف من قضية الوعي الفلسفي

* الوعي بحسب المفاهيم الفلسفية للطاقاة الكونية

وفيه مطلبان:

- * **المطلب الأول:** الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للدين .
- * **المطلب الثاني:** الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للمعرفة الباطنية .

المبحث الثالث

الموقف من قضية الوعي الفلسفي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للدين.

يعتبر الوعي الديني من المسائل التي تطرقت إليها فلسفة الطاقة الكونية، وقد حظيت بعناية بالغة في الفكر الشرقي القديم؛ إذ كانت تطبيقات الطاقة الكونية ومؤثراتها الغيبية على النفس هي الدين في حد ذاتها، وهذا الأمر لا يهمننا كثيراً؛ فدراسات الأديان الوضعية قد أسهبت في الموضوع، وتطرقت إليه دراسة وبحثاً، ولكن حين اختلطت تلك الأفكار الفلسفية مع مجتمعات النبوة وأصحاب الدين السماوي تأثر كثير منهم بتلك الأفكار الفلسفية، وأصبح الدين إحدى أهم قضايا الوعي التي شغلت بال الكثير من المفكرين والفلاسفة على مر العصور، والسبب وراء ذلك هو أن الوعي الإنساني ظل في صراع دائم أمام نموذجين من الدين، نموذج نابع من السحر، وذلك راجع إلى إيمان الإنسان منذ القدم بأشياء خرافية وسحرية يلجأ إليها، لتفسير ما يعترضه من مشاكل دنيوية، فإذا كان الحيوان يجهل الخرافات جهلاً تاماً، فإن الإنسان على العكس من ذلك، هو الحيوان الوحيد الذي يعلق أماله الكبرى في صميم وجوده على أمور وهمية وغير معقولة، وظواهر غيبية غير مفهومة، وقوى سحرية غير ملموسة^(١).

والنموذج الآخر نابع من الفطرة الإيمانية التي تدعو الإنسان إلى التدين، ولم يكن الإنسان منذ القدم في حاجة إلى الإيمان بالخرافة والسحر إلا حين ابتعد عن نور الوحي الإلهي، وإلا فإن البشرية منذ أن خطت أقدامها على هذه البسيطة فإن مصدر المعرفة لديها متعلق بالوحي الإلهي، والحالة الدينية في مجتمعات النبوة قائمة على حماية العقل من الولوج فيما لا طائل من ورائه، وهي في المقام الأول تربط الإنسان بخالقه، وتجعله مطيعاً خاضعاً له. كما تجعله أمام الغيبيات مؤمناً مستسلماً لله رب العالمين.

إن محاولات الفلاسفة لتفسير حالة الوعي البشري نحو الدين جعلهم في مأزق فكري حقيقي، ومعضلة كبرى أمام المفاهيم الفلسفية التي ينظرون لها، فهم في الوقت الذي يبنون فيه مدينتهم الفاضلة،

(١) انظر: برغسون - سلسلة نوابع الفكر الغربي: إبراهيم زكريا، الناشر: دار المعارف، ط ١= ١٩٩٨م، ص ١٩٨ وما بعدها.

وتلك المدينة التي يحكمها رئيس فاضل ومتميز بوعيه عن الوعي البشري، فإنهم في الوقت ذاته يهدمون ما بينونه حين يقررون أن الدين النابع من الفطرة والتي تسيطر على حالة الوعي لدى مجتمعات النبوة هو دين منغلق؛ لأن المجتمع في حد ذاته منغلق على نفسه؛ لأنه يضم البعض، ويترد غيرهم، وبالتالي فإن أخلاق المجتمع مغلقة تشبه في بعض الوجوه خلايا النمل أو بيوت النحل^(١)!

ولما كانت أخلاق مجتمعات النبوة مغلقة لأنها تضم البعض وتطرده من خالفهم!، فإن الدعوة الفلسفية تضمنت تبني مبدأ البحث عن الأخلاق المفتوحة، وهي الأخلاق التي جاء بها أولئك الأبطال من المتصوفة وأصحاب المعرفة الحدسية، وهي تعبر عن اتحادهم بالمصدر الأصلي للحياة، أو بالوثبة الحيوية نفسها، وهذا الاتحاد هو الأصل في شعورهم بالتحدي من ربة الطبيعة، وأسر المدينة. وبمعنى آخر؛ فإن الأخلاق الصادرة عن اليقظة الفكرية والإلهام الروحي والحدس الصوفي هي الأخلاق المفتوحة والمتحررة أكثر من قيود المادة، والأخلاق المفتوحة جعلت أولئك المتصوفة وأصحاب المعرفة الحدسية يتصفون بثلاثة أوصاف مهمة وهي: "الفعل"، و"الحب"، و"الخلق"، وهم بهذه الصفات الثلاثة استطاعوا أن يسبروا غور جميع الموضوعات الموجودة في الكون^(٢).

إن تأصيل الوعي الأخلاقي على هذا النوع جعل من مسألة الدين مشكلة كبرى لدى أولئك الفلاسفة؛ فهم ينظرون إلى الدين على أنه حاجة إنسانية، وأن الإنسان لا بد وأن يكون خاضعاً للقانون الكوني الأعلى، والخضوع هنا نابع عن فشل الإنسان في الوصول إلى الحقائق الغيبية، ونتيجة لذلك فقد اختلفت التصورات بسبب اختلاف التفسير النابعة من التوجهات الإنسانية لإدراك الحقائق الغيبية، ولذلك نجد أن كل المحاولات الفلسفية لتفسير نشأة الدين مرتبطة بهذا المفهوم، ولو ترك الناس الانشغال بمثل هذه الأمور التي لا تحيطها عقولهم، وعملوا بمبدأ الاستسلام لله، والخضوع له، وأن الإنسانية قد حُجب عنها كنه العالم الغيبي، لأن عقلها لا يمكن أن يستوعب ذلك العالم، وأن محاولات قياس عالم الشهادة على عالم الغيب قياس فاسد يؤدي إلى طمس الغاية والحكمة من إخفاء العالم الغيبي، ومن أجل ذلك وقعت الإنسانية في أمور تتنافى مع الفطر السليمة؛ حين يكون الإنسان عبداً لشهواته ونزواته بفضل ذلك القياس الفاسد، أو يكون أسيراً للقوى الغيبية الخفية بفضل محاولة

(١) انظر: برغسون - سلسلة نوابع الفكر الغربي: إبراهيم زكريا، ص ١٨٨.

(٢) انظر: الدين السكوني والدين الحركي عند برغسون: إسماعيل الموسوي، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات

والأبحاث، متاح على موقع الناشر: "<https://www.mominoun.com>".

استكشاف العالم الغيبي واستطراق أبوابه، أو يكون منكفئاً على الطبيعة يتأمل بها ولا يتدبر فيها، مستلطفاً رحمتها من أجل أن تمدّه بالمعرفة الحدسية.

وحيث تكون الإنسانية على مثل هذه الحالة الدينية والأخلاقية فإنها تكون قد جنت على نفسها حين خرجت من دورها الرائد في عمارة الأرض والغاية التي من أجلها استخلفت في هذه البسيطة، لتتقمص دوراً أقل فعالية؛ حين يكون دورها منكفئاً على التأمل في الطبيعة وتسخير القوى الغيبية من أجل تحقيق غاياتها النفسية، فتحقق رغباتها الشهوانية عبر تحطيم القيم الأخلاقية، فهي في الجانب العملي منعزلة عن المجتمع ومستغرقة في التأمل، وهي في الجانب السلوكي تمارس على نفسها أشد أنواع الأذى النفسي من أجل قتل رغباتها، وإن كانت هذه الصورة السلوكية قديمة لأن الإنسانية لم تجد ما يبرر لها سلوكها المشين، فحرمت على نفسها كل أنواع المتع المباحة لها، وأضحت الهندوسية أحد أهم المعالم الحضارية في العالم القديم التي تبنت تلك الأفكار؛ وجاءت قوانين "منو" صارمة لضبط المجتمع من الوقوع في الغريزة الفطرية للنفس البشرية، ورأت تلك القوانين أن الوقوع في تلك الغرائز النفسية انحرافاً سلوكياً يغضب الآلهة!، جاء في قوانين "منو" - بعد أن ذكر أحكام الرهبان، وقسمهم إلى أربع فئات، وكل فئة تمثل دوراً ومرحلة عمرية، فدور التربية والتعليم الذي ينتهي عند عمر الخامسة والعشرين، ودور الحياة العائلية الذي ينتهي عند عمر الخمسين، ودور التربية الروحية الذي ينتهي عند سن الخامسة والسبعين، ودور الحياة الرهبانية ومرحلة الاتحاد بالبرهما والذي يبدأ من بعد الخامسة والسبعين إلى المائة- "أن الطالب في الدور الأول عليه أن يتجنب استعمال العطور، والتزيين الظاهري ويتعد عن النساء، وإن تزوج فعليه أن لا يقرب من زوجته، ولا يبيت معها، وإنما يبيت في بيت شيخه!، وعليه أن يتسول!، ويأكل وجبة واحدة يومياً، وعليه أن يسيطر على جميع شهواته؛ فلا يشرب الخمر، ولا يأكل اللحم، ولا ينظر بشهوة، ولا يقترب من النساء، وهو إن اقترب شيئاً من المحرمات وجب أن يصلي للشمس كثيراً"^(١)، ولعل السبب من التعرض للشمس هو من أجل قتل الرغبات الشهوانية، وتعذيب الجسد.

وهذه الصورة التي تتنافى مع الطبيعة البشرية تحطمت، وتحطم معها كل القيم الأخلاقية والفضيلة بفضل الثورة الصناعية، ووجد الإنسان نفسه أمام كم هائل من النظريات الفلسفية التي تبرر له التحرر النفسي والفكري، ومن بين تلك النظريات تظهر لنا نظرية "هنري برغسون - Henri Bergson" حول الدين، وهي نظرية خطيرة قائمة على إقصاء الدين بكافة صوره، سواء كانت تلك الأديان من أديان النبوة، ويهدف إلى طمس آثاره ومعارفه المستندة على الوحي الإلهي، أو كان تلك الأديان من

(١) انظر: فصول في أديان الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص ٨٠ وما بعدها.

أديان السحر والفلسفات الشرقية النابعة من الاعتقاد بتأثير القوى الغيبية على النفس، وبالتالي فإن تلك النظرية تهدف إلى تغيير الصورة النمطية عن ذلك المجتمع المتدين حين يمارس أفسى أنواع العذاب الجسدي من أجل الوصول إلى المعرفة، ومن ثمَّ فإنَّ نظرية الدين الحركي قد قضت على معالم التدين في مجتمعات ما قبل الثورة الصناعية حين وصفت ذلك التدين بأنه "دين سكوبي"، دين من خصائصه أن يتبنى الجمود الفكري!، "إن وظيفة الدين السكوبي تكمن بالأساس في أنه رد فعل دفاعي تقاوم به الطبيعة ما في اشتغال العقل مما قد يشل قوى الفرد ويحل تماسك المجتمع"، وهكذا تفسر الحالة الدينية في المجتمعات المتدينة على أنه رد فعل دفاعي يقاوم به الفرد الطبيعة ضد ما أدى إليه العقل من تفرقة الفرد عن الجماعة وتفرقة الجماعة عن الفرد، مما أدى إلى تفكيك بعضهما عن بعض، ففي الدين السكوبي هنا تشبث بالحياة حتى وإن أدرك العقل بأن نهايته محتومة بالموت، وبالإضافة إلى إخلاص الفرد إلى الجماعة، وإن كان يأمره عقله بالتفرد^(١).

وإذا كانت نظرية الدين الحركي قد نقدت الدين السكوبي ونقضته تماماً؛ فإنها مقابل ذلك قد قدمت رؤية بديلة للدين تتمحور حول تجربة روحية غايتها تحقيق الاتصال بالله، ومصدرها الحدس الصوفي، ومنهجها قائم على ترسيخ مبدأ العمل مقابل التأمل والنظر، وشرطها أن تكون أعمال الإنسان متوافقة مع الفعل الإلهي!

حسناً؛ وإذا كان الأمر كذلك، فإن من حسنات هذا الدين أنه نبذ مبدأ الاتكالية حين ينكفأ رهبان المعبد على ممارسة التأمل بعيداً عن العمل، وإذا جاء وقت العمل؛ فإن عملهم يتمركز حول التسول، ومد يد الذل والإهانة إلى الناس من أجل تأمين المأكل والمشرب، وهذه الصورة تتنافى مع الحالة الدينية؛ فالدين يعني فهم العلاقة بين المطلق والمحدود، وأن المحدود ليس مفتقراً إلى محدود مثله، وإنما مفتقر إلى المطلق، افتقار من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وخضوع وتمجيد^(٢). وعوداً على موضوع الدين الحركي؛ فإن تحقيق الغاية من الاتصال بالله لا يمكن أن يكون قائماً على مصدر الحدس الصوفي، لأنه مصدر غير معصوم، ويشوبه الشك والحيرة والاضطراب، وحين نتحدث عن مصادر الدين الحقيقية؛ فإن تلك المصادر لا بد وأن تتفق البشرية على عصمتها، وقد علم بدهة أن لا مصدرًا يملك مقومات العصمة مثل مصدر الوحي الإلهي.

(١) انظر: برغسون - سلسلة نوايغ الفكر الغربي: إبراهيم زكريا، ص ٢٠١.

(٢) انظر: الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د. محمد عبد الله دراز، ص ٤٩.

وبالتالي فإن تغليب الجانب الحدسي للوصول إلى الوعي الديني خطأ في المصدر والمنهج، خطأ في المصدر حين يجعل أساس الوعي بالدين نابعاً من التجربة الصوفية وهو الحدس، والمعرفة الدينية بناءً على هذه التجربة تتشكل من خلال العيش في اللحظة لا من خلال المقارنات مع المعارف التي تتوفر من مفاهيم خارجية وسطحية، وهو في هذا السياق يميز بين بين النباتات والحيوانات من جهة، والإنسان من جهة ثانية، حيث إن الأولى تحيا غارقة في طمأنينة مطلقة لا يكاد يطلع عليها الإنسان، لكونها تحيا في "الآن"، كما لو أنها كانت تنعم بالأبدية، ليس فيها موضع للقلق أو اللهفة أو السأم، لكونها تعيش في لحظتها ولا تعطي أية أهمية لتابعات هذه اللحظة. أما الإنسان، فهو "الحيوان الوحيد الذي لا يضمن فعله"، فيتردد ويتخبط، ثم يبني مشاريعه، وهو مؤمل في النجاح، مشفق أن يخفق. هو الكائن الوحيد الذي يعرف أنه ميت لا محالة. أما غيره مما في الطبيعة، فيتفتح ويزدهر في هدوء تام، وطمأنينة كاملة"^(١).

وخطأ في المنهج حين يجعل الدين هو العمل وفق "الفعل الإلهي"، ويعني بذلك التحرر من كل قيود المادة، لكي تربط الاتصال بالفعل الإلهي نفسه، ومن ثم يقرر أن "الصوفي العظيم هو تلك الشخصية التي استطاعت أن تتحرر من كل قيود المادة لكي تربط الاتصال بالفعل الإلهي نفسه"^(٢)، فالتحرر من كل قيود المادة خطأ في المنهج؛ لأنه في حقيقة الأمر يمثل انعكاس على الدين الحق، ورفض لشريعة الله، كونه يجعل الدين الخاضع لقيود المادة ديناً سكونياً منغلقاً على المجتمع، ويحمل في طياته أوامر ونواهي، وهو قد نقض الدين السكوني، وانتقل إلى الدين الذي يبعث في النفس تجربة صوفية خالصة، من شأنها أن تتصل بما يسميه "الجهد الخالق"، والوصول إلى ذلك الجهد يعني خوض تجربة صوفية تضمن الانفتاح على التأويل العقلي، وهي بدورها تكشف للمتصوف مضامين فلسفية عميقة لم يكن بمقدوره أن يتوصل إليها أو حتى يعرفها، وبالتالي فإن التجربة الصوفية القائمة على الحدس الصوفي هي السبيل الأوحى لتكملة تلك النظرات الميتافيزيقية الناقصة^(٣)، ولكن هل يمكن أن تكون تلك الأفعال التي يصدرها الإنسان الذي تحرر من قيود المادة، وعاش المعرفة الحدسية حين عايش لحظاتها متوافقة مع الفعل الإلهي!.

(١) انظر: منبع الأخلاق والدين: هنري برغسون، ترجمة: سامي الدروبي، عبد الله عبد المنعم، الناشر: الهيئة المصرية العامة

للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، ط= ١٩٧١م، ص ٢١٨.

(٢) انظر: التطور الخالق: هنري برغسون، ترجمة: محمد محمود قاسم، ص ١٧٦.

(٣) انظر: برغسون - سلسلة نوابع الفكر الغربي: إبراهيم زكريا، ص ٢٠٥.

ثم إن نظرية الدين الحركي حين انتهجت مبدأ العمل مقابل التأمل والنظر، واشترطت أن تكون أعمال الإنسان متوافقة مع الفعل الإلهي، فإن تلك الأفعال الإلهية لا تظهر إلا من خلال المحبة، باعتبار أن "الله" خلق الخلق من أجل أن يحبوه، وباعتبار أن المحبة هي التي يتألف الكون جميعه بفضلها، وعن طريق المحبة والتعاطف والغبطة الروحية تتحقق آمال الإنسانية، وتعلو على اللذة والألم، وتسمو الحالة النفسية النهائية التي يصل إليها الفرد الصوفي.

إن نظرية الدين الحركي قد انتشرت كثيراً لدى أوساط المتأثرين بالمفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، وتأثروا بها كثيراً، وظهرت بوادر نقد الدين الأصيل، بكونه جامعاً للأوامر والنواهي، الأمر الذي يجعل من الفرد متقيداً بالتعاليم الدينية، وأصبح التحرر من الشعائر سمة بارزة عند المتأثرين بالطاقة الكونية، وظهرت دعاوي من الشرق والغرب تنادي بنبذ الدين الشعائري، والانكفاء على الدين النابع من الذات الإنسانية، كون الدين أمر شخصي، ولا سبيل إليه إلا من خلال الحب، والتعرف إلى الألوهة، وليس من خلال التفكير بالله!، لأن التفكير بالله ممتنع! لأن الفرد لا يعرف عنه شيئاً، والأمر أشبه ما يكون بمن يمارس عملية تخيلية وهو لا يدرك عن المتخيل أي شيء، ولا يعرف عن حقيقته، ومن هذا المنطلق فإن الرؤية الفلسفية حول الدين تكمن في إعادة اتحاد الفرد مع نفسه وليس مع الآخرين، والإنسان يظل فاقداً للاتصال بالإله بسبب أنه نسي أصله وتاه في الغفلة، وهذا الاتصال لن يتحقق إلا بإعادة التوحد مع الجذور لعودة الحياة من جديد كما تعود الحياة إلى الشجرة حين يتم اتصالها بالجذور بعد أن قطعت عنها، وهي بدون ذلك الاتصال لن يكون بمقدورها الاستمرار على الحياة، ولن تبقى خضراء نضرة^(١)، وكذلك الإنسان؛ فإنه يحمل في ذاته وداخل كيانه شرارة إلهية، ولن يصل إلى تلك الشرارة إن هو كان أسيراً للدين الشعائري الذي يحوي في مضامينه أوامر ونواهي!، ومن هنا كان لا بد للوعي الكوني أن يتدخل كي يوجد ممارسة حقيقية نابعة من الدوافع الذاتية للارتقاء وإخراج الإنسان من الدائرة الضيقة إلى دائرة أعلى تتسم بالشمولية، وتحقيق تجسيد "الإنسان الإله" ذلك الإنسان الواعي بمقدِّراته وجوهر إنسانيته، ذلك الكائن الذي يمارس ماهيته من خلال وجود حقيقي، لا وجود زائف، وقد كانت أولى خطوات تلك الممارسة حين أعلن "نيتشه" موت الإله، وبشر بتجسيد "الإنسان الأعلى"^(٢).

(١) انظر: ألف باء التنوير - القاموس الروحي لكل الأزمان: أوשו، ص(٨١-٨٢).

(٢) انظر: الله في حقيقته هو الإنسان - مقدمة في ضرورة ممارسة الوعي الكوني: أحمد الخيال، مقال منشور على موقع:

"معابر"، دمشق، سورية، راجع: <http://www.maaber.org>.

وإذا كان هذا هو حال الإنسان في عهد الثورة الصناعية، وهو في الوقت الذي يعلن فيه موت الإله، وزوال كل القيم والمثل العليا والأخلاق النابعة من الأديان، فإنه في الوقت ذاته أعلن تمرده على الإله الحق حين جعل من الإنسان إلهاً لنفسه، ولم تعد الإنسانية في عهد الصناعة إلى إله يحفظ لها آلتها وإنتاجها، وهكذا تحرر الإنسان من كل القيود التي كانت مفروضة عليه في المجتمع الزراعي، ولم يعد هنالك حاجة إلى الدين، فإن واقع الإنسانية اليوم يدعو إلى التأمل حول وعيها الديني، وحين ننظر إلى ذلك الوعي نجد أنها مجرد قوانين تعود بالإنسان إلى تبني الفلسفات الوثنية القديمة، وهذا ما نلاحظه في قوانين النجاح التي ذكرها "ديباك تشوبرا - Deepak Chopra"، وهي قوانين ساهمت في ترسيخ مبدأ "الإنسان الإله"، ولكونه مؤمناً بهذه النظرية؛ إذ يصف نفسه بأنه كائن إلهي، فقد جاءت قوانينه متوافقة مع هذا المبدأ، ومعرفة هذه القوانين تقودنا إلى معرفة حقيقة الوعي الديني عند منظري فلسفة الطاقة الكونية ورواد التنمية البشرية، وملخص هذه القوانين ما يلي:

القانون الأول: قانون القوى الكامنة: وهو القانون الذي يتركز على حقيقة الوجود في الحالة الأساسية، وهو حالة الوعي الخالص، والدخول إلى تلك الحالة تجعل الطاقة الكامنة متجلية في الحقيقة، وهذا يعني الخضوع إلى النفس التي هي ذات وروح متحررة من كل الأشياء، ومحصنة ضد الانتقاد، ولا تخشى أي تحد، ولا يمكن تطبيق هذا القانون إلا من خلال التأمل الصامت والدخول في حالة السكون، "أنتى توجّهت في صلب الحركة والنشاط، احمل معك السكون الموجود في داخلك، ولن تحجب الحركة الفوضوية حولك ووصولك إلى خزّان الإبداع، حقل الطاقة الكامنة"^(١).

القانون الثاني: قانون العطاء والتلقي، أو قانون الأخذ والعطاء، لأن الكون يعمل من خلال التبادل الدينامي الثابت، فالحياة في جريانها والعقل في تفاعلاته ليس إلا تفاعلاً منسجماً مع جميع العناصر والقوى التي تنسق حقل الوجود، وكلما أعطى الإنسان أكثر تلقى أكثر، فإذا أراد أن يفرح فعليه أن

والمقصد بالوجود الحقيقي والوجود الزائف هو نفس ما يقصده الفكر الشرقي القديم وفلسفة أفلاطون المثالية حين يجعل وجود العالم المادي وجوداً زائفاً، ووجود العالم الروحي وجوداً حقيقياً، والوجود الزائف ليس إلا انعكاس لعالم المثل الذي يمثل الوجود الحقيقي، ويكمن دور الإنسان في محاولته الهرب من عالم المادة إلى الاتحاد بعالم الروح، وتحقيق الخلود الأبدي.

(١) انظر: القوانين الروحية السبعة للنجاح، ديباك تشوبرا، ترجمة: رجا أبو شقرا، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٢٠١٣م، ص (١٧ وما بعدها).

يمنح الفرع للآخرين^(١)، وهكذا يؤسس "تشوبرا" قانوناً لا يرتبط لا بجزء، ولا بعقاب إلهي، ولا بقدر، وإنما الحياة عبارة عن أخذ وعطاء، فكلما أعطيت ستتلقى، وما أخذت إلا عن عطاء^(٢).

القانون الثالث: قانون الكارما، فكل فعل يولد طاقة ترجع إليه على الشاكلة ذاتها، وما يزرعه الإنسان سيحصده، وبالتالي فإن على الإنسان أن يكون على دراية واعية بالخيارات التي يتخذها في كل لحظة، فكل شيء يحدث الآن هو نتيجة لخيارات تم اتخاذها في الماضي، ومن أجل ذلك فإن اعتماد الأسلوب الذي يساهم في اتخاذ الخيارات الواعية يمنح الإنسان الكثير من السلطة، ويمده بالطاقة والقوة المحركة، ولتأخذ مثلاً على هذا القانون؛ فإن الوعي بتأليه الإنسان يجعل من الإنسان نفسه أكثر وعياً من غيره من الإنسان المتشبهت بالخيارات المطروحة عليه من قبل تدينه، وبالتالي فإنه لا يملك خيارات أخرى مناسبة ويجعله يعيش عواقب قرارات اتخذها في الماضي!^(٣)

القانون الرابع: قانون المجهود الأقل، وهو قانون يرتكز على حقيقة تقول: "إن ذكاء الطبيعة يعمل بسهولة ويسر، ومن دون عناء مع خلو البال والانسجام والمحبة"، ومعنى هذا أن يعيش الإنسان في لحظته، منسجماً مع الكون، دون أن يدخل في تفاصيل تلك اللحظة، فالطبيعة في جوهرها وحقيقتها تتجلى داخل الكائنات، والكائنات لا تسأل عن ماهية ذلك التجلي، إنها هكذا وحسب.

وتطبيق هذا القانون يتم من خلال ثلاثة عناصر:

- ١- العيش في اللحظة، وتقبل كل شيء بما هو عليه، لأن الكون كله كذلك، ويجب أن يكون كذلك، فاللحظة هذه هي كما هي الآن؛ لأن الكون هو كما هو.
- ٢- عدم لوم أي شخص أو شيء على الوضع الذي تتم معاشته في اللحظة، وهذا يعني التنصل من المسؤولية، فالكون هو الذي يعطي وهو الذي يأخذ!
- ٣- عدم الدفاع والتبرير لمعتقداتك وقناعاتك، لأن الإنسان كلما قاوم كلما وجد مقاومة مضادة!^(٤)

(١) نفس المصدر السابق: ص (٣٧ وما بعدها).

(٢) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد، ص ٢٩٦.

(٣) انظر: القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك تشوبرا، ترجمة: رجا أبو شقرا، ص (٤٩ وما بعدها).

(٤) نفس المصدر السابق: ص (٦٥ وما بعدها).

القانون الخامس: قانون القصد والرغبة، أو قانون النية والإرادة، وهو قانون مبني على الوعي الإنساني بأن الطاقة والمعلومات موجودة في كل مكان في الطبيعة، القصد هو القوة الحقيقية الكامنة وراء الرغبة المتحررة من أي ارتباط، وتسخير طاقة القصد وتوجيهها لتحقيق الرغبات^(١).

القانون السادس: قانون الانفصال، ويعني أنه من أجل الحصول على أي شيء في الكون، يجب أن يتخلى الإنسان عن الارتباط بذلك الشيء، ولا يتعلق به، وهذا القانون يجسد الوجه الآخر لقانون العطاء والتلقي، فرغبة الإنسان المتولدة عن إرادته تتوجب عليه أن يتقدم إلى الكون ويطلب منه تحقيق رغباته، ولكنه لا ينتظر العطاء، لأن العطاء لن يتحقق إلا بمقدار ما أعطى^(٢).

القانون السابع: قانون الدارما، أو القصد والغاية والهدف في الحياة، فحقل الطاقة الكامنة هو في جوهره حقل مقدس، رائع، سام، روحاني، وما هو مقدس ورائع وسام وروحاني يتجسد في الشكل البشري ليحقق هدفاً في الحياة، وما التجسيديات البشرية في أجسامها المادية إلا من أجل أن تحقق تلك الأهداف، وتلك الأجسام البشرية تحمل في كيانها شرارة إلهية مقدسة، "في داخل كل واحد منا طاقة عليا في طور جنين يتوق إلى الولادة حتى يعبر عن روحانيتنا". ويقصد بالطاقة العليا تلك الشرارة الإلهية الكامنة في الذات، واكتشاف هذه الشرارة تكون من خلال الإقرار بأن الإنسان في حقيقته مخلوق روحاني، لم يوجد في هذه الدنيا إلا من أجل أن يكتشف حقيقته الروحانية، وهو يحمل في كيانه موهبة فريدة، والتعبير عنها يأخذه إلى حالة من الوعي والدراية لا يحدهما زمن، وأخيراً من خلال خدمة الإنسانية^(٣).

والحاصل أن الوعي الديني عند فلاسفة الطاقة الكونية نابع من الإيمان بتأثير القوى الغيبية، وينتهي إلى تأليه الإنسان عبر الدعوة إلى التحرر من المعتقدات، وتحطيم القيم الأخلاقية من خلال تحرير الذات من جمود المادة إلى حيوية الروح، لتصل في نهاية المطاف إلى ترسيخ فكرة أن كل إنسان مسؤول عن تشكيل واقعه وأقداره، وأن كل ما يحصل في الكون هو بتوجيه من الفكر البشري، سواءً كان ذلك التوجيه سلبياً أو إيجابياً، كما أنه مسؤول عن تحديد طريقه في الخلاص، وتحقيق الخلود الأبدي من خلال إدراك الجنة المنشودة في داخل الإنسان^(٤).

(١) نفس المصدر السابق: ص (٨١ وما بعدها).

(٢) نفس المصدر السابق: ص (٩٩ وما بعدها).

(٣) نفس المصدر السابق: ص (١١١ وما بعدها).

(٤) انظر: حركة العصر الجديد: د. هيفاء الرشيد، ص(٢٩٥-٣٠٠).

المطلب الثاني: الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للمعرفة الباطنية.

من خلال دراستنا لفلسفة الطاقة الكونية وتطبيقاتها؛ فإن الغاية من ممارسة تلك التطبيقات هو الوصول إلى المعرفة، ثم إن طرق الوصول إلى المعرفة الإلهية من خلال ممارسة تلك التطبيقات لا تتم إلا من خلال المعرفة الباطنية^(١).

والمعرفة الباطنية هي معرفة نابغة من النفس مباشرة، حين يتم اتصالها بالعقل الفعال لتحصيل الأسرار الإلهية، والحقائق الدينية، وينظر إليها على أنها معرفة أرقى من العلوم الذي يحصل لعامة المؤمنين، أو لأهل الظاهر من رجال الدين، فهي خاصة بصفوة معينة من الناس^(٢)، ولديهم من الإمكانيات والقدرات الخارقة التي يستطيعون من خلالها التوصل إلى المعرفة التامة، ومن خلال تلك المعرفة يستطيعون حل القضايا الكونية^(٣).

ومن خلال ما سبق؛ فإن مصادر المعرفة الباطنية يمكن حصرها في ثلاثة أمور وهي:

• المصدر الأول: النفس.

ولا يمكن الوصول إلى القوة النفسية الكامنة إلا من خلال ممارسة الرياضات الروحية، وممارسة التأمل والتخييل، وفناء الروح عن الجسد؛ لأن النفس تعرفت إلى عالم المثل إبان وجودها السابق، وحين دخلت الجسد نسيت ذلك العالم^(٤) بفضل انغماسها في الملذات والشهوات، وحين تتذكر وجودها السابق تحن إلى ذلك العالم، وترغب بالسفر إليه، وهذا يتطلب نفي الجسد وقتل شهواته ورغباته، فالنفس في صراع دائم بين قوى الخير الروحية، وقوى الشر الجسدية الشهوانية، وأن النفس تروم من هذا الصراع الخلاص من دواعي الشر، والرجوع إلى أصل خلقتها الخيرة، والامتزاج بالكائن العلوي عن طريق الوصول إلى العرفان الروحي^(٥).

وحقيقة ذلك العرفان أن العارف المتنسك صاحب البصيرة يظن أنها معارف منعكسة عن اللوح المحفوظ تجلت في النفس بسبب أنها أصبحت كالمرآة المصقولة، انعكس عليها الصورة كما تنعكس على

(١) سبق الحديث عن المعرفة الباطنية في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه الرسالة، راجع ص ١٤٩.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا، (٧٢/٢)، وبنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، ٢٥٤، وتاريخ الكنيسة المفصل: بولس باسيم، (١/١٢١، ٧٤).

(٣) انظر: تحافت الفلسفة: السيد محمد أبو الفيض، ص ١٤٣.

(٤) انظر: أطلس الفلسفة: بيتر كونزمان وفرانز - بيتر بوركارد، ترجمة: د. جورج كتورة، الناشر: المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط ٣=٢٠١٢م، ص ٤١.

(٥) انظر: أصول الإيمان بالغييب: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، ص ١١٦.

المرأة، وبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألاً فيه حقائقه؛ ولا سبيل إلى ذلك إلا بالرياضة-^(١).

وبالتالي فإن مصدر هذه المعرفة لا يمكن الوثوق به، ولا يمكن الاعتماد عليه، وخاصة إذا كان الشخص يمارس تلك الرياضات النفسية في مواطن حضور الشياطين، وبعيدة عن أماكن ذكر الله، لأن هذا النوع من المعرفة هو ردة فعل لما ينويه الإنسان في نفسه، وما يضر فيها من خطرات تكون في بدايتها عابرة، أو فكرة سابحة، ثم ما تلبث أن تتحول تلك الخطرات والأفكار إلى ردة فعل في ذهن المتأمل نفسه، فتجده يفكر فيها، ويتخيل ما يريد فعله، والنفس تدمه بالأفكار تلو الأخرى، حتى يصل إلى قناعة بأن ما يفكر فيه هو الحق، وبالتالي تصبح تلك الحقيقة نسبية، فما يراه المتأمل بنفسه من حق قد يكون باطلاً عند غيره، وهذه سنة كونية قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَاؤُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١٧) ^(٢)، فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي، وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم^(٣)، وحتى وهم حين وكلوا إلى أنفسهم لم يستطيعوا أن يتفوقوا على سفاسف الأمور فضلاً على أن يتفوقوا على المعارف الكلية، ولذلك فإن من الحكمة الإلهية حين وكلهم إلى أنفسهم جعل كل واحد منهم مسؤولاً عن تصرفاته وأفعاله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤)، فما توصلت إليه البشرية مما تظنه أنها معارف وردت إلى النفس من القوة العلوية المقدسة لا يمكن أن تقبل إلا من خلال عرضها على الوحي الإلهي، ومن ثم لا تتعارض تلك المعارف مع العقل، وقد علم بدهاة أن الإنسان لا يتوصل إلى المعارف إلا عن طريق العلم والتعلم، وهذا العلم مبثوث فيما هو معتبر من الوحي الإلهي، وله علماء الذين يفهمون مقاصده، ويدركون أسراره، والعمل بخلاف ذلك هو تعد على العلم وجناية على المعرفة، وقد يقول قائل إن تلك المعارف النفسية التي توصل إليها ذلك العابد الذي أفنى عمره في دراسة العلم الباطني والأسرار الإلهية، فهو يمارس تأملاته بمقتضى تلك العلوم، والجواب على ذلك أنه يجب أولاً النظر في حقيقة تلك العلوم، وبأي صفة اكتسبت القداسة، حتى أصبحت أسراراً وعلوماً إلهية، لاحق لأحد فيها إلا من سلك طريق المعرفة

(١) انظر: إحياء علوم الدين: ص ٧٨.

(٢) سورة هود: الآية رقم (١١٧-١١٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣٩٢.

(٤) سورة النحل: الآية رقم (٩٣).

الباطنية، وأفنى عمره في ممارسة الرياضات الروحية والتأملات الكونية، وهل تلك الأسرار تتوافق مع الوحي، وهل ردة فعل أولئك المنتسكين متوافقة مع العقل؟.

إننا لا نجد في مقابل ردة أفعال أولئك المهتمين بالطاقة الكونية إلا تسخيراً للقوى الغيبية المؤثرة على النفس؛ حين يتم الاستعانة بشياطين الجن من أجل تحقيق غاياتهم، ومن ثم أصبحت المعرفة الآتية من هذا الاتجاه معرفة منعكسة على النفس من العالم الآخر، ثم وصفت بالقداسة وأضحت تلك المعارف معارف إلهية!، وما التأمل من أجل بلوغ الاستنارة وتحصيل المعرفة الماورائية، والتوجه إلى الطبيعة والاعتقاد بتأثير العناصر الطبيعية على الإنسان، ومخاطبة الكون من أجل تحقيق الرغبات، والتصور الذهني عند الإنسان الكوني الذي يمارس التأمل والسكون بأنه بمقدوره استمداد الطاقة الكونية، ومن ثم مقدرته على تسخيرها في خدمة الإنسانية بكل صورها، سواء من الادعاء برؤية الأجسام الأثيرية، أو الاعتقاد بإمكانية الدخول إليها، ومن ثم الظن بأن الطاقة الكونية تسري إلى داخل القنوات الشاكرية، أو من خلال الاعتقاد بأنه بمقدور الإنسان الكوني أن يبعث الطاقة الكونية إلى من يشاء، وفي أي مكان في العالم يشاء، وتحقيق الأمور السابقة من خلال الوعي بها والوعي بتأثيرها عبر ترديد المانترات والصيغ المقدسة المخصصة لها إلا استدعاء للقوى الغيبية المؤثرة على النفس، وقد صدق الإمام الذهبي - رحمه الله - حين صور تلك الحالة فقال: "ثم العابد العري من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم، والثمار، واقتصر على الدقة، والكسرة صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطابا يتولد من الجوع، والسهر، لا وجود لذلك الخطاب والله في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخوطب وارزقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه"^(١)، هذا إن كان لديه إيمان!، ويؤمن بالله، وإلا فإن العابد العري عن العلم تتجلى معالمه في الفكر الشرقي القديم؛ حين يتم تأليه كل ما خفي سببه، وحرار العقل عن إدراك حقيقته، فالمظاهر الطبيعية والقوى الغيبية كلها معبودات يتوجه إليها الإنسان من أجل أن تمدّه بالمعرفة!.

(١) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، (٩م/ص٤٧٦).

• المصدر الثاني: العقل الفعال.

المصدر الثاني من مصادر المعرفة الباطنية وهو العقل الفعال!، ومفهوم هذا العقل بحسب الفلسفة اليونانية يتجاوز مدلول "العقل" في اللغة العربية في كونه غريزة منحها الله للإنسان ليفرق به بين الخير والشر، ليصبح المعنى "القانون الكلي للكون"، وهذا المعنى هو ما قصده فلاسفة اليونان حين جعلوا العقل مصدراً للمعرفة الباطنية، واختلفت نظرياتهم في فهم ذلك القانون باختلاف المدارس الفلسفية اليونانية المختلفة.

ولقد سبق أن تطرقنا إلى هذا الموضوع خلال دراستنا للوعي الكوني، ولكن نذكر هنا ما يتعلق بالجانب المعرفي.

أولاً: يمكن تقسيم المدارس الفلسفية اليونانية إلى مدرستين، وهما مدرسة مبدأ الوحدة، ويمثلها "هراقليطيس" الذي جاء بنظرية الـ"لوغوس – Logos"، وتأثر بأفكاره الرواقيون.

والمدرسة الثانية هي مدرسة مبدأ الكثرة، ويمثلها "أناكسوغوراس" الذي جاء بنظرية الـ"نوس – Nous"، وتأثر بها من بعده فلاسفة المدرسة الإلهية "سقراط"، و"أفلاطون"، و"أرسطو"، ومن بعدهم فلاسفة المسلمين كالفارابي وابن سينا وغيرهما.

ثانياً: يمكن تلخيص فكرة الـ"لوغوس" بأنه قانون محايث للطبيعة، ومنظم لها من داخلها، فهو بالنسبة إلى العالم أشبه بالنفس بالنسبة إلى الإنسان، لا بوصفها جوهرًا مستقلاً متميزًا عن البدن، بل بوصفها مبدأ لحركته، منتشرًا في جميع أجزائه، فهو الذي يحكم الظواهر، ويتحكم في صيرورتها الأبدية، فكل شيء يسير وفقاً للقانون الكلي، والعقول البشرية تستطيع الوصول إلى معرفة صحيحة عن ظواهر الطبيعة، إذا شاركت في العقل الكلي^(١)، ويتضح من خلال أن فكرة الـ"لوغوس" تقتضي ضرورة المشاركة الفاعلة من العقل البشري مع القانون الكلي، فالمشاركة شرط أساسي للوصول إلى المعرفة، وسمة بارزة يتصف بها الإنسان اليوناني.

ثالثاً: طورت الرواقية فكرة الـ"لوغوس"، ونظرت إليه نظرة تأليه وتقديس؛ وكونوا بذلك نسقاً فلسفياً متكاملًا وقائماً على وعي الذات من خلال إيجاد المعنى الكلي للكون، فقد رتبوا عليه

(١) انظر: نظرية العقل، نقد العقل العربي: جورج طرابيشي، دار الساقي، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٤٩، وانظر: العقلانية العلمية، دراسة نقدية، د. خالد قطب، المكتبة الأكاديمية، ط ١ = ٢٠٠٥، ص ٢٤، وانظر: حصاد الفكر الفلسفي اليوناني: كامل محمد بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١ = ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص (٢٤٤ - ٢٤٦).

الغائية، ومن ثم أصبح "العقل" المبدأ الفعال الذي يخضع له كل شيء في الوجود، ينساب في الكون، ويدخل إلى داخل المادة فيمنحها الحيوية، كما تنساب النطفة في أجسام الكائنات الحية، فالمبدأ الفعال هو علة فاعلة؛ لأنه متحرك في مادة تقبل هذه الحركة، فجعلوا الجواهر متداخلة بعضها في بعض حيث أن الواحد منهما ممتد عبر الآخر دون أن يفقدا شيئاً من خواصهما^(١).

رابعاً: بحسب نظرية الـ "لوغوس"؛ فإن طريق الوصول إلى المعرفة عن طريق العقل الفعال يحدث من خلال تأثير البعض على الآخر؛ لأن هذا التأثير هو الذي يجسد عمل العناية الإلهية، ولأن الآلهة تسود جميع جوانب العالم المختلفة وترتبط بين كل موجوداتها^(٢)، وعلى الإنسان أن يكون خاضعاً للقانون الكلي للكون، فهو الكائن الوحيد الذي يطيع هذا القانون بوعي وتعهد، بخلاف الكائنات الأخرى التي تطيعه طاعة عمياء، وبالتالي فإن مخالفة الإنسان لذلك القانون يعرضه للحرمان من السعادة؛ فالسعادة الرواقية تتجلى حين يتحد العقل الجزئي الإنساني بالعقل الكلي الـ "لوغوس"^(٣).

خامساً: فكرة الـ "نوس" تختلف عن فكرة الـ "لوغوس"؛ فهي تقر بأن العقل الكلي من حيث المبدأ مفارق للطبيعة، ولكنه غير مندمج فيها ولا محايث لها، فهو الذي ييئ النظام في جميع الأشياء التي وجدت، والتي سوف توجد، وبالتالي فإن العقل الكلي هو علة الأشياء، والقوة المحركة.

سادساً: دور الإنسان أمام فكرة الـ "نوس" أنه يكتشف نفسه ككائن عاقل في الطبيعة، ومن خلالها؛ لأنه في جوهره قبس من العقل الكلي الـ "نوس"، فهو يكتشف نفسه، والفعل العقلي الجدير بهذا الاسم هو "إدراك النظام والترتيب بين الأشياء"^(٤).

سابعاً: وبناءً عليه؛ فإن طريق الوصول إلى المعرفة إنما يحدث من خلال الوعي الفردي المتيقظ؛ لأن الجوهر الحقيقي الأعمق للإنسان هو روحه أو نفسه، لأن الأصل في النفس أنها صافية، وأنها بطبيعتها قادرة على العلم بالأشياء، وعلى استكشاف الحقائق، ولكن ظروف الحياة العملية

(١) انظر: الفلسفة الرواقية: أمين عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، ط ٣، ١٩٧١م، ص ١٥٢.

(٢) انظر: الحرية في الفلسفة اليونانية، ص (١١٤ - ١١٥).

(٣) انظر: اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، رسالة دكتوراه في جامعة وهران ٢ - الجزائر، بإشراف أ. د. أنور حمادي، عام (٢٠١٤ - ٢٠١٥م)، ص (١٢٨ - ١٣٤).

(٤) انظر: نظرية العقل، نقد العقل العربي: جورج طرابيشي، دار الساقي، ط ١ = ١٩٩٦م، ص ١٤٩، وانظر: العقلانية العلمية، دراسة نقدية، د. خالد قطب، المكتبة الأكاديمية، ط ١ = ٢٠٠٥، ص ٢٤، وانظر: المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات: د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ = ٢٠٠٣م، ص (٢٢٦ - ٢٢٧).

وأعراضها، وما ورث الناس من عادات وأخلاق، ومن أساطير وسخافات، كل ذلك قد تراكم على هذه النفس الصافية كما يتراكم الصدأ على المرأة، جعلها غير قادرة في بعض الأحيان على كشف الحقائق، ومتى ما تم إزالة هذا الصدأ عن المرأة، وتم صقلها وتصفية جوهرها تجلت فيها الحقائق واضحة بينة^(١).

وبهذا تكون الفلسفة اليونانية قد قررت بمصدرية العقل الفعال، وبأنه رافد من روافد المعرفة الباطنية، وهي في ذلك السياق قد فرقت بين نوعين من العقل، عقل وصفته بالفاسد، لأنه عقل مستفاد، وظيفته أنه يقوم بتجريد الصورة الخيالية لتصبح موضوعاً للتفكير، وقد حكم عليه بأنه عقل فاسد؛ لأنه يتذكر، ولأنه متصل بالكائن المركب من نفس وجسم، ويتأثر تبعاً لذلك بظروف الحياة، وإذا فسد الجسم؛ فسدت معه قوة الخيال، وفسد بذلك العقل المنفعل.

وأما النوع الثاني؛ وهو العقل الفعال، وهو العقل الراقى المفارق للمادة، من خصائصه أنه أزلي لا يلحقه الفناء، وأن الإنسان بدون هذا العقل لا يعقل، وهو حين يفارق الجسم يصبح مختلفاً عما كان بالجواهر، وهو عندئذ يكون متصلًا بالخلود والأزلية، وأنه لا يتذكر بعد المفارقة؛ لأنه لا يحتفظ بأي ذكرى للحياة قبل الموت^(٢).

نظرية العقل الفعال أثرت على فكر الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، وظهر الاتجاه الإشراقي الصوفي، والمتمثل في تحصيل المعرفة عن طريق الفيض والكشف، ويمثله الفارابي وابن سينا، وهذا الاتجاه الإشراقي يتبني تحصيل المعرفة من خلال التصوف، وإصلاح الجزء العملي من النفس بالأخلاق الفاضلة، والرياضات الصوفية، حتى يصير المرء كلما زاد نصيبه من الارتياض، زاد نصيبه من الإشراف الإلهي^(٣).

كما ظهر الاتجاه المادي العقلي، والمتمثل في تحصيل المعرفة عن طريق التفكير النظري، ويمثله ابن رشد الحفيد، وتتلخص طريقته في تحصيل المعرفة من خلال الممارسة الفكرية والمدارس النظرية من أجل تقوية العقل، وتمرينه ليصل إلى الكمال، والتفكير السليم، وهذا الأمر غير متاح لجميع الناس؛ ولا بد له من عون وإلهام غير طبيعي من الله^(٤).

(١) انظر: قادة الفكر: طه حسين، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٣٢.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي: د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ج ٢، ص (١٥٦-١٥٨).

(٣) انظر: ابن رشد الفيلسوف، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ٤٢.

(٤) انظر: ابن رشد الفيلسوف، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص (٤١-٤٢).

وملخص الأمر؛ فإن فلاسفة اليونان حين اعتقدوا بتأثير العقول المفارقة، وعدوها إلى عشرة، ومن ثم فسروا تلك العقول على أنها الكواكب والأفلاك، وأنها ذات تأثير على الإنسان، وجعلوا من ذلك التأثير (الظني) وسيلة لتحصيل المعرفة الباطنية، فإنهم إنما توصلوا إلى تلك الأفكار بسبب أنه لم يكن لديهم علم بالملائكة والأنبياء، ومن ثم فإن محاولة فلاسفة المسلمين تفسير تلك العقول بأنها الملائكة خطأ نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - - : فهؤلاء الفلاسفة لما رأوا أمر الرسل، كموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قد بخر العالم، واعترفوا بالناموس الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، أعظم ناموس طرق العالم، ووجدوا الأنبياء قد ذكروا الملائكة والجن، أرادوا أن يجمعوا بين ذلك، وبين أقوال سلفهم اليونان، الذين هم أبعد الخلق عن معرفة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأولئك قد أثبتوا عقولا عشرة، يسمونها: المجردات، والمفارقات.

وأصل ذلك مأخوذ من مفارقة النفس للبدن، وسموا تلك: المفارقات لمفارقتها المادة، وتجردها عنها، وأثبتوا الأفلاك، لكل فلك نفسا، وأكثرهم جعلوها أعراضا، وبعضهم جعلوها جواهر، وهذه المجردات التي أثبتوها، ترجع عند التحقيق إلى أمور موجودة في الأذهان، لا في الأعيان^(١).

وبهذا يتضح أن العقل بمفهومه الفلسفي عند اليونان، ومن وافقهم من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام مفهوم لا وجود له في الحقيقة، وإنما وجوده يكمن في الخيالات الذهنية، وبناءً عليه فإن هذا النوع من المعرفة لا يختلف كما هو عليه الحال في المعرفة المنعكسة من النفس، وهي معرفة لا تنضبط وخاصة إذا ما أدركنا أن هنالك اتجاه فلسفي وهو الاتجاه الإشراقي الذي يؤمن بالرياضات الروحية والتجربة الصوفية وطهارة النفس لتحصيل المعرفة، وهو اتجاه يخالف المبدأ العقلي الذي يرى في استقلالية العقل وتحصيل المعرفة بواسطة التفكير والنظر، وإذا ما أضفنا الاتجاه الإشراقي بجانب الاتجاه العقلي فكلا الاتجاهين لا يمكن الوثوق بهما كمصدر لتحصيل المعرفة الباطنية، والإسلام يرى في العقل أنه قوة غريزية اختص بها الإنسان لإدراك العلوم الضرورية، وليس لإدراك المعارف الباطنية، وفرق بينهما كبير، فإدراك العلوم الضرورية هو أمر يتساوى فيه جميع العقلاء، بخلاف إدراك المعارف الباطنية؛ فإن الحقائق نسبية، والحقائق لن تكون يقينية ومعصومة من الخطأ إلا تلك الحقائق الآتية من جهة الوحي الإلهي، وخلاف ذلك فإن المقدرة الإنسانية وقوة عقلها يتفاوت من إنسان لآخر، كما أن التكليف في الشريعة الإسلامية مناط بهذا العقل، وبه يترقى الإنسان في حياته بما لا يعجز

(١) انظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩٨.

عنه ما لا عقل له، ويزول التكليف عن الإنسان حال زوال هذا العقل كما في حديث علي بن أبي طالب -عليه السلام-، أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَشِبَّ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ حَتَّى يَعْقِلَ"^(١)(٢).

• المصدر الثالث: الحدس أو العقل الباطن.

من مصادر المعرفة الباطنية الحدس، وهو نوع من المعرفة المفاجئة، تنبثق في النفس بشكل مفاجئ، ولا تخضع للتحليل العقلي، وينظر إلى تلك المعرفة بأنها يقينيات؛ لأنها لو خالفت الواقع فلن تكون حدساً وإنما وهماً، ويعرفه "برجسون" بأنه الفعل الذي يتكشف لنا بوساطته الواقع المطلق"^(٣)، ويشبهه بالغريزة الحيوانية، حيث يدرك الحيوان ما يتجه إليه بالغريزة إدراكاً مباشراً من غير تعلم سابق، ودون الحاجة إلى استعمال الوسائل العقلية، كإدراك الحمل الوديع وجوب الهرب من غائلة الذئب^(٤).

أما الأصل الذي ينبثق منه الحدس في الإنسان، فإنه ملكة غير العقل تعرف بالبصيرة^(٥)، أو الحاسة السادسة التي كانت في السابق حكراً على الكهنة ومداوي الأمراض، وأصبحت بفضل رواد الفلسفة الروحية الحديثة علماء مستقلاً ومساهمة في التأصيل لمفاهيم الطاقة الكونية والترويج لتطبيقاتها، وأصبح الحدس أحد أهم المعارف الباطنية التي يهتم بها أولئك الباحثين عن السمو والتقدم الروحي.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه واللفظ له برقم: (١٤٢٣)، كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، وقال: حسن غريب من هذا الوجه ولا نعرف للحسن سماعاً عن علي، وصححه الألباني انظر: (م/٥ ص ٣٢)، وأخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى برقم (٥٥٩٦)، كتاب الطلاق، باب من لا يقع طلاقه من الأزواج، انظر: (م/٥ ص ٢٦٥). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٩٤٠)، مسند الخلفاء الراشدين، مسند علي بن أبي طالب، انظر: (م/٢ ص ١١)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند.

(٢) انظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي - دراسة نقدية في ضوء الإسلام: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي، الناشر: مكتبة المؤيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. ص ٣٠٨.

(٣) انظر: طريق الفيلسوف: جان فال، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، الناشر: مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، ١٩٦٧م، ص ٢٨٥.

(٤) انظر: قصة الفلسفة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط ٦ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٥٦١.

(٥) انظر: مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي - دراسة نقدية في ضوء الإسلام: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي، ص ٢٨١.

إن الانفتاح على الحدس يعني تدفق المعلومات على النفس، وهي معلومات لا يمكن تفسيرها بالعقل، لأن الحاسة السادسة تحول الخواطر الحدسية إلى سلوك فعال^(١)، وهذا السلوك أو ردة الفعل لم تأت إلا من خلال العقل الباطن، حيث يعزى إلى العقل الباطن القدرة على تحقيق كل ما تتضمنه التخيلات المركزة والموجهة^(٢).

وبالتالي فإن المعرفة الحدسية تتضمن مجموعة من السمات، فهي لا تتم إلا من خلال توتر نفسي، ومجهود شاق مؤلم، للنفوذ إلى باطن الموضوع، فهي معرفة مباشرة فهي تنطوي في ذاتها على ما يبررها، كما أنها تنفذ إلى أعماق الموضوع وتمثله في أكمل وضع له من خلال الاتحاد به، حيث تندمج الذات والموضوع، مشكلة معرفة مطلقة وليست نسبية؛ لكونها ثمرة اتحاد الذات بالموضوع.

كما أنها معرفة خاصة لا تتجاوز الشخص الذي وقع منه الحدس، ولا يستطيع اثباتها لسواه، ومن أراد معرفتها التوجه إلى التجربة الحية، ليعيشها كما عاشها الآخرون، وبالتالي فإنه لا يمكن التعبير عنها، ولا ترجمتها بالألفاظ، إلا على نحو غير مباشر، وبالمجاز أو الرمز، مما لا يقدم تصوراً صحيحاً عن الواقع المعروف، مثل اللون ولا يمكن تعريفه لمن ولد أعمى إلا بالمجاز.

ولما كانت المعرفة الحدسية معرفة خاصة؛ فإنها لا تتجاوز معرفة الماضي والحاضر والمستقبل، كما أنها لا تتجاوز إلى معرفة الشيء كما هو، إلى التفسير والاستنباط والتنبؤ بالمستقبل.

هذه هي سمات المعرفة الحدسية، وقد أحيا هذا الاتجاه رائد الفلسفة الروحية الفرنسي "هنري برغسون" المعروف بتوجهه في إحياء المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الروحية، وقد قصد من فلسفته الحدسية إلى إنقاذ القيم التي أطاح بها المذهب المادي^(٣)، ولكنه بالغ في اتجاهه الروحي، ومعرفته الحدسية، حين ألغى الواقع الذي يتعامل الناس معه، والمعرفة العقلية التي هي وسيلة الناس للتعامل مع هذا الواقع، واستفادتهم منه، حيث جعل صورته لديهم ناقصة، إن لم تكن مزيفة، لأنها مستمدة من العقل الذي لا يبقى لديه إلا المادة، فاقدة روحها، بينما الواقع الحقيقي لدى "برجسون" هو الروح.

(١) انظر: الفراسة وقوة الحدس، قوانين النجاح العقلية: فليكس ايشباخر، تعريب: كامل محمد إسماعيل، ص ١٨.

(٢) انظر: العقل الباطن؛ قوة خارقة في أعماق الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، ص (١٧-١٩).

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف بطرس كرم، ص ٤٧٥.

والمنهج الوسطي بين الاتجاه المادي والروحي يكمن في منهج الإسلام الذي ساوى بين الاتجاهين؛ حين جعل الوجود وجود روحي "ميتافيزيقي"، ووجود مادي "فيزيقي"، وهذه الثنائية المزدوجة تتمثل في صلتين للإنسان بعالم الطبيعة:

- صلة الاستفادة منه في إقامة الحياة المادية التي تنقصها "برجسون"، فجعل الحياة عبارة عن تجربة صوفية، ومصدر المعرفة مصدراً روحانياً خالصاً.

- صلة التذكر والتأمل، والشعور بعظمة خالقه ومبدعه، ومسيره، والمتصرف فيه من خلال النظر فيه نظرة كلية، وقد بالغ في هذا الجانب؛ حتى أصبحت المعرفة الحدسية في حقيقتها بعثاً للإشراقية الصوفية من جديد، بصيغة تلائم اتجاه الناس النافر من الدين، وطقوسه وتعاليمه في أوروبا، فتكون المعرفة الحدسية عند "برغسون" نابعة من ردتي فعل متناقضتين نبعت أولاً من الفلسفة المادية المنكرة لما وراء المادة، ثم هروباً من الطغيان الكنسي وطقوسه ثانياً^(١).

لقد ساهمت نظرية المعرفة الحدسية في إعادة إحياء الفلسفات القديمة بطريقة جديدة، وبمسميات علمية، يظن الظان من الوهلة الأولى أنها حقائق علمية، وحين يتم سبر أغوارها تجدها أنها ليست إلا لفيماً من الخرافة والوهم، وليست إلا تأطير المعرفة الحدسية في إطار التجربة الصوفية، ونقد الدين باعتباره منغلقاً على المجتمعات، والترويج لمصطلح الدين الحركي، ومن معالم هذا الدين إعادة إحياء الرياضات الروحية الموصلة إلى تحقيق المعرفة الآتية من العرفان والكشف والذوق والإلهام، وتحقيق الوعي المعرفي من خلال معايشة الأحداث الكونية في لحظتها، دون الدخول في تفاصيل أحداثها، والهروب من مسؤوليات الحياة عبر التذرع بالمشاركة الوجدانية للكون.

وقولهم إن المعرفة الحدسية هي نوع من المعرفة الفجائية لا يسلم بها؛ لأنه لا يتصور أن تكون هنالك معرفة متجلية في النفس هكذا ومن دون مقدمات، الأمر أبلغ من ذلك بكثير، وهم حين يقررون طريقة تحصيل المعرفة الحدسية بهذه الكيفية، إلا أنهم لا يمانعون من مطالعة التجارب المدونة في كتب الحكمة القديمة، والتي تمثل تراثاً سرّياً منقولاً للمعرفة الباطنية، وممن وصلوا إلى قممها ممن يسموهم الحكماء العارفين، أو الحكماء الأوائل، وأشهرها كتاب "الفيدا" عند الهندوس، وكتاب "القبالة" و "زهر" لدى قبالة اليهود، وكتاب "الجفر" لدى الرافضة، وكل تلك الكتب يُزعم أنها

(١) انظر: العقل الباطن؛ قوة خارقة في أعماق الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، ص(١٧-١٩).

تكشف أسرار المستقبل إلى انقراض العالم، وأصول التنجيم والسحر، والطلسمات، وما يسمى بالطاقة الخفية أو الحاسة السادسة^(١).

• خطورة الوعي بالمعرفة الباطنية حين يتم الترويج لها على أنها "حقائق علمية".

لقد سعى الفكر البشري القديم سعياً حثيثاً في الوصول نحو المعرفة الباطنية من إيجاد التناغم الكوني بين الإنسان والطبيعة، وظن أنه هو السبيل الوحيد لتحصيل المعرفة الباطنية والإشراقات الربانية، وهو في سبيل إيجاد ذلك التناغم الطبيعي ظن أن حالة النشوة التي وصل إليها الإنسان وهو يمارس التأمل الكوني ما هي إلا حالة من حالات التجلي الإلهي الذي حل في الإنسان!. وإذا كانت الفلسفة الشرقية تقرر بحقيقة الطاقة الكونية، وأنها طاقة تولد لدى الإنسان قوة خارقة من خصائصها أنها ليست ذاتية بل خارجة عنه، خفية غير ظاهرة، تسري في الكون، وتحيط بالإنسان وتحفه وتسري إلى داخله، فتولد عنده شعور بالقوة والصحة والسعادة والعافية، وينظر إلى هذه القوة بأنها حالة من حالات تجلي الجوهر الكلي المطلق، فإن مفهوم فلسفة الطاقة الكونية في العصر الحديث لا يكاد يخرج عن هذا المفهوم، إلا أن الاتجاه في العصر الحديث يميل نحو تقديس الذات الإنسانية التي تعمل على زيادة الإنتاج في المصنع، ولا حاجة للإنسان الذي يحل فيه الإله ليقوم بطقوس المحافظة على البيئة الزراعية، ومن ثم لا يحتاج الإنسان في العصر الحديث إلى عبادة شيء خارج عن نطاق الإنسان^(٢).

وما سبق يقودنا نحو نتيجة مفصلية وحقيقة مفادها أن محور التقاء الفكر البشري القديم مع الفكر البشري الحديث هو الإيمان بالقدرات البشرية الكامنة، وأنها تخلق أفعالها وأقذارها، وباستطاعتها تدبير الكون من خلال الوصول إلى حالة التناغم مع الطبيعة.

هذه النتيجة ظهرت من خلالها الاتجاهات الفلسفية الحديثة نحو تقديس الذات الإنسانية^(٣)، وظهرت أصوات تنادي بإعادة إحياء تراث الأقدمين، ومواصلة التقدم في استكشاف العالم الميتافيزيقي من خلال التسلح بالنظريات العلمية بتقنياتها المختلفة، تسمح لهم بالانفتاح على العالم

(١) انظر: أصول الإيمان بالغيب. ص ١٢٢.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب: ص (٣٢٥-٣٢٦).

(٣) من هذه الاتجاهات: الفلسفة المتعالية، وحركة القدرات البشرية الكامنة، وحركة العصر الجديد، وحركة الفكر الجديد، وجمعية الثيوصوفيا، والروحانية الحديثة، وثقافة الهبي، ومؤسسة فندهورن، ونظرية عصر الدلو، والحركة المهارشية، وقد سبق الحديث عن هذه الاتجاهات في الفصل الثاني من هذه الرسالة.

الآخر ومن ثمَّ العثور على الإنسان الأصيل ذلك الإنسان الذي صورته الشامانية القديمة وتبناه رواد التصوف الفلسفي وفلاسفة الغنوص المسيحي في العصر الوسيط من خلال الوعي الكوني.

ومن ثم كانت لتلك النظريات الفلسفية الغربية الحديثة التي قامت على انقراض الفلسفة اليونانية دور كبير في صياغة مفهوم حديث لفلسفة الطاقة الكونية، كما أن الثورة العلمية الحديثة وما توصل إليه الفكر البشري من مكتشفات علمية قادتة نحو المعرفة جعلت من الحياة البشرية حياة مادية في ظل تضائل سلطة الكنيسة وتزايد سلطة العلم، ومع توجه المجتمع نحو الحياة العلمانية بعيداً عن الحياة الدينية، والاتجاه نحو تقديس المادة على حساب الروح^(١)، الأمر الذي جعل من وراء ذلك أن تتبنى الفلسفة الغربية منهجاً مادياً تجريبياً، ونفي كل ما لم تثبته المختبرات والدلائل العلمية.

هذا المنهج الذي تبنته الفلسفة الغربية أحدث ردة فعل من فلاسفة غربيين بحثوا عن الحقائق لسد حالة التعطش الروحي الذي فقدوه إبان الثورة الفرنسية على الدين والمعتقد؛ فرجعوا إلى النظريات الفلسفية القديمة سواء الشرقية أو اليونانية والتي بحثت عن العالم الميتافيزيقي.

إلا أن مما يميز الإنسان في العصر الحديث بكونه أقل رضوخاً لسلطان البيئة مما كان عليه في الأزمنة الخوالي؛ لأن القوة العلمية بتقنياتها المختلفة منحت الإحساس بالقوة^(٢)، وأصبحت السلطة العلمية هي الحاكمة، وأصبحت الذات الإنسانية مقدسة بفضل القوة العلمية وما توصل إليه الفكر البشري من مكتشفات ونظريات علمية، لأن الإنسان هو الذي ينتج ويتحكم فيها، هو الذي يصنع ويتحكم فيها، هو الذي يخلق ويتحكم فيها، فهو يتحكم في كل زوايا الكون، ويسير الطبيعة وفق أهوائه ومتطلباته.

وفي سبيل ذلك وإيماناً بالقدرات البشرية الكامنة وإحساساً بالشعور التكاملي فإن مفهوم فلسفة الطاقة الكونية في العصر الحديث تميز بخصائص منها:

أولاً: تسخير السلطة العلمية بدلائلها وتقنياتها المختلفة لحل الجوانب التي عجز العقل البشري القديم في إيجاد تفسير منطقي لها، وبالتالي أصبح العلم الحديث بمقدوره استكشاف العالم الميتافيزيقي ويقدم الدلائل المنطقية والحجج العقلية على صحة نظرياته، من خلال ما توصل إليه في علم النفس والطب البديل والمستكشفات الفيزيائية الحديثة، ولئن كان العلم الحديث قد استكشف حقيقة الغدد

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل: الكتاب الثالث: ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص (٥ - ٩).

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٩.

الموجودة في جسم الإنسان ووظائفها؛ فإن ثمة علماء تأثروا بالفلسفة الشرقية واعتقدوا بالشاكرات وبتأثيرها على جسم الإنسان^(١)، فوظفوا هذه الاستكشافات العلمية لصحة مذهبهم وفق ما قررته الفلسفة الشرقية، وأصبحت النظرية القديمة مع الإضافات العلمية الحديثة علماً جديداً معضداً بالأدلة والحجج العقلية.

ثانياً: اتسم بالشمولية وتعدد المصادر، فمفهوم فلسفة الطاقة الكونية في العصر الحديث هو مفهوم شامل لكل معاني الحياة، بل هي فلسفة الحياة، ومن خلال هذا المفهوم تسعى الحركات الباطنية الحديثة إلى وضع إطار عام تهدف إلى تقبل كل الأطروحات الفلسفية التي تناولت البحث عن العالم الميتافيزيقي والروحانية الشرقية والغربية.

ثالثاً: لم يتقيد بحدود أو عقيدة، فهو مفهوم يتجاوز حدود الزمان والمكان، ويتجاوز الثوابت والمعتقدات، ويسعى إلى سبيل خلق روحانية عالمية شاملة وموحدة، تؤكد على الترابط بين العلم والروحية الحديثة، مما يساهم إلى "إقرار دين طبيعي مادي يقوم على تأليه المجتمع، فالمجتمع هو المطلق العلماني الذي سيحل محل المطلق اللاهوتي"^(٢).

إن مفهوم فلسفة الطاقة الكونية في العصر الحديث وبما تميز به من خصائص ومرتكزات، ظهر نتيجة الثورة الصناعية المتسلحة بالعلم، كما أنه مفهوم لا يستغني عن أصوله وجذوره الشرقية^(٣)؛ ولذا نشاهد تأثر المجتمع الغربي بالأفكار التي غزت المجتمع الغربي والتي صدرها رواد الفلسفة الشرقية

(١) مثل: ديباك تشوبرا وأوشو، وتشو كوك سوي، ومن تأثر بهم من الكتاب والمؤلفين العرب الذين نشروا فلسفة الشاكرات في كتبهم، وهم كثر، أمثال المهندس كريم أمير محمد، والصيدلي د. أحمد توفيق حجازي، ورئيس الجمعية المصرية العلمية للدراسات الروحية السفير عزت علي البحيري، وطلبة الجامعات الذين قدموا أبحاثهم العلمية وتجاربهم المخبرية للحصول على درجات علمية مثل د. لبنى شاكر في رسالتها "التقنيات الحديثة في التصميم الداخلي باستخدام الطاقة في المراكز الاستشفائية بمصر"، بإشراف أ.د. إبراهيم كريم مؤسس علم التشكيل الهندسي البايوجيومترى، وهذا العلم يركز على فلسفة الطاقة الكونية، وقد أعلن د. إبراهيم كريم أنه اكتشف طاقة الشفاء الكامنة في أسماء الله الحسنى، زاعماً أن كل اسم من أسماء الله الحسنى يقابله طاقة منبثقة عنه قادرة على تحقيق الشفاء، وبمجرد ما يقوم المريض بتريد الاسم المخصص للمرض المخصص تقوم مسارات الطاقة الحيوية في جسم الإنسان بتحسين مساراتها، والأمثلة غير ما ذكرت كثيراً، وطالما أن الموضوع خرج عن الإطار الشرعي، فلا تعجب بعد ذلك من كثرة الادعاءات، وكل يوم نجد أنفسنا أمام كم هائل من التقنيات والقوانين التي ينشرها رواد التنمية البشرية وتطوير الذات.

(٢) انظر: فكر حركة الاستنارة وتناقضاته: د. عبد الوهاب المسيري، الناشر: مكتبة نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، ط ١=١٩٨٨م، ص ٢٦، وقد ذكر كلامه في معرض نقده لنظرية وارسو حول عبودية الإنسان (الهيومانية).

(٣) انظر: طاقة الحياة: غاي براون ترجمة: أحمد العميري: ص (٤١).

أمثال "د.ميكائيل يوسوي"، ومن بعده "هاوايو تاكاتا" التي حملت هذا العلم وصدرته إلى الولايات المتحدة الأمريكية، والراهب الهندوسي "مهاريشي يوجي" الذي صدر برنامجه التأملي إلى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، والتي بدورها قامت بتصديره إلى العالم ولا سيما العالم العربي عبر وضعه في قوالب وبسميات مختلفة للترويج لهذا العلم.

والحاصل أن الوعي بالمعرفة الباطنية في العصر الحديث ساهم بقوة في صياغة مفهوم حديث لفلسفة الطاقة الكونية، مفهوم من شأنه أنه يرضخ الخرافة والوهم لسلطة العلم، ومن ثم أصبح تحضير الأرواح ومخاطبة الكائنات الغيبية، وتسخير القوى الغيبية من أجل خدمة الإنسانية، وتنمية الملكات الميتافيزيقية والوصول إلى ما يعرف بالحاسة السادسة علماً معضداً بالنظريات الفلسفية، وقد كانت تلك المفاهيم الفلسفية بتطبيقاتها تمارس تحت طائلة التبرير للمعتقدات الدينية؛ فتحضير الأرواح ومخاطبة الكائنات الغيبية وتسخير القوى الغيبية كانت تمارس في الفكر الشرقي القديم على أنها طقوس وشعائر دينية، وكانت الجموع الغفيرة من الناس حين توجه أسئلتها واستفساراتها للكهنة ورجال الدين عن الكوارث الطبيعية كانت تفسر على أنها غضب الآلهة، ولكن حين تقدم الفكر الإنساني واكتشف الكون ومظاهر الطبيعة بفضل ما أوتي من العلم لم يعد هنالك حاجة للتبرير ما هو من قبيل الوهم والخرافة تحت ستار المعتقدات الدينية وقياس عالم الشهادة على عالم الغيب، وأخضعت كل تلك الأوهام والخرافات لسلطة العلم.

ولم يختلف الوضع كثيراً مع النهضة العلمية الحديثة؛ إذ الإلحاد وعدم الإيمان بوجود الله، وتصديق الخرافات وتطويع المعرفة الباطنية لصالح العلم هي السمة البارزة في الفلسفات الروحية التي ظهرت حديثاً، والتي هي ليست إلا عودة للتراث القديم وتكرار لمقولات الفلاسفة السابقين، وأضحى ما كان يعد من قبيل الخرافات ما قبل سبعين سنة مضت أصبحت الآن حقائق علمية مقبولة^(١).

(١) انظر: الحاسة السادسة، رحلة في عمق وعينا الكوني: د. أحمد توفيق حجازي، ص ٢٤.

الخاتمة

وفيه:



❧



النتائج والتوصيات

الخاتمة

وختاماً؛ فإني أحمد الله -عز وجل- على ما منَّ علي من إكمال هذه الرسالة، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي أعان ويسر علي تجاوز العقبات، ووفقي على إتمام متطلبات هذه الرسالة، وقد بذلت في صياغتها جهداً -فيما أحسب-، استوجب مني بحثاً واستدلالاً، وتقريراً وإماماً، فرضته علي طبيعة البحث حول مواضيعها الفلسفية، ونقدها بالتقارير العقديّة، ولا أدعي الكمال، فالنقص والنسيان مما يتميز به الإنسان، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن السوار ما أحاط بالمعصم، وحسبي؛ أن يمن علي ربي، بقبول هذه الرسالة، لأحظى بشرف المساهمة في نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، وفق فهم سلف أمة الوحي والخيرية، وحمايةً لجناب التوحيد والوسطية من ضلال الانحرافات الفكرية، والبدع العقائدية، صيانة للإسلام ومنهجه، وتحذيراً للمسلم ومجتمعه من التيارات الفكرية الوافدة، والاتجاهات الفلسفية الرائجة، والتي لا يمكن أن تتفق مع مبادئ الإسلام الأصيلة، وخصائصها التي تتفق مع المستجدات العصرية، والنوازل العقديّة.

وفيما يلي أستعرض من هذا البحث نتائجه، وما رمت به من البحث غايته، وما توصلت إليه من حقائقه، أنثرها في هذه الورقات، وأسردها على شكل نقاط:

أولاً: تبين لي أن الطاقة الكونية هي الإطار الذي كان يحمل في طياته الطقوس والشعائر الدينية في المجتمعات البدائية القديمة، فهو التفسير حين يعجز الفكر البشري عن التفسير، وهو الحقيقة حين تنعدم الحقيقة، وأعني بذلك أن كل الأشياء التي كانت عصية عن التفسير في الفكر القديم، سرعان ما كانت تمرر على الجموع الغفيرة في إطار ديني، إما سلباً وإما إيجاباً تحت ستار القوة الإلهية المقدسة في داخل الأشياء.

ثانياً: اختلفت التفاسير حول ماهية هذه القوة، بحسب نظرة الإنسان للكون، وموقفه منه، وكل تلك التفاسير هي في حقيقتها نابعة من التصورات الفلسفية التي تبناها رواد الفلسفة الشرقية قديماً، ولها أسبابها؛ ومن أهمها فشل الفكر الشرقي القديم في تقديم تصور واضح حول قضية المعبود؛ فهو في الوقت الذي يدعو فيه أتباعه للتوحد مع الإله الأعلى، يقرر بعبودية الكم الهائل من المعبودات، بما

فيها الإنسان الكوني، وهذا الفشل إنما هو نابع من بعده عن النهل من معين الوحي الإلهي، وقد أثرت تلك التصورات على مختلف الحضارات الإنسانية ومفكراتها حين بحثوا عن المبدأ والغاية والمصير، تشابهت قلوبهم، واتفقت أهوائهم، ونطقت أفواههم، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَن يَكُونُوا يَوْمًا يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ أَخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ۞

ثالثاً: الفكر البشري القديم حين ضل عن نور الوحي الإلهي، تاه في ظلمات الجهل، وأصبح أسيراً للتصورات الفلسفية النابعة من العقل البشري، ومنقاداً نحو مصادر المعرفة الباطنية، وهذا النوع من المعرفة لا يمكن أن تلي احتياجات البشر وتغذي إدراكهم للحقائق، فالمعرفة الباطنية معرفة نسبية تتميز بكونها شخصية، وتختلف من إنسان لآخر، فما يدركه زيد لا يدركه عمرو، وثمة أمر مهم في هذه المعرفة، وهي أن ما يُظن أن الإنسان قد توصل إليه بحدسه وباطنه؛ إنما هي في الحقيقة نابع من خيالات أفكاره، والإيحاء النفسي يمارس دوره فيغذي العقل، والادعاءات الظنية سهلة المنال، والواقع يصدق الادعاء أو يكذبه.

رابعاً: أن الطاقة الكونية مصطلح يطلق ويراد به حصول التأثير، وسواء كان هذا التأثير ذاتياً أو متعدياً فإن النظرة الفلسفية نحو الطاقة الكونية هي نظرة منبثقة من رؤية الفكر الشرقي القديم نحو قضية المعبود، وهي الرؤية التي تمثلت في الاعتقاد بمعبود ليس له واقع إلا في الخيال الذهني، وتتجلى واقعه في الخيال الذهني، وينظر إلى كل مظاهر الوجود على أنه تجلٍ للمعبود.

خامساً: مصطلح الطاقة الكونية مصطلح يطلق ويراد به تأثير القوى الغيبية غير المنظورة على الإنسان، فهو في جوهره صور ترسم في الذهن بقوة الخيال، وتتجلى في الواقع بالحدس والتأمل الباطني، وفي مضامينه دعوة إلى التنمية البشرية وتطوير الذات والوصول إلى مرتبة الإنسان الكوني حين يتعاطى التجربة مع تلك القوى، وفي أعماقه تنمية للملكات الميتافيزيقية مثل الإسقاط النجمي، والتأثير على الماديات بواسطة العقل، عبر تسخير القوى الغيبية غير المنظورة من الأرواح والجن والشياطين من أجل خدمة البشرية.

سادساً: موقف الإنسان من هذه الغيبيات قائم على قياس ما هو في عالم الشهادة على ما هو في عالم الغيب، وبسببه فإنه عادة ما يتم ربط المؤثرات الحاصلة على النفس من خير وشر مع النظرة الفلسفية إلى هذه القوة الكونية، وأن ما يحصل في النفس هي انعكاسات لما في عالم الأرواح، فإن كانت خيراً؛ فهي الروح الأعلى، والجوهر الأسمى، والخير المطلق، ومبدع الكل ... الخ، وإن كانت شراً؛ فهي الجن، ومردة الشياطين، والسحر الأسود، والطاقة السلبية، والعين، والحسد ... الخ.

سابعاً: يتم تفسير الصراع الكوني بين الخير والشر من خلال تفسير الروح تفسيراً مادياً؛ فالأرواح البشرية حين تغادر أجسادها تبقى على ما هي عليها من صفات طيبة أو خبيثة، والأرواح الطيبة التي تحمل الخيرية تتحول إلى كونها ملائكة أو أنها تصطف بجانب الملائكة وتكون من جنودها، والأرواح الشرانية تتحول بدورها إلى كونها شيطانية، أو أنها تصطف بجانب القوة الشيطانية مسخرة نفسها في خدمتهم، وهكذا فإن الكون في صراع دائم مع الخير والشر حتى يتغلب الخير على الشر ويسود العالم الأمن والسلام حين ترتقي البشرية بوعيتها الروحي، وتستمد معرفتها من العالم الروحي.

ثامناً: ارتباط الإنسان بفلسفة الطاقة الكونية هو ارتباط ديني شعائري قائم على الاعتقاد بتأثير القوى الغيبية على الإنسان، وهذا بسبب أن الإنسان هو المحور الأهم في عملية التوازن بين الصراع الكوني، وهو التوازن الذي يتطلب فهم الحالة الميتافيزيقية وإمكانية التحدث مع الآلهة ومخاطبتها، ومن هنا ظن ذلك الإنسان البدائي بفكره القديم أنه حين يتخاطب مع الكائنات الغيبية أنه يتخاطب مع الإله، وللأسف ظل هذا المفهوم قائم إلى يومنا هذا، فالصيغ والتراتيل المقدسة التي من خلالها يتم استدعاء الآلهة هي لا تختلف عن الإنسان العربي بجاهليته حين يتوجه إلى عظيم الوادي من أجل أن تحميه من عناصر الشر، إلا أن ذلك الإنسان العربي تميز وهو في جاهليته بأن هنالك إله أعلى، وما النذر والأصنام التي يتوجه إليها صباح مساء إلا من أجل أن تقربه زلفى إلى ذلك الإله الأعلى، وقد افتقد الإنسان في الفكر الشرقي القديم إلى هذه الميزة، وظل أسيراً لسلطة روحية كهنوتية، فهو لا يعرف تفسيراً للحياة، ولن ينعم بسعادة في هذه الحياة إلا من خلال مباركة رجال الدين وكهنة المعبد.

تاسعاً: ظلت فلسفة الطاقة الكونية وعلى مر العصور سرّاً من أسرار المعبد، لعدم وجود دليل علمي يفسر حالة تعاظم رجال الدين وكهنة المعبد مع الطاقة الكونية، حتى جاءت الثورة العلمية الحديثة، فظهرت الأصوات التي نادى بضرورة تطويع العلم لتتوافق مع تلك الأسرار، وهكذا أصبحت الخرافة

والوهم وما هو من قبيل الإيحاء الذاتي وسبيل الوصول إلى المعرفة الباطنية علماً مؤيداً بالنظريات الفيزيائية والمكتشفات الحديثة.

عاشراً: الأدلة والنظريات العلمية التي روح من خلالها المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية لا ينتهز بها حجة، ولا تستقيم معها صحة الفرضية، لأن الوهم والخيال الذهني والفرضيات القائمة على الظن لا يمكن أن تكون في يوم من الأيام حقائق علمية، والمجتمع العلمي المؤسس على المنهج يرفض مثل تلك الادعاءات.

حادي عشر: خطورة اعتناق المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، ولا سيما الإنسان المسلم، لأن من آثارها التعدي على العقيدة الإسلامية، والتحرر من الدين، فالإنسان الكوني الذي هو التجلي الحقيقي للطاقة الكونية هو إنسان متحرر من القيود الدينية والنفسية، وهو في حقيقته أسير للقوى الغيبية التي يآتمر بأوامرها، وينتهي بناهيها.

ثاني عشر: وجدت الحركات الباطنية الحديثة نفسها أمام أرض خصبة يسهل لها تنفيذ أجندتها، ومن خلال فلسفة الطاقة الكونية استطاعت أن تمرر الكثير من أفكارها وفي مقدمتها الديانة الإنسانية الهيومانية أو ما يعرف بالأخوة الإنسانية، وهي دعوة لتحرر من الدين والأخلاق.

ثالث عشر: التنمية الذاتية والتطوير البشري هو أمر محمود، وتعاليم الإسلام لا تتصادم مع الأساليب الحديثة لتحقيق الهدف من استخلاف الإنسان على هذه البسيطة، ولكن ليس على حساب التوحيد والعقيدة وتعاليم الدين، فالدين قد كمل، وشرائع الإسلام جاءت متوافقة مع العقل، والتنمية البشرية وتطوير الذات حين تتصادم مع الفطرة والبراهين العقلية حين تتبني مفهوم الإله الكامن داخل النفس فهنا يجب أن نقف حماة للعقيدة ومبادئ الإسلام وأخلاقه.

رابع عشر: ما تروج له الباطنية الحديثة من وجود حاسة سادسة يمكن بلوغها من خلال تنمية الملكات الميتافيزيقية باطل في أصله، ولا وجود لتلك الحاسة اللهم إلا في خيال المهوسين بتلك المفاهيم الفلسفية، وهي كما أسلفنا ليست إلا تسخير للقوى الغيبية بوسائل عصرية وتقنيات حديثة.

خامس عشر: الدعوة إلى تنمية الملكات الميتافيزيقية هي دعوة هدامة، الغرض منها هو الهروب من الحياة، ووسائله قديماً: تكمن من خلال تعذيب الجسد، ونكران الذات، وممارسة التأمل الكوني،

والعكوف على الرياضات الروحية، والاختلاء في الكهوف والأماكن النائية، بينما تطورت الفكرة حديثاً من خلال قداسة العقل، والتحرر من الدين الشعائري الذي من أبرز خصائصه الجمود والسكون، والانتقال إلى الدين الحركي الذي من أبرز خصائصه تحرير العقل والوصول إلى المعرفة عن طريق الحدس، ومعايشة اللحظة الآنية فقط، "هنا والآن"، مع رفض التأمل في الماضي، والتفكير في المستقبل.

سادس عشر: الوعي الكوني بمختلف طرقه ووسائله يهدف إلى إعادة إحياء التراث الوثني القديم، والقائم على ضرورة العودة إلى النفس عبر تحقيق التحرر الذاتي، وخلق الواقع العملي، ولا يحمل في مضامينه أي تصور للعناية الإلهية، وإنما يرجع ذلك العناية إلى الإنسان نفسه، فهو الذي يخلق واقعه، ويجذب القدر، ويتشارك مع الكون في تديره.

سابع عشر: على المسلم أن يتجنب اعتناق مثل هذه الأفكار الدخيلة على العقيدة والفكر الإسلامي، ولا شك أنها وفدت إلى داخل البيئة الإسلامية، ولا يمكن أن تتفق مع تعاليم الإسلام، والشخصية المسلمة تتميز باعتزازها بدينها، وتمسكها بكتاب ربها، وسنة نبيها - ﷺ -، وتتصف بكونها تؤمن بمبادئ واضحة ومفهومة، وهي قبل أن تقدم على فعل أي شيء؛ تعرض ما تريد فعله على ميزان الكتاب والسنة، فما وافقها قبلته وأقدمت على فعله، وما خالفها رفضته وتجنبت الوقوع فيه.

ثامن عشر: وإذا كانت هذه هي صفات الشخصية المسلمة؛ فإنه لا يمكن لها أن تتقبل فكرة تطبيق الطقوس والشعائر الوثنية القديمة، أو تطبيق الممارسات الناتجة عن المفاهيم الفلسفية حول الطاقة الكونية، كونها تتعارض مع العقيدة الإسلامية الصحيحة.

تاسع عشر: الكثير من تطبيقات الطاقة الكونية قد تكون مقبولة من الوهلة الأولى، لكن حين الدخول في جوهرها وممارسة تلك التطبيقات على أصولها؛ فإنها لا تخلو من التجاوزات العقدية، بل وفي كثير منها إعادة لإحياء التراث الوثني القديم.

عشرون: إن المتأمل في الحقيقة العملية والممارسة الفعلية لتطبيقات الطاقة الكونية يدرك نعمة الله عليه، وفضل الإسلام عليه، وكيف أن الشخصية المسلمة باعتزازها بدينها تمارس العبودية الحقة، العبودية التي ارتضاها رب العالمين، وفطر الناس عليها، وأن أي عبودية تخالف هذه العبودية هي في

حقيقتها ذل وانكسار، وخضوع لمن لا يملك حق الخضوع إليه، ومن يدعي أن الحرية النفسية والفكرية لا تتأتى إلا بالتحرر من قيود العقيدة والأخلاق فهو واهم، ظالم لنفسه، والسعادة الحقيقية المورثة للشعور بالحرية تكمن في التعاليم الإسلامية.

❖ التوصيات:

أولاً: ضرورة العمل على نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، والقائمة على فهم سلف الأمة، وتحسين المجتمعات من الأفكار العقدية الوافدة من خارج البيئة الإسلامية.

ثانياً: ضرورة توحيد الجهود المبذولة في فضح المشروع الباطني الحديث، وتعرية أجنذاته، ومعرفة طرقه ووسائله وغاياته، وتمكين طلبة العلم ولا سيما المتخصصين في العقيدة بضرورة الرد عليهم من خلال تزويدهم بالأدوات المناسبة، وتبني مشاريع بحثية في سبيل فضح المشروع الباطني الحديث.

ثالثاً: ضرورة تبني الأقسام العقدية وكراسي الدراسات البحثية في الجامعات السعودية الرائدة مشاريع بحثية تساهم في دراسة الأفكار الفلسفية الباطنية الحديثة، والعمل على إجراء المزيد من الأبحاث، وبيان الأثر الناتج على المجتمع والأمة.

رابعاً: موضوع الطاقة الكونية موضوع متشعب، ويحتاج إلى بذل الكثير من الجهود حتى نصل إلى الصورة المتكاملة عن الموضوع من كل جوانبه، ومن أهمها في التصور الإسلامي: علاقة الطاقة الكونية بالتصوف الفلسفي.

دراسة الأصول الباطنية الحديثة، ومعرفة نقاط الالتقاء مع التصوف والتنمية البشرية.

دراسة التصورات الفلسفية للفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وأثرهم على الفكر الباطني الحديث.

خامساً: الفكر الشرقي القديم يعج بالكثير من القضايا العقدية التي تحتاج إلى وقفة بحثية جادة تساهم في الحد من انتشار آثار ذلك الفكر، ولا سيما على العقيدة الإسلامية.

سادساً: أوصي بضرورة إنشاء مركز لمحاربة الفكر الباطني الحديث، على أن يكون هذا المركز نابعاً من رؤية قسم العقيدة في جامعة أم القرى بكونها رائدة في التعليم والبحث العلمي، وخدمة المجتمع المحلي والعالمي في نشر الفهم الصحيح لعلوم العقيدة الإسلامية والأديان والفرق والمذاهب، وفق منهج أهل السنة والجماعة.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العلمية

وفيها:

- * فهرس الآيات القرآنية.
- * فهرس الأحاديث النبوية.
- * فهرس الأعلام المترجم لهم.
- * فهرس المراجع والمصادر.
- * فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	الآية
٣٠	٨	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾
٢٤٩	٣٢	البقرة	﴿لَا طَآقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾
٢٨٦	٣٢	البقرة	﴿رَبِّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَآقَةَ لَنَا بِهِ﴾
٢٨	٢٩٤	النساء	﴿وَخَلَقَ الْإِنسَانَ ضَعِيفًا﴾
٨٢	٧	الأنعام	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾
١٢١	٥٤٤	الأنعام	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجُدِّ لُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾
١٢١	٥٣١	الأنعام	﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجُدِّ لُوكُمْ﴾
١٢٨	٥٣٧	الأنعام	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْت لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٰٓئِكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾
١٢٨	٥٥٣	الأنعام	﴿النَّارُ مَثْوٰٓئِكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾
١٢٨	٢٩٥	الأنعام	﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجْلَنَا الَّذِي أَجَلْت لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٰٓئِكُمْ خَلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذٰلِكَ نُؤِي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾
١٢٩			

رقم الآية	رقم الآية	السورة	الآية
٥٤٣	٢٠١، ٢٠٢	الأعراف	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾
٤٩٩	٣٠	التوبة	﴿يُضَاهِيهِمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴿٣٠﴾﴾
٤٩٩، ١٠٨	٣١	التوبة	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴿٣١﴾﴾
٥٣٢	٥٧	يونس	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾
٥٧٥	١١٧، ١١٨	هود	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٧﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴿١١٨﴾﴾
٣٥٥	١٨	يوسف	﴿بَل سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴿١٨﴾﴾
٣٥٥	٨٣	يوسف	﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴿٨٣﴾﴾
٣٥٥	٩٨	يوسف	﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴿٩٨﴾﴾
٤٢٠	١١	الرعد	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴿١١﴾﴾
٢٩٥	١١	إبراهيم	﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كُنَّا لِنَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾
٥٧٥	٩٣	النحل	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَنَسْتَلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾
٢٩٢	-٩٨، ١٠٠	النحل	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
٤٨٥	٢٢	الإسراء	﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾
٤٩٦	٢٢	الإسراء	﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ﴿٢٢﴾﴾
٢٩٣	٦٤	الإسراء	﴿وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴿٦٤﴾﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	الآية
٥٣٢	٨٢	الإسراء	﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾
٤٩٦	٩١	المؤمنون	﴿ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾
١٠٨	٣١	الحج	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيٍّ ﴾
٤٩٨	٣٠	الروم	﴿ فَأَقْصِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
١٠٨	٣	الزمر	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾
٤٩٩	٣	الزمر	﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾
١١٠	٦٧	الزمر	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾
٥٣٢	٤٤	فصلت	﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾
٤١٢	١١	الشورى	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
٤٩٦	١٩	محمد	﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
٢٨٥	٥٣ - ٥٢	الذاريات	﴿ كَذَٰلِكَ مَا آتَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ؕ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَٰغُونَ ﴾
٦	٥٦	الذاريات	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
٤٠٦ ، ٢٩٥	٣٣	الرحمن	﴿ يَتَمَعَّشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطٰنٍ ﴿٣٣﴾ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	السورة	الآية
٦ - ٢	٥٠٠	الحديد	﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۗ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾
٢٧	٢٩٠	الحديد	﴿وَرَهَبَائِنَاِ ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾
٣	٤٩٦	الملك	﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾
١٢	٣٠٤	الحاقة	﴿وَتَعْبَهَا أَذُنٌ وَّعِيَةٌ﴾
٦	٢٨٨ ، ٢٩٥	الجن	﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾﴾
٢٠	٨	نوح	﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكَ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًا وَلَا سَوْاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾
٢٣	٣٠٤	الانشقاق	﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾
٥٥	٤٨٥	البينة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾
٣ - ١	٧	العصر	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	طرف الحديث	م
٥٥١	إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها	-١
٦	إذا لن يضيعنا الله	-٢
٥٣١	إن الرقى والتمايم والتولة شرك	-٣
٥٥٢	أن الملائكة تنزل في العنان - وهو السحاب -	-٤
٧	أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله،	-٥
٥٢٩	أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله	-٦
٥٣٣	بسم الله أرقيك والله يشفيك	-٧
٥٨١	رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: عن النَّائمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ،	-٨
٣٣	فاكفوا من الأعمال ما تطيقون	-٩
٥٣٣	لا شافي إلا أنت	-١٠
٤٩٨، ٨	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم	-١١

فهرس الأعلام المترجم لهم

رقم الصفحة	اسم العلم	م
١٩٦	ابن الأثير	-١
١٣	ابن رشد	-٢
١٣	ابن سينا	-٣
٢٠٠	ابن عربي	-٤
٢٥٥	أبو الهذيل	-٥
١٨٨	آرتور شوپنهاور	-٦
١٨٤	أرسطوطاليس	-٧
١٧٢	الإسكندر	-٨
٢٩٢	أسيد بن حضير	-٩
٢٥٥	الأشعري	-١٠
١٥٢	أفلاطون	-١١
١٧٧	أمونيوس سكاس	-١٢
٩	إميل دور كايم	-١٣
٣١٤	أناكسوغوراس	-١٤
١٨٤	أنبادوقليس	-١٥
٢٢٥	آينشتاين	-١٦
١٧٧	باسيلدس	-١٧
٢٥٥	بشر بن المعتمر	-١٨
١١	البوذا سيدهاراتا غوتاما	-١٩
١٨٨	جورج باركلي	-٢٠
١٨٨	جورج فلهلم هيغل	-٢١
٢٥٣	الخليل بن أحمد	-٢٢
١٩٨	سقراط	-٢٣

رقم الصفحة	اسم العلم	م
٣٣٣	السهروردي	٢٤-
٢٥٣	سيويه	٢٥-
١٧٧	شاول	٢٦-
١٣	الفارابي	٢٧-
١٧٧	فالتينوس	٢٨-
٢٥٣	الفراء	٢٩-
٥٦	فرويد	٣٠-
١٥٢	فيثاغورث	٣١-
١٨٧	فيدون	٣٢-
١٨٨	كانط	٣٣-
٢٥٤	الكسائي	٣٤-
١٩٩	الكندي	٣٥-
١٢٤	كونفيشيوس	٣٦-
٤٢	لاو-تسو	٣٧-
١٨٤	ماني	٣٨-
١٧٧	مريقيون	٣٩-
١٨٤	مزدك	٤٠-
٢٥٥	النظام	٤١-
١٨٠	هراقليطس	٤٢-
٣٩	وليام رايش	٤٣-

فهرس المراجع والمصادر

أولا: قائمة المصادر العربية:

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) ابن رشد الفيلسوف، محمد يوسف موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط "بدون"، عام النشر: "بدون".
- (٣) ابن سينا: عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط "بدون"، عام النشر: "بدون".
- (٤) أثر الفلسفة الشرقية والعقائد الوثنية في برامج التدريب والاستشفاء المعاصرة: د. فوز بنت عبد الطيف كامل كردي، الناشر، مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط=١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- (٥) أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط=٣=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٦) الأحلام الجليلة وتجربة الخروج من الجسد خلال ثلاثة أيام: ميشيل رادوغا، ترجمة: سامح النقلي، الناشر: مركز أبحاث "OOBE" المتخصص في دراسة أبحاث الإسقاط النجمي، نشر الكتروني.
- (٧) إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط=١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- (٨) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٦هـ.
- (٩) إخوان الصفا، فلسفتهم وغايتهم: د. فؤاد معصوم، الناشر: دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، سوريا، ط=١=١٩٨٨م.
- (١٠) الأديان الحية، أديب صعب، الناشر: دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط=٣=٢٠٠٥م.
- (١١) أديان العالم: حبيب سعيد، الناشر: دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، مصر.

- (١٢) أديان العالم، دراسة روحية تحليلية لأديان العالم: د. هوستن سميث، ترجمة: سعد رستم، الناشر: دار الجسور الثقافية، حلب، سوريا، ط٣=١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
- (١٣) أديان الهند الكبرى: د. أحمد شلبي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١١=٢٠٠٠م.
- (١٤) الأديان الوضعية ومصادرها المقدسة، وموقف الإسلام منها: د. إبراهيم محمد إبراهيم، الناشر: مطبعة الأمانة، الجزيرة، مصر، ط١=١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- (١٥) أرض جديدة: إيكهارت تول، ترجمة: سامر أبو هواش، الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة"، ط١=١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- (١٦) أساس البلاغة: أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١=١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- (١٧) أساطير الآلهة في بلاد الرافدين: ناجح المعموري، الناشر: دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا ط١=٢٠٠٦م.
- (١٨) أساطير بابل وكنعان: شارل فيروللو، تعريب: ماجد خير بك، الناشر: مطبعة الكاتب العربي، دمشق، سوريا، ط٢=١٩٩٠م.
- (١٩) أساطير عالمية مخيفة: ياسر مصطفى الطبال، كتاب اليكتروني، رقم النشر: **ISBN: 9786050304411**، عام: ٢٠١٤م.
- (٢٠) أسأل تعط: استر وجيري هيكس، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١=٢٠١٧م.
- (٢١) الاستبصار والمناعة ضد النيران: يوسف أبو الحجاج، الناشر: دار الوليد للدراسات والنشر والترجمة، دمشق، سوريا، ط١=٢٠٠٨م.
- (٢٢) الاستشفاء بالطاقة الحيوية: د. رفاه السيد - م. جمان السيد، الناشر: دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ط٢=٢٠٠٧م.
- (٢٣) أسرار الآلهة والديانات: أ. س. ميغوليفسكي: ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحاق، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط٤=٢٠٠٩م.

- (٢٤) أسرار التأمل. الدليل العملي إلى السلام الداخلي والتحول الشخصي: دافيدجي، ترجمة: حسين محمد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٤م.
- (٢٥) أسرار التنويم المغناطيسي الذاتي: د. آدم إيسون، الناشر، مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١=٢٠١٠م.
- (٢٦) أسرار السحر: علي عبد العال الطهطاوي، الناشر: الروضة للنشر والتوزيع، (بدون بيانات النشر).
- (٢٧) أسرار الطاقة الحيوية والهندسة المقدسة والتأمل: م. كريم أمير أحمد، الناشر: دار أهل الحكمة، القاهرة، مصر، ط "بدون"=٢٠١٢م.
- (٢٨) أسرار الطاقة: حكم الزمان حمزه، الناشر: دار نور المعارف، دمشق، سوريا، ط ١=٢٠٠٥م.
- (٢٩) أسرار الهندسة المقدسة: "مقال" الجزء الأول: الكاتب: نيللي الشافعي، منشور على مدونة علوم وأسرار، تاريخ النشر: ٢٠١٧م، راجع: "<https://olomwasrar.blogspot.com>".
- (٣٠) الإسقاط النجمي المفهوم والتقنيات: محمد العمصي، غزة، فلسطين، نسخة ٢٠١٥م.
- (٣١) الإسقاط النجمي بين العلم والدين: محمود أشرف محمود، الناشر: دار بنت الزيات للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ٢٠١٦م.
- (٣٢) أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة: أنور الجندي، الناشر: دار الاعتصام، مصر، ط "بدون"=١٩٨٦م.
- (٣٣) أسلوب الماكروبايوتك: ميشيو كوشي، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٢م.
- (٣٤) الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي، تحقيق: أ.د. محمد حسن جبل، الناشر: دار الصحابة للتراث، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط ١=١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- (٣٥) الاشارات والتبهيئات: أبي علي الحسين بن علي ابن سينا، تحقيق: مجتبي الزارعي، الناشر: بستان كتاب قم، جمهورية إيران الإسلامية، ط ١=١٤٢٣هـ.
- (٣٦) أشهر الديانات القديمة: لطفى وحيد، الناشر: المركز العربي للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط "بدون"، عام النشر "بدون".
- (٣٧) أصول الإيمان بالغيب وآثاره: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، رسالة دكتوراه بإشراف: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، كلية التربية للبنات، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ-١٤٢٧هـ.

٣٨) الأصول الدينية لتطبيقات الاستشفاء والرياضة الوافدة من الشرق عبر الغرب، وخطورتها على معتقد الأمة: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، متاح على موقع صيد الفوائد: " <https://saaid.net>."

٣٩) الأصول الفلسفية لتطوير الذات في التنمية البشرية: د. ثريا بنت إبراهيم السيف، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤٤٠هـ.

٤٠) أصول أهل السنة والجماعة في التعامل مع النصوص الشرعية: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.

٤١) أطلس الأديان: سامي عبد الله بن أحمد المغلوث، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٤٢) أطلس الفلسفة: بيتر كونزمان وفرانز - بيتر بوركارد، ترجمة: د. جورج كتورة، الناشر: المكتبة الشرقية، بيروت، لبنان، ط ٣ = ٢٠١٢م.

٤٣) الأعلام: خير الدين محمود بن محمد الزركلي الدمشقي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١٥ = ٢٠٠٢م.

٤٤) أعمدة اليوغا الثمانية - نهج حياة، سبيل كمال: غطاس الحكيم، الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٢م.

٤٥) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان: محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، بتحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط ٢ = ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٦) أفلوطين بين الديانات الشرقية وفلسفة اليونان: كامل محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ = ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٧) آلام العقل الغربي، ريتشارد تارناس، ترجمة: فاضل جتكر، الناشر: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة "كلمة" بالتعاون مع دار العبيكان للنشر، ط ١ = ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٤٨) ألف باء التنوير - القاموس الروحي لكل الأزمان: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٩م.

٤٩) آلهة في الأسواق؛ دراسة في النحل والأهواء القديمة في الشرق: رؤوف شلبي، الناشر: دار القلم، الكويت، ط ٢ = ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ٥٠) الألوان من السيكلولوجية إلى الديكور: حسين محمد جمعة، الناشر: "بدون"، تاريخ النشر: ٢٠٠٦م.
- ٥١) أمالي ابن الشجري: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط ١=١٤١٣هـ-١٩٩١م.
- ٥٢) أنت والكون: د. ديباك تشوبرا و د. ميناس كافاتوس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ولينا الزبيق، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٨م.
- ٥٣) الإنسان الكامل في الفكر الصوفي: د. لطف الله بن عبد العظيم خوجة، الناشر: دار الفضيلة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١= ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٥٤) الإنسان بين الجسم النجمي والهالة: د. علي محمد عبد الله، كتاب الكتروني، من إصدار دار المنهل، ونشرته وكالة الصحافة العربية، تاريخ النشر: ٢٠١٣م.
- ٥٥) الإنسان وقواه الخفية، دراسة في القوة الكامنة التي يملكها البشر للوصول إلى ما وراء الحاضر: كولن ولسن، ترجمة: سامي خشبة، الناشر: دار الآداب، بيروت، لبنان، ط ٢=١٩٧٨م.
- ٥٦) الانسجام مع الطاقة الكونية من أجل حياة أفضل: قيصر زحكا، متاح على موقع معابر: <http://www.maaber.org>.
- ٥٧) الأوبانيشاد: عبد السلام زيان، الناشر: شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠٠٨م.
- ٥٨) الباراسيكولوجي، القوى الخفية: ماهر يسري، دار مشارق، مصر، ٢٠٠٨م.
- ٥٩) الباراسيكولوجي؛ القوى الروحية: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، جمهورية مصر العربية، ط ١=٢٠١٣م.
- ٦٠) الباراسيكولوجي؛ ظواهر وتفسيرات، سامي أحمد الموصللي، الناشر: دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٥م.
- ٦١) بحث "سبيلي" حول العلاج بالطاقة: رامي عفيفي: متاح على موقع: سبيلي (<http://sabeily.org>).
- ٦٢) البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر، ط ١= ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٦٣) برغسون - سلسلة نوابغ الفكر الغربي: إبراهيم زكريا، الناشر: دار المعارف، ط ١=١٩٩٨م.

- ٦٤) البرمجة اللغوية العصبية NLP الآن أكثر سهولة: كارول هاريس، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٤م.
- ٦٥) البرمجة اللغوية العصبية من الخريطة إلى الكنز: د. سلمان عبيد الشمrani، الناشر: شركة القلم الرقمية، جدة، السعودية، ط ٢=٢٠٠٤م.
- ٦٦) البرمجة اللغوية العصبية وعلوم الطاقة الكونية فكر دخيل أم دين بديل؟: لقاء صحفي مع د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، متاح على موقع طريق الإسلام، "<https://akhawat.islamway.net>".
- ٦٧) البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود: د. إبراهيم الفقي، الناشر: إبداع للإعلام والنشر، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٢٨هـ-٢٠٠٨م.
- ٦٨) البرمجة اللغوية العصبية: أندرو براديري، الناشر والترجمة: دار الفاروق، جدة، السعودية، ط ٢=٢٠٠٠م.
- ٦٩) البرمجة اللغوية العصبية: عبد الناصر عبد الرحمن الزهراني، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٥م.
- ٧٠) البرمجة اللغوية العصبية: علم وفن - حيث يمكنك من تحقيق ما تريد: هاري آلدري، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ١=٢٠٠٦م.
- ٧١) البرمجة اللغوية العصبية: علم وفن، هاري آلدري، مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ١=٢٠٠٦م.
- ٧٢) بنية العقل العربي: د. محمد عابد الجابري، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط ٩=٢٠٠٩م.
- ٧٣) بوذا والفلسفة البوذية: كامل محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٩٤م.
- ٧٤) البوذية تاريخها وعقائدها وعلاقة الصوفية بها: د. عبد الله مصطفى نومسوك، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٧٥) البوذية للمبتدئين: المعلمة توبتين تشودرون، ترجمة: يشى بالدرون، الناشر: المبادرة العربية للترجمة - الدارما.
- ٧٦) البوذية: داميان كيون، ترجمة: صفية مختار، مراجعة: هاني فتحي سليمان، الناشر مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، ط ١=٢٠١٦م.

- (٧٧) تاج العروس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بالمرتضى الزبيدي، بتحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
- (٧٨) تاريخ ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر: ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٧٩) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَازَ الدهبي، المحقق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٥.
- (٨٠) تاريخ الأفكار، دوائر الفكر الأولى: ماجد الحمدان، الناشر: سيبويه للطباعة والنشر الرقمي، الإصدار الأول.
- (٨١) تاريخ الرومان وحضاراتهم: جهاد محمود توفيق، الناشر: موقع الألوكة الثقافية.
- (٨٢) تاريخ الفكر الصيني: آن شينغ، ترجمة د. محمد حمود، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٢ م.
- (٨٣) تاريخ الفكر العربي: عمر فروخ، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤ = ١٩٨٣ م.
- (٨٤) تاريخ الفكر الفلسفي: أ.د. محمد علي أبو ريان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٠ م.
- (٨٥) تاريخ الفكر المسيحي: القس د. حنا جرجس الخضري، الناشر: دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط ١٩٨١ م.
- (٨٦) تاريخ الفلسفة الإسلامية: هنري كوربان، ترجمة: نصير مروة وحسن قبيسي، الناشر: دار عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٩٨٨ م.
- (٨٧) تاريخ الفلسفة الحديثة: يوسف بطرس كرم، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- (٨٨) تاريخ الفلسفة الغربية: برتراند رسل: الكتاب الثالث: ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧ م.
- (٨٩) تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، مراجعة وتنقيح: أمون هلا رشيد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.

- ٩٠) تاريخ الكنيسة المفصل: بولس باسيم، نقله إلى العربية: الأبوان أنطوان الغزال وصبحي حموي اليسوعي، الناشر: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط١ = ٢٠٠٢م.
- ٩١) تاريخ حضارة وادي الرافدين: م.د. أحمد سوسة، الناشر: الدار العربية للموسوعات، عام (١٩٨٣م).
- ٩٢) تاريخ مختصر الدول: غريغوريوس يوحنا الملطي أبو الفرج المعروف بابن العبري، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، الناشر: دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٣ = ١٩٩٢م.
- ٩٣) تاسوعات أفلوطين: نقله إلى العربية: د. فريد جبر، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط١ = ١٩٩٧م.
- ٩٤) التأمل للمبتدئين: د. ستيفاني كليمنت، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣ = ٢٠١٠م.
- ٩٥) التأمل والتمعن: ج ب م جوزيف بهو مجدلاي، تعريب: لجنة الترجمة في الإيزوتيريك، منشورات: أصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت، لبنان.
- ٩٦) التأملات عمقها وأنواعها: مقال منسوب للبابا شنودة الثالث، متاح على موقع: www.st-takla.org.
- ٩٧) تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى: رينيه ديكرت، ترجمة: د. كمال الحاج، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط٤ = ١٩٨٨م.
- ٩٨) تجربة النية: لين ماكتا غريت، ترجمة: جانبوت حافظ، وإشراف د. صلاح الراشد، الناشر: دار الراية، ومركز الراشد للتنمية الذاتية، الكويت، ٢٠١٣م.
- ٩٩) التحرير والتنوير: الإمام محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ط "بدون" = ١٩٨٤م.
- ١٠٠) تحضير الأرواح، الاتصال بالموتى أو تجسيد الأرواح: أحمد حسن الشيخ، الناشر: جروس برس، طرابلس، لبنان، عام: ١٩٩٩م.
- ١٠١) التحول التانترى: أوشو، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي وكارمن الشرباصي، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١ = ٢٠١٥م.
- ١٠٢) التخاطر عن بعد والاستبصار؛ قوة العقل والإرادة: غاي ليون بليفر، ترجمة: عيسى سمعان، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط١ = ١٩٩٠م.

- ١٠٣) التخاطر، خوارق الأفعال والعادات وفق طريقة الشاولين الصينية: يوسف الشرفاء، الناشر: دار عالم الثقافة، ط ١١٤٢٩هـ-٢٠٠٩م.
- ١٠٤) التخطيط اللغوي العصبي، مرشد علمي وتدريبات عملية: جوزيف أوكونر، ترجمة: محمد الواكد، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط ١=٢٠٠٦.
- ١٠٥) تراثنا الروحي من بدايات التاريخ إلى الأديان المعاصرة: سهيل بشروئي ومرداد مسعودي، ترجمة: محمد غنيم، دار الساقبي، ط ١=٢٠١٢م.
- ١٠٦) ترانسيرفينغ الواقع (3): فاديم زيلاند، ترجمة: د. حسان ميخائيل إسحق، الناشر: دار الفرقد، دمشق، سورية، ط ١=٢٠١٨م.
- ١٠٧) ترانسيرفينغ الواقع: فاديم زيلاند، النسخة العربية من إصدار الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية بإشراف صلاح الراشد، الكويت، ٢٠١٧م.
- ١٠٨) التسامح - رؤية جديدة تزهو الحياة-: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١١م.
- ١٠٩) التصوف في الإسلام: د. عمر فروخ، الناشر: مكتبة الميمنة، بيروت، لبنان، ط ١=١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- ١١٠) تطبيق قانون الجذب، مرشد واقعي نحو تغيير حياتك، د. دينا دافيز، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ٢=٢٠٠٩م.
- ١١١) التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ١١٢) التطور الخالق: هنري برغسون، ترجمة: محمد محمود قاسم، إصدار المركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر ٢٠١٥م.
- ١١٣) تعلم كيف تعالج نفسك بنفسك عبر البرنامج الأول في العالم العربي: إعداد وتقديم: الاختصاصي محمد رضى عمرو، برنامج تعلم طرق التأمل، متاح على الموقع الرسمي للمدرب المتخصص: <https://mohammadmr.wordpress.com>
- ١١٤) تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

- (١١٥) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي، بتحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة، ط ٢=١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- (١١٦) تفسير القرآن الكريم - جزء عم-: الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٣=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (١١٧) تقنية صناعة الواقع: فريدريك داودسون، ترجمة: جانبوت حافظ، إشراف: صلاح الراشد، الناشر: الأكاديمية الدولية للتنمية الذاتية (iAPD)، الكويت، بالتعاون مع دار الراية توب للنشر والتوزيع، ط ١=٢٠١٧م.
- (١١٨) تكوين العقل العربي: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط ١٠=٢٠٠٩م.
- (١١٩) تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة للنشر، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (١٢٠) تمهيد للفلسفة: د. محمود حمدي زقزوق، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٥=١٩٩٤م.
- (١٢١) التنجيم والمنجمون وحكم ذلك في الإسلام: عبد المجيد بن سالم بن عبد الله المشعبي، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- (١٢٢) التنويم المغناطيسي من أبحاث إلى أوباما: ضاحي عثمان، الناشر: دار صرح للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠١٠م.
- (١٢٣) التنويم المغناطيسي: نبيل إبراهيم غالي، الناشر، دار الأمين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط ١=١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- (١٢٤) التنويم بالإحياء: د. إبراهيم الفقي، الناشر، مؤسسة بداية، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- (١٢٥) تهافت الفلسفة: السيد محمد أبو الفيض المنوفي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٦٧م.
- (١٢٦) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠١م.
- (١٢٧) التواصل مع الأرواح والعالم الآخر: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط ١=٢٠١٣م.

- (١٢٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٤=١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- (١٢٩) الثيوصوفيا، دراسة لقضية الألوهية في الفكر الثيوصوفي الحديث: مريم بنت ماجد بن أديب عنتابي، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١=١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- (١٣٠) جامع البيان في تأويل آي القرآن: الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١=١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- (١٣١) جاهلية القرن العشرين: محمد قطب، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١٢=١٤١٢هـ=١٩٩٢م.
- (١٣٢) الجزيرة الفراتية وديارها العربية، د. عبد الحكيم الكعبي، الناشر: صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١=٢٠٠٩م.
- (١٣٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، المحقق: علي بن حسن وآخرون، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢=١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- (١٣٤) جوهان فالون: موسوعة أسسها "لي هونغ جي" معلم الطريقة، وساهم بنقلها إلى العربية ممارسون من الوطن العربي، ط١=٢٠٠٦م، راجع نسخة إلكترونية منشورة على موقع: www.falundafa.org.
- (١٣٥) جيكا مينالي ولعنة ست: د. أحمد خشبة، الناشر: دار فانتازيون للنشر، طنطا، جمهورية مصر العربية، ط٢=٢٠١٨م.
- (١٣٦) الحاسة السادسة "رحلة في عمق وعينا الكوني": د. أحمد توفيق حجازي، جامعة تكساس أوستن، الناشر: كنوز المعرفة، عمان - الأردن، ط١=١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- (١٣٧) الحاسة السادسة بين منظاري البارسيكولوجي والقرآن: عبد الله زريق، الناشر: مؤسسة النوري، سوريا، ١٩٩٥م.
- (١٣٨) الحاسة السادسة قوة تأثير العقل على الأشياء المادية: د. ماهر يسري، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١٢م.
- (١٣٩) حديث "عبدني أطعني تكن مثلي" قيمته ودلالاته في التصوف والولاية التكوينية: حيدر حب الله، الناشر: الموقع الرسمي لحيدر حب الله، ٢٠١٥م، طالع: "<http://hobbollah.com>".

- ١٤٠) حركة العصر الجديد: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٤٨ = ذو الحجة ١٤٣٠هـ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- ١٤١) حركة العصر الجديد، مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، الناشر: مركز تأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- ١٤٢) الحرية في الفلسفة اليونانية: أ.د. محمود السيد مراد، الناشر: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الإسكندرية، جمهورية مصر العربية، ط ١ = ٢٠٠٠م.
- ١٤٣) حصاد الفكر الفلسفي اليوناني: كامل محمد بن محمد عويضة، دار الكتب العلمية، ط ١ = ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ١٤٤) الحضارات الأولى؛ الأصول والأساطير: غلين دانيال، ترجمة: سعيد الغانمي، اصدار: مجلة دبي الثقافية، الناشر: دار الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط ١ = ٢٠٠٩م.
- ١٤٥) حضارات الهند: د. غوستاف لوبون، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، الناشر: دار العالم العربي، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠٠٩م.
- ١٤٦) حق الإنسان في المعرفة: وليام رايش "رايخ"، الجزء ٢، متاح على موقع "YouTube".
- ١٤٧) الحقائق المعتمدة عن الأديان والفرق المنتشرة: د. أحمد حسين سعيد الوصي، الناشر: دار الطرفين للنشر والتوزيع، الطائف، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٣١هـ.
- ١٤٨) حقيقة العلاج بالطاقة بين العلم والقرآن: د. فوز كردي (<http://www.al-> [/forqan.net](http://forqan.net)) و (<http://www.alfowz.com>).
- ١٤٩) الحكمة الإلهية ومبادئها الأساسية الثلاثة: ديميتري أفيرنوس، متاح على موقع معابر: (www.maaber.org).
- ١٥٠) الحكمة الهندوسية: سوامي رامداس، الناشر: مؤسسة نوفل للنشر والتوزيع، لبنان، ١٩٩٦م.
- ١٥١) حل شيفرة دافنشي؛ "إكتشف الأسرار الروحية لقواعد ليوناردو السبع": مايكل ج. غلب، ترجمة: سعاد وماجد مفتي، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٨م.
- ١٥٢) حوار في الإيزوتيريك: (خ.ب.م) جوزيف بهو مجدلائي، منشورات أصدقاء المعرفة، بيروت، لبنان، ط ٤ = ٢٠١٣م.

- (١٥٣) خارقية الإنسان - البارسيكولوجي من المنظور العلمي: - د. صلاح الجابري، الناشر: دار الأوتل للنشر والتوزيع.
- (١٥٤) خريف الفكر اليوناني: د. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط٤ = ١٩٧٠م.
- (١٥٥) الخطاب السياسي في مصر القديمة: مصطفى النشار، الناشر: دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١ = ١٩٨٨م.
- (١٥٦) خوارق العادات بين العلم والدين: د. جمال نصار حسين، من إصدارات: Book Publisher، بيروت. لبنان، ط١ = ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- (١٥٧) خوارق اللاشعور: د. علي الوردى، الناشر: دار الوراق للنشر، لندن، ط٢ = ١٩٩٦م.
- (١٥٨) دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢ = ١٩٧١م.
- (١٥٩) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، سوريا.
- (١٦٠) درء تعارض العقل والنقل: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢ = ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (١٦١) دراسات في النظم والمذاهب: لويس عوض، الناشر: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١ = ١٩٦٢م.
- (١٦٢) دراسات في عالم الأرواح: السفير: عزت علي البحيري، الناشر: مكتبة الناظفة، الجيزة، مصر، ط١ = ٢٠١١م.
- (١٦٣) دراسات هيجلية: د. إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٨٤م.
- (١٦٤) درجات التصوف والموقف الشرعي منها: د. أبو زيد بن محمد مكي.
- (١٦٥) درجات الطاقة في معرفة الذات: جمان السيد وآخرون، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١ = ٢٠٠٦م.
- (١٦٦) دعوة إلى الصحة والسعادة: جورج أوشاو، ترجمة: عصام الميلاس، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١ = ٢٠٠٣م.

(١٦٧) دلائل الربوبية: د. أبو زيد بن محمد مكّي، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الخبر، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.

(١٦٨) دليل الماكروبيوتيك: كارل فيريه، ترجمة: د. يوسف البدر، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ٢=٢٠٠٣م.

(١٦٩) دوامات التدين: يوسف زيدان، الناشر: دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠١٣م.

(١٧٠) دورات العلاج بالطاقة، تقويم من الداخل: د. فور كردي، متاح على موقع :

<http://www.alfowz.com>

(١٧١) الديانات القديمة: الشيخ محمد أبو زهرة، الناشر: معهد الدراسات الإسلامية.

(١٧٢) الديانات الوضعية المنقرضة: موسوعة الأديان، محمد العربي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٥م.

(١٧٣) الدين - بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: د. محمد عبد الله دراز، الناشر: دار القلم، الكويت.

(١٧٤) الدين السكوني والدين الحركي عند هنري برغسون: إسماعيل الموساوي، الناشر: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، متاح على موقع الناشر: "<https://www.mominoun.com>".

(١٧٥) رامانا ماهاريشي ودرب معرفة الذات: آرثر أوزبورن، تعريب: مجموعة من الطلاب العرب من مريدي الحكيم رامانا ماهاريشي، نشر الكتاب بنسخته الأصلية في راماناشرام - تيرو فانامالاي، الهند، ونشرت على موقع مؤسسة رامانا ماهاريشي بواسطة آلان جايكوبس رئيس الجمعية بإنجلترا، وترجمت إلى لغات عديدة.

(١٧٦) ربّ الثورة (أوزيريس) وعقيدة الخلود في مصر القديمة: سيد القمني، من إصدارات المركز المصري لبحوث الحضارة، ط ٢=١٩٩٩م.

(١٧٧) الرحمن والشيطان، الثنوية الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا.

(١٧٨) الرد على الشاذلي في حزيبه، وما صنّفه في آداب الطريق: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، المحقق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٩هـ.

(١٧٩) الرسالة الصفدية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة ابن تيمية، مصر، ط ٢=١٤٠٦هـ.

- ١٨٠) رسائل اخوان الصفا وخلان الوفاء: إخوان الصفا، مراجعة: خير الدين الزركلي، الناشر: مؤسسة هنداي سي آي سي، المملكة المتحدة، ٢٠١٧م.
- ١٨١) رموز الريكي: مقال منشور في مجلة الابتسامة الإلكترونية (غير منسوب): (<http://www.ibtesamh.com>).
- ١٨٢) روح البيان في تفسير القرآن: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوئي الحنفي، الناشر: دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ١٨٣) الروح الصوفي: أ.د. ضاري مظهر صالح، الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١-٢٠١٢م.
- ١٨٤) الروض المعطار في خبر الأقطار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان، ط٢=١٩٨٠م.
- ١٨٥) رياضات الدفاع عن النفس والأمن الفردي: عمر عسوس، الناشر: المجلة العربية للتدريب، المجلد (٦)، العدد (١١)، محرم ١٤١٥هـ-يونيو-يوليو ١٩٩٤م، المعهد العالي للعلوم الأمنية بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ١٨٦) الريكي سؤال وجواب: المعلم شريف هزاع، الناشر: شمس للنشر والإعلام، القاهرة، مصر، ط١=٢٠١٧م.
- ١٨٧) الريكي للمبتدئين: ديفيد إف فينلس: الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط٢=٢٠٠٧م.
- ١٨٨) الريكي والعلاج البراني: عرض ودراسة في ضوء العقيدة الإسلامية، أ. عائشة بنت محمد الشمسان، الناشر: مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية - نشر الكتروني برقم ٣٨٠٥٠٤١١٥، جامعة الأمير سطاتم بن عبد العزيز.
- ١٨٩) الزاهر في معاني كلمات الناس: أبو بكر الأنباري، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١=١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٩٠) زن ماكروبايوتك: جورج أوشاو، إعداد: يوسف البدر، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، لبنان، ط٥=٢٠٠٣م.

- (١٩١) سبعة رقم جوهرى في الحياة وظواهر الكون: عبيد يونس، مقال صحفي منشور في جريدة البيان الإماراتية بتاريخ: ٢٦/٢/٢٠١٢م.
- (١٩٢) السجلات الأكاشية وكيفية الوصول إليها: مقال منسوب إلى محمد إسماعيل، متاح على موقع ما وراء المادة: (<http://www.metaphysicalarabia.com>).
- (١٩٣) السحر العجيب في جلب الحبيب: عبد الفتاح الطوخي، الناشر: المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- (١٩٤) سر أسرار التانترا، خفايا الباطن، وسر الجوهرة المفقودة: أوشو، ترجمة: هيثم فوزي شقير، الناشر: دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ١ = ٢٠١٦م.
- (١٩٥) السر الأعظم أو سر الأسرار - دراسة في أسرار وخفايا سورة الرحمن -: محمد محمد سليم الكاظمي، الناشر: دار المعزز للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١ = ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
- (١٩٦) السر وقانون الجذب: د. فوز بنت عبد اللطيف كردي، متاح على الموقع الكتروني <http://alfowz.com>، تاريخ النشر: ٢٠١٢م.
- (١٩٧) سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- (١٩٨) سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
- (١٩٩) سنن الترمذي، الجامع المختصر من السنن، عن رسول الله - ﷺ -، ومعرفة الصحيح والمعلول، وما عليه العمل، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، الناشر: شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢ = ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (٢٠٠) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط و د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١ = ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- (٢٠١) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من العلماء بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٣ = ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٢٠٢) الشامانية فلسفة للحياة: ميشال بيران: ترجمة إدريس كثير، الناشر: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، مشروع "كلمة"، ط ١ = ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

- ٢٠٣) شرح العقيدة الطحاوية: العلامة علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٩ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢٠٤) الشفاء بالطاقة الحيوية: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: الدار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١ = ٢٠٠٦م.
- ٢٠٥) شفرة الكون، تقنيات وإرشادات في مجال الطاقة الكونية والاستشفاء الذاتي: أمل الشريف، الناشر: دار يسيطرون للطباعة والنشر والتوزيع، الجزيرة، جمهورية مصر العربية، ط ١ = ٢٠١٥م.
- ٢٠٦) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: نشوان بن سعيد الحميري اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط ١ = ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٠٧) الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور؛ وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر: فتحي حسن ملكاوي، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرنندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط ١ = ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٢٠٨) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.
- ٢٠٩) الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٤ = ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٢١٠) صحيح الإمام البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- ٢١١) صحيح الإمام مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم): أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٢١٢) صحيفة (THE HUFFINGTON POST) الناطقة بالعربية مع خبيرة اليوجا والماندالا "هنا كمال" صاحبة مركز ((35B)) لليوغا والتأمل.

- (٢١٣) الضغط بالأصابع : يوكيو اروين و جيمس واد جنفورد، تعريب: د. محمد أحمد النابلسي، الناشر: دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط "بدون"، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- (٢١٤) طاقة الحياة في جسم الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- (٢١٥) طاقة الحياة: غاي براون، ترجمة: أحمد العميري، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢١٦) الطاقة الحيوية والشفاء الذاتي: حسام الدين سامي كمال، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، ط ١=١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- (٢١٧) الطاقة الروحية: هنري برغسون، ترجمة: د. علي مقلد، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١=١٤١١هـ-١٩٩١م.
- (٢١٨) طاقة الكون بين يديك: مهى نمور، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٢٦هـ.
- (٢١٩) الطاقة المدهشة للمشاعر: إستر و جيرري هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ومنال الخطيب، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٧م.
- (٢٢٠) الطاقة المذهلة للنية المتعمدة: إستر و جيرري هيكس، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي ونورس حمزة، دار الخيال، بيروت لبنان، ط ١=٢٠١٧م.
- (٢٢١) الطب البديل الحديث: حمزة الجبالي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر، ٢٠١٦م.
- (٢٢٢) الطب الصيني الروح - العقل - الجسد: إشراف: مصطفى وهبة، ترجمة: محمد يوسف شهاب، الناشر: رشاد برس للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط ١=٢٠٠٥م.
- (٢٢٣) طريق الصين؛ رحلة في مستقبل قوة صاعدة: روب غيفورد، ترجمة: محمد محمود التوبة، الناشر: شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، الرياض، السعودية، ط ١=١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- (٢٢٤) طريق الفيلسوف: جان فال، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، الناشر: مؤسسة سجل العرب، القاهرة، مصر، ١٩٦٧م.
- (٢٢٥) الطريق إلى النور: جيهان مأمون، الناشر: دار نهضة مصر للنشر، ٢٠١٦م.
- (٢٢٦) طريقة سيدونا: هيل دوسكين، ترجمة: محمود عيسى ونوار العبد الله، الناشر " دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٩م.

- (٢٢٧) الطوطم والتابو: سيموند فرويد، ترجمة: بوعلي ياسين، الناشر: دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط ١=١٩٨٣م.
- (٢٢٨) العاطفة والعقل بين القلب والدماغ: سالم مجيد الشماع، الناشر: الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط ١=١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- (٢٢٩) العافية، طريقة المحافظة على الصحة، والحصول على الشفاء من داخلك: الناشر: حسن البشل، دار ابن حزم، ط ١=١٤٢٦هـ.
- (٢٣٠) عالم السحر والشعوذة: د. عمر بن سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ٤=١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- (٢٣١) عبقرية البرت اينشتاين: يوسف أبو الحجاج الأقصري، الناشر: الدار الذهبية للنشر والتوزيع، مصر، القاهرة، ط ١=٢٠١٨م.
- (٢٣٢) العقل الباطن، قوة خارقة في أعماق الإنسان: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط ٤=١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- (٢٣٣) العقل الكوني: علاء حلي، الناشر: دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ط ١=٢٠٠٦م.
- (٢٣٤) العقل عند الفلاسفة المسلمين: د. تيسير أحمد عبل الركابي، بحث منشور في العدد الثاني عشر من "دراسات تاريخية" حزيران ٢٠١٢م، جامعة البصرة، كلية القانون والسياسة.
- (٢٣٥) العقل وسطوته: جوزيف بانكس راين، ترجمة: د. محمد الحلوجي، وكالة الصحافة العربية، الجزيرة، مصر، ٢٠١٨م.
- (٢٣٦) العقلانية العلمية، دراسة نقدية: د. خالد قطب، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠٠٥م.
- (٢٣٧) عقيدة الصوفية: د. أحمد بن عبد العزيز القصير، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٢٣٨) العقيدة الطحاوية: الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، شرح وتعليق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، ط ٢=١٤١٤هـ.
- (٢٣٩) عقيدة المسلم: الشيخ محمد الغزالي، الناشر: دار الدعوة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ٢=١٤٢١هـ-١٩٩٩م.

- ٢٤٠) علاج الأمراض بالأحجار الكريمة: د. زكريا هميمي، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط١=٢٠٠٤م.
- ٢٤١) العلاج البراني بالكريستال: تشواكوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠٧م.
- ٢٤٢) العلاج الجشطلتي، تيار متميز في العلاج الحديث: د. نبيل حافظ، د. نعيمة جمال، د. أيمن زهران، تقديم: د. طلعت منصور، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١=٢٠١٢م.
- ٢٤٣) العلاج بالحب: د. عماد صبحي، الناشر: المؤلف على خدمة: "Google Book"، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط١=٢٠١٦م.
- ٢٤٤) العلاج بالطاقة الكونية: د. لبنى شاكر، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١٥م.
- ٢٤٥) العلاج بالطاقة والماكروبيوتك: غادة المعاينة الدلاييح، الناشر: دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١=٢٠٠٤م.
- ٢٤٦) العلاج والشفاء بالأحجار الكريمة: د. حسان جعفر، الناشر: دار الحرف العربي، بيروت، لبنان، ط١=١٤٢٥هـ.
- ٢٤٧) علم الإيزوتيرك: إميل سمعان، متاح على موقع (<http://www.emile4u.com>).
- ٢٤٨) علم الطاقة الروحية: هند رشدي، الناشر: دار مشارق للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١٠م.
- ٢٤٩) علم الفراسة الحديث: جورجى زيدان، الناشر: وكالة الصحافة العربية، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١٨م.
- ٢٥٠) علم نفسك البرمجة الغوية العصبية: ستيف بافيستر، وفيكتور أماندا، الناشر: مكتبة جرير، جدة، ط١=٢٠٠٦م.
- ٢٥١) علوم الطاقة بين الحقيقة والدجل الجزء العاشر: الاحتمالات و الترانسفيرينغ: د. فادي الكيال، متاح على الموقع الشخصي للكاتب: "<http://fadialkayyali.com>".
- ٢٥٢) العناصر الخمسة والسوق العشرة: كيكو ماتسوموتو و ستيفن برش، ترجمة: د. أحمد حربا، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠٤م.
- ٢٥٣) عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب: محيي الدين ابن عربي الحاتمي الطائي، (بدون بيانات نشر).

- ٢٥٤) العيش الطيب: عبد الله الهاشمي، الناشر: شركة أكتشف ذاتك، الخبر، المملكة العربية السعودية، ط١=٢٠١٧م
- ٢٥٥) عيش اللحظة: مصطفى حسني، الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، الجيزة، مصر، ط١=٢٠١٥م.
- ٢٥٦) العين الثالثة، الحاسة السادسة: د. إميل سمعان: متاح على موقع إيميل سمعان الرسمي: <http://www.emile4u.com>.
- ٢٥٧) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- ٢٥٨) الغنوصية الفلسفة والوحي: إدوارد مور، ترجمة: أسماء جلال الدين، متاح على موقع معابر: <http://www.maaber.org>.
- ٢٥٩) الغنوصية وموقف الإسلام منها: هدى يحيى علي المالكي، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة أم القرى بإشراف د. ابتسام جمال، ١٤٢٧هـ.
- ٢٦٠) غير تفكيرك غير حياتك: برايان تراسي، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط١=٢٠٠٧م.
- ٢٦١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: محب الدين الخطيب مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.
- ٢٦٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب التميمي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، ط٧=١٣٧٧هـ-١٩٥٧م.
- ٢٦٣) الفراسة وقوة الحدس قوانين النجاح العقلية: فيليكس ايشباخر، ترجمة: كامل محمد إسماعيل، الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢=١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٢٦٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة البيان، دمشق، سوريا، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

- (٢٦٥) الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- (٢٦٦) الفصل في الملل والنحل: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- (٢٦٧) فصول في أديان الهند: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - بريدة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٢٦٨) فضائل الصحابة: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- (٢٦٩) الفكر الديني في مصر القديمة: أ.د. عبد الحليم نور الدين، إعداد: مهذب درويش، الناشر: مكتبة الإسكندرية، مصر.
- (٢٧٠) الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي: د. جمال المرزوقي، الناشر: دار الآفاق العربية، مدينة نصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١=١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (٢٧١) الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة كامل يوسف حسين، الناشر: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، بإشراف: أحمد مشاري العدواني، يوليو ١٩٩٥م.
- (٢٧٢) الفكر العربي في منهاج البكالوريا اللبنانية: د. عمر فروج، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان: ط ١=١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- (٢٧٣) فكر حركة الاستنارة وتناقضاته: د. عبد الوهاب المسيري، الناشر: مكتبة نهضة مصر للنشر والتوزيع، مصر، ط ١=١٩٨٨م.
- (٢٧٤) الفكوك في أسرار مستندات حكم الفصوص: صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: **BOOKS-PUBLISHER**، بيروت، لبنان، ط ١=١٤٣٤هـ-٢٠١٢م.
- (٢٧٥) فلاسفة الشرق: أ. و. ف. توملين، ترجمة: عبد الحميد سليم، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٢.

- (٢٧٦) فلاسفة أيقظوا العالم: مصطفى النشار، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٣=١٩٩٨م.
- (٢٧٧) الفلسفات الآسيوية: جون م. كولر، ترجمة: نصير فليح، الناشر: المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط١=٢٠١٣م.
- (٢٧٨) فلسفة ابن رشد: فرح أنطوان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، مصر.
- (٢٧٩) الفلسفة البوذية: د. أسمهان طلحي، الناشر: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١=١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- (٢٨٠) الفلسفة الرواقية: أمين عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة مصر، ط٣=١٩٧١م.
- (٢٨١) فلسفة الزن رحلة في عالم الحكمة: جان لوك تولا - بريس، ترجمة: ثريا إقبال، الناشر: هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث "كلمة"، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ط١=١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- (٢٨٢) الفلسفة الشرقية: أ.د. بشير بو غازي، الناشر: مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١=١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- (٢٨٣) الفلسفة الشرقية: د. محمد غلاب، القاهرة، ١٩٣٨م.
- (٢٨٤) الفلسفة المثالية: د. يوسف حامد الشين، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط١=١٩٩٨م.
- (٢٨٥) فلسفة اليوغا: ب. ك. ناربان، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١=١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (٢٨٦) الفلسفة اليونانية - تاريخها ومشكلاتها: د. أميرة حلمي مطر، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة = ١٩٨٨م.
- (٢٨٧) الفلسفة اليونانية: أ.د. أحمد السيد علي رمضان، الناشر: دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٢=١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
- (٢٨٨) الفلسفة في الشرق: بول ماسون - أورسيل، ترجمة: محمد يوسف موسى، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر.
- (٢٨٩) الفلسفة في الهند، قطاعها الهندوكية والإسلامية والمعاصرة: د. علي زيعور، الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١=١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

- ٢٩٠) فلسفة هيجل، المنطق وفلسفة الطبيعة: ولتر ستيس، تقديم: زكي نجيب محفوظ، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣=٢٠٠٧م.
- ٢٩١) الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة: د. عمر محمد صبحي عبد الحي، الناشر: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١=١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٢٩٢) فلسفة وحدة الوجود أصولها وفترتها الإسلامية: د. نظلة أحمد نائل الجبوري، مكتبة ابن تيمية، البحرين، ط١=١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ٢٩٣) فلسفة وحدة الوجود: د. حسن الفاتح قريب الله، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ط١=١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٢٩٤) فهم السلف الصالح للنصوص الشرعية: أ.د. عبد الله بن عمر الدميحي، الناشر: مركز البيان للبحوث والدراسات، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣=١٤٣٧هـ.
- ٢٩٥) في أدب الأطفال: علي الحديدي، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط٤=١٩٨٨م.
- ٢٩٦) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه: د. إبراهيم مدكور، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ٢٩٧) في ظلال الحروف: المختار السالم أحمد السالم، الناشر: e-Kutub.Ltd، إنجلترا، ط١=٢٠١٩م.
- ٢٩٨) قادة الفكر: طه حسين، منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- ٢٩٩) قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية: أحمد أمين، الناشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، مصر.
- ٣٠٠) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط٨=١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ص ٣٢٤.
- ٣٠١) قاموس المورد الحديث: منير البعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- ٣٠٢) قانون الجذب: مايكل جيه. لوسيير، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط١=٢٠١٥.
- ٣٠٣) قانون الجذب، د. صلاح الراشد، "طبعة قرطبة الرابعة"، الناشر: مركز الراشد، الكويت، حولي، ط٤=١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

- ٣٠٤) القدرات العقلية والجسدية الحارقة: حمزة الجبالي، الناشر: دار عالم الثقافة للنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ١=٢٠١٦م.
- ٣٠٥) قراءة في ثلاثية الوجود عند الشيخ ابن عربي: دراسة مختصرة مأخوذة من كتاب (ثلاثية الوجود) للمؤلف: نضال فاضل البغدادي: منشور على موقع الجامعة العربية المفتوحة لشمال أمريكا: (<http://acocollege.com>).
- ٣٠٦) القرآن والكون: أسامة علي خضر، الناشر: المكتبة العصرية، ط "بدون" = ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٣٠٧) قصة الحضارة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، ط ١ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣٠٨) قصة الديانات: د. سليمان مظهر، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط "بدون" = ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣٠٩) قصة الفلسفة: ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع، الناشر: مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط ٦ = ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٣١٠) القفزة، علم نفس الاستيقاظ الروحي، ستيف تايلور، ترجمة: د. محمد ياسر حسكي، هاني جرجيس، الناشر: دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١ = ٢٠١٨م.
- ٣١١) قواعد الرقية الشرعية: عبد الله محمد السدحان، تقديم فضيلة الشيخ الدكتور: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، نسخة الكترونية (Pdf) خالية من المعلومات.
- ٣١٢) القوانين الروحانية السبعة للنجاح، ديباك تشوبرا، ترجمة: رجا أبو شقرا، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٣م.
- ٣١٣) قوة الآن، الدليل إلى التنوير الروحي: إكهارت تول، ترجمة: حسين محمد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٤م.
- ٣١٤) قوة العزيمة والإرادة: واين والتر داير، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط ٢ = ٢٠٠٨م.
- ٣١٥) قول الفلاسفة المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية، عرض ونقد في ضوء مذهب السلف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: مجلة جامعة أم القرى، مكة المكرمة، العدد (٢١).
- ٣١٦) قول فلاسفة المسلمين المنتسبين للإسلام في توحيد الربوبية - عرض ونقد في ضوء مذهب السلف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف.

- (٣١٧) القيادة التربوية في القرن الجديد: محمد صالح الحناوي، الناشر: دار ومكتبة الحامد، عمان، الأردن، ط١=١٩٩٩م.
- (٣١٨) القيم التربوية السائدة في أوساط ممارسي الرياضيات والفنون القتالية الصينية في ضوء بعض المتغيرات: إبراهيم بوتزعه، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد العاشر، عام: ٢٠١٧م.
- (٣١٩) الكامل في اليوغا: سوامي فشنوا ديفانندا، الناشر: معرض الشوف الدائم للكتاب، لبنان.
- (٣٢٠) كتاب التاوتي تشينغ: لاو-تزو، صياغة عربية للنص: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق، سوريا، ط١=١٩٩٨م.
- (٣٢١) كتاب التاوت والفضيلة: لاو-تزو، ترجمة: علاء الديب، الناشر: دار الكرامة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١=٢٠١٦م.
- (٣٢٢) كتاب التاوت: لاو-تزو/ تشوانغ تسه، ترجمة ودراسة: هادي العلوي، الناشر: دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١=١٩٩٥م.
- (٣٢٣) كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف: الإمام العارف أبو بكر محمد بن إسحاق البخاري الكلاباذي، صححه واهتم به: آرثر جون أوبري، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٢=١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- (٣٢٤) كتاب التغير- "آي تشنغ": إعداد: رانيا مشلب، الناشر: مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠١م.
- (٣٢٥) كتاب السر: روندا بايرن، الترجمة والناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط١=٢٠٠٨م.
- (٣٢٦) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي المعروف بـ "سيبويه"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط٣=١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- (٣٢٧) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج بإشراف: د. رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١=١٩٩٦م.
- (٣٢٨) كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد: د. خزعل الماجدي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط١=٢٠١٤م.
- (٣٢٩) كلكامش الإنسان والخلود: عبد الحكيم ذنون، منشورات المنارة، بيروت - دمشق، ط١=١٩٩٦م.

- ٣٣٠) الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي الحنفي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٣٣١) كونية الإنسان: ندره اليازجي، متاح على موقع معابر: www.maaber.com.
- ٣٣٢) كيركجور رائد الوجودية: إمام عبد الفتاح إمام، الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٨٢م.
- ٣٣٣) اللامية. بوذية التبيت، دراسات في الأديان: نبيل فياض، منشورة على موقعه الرسمي: <http://www.nabilfayad.com>.
- ٣٣٤) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١=١٩٩٨هـ-١٩٩٨م.
- ٣٣٥) لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر، بيروت، لبنان، ط ٣=١٤١٤هـ.
- ٣٣٦) لقاءات مع أناس استثنائيين: أوشو، ترجمة: د. علي الحداد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠٩م.
- ٣٣٧) الله في حقيقته هو الإنسان - مقدمة في ضرورة ممارسة الوعي الكوني: أحمد الخيال، مقال منشور على موقع: "معابر"، دمشق، سورية، راجع: <http://www.maaber.org>.
- ٣٣٨) اللوجوس من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة: د. صاري رشيدة، رسالة دكتوراه في جامعة وهران ٢ - الجزائر، بإشراف أ. د. أنور حمادي، عام (٢٠١٤ - ٢٠١٥م).
- ٣٣٩) ما لا تعرفه عن الحياة: د. هبة يس، الناشر: دار دون للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠١٩م.
- ٣٤٠) مادة العقيدة الإسلامية: د. أبو زيد بن محمد مكّي، الناشر: دار الأوراق الثقافية، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ٥=١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- ٣٤١) ماذا قصد نيتشه بموت الإله؟: محمد أحمد يوسف، مقال على موقع إضاءات، بتاريخ: ٢٠١٨/٧/١٠م.
- ٣٤٢) المانا: مقال منشور في موقع "مؤمنون بلا حدود": <http://www.mominoun.com>.
- ٣٤٣) المايكروبايوتك للمبتدئين: جون سانديفر، الناشر: مكتبة جرير، الرياض، السعودية، ط ١=٢٠٠٤م.

- (٣٤٤) مبادئ العلاج بالطاقة الحيوية: عبد التواب عبد الله حسين، الناشر: الدار العربية للعلوم، ط ١ = ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٣٤٥) متون هرمس - حكمة الفراعنة المفقودة: تيموثي فريك و بيتر غاندي، ترجمة: عمر الفاروق عمر، الناشر: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠٠٢م.
- (٣٤٦) مجلة المجتمع الكويتية: العدد (٢٨٦/١٠ صفر ١٣٩٦هـ - ١٠ فبراير ١٩٧٦م)، والعدد (٢٩٦/٢٠ ربيع الآخر ١٣٩٦هـ - ٢٠ إبريل ١٩٧٦م).
- (٣٤٧) مجلة ثقافة الهند: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، سبتمبر (١٩٥٦م)، بعنوان "الأساطير الهندوسية عن الكون وخلقه": (بدون ذكر اسم الكاتب).
- (٣٤٨) مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، تحقيق: أحمد الحسيني، الناشر: مكتبة المرتضوي، طهران، إيران، ط ٢ = ١٣٦٥هـ.
- (٣٤٩) مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط "بدون" = ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (٣٥٠) محاضرات البروفيسور برند سنيف عن أفكار وليام رايش، وهي عبارة عن عشر محاضرات تحدث فيها عن اكتشاف رايش حول طاقة الأورجون، موجودة على موقع: "[youtube](https://www.youtube.com)".
- (٣٥١) محاضرات في الإيزوتيرك: بقلم (ج ب م) جوزيف مجدلاي، ضمن سلسلة علوم الإيزوتيرك، منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء - بيروت: لبنان.
- (٣٥٢) المحيط في اللغة: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- (٣٥٣) مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط ٥ = ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (٣٥٤) مدخل إلى البوذية: كونراد ما يزيغ، "سلسلة في علوم الديان" بإشراف: عادل تيودور خوري، تعريب: المطران كيرلس سليم بسترس، الناشر: المكتبة البولسية، جونبة، لبنان، ط ١ = ٢٠١٠م.

٣٥٥) مدخل إلى الفلسفة بنظرة اجتماعية: عبد المجيد عبد الرحيم، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ط١=١٩٧٩م.

٣٥٦) مدخل إلى نصوص الشرق القديم: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط١=١٩٩٦م

٣٥٧) المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة: محمد محمود محمد بن و طه عثمان الفراء، الناشر: دار المريخ، ط٤=٢٠٠٢م.

٣٥٨) المدخل: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج، الناشر: دار التراث، (بدون طبعة، بدون تاريخ).

٣٥٩) مدرب البرمجة اللغوية العصبية NLP -الدليل الشامل لتحقيق السعادة الشخصية والنجاح المهني- : إيان ماكديرموت، ويندي جاجو، الناشر: مكتبة جرير، جدة، السعودية، ط١=٢٠٠٤م،

٣٦٠) مدونة حركة الانسان الكوني: إشراف المفكر والكاتب العراقي وليد عبد الله، صاحب مشروع الانسان الكوني: حركة فكرية وسلوكية. راجع مدونته الرسمية: www.uhm2012.blogspot.com

٣٦١) المذاهب الفلسفية الإلحادية الروحية وتطبيقاتها المعاصرة: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١=١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.

٣٦٢) مذاهب فكرية معاصرة: د. محمد قطب، الناشر: دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط١=١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٦٣) مذاهب فكرية معاصرة، عرض ونقد: د. محمود محمد مزروعة، الناشر: مكتبة كنوز المعرفة، جدة، السعودية، ط٢=١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٦٤) مرآة العرفان ولبه شرح رسالة من عرف نفسه فقد عرف ربه: أحمد بن سليمان الأروادي النقشبندي الأكبري، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: الناشر: **BOOKS-PUBLISHER**، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م.

٣٦٥) مركز العلاج البديل: إشراف الدكتور ماستر: إميل سمعان إخصائي الطب البديل بالمركز: <http://www.emile4u.com>

- ٣٦٦) المركزية الغربية: إشكالية التكون والتمركز حول الذات: د. عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ٢ = ٢٠٠٣ م.
- ٣٦٧) المسائل العقدية عند الفلاسفة: أ.د. أحمد السيد علي رمضان، دار الدراسات العلمية للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- ٣٦٨) المستشرقون ودعوى الأخطاء اللغوية في القرآن الكريم: د. آدم مباء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٥ م.
- ٣٦٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط ١ = ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٣٧٠) مشكلة التأليه في فكر الهند الديني: د. عبد الراضي محمد عبد المحسن، الناشر: دار الفيصل الثقافية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٣٧١) المشي على الجمر أصله وحقيقته: د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، ط ١ = ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م.
- ٣٧٢) مصادر الفلسفة العربية: بيار دوهيم، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٥ م.
- ٣٧٣) مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي - دراسة نقدية في ضوء الإسلام: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي، الناشر: مكتبة المؤيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٣٧٤) المصباح المنير: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، تحقيق: د. عبد العظيم الشناوي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٢.
- ٣٧٥) المصنف: الإمام بو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي، الهند، توزيع: المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٤٠٣ هـ.
- ٣٧٦) معارج القبول بشرح سلم الوصول: العلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، المحقق: عمر بن محمود أبو عمر، الناشر: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- ٣٧٧) المعالجة المتقدمة بطاقة الحياة: المعلم تشوكوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ٢ = ٢٠١٤ م.
- ٣٧٨) المعالجة بالطاقة الحيوية: سليم بك علاء الدين، الناشر: مطابع الدستور التجارية، الأردن، ط ١ = ١٤٢٥ هـ.

- (٣٧٩) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، الناشر: دار الكتب المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١.
- (٣٨٠) معتقدات آسيوية: د. كمال سعفران، الناشر: دار الندى، مدينة نصر، جمهورية مصر العربية، ط ١ = ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- (٣٨١) المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، الناشر: عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٩٩٣ م.
- (٣٨٢) معجزات الشفاء البراني: المعلم تشوكوك سوي، ترجمة: باسل ديب داود، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٩ م.
- (٣٨٣) معجزات الشفاء بطاقة الحياة: المعالجة بالبرانا والأرهابتيك يوغا: المعلم تشوكوك سوي، ترجمة: تلاميذ المعلم في سوريا والإمارات العربية المتحدة، الناشر: دار الفنون للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- (٣٨٤) معجم البدع: رائد صبري بن أبي علفة، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (٣٨٥) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، الناشر: دار صادر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٢ = ١٩٩٥ م.
- (٣٨٦) معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها: د. فانيامبادي عبد الرحيم، الناشر: دار القلم، دمشق، سوريا، ط ١ = ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- (٣٨٧) معجم الرائد: جبران مسعود، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٧ = ١٩٩٢ م.
- (٣٨٨) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: د. عبد المنعم الحفني، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط ٣ = ٢٠٠٠ م.
- (٣٨٩) معجم الغني الإلكتروني: د. عبد الغني أبو العزم، فهرسة وتنسيق: فواز زكارنة، ١٤٣٤ هـ - مارس ٢٠١٣ م.
- (٣٩٠) معجم الفلاسفة: جورج طرايشي، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ٣ = ٢٠٠٦ م.
- (٣٩١) المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٨٢ م.

- (٣٩٢) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
- (٣٩٣) المعجم الفلسفي: مراد وهبة، الناشر: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٥=٢٠٠٧م.
- (٣٩٤) معجم الكيمياء والصيدلة: إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، مصر، الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٣٩٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١=١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- (٣٩٦) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال سعيد، الناشر: دار الجنوب للنشر، تونس، ط٤=٢٠٠٤م.
- (٣٩٧) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية: عاتق البلادي، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية، ط١=١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- (٣٩٨) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الناشر: مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط٤=١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- (٣٩٩) معجم ديوان العرب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، تحقيق د. أحمد مختار عمر، مراجعة: د. إبراهيم أنيس، الناشر: مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط١=١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- (٤٠٠) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: د. أحمد زكي بدوي، الناشر: مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط٢=١٩٨٢م.
- (٤٠١) معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٤٠٢) المعرفة الحديثة بين باسكال وبرغسون، دراسة تحليلية مقارنة: م.د. فلاح عبد الزهرة لازم، كلية الآداب، جامعة واسط، الناشر: مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد ١٨، السنة ٧، ط١=٢٠١٥م.

- ٤٠٣) المعرفة عند مفكري المسلمين: د. محمد غلاب، الناشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.
- ٤٠٤) المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها: أ.د. عبد الله بن محمد القرني، الناشر: دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٩٤١هـ.
- ٤٠٥) المعرفة والحدس عند برغسون: عبد المجيد مزيان، مقال منشور في مجلة دعوة الحق، العدد: ٢٢، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية.
- ٤٠٦) معضلة مفهوم الحداثة في منظور مقارن: أ.د. جهاد عودة، الناشر: المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٥.
- ٤٠٧) المعلوماتية برهان الربوبية الأكبر، د. عمرو شريف، الناشر: "NEW BOOK" نيويورك للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط ١=٢٠١٨.
- ٤٠٨) مغامرة العقل الأولى: فراس السواح، الناشر: دار علاء الدين، دمشق، سورية، ط ١١=٢٠٠٢م.
- ٤٠٩) المفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: يوسف الصديق، الناشر: الدار العربية للكتاب والشركة التونسية للتوزيع، ط ٢=١٩٨٠م.
- ٤١٠) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، الناشر: دار فرانز شتايز، مدينة فيسبادن، جمهورية ألمانيا الاتحادية، ط ٣=١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٤١١) مقالات الفرق الإسلامية: د. أبو زيد محمد مكي، الناشر: دار الخراز، جدة، المملكة العربية السعودية، ط ١=١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٤١٢) المقالة (٢٢) عن الغنوصية: أثناسيوس فهمي جورج: متاح في المكتبة القبطية الأرثوذكسية التابعة لموقع: © الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية، مصر: <https://st-takla.org>
- ٤١٣) مقدمة ابن خلدون: ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، الناشر: دار يعرب، دمشق، سوريا، ط ١=١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٤١٤) الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط (بدون)=١٤٠٤هـ.

(٤١٥) من عادات الشعوب: الطقوس الهندوسية عجائب وغرائب: مجلة الفيصل: العدد ١٣٧، السنة الثانية عشرة: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م،

(٤١٦) منبع الأخلاق والدين: هنري برغسون، ترجمة: سامي الدروبي، عبد الله عبد الدائم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، ط=١٩٧١م.

(٤١٧) من تـدى المعهد الروحاني: www.spiritualschool1.com/vb/index.php.

(٤١٨) منطق المشركين: الشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا، الناشر: مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة.

(٤١٩) المنقذ من الضلال: الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، وضع حواشيه وخرج أحاديثه وقدم له: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط=١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٤٢٠) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط=١٣٩٢هـ.

(٤٢١) منهج الارتقاء بالقيم من المعرفة إلى العمل: زينب قهوجي، الناشر: دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط=٢٠١٣م.

(٤٢٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: أ.د. عثمان بن علي حسن، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط=٧=١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، (٢م/ص ٧٣٢).

(٤٢٣) المنهجية في دراسة الأديان: أ.د. عبد الله بن علي سمك، الناشر: دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط=١=١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٤٢٤) مهارات الكونغ فو لفنون شاولين القتالية: أسامة سعيد، الناشر: دار الطلائع، القاهرة، مصر.

(٤٢٥) المؤثرات الغيبية في النفس الإنسانية بين الدين والفلسفة: د. فوز بنت عبد اللطيف كامل كردي، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط=١=١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٤٢٦) المورثات الخارقة: د. ديباك شوبرا و د. رودولف إ. تانزي، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي ومنال الخطيب، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط=١=٢٠١٦م.

(٤٢٧) موسوعة أعلام الفلسفة: روني ألفا، مراجعة: جورج نخل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط=١=١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٢٨) موسوعة الاستغراب: الباطنية الغربية، متاح على موقع مركز الفكر الغربي: (<http://www.cwestt.com>).

٤٢٩) موسوعة الألعاب الرياضية المفصلة: جميل ناصيف، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١=١٩٩٢م.

٤٣٠) الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية الحديثة وتحضير الأرواح: د. علي بن سعيد العبيدي، الناشر: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١=١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤٣١) موسوعة الطب البديل: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دارأسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط١=٢٠٠٣م.

٤٣٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة: جوناثان ري و ج. أو. أرمسون، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون بإشراف زكي نجيب محمود، الناشر: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٣٣) موسوعة الملل والأديان: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، النشر والتحرير: لجنة الإشراف العلمي بموقع الدرر السنية، ١٤٣٦هـ.

٤٣٤) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف د. مانع بن حماد الجهني، ط٥=١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣٥) موسوعة الوقاية والاستشفاء الطبيعي بين الطب النبوي والماكروبايوتك: د. أسامة صديق مأمون، الناشر: الدار العربية للعلوم، القاهرة، مصر، ط١=١٤٢٣هـ.

٤٣٦) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: د. عبد الوهاب المسيري، الناشر: دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١=١٩٩٩م.

٤٣٧) موسوعة تاريخ الأديان: تحرير: فراس السواح، وترجمة: ديمتري أفينيريوس ومحمود منقذ الهاشمي وآخرون، الناشر: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ط٤=٢٠١٧م.

٤٣٨) موسوعة مصطلحات ابن خلدون والشريف الجرجاني: رفيق العجم، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١=٢٠٠٤م.

٤٣٩) الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.

٤٤٠) الموقع الرسمي لجمعية الثيوصوفي الأمريكي: (www.theosophy.org)

٤٤١) موقع طائفة الإنسانية ودين المحبة: (www.ram1ram.com).

- (٤٤٢) موقع علاء السيد المتخصص في دراسة الطاقة الحيوية: (www.alaalsayid.com).
- (٤٤٣) موقف ابن تيمية من خوارق العادات والمخالفين فيها: د. محمد بن إبراهيم الحمد، الناشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط ١ = ١٤٤٠هـ.
- (٤٤٤) ميثولوجيا الخلود: خزعل الماجدي، الناشر: الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١ = ٢٠٠٢م.
- (٤٤٥) النبوات: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، تحقيق: عبد العزيز الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، السعودية، ط ١ = ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- (٤٤٦) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: د. علي سامي النشار، الناشر: دار المعارف، القاهرة، مصر، ط ٩.
- (٤٤٧) النصوص الرؤيوية الكتابية - مجالاتها وتداعياتها على الفكر الديني قديماً وحديثاً: د. نزار صميذة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠١٨م.
- (٤٤٨) نظرية العقل عند الفارابي: أ.د. سليمان الضاهر، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٣٠، العدد (٢+١)، ٢٠١٤م.
- (٤٤٩) نظرية العقل، نقد نقد العقل العربي: جورج طرايشي، دار الساقى، ط ١ = ١٩٩٦م.
- (٤٥٠) نظرية الكتاب الأول - دراسة عقائدية في علم الباراسايكولوجي - : د. عبد الستار الحاج أسمير الرجوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ = ٢٠٠٧م.
- (٤٥١) نعمة المعرفة - ما تبحث عنه يبحث عنك: كامي حنا، الناشر: شمس للنشر والإعلام، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠١٧م.
- (٤٥٢) نقد النصوص في شرح نقش الفصوص: مولى عبد الرحمن الجامي، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٤٥٣) النيل والحضارة المصرية: موريه،
- (٤٥٤) الهالة النورانية بين العلم والدين: هالة فؤاد الأشم، الناشر: أشرف صلاح الدين إبراهيم.
- (٤٥٥) هرمس الحكيم بين الألوهية والنبوة: أحمد غسان سبانو، الناشر: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ٤ = ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (٤٥٦) هرمس المثلث العظيمة: لويس مينار، ترجمة: عبد الهادي عباس، الناشر: دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط ١ = ١٩٩٨م.

- ٤٥٧) هكذا تكلم زرادشت: فريدريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر.
- ٤٥٨) الهند القديمة: حضاراتها ودياناتها، د. محمد إسماعيل الندوي، الناشر: دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م.
- ٤٥٩) الهندوسية؛ تحضيرها لانتعاق الروح: سوامي نيخيلاانادا، ترجمة: د. نبيل محسن، الناشر: ورد للطباعة والنشر، دمشق، سورية، ط ١=٢٠٠٠م.
- ٤٦٠) هنري برغسون؛ في سبيل موسوعة فلسفية: د. مصطفى غالب، الناشر: دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.
- ٤٦١) هيجل أو المثالية المطلقة: د. زكريا إبراهيم، الناشر: مكتبة مصر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط ١=٢٠١٠م.
- ٤٦٢) الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، المحقق: أحمد الأرنؤوط وتركلي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ٢٩.
- ٤٦٣) الوجه الآخر للمسيحية: فراس السواح، منشورات دار علاء الدين، دمشق، سوريا، ط = ٢٠٠٤.
- ٤٦٤) الوجوه الأربعة للطاقة: د. رفاه وجمان السيد، الناشر: دار الخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠٠٤م.
- ٤٦٥) وصفات الطبيب للسعادة: ديباك تشوبرا، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٣م.
- ٤٦٦) الوعي الروحي: د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ١=١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٤٦٧) الوعي الكلي: اداهاليويل، ترجمة: د. محمد ياسر الحسكي، وكارمن الشرباصي، الناشر: دارا لخيال، بيروت، لبنان، ط ١=٢٠١٨م.
- ٤٦٨) الوعي الكوني "أكاشا": إعداد: إميل سمعان، مقال متاح على موقع مركز العلاج البديل: للإخصائي الماستر: إميل سمعان: (<http://www.emile4u.com>).
- ٤٦٩) الوعي: سوزان بلاكمور، ترجمة مصطفى محمد فؤاد، الطبعة الأولى، دار هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٦.
- ٤٧٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء:

- ٢ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٣ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٧١، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، الجزء: ٦ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٧ - الطبعة: ١، ١٩٩٤، عدد الأجزاء: ٧.
- (٤٧١) **يسألونك عن الروح:** حسن عبد الوهاب ومحمود شلبي، طبعة مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط ١ = ١٩٩٨ م.
- (٤٧٢) **اليوجا - علاج وشفاء:** د. عباس محمد المسيري، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط ١ = ٢٠٠٦ م.
- (٤٧٣) **اليوجا المصرية:** د. مواتا آشي، ترجمة: صفاء محمد، نشر الكتروني على صفحة مدرسة بيت الحياة المصري.
- (٤٧٤) **اليوجا: تساعدك على اكتشاف الطاقات الكامنة بداخلك:** د. أيمن محمد عادل، الناشر: مكتبة النافذة، الجيزة، مصر.
- (٤٧٥) **اليوغا تطيل عمرك:** شري يوجندرا، تعريب: محمد روجي البعلبكي، منشورات: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٥ = ١٩٨٢ م.
- (٤٧٦) **اليوغا فن السيطرة على النفس والجسد:** د. أحمد توفيق حجازي، الناشر: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط ١ = ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- (٤٧٧) **اليوغا في ميزان النقد العلمي:** د. فارس علوان، الناشر: دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط ١ = ١٩٨٩ م.
- ثانيا: المصادر الأجنبية:

478) A Dictionary Of Some Theosophical Terms, Powis Houlst, London. The Theosophical Publishing Society. 1910.

479) A Little Book of Feng Shui: Vijaya Kumar, Sterling publishers, New Delhi. India, 2003.

480) ALL 7 CHAKRAS HEALING CHANTS | Chakra Seed Mantras Meditation Music.

481) Ayurvedic Astrology: Self-healing Through the Stars: Dr. David Frawely. Motilal Banarsidasa Publisher Private Limited. Delhi- 2007.

482) Children of the Neo Age – Steven Sutcliffe

- 483)** Collectd Writings, Blavatsky.from:
www.blavatskyarchives.com.
- 484)** Death and After – Annie Besant
- 485)** Feng Shui: Geddes & Grosset, Scotland -1999
- 486)** Hadj-Said Mohand; Hadj-Said Meziane (2004): Les arts
Martiaux chinois, El-Amal,Tizi-Ouzou, Algérie;
- 487)** Initiation – Alice Bailey
- 488)** Isis Unveiled, Blavatsky.
- 489)** The Path of Knowing: H. P. BLAVATSKY on theosophy,
Barry Thomson, from: www.theosophy.org
- 490)** Maharishi, M. 2009.Celebrating perfection in education
Vlodrop; Maharishi Vedic University Press
- 491)** Mantras associated with Avalokiteshvara (aka Quan Yin,
Chenrezig) in Siddham, Tibetan (Uchen), Ranajana (Lantsa),
Elvish, and Klingon". Retrieved 13 October 2015
(www.visiblemantra.org).
- 492)** Melchizedek ‘Drunvalo (1999). The Ancient Secret of the
Flower of Life Volume 1. Light Technology Publishing.
- 493)** Melchizedek ‘Drunvalo (1999). The Ancient Secret of the
Flower of Life Volume 1. Light Technology Publishing.
- 494)** Perspectives On The New Age – Lewis & Melton
- 495)** Reiki is inexhaustible. McKenzie (1998). Boräng (1997
- 496)** Stein ‘Diane (1998). Essential Reiki: A Complete Guide to an
Ancient Healing Art: Crossing Press.
- 497)** Stein ‘Diane (1998). Essential Reiki: A Complete Guide to an
Ancient Healing Art: Crossing Press.
- 498)** Streich ‘Marianne ‘William ‘Rand L. (2007). How Hawayo
Takata Practised and Taught Reiki (PDF). Reiki News Magazine.
- 499)** The Key to Theosophy, Blavatsky.
- 500)** The Ocean of Theosophy , William Q. Judge: Chapter =1.
- 501)** the secret doctrine, Blavatsky, Vol.1, ii, and The Theosophical
Glossary, Blavatsky.
- 502)** The Seven Spritual Laws of Yoga – Deepak Chopra.

503) The Theosophical Glossary, Blavatsky., and The Key To Theosophy, Blavatsky.

504) The white Book – Ramtha (j.z Knight)

505) Travis, F., and Pearsonn, C. 2000. Pure consciousness: Distinct phenomenological and physiological correlates of “consciousness itself.” The International Journal Neuroscience, 100, 77-98.

506) us Reiki Techniques for Health and Well-being. Lotus Press.

507) Yoga For Fitness professionals: Debbie Lawrence & Conrad Paul, Page Of Publisher: Bloomsbury – London.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٣	ملخص الرسالة
٤	Abstract
٥	المقدمة
٢٧	الفصل الأول: المدخل لدراسة فلسفة الطاقة الكونية
٢٨	المبحث الأول: المراد بالطاقة الكونية
٢٩	المطلب الأول: التعريف بالطاقة الكونية
٤١	المطلب الثاني: خصائص الطاقة الكونية، والتفسير الفلسفي لها
٤٩	المطلب الثالث: مفاهيم فلسفية حول الطاقة الكونية
٥٨	المبحث الثاني: الصلة بين الطاقة الكونية وبين الإنسان
٥٩	المطلب الأول: ارتباط الإنسان بالطاقة الكونية
٧٠	المطلب الثاني: مراكز الطاقة الحيوية في جسم الإنسان
٨٨	المطلب الثالث: مفاهيم حول الطاقة الكونية المرتبطة بجسم الإنسان
٩٦	المبحث الثالث: الجذور الفكرية لفلسفة الطاقة الكونية
٩٧	تمهيد
٩٩	المطلب الأول: التصور الفلسفي للكون في الفكر الشرقي القديم
١٠٦	المطلب الثاني: عبودية الطبيعة في الفكر الشرقي القديم
١١٢	المطلب الثالث: الشعائر والرموز في العقائد الروحية القديمة
١١٦	المطلب الرابع: تقنية الوجد عند الشامانية
١٢٤	المطلب الخامس: نظرية ال"تاو" عند "لاو - تزو"
١٣١	المطلب السادس: فلسفة التغير في الفكر الصيني القديم
١٣٥	المطلب السابع: فلسفة "أوبانيشاد" في الفكر الفيدي الهندي القديم
١٤٤	المطلب الثامن: نظرية ال"نيرفانا" عند "سيدهارتا غوتاما"
١٥٢	المطلب التاسع: الرؤيا الكونية عند هرمس

رقم الصفحة	الموضوع
١٧٠	المطلب العاشر: المعرفة الباطنية
١٨٧	المطلب الحادي عشر: نظرية المثل عند "أفلاطون"
١٩٠	الفصل الثاني: مدارس فلسفة الطاقة الكونية
١٩١	تمهيد
١٩٣	المبحث الأول: مدرسة الوجود الكوني
١٩٤	المطلب الأول: التعريف بمدرسة الوجود الكوني، وأبرز فلاسفتها، واتجاهاتها الفكرية
٢٠٥	المطلب الثاني: الاتجاه الروحي، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية وأثره على الحرية النفسية
٢٢٧	المطلب الثالث: التأمل الكوني، وعلاقته بفلسفة الطاقة الكونية، وأثره على الحرية الفكرية
٢٥١	المبحث الثاني: مدرسة الإنسان الكوني
٢٥٢	المطلب الأول: التعريف بمدرسة الإنسان الكوني
٢٥٩	المطلب الثاني: التصورات الفكرية لفكرة الإنسان الكوني
٢٨٤	المطلب الثالث: دور الإنسان الكوني في تشكيل الواقع العملي
٣٠٢	المبحث الثالث: مدرسة الوعي الكوني
٣٠٣	المطلب الأول: التعريف بمدرسة الوعي الكوني
٣٠٩	المطلب الثاني: التصورات الفكرية لفلسفة الوعي الكوني
٣٤٩	المطلب الثالث: الوعي الكوني في فلسفة الطاقة الكونية
٣٥٩	المطلب الرابع: دور الوعي الكوني في التأثير على حياة الإنسان
٣٦٥	الفصل الثالث: تطبيقات فلسفة الطاقة الكونية
٣٦٦	تمهيد
٣٦٧	المبحث الأول: تطبيقات التأمل الكوني
٣٦٨	المطلب الأول: تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الشرقي القديم
٣٧٧	المطلب الثاني: تطبيقات التأمل الكوني في الفكر الباطني الحديث
٣٨٨	المبحث الثاني: تطبيقات التواصل مع الأرواح والعالم الغيبي
٣٨٩	المطلب الأول: تطبيق الظواهر العقلية "الإسقاط النجمي"

رقم الصفحة	الموضوع
٤٠٢	المطلب الثاني: تطبيق الظواهر الفيزيائية "التأثير على الماديات"
٤١٣	المبحث الثالث: تطبيقات تطوير الذات
٤١٤	المطلب الأول: تطبيق قانون الجذب
٤٢١	المطلب الثاني: تطبيق البرمجة العصبية (NLP)
٤٢٧	المطلب الثالث: تطبيقات الفنون القتالية
٤٣٣	المبحث الرابع: تطبيقات الاستشفاء والعلاج
٤٣٤	المطلب الأول: تطبيق العلاج بالشاكرات
٤٣٧	المطلب الثاني: تطبيق العلاج بالوخز بالإبر الصينية
٤٤٠	المطلب الثالث: تطبيق العلاج بالبرانا - البرانيك هيلينغ
٤٤٣	المطلب الرابع: تطبيق العلاج بالريكي
٤٥٠	المطلب الخامس: تطبيق العلاج بالألوان
٤٥٦	المبحث الخامس: تطبيقات الوعي الكوني
٤٥٨	المطلب الأول: تطبيق الطاقة الكونية على الأنظمة الغذائية
٤٦٢	المطلب الثاني: تطبيق الطاقة الكونية على الأنظمة الهندسية
٤٦٩	المطلب الثالث: تطبيق الطاقة الكونية على البيئة المحيطة
٤٧٩	الفصل الرابع: موقف الإسلام من فلسفة الطاقة الكونية
٤٨٠	المبحث الأول: موقف الإسلام من قضايا الاعتقاد الناتجة عن فلسفة الطاقة الكونية
٤٨١	المطلب الأول: الموقف من طريقة التعامل مع القضايا العقدية
٤٩١	المطلب الثاني: الموقف من قضية الاعتقاد بالله بحسب المفهوم الفلسفي
٥٠٤	المطلب الثالث: الموقف من قضية الخلق والتكوين بحسب المفهوم الفلسفي
٥١٣	المطلب الرابع: الموقف من قضية تأليه الطبيعة
٥١٨	المطلب الخامس: الموقف من قضية تسخير الإنسان الكوني للكون
٥٢٥	المبحث الثاني: الموقف من قضايا التأثير
٥٢٦	المطلب الأول: قواعد مهمة في التعامل مع قضايا التأثير
٥٤٨	المطلب الثاني: الموقف من المؤثرات الغيبية على النفس
٥٦٤	المبحث الثالث: الموقف من قضية الوعي الفلسفي

رقم الصفحة	الموضوع
٥٦٥	المطلب الأول: الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للدين
٥٧٤	المطلب الثاني: الموقف من نظرة الوعي الفلسفي للمعرفة الباطنية
٥٨٨	الخاتمة
٥٩٠	النتائج
٥٩٥	التوصيات
٥٩٦	الفهارس العلمية
٥٩٧	فهرس الآيات القرآنية
٦٠١	فهرس الأحاديث النبوية
٦٠٢	فهرس الأعلام المترجم لهم
٦٠٤	فهرس المراجع والمصادر
٦٤٤	فهرس الموضوعات